

الكتاب والشرال - شراءة معاصرة

تقديم المنهج اللغوي في الكتاب

بقلم: الدكتور جعفر دك الباب

يسعدين أن أقدم للقارئ الكريم كتاب الصديق الدكتور المهندس محمد شحرور وعنوانه "الكتاب والقرآن". لن أركز في تقديمي على الموضوعات الهامة التي بحثها المؤلف في الكتاب، لأنه سيعرضها بنفسه في المقدمة. ولن أطنب في ذكر الجوانب الإيجابية، في بنية الكتاب، التي مكنت المؤلف من الأخذ تدريجياً، بيد القارئ للسير معه خطوة خطوة، من أجل الوصول إلى الأمور الجديدة، التي ينطبق عليها بحق وصف "قراءة معاصرة". ولن أعمد إلى الإشادة بحرص المؤلف الشديد على الدقة المتناهية في صياغة أفكاره، الشكل الذي يمكن من إيصالها إلى القارئ كما أراد هو، لا كما قد يحاول كثيرون، لمآرب شتى، تسليط الضوء على جوانب منها فقط، والتعتيم على جوانب أخرى، وذلك بغية استغلالها في خدمة مقاصد يسعون إلى تحقيقها .

ولكني أنوه بأن الصديق الدكتور المهندس محمد شحرور مؤمن إيماناً راسخاً بأن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنه خاتم الأنبياء والرسل. لذا فإن المؤلف يتمسك بيقين لا يتزعزع بمسلمة أن ''القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان إلى يوم الدين"، ويرى أن الدليل على كون القرآن معجزاً، لأنه من عند الله، هو دليل علمي يجب أن تتضافر جهود أكابر العلماء، في شتى فروع المعرفة الإنسانية، من أجل تقديمه.

لقد توصل الدكتور شحرور في قراءته المعاصرة إلى نتائج جديدة مغايرة لما هو سائد الآن في التراث العربي

الإسلامي. ولبيان كيف توصل الباحث إلى هذه النتائج، لا بد في البدء من عرض المنهج اللغوي الذي تبناه المؤلف، ثم الإشارة إلى أهم النتائج التي توصل إليها بفضل ذلك المنهج.

المنهج اللغوي الذي تبناه المؤلف

تبنى الدكتور شحرور المنهج التاريخي العلمي في الدراسة اللغوية، الذي طرحته لدى دراستي الخصائص البنوية للعربية، في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة. لقد استنبطت أسس ذلك المنهج من اتجاه مدرسة أبي على الفارسي اللغوية. فما هي الملامح العامة لهذا الاتجاه؟

الملامح العامة لاتجاه مدرسة أبي على الفارسي اللغوية

بلور ابن حييٰ في "الخصائص" والإمام الجرحاني في "دلائل الإعجاز" اتحاه مدرسة أبي على الفارسي اللغوية في نظريتين متتامتين.

بعض جوانب نظرية ابن جني التي بلورها في "الخصائص"

أ - انطلق ابن جي من منطلق وصف البنية اللغوية، لأن بحثه في "الخصائص" كحان يدور بشكل رئيسي في نطاق بنية الكلمة المفردة. فعمد إلى دراسة الأصوات التي تتألف الكلمات منها، وسعى إلى اكتشاف القوانين التي تنظم العلاقة بين الأصوات في الكلمة. فبحث في الاشتقاق وأنواعه، ودرس التقليبات الممكنة للكلمة الواحدة. وبيّن أن الأمر المشترك الذي يجمع التقليبات هو وحدة المعنى. وأفضى ذلك به إلى القول بوجود علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول. ويعني هذا أن ابن جني لجأ إلى الوصف التطوري لبنية الكلمة الذي يأخذ بالاعتبار عامل الزمن. ب - اهتم ابن جني باكتشاف القوانين العامة للنظام اللغوي. لذا يتبين للدى البحث في نشأة اللغات - نظرية التوقيف أو الاصطلاح، بل جوزهما على حد سواء لأن ذلك لا يغير من حقيقة القوانين اللغوية. ولكن ابن جني أكد بشكل حازم على أمرين:

- 1 لم تنشأ اللغة في وقت واحد، بل نشأت في أوقات متلاحقة.
 - 2كانت اللغة باستمرار تحافظ على اتساق نظامها.

جــ - بحث ابن حني في القوانين الصوتية العامة التي ترجع إلى الخصائص الفيزيولوجية للإنسان (وعبر عنها بحسن المتكلم). كما وازن بين لغة العرب ولغة العجم.

بعض جوانب نظرية الإمام الجرجاني التي بلورها في "دلائل الإعجاز"

أ - انطلق عبد القاهر الجرجاني من منطلق وصف البنية اللغوية وبيان وظيفتها الإبلاغية لأنه بحث في نظم الكلم. فعمد إلى بيان ارتباط خصائص بنية فعمد إلى بيان ارتباط خصائص بنية الكلمة المفردة بالوظيفة الإبلاغية التي تؤديها في الكلام، انطلاقاً من الوظيفة الأساسية للغة كوسيلة لاتصال الناس بعضهم ببعض. وكان يرى ان اللغة نظام لربط الكلمات. ولدى السعي لاكتشاف هذا النظام، لم يكن الجرجاني بحاحة إلى وصفه وصفاً توامنياً. وأدى ذلك إلى القول باعتباطية الإشارة اللغوية. بحاحة إلى وصفه وصفاً ترامنياً. وأدى ذلك إلى القول باعتباطية الإشارة اللغوية. ب - انصب اهتمام الجرجاني على اكتشاف القوانين العامة للنظام اللغوي وأكد ارتباط اللغة بالتفكير. ولدى البحث في نشأة اللغات، بين دور التفكير في نشأة اللغة. وجوّز الجرجاني - كما فعل ابن جني - القول بأن اللغة تواضع أو إلهام. ولكنه أكد أن مهمة الكلمات المفردة لم تقتصر منذ بداية وضعها على)التسمية) فقط، بل كانت مهمتها مرتبطة أيضاً بـ "الإبلاغ."

حــ- بحث الجرحاني في القوانين اللسانية العامة. وقرر ما يلي:

- 1لا يمكن أن تكون الكلمة المفردة أدل على معناها الذي وضعت له من كلمة أخرى، سواء أكان ذلك في لغة واحدة أم في لغات مختلفة.

- 2الخبر معنى بين شيئين، وليس في الدنيا خبر يعرف من غير هذا السبيل.

إنني أرى أن نظريتي ابن حني والجرحاني متتامتان، بل يصح القول ألهما تؤلفان حانبين لنظرية لسانية واحدة تعبر-برأيي- عن اتجاه مدرسة أبي على الفارسي اللغوية. ويظهر التتام بين النظريتين حلياً في الأمرين التاليين:

أ - ضرورة البط بين الدراسة التزامنية لنظام اللغوي (التي تقدمها نظرية الجرحاني) والدراسة التطورية له (التي تقدمها نظرية ابن حني.(

ب - ضرورة الربط بين القول بأن اللغة لم تنشأ دفعة واحدة (الذي اعتمدته نظرية ابن حني) والقول بارتباط نشأة اللغة بالتفكير (الذي اعتمدته نظرية الجرجاني) ويعني ذلك أن اللغة قد نشأت وتطور نظامها واكتمل، بشكل مواز لنشأة التفكير الإنساني وتطور نظامه واكتماله.

وأرى أن الملامح العامة لاتجاه مدرسة أبي على الفارسي اللغوية يمكن تحديدها في المبادئ التالية:

- 1 الانطلاق من أن اللغة نظام.
- 2اللغة ظاهرة اجتماعية، وترتبط البنية اللغوية بوظيفة الاتصال التي تؤديها اللغة.
 - 3تلازم اللغة والتفكير.

وبما أن النظام اللغوي في حركة مستمرة، لذا يجب أن يستخدم في دراسته منهج تاريخي علمي. ويقوم المنهج التاريخي العلمي-الذي استنبطناه من التتام بين نظريتي ابن جني وعبد القاهر الجرجاني-على المبادئ التالية:

- 1 التلازم بين النطق والتفكير ووظيفة الإبلاغ منذ بداية نشأة الكلام الإنسان. وإدراك العلاقة الذهنية بين الصوت وما يشير إليه كان البداية الأولى في تكون التفكير الإنساني. وقد نطق الإنسان الأصوات بشكل واع ليستخدمها وسيلة لنقل أغراضه للآخرين.

- 2 لم ينشأ التفكير الإنساني مكتملاً طفرة واحدة، وانطلق خط السير العام لتطوره من إدراك المشخص المحسوس واكتمل بالانتقال إلى المجرد. كما أن النظام اللغوي لم ينشأ مكتملاً طفرة واحدة، بل نشأ واكتمل تدريجياً بشكل مواز لنشأة التفكير الإنساني واكتماله. ويتجلى اكتمال النظام اللغوي في اكتمال أصوات اللغة وتعبير مفرداتها عن المجردات واكتمال نظامها القواعدي "الصرفي والنحوي" أي صيغ تغير "تصرف" كلماتها المفردة وأنماط علاقاتها التركيبية. أما مرحلة ما قبل اكتمال النظام اللغوي فتتجلى في عدم اكتمال أصوات اللغة، وفي تعبير مفرداتها عن المحسوسات فقط، وفي عدم اكتمال صيغ تصرف الكلمات المفردة فيها، وأنماط علاقاتها التركيبية.
 - 3إنكار الترادف الذي قد يظنه بعضهم سبباً لتميز لغة ما بثراء مفرداتها وسعة التعبير فيها. والنظر إلى ما يعد الترادف في لغة ما على أنه يعكس مرحلة تاريخية قديمة كانت فيها ألفاظ تلك اللغة تعبر عن التفكير القائم على إدراك المشخص و لم تكن فيها التسميات الحسية قد استكملت بعد تركيزها في تجريدات.
- 4يؤلف النظام اللغوي كلاً واحداً، توجد المستويات المتدرجة للبنية اللغوية فيه، في علاقة تأثير متبادل فيما بينها. ويحتل مستوى البنية الصوتية مرتبة المستوى الأساسي والموجه بالنسبة لبقية المستويات، لذا تنعكس خصائصه في المستويات اللغوية الأعلى، ولا يمكن تفسير خصائص المستوى الصوتي بحقائق من المستويات الأعلى، في حين أن العكس ممكن.
 - 5 يجب علينا-لدى دراسة النظام اللغوي- أن نهتم بما هو عام ومطرد، دون أن نهمل الاستثناءات، لأنها تعتبر شواهد على مراحل سابقة أو بدايات لتطور جديد. وبذا نتمكن من دراسة النظام اللغوي في وضعه الراهن (المتزامن) وفي تطوره في آن واحد. وحير دليل علمي، وأفضل الشواهد التاريخية، هو المادة اللغوية نفسها للغة حقيقية معروفة. وعليه فمن أجل دراسة تاريخ اللغات، يجب الاستناد إلى مادة لغوية تثبت الشواهد التاريخية أنها كانت موجودة فعلاً وليست مفترضة الوجود فقط.

وبالاستناد إلى المنهج التاريخي العلمي في الدراسات اللغوية نفهم الوظائف العامة للغات الإنسانية وخصائصها البنوية، فنقرر ما يلي:

كانت اللغة الإنسانية منذ نشأتها الأولى أصواتاً نطقها الإنسان بشكل واع لاستخدامها وسيلة لإبلاغ الآخرين أغراضه وفهم أغراضهم، في عيشة المشترك معهم من ناحية، ولاستخدامها من ناحية أخرى وسيلة يصوغ بواسطتها أفكاره، ويعبر عن مشاعره. والصفات العامة للغات الإنسانية تحددها الأمور المشتركة بين الناس جميعاً والمتمثلة فيما يلى:

- 1 البنية التشريحية الواحدة لجهاز النطق الإنساني.
 - 2الطرائق العامة الواحدة للتفكير الإنساني.
 - -3التروع الإنساني الواعي للحياة الاحتماعية.

وتتلخص هذه الأمور المشتركة في العبارة القديمة التي عرفت الإنسان بأنه كائن ناطق مفكر احتماعي. وبما أن اللسانيات العامة تبحث في القوانين المشتركة بين جميع اللغات الإنسانية فإنها تدرس الأصوات اللغوية وتبين كيف تستخدم تلك الأصوات أوعية للمعاني (أي للأفكار الإنسانية) ووسيلة للإبلاغ (أي للاتصال) في المجتمع الإنساني.

وعلى الرغم من وجود صفات عامة، تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية، فإنه توجد صفات أخرى غير مشتركة، تتجلى في وجود بعض خصائص بنوية تتمتع بما لغة أو مجموعة من اللغات. ويرجع ذلك برأينا إلى بداية العلاقة بين البنية اللغوية والتفكير الإنساني.

إننا نرى أنه كان هناك تلازم بين اللغة والتفكير ووظيفة الإبلاغ منذ بداية نشأة الكلام الإنساني، إضافة إلى أن اللغة الإنسانية كانت في نشأتها الأولى منطوقة. وعليه فإن الصيغة الأولى كانت لفظة تعبر عن فكرة وتؤدي غرضاً إبلاغياً.

ومن استعراض التاريخ الحضاري للإنسانية يظهر أن التفكير الإنساني لم ينشأ مكتملاً طفرة واحدة، وأن خط السير العام لتطور التفكير الإنساني انطلق من إدراك المشخص المحدد "بحاستي السمع والبصر". واكتمل بالإنتقال إلى المجرد العام، كما يظهر أن البنية اللغوية لم تنشأ مكتملة دفعة واحدة. وقد تطورت البنية اللغوية واكتملت تدريجياً بشكل مواز لتطور التفكير الإنساني واكتماله. ونرى أن اختلاف طرائق تطور البني اللغوية واكتمالها قد أدى إلى اختلافات بنوية بين اللغات، وترتب عنه تمتع لغة أو مجموعة من اللغات بخصائص بنوية متميزة. وبما أن الدكتور شحرور تبني المنهج التاريخي العلمي، فقد ركز على التلازم بين اللغة والتفكير ووظيفة الاتصال منذ بداية نشأة الكلام الإنساني، وانطلق من أن اللغة الإنسانية كانت منطوقة في نشأتها الأولى، وأنكر ظاهرة الترادف في العربية. لذا اختار الباحث (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس واعتمده مرجعاً هاماً يستند إليه في تحديد فروق معاني الألفاظ التي بحث فيها، لأن ابن فارس تلميذ تُعلب وقد أخذ برأي أستاذه حول التباين بين اسم الذات واسم الصفة، وعبارة ثعلب مشهورة "ما يظن في الدراسة اللغوية من المترادفات هو من المتباينات."

أهم النتائج التي توصل المؤلف إليها بفضل المنهج التاريخي العلمي في الدراسة اللغوية

يعتبر الباب الأول "الذكر" الأرضية النظرية الجديدة التي استند الباحث فيها إلى إنكار ظاهرة الترادف في العربية، متابعاً في ذلك عدداً من كبار علماء العربية، "ومنهم ثعلب وابن فارس وأبو علي الفارسي". لذا رفض الباحث المقولة السائدة التي ترى أن لفظتي "الكتاب" و"القرآن" مترادفتان، وأكد تباينهما وعدم ترادفهما .

قال المؤلف هذا انطلاقاً من فهمه أسرار اللسان العربي، حيث أن القرآن عربي وأنزل بلسان عربي مبين. لقد وصل الباحث إلى ذلك انطلاقاً من فهم حديد قدمه لمعني "ترتيل القرآن."

إن المعنى السائد للترتيل هو التأنق في تلاوته (1) وأشار الزمخشري في "أساس البلاغة" في مادة "ر ت ل" أن من المجاز) :ورتل القرآن ترتيلا (إذا ترسل في تلاوته وأحسن تأليف حروفه، وهو يسترسل في كلامه ويترتل. ولكن الباحث استند إلى الأصل اللغوية في المادة "ر ت ل" رتل الشيء: نسقه ونظمه .وقال لا يمكن أن يكون المقصود في عبارة)ورتل القرآن ترتيلا (الوارد في سورة المزمل)يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه

قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا) (الآيات 1-5) تأنق في تلاوته، لأن ما جاء في الآية التالية (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا) لا يرتبط من قريب أو بعيد بالتأنق في التلاوة، حيث أن "وصف القول بالثقيل" لا يقصد به الثقل في التلفظ والنطق، بل وعورة فهم معنى ما يشتمل عليه القرآن من علم. وإذا كان ذلك كذلك اتضح أن معنى)ورتل القرآن ترتيلا (هو رتب أو نظم الموضوعات الواحدة الواردة في آيات مختلفة من القرآن، في نسق واحد كي يسهل فهمها.

وانطلاقاً من هذا الفهم الجديد لترتيل القرآن، قام الباحث بجمع "ترتيل "جميع الآيات التي وردت فيها لفظة "القرآن" وجميع الآيات التي وردت فيها لفظة "الكتاب"، واستنطقها، فظهر حينئذ بجلاء الفرق بينهما. قد يصاب القارئ بصدمة عند وصوله إلى النتيجة المعروضة في باب "الذكر "والتي تقول بعدم ترادف القرآن والكتاب، ووجود فرق بينهما، لأن هذه النتيجة تهدم التصور السائد في فهم الإسلام القائم على ترادف القرآن والكتاب.

وبعد قبول النتيجة قد يصاب القارئ بحيرة، لأن قبول هذه النتيجة يستوجب بالضرورة تقديم تصور جديد في فهم الإسلام قائم على تباين القرآن والكتاب.

وقد أدرك الدكتور شحرور ذلك، فلم يترك القارئ في حيرته بعد الصدمة، بل قدم له التصور الجديد الذي يقترحه في فهم الإسلام، بالاستناد إلى نتائج استخدام المنهج التاريخي العلمي في دراسة آيات الذكر الذي تعهد الله بحفظه)إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (الحجر 9). ومعروف أن الذكر هو الصيغة الصوتية المنطوقة لما يشتمل عليه المصحف بين دفتيه.

في الباب الثاني "حدل الكون والإنسان" عمد الباحث إلى جمع "ترتيل" الآيات التي اشتملت على موضوعات حلق الكون، وحلق الإنسان، ونشأة الألسن، واستنطقها. فأكدت هذه الآيات أن القرآن يشتمل على قانون الجدل العام)كل شيء هالك إلا وجهه) (القصص 88) من ناحية، ويشتمل من ناحية أحرى، على قانون الجدل الخاص بالإنسان، الذي أبانه الله عن الحيوان بنفخة الروح، التي مكنته م الارتقاء عن عالم الحيوان بالعقل، ليصبح حليفة الله في الأرض بواسطة العلم.

كما أكدت تلك الآيات ارتباط اللغة والتفكير ووظيفة الإبلاغ منذ بداية نشأة الكلام الإنساني، وأن اللغة الإنسانية الأولى كانت منطوقة في نشأتها الأولى، وأن مصدر المعرفة الإنسانية هو العالم الخارجي المادي الذي يتعرف الإنسان عليه بواسطة القلم أي بمنهج تقليم "تمييز" سماته المختلفة.

وفي الباب الثالث "أم الكتاب والسنة والفقه" وصل المؤلف في الفصل الأول "أم الكتاب الرسالة" إلى فهم حديد للحدود الواردة في آيات الذكر الحكيم، وقدم رؤية حديدة للصراط المستقيم ولمعروف والمنكر. وفي الفصل الثاني "السنة" طرح المؤلف فهما حديداً للسنة النبوية. وفي الفصل الثالث "الفقه الإسلامي" دعا الباحث إلى فقه حديد، ينطلق من مبدأ التلازم بين الاستقامة والحنيفية، وقدّم المؤلف هنا نموذجاً للفقه الجديد في دراسة موضوع المرأة في الإسلام.

وفي الباب الرابع "الشهوات الانسانية والقصص في القرآن" قدم المؤلف في الفصل الثاني نموذجاً للترتيل والتأويل في القصص القرآبي.

وفي ختام هذا التقديم للمنهج اللغوي، في كتاب الدكتور المهندس محمد شحرور، الموسوم "الكتاب والقرآن" أرجو أن أكون قد نجحت أن أكون قد وفقت في تعريف قارئ الكتاب بأسس المنهج اللغوي الذي تبناه المؤلف، وآمل أن أكون قد نجحت في بيان أهم النتائج التي توصل المؤلف إليها، بفضل ذلك المنهج اللغوي وأسهمت بالتالي في تهيئة القارئ لفهم الأمور الجديدة التي طرحها الدكتور محمد شحرور في دراسته المعاصرة للكتاب والقرآن.

دمشق في 15 رجب 1410 هـ، 10 شباط 1990م

الدكتور جعفر دك الباب

المقدمة

لو رسم انسان ما صورةً لوجه انسان، ورسم له عيناً واحدة فقط، فإن أول امرئ ينظر إلى هذه الصورة سيلاحظ بسرعة، الخطأ في الرسم، ولن يتريث قبل أن يقول: تنقصها عين. ولكنه لو رسم لوجه من مرآة (أي رسم الوجه معكوساً (وقدمها إلى الناس فإنه قد يراها ملايين الناس لمدة طويلة من السنين دون أن يلاحظوا ألها معكوسة. ومثل هذا حصل لأهل الأرض عبر مئات السنين عندما كانوا يعتقدون أن الشمس تدور حول الأرض، ولكنهم كانوا عاجزين عن تفسير بعض الظواهر انطلاقاً من مسلمتهم هذه، حتى جاء شخص واحد، بشر منهم ومثلهم، وقال: إن العكس هو الصحيح وأن الأرض هي التي تدور حول الشمس. من هذه الحقيقة التاريخية التي حصلت فعلاً تبيّن لي بعد ربع قرن من البحث الدؤوب والتفكر الطويل والتأمل الواعي أننا نحن المسلمين مأسورون لمسلمات قد يكون بعضها معكوساً تماماً، وسأمثل لها في الصفحات القريبة الآتية.

بيد أني أستميح القارئ الكريم عذراً لأني سأطلب إليه التريث في الحكم عليَّ قبل أن يمضي معي في رحلة هذا الكتاب، وألا يتسرع - بحكم بعض مسلماته الموروثة، التي سأثبت له بالبرهان أنها معكوسة - إلى نبذ كتابي قبل الصبر على صحبته، لأنه سيجد فيه احتراماً شديداً وإكباراً عظيماً لفكرة وعقله وإن فقد في كتابنا هذا الاحترام والإكبار نفسيهما لعواطفه. ومن ها هنا نستعين بالله تعالى ونقول:

لقد دخل العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري والعقد الأخير من القرن العشرين الميلادي، والأدبيات الإسلامية منذ مطلع القرن العشرين تطرح الإسلام عقيدة وسلوكاً دون أن تدخل في العمق الفلسفي للعقيدة

الإسلامية .ولقد انطلقت من أطروحات، عدتها من مسلمات العقيدة الإسلامية وهي لا تدري أن هذه المسلمات بحاجة إلى إعادة نظر، فدارت هذه الأدبيات نفي حلقة مفرغة، ولم تصل إلى حل المعضلات الأساسية للفكر الإسلامي (التقليدي)، مثل أطروحة القضاء والقدر والحرية، ومشكلة المعرفة، ونظرية الدولة، والمجتمع والاقتصاد والديمقراطية، وتفسير التاريخ، بحيث ينتج عن ذلك فكر إسلامي معاصر يحمل كل مقومات المعاصرة شكلاً ومضموناً دون الخروج عن المقومات الأساسية للعقيدة الإسلامية في أبسط أشكالها وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

إن الفكر العربي المعاصر ومن ضمنه الفكر الإسلامي يعاني من المشاكل الأساسية التالية:

- 1عدم التقيد بمنهج البحث العلمي الموضوعي في كثير من الأحيان، وعدم تطبيق الكتاب المسلمين لهذا المنهج على النص القدسي الديني المتمثل بآيات الكتاب الموحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم. حيث إن أول شرط من شروط البحث العلمي الموضوعي هو دراسة النص بلا عواطف جياشة، من شأنها أن توقع الدارس في الوهم، وخصوصاً إذا كان موضوع الدراسة نصاً دينياً أو نحو ذلك.
- 2إصدار حكم مسبق على مشكلة ما قبل البحث في هذه المشكلة، وخير مثال على ذلك "المرأة في الإسلام" إذ نرى الباحث الإسلام، مقتنعاً مسبقاً وقبل البحث أن وضع المرأة في الإسلام وضع سليم وأن الإسلام أنصفها، فيكتب كتاباً في ذلك ويقول إنه بحث علمي. وكل ما فعله أنه أوجد التبريرات لوجهة نظره المسبقة، ونرى الباحث المعادي للإسلام مقتنعاً مسبقاً أن الإسلام ظلم المرأة، ويقدم بحثاً عن ذلك ويقول إنه بحث علمي. وكلاهما وقع في الخطأ نفسه، إذ إن أي مشكلة تتطلب بحثاً علمياً موضوعياً، تعني أن الباحث نفسه غير متأكد من النتائج، أو لا يعرف النتائج أصلاً وبالتالي أجرى بحثاً علمياً ليتأكد أو ليعرف النتائج، وهذا ما قمنا به فعلاً في الكتاب، ومن ضمنه بحث الإسلام والمرأة، فعندما بدأنا بهذا البحث قلنا إننا لا نعرف شيئاً إطلاقاً عن موقف الإسلام من المرأة. فجمعنا آيات الكتاب المتعلقة بالمرأة، ودرسناها لنعرف ما هو وضع المرأة في الإسلام، وخلصنا إلى نتائج لم نجدها في كتب التفسير، ولا في كتب الفقه، وتبين لنا أن المرأة لها وضعان: وضع في الكتاب، أي في النص المقدس، ووضع في الفقه الإسلامي الذي يحمل صفة التطور التاريخي وضعان: وضع في الكتاب، أي في النص المقدس، ووضع في الفقه الإسلامي الذي يحمل صفة التطور التاريخي (النسبية الزمانية والمكانية والمكانية.(
- 3عدم الاستفادة من الفلسفات الإنسانية، وعدم التفاعل الأصيل المبدع معها، حيث لا يمكن أن نضع كل ما أنتجه الفكر الإنساني، منذ اليونان إلى يومنا هذا، في هامش الخطأ أو الباطل، فإذا قلنا: إن كل ما طرحه الفكر الإنساني شيء والإسلام شيء آخر، أي كل ما خطر في بالك فالإسلام غير ذلك، ينتج لدينا سؤال لا يمكن الإجابة عليه وهو (ما هو الإسلام)؟ فضمن هذا المنطق لم يتم تعريف الإسلام إلى اليوم. أما إذا قلنا: إن ما طرحه الفكر الإنساني فيه غث وفيه ثمين، وفيه حق وفيه باطل، وفيه خطأ وفيه صواب، فهذا يعني أننا نحن المسلمين قادرون على أن نتفاعل إيجابياً مع الفكر الإنساني كله، دون خوف، أو وجل، ولكن حتى يتم هذا

التفاعل الإيجابي يجب علينا نحن العرب والمسلمين أن نمتلك ميزاناً مرناً، نستطيع أن نتفاعل به مع الآخرين، دون خوف، وهذا الميزان غير موجود عندنا في الوقت الحاضر، وهذا يقودنا إلى النقطة الرابعة.

- 4عدم وجود نظرية إسلامية في المعرفة الإنسانية، مصاغة صياغة حديثة معاصرة، ومستنبطة حصراً، من القرآن الكريم، لتعطينا ما يسمى (إسلامية المعرفة) بحيث تعطي هذه النظرية منهجاً في التفكير العلمي لكل مسلم، وتمنحه ثقة بالنفس وجرأة على التعامل والتفاعل مع أي نتاج فكري أنتجه الإنسان، بغض النظر عن عقيدته. إن غياب هذه النظرية، المصاغة صياغة معاصرة، أدى بالمسلمين إلى التفكك الفكري، والتعصب المذهبي، واللجوء إلى مواقف فكرية أو سياسية تراثية، مضى عليها مئات السنين، تقوم على كيل الاتمامات بالكفر والإلحاد والزندقة والهرطقة والمعتزلية والجبرية والقدرية لهؤلاء وهؤلاء، كل هذا بهدف الخروج من مأزق فكري، يقع فيه المسلم في مواجهة الفكر المعاصر، علماً بأنه ليس كل فكر أنتجه الإنسان هو عدو للإسلام بالضرورة .

ولكن غياب المنهج المعرفية، الذي يمكن أن يواجه كل غث، ويحتوي على كل ثمين، هو الذي يؤدي بالضرورة إلى مواقف التشنج والسذاجة وضيق الأفق. لذا فإننا في كتابنا هذا أفردنا بحثاً خاصاً لمشكلة المعرفة الإنسانية "جدل الإنسان"، لأن مشكلة الفلسفة الكبرى هي تحديد العلاقة بين الوجود في الأعيان، وصور الموجودات في الأذهان. ولدى الخوض في هذه المشكلة وجب علينا بالضرورة أن نقف على الأرضية العلمية للقرن العشرين، لذا فإنه ليس من العبث تسمية الفلسفة بأم العلوم قاطبة.

- 5إن المسلمين في العصر الحاضر يعيشون أزمة فقهية حادة، وثمة صيحات صادقة تقول: إننا بحاجة إلى فقه جديد معاصر، وبحاجة إلى فهم معاصر للسنة النبوية، وقد تم تشخيص هذه المشكلة، ولكن دون وضع حل لها. فإذا أردنا أ، نخترق الفقه الإسلامي الموروث "الفقهاء الخمسة" وجب علينا إعطاء البديل، وهذا ما فعلناه في هذا الكتاب حيث طرحنا منهجاً جديداً في الفقه الإسلامي، وطبقناه على أحكام المرأة فنتجت لدينا أحكام لم تكن عند الفقهاء كلهم.

ولكننا لم نستطع القيام بهذا العمل إلا بعد صياغة نظرية أصيلة في المعرفة الإنسانية "جدل الإنسان"، منطلقة من القرآن الكريم، إذ إن المنطلق الفلسفي ينتج عنه بالضرورة الحل الفقهي.

هنا قد يسأل سائل: ماذا نفعل بكتب التراث من فقه وتفاسير، التي يطبع منها كل عام آلاف النسخ، وتدرس على ألها الإسلام؟ الجواب على هذا السؤال الصعب جداً هو أنني لم أستطع أن أقدم هذا الكتاب، وأصل إلى النتائج المطروحة للقارئ، إلا بعد أن تم حل هذه المعضلة مع التأكيد على أنني عربي مؤمن مسلم.

التراث والمعاصرة والأصالة

علينا أن نميز بين المصطلحات الثلاثة الواردة أعلاه، بوضع تعريف لكل منها:

التراث: هو النتاج المادي والفكري الذي تركه السلف للخلف، والذي يؤدي دوراً أساسياً في تكوين شخصية الخلف، في عقله الباطن (نمط التفكير) وسلوكه الظاهر. هكذا يفهم التراث على أنه من صنع الإنسان ونتاج النشاط الإنساني الواعي، في مراحل تاريخية متعاقبة.

المعاصرة: هي تفاعل الإنسان المعاصر مع النتاج المادي والفكري، الذي هو أيضاً من نتاج الإنسان، فبهذا المعنى يكون التراث والمعاصرة مفهومين متداخلين، تفصل بينهما لحظة الآن المتحركة باستمرار، وعليه إذا صدر مقال في صحيفة، منذ عشر سنوات، فإنه قد يدخل في مفهوم التراث. وليس للناس حيار في الانتماء إلى تراثهم، ولكن لهم الخيار في انتقاء معاصرتهم من التراث ومن منجزات عصرهم، لأن الحدث الإنساني الواعي يدخل في عالم الممكنات قبل وقوعه (بحيث يمكن حدوثه أو عدم حدوثه)، وبعد وقوعه يصبح حقيقة لا رجعة فيها. فنحن العرب المسلمين لا حيار لنا في تراثنا، أي إننا لا نستطيع أن نضع تراثاً غير التراث الذي حصل فعلاً، وورثناه، ولكننا نستطيع أن نختار بأنفسنا منه ما يلزم حاضرنا ومستقبلنا، ونحن أيضاً بهذا الاختيار نصنع تراثاً لأحيالنا المقبلة . إن القرآن الكريم قد نمانا عن أن نقف من التراث موقف الانصياع الأعمى والتقديس)ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) (المؤمنون 24) (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مهتدون) (الزحرف 22) هذا الموقف يدعو إلى أن نحترم تراثنا لا أن نقدسه. إن الذين صنعوا التراث العربي الإسلامي هم من الناس ونحن من الناس أيضاً، ومعروف قول أبي حنيفة النعمان "هم رحال ونحن رجال"، وقد آن لنا أن نصنع تراثاً لأجيالنا القادمة الناس أيضاً، ومعروف حرج، وهذه هي عين المعاصرة.

الأصالة: للأصالة عنصران متنامان، يفهم كل واحد منهما حسب الموضوع المطروح تحت عنوان الأصالة. فإذا قلنا: إن اللسان العربي لسان أصيل، فهذا يعني أنه لسان له جذور غارقة في القدم، وهذا هو العنصر الأول، وأنه ما زال حياً مثمراً إلى يومنا هذا، وهذا هو العنصر الثاني. وهذا المعنى أخذناه من قوله تعالى)أ لم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) (إبراهيم 24-مثلاً كلمة طيبة كشجرة وأغصافها هما العنصران المتنامان: الجذور تضرب في الأرض والأغصان تعطي الثمار . وفي هذا المجال نقول: لقد قام العالم مندليف ببحث أصيل في الكيمياء، حيث وضع حدول العناصر في الطبيعة، وقولنا (بحث أصيل) هنا يمعنى أنه بحث فيه إبداع وابتكار لم يسبقه إليه أحد. ولكن هذا البحث لم يأت من فراغ، بل اعتمد على تراكمات سابقة في المعرفة الكيميائية (الجذور.(

فإذا أردنا أن نكون أصيلين في المعرفة فعلينا أن نستفيد من كل تراكمات المعرفة التي أنتجها الانسان، ومن ضمنها التراث في كل العلوم، (الجذور (وهي العنصر الأول للأصالة بحيث نحقق قفزة نوعية (الثمار) وهي العنصر الثاني للأصالة. وهذا ما نسميه بالحضارة الحية، فالحضارة الحية كالشجرة الحية، لها جذور وتعطي ثماراً ينتفع بها الناس، وليس في موسم واحد فقط بل في مواسم متتابعة.

إذا نظرنا إلى الحضارة العربية الإسلامية في الوقت الحاضر، نرى فيها عنصر الحذور متوفراً، ولكن لا يوحد ثمار

لأنحا حفت ونضبت. فنحن الآن مستهلكون للسلع والأفكار، حتى إن أفكار التراث استلكت ونضبت، ووصلنا في طرحنا لأفكار التراث إلى حد السذاحة في بعض الأحيان. وفي هذا المقام يجب علينا أن نميز بين مصطلحين يقع الالتباس بينهما وهما الأصالة والسلفية، فالأصالة لها مفهوم إيجابي حي، أما السلفية فهي عكس ذلك تماماً، السلفية فا مفهوم إيجابي حي، أما السلفية فهي عكس ذلك تماماً، السلفية كما نفهمها هي دعوة إلى اتباع خطي السلف بغض النظر عن مفهوم الزمان والمكان، أي أن هناك فترة تاريخية مزدهرة مرت على العرب استطاعوا فيها حل مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، واستطاعوا أن يبنوا دولة قوية منيعة، استطاعت تحقيق العدالة بمفهومها النسبي التاريخي، وبالتالي فإن هؤلاء السلف هم النموذج، ويجب علينا أن نتبع خطاهم ونقلدهم ولا نخرج عن نمطهم في القرن العشرين مقلد، إضافةً إلى أنه قد أهمل الزمان والمكان واغتال التاريخ وأسقط العقل ويعيش السلفي في القرن السابع تختلف عن ظروف القرن السابع تختلف عن ظروف القرن السابع تختلف عن ظروف القرن السابع تحما فهمه أهله الذين عاشوه فعلاً، لأننا نرجع إليه من خلال نص تاريخي فقط. ولهذا السبب وقع السلفي في فراغ فكري وصل إلى حد فعلاً، لأننا نرجع إليه من خلال نص تاريخي فقط. ولهذا السبب وقع السلفي في فراغ فكري وصل إلى حد السذاحة، فقد ترك القرن العشرين عمداً ليعجز في الوقت نفسه عن أن يعيش القرن السابع كما عاشه أهله، فوقع في شرك الغراب الذي أراد أن يقلد صوت البلبل فلم يستطع، ثم أراد أن يرجع غراباً فنسي، فبقي في حالة عدم التعيين، فلا هو غراب ولا هو بلبل.

وهذا هو حال السلفيين، إن السلفية هروب مقنع من مواجهة تحديات القرن العشرين، وهزيمة نكراء أمام هذه التحديات، وهي البحث عن الذات في فراغ وليس في أرض الواقع. هذا فيما يتعلق بالسلفية الإسلامية، ولكن هناك نوعاً آخر من السلفية نراه عند تيارات أخرى تطرح حلولاً نظرية تعمل في فراغ وفق نموذج متحجر طرح في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، واعتبرته مقدساً فلا خروج منه، إنها تيارات سلفية أخرى لا تعيش زمانها ولا تتفاعل معه، وقد أثبتت الأحداث فشل هذا النموذج، وبالتالي لم يكتب لها النجاح و لم تستطع تقديم حلول لمشاكل مجتمعها المعاصرة والملحة.

من هذا المنطلق نصل إلى نقطة مهمة في البحث وهي: هل الكتاب الذي أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم والذي يحتوي على رسالته ونبوته هو من التراث أم لا يدخل في التراث؟

للإجابة على هذا السؤال لا بدأن نفترض أحد الفرضين التاليين وهما:

- 1أن ما يسمى بالكتاب والموجود بين دفتي المصحف هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم.
- 2أن ما يسمى بالكتاب والموجود بين دفتي المصحف موحى من الله سبحانه وتعالى بالنص والمحتوى، وأن الفصول فيه تسمى سوراً، وأن السور مؤلفة من مقاطع كل واحد منها يسمى آية.

فإذا أخذنا الاحتمال الأول، فهذا يعني أن الكتاب هو من التراث لأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو من الناس، والناس هم الذين يصنعون التراث، ففي هذه الحالة يمكن أن يصنف محمد صلى الله عليه وسلم مع العظماء العباقرة لا مع الأنبياء والرسل، وهذا ما فعله بالضبط أحد الكتاب الأمريكيين (مايكل هارت (إذ صنف محمداً صلى الله

عليه وسلم أول عظيم في التاريخ، وانطلت هذه الخدعة على كثير من المسلمين أنفسهم. فإذا كان الكتاب هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم فيجب أن يحتوي على الخاصة التالية:

إن أي إنسان عظيم هو من نتاج عصره لا يخرج عن ذلك أبداً، فإذا كان الكتاب من صنع محمد صلى الله عليه وسلم فهو بالتالي غير صالح لكل زمان ومكان، وإنما هو وليد الظروف الموضوعية، حقق قفزة نوعية، فصلح للقرن السابع في شبه جزيرة العرب، ولعدة قرون تلته، ولكنه غير صالح للقرن العشرين لأن الإنسان مهما بلغ من العبقرية فإنه يحمل طابع النسبية الزماني والمكاني .وهذا ما يقوله أعداء الإسلام عن الكتاب، وقد ساعدهم على هذا القول لسان حال المسلمين السلفيين أنفسهم، إذ حجروا الإسلام وفق نمط واحد في قولهم إن الإسلام هو وفق نمط القرن الأول الهجري "صدر الإسلام" وهم يقولون في الوقت نفسه إن الإسلام صلاح لكل زمان ومكان، ومن ها هنا وقعوا في معضلة غير قابلة للحل.

وإن كان هذا الكتاب موحى من الله سبحانه وتعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وهو في الوقت نفسه حاتم الكتب، وإن محمداً صلى الله عليه وسلم فيجب أن يحتوي هذا الكتاب على الخواص التالية:

أ - إن الله سبحانه وتعالى مطلق وكامل المعرفة ولا يتصف بطابع النسبية وبالتالي فإن كتابه يحمل الطابع المطلق في المحتوى.

ب - بما أن الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى أن يعلم نفسه أو يهدي نفسه وإنما جاء هذا الكتاب هداية للناس وآخر الكتب فوجب أيضاً أن يحمل طابع النسبية في الفهم الإنساني له.

ج - . بما أن نمط التفكير الإنساني لا يمكن أن يتم بدون لغة، فيجب أن يصاغ الكتاب بلغة إنسانية أولاً، وثانياً أن تكون هذه الصياغة لها طابع خاص وهو ألها تحتوي المطلق الإلهي في المحتوى والنسبية الإنسانية في فهم هذا المحتوى، وهذا ما نعبر عنه بثبات الصيغة اللغوية "النص" وحركة المحتوى، ففي هذه الحالة يمكن أن نقول: إن ذا من الله سبحانه وتعالى لأن الإنسان عاجز عن تحقيق هذه الشروط.

فإذا كان هذا الكتاب يحتوي على هذه الخاصية، فعند ذلك تعطى آياته طابع القدسية أو النص المقدس الذي لا يمس ولا يحرف، وإنما يجري تأويله على مر العصور والدهور، وفي هذه الحالة فقط لا يعتبر الكتاب تراثاً، وإنما التراث هو الفهم النسبي للناس له في عصر من العصور، حتى ولو جاء هذا الفهم من عهد صدر الإسلام. أي أن ما حدث في القرن السابع في شبه جزيرة العرب هو تفاعل الناس في ذاك الزمان والمكان مع الكتاب، وهذا التفاعل هو الاحتمال الأول للإسلام (الثمرة الأولى)، وليس الوحيد وليس الأخير، وقد كان هذا التفاعل إنسانياً في محتواه (إسلامياً) قومياً في مظهره.

وفي هذه الحالة يدخل هذا التفاعل ضمن التراث ما عدا العبادات والأخلاق والحدود "الصراط المستقيم" حيث إنها ليست تفاعلاً مع العصر، وقد عبر عن الأخلاق والحدود بمظاهر العصر. أما اللباس والطعام والشراب وأساليب الحكم ونمط الحياة فهي تفاعل مع الشروط الموضوعية، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التفاعل الأول، وكان لنا الأسوة الحسنة.

لقد أجرينا مسحاً شاملاً للكتاب الموحى، فتبين لنا أنه يحوي على الخاصية المذكورة أعلاه، والتي لا يستطيع إنسان أن يقوم بها، ووجدنا هذه الخاصية في الآيات المتشابهات، وبالتالي وجدنا أن هناك ثلاثة أنواع من الآيات في الكتاب. ولم نستطع أن نقوم بهذا التصنيف إلا بعد أن تم تحديد الفرق بين النبوة والرسالة. فالنبوة هي مجموعة من المعلومات أوحيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبها سمي نبياً، أي أن كل الأحبار والمعلومات التي حاءت إلى النبي بالإضافة إلى المعلومات فأصبح بها رسولاً، فالنبوة علوم والرسالة أحكام. أي نظرية الوجود الكوني والإنساني وتفسير التاريخ هي من النبوة، وهي من الآيات المتشابهات، أما التشريع مع إرث وعبادات، ومعها الفرقان العام "الأخلاق" والمعاملات والأحوال الشخصية والمحرمات فهي الرسالة أي الآيات الحكمات. وهناك نوع ثالث من الآيات وهو الآيات الشارحة لمحتوى الكتاب، فهي لا محكمة ولا متشابهة، ولكنها من النبوة حيث تحتوي على معلومات، لذا فإن الكتاب من حيث الآيات ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- 1 الآيات المحكمات وهي التي تمثل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أطلق الكتاب عليها مصطلح "أم الكتاب"، وهي قابلة للاجتهاد حسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية ما عدا العبادات والأخلاق والحدود.
- 2الآيات المتشابحات وقد أطلق عليها الكتاب مصطلح "القرآن والسبع المثاني" وهي القابلة للتأويل وتخضع للمعرفة النسبية وهي آيات العقيدة.
 - 3آيات لا محكمات ولا متشابحات وقد أطلق عليها الكتاب مصطلح "تفصيل الكتاب."

ونحن نرى أن التحدي للناس جميعاً بالإعجاز إنما وقع في الآيات المتشابهات "القرآن والسبع المثاني"، وفي الآيات غير المحكمات وغير المتشابهات "تفصيل الكتاب" حيث أن هذين البندين يشكلان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. لقد تبين لنا أن هناك فرقاً جوهرياً بين الكتاب والقرآن والفرقان والذكر .فالقرآن والسبع المثاني هما الآيات المتشابهات ويخضعان للتأويل على مر العصور والدهور، لأن التشابه هو ثبات النص وحركة المحتوى. وقد تم إنزال القرآن بشكل متشابه عن قصد، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ممتنعاً عن التأويل عن قصد، أي أن القرآن يؤول ولا يفسر، وأن كل تفاسير القرآن تراث يحمل طابع الفهم المرحلي النسبي.

فإذا سأل سائل: هل آية الإرث من القرآن؟ فالجواب: لا، هي ليست من القرآن "النبوة" ولكنها من أم الكتاب "الرسالة" وهي من أهم أجزاء الرسالة وهو الحدود. فهل هذا يعني أنها ليست من عند الله؟! لقد جاء الجواب عن المحكم "أم الكتاب" وعن المتشابه "تفصيل الكتاب" بقوله:)كل من عند ربنا) (آل عمران 7) فما الفرق بينها إذاً، ما دام كل من عند الله؟

الفرق هو أن القرآن فرق بين الحق والباطل، أي أعطى قوانين الوجود، لذا قال عنه)هدى للناس) (البقرة 2). وأم الكتاب عبارة ع تشريع، والتشريع يمكن تحويره، لذا قال عن الكتاب)هدى للمتقين) (البقرة 2). فحتى نصدق أن أم الكتاب من عند الله جاء القرآن مصدقاً لها، لذا عندما وضع محتويات الكتاب قال)وما كان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ()يونس 37) أي أن محتويات الكتاب هي القرآن والسبع المثاني وتفصيل الكتاب، والذي بين يديه "أم الكتاب".

فهذه الآية لا محكمة ولا متشابحة لأنها شرحت محتوى الكتاب لذا فهي ضمن آيات تفصيل الكتاب.

لقد أجرينا مسحاً شاملاً للكتاب، وحددنا فيه مفهوم المصطلحات الأساسية وهي: الكتاب وأم الكتاب والقرآن والسبع المثاني والذكر والفرقان وتفصيل الكتاب والحديث وأحسن الحديث والعرش والكرسي والألوهية والربوبية والنبوة والرسالة، وهذه المصطلحات شرحت في الباب الأول من هذا الكتاب.

أما آيات أم الكتاب فقد قال عنها) يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (الرعد 39). إنها آيات التشريع والعبادات والأخلاق والمحرمات، وتحمل طابع الخصوص في جزء منها، وطابع العموم في جزء آخر، وقد طبقها النبي صلى الله عليه وسلم حسب الظروف الموضوعية لشبه جزيرة العرب، حيث أن التشريع قابل للتطور، وقابل للإلغاء والاستبدال،) يمحوا الله ما يشاء ويثبت (لذا فإن أم الكتاب هي مناط الاجتهاد والفقه وأول من اجتهد فيها هو النبي صلى الله عليه وسلم وقد ألغى عمر بن الخطاب تطبيق الآية) واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله محمسة وللرسول .. الآية) (الأنفال 41).

يبقى السؤال الهام وهو موقفنا من النبي صلى الله عليه وسلم أو من السنة.

هنا يجب علينا وضع النقاط على الحروف بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم، فهناك موقفان أساسيان متمايزان منه؛ الموقف الأول نبياً مع ما نكن له من عظيم الحب والاحترام والتقدير. والموقف الثاني منه مشرّعاً.

أما الموقف الأول فإني لا أتصور إنساناً مسلماً وعربياً يمكن أن يقف موقفاً سلبياً من النبي صلى الله عليه وسلم لأن مثل هذا الموقف حيانة للدين من قبل المسلم وحيانة للقومية من قبل العربي. ولا أتصور إنساناً عربياً بغض النظر عن دينه يقف موقفاً سلبياً من النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن نفسه: إنه وطني أو عربي.

أما موقفنا من النبي صلى الله عليه وسلم مشرعاً فهو موقف دقيق جداً. إذ كيف يمكن أن نقول: إن ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم هو الاحتمال الأول لتطبيق الإسلام في القرن السابع، وفي شبه جزيرة العرب، وبالوقت نفسه نقرأ الآية)لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (الأحزاب 21.(

لقد بحثنا في السنة فوجدنا أن تعريف السنة بأنها "كل قول أو فعل أو إقرار أو نحي قام به النبي صلى الله عليه وسلم السما وسلم" إنما جاء من قبل الفقهاء وليس من قبل النبي نفسه، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يصر على تدوين الكتاب وكان في الوقت نفسه يأمر الناس بعدم تدوين أقواله الشخصية، فمن هذا خلصنا إلى مفهوم معاصر للسنة النبوية، حيث كان دور النبي صلى الله عليه وسلم هو تحويل المطلق إلى نسبي والحركة ضمن حدود الله، في القرن السابع، في شبه جزيرة العرب، وقد نجح في هذا نجاحاً باهراً، وفي هذا المفهوم يكون أول عظيم في التاريخ، وهذه هي سنته على مر العصور والتي وجب علينا التقيد بها، وهي تحويل المطلق إلى نسبي، أي أن باب الاجتهاد في الأحكام لا يقفل، وباب التأويل في القرآن لا يقفل، وكل اجتهاد من قبل الناس في الأحكام "الحركة ضمن الحدود والوقوف عليها أحياناً" أو تأويل في القرآن يدخل في التراث على مر الزمن، لذا فقد خصصنا فصلاً خاصاً في الكتاب للسنة، وأو جدنا تعريفاً معاصراً أصيلاً لها.

بعد أن أجرينا مسحاً للمصطلحات الأساسية لكتابنا في الباب الأول كانت النتيجة المباشرة لهذا المسح هي إعجاز

القرآن.

لذا فإن هذا الكتاب التي شرحت معانيها المستعملة في الكتاب "المصحف" يحتوي على الأبواب التالية:

الباب الثاني تحت عنوان "جدل الكون والإنسان"

ونفخة الصور واليوم الآخر والجنة والنار.

يحتوي هذا الباب على المواضيع الرئيسة للنبوة "القرآن" وهي الوجود الكوني ومشكلة المعرفة الإنسانية: أ - الفصل الأول وقد حوى قوانين الوجود الكوني، وهي قوانين الجدل المادي، حيث تبين أن قوانين الجدل المادي وتغير الصيرورة "التطور" هي العمود الفقري لقوانين الوجود في القرآن "النبوة"، وقد تم بحث المتناقضات والأزواج والأضداد في الوجود، فخلصنا إلى قانون تسبيح الأشياء لله. وقد تم في هذا الفصل شرح مفهوم البعث والساعة

ب - الفصل الثاني يبحث في مشكلة المعرفة الإنسانية وهي من المشاكل القرآنية "النبوة"، وقد شرحت تحت عنوان حدل الإنسان، وقد تم شرح مفهوم البشر والإنسان والحق والباطل والغيب والشهادة والقلم والعلق، ومفهوم الفؤاد والقلب والفكر والعقل والمشخص والمجرد.

وقد تبين في بحثنا أن الروح ليست سر الحياة، وإنما هي سر الأنسنة، أي هي التي حولت البشر إلى إنسان.

الباب الثالث تحت عنوان "أم الكتاب والسنة والفقه"

وقد حوى ثلاثة فصول: هي أم الكتاب (الرسالة)، السنة، الفقه الإسلامي.

يشتمل الفصل الأول على (تمهيد في أم الكتاب) تم فيه شرح الصراط المستقيم، وبحث الاستقامة والحنيفية، وعلى ثلاثة فروع:

الفرع الأول: حصص لنظرية بالحدود، حيث أن عالمية الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وصلاحيتها ورجمتها ومرونتها تكمن في نظرية الحدود، حيث أعطى الله للرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم بداية الإنسان الحديث وختم الرسالات كلها بتشريع حدودي لا حدي، لذا كان محمد صلى الله عليه وسلم بداية الإنسان الحديث والمعاصر، وقد بينا في هذا الفصل أن العبادات تدخل ضمن الحدود ولكنها شخصية وفيها التقوى الفردية. الفرع الثاني: الفرقان العام "الوصايا العشر" والفرقان الخاص وقد تم فيه تحديد مفهوم الأخلاق والعادات والتقاليد، حيث بينا أن الأخلاق عالمية، والعادات محلية. وقد بينا أن هناك فرقانين: الفرقان العام وهو الذي جاء إلى موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وهو ملزم لكل الناس، وفيه التقوى الاجتماعية، وهو القاسم المشترك لكل الأديان، وهناك فرقان خاص جاء إلى محمد مصلى الله عليه وسلم، وهو غي ملزم لكل الناس وإنما جاء للناس الراغبين بأن يصبحوا أئمة المتقين.

الفرع الثالث: تم فيه بحث المعروف والمنكر وبحث التعليمات الخاصة والمرحلية التي جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم، وبحثنا في خاصية الآيات التي تبدأ بقوله تعالى)يا أيها النبي (علماً بأن الطاعة جاءت للرسالة لا للنبوة

)وأطيعوا الله والرسول) (آل عمران 132) وليس في الكتاب آية واحدة فيها (وأطيعوا النبي.(

في الفصل الثاني (السنة): تم بحث مفهوم السنة التقليدي. وباستخدام المنهج الجديد المقترح في فهم القرآن والكتاب ونظرية الحدود، تم تحديد مفهوم أصيل ومعاصر للسنة النبوية وتم شرح قوله تعالى)لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (الأحزاب 21.(

الفصل الثالث: اشتمل على ثلاثة فروع. هي:

الفرع الأول: أزمة الفقه الإسلامي؛ لقد تم على ضوء الفهم الجديد للرسالة والسنة تحديد أزمة الفقه الإسلامي المستعصية، وتم وضع أسس حديدة للفقه الإسلامي تجعل منه فقها متطوراً مرناً، منسجماً مع فطرة الناس، وصالحاً لكل زمان ومكان، ونظرية الحدود هي التي هدتنا إلى هذا الطرح الجديد لأسس الفقه الإسلامي.

والفرع الثاني: فلسفة القضاء الإسلامي والعقوبات.

والفرع الثالث: الإسلام والمرأة. تم في هذا الفرع تطبيق الأسس الجديدة للفقه الإسلامي المقترح، والمبني على نظرية الحدود، وعلى المفهوم المعاصر للسنة، فنتجت لدينا أحكام جديدة عن المرأة لم تكن في كتب الفقه السابقة.

الباب الرابع: وقد جاء تحت عنوان "في القرآن"

تم انتقاء موضوعين يعتبران من مواضيع القرآن، وهما الشهوات الإنسانية والقصص القرآني. ويحتوي هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول: (الشهوات الإنسانية). وقد تم في هذا الفصل تحديد الشهوات الإنسانية وتمييزها عن الغرائز البشرية وقد تم استنتاج أسس النظام الاقتصادي الإسلامي العالمي والصالح لكل زمان ومكان، كما تم استنتاج نظرية الجمال في الإسلام، وتطور مفاهيم الجمال عند الإنسان حتى وقتنا الحاضر، وحددنا موقف الإسلام من سائر الفنون.

الفصل الثاني: "نموذج للترتيل في القصص القرآني". لقد تم في هذا الفصل ترتيل الآيات المتعلقة بنوح وهود وتم استنتاج المراحل التاريخية للنبوات والرسالات، كما تم وضع شجرة الأنبياء والرسل فتبين أنه ورد في الكتاب "24 "نبياً منهم "13" رسولاً فقط.

وفي الخاتمة تم شرح الإسلام، وتعريف الدين الإسلامي تعريفاً عاماً شاملاً إنسانياً.

ما هو المنهج المتبع في هذا الكتاب

من حق القارئ أن يسأل ما هو المنهج المتبع في هذا الكتاب، وكيف تم التوصل إلى هذه النتائج التي لا توجد في كتب السلف؟

إن النهج المتبع هو ما يلي:

- 1 العلاقة بين الوعي والوجود المادي هي المسألة الأساسية في الفلسفة، وقد انطلقنا في تحديد تلك العلاقة م أن

مصدر المعرفة الإنسانية هو العالم المادي خارج الذات الإنسانية، ويعني ذلك أن المعرفة الحقيقية "غير الوهمية" ليست مجرد صور ذهنية، بل تقابلها أشياء في الواقع، لأن وجود الأشياء خارج الوعي هو عين حقيقتها، لذا فإننا نرفض قول الفلاسفة المثاليين: إن المعرفة الإنسانية ما هي إلا استعادة أفكار موجودة مسبقاً .وقد أكد القرآن الكريم هذا المنطلق بقوله) :والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) (النحل 78.(

- 2 انطلاقاً من هذه الآية التي تقول: إن المعرفة تأتي من خارج الذات الإنسانية فإننا ندعو إلى فلسفة إسلامية معاصرة، تعتمد المعرفة العقلية التي تنطلق من المحسوسات عن طريق الحواس وعلى رأسها (السمع والبصر)، لتبلغ المعرفة النظرية المحردة، في ضوء المنجزات العلمية التي بلغتها الإنسانية في بداية القرن الخامس عشر الهجري، وندعو إلى رفض الاعتراف بالمعرفة الإشراقية الإلهامية الخاصة بأهل العرفان وحدهم أو من يسمون "بأهل الكشف "أو "أهل الله."
 - 3 الكون مادي والعقل الإنساني قادر على إدراكه ومعرفته، ولا توجد حدود يتوقف العقل عندها. وتتصف المعرفة الإنسانية بالتواصل، وترتبط بدرجة التطور التي بلغتها العلوم في عصر من العصور. وكل ما في الكون مادي. وما ندعوه الآن (فراغاً كونياً) هو فراغ مادي، أي أن الفراغ شكل من أشكال المادة. ولا يعترف العلم بوجود عالم غير مادي يعجز العقل عن إدراكه.
- 4بدأت المعرفة الإنسانية بالتفكير المشخص المحدد بحاسي السمع والبصر، وارتفعت ببلوغها التفكير المجرد العام. لذا كان عالم الشهادة يعني في البداية العالم المادي الذي تعرف عليه الإنسان بحواسه، ثم توسع ليشمل ما أدركه بعقله لا بحواسه، وعليه فإن عالم الشهادة وعالم الغيب ماديان . وتاريخ تقدم المعارف الإنسانية والعلوم هو توسع مستمر لما يدخل في عالم الغيب، وبهذا المعنى يظهر أن "علم الغيب" هو عالم مادي ولكه غاب عن إدراكنا الآن لأن درجة تطو العلوم لم تبلغ مرحلة تمكن من معرفته.
 - 5لا يوجد تناقض بين ما جاء في القرآن الكريم وبين الفلسفة التي هي أم العلوم، وتنحصر بفئة الراسخين في العلم مهمة تأويل القرآن طبقاً لما أدى إليه البرهان العلمي، وذلك وفق قانون التأويل في اللسان العربي الذي شرحناه بشكل مستفيض في الباب الأول من هذا الكتاب، وفي ضوء أحدث المنجزات العلمية.
 - 6 إننا نتبنى النظرية العلمية القائلة: إن ظهور الكون المادي كان نتيجة انفجار هائل، أدى إلى تغير طبيعة المادة. ونرى أن انفجاراً هائلاً آخر، مماثلاً للإنفجار الأول في حجمه، سيؤدي حتماً إلى هلاك هذا الكون وتغيير طبيعة بالمادة فيه ليحل محله كون (عالم) مادي آخر. ويعني ذلك أن الكون لم ينشأ من عدم (مع التأكيد أنه لا قديم إلا الله)، بل من مادة ذات طبيعة أخرى. وأن هذا الكون سيزول ليحل محله كون آخر من مادة ذات طبيعة مغايرة، وهذا ما ندعوه "بالحياة الآخرة."
- وانطلاقاً "مما سلف" قمنا بقراءة جديدة للذكر الذي تعهد الله بحفظه)إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون () الحجر 9) (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) (النحل 44) معتمدين على الأسس

- 1 مسح عام لخصائص اللسان العربي معتمدين على المنهج اللغوي لأبي على الفارسي والمتمثل الإمامين ابن حني وعبد القاهر الجرحاني، ومستندين إلى الشعر الجاهلي .
- 2 الإطلاع على آخر ما توصلت إليه علوم اللسانيات الحديثة من نتائج وعلى رأسها أن كل الألسن الإنسانية لا تحوي خاصية الترادف، بل العكس هو الصحيح، وهو أن الكلمة الواحدة ضمن التطور التاريخي إما أن تملك أو تحمل معنى جديداً بالإضافة إلى المعنى الأول وقد وجدنا هذه الخاصية واضحة كل الوضوح في اللسان العربي. لقد استعرضنا معاجم اللغة فوجدنا أن أنسبها هو معجم مقاييس اللغة لابن فارس "تلميذ ثعلب" الذي ينفي وجود الترادف في اللغة، فقد تم الاعتماد عليه بشكل أساسي دون إغفال بقية المعاجم.
 - 3إذا كان الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان، فيجب الانطلاق بمن فرضية أن الكتاب تترل علينا، وأنه جاء لجيلنا في النصف الثاني من القرن العشرين، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم توفي حديثاً وبلغنا هذا الكتاب. لذا فإن القارئ يلاحظ بشكل واضح أننا في فهمنا للكتاب نقف على أرضية القرن العشرين دون إغفال التطور التاريخي لتفاعل الأجيال المتعاقبة مع الكتاب "التفاسير والمذاهب الفقهة"، حيث كانت نظرتنا لهذه الأدبيات على ألها تفاعل تاريخي مع الكتاب، ولذا فإنها تدخل ضمن التراث العربي الإسلامي. فالفقه الإسلامي الموروث يعكس المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مرحلة تاريخية معينة، والتفاسير تعكس الأرضية المعرفية للمرحلة التاريخية التي كتب فيها التفسير، واعتبرنا أنها لا تحمل طابع القدسية.

وإذا كان هناك تناقض في كتب التفسير فإننا لم نحاول تأويل أقوال المفسر لكي نخرج المفسر بأنه على صواب دائماً، وهذا ما نفهمه من مصطلح القدسية، حيث أن القدسية هي لنص الكتاب فقط.

- 4إن الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة أن يهدي نفسه أو يعلم نفسه ولذا فقد أرسل للناس هدى وليس لنفسه، لذا كل ما جاء في الكتاب قابل للفهم بالضرورة، ويفهم على نحو يقتضيه العقل، وقد جاء بصيغة قابلة للفهم الإنساني هذه الصيغة هي باللسان العربي المبين. وبما أنه لا يوجد انفصام بين اللغة والفكر الإنساني، فإننا نرفض القول بأنه توجد آيات في الكتاب غير قابلة للفهم، ونرى أن هذا الفهم تاريخي نسبي مرحلي.
 - 5إن الله سبحانه وتعالى رفع من مكانه العقل الإنساني في معرض خطابه له، لذا فإننا ننطلق مما يلي:
 - أ لا يوجد تناقض بين الوحي والعقل.
 - ب لا يوجد تناقض بين الوحي والحقيقة "صدق الخبر ومعقولية التشريع."
- 6. مما أن الله سبحانه وتعالى رفع من مكانة العقل الإنساني فالأحدر بنا أن نرفع من هذه المنكانة ونحترمها، وعليه فإننا حاولنا جاهدين في كتابنا احترام عقل القارئ أكثر من احترامنا لعواطفه كما ذكرنا في أول هذه المقدمة.

الهدف من هذا الكتاب ولمن هو موجه

- 1 يجب أن يفهم هذا الكتاب على أنه قراءة معاصرة للذكر، وليس تفسيراً أو كتاباً في الفقه. ويجب أن يفهم على أن الهدف منه ليس البرهان على وجود الله أو عدم وجوده، حيث نترك هذا الاستنتاج لعقل القارئ نفسه، ونعتبر أن قضية الإيمان بالله أو الإلحاد هي مسلمة يختارها كل إنسان بنفسه نتيجة معاناة فكرية أو قناعة وراثية معتمدين على قوله تعالى)وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .. الآية) (الكهف 29. (- 2 من خلال القراءة الجديدة للذكر تبين لنا أن الفكر الإسلامي يحمل الطابع العالمي الإنساني، ومن هنا كان هذا الكتاب موجها إلى كل إنسان عربي أو غير عربي، مؤمن أو ملحد، وإلى كافة الاتجاهات العقائدية حيث نعتقد بأن كل إنسان سيجد شيئاً ما في هذا الكتاب يدخل ضمن قناعاته الخاصة، وقد يجد فيه شيئاً ما كان يبحث عنه. - 3 يلاحظ القارئ أننا قد تجاوزنا في كتابنا هذا ك أنواع التعصب المذهبي والطائفي، وكان رائدنا هو البحث عن الحقيقة بشكل موضوعي، وقد حاولنا جاهدين تجنب التأثر بالأدبيات التي كتبت عن الإسلام سلباً أو إيجاباً.

المراحل التي مر بها تأليف هذا الكتاب

إن الأحلاق الإسلامية تلزم الإنسان بأن يتحلى بالأمانة العلمية، لذا فإني أرى لزاماً على تعريف القارئ بالمراحل التي مر بما تأليف هذا الكتاب حتى ظهر إلى حيز الوجود.

لقد مر هذا الكتاب بثلاث مراحل أساسية:

المرحلة الأولى: من عام 1970-1980

بدأت هذه المرحلة عندما كنت في الجامعة القومية الايرلندية في دبلن موفداً من قبل جامعة دمشق لتحضير شهادة الماجستير والدكتوراه في الهندسة المدنية، وكانت مرحلة مراجعات، ووضع أسس أولية لمنهج فهم الذكر، وفهم الرسالة والنبوة والمصطلحات الأساسية للذكر. وكانت مرحلة غير مثمرة، حيث تم فيها بحث منطلقات غير مترابطة وعاجزة عن فهم الذكر. وقد كان السبب الأساسي في ذلك هو التأثر بالمدارس التقليدية الموروثة والموجودة في الأدبيات الإسلامية القديمة والمعاصرة، والتأثر بالمنطلقات الموروثة احتماعياً والتي اعتبرتها من المسلمات. وقد تبين لي بعد عشر سنوات أن هناك شيئاً ما في المسلمات التي نعتبرها من أساسيات الإسلامية ليست كذلك، حيث أننا لم نستطع تقديم نظرة إسلامية أصيلة إلى القرن العشرين ومشاكله، انطلاقاً من هذه المسلمات إلا عن طريق المكابرة واللف والدوران والوقوع في الوهم، وقد تبين لي بعد هذه السنوات من البحث أنين أسير في وهم وفي طريق مسدود وذلك للسبب التالي:

إنني نظرت إلى الإسلام كعقيدة من خلال مدرسة موروثة معتزلية أو أشعرية، وإلى الفقه من خلال مدرسة مذهبية موروثة "الفقهاء الخمسة". وانتهيت إلى هذه النقطة الخطيرة والقاتلة للباحث العلمي الجاد، وهي أنه لا يمكن لإنسان أن يقفز قفزة أساسية نوعية في المعرفة والبحث إلا إذا اخترق المدارس الموروثة وخرج عنها، وحرر نفسه من إطارات هذه المدارس، حيث أن المدرسية هي نقطة قاتلة في البحث العلمي. وأعيد إلى الذهن ها هنا ما ذكرته في أول هذه المقدمة من مثال الرسام الذي رسم الوجه المعكوس من المرآة وقصة الشمس التي تدور حول الأرض

وأمثل ها هنا لبعض المسلمات الإسلامية الموروثة المشكلة والتي بحثها كثير من المفكرين دون الوصول إلى نتيجة منها؛ ثبات الأعمال والأعمار والأرزاق، سيأتي الكلام عليها مفصلاً في حينه، وإنما يلزم القول هنا: إن الذي حال بين المفكرين عبر مئات السنين وبين حل إشكالية هذه المسائل أنهم كانوا ينطلقون من مسلمات معكوسة.

المرحلة الثانية: 1980-1986

في عام 1980 التقيت بزميلي وصديقي الدكتور جعفر دك الباب. حيث كنا زملاء في الاتحاد السوفياتي في الفترة الواقعة بين 1958 و 1964 و كان يدرس اللسانيات، و كنت أدرس الهندسة المدنية. وبعد التخرج افترقنا، وكانت لقاءاتنا عابرة، وفي المناسبات. ولكنه في عام 1980 لاحظ من خلال أحاديثه معي أنني مهتم بأمور اللغة والفلسفة وفهم القرآن، فأطلعني على منطلق أطروحته للدكتوراه في اللسانيات التي قدمها في جامعة موسكو عام 1973 وكان موضوعها حول نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية وموقعها في اللسانيات العامة، وقد قال لي إنه منذ ذلك الوقت وهو يبحث في أصالة اللسان العربي، وأن اللسان العربي أصل قائم بذاته ولا ينتمي إلى أسرة اللغات السامية .

وقد تعرفت عن طريق الدكتور جعفر على آراء الفراء وآراء أبي على الفارسي وتلميذه ابن حني، وآراء عبد القاهر الجرحاني. فعند ذلك الوقت أدركت أن الألفاظ حدم المعاني، وأن اللسان العربي لسان لا يوجد فيه ترادف، وأن المترادفات ليست أكثر من خدعة، وأن البنية النحوية يرتبط كما خير بلاغي بالضرورة، وأن النحو والبلاغة علمان متنامان لا ينفصلان عن بعضهما، وأن الفصل بينهما كالفصل بين علم التشريح وعلم الفيزيولوجيا "الوظائف" في الطب، وأدركت من حراء ذلك أن هناك أزمة حقيقية في تدريس مادة اللغة العربية في المدارس والجامعات. وانطلاقاً من هذا المنطلق اللغوي، بدأت بمراجعة آيات الذكر بشكل حدي، وانتهيت إلى المصطلحات الأساسية "الكتاب، القرآن، الفرقان، الذكر، أم الكتاب، اللوح المحفوظ، الإمام المبين، الحديث، أحسن الحديث". وأحذت معني "رتل" في اللسان العربي، فتبين لي أنه التنسيق والصف على نسق، فأحذت الآيات التي فيها لفظة القرآن، والآيات التي فيها لفظة القرآن، ورتلتها)صففتها على نسق) واستنطقتها، فتبين لي الفرق بينهما. وقد توصلت ومن عام 1984 بدأت أكتب رؤوس أقلام، وأفكاراً رئيسية استنتجتها من آيات المصحف، وكنت أحتمع مع الدكتور جعفر كل بعام في دمشق في شهري الصيف ونناقش معاً الأفكار والآراء الجديدة التي اكتشفتها. وقد استمرت هذه الفترة حتى عام 1986. وكانت حصيلتها أفكارا منفصلة متبلورة ولكنها بحاجة إلى صياغة وربط. المحدد الفترة حتى عام 1986.

بدأت هذه المرحلة بالصياغة الجدية لهذا الكتاب وربط المواضيع بعضها ببعض .فمن صيف 1986 وحتى نهاية عام 1987 تمت الصياغة الأولى للباب الأول من هذا الكتاب والتي كانت أهم مشكلة فيه، وبعد ذلك تمت صياغة قوانين الجدل العام وحدل الإنسان "نظرية المعرفة". وقد قمت بصياغة الجدل العام صياغة أولية حتى صيف 1988، وبعد ذلك صغنا معاً أنا والدكتور جعفر قوانين الجدل العام الواردة في بداية الفصل الأول من الباب

الثاني من هذا الكتاب، وذلك لدقة المتناهية المطلوبة في صياغتها. وقد طلبت من الدكتور جعفر دك الباب أن يقدم للقارئ المنهج اللغوي في كتابي هذا، ورجوته أن يكتب كتاباً مختصراً يعرف فيه بأسرار اللسان العربي لنشره مع كتابي في مجلد واحد.

ولا يسعني في آخر هذه المقدمة إلا أن أقدم جزيل الشكر والاعتراف بالجميل للدكتور جعفر دك الباب الذي أعتبره بحق أستاذي في اللغة العربية الذي علمني أسرار اللسان العربي وحاورين في كل ما يتصل بموضوعات اللغة العربية واستجاب مشكوراً لطلبي بتأليف كتاب "أسرار اللسان العربي" وقدم المنهج اللغوي لكتابي.

دمشق في كانون ثابي 1990

الدكتور المهندس محمد شحرور

الباب الأول: الذكر

تمهيد في المصطلحات

قال تعالى)إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (الحجر 9.(
تصادفنا في المصحف إلى جانب لفظة "الذكر" الألفاظ التالية: "الكتاب" و"القرآن" و"الفرقان.''
فهل هذه الألفاظ كلها تشير إلى معنى واحد لأنها مترادفات؟ أم أنها تشير إلى معان مختلفة؟
وإذا كانت تلك الألفاظ تشير إلى معان متغايرة، فما معنى كل لفظة؟
نبدأ أولاً بتحديد مصطلحي "الكتاب" و"القرآن" ونحدد ثانياً مصطلح "الذكر ثم نبحث ثالثاً في مصطلح "الفرقان.''

أولاً: الكتاب والقرآن

الكتاب من "كتب"، والكتاب في اللسان العربي تعني جمع أشياء بعضها مع بعض لإخراج معنى مفيد، أو لإخراج موضوع ذي معنى متكامل، وعكس كتب من الناحية الصوتية "بتك" ويمكن قلبها بحيث تصبح "بكت" وجاء فعل "بتك" في قوله تعالى)فليبتكن آذان الأنعام) (النساء 119). فالكتاب في المعنى عكس البتك أو البكت.

ونقول مكتب هندسي أي هو مكان تتجمع فيه عناصر إخراج مشروع هندسي من مهندس ورسام وخطاط وآلة سحب، وهي العناصر اللازمة لإخراج مخططات هندسية. ونقول كتيبة في الجيش، كأن نقول كتيبة دبابات أو الخيل بعضها إلى بعض في نسق معين. وعندما نجمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم حسب المواضيع، كأن نجمع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم حول الصلاة، نسميه كتاباً حيث نقول كتاب الصلاة، وإذا جمعنا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم حول الصوم نقول كتاب الصوم.

عندما نسمي فلاناً كاتباً نقصد المواضيع وتأليف الجمل ووضع بعضها مع بعض، وربط أحداث بعضها إلى بعض. وعندما نقول ذلك لا نقصد الخط بتاتاً، وإنما نقصد صياغة الجمل وربطها لإخراج موضوع ما. فإذا أخذنا أربع كلمات وهي "جاء" و"الرجل" و"إلى" و"البيت" وضممناها لنخرج منها معنى مفيداً، تصبح الجملة "جاء الرجل إلى البيت" حيث تأخذ معنى مفيداً يمكن الوقوف عليه .وعندما نقول أصدر رئيس الوزراء كتاباً نقصد به المعنى "الموضوع" لا الخط حيث يجب علينا متابعة القول والإخبار بموضوع الكتاب، وإلا يصبح المعنى ناقصاً، كأن نقول: أصدر رئيس الوزراء كتاباً بشأن كذا وكذا .

وإذا قلنا كلمة كتاب ولم نعطها إضافة لتوضيح الموضوع يصبح المعنى ناقصاً، وعلينا أن نقول كتاب الفيزياء للصف العاشر مثلاً. أي هذا الكتاب يجمع مواضيع فيزيائية بعضها إلى بعض وهي صالحة لطلاب الصف العاشر. وهكذا فعندما نقول الصلاة كتاب فهذا يعني أن الصلاة هي من المواضيع التعبدية التي وجب على المسلم القيام بها)إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) (النساء 103). وبما أنه أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم عدة مواضيع مختلفة، كل موضوع منها كتاب، قال) :رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة * فيها كتب قيمة) (البينة 2-3) فمن هذه الكتب القيمة "كتاب الخلق، كتاب الساعة، كتاب الصلاة، كتاب الصوم، كتاب الحج، كتاب المعاملات . . . الخ" كل هذه المواضيع هي كتب .

وعندما نقول كتاب البصر فهذا يعني أننا ندرس العناصر التي إذا ضم بعضها إلى بعض وفق تتال معين ينتج عن ذلك عملية الإبصار، وهذه العناصر هي الأهداب والجفن والعين والعصب البصري ومركز الإبصار في الدماغ. وإذا أردنا أن ندرس كتاب العين فهذا يعني أننا ندرس البؤبؤ والشبكية وكل عناصر العين وعندما ندرس كتاب الهضم فهذا يعني أننا ندرس الفم والأسنان، البلعوم، المري، المعدة، الأمعاء الدقيقة، الأمعاء الغليظة، القولون، هذه العناصر التي تدخل في عملية هضم الطعام. وعندما جمع الزمخشري قاموسه "أساس البلاغة" جمع الأصول التي تبدأ بحرف الألف وسماها "كتاب الألف" وجمع الأصول التي تبدأ بحرف الباء وسماها "كتاب الباء" .. وهكذا دواليك.

فأعمال الإنسان كلها كتب: ككتاب المشي، وكتاب النوم، وكتاب الزواج، وعباداته كتب: ككتاب الصلاة والحج والزكاة والصوم، وظواهر الطبيعة كلها كتب ككتاب خلق الكون وكتاب خلق الإنسان، وكتاب الموت وكتاب الحياة، وكتاب النصر، وكتاب الهزيمة، وكتاب الزراعة، وكتاب الأنعام ... هذه الكتب لا تعد ولا تحصى.

فكتاب الموت هو مجموعة العناصر التي إذا اجتمعت أدت إلى الموت لا محالة، وكتاب النصر بهو مجموعة العناصر التي إذا اجتمعت حصل النصر، وكتاب خلق الكون هو مجموعة العناصر التي تركب منها خلق الكون. فلا يوجد شيء في أعمال الإنسان وفي ظواهر الطبيعة إلا من خلال الكتب، ولذا قال) : وكل شيء أحصيناه كتابا) (النبأ 29). والإنسانية في نشاطها العلمي تبحث عن هذه الكتب. فعلى الإنسانية أن تدرس أي كتاب لكى تتصرف من خلال عناصر هذا الكتاب.

فإذا أردنا أن تطول الأعمار فعلينا أن ندرس كتاب الموت وكتاب الحياة، وهذا ما يفعله علم الطب حين يدرس الظواهر التي تؤدي إلى نشاط الأعضاء في الإنسان الحتاب الحياة". وعندما نقول كتاباً ونقف يبقى المعنى ناقصاً حتى نقول كتاب ماذا؟ وعندما قال تعالى) :كتاب أحكمت آياته) (هود 1) فهذا لا يعني كل آيات المصحف وإنما يعني "مجموعة الآيات المحكمات" وعندما قال :)كتاباً متشابهاً) (الزمر 23) فإنه لا يعنى كل المصحف وإنما يعنى "مجموعة آيات متشابهات"، وعندما قال :

)وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً) (آل عمران 145) فإنه عنى كتاب الموت، أي مجموعة العناصر التي تؤدي إلى الموت في حال توفرها واجتماعها "الشروط الموضوعية للموت." وعليه، فمن الخطأ الفاحش أن نظن عندما ترد كلمة كتاب في المصحف ألها تعني ك المصحف. لأن الآيات الموجودة بين دفتي المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس تحتوي على عدة كتب "مواضيع"، وكل كتاب من هذه الكتب يحتوي على عدة كتب: فمثلاً كتاب العبادات يحتوي على كتاب الصلاة وكتاب الصوم وكتاب الزكاة وكتاب الحج. وكتاب الصلاة يحتوي على كتاب الركوع وكتاب السجود.

أما عندما تأتي كلمة كتاب معرفة بـ أل التعريف "الكتاب" فأصبح معرفاً عندا قال)ذلك الكتاب (في ثاني آية في سورة البقرة بعد)الم) (ذلك الكتاب لا ريب فيه (قالها معرفة ولم يقل: كتاب لا ريب فيه، لأنه لو قالها لوجب تعريف هذا الكتاب. فمجموعة المواضيع التي أوحيت إلى محمد صلى الله عليه وسلم هي مجموعة الكتاب الكتاب"، ويؤيد ذلك أن سورة الفاتحة تسمى فاتحة الكتاب.

هذا الكتاب هو مجموعة المواضيع التي أوحيت إلى محمد صلى الله عليه وسلم من الله في النص والمحتوى، والتي تؤلف في مجموعها كل آيات المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس. هذا الكتاب يحتوي على مواضيع رئيسية هي:

-) 1 الذين يؤمنون بالغيب) (البقرة (كتاب الغيب. (
-) 2ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (البقرة 3) (كتاب العبادات والسلوك) (سلوك. (

أي أن هناك نوعين من الكتب: النوع الأول هو الذي يتعلق بسلوك الإنسان، ككتاب الصلاة الذي يتألف من الوضوء والقيام والركوع والسجود، وهذه الكتب غير مفروضة على الإنسان حتماً، بل له القدرة على اختيار الالتزام بها أو عدم التقيد بها. ويعني ذلك أن الإنسان هو الذي يقضي "يختار" موقفه منها .وأطلق على هذا النوع في المصحف مصطلح "القضاء" والنوع الثاني قوانين الكون وحياة الإنسان ككتاب الموت وكتاب خلق الكون والتطور والساعة والبعث، وهذه الكتب مفروضة على الإنسان حتماً، وليست له القدرة على عدم الخضوع لها .وأطلق على هذا النوع في المصحف مصطلح "القدر". ويتوجب على الإنسان أن يكتشف هذه القوانين ويتعلمها ليستفيد من معرفته لها.

وبما أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو رسول الله، وهو نبي، فهذا الكتاب يحتوي على رسالته ونبوته. فالرسالة هي مجموعة التعليمات التي يجب على الإنسان التقيد بها "عبادات، معاملات، أخلاق" "الحلال والحرام" وهي مناط التكليف.

والنبوة من "نبأ" هي مجموعة المواضيع التي تحتوي على المعلومات الكونية والتاريخية "الحق والباطل.'' وعليه فالكتاب يحوي كتابين رئيسيين: -الكتاب الأول: كتاب النبوة: ويشتمل على بيان حقيقة الوجود الموضوعي، ويفرق بين الحق والباطل أي الحقيقة والوهم.

-الكتاب الثاني: كتاب الرسالة: ويشتمل على قواعد السلوك الإنساني الواعي، ويفرق بين الحلال والحرام. وقد أوضح في سورة آل عمران أن الكتاب ينقسم إلى موضوعين رئيسيين "كتابين) "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) (آل عمران 7.(

- 1 الكتاب المحكم أي مجموعة الآيات المحكمات، وقد أعطاها تعريفاً خاصاً بها هو أم الكتاب) .منه آيات محكمات هن أم الكتاب (وبما أن الكتاب هو مصطلح فقد عرف بمجموعة الآيات المحكمات، حيث أن هذا المصطلح جديد على العرب، فالعرب تعرف أم الرأس: "ضربه على أم رأسه" ولكنها لا تعرف أم الكتاب، لذا فقد عرفه لهم، ولمصطلح "أم الكتاب" معنى واحد أينما ورد في الكتاب، أي لا يمكن أن يكون لهذا المصطلح معنى حقيقي و آخر مجازي، بل معناه الوحيد هو ما عرف به، وهو مجموعة الآيات المحكمات .والآيات المحكمات هن مجموعة الأحكام التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والتي تحتوي على قواعد السلوك المخلمات هن مجموعة الأحكام التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والتي تحتوي على قواعد السلوك الإنساني "الحلال والحوام" أي العبادات والمعاملات والأخلاق والتي تشكل رسالته.

- 2وإذا فرزنا مجموعة الآيات المحكمات على حدة، فما تبقى من آيات الكتاب بعد ذلك هو كتابان أيضاً، وهما: الكتاب المتشابه، وكتاب آخر لا محكم ولا متشابه. وهذا الكتاب الآخر يستنتج من قوله تعالى (وأخر متشابهات) حيث لم يقل "والآخر متشابهات" فهذا يعني أن الآيات غير المحكمات فيها متشابهات وفيها آيات من نوع ثالث لا محكم ولا متشابه، وقد أعطى لهذه الآيات مصطلحاً خاصاً بها في سورة يونس، وهو "تفصيل الكتاب" وذلك في قوله) :وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) (يونس 37). فهذه الآية تدلنا على وجود ثلاثة مواضيع هي:

- 1 القرآن.
- 2الذي بين يديه.
- 3تفصيل الكتاب.

وقد أكد أن تفصيل الكتاب موحى أيضاً من الله سبحانه وتعالى في قوله) :وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين.(

فالكتاب بالمتشابه هو كل آيات الكتاب ما عدا آيات الأحكام "الرسالة" وما عدا آيات تفصيل الكتاب. وهذا الكتاب المتشابه هو مجموعة الحقائق التي أعطاها الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والتي كانت في معظمها غيبيات أي غائبة عن الوعي الإنساني عند نزول الكتاب والتي تشكل نبوة محمد صلى الله عليه

وسلم، والتي فرقت بين "الحق والباطل.''

فإذا أخذنا الكتاب المتشابه "أي آيات المصحف ما عدا الأحكام وتفصيل الكتاب" نرى ألها تتألف من كتابين رئيسيين وردا في قوله تعالى)ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) (الحجر 87:(

- -الكتاب الأول: سبعاً من المثاني.
- -الكتاب الثانى: القرآن العظيم.

وميزة هذه الآيات ألها إخبارية ولا يوجد فيها أوامر ونواه، ولكن كلها آيات خبرية "أنباء". فمثلاً بعد سرد جزء من قصة نوح في سورة هود قال تعالى)تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) (هود 49) لاحظ قوله "أنباء" وقوله "غيب". ولاحظ حين سرد قصة آدم قوله تعالى)قل هو نبأ عظيم * أنتم عنه معرضون) (ص67-68) وقوله)ولتعلمن نبأه بعد حين ()ص 88.

أما مصطلح "الذي بين يديه" فيقصد به الرسالة وسنشرح ذلك فيما يلي:

بينا أن الآيات المتشابحات هن آيات المصحف ما عدا آيات أم الكتاب "الرسالة" وآيات تفصيل الكتاب. ويعني ذلك أنه تبقى مجموعة الآيات المتشابحات، فما اسم هذه الآيات؟

- 1لنرجع إلى قوله تعالى في أول سورة الحجر)الر تلك آيات الكتاب وقرآنٍ مبين) (الحجر 1.(
- 2ولنرجع إلى قوله تعالى في أول سورة الرعد)المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) (الرعد 1.(
 - 3ولنرجع إلى قوله تعالى في أول سورة البقرة)ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين) (البقرة 2.(
- 4ولنرجع إلى قوله تعالى في سورة البقرة 158)شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.(

هنا نلاحظ كيف عطف القرآن على الكتاب، وفي اللسان العربي لا تعطف إلا المتغايرات، أو الخاص على العام. فهنا لدينا احتمالان:

أ - أن القرآن شيء والكتاب شيء آخر، وعطفهما للتغاير كأن نقول جاء أهمد وسعيد. حيث أن سعيداً شخص وأهمد شخص آخر. وعطفهما للتغاير. فإذا كان القرآن شيئاً والكتاب شيئاً آخر فتجانسهما ألهما من عند الله. ولكن لماذا عطف القرآن على الكتاب في أول سورة الحجر؟ السبب في ذلك هو الآية 87 في هذه السور حيث ذكر فيها السبع المثاني في قوله)ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم (فها هنا واضح تماماً أن القرآن شيء والسبع من المثاني شيء آخر، وهي ليست من القرآن ولكنها من الكتاب.

ب - أن يكون القرآن جزءاً من الكتاب، وعطفهما من باب عطف الخاص على العام .وفي هذه الحالة يكفي عطف الخاص على العام للتأكيد وللفت انتباه السامع إلى أهمية الخاص.

فأى الاحتمالين هو المقصود؟!

- نلاحظ أنه عندما ذكر الكتاب قال) :هدى للمتقين (لأن في الكتاب أحكام العبادات والمعاملات والأخلاق، أي فيه التقوى بالإضافة إلى القرآن.

وعندما ذكر القرآن قال) :هدى للناس (ولفظة الناس تشمل المتقين وغير المتقين، فالمتقون من الناس ولكن ليس كل الناس من المتقين.

وهذا وحده يوجب أن نميز بين الكتاب والقرآن.

-ونلاحظ أنه في سورة الرعد عطف الحق على الكتاب، فهذا يعني أن الحق شيء والكتاب شيء آخر. أو أن الحق هو جزء من الكتاب وليس كل الكتاب.

-والجواب القاطع على هذا السؤال أعطي في سورة فاطر)والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير) (فاطر 31). هنا أعطى الجواب القاطع بأن الحق هو جزء من الكتاب وليس كل الكتاب، وأن الحق جاء معرفاً أي أن الحقيقة الموضوعية بأكملها غير منقوصة ''الحقيقة المطلقة" موجودة في الكتاب ولكن ليست كل الكتاب، حيث أنه في الكتاب توجد الآيات المحكمات "آيات الرسالة" وهي ليست حقاً. والآيات المتشابحات "آيات النبوة" وآيات تفصيل الكتاب.

ثم أعطى للحق وظيفة ثانية، وهي تصديق الذي بين يديه. فلماذا جاء القرآن كله متشاهاً؟ وما معنى تصديق الذي بين يديه؟؟

هذا السؤال هو من أخطر الأسئلة التي لا يمكن بدون فهمها فهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يمكن فهم الإعجاز مطلقاً، ولا يمكن فهم كثير من الأحاديث النبوية إن صحت.

إن الله مطلق ومعلوماته مطلقة، وعند الله توجد الحقيقة الموضوعية بشكل مطلق، والله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى أن يعلم نفسه أو يهدي نفسه. وبما أن الناس في فهمهم للحقيقة يحملون طابع النسبية، أي ألهم لا يفهمون إلا حسب الأرضية المعرفية "مستوى المعرفة" الموجودة عندهم، فقد أخذ الله تعالى ذلك بالحسبان لدى إعطاء الناس ما يشاء من علمه.

لنضرب الآن مثالاً على ذلك: إذا رغب إنسان من كبار علماء الإلكترونيات وعمره خمسون عاماً في أن يعطي المعلومات المتوفرة عنده لابنه الذي يبلغ من العمر ثلاثة أعوام، فهناك أمامه طريقتان لا ثالثة لهما للقيام بذلك:

الطريقة الأولى:

أن يعطيه المعلومات بالتدريج حسب السن وحسب الخبرة المكتسبة، فيعطيه جزءاً بحيث يستطيع استيعابه، ثم يعطيه جزءاً آخر . . وهكذا دواليك حتى يعطيه المعلومات كاملة، ولكن هذه الطريقة تتطلب اتصالاً مباشراً دائماً بين الأب وابنه، أي أن الجسر الذي ينقل المعلومات بين الأب وابنه هو الاتصال المباشر والدائم بحيث

تزيد المعلومات مع نمو الطفل. الطريقة الثانية:

أن يعطي الأب العالم مجموعة كاملة من المعلومات الموجودة عنده لابنه وهو في عمر ثلاث سنوات دفعة واحدة، وبدون أن يكون هناك أي اتصال بعد ذلك. وهذا يتطلب بالضرورة أن يصوغ المعلومات بطريقة يفهمهما ابن ثلاث سنوات حسب أرضيته المعرفية. ثم عندما يكبر وتزيد - معلوماته يقرأ هذه الصياغة مرة أخرى فيراها مطابقة لمعلوماته النامية. وهكذا دواليك، أي مع نمو المعرفة عند هذا الإنسان يقرأ النص الثابت فيرى أنه مطابق لمعلوماته. ولكن هذه الطريقة تتطلب صياغة خاصة يجب أن يتوفر فيها شرطان: الأول ثبات النص والثاني حركة المحتوى وهذا ما يسمى بالتشابه وهو عين التشابه. ولله المثل الأعلى. فلنر الآن بأي طريقة اتصل بالله بالناس لإعطائهم المعلومات: اتصل بالطريقتين: بالاتصال الدائم بالناس وبالاتصال دفعة واحدة.

أما الاتصال الدائم فقد حصل عبر النبوات قبل محمد صلى الله عليه وسلم كالتوراة والإنجيل. فبعد نزول التوراة كانت هناك رجعة من الله إلى الناس في الإنجيل. وبعد نزول الإنجيل كان هناك رجعة من الله إلى الناس حيث أنه لا نبي ولا رسول بعد محمد في القرآن. ولكن بعد نزول الكتاب لم تكن هناك رجعة من الله إلى الناس حيث أنه لا نبي ولا رسول بعد محمد صلى الله عليه وسلم. وهكذا نرى أن هناك طريقتين قد استعملتا في نقل المعلومات. ففي الطريقة الأولى أي في التوراة والإنجيل تم نقل المعلومات فيهما بشكل يفهمه الناس حسب أرضيتهم المعرفية. أي أنهما كانا يحملان طابع المرحلية بالشرح، ولذا فعندما نقرأ التوراة الآن ونقارلها مع معلوماتنا الحالية نراها تنسجم مع أرضيتنا المعرفية، أي ألها كانت تحمل طابع المرحلية، وألها نزلت بصيغة كانت مطابقة لمعارف الناس وقت نزول التوراة. ولم ينتبه المفسرون المسلمون إلى هذه الناحية الخطيرة، فاعتمدوا قليلاً أو كثيراً على التوراة في تفسير التوراة. ولم ينتبه المفسرون المسلمون إلى هذه الناحية الحطيرة، فاعتمدوا قليلاً أو كثيراً على التوراة في تفسير التوراقي خلق الكون والإنسان وعمر الكون والإنسان، وحسناً فعلوا. ولهذا وصف التوراة والإنجيل بأنهما التوراتي خلق الكون من قبل القرآن)وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدى للناس) (آل عمران 3-4.(ولينطبق الحال كذلك على الإنجيل. إذ أن التوراة لا يحملان صفة التشابه في الصيغة. وهكذا نرى التوراة والإنجيل اليوم كتابين يدرسان فقط في الكنائس للعبادة دون أن يكون لهما علاقة بالحياة. وهذا ما أراد "مشايخنا" أن يفعلوه بالقرآن وذلك بتحويله إلى كتاب في اللاهوت.

أما الطريقة الثانية، وهي طريقة الاتصال دفعة واحدة لا رجعة بعدها فهي الطريقة الإسلامية وهذه لا يمكن أن تكن إلا بثبات النص وحركة المحتوى وهو التشابه الذي يحتاج إلى التأويل باستمرار، ولهذا فالقرآن لا بد من أن يكون قابلاً للتأويل، وتأويله يجب أن يكون متحركاً وفق الأرضية العلمية لأمةٍ ما في عصر ما، على الرغم من ثبات صيغته.

وفي هذا يكمن إعجاز القرآن للناس جميعاً دون استثناء. إن إعجاز القرآن ليس فقط بجماله البلاغي كما يقول بعضهم، وليس معجزاً للعرب وحدهم، وإنما للناس جميعاً. وذلك لأن الناس كلاً بلسانه "الإنكليزي بالإنكليزية والصيني بالصينية والعربي بالعربية و .." عاجزون أن يعطوا نصاً متشابهاً، كل في لسانه الخاص بحيث يبقى النص ثابتاً، ويطابق المحتوى الأرضيات المعرفية المتغيرة والمتطورة للناس مع تطور الزمن إلى أن تقوم الساعة.

إن مثل هذا لا يمكن أن يفعله إلا من يعلم الحقيقة المطلقة وهذا لا يتوفر للناس لأن معرفتهم وعلمهم نسبيان. لذا لا يمكن تأويل القرآن كاملاً من قبل واحد فقط إلا الله. أما الراسخون في العلم فيؤولونه حسب أرضيتهم المعرفية في كل زمان، وكل واحد منهم حسب اختصاصه الضيق.

من هنا نفهم الحقيقة بالكبيرة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤول القرآن، وأن القرآن كان أمانةً تلقاها وأداها للناس دون تأويل، وإنما أعطاهم مفاتيح عامة للفهم.

أما مقولة: "إن النبي صلى الله عليه وسلم كان قادراً على أن يؤول القرآن" فنقول:

- 1إما أن يكون تأويله صحيحاً بالنسبة لمعاصريه فقط، أي التأويل الأول فيكون بذلك قد تسبب في تجميد التأويل، وتجميد حركة العلم والمعرفة، وإلزام الناس بكلامه، ثم تتقدم المعرفة الإنسانية مع الزمن وتظهر العلوم فتبدأ تأويلاته قاصرة، ويكون بذلك قد قصم ظهر الإسلام بنفسه.

- 2وإما أن يكون تأويله صحيحاً بالنسبة لجميع العصور أن النبي كان يستطيع أن يؤول كل آيات القرآن التأويل الصحيح في جميع الأزمان فيكون بهذا قد تسبب بما يلى:

أ - لا يوجد أحد من العرب الذين عاصروه قادر على فهم التأويل.

ب - لو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قادراً على التأويل الكامل لكل القرآن لكان ذلك يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم كامل المعرفة، ومعرفته بالحقيقة معرفة مطلقة فيصبح شريكاً لله في علمه المطلق.

ج - يفقد القرآن إعجازه.

وفي ضوء هذا يجب أن نفهم ما يلى:

قالت العرب في حجة الوداع للنبي صلى الله عليه وسلم: "نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت" "أخرجه مسلم في صحيحه، انظر جامع الأصول ج3 ص465" فأما الرسالة فقد بلغها ووضع منهجاً لها في السنة، والرسالة كما بينا أعلاه هي أم الكتاب، وأما الأمانة فقد أداها كما أوحيت إليه وهي النبوة التي تشتمل على القرآن والسبع المثاني وتفصيل الكتاب. وبذا نفهم لماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الحديثين التاليين إن صحا: (ألا إني أوتيت هذا الكتاب ومثله معه) (انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول ج1 ص281) و(أوتيت القرآن ومثله معه)، لقد ظن الكثيرون أن هذين الحديثين بمعنى واحد، ولهذا في نظرنا تفسير آخر: فعندما قال عن الكتاب: ومثله معه قد عني السنة وعندما قال :القرآن ومثله معه فإنه عني شيئاً آخر متجانساً

مع القرآن أي مثله وهو مجموعة من الحقائق العلمية تساوي القرآن في قيمتها العلمية لذا جاء القرآن معطوفاً عليها وهي "سبع من المثاني" حيث عطف القرآن العظيم عليها في قوله)ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) (الحجر 87.(

ثانياً: الذكر

ما هو الذكر؟

لنرجع إلى قوله تعالى:

)إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (الحجر 9.(

)وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) (الحجر 6.(

)ص والقرآن ذي الذكر) (ص 1.(

فإذا أخذنا لفظة الذكر في الآيتين 6-9 في سورة الحجر لوجدنا ألها جاءت معرفة بـ "ال التعريف" وإذا نظرنا إلى لفظة الذكر في الآية رقم 1 في سورة ص لوجدناها أيضاً معرفة بال التعريف. وإذا نظرنا أيضاً إلى الربط بين القرآن والذكر في سورة ص لوجدناهما مربوطين بأداة "ذي" وهذه الأداة تستعمل للدلالة على صفة الشيء، لا على الشيء نفسه كقوله تعالى)وفرعون ذي الأوتاد) (الفجر 10) وقوله)ويسألونك عن ذي القرنين) (الكهف 83) ففرعون شيء والأوتاد شيء آخر، والآية تعني أن فرعون صاحب الأوتاد، وكقوله)أن كان ذا مال وبنين) (القلم 14) أي صاحب مال. فالقرآن هنا هو الموصوف والذكر هو الصفة والقرآن ذي الذكر (أي القرآن صاحب الذكر. فما هي هذه الصفة الخاصة بالقرآن والتي تسمى "الذكر"؟ إن القرآن مجموعة القوانين الموضوعية الناظمة للوجود ولظواهر الطبيعة والأحداث الإنسانية، وأساسه غير لغوي ثم جعل لغوياً لقوله)إنا جعلناه قرآناً عربياً) (الزخرف 3). وانتقال القرآن إلى صيغة لغوية إنسانية بلسان عربي تم بصيغة منطوقة لذا فهو يتلى بصيغة صوتية منطوقة مسموعة أو غي مسموعة أو غير مسموعة. وهذه هي الصيغة التي أشهر كما القرآن وكما يذكر بين الناس كما جاء في قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) (الانشراح 4) وقوله (اذكري عند ربك) (يوسف 42).

فالذكر هو تحول القرآن إلى صيغة لغوية إنسانية منطوقة بلسان عربي، وهذه هي الصيغة التي يذكر بها القرآن. وبما أن هذه الصيغة عربية فقد قال للعرب) :لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون) (الأنبياء 10) أي صيغته اللغوية الصوتية في اللسان العربي المبين لذا قال) :فيه ذكركم) وهنا جاء أكبر عز للعروبة والقومية العربية. أما بقية الكتاب فقد تلازم الإنزال والتريل فيها بدون "جعل" وكان الإنزال عربياً مباشراً .وبما أن الله سبحانه وتعالى مرة عن الجنس فهو ليس عربياً ولا تركياً ولا ..ولكن قد جاء النص من الله سبحانه وتعالى أن

الإنزال عربي .

فهذه الصيغة للكتاب التي بين أيدينا وهي صيغة عربية هي صيغة محدثة بلسان إنساني وغير قديمة وذلك ليذكر هما القرآن من الناس لذا قال) :ما يأتيهم من ذكر من رهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) (الأنبياء 2) لاحظ هنا دقة التعبير في الكتاب عندما قال عن الذكر إنه محدث ولم يقل القرآن، ولا ننسى أن الذكر ليس القرآن نفسه، بل هو أحد صفات القرآن (ص والقرآن ذي الذكر) (ص 1). وهذا الفهم يحل المعضلة الكبرى التي نشأت بين المعتزلة وخصومهم حول خلق القرآن. فإذا عرفنا الآن أن الذكر ليس القرآن نفسه، وإنما هو أحد خواصه وهو صيغته اللسانية حصراً يزول الالتباس .لذا فقد وضع الكتاب شرطاً لفهم آياته بقوله) :وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) (الأنبياء 7) هنا يجب أن نفهم أن أهل الذكر هم أهل اللسان العربي.

هذه الصيغة المحدثة هي التي أخذت الصيغة التعبدية، فعندما يتلو الانسان الكتاب "بصيغته اللسانية الصوتية"، بغض النظر عن فهم المضمون، تكون تلاوته عبادة تساوي الناس فيها جميعا عرباً أو غير عرب. فإذا وقف في الصلاة مسلمان "عربي وغير عربي" وكلاهما تلا الذكر بغض النظر عن فهم المضمون فصلاهما مقبولة، لذا قال)وأقم الصلاة لذكري) (طه 14) وعندما قال الفقهاء: إن الصلاة لا تجوز إلا باللسان العربي فهذا صحيح لأن المطلوب في الصلاة التلاوة الصوتية الكتاب لا فهم الكتاب. لذا قيل عن القرآن: إنه المتعبد بتلاوته، فالقرآن يتلى)وأن أتلوا القرآن) (النمل 92.

ومنه يظهر أن التحويل للقرآن "الجعل" إلى صيغة صوتية لغوية عربية قد أخذ الطابع التعبدي، لذا قال عنه (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (القمر 17.(

إذاً فصيغة القرآن اللغوية هي الصيغة التعبدية. وكذلك عن صيغة أم الكتاب)إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة .. الآية) (فاطر 29) فيصبح الذكر بذلك هو الصيغة اللغوية الصوتية للكتاب كله وهي الصيغة التعبدية ويغدو من الصحيح أن نقول عندما تتلى آيات الكتاب "تتلى آيات الذكر الحكيم". وبما أن النبي صلى الله عليه وسلم عربي والذكر هو الصيغة اللغوية للكتاب كله فقد قال) : وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) (النحل 44) في هذه الآية يوجد إنزال للذكر وتتريل له.

والإنزال هو بيان التتريل وهذا البيان "الإنزال هو الصيغة اللغوية بلسان عربي مبين". وعليه فإن انزال الذكر هو إنزال الكتاب كله "الحكم والقرآن "بصيغة لغوية عربية)وكذلك أنزلناه حكماً عربياً) (يوسف 2) مجتمعين من آيات تفصيل الكتاب والتي هي بالضرورة عربية لأنها تشرح مفردات الكتاب من قرآن وأم الكتاب وتشرح الإنزال والتتريل."

وفي سورة يس الآية 69 قال) :وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين (هنا نلاحظ كيف عطف القرآن على لفظ "ذكر" أي ذكر = عبادة، قرآن = علم "استقراء ومقارنة". وقد استعمل التتريل

للذكر في قوله)إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (الحجر 9) وذلك لتبيان أن الذكر جاء وحياً مادياً من خارج إدراك محمد صلى الله عليه وسلم، وأن التتريل عملية مادية حصلت خارج إدراك محمد صلى الله عليه وسلم ودخلت إدراكه بالإنزال. وعلينا أن ننوه أن فعل "ذكر" له معان أخرى منها التذكر ضد النسيان كقوله تعالى)وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) (الكهف 63) ومنه جاءت الذاكرة والمذاكرة.

ثالثاً: الفرقان

قال تعالى:

)وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تمتدون) (البقرة 53.(

)شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان .. الآية) (البقرة .(185

)وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) (آل عمران 3-4.(

)ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين) (الأنبياء 48.(

)تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) (الفرقان 1.(

)وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) (الأنفال 41.(

جاء لفظ الفرقان في ستة مواضع في الكتاب، وفي هذه المواضع الستة جاء معرفاً بأل التعريف، إضافة إلى مرة وحيدة جاء فيها منوناً، وذلك في الآية 29 من سورة الأنفال، فأول ما جاء لفظ "الفرقان" لموسى عليه السلام وجاء معه الكتاب، أي أن الفرقان جاء إلى موسى على حدة وجاء الكتاب على حده، ففرقا عن بعضهما . وهذا الفرقان قال عنه في سورة آل عمران: إن الفرقان والتوراة والإنجيل أنزلت قبل أن يأتي الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم إن الفرقان الذي أنزل على موسى هو نفسه الذي أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان)شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) (البقرة وسلم في رمضان جاء معطوفاً على القرآن يستنتج أن الفرقان غير القرآن، وهو جزء من أم الكتاب "الرسالة" وأنزل ونزل في رمضان. وهذا الجزء أول ما أنزل إلى موسى عليه السلام. فما هو الفرقان الذي جاء إلى موسى على حدة مفروقاً عن الكتاب؟

لو تأملنا الآيات (151-152-153) من سورة الأنعام وهي:

)قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم

- 1ألا تشركوا به شيئاً.
- 2وبالوالدين إحساناً.

- 3ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم.
 - 4ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.
- 5ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) (الأنعام 151.(
 - 6ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده.
 - 7وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها.
 - 8وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربي.
 - 9ويعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) (الأنعام 152.(
- 10وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) (الأنعام 153.

أقول: لو تأملنا هذه الآيات لم يكن من الصعوبة أن نستنتج أن نستنتج أنها هي الوصايا العشر. ولنلاحظ الآية التي تلت هذه الآيات الثلاث وهي الآية 154 الأنعام:

)ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون . (هنا نلاحظ بشكل جلي كيف أن هذه الوصايا جاءت لموسى مفصولة عن الكتاب، وأن الكتاب بالنسبة لموسى وعيسى هو التشريع فقط، وليس التوراة والإنجيل، وذلك واضح تماماً في قوله تعالى عن عيسى) : ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) (آل عمران 48.

لنقارن هذه الوصايا العشر والتي أتى بعدها)ثم آتينا موسى الكتاب) (الأنعام 154) وقوله تعالى) :وإذا آتينا موسى الكتاب والفرقان) (البقرة 53) بقوله) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) (آل عمران 4). أي ألها أنزلت قبل محمد صلى الله عليه وسلم، وبقوله) :تبارك الذي نزل الفرقان على عبده .. الآية) (الفرقان 1) - أي ألها أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً .. نستنتج أن الفرقان هو الوصايا العشر التي جاءت إلى موسى وثبتت إلى عيسى عليهما السلام ثم جاءت إلى محمد صلى الله عليه وسلم. وهي رأس الأديان السماوية الثلاثة وسنامها، لألها القاسم المشترك بين الأديان الثلاثة. وفيها التقوى الاجتماعية وهي ما يسمى بالأخلاق، وليست العبادات، وهي تحمل الطابع الإنساني العام.

ولقد أنزلت هذه الآيات على النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان، وبما أنما من أم الكتاب فإنما أنزلت ولقد أنزلت معاً، ولذا قال)تبارك الذي نزل الفرقان على عبده) (الفرقان 1). ونحن نعلم أن معركة بدر حصلت في رمضان، وأن آيات الفرقان في سورة الأنعام ليست مكيةً، فهنا أخبرنا أن الفرقان أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة بدر "في رمضان" لذا سمي بيوم الفرقان بقوله)وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) (الأنفال 41.

لقد ورد في سورة فاتحة الكتاب الآية)اهدنا الصراط المستقيم) (الفاتحة 4) وحدد هذا الصراط في قوله:

)صراط الذين أنعمت عليهم (فمن هؤلاء الذين أنعم عليهم وجاءهم الصراط المستقيم لأول مرة؟ إن الناس الذين أنعم الله عليهم بالصراط المستقيم لأول مرة هم بنو إسرائيل الذين عاصروا موسى. وقد فضلهم الله على العالمين به وذلك في قوله) :يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأين فضلتكم على العالمين) (البقرة 47) هنا يذكر بني إسرائيل بنعمته التي أنعم عليهم بها والتي فضلهم على العالمين بها، وهذه النعمة وهذا التفضيل هما الصراط المستقيم الذي أنزل لأول مرة في تاريخ الرسالات إلى موسى عليه السلام وذلك في قوله) :ولقد مننا على موسى وهارون * ونجيناهما وقرمهما من الكرب العظيم * ونصرناهم فكانوا هم الغالمين * وآتيناهما الكتاب المستبين * وهديناهما الصراط المستقيم) (* الصافات 114-118). وقد سميت الوصايا الصراط المستقيم لأنما لا تتغير أبداً، حيث أن الأخلاق مبادئ إنسانية عامة وهي من ثوابت الدين الإسلامي ولا تحمل طابع التغير مع الزمن والتطور والمرونة 'االحنيفية" مثلها في ذلك مثل العبادات .

وفي الدين الإسلامي الوصايا والحدود والعبادات هي الصراط المستقيم أي التقوى الاجتماعية في الوصايا، والتقوى الفردية في العبادات.

لنلاحظ التسلسل التالى:

)وإذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) (البقرة 53). بعد الوصايا العشر في سورة الأنعام قال:)ثم آتينا موسى الكتاب (وأن الوصية العاشرة هي اتباع الصراط المستقيم)وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ... الآية) (الأنعام 152.(

-صراط الذين أنعمت عليهم <--يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم -ولقد مننا على موسى وهارون <--وآتيناهما الكتاب المستبين * وهديناهما الصراط المستقيم.)ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) (الأنبياء 48.(

وهكذا نرى أن الوصايا العشر هي الفرقان وهي الصراط المستقيم. وكل من اتبع هذا الصراط إلى يوم الدين هو من الذي أنعم الله عليهم وهو من المهتدين .وكل من تركه فقد ضل، وكل من عاداه فقد باء بغضب من الله كائناً من كان، لذا أتبعها بقوله)غير المغضوب عليهم ولا الضالين .(وقد سمى الوصايا الحكمة بالنسبة لعيسى عليه السلام حيث قال)ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) (آل عمران 48). فالكتاب هو الرسالة، والحكمة هي الوصايا، والتوراة هو نبوة موسى، والإنجيل هو نبوة عيسى، ومجموعهم هو الكتاب المقدس. وللدلالة على أن الوصايا هي الحكمة ذكر تسعاً من هذه الوصايا في سورة الإسراء من الآية 23 إلى الآية و 13 والتي تقول)ذلك نما أوحى إليك ربك من الحكمة . . . الآية.(

فالوصايا العشر بالنسبة لعيسى وللنبي محمد صلى الله عليه وسلم هي جزء من الحكمة حيث ذكر وصايا غيرها في سورة الإسراء، كقوله) :ولا تمش في الأرض مرحاً) (الإسراء 37) ودمجها تحت عنوان الحكمة

وكذلك في سورة لقمان بقوله)ولقد آتينا لقمان الحكمة ... الآية) (لقمان 12) وبما أن لقمان ليس نبياً ولا رسولاً فقد ذك أن الحكمة "الأخلاق" يمكن أن تأتي لأي شخص في كل زمان ومكان وذلك في قوله) :ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) (البقرة 269) أما بالنسبة لموسى فقد جاءته الوصايا العشر "الفرقان" وسميت باسمها ولم يقل عن موسى إنه أوتي الحكمة التي تعتبر الوصايا العشر الجزء الأساسي منها وهي من الصراط المستقيم الذي يجب على كل إنسان ومجتمع إنساني أن يتبعها.

وبما أن الوصية الأولى في الفرقان هي التوحيد وقد بعث الله الرسل والأنبياء من أجل التوحيد فعندما ذكر الأنبياء والرسل في سورة الأنعام قال) :أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ... الآية) (الأنعام 89) وقوله)ومن آبائهم وذرياهم قال) :أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة .. الآية) (الأنعام 89) وقوله)ومن آبائهم وذرياهم وإخوالهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم (الأنعام 87) وهنا ذكر عبارة "صراط مستقيم" غير معرفة لأن الصراط لم يأتي بكامله إليهم جميعاً بل أتى جزء منه إليهم كلهم وهو التوحيد على الأقل أي)ألان تشركوا به شيئاً) (الأنعام 151) وإلى شعيب جاء التوحيد "الوصية الأولى" والوفاء بالكيل والميزان "الوصية السابعة."

وللفرقان نوعان، الأول: الفرقان العام وهو الذي جاء إلى موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم. والثاني: الفرقان الخاص الذي جاء إلى محمد صلى الله عليه وسلم وحده، وهو الذي ذكر في سورة الفرقان "انظر فصل الفرقان."

الفصل الأول القرآن والسبع المثاني

- 1 كلمات الله

ترتبط الكلمة في الأصل بالجانب الصوتي للسان، كقول المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

والكلام في اللغة اسم جنس يقع على القليل والكثير، وقد عرفه بعضهم "بأنه المنتظم من الحروف المسموعة المميزة" (الزمخشري الكشاف ج1، ص5 .(

وعندما نقيم حفلاً خطابياً نقول: إن الكلمة لفلان، فهذا يعني أنه حاضر ليلقيها بنفسه. أما إذا كان غائباً

فنقول يلقيها بالنيابة عنه فلان. وكل الألسن الإنسانية أصوات تتألف منها الكلمات والجمل. فإذا تكلم الصيني فإننا نحن العرب نسمع أصواتاً ولكن لا نفهم ما هو مدلول تلك الأصوات "المعنى". وعندما يأخذ الكلام مدلولاً في الذهن يصبح قولاً.

الكلام يخرج من الفم وفيه تكمن الفصاحة. لذا قال موسى عن أخيه هارون)هو أفصح مني لسانا) (القصص 34). وعندما أرسل الله موسى إلى فرعون نصحه بقوله): فقولا له قولاً ليناً) (طه 44). فالقول هو الكلام الذي له دلالات في الذهن، لذا نقول "البلاغة في القول" و "الفصاحة في اللسان". أما البلاغة فنراها في قوله تعالى)وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) (النساء 63) وهنا نفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم إن صح (أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصارا) حديث عن عمر "رض" ذكره أبو يعلي في مسنده وقوله (أعطيت فواتح الكلام، وجوامعه وخواتمه) ذكره أبو يلعي في مسنده عن أبي موسى. أي الأصوات الإنسانية المجموعة في فواتح السور ولا تعني البلاغة لا من قريب ولا من بعيد. ونرى الكلام والقول في آية واحدة في قوله تعالى): كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) (الكهف 5) أي هذه الكلمة التي تخرج من الأفواه لها مدلول الكفر عندما نفهمهما في الذهن لذا قال): إن يقولون (ولم يقل: إن يتكلمون. هنا يجب أن نفهم أن الألسن الإنسانية ذات شقين: الشق الأول هو الأصوات التي لها وجود مادي "موضوعي". والشق الثاني هو دلالات هذه الأصوات في الذهن. وهذه خاصية تميز كها الإنسان، وهي أن الألسن الإنسانية تتألف من دال ومدلول.

وبما أن الألسن تؤدي وظيفتين هما أن تستخدم أداة للاتصال وأداة للتفكير .ففي أداة الاتصال يظهر بشكل جلي ارتباط الدال بالمدلول. وفي أداة التفكير يظهر المدلول ولكن التدقيق يبين أن التفكير الإنساني لا يتم إلا ضمن إطار لساني غير ملفوظ. هذا كله متعلق بالإنسان. فهل ينطبق ذلك على كلمات الله؟

لو كان النص القرآني المتلو أو المكتوب الموجود بين أيدينا هو عين كلام الله فهذا يعني أن الله له جنس وجنسه عربي، وأن كلام الله ككلام الإنسان يقوم على علاقة دال ومدلول. ولكن بما أن الله أحادي في الكيف)قل هو الله أحد) (الإخلاص 1)، وواحد في الكم)قل إنما هو إله واحد) (الأنعام 19) وأن الله ليس عربياً ولا انكليزياً، لزم أن يكون كلامه هو المدلولات نفسها، فكلمة الشمس عند الله تعالى هي عين الشمس، وكلمة القمر هي عين القمر، وكلمة الأنف هي عين الأنف، أي أن الوجود المادي "الموضوعي "ونواميسه العامة هي عين كلمات الله. وكلمات الله هي عين الوجود ونواميسه العامة.

ولهذا نقول: إن الله هو الحق وإن كلماته حق)قوله الحق) (الأنعام 73) (ويحق الله الحق بكلماته) (يونس 82) (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) (الحج 62) فالوجود الموضوعي خارج الوعي هو الوجود الإلهي)ذلك بأن الله هو الحق) (الحج 62) والوجود الكوني الذي هو كلمات الله وهو حق أيضاً)ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) (الأحقاف 3). فالله حق والوجود كلماته وهو

حق أيضاً، لذا قال) :إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (يس 82) (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) (آل عمران 47- مريم 35.(

ونحن نعلم أن سمة "المتكلم" ليست من أسماء الله الحسنى، وإنما كلماته اشتقت من اسمه الحق. ومن أجل تعليم الإنسان صاغ الله الحقيقة المطلقة وهي الوجود ونواميسه العامة وأسماءه الحسنى صياغة لسانية إنسانية. وبما أن فهم الإنسان للحقيقة هو فهم نسبي دائماً له علاقة بتطور المعارف والأرضية المعرفية للإنسان فقد لزم أن تصاغ الحقيقة بلغة إنسانية مطواعة لهذا الفهم النسبي عن طريق التشابه في الصيغة الثابتة. واللسان العربي في بنيته ومفرداته يحمل هذه الخاصية "التشابه" بوضوح، هذا أحد وجوه أصالة هذا اللسان، ولهذا كان اللسان العربي هو الوعاء الذي حمل مطلق الحقيقة ونسبية الفهم الإنساني.

ففي الصياغة القرآنية العربية تظهر قمة الجدل الداخلي بين الحقيقة المطلقة للوجود والفهم النسبي الإنساني لهذا الوجود في مرحلة ما، وفي هذا المعنى تكمن قمة إعجاز القرآن للناس جميعاً، على اختلاف عصورهم واختلاف مداركهم تبعاً لاختلاف أرضياهم المعرفية.

وبما أن القرآن حوى الحقيقة الموضوعية لذا أطلق عليه تسمية "الحق) .''وإذا تتلى عليهم آياتنا بيناتٍ قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) (الأحقاف 7.(

- 2محتويات القرآن

قلنا إن الكتاب المتشابه هو السبع المثاني والقرآن العظيم. فالتشابه في السبع المثاني جاء في قوله تعالى)الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربحم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد) (الزمر 23. (اللاحظ هنا كيف جاءت كلمة "كتاب" منكرة ولذلك فهي لا تعني كل محتويات المصحف، وإنما وصف هذا الكتاب بصفتين هما التشابه والمثاني. ويعني ذلك أن مجموعة السبع المثاني هي كتاب متشابه ومثان معاً. أما بالنسبة للقرآن فيجب أن نميز بين القرآن معرفاً كقوله)شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) (البقرة أما بالنسبة للقرآن فيجب أن نميز بين القرآن العظيم) (الحجر 87) وقوله (بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ) (البروج 21-22) وقوله)يس * والقرآن العظيم) (الحجر 78) ولم يقل يس * وقرآن حكيم. محفوظ) (البروج 21-22) وقوله)يس * والقرآن الحكيم، فعندما يأتي القرآن معرفاً فإنه يأخذ المعنى نفسه، أما إذا جاء منكراً فيمكن أن يعني جزءاً منه. فالقرآن الحكيم هو القرآن العظيم نفسه وهو الذي أنزل في رمضان. وليست عبارة)قرآن مجيد (هي بالضرورة)القرآن الحكيم العظيم .(ولكنها من جنسه وتعني جزءاً منه، لا كله. وقد جاء الدليل على أن القرآن كله متشابه وأنه هو الحق في سورة يونس في قوله)وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون (ابون س 36) (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا

ريب فيه من رب العالمين) (يونس 37) (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) (يونس 38) (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) (يونس 39.(

وها هنا نلاحظ أن سياق الآيات يتكلم عن القرآن وأنه احتوى على معلومات لم يحيطوا بها وأنه لم يأت تأويله بعد. ونلاحظ أيضاً ما جاء في الآية 7 آل عمران أن التأويل هو للمتشابه فقط.

أما إذا نظرنا إلى محتويات القرآن فنرى أنه يتألف من موضوعين رئيسيين وهما:

- 1 الجزء الثابت) :قرآن مجيد * في لوح محفوظ) (البروج 21-22) وهذا الجزء هو القوانين العامة الناظمة للوجود كله ابتداء من خلق الكون (الانفجار الكوني الأول، وفيه قوانين التطور "الموت حق "وتغير الصيرورة "التسبيح" حتى الساعة ونفخة الصور والبعث والجنة والنار .وهذا الجزء لا يتغير من أجل أحد وهو ليس مناط الدعاء الإنساني، وإن دعا كل أهل الأرض والأنبياء لتغييره فلا يتغير، وهذا الجزء العام هو الذي تنطبق عليه عبارة)لا مبدل لكلماته) (الكهف 27.

فكلمات الله هي عين الموجودات أي الأشياء)قوله الحق) (الأنعام 73). وفي اللوح المحفوظ يوجد القانون العام الصارم لهذا الوجود، ولا تبديل لهذا القانون من أجل أحد. أما التشابه في هذا الجزء فهو منسوب إلى الفلسفة وهي أم العلوم، أي معرفة الإنسان بالقوانين العامة الناظمة للوجود.

- 2الجزء المتغير من القرآن: وهذا الجزء عبر عنه بأنه مأخوذ من أمام مبين في قوله)إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) (يس 12.(
فالإمام المبين يحتوى على شقين:

أ - أحداث وقوانين الطبيعة الجزئية : مثل تصريف الرياح واختلاف الألوان وهبة الذكور والإناث والزلازل والطوفان وهي قابلة للتصريف، وغير مكتوبة سلفاً على أي إنسان وغير قديمة. فمثلاً القانون العام في اللوح المحفوظ يقول: إن "الموت حق" ، ولكن الأحداث الجزئية في الطبيعة يمكن أن تسمح بوجود ظواهر تطيل الأعمار وظواهر تقصرها . فالتصريف هو بطول العمر وقصره، وليس بإلغاء الموت. فأحداث الطبيعة الجزئية أطلق عليها مصطلح آيات الله)ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) (الروم أطلق عليها مصطلح آيات الله) ومن آياته خلق السموات بظواهر الطبيعة وقد جاءت في الكتاب في مصطلح "كتاب مبين" في قوله)وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقةٍ إلا يعلمها ولا حبةٍ في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (الأنعام 59) وهذه الأحداث ليست مبرمجة سلفاً وليست قديمة.

وعندما عطف عبارة (كتاب مبين) على القرآن في أول سورة النمل عطف خاصاً على عام. لنرجع إلى الآية 75 التي تقول) :وما من غائبةٍ في السماء والأرض إلا في كتاب مبين .(فعندما يورد لفظ "كتاب مبين" في

القرآن يتكلم فيه عن جزئيات ظواهر الطبيعة، كالحرية الكيميائية)ولا رطب ولا يابس (والموقع)ولا حبةٍ في ظلمات الأرض (والحركة الميكانيكية)وما تسقط من ورقة إلا يعملها. (

هذا الجزء الذي سماه بعبارة "كتاب مبين" فيه التصريف والتغيير وهو مناط التدخل الإلهي وفقاً للنواميس الكونية التي ارتضاها وقررها، فتارة يعمل لصالح زيد وأخرى لصالح عمرو، وهو مناط الدعاء. فنحن ندعو الله أن يرسل لنا مطراً، لأن المطرياتي من تصريف الرياح أو أن يهب لنا ذكوراً وإناثاً. لأن كل هذه الأشياء ليس لها علاقة باللوح المحفوظ وإنما هي أحداث جزئية في أحداث جزئية في ظواهر الطبيعة وإلا فلا معنى لقوله عليه السلام: الدعاء مخ العبادة وقوله أيضاً: لا يرد القضاء إلا الدعاء. وهي أيضاً مناط العلوم كلها الطب والفلك والفيزياء والكيمياء .. الخ. ما عدا الفلسفة والتاريخ .ويقوم التشابه في آيات الكتاب المبين "آيات الله" على نسبة تقدم المعارف الإنسانية بأحداث الطبيعة وظواهرها وهو الذي ينطبق عليه)إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) (آل عمران 47 – مريم 35.(

ب - أفعال الإنسان الواعية :وهو ما نسميه القصص. لقد أكد في الكتاب أن القصص من القرآن في قوله :) نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) (يوسف 3). فقد أشار إلى أن تتبع أفعال الإنسان المسجلة عليه بعد وقوعها يتم في (إمام مبين) ليميزه عن (لوح محفوظ ()إنا نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) (يس 12) وقد أورد منه أحداثاً متكاملة لتتبع تطور التاريخ الإنساني، وتطور المعارف في النبوات والتشريع في الرسالات، أي كيف تفاعل الإنسان مع القانون العام للوجود والقوانين الجزئية من جهة، وكيف تفاعل مع الرسالات من جهة أخرى. وبما أنه أعطى هذا الخط في القصص فقد سماه "أحسن القصص."

أما القصص جزء من القرآن فقد ورد في قوله) :وإن كنت من قبله لمن الغافلين) (يوسف 3) فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهل القصص والقرآن معاً، وكان القصص ليس جزءاً من القرآن لجاءت الصيغة بصورة المثنى أي: وان كنت من قبلهما، وهذه الصيغة "من قبله" تصح في حالة أن القرآن شيء والقصص شيء آخر في حالة واحدة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهل القرآن ولا يجهل القصص، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهل القصص أيضاً لقوله في سورة هود بعد قصة نوح) :تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) (هود 49). من هنا نستنتج النتيجة الوحيدة وهي أن القصص جزء من القرآن وهناك دليل آخر في قوله تعالى في أول سورة النمل: (طس تلك القرآن وكتاب مبين) فإذا تصفحنا سورة النمل وجدنا أن فيها قصصاً.

أما العنوان العام الذي أعطاه الكتاب للقصص وهو عبارة "الكتاب المبين" فقد جاء في ثلاث سور فيها قصص وهي سورة يوسف)الر تلك آيات الكتاب المبين(، وسورة الشعراء)طسم * تلك آيات الكتاب المبين(، وسورة القصص)طسم * تلك آيات الكتاب المبين.(

ولنشرح الآن لماذا سمى القصص الكتاب المبين وسمى ظواهر الطبيعة كتاباً مبيناً.

السبب الأول: أن كليهما أوحي من الإمام المبين وليس من اللوح المحفوظ .وثانيهما أن القصص أعطت مواضيع متكاملة منتقاة لتتبع تطور التاريخ الإنساني، لذا سميت "أحسن القصص"، وعرفت بالكتاب المبين. أما أحداث الطبيعة وظواهرها فقد أورد فيها آيات متفرقة لذا سماها" كتاباً مبيناً."

ونشير إلى أن التشابه في القصص منسوب إلى تطور المعارف الإنسانية حول تطور التاريخ الإنساني، فكلما زادت هذه المعارف تمكنا من تأويل آيات القصص.

ومن هنا نستنتج أن القرآن العظيم وهو كتاب متشابه يتألف من مصدرين رئيسيين:

أ - القانون العام)قرآن مجيد * في لوح محفوظ (وهو كلمات الله القديمة لا تبديل لها وسمي مجيداً لأن السيطرة الكاملة له و لا يمكن الخروج عنه وهو مطلق.

ب - القانون الخاص الجزئي في أحداث الطبيعة الجزئية وظواهرها وأفعال الإنسان بعد وقوعها، وسماه إماماً مبيناً، وهو مناط التصرف والدعاء والمعرفة، ولكنه لا يلغي القانون العام بل يعمل ضمنه وهو كلام الله المحدث وينطبق عليه قوله)إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون (وفيه إرادة الله الظرفية. حيث أن هذين الجزأين يحملان طابع الوجود الموضوعي. وسمي قرآناً لأنه قرن القانون العام للوجود مع القانون الخاص ومع خط تطور سير التاريخ الإنساني.

وهكذا نفهم أن القرآن هو الجانب الموضوعي في الكتاب "الحق) ''وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين) (سبأ 43). وفي قوله) :وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) (الأحقاف 7.(

هنا نرى أن الإعجاز جاء في القرآن فقط، وليس في أم الكتاب إذ أن أم الكتاب ذاتية، وهكذا لا يمكن أن نرى في أي آية من آيات الأحكام مصطلح (قال الله(، هذا مستحيل .. إنما نرى أن آيات الأحكام جاءت ضمن الصيغ التالية:

-صيغة أمر) :إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) (النحل .90.

-صيغة لهي) :ولا تقربوا الزبي إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) (التحريم 2.(

)كتب عليكم الصيام) (البقرة 183.(

)والخصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم) (النساء 24)

-صيغة وصايا) :يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) (النساء 11.(

أي أنه لا يمكن أن نرى آية واحدة من آيات الرسالة "الأحكام" فيها عبارة)قال الله)، لأنه لو جاءت بهذه الصيغة (قال الله صلوا) أو (قال الله صوموا)، مع الأخذ بالحسبان أن قول الله هو الحق) قوله الحق) (الأنعام

73)-فهذا يعني أن الصلاة والصوم حقيقة موضوعية موجودة خارج الوعي. ولأصبحت الصلاة والصوم ناموساً لا يمكن مخالفته. ولرأينا أن الناس جميعاً دون استثناء صاموا وصلوا من دون أن يكون لهم أي خيار في ذلك، ولأصبحت الصلاة والصوم كعملية هضم الطعام ونبض القلب يلتزم بأدائهما الناس آلياً.

من هنا وللدقة وجب علينا أن لا نطلق عبارة (قال الله) على الأحكام ولكن نقول: أمرنا الله بالصلاة ونقول: أمرنا الله بالصلاة من أمرنا الله بالصوم، ونقول: أمرنا الله تعالى بصلاة الجمعة في الآية) :يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) (.. الجمعة ..) فإذا قلنا: قال الله صلوا، وكان هناك أناس لا يصلون، فهذا يعني أن قوله غير نافذ وهذا يناقض قانون)قوله الحق (هذا إذا أردنا أن نتقيد بالمصطلح القرآني البحت. أما قولنا عن كل آية وردت في الكتاب: (قال تعالى) فهذا مصطلح مجازي بحت يقصد به الصياغة اللغوية للكتاب كله الذي أنزل من عند الله وهو من صياغة رب العالمين.

من هنا يجب أن نفهم أن كلمات الله نافذة لا مجال لتبديلها ولا خيار لنا في تنفيذها أو عدم تنفيذها لأن كلماته عن الوجود ونواميسه العامة وأحداثه الجزئية حين وقوعها. لذا قال عن القرآن) :واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً) (الكهف 27) هنا قال عن كلمات الله: إنها غير قابلة للتبديل وإن الإنسان لا يستطيع أن يحيد عنها)ولن تجد من دونه ملتحدا(، فلو كانت الآية)يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) (النساء 11) هي من كلمات الله، ورأينا أناساً لا يلتزمون بها ويبدلونها، لكان ذلك يعني كذب ما جاء في الآية)لا مبدل لكلماته.(

وهكذا نفهم قوله تعالى) :قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) (الكهف 109). بما أن كلمات الله هي عين الموجودات ونواميسها العامة والخاصة حين وقوعها، ونعلم الآن مدى كبر هذا الكون حسب معلوماتنا، فلو أراد الله سبحانه وتعالى أن يصف لنا الموجودات من خلال كلام الإنسان، للزم أن يكون البحر مداداً لهذه الكلمات ولا يكفى.

أما قوله تعالى)وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وستريد المحسنين) (البقرة 58) (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) (البقرة 59.(

هنا الآية 58 في سورة البقرة تبدأ بقوله)وإذ قلنا (والقائل هو الله، فقوله نافذ ولكنه ينطبق فقط على الفقرات)ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا) (وادخلوا الباب سجداً (أي ألهم دخلوا القرية وأكلوا ودخلوا الباب سجداً. ولكن جملة (قولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وستريد المحسنين) هي جملة أمر (ضد النهي) وليست قولاً، ولكي يبين أن هذه جملة أمر قابلة للعصيان والطاعة وليست كلمة فقد أتبعها بالآية)فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم . (وليست كلمة نافذةً لا محالة.

ولو كانت جملة)قولوا حطة نغفر لكم خطاياكم (كلمةً من كلمات الله وليست أمراً لتناقضت مع قوله تعالى

)لا مبدل لكلماته (إذ كيف يقول)لا مبدل لكلماته (ويقول أيضاً)فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم (لذا فقد أفرد آية خاصة هي الآية 59 من سورة البقرة لكي يؤكد عدم التناقض.

وقد أكد هذه الناحية أيضاً في الآيتين 161-162 في سورة الأعراف)وإذا قيل له اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم ستريد المحسنين) (الأعراف 161. فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون ()الأعراف 162.

أما لماذا تكرر الموضوع نفسه مرتين في البقرة والأعراف فهو بحاجة إلى بحث خاص. أما قوله تعالى) :وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون) (النحل 51. (لنقارن هذه الآية مع الآية)ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) (الحج 26) أي أن وحدانية الله هي حقيقة موضوعية خارج الوعي الإنساني وأن التعددية غي ممكنة موضوعياً حيث أن أي تعددية هي باطل ووهم. فالأصنام هي حجارة خارج الوعي الإنساني وليست آلهة. لذا بدأت الآية بقوله: (قال الله .(

لنناقش الآن الصيغة التالية:

)قل هو الله أحد) (الإخلاص 1) هذه الصيغة هي صيغة أمر، فلو حذفنا منها فعل (قل) لأصبحت الصيغة (هو الله أحد) وهي صيغة خبر. وصيغة)قل هو الله أحد (ليست قرآنية، ولو حذفنا قل لأصبحت الصيغة قرآنية لأها خبر عن أكبر حقيقة موضوعية في الوجود وهي وحدانية الله. لذا فإن وضع صيغة قل أو عدم وضعها له أهمية كبيرة في الكتاب حيث أنه يُعد أحد المؤشرات لتحديد نوع الآية.

إن آيات القرآن والسبع المثاني كلها من الآيات المتشاهات وهي تمثل النبوة مع آيات تفصيل الكتاب. فما هي مواضيع القرآن؟

لقد قلنا: إن القرآن جاء من (قرن) وهو من جمع الجزء الثابت من قوانين الكون الموجود في (اللوح المحفوظ) مع الجزء المتغير الموجود في (الإمام المبين). لذا فإن القرآن يحتوي على موضوعين هما:

- 1 الجزء الثابت وفيه القانون العام للوجود المادي الثنائي والذي يتمثل في جدل هلاك شكل الشيء باستمرار وجدل تلاؤم الزوجين. ويعتبر التطور وتغير الصيرورة العمود الفقري لهذا الجزء، ويتمثل بالانفجار الكوني الأول وقوانين التطور حتى الساعة ونفخة الصور الأولى والثانية والبعث والحساب والجنة أي خط الوجود المادي كله مع خط تطوره الحتمي. هذا الجزء الذي له السيطرة التامة والمجد والذي قال عنه)بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ) (البروج 21-22). هذا الجزء ليس مناط الدعاء من قبل الإنسان ولا يمكن أن يتغير من أجل أحد وهو الذي يطلق عليه: (كلام الله القديم) والذي هو جوهر الوجود المادي وعينه والذي قال عنه) : لا مبدل لكلماته (وهذا الجزء هو مناط الفلسفة وهي أم العلوم.

- 2 الجزء المتغير وهو الذي أوحي من إمام مبين)إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) (يس 12). ويشتمل على:

أ - الجزء المتعلق بأحداث الطبيعة وظواهرها ويسمى آيات الله وقال عنه) : كتاب مبين . (وهذا الجزء هو مناط المعرفة الإنسانية بالطبيعة وهو مناط التصريف من الله والإنسان وهو مناط الدعاء لأنه غير ثابت ولكنه لا يخرج عن القانون العام وهو الجزء الذي قال عنه) : سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) (مريم 35) (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (يس 82) (مريم 35) (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (يس 82) (مريم 55) (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) كلام الله المحدث (إرادة الله الظرفية. (

ب - أحداث التاريخ الإنساني بعد وقوعها وهو الجزء الذي سمي)أحسن القصص" (الكتاب المبين" وفيه خط تطور التاريخ الإنساني بالنبوات والرسالات .فالتاريخ الإنساني الواعي هو معرفة وتشريع، وما نتج عن ذلك من نتاج مادي وعلاقات حضارية إنسانية. وبما أن الإنسان يحتاج إلى تراكم معرفي حتى تحصل قفزة تشريعية، فإننا نرى أن عدد الأنبياء يزيد ع عدد الرسل، فكل رسول هو بالضرورة نبي، ولكن ليس كل نبي هو بالضرورة رسولاً. وأضرب المثال التالي لكي نفهم هذه النقطة:

عندما دخلت أول سيارة إلى دمشق لم يواكب دخولها إصدار قانون للسير، أي أن قانون السير في دمشق لم يصدر مع دخول أول سيارة إلى دمشق، ولكن صدر القانون بعد أن تراكم عدد السيارات ومست الحاجة إلى تشريع جديد منظم للسير. فيجب أن نفهم النبوات والرسالات على هذا الوجه، فالنبوات قفزات معرفية، وعندما تتراكم هذه المعارف تحصل الحاجة إلى قفزات في التشريع "الرسالات"، ولهذا نرى أن عدد الأنبياء هو بالضرورة أكثر من عدد الرسل.

- 3القرآن هو الآيات البينات وهو تصديق الذي بين يديه (تصديق الرسالة(

ما هي البينة؟

البينة هي دليل مادي قابل للإبصار والمشاهدة، فإذا الهمنا إنساناً بالسرقة فعلينا أن نقيم الحجة عليه بالبينة أي بالدليل المادي. فما هي حجة الله على الناس؟

حجة الله أنه بلغ الناس رسالة "الأحكام" ودعم هذه الرسالة بالبينات التي هي دلائل مادية. بالنسبة لموسى أعطاه الله التوراة نبوة له، وأعطى عيسى الإنجيل كذلك .ودعم التوراة بينات من خارجه، ودعم الإنجيل بينات من خارجه. وأما موسى فأعطاه الله تسع آيات بينات)ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً) (الإسراء 101) (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً) (الإسراء 102.

لم يقل الله عن التوراة إلها آيات بينات إلا لألها جاءت بصياغة تتناسب مع الأرضية المعرفية لذلك الوقت أي تتناسب مع مراحل الوعي الإنساني منذ ثلاثة آلاف سنة. كما أن الله أعطى موسى بالإضافة إلى التوراة الكتاب والفرقان)وإذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم لهتدون) (البقرة 53). فالتوراة والفرقان والكتاب بحاجة إلى بينات، وهذه البينات مادية، سماها أولاً آيات وثانياً بينات، وعددها تسع وكانت دليل موسى لتصديقه بأنه مرسل من الله. فهذه الآيات هي: العصا واليد البيضاء والجراد والقمل والطوفان والضفادع والدم وشق البحر والرجز. هذه الآيات كانت بينات مادية شوهدت بالعين وبالحواس ولهذا قال عنها بصائر.

أما عيسى بن مريم فقد أعطاه الله بينات خارج الإنجيل، لذا قال)و آتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) (البقرة 87). فبينات عيسى بن مريم كانت مادية أيضاً وكانت قابلة للإبصار وهي)إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) (آل عغمران 49.(

لقد سمى الله سبحانه وتعالى آيات القرآن فقط بالآيات البينات دون أي شك وذلك بقوله) :وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائتِ بقرآنٍ غي هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبعُ إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) (يونس (15.(

ونحن نعلم أن مجموعة هذه الآيات البينات هي الحقيقة (الحق) (وإذا تتلى عليهم آياتنا بيناتٍ قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) (الأحقاف 7.(

نستنتج أن القرآن هو مجموع الآيات البينات (يونس 15) وأن الآيات البينات هي الحق (الأحقاف 7) ونلاحظ كيف عطف الحق على الكتاب حيث قال تعالى)المر تلك آيات الكتاب والذي أوحي إليك من ربك الحق ... الآية) (الرعد 1). وكيف أن الحق ليس كل الكتاب في سورة فاطر)والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير) (فاطر 31.

وعندما جاءت الآيات البينات للرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم قال عنها أعداؤها: إنها سحر في قوله) إني لأظنك يا موسى مسحوراً) (الإسراء 101) ونرى أيضاً أن الآيات البينات التي هي القرآن قال عنها الذين كفروا: إنها سحر أيضاً في قوله)وإذا تتلى عليهم آياتنا بيناتٍ قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) (الأحقاف 7.(

ونتساءل هنا: لماذا يقولون عن الآيات البينات إنها سحر؟

يجيب بعضهم ألها سحرهم بجمالها وألها سحر لألها جميلة لا تقلد لقد فهموا الإعجاز جمالاً!... وليس لهذا علاقة بالجمال لا من قريب ولا من بعيد.

لقد قالوا عن آيات موسى إنها سحر الأنهم شاهدوها مشاهدة فؤادية (بالحواس (ولكن لم يفهموا كيف

حصلت، فعندما شق موسى البحر بعصاه، شاهد هذه العملية الناس الذين معه دون أن يستوعبوا ما هي القوانين التي تمت حتى شق البحر . فالسحر هو مشاهدة الظاهرة بالحواس دون فهم القوانين التي تحكم هذه الظاهرة. فإذا أحضرت ماء فيه بعض المواد الكيميائية ووضعت فيه ورقة بيضاء فتلونت وصارت حمراء، فإن الذي يجهل علوم الكيمياء يقول عن هذا إنه سحر . وهذا فعلاً ما قاله العرب عندما سمعوا القرآن. أي ألهم سمعوا كلاماً عربياً دون فهم المحتويات والقوانين المبطنة في هذا الكلام. لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن) (الجامع الصغير 1 ص107. (أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن) (الجامع الصغير 1 م107. (المرث وآية الصلاة وآية الوضوء وآية الصوم وآية المحرمات من النساء إنما سحر علماً بأنما ذات صياغة فنية رائعة. هذه الآيات وكل آيات أم الكتاب ليس فيها أي سحر ولا يوجد فيها بطن وظهر. ولكن الآيات التي قالوا عنها إنما سحر هي كالآيات)إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا العشار عطلت) (التكوير 1 - 2 - 3 - 4) أو)مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان) (الرحمن 19 - 20) أي عن آيات القرآن.

لقد علمنا أن موسى قد أوتي تسع آيات بينات. فما عدد الآيات البينات التي أعطيت محمد صلى الله عليه وسلم؟ لقد أعطي محمد صلى الله عليه وسلم آيات بينات كثيرة ، لأن كل آيات القرآن آيات بينات. وهنا تم دمج الآيات البينات مع النبوة ، أي أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن ، والآيات البينات هي القرآن أيضا ، في حين أن هذا لم يحصل مع الأنبياء من قبله فنبوة موسى هي التوراة . والآيات البينات التي جاءت إلى موسى هي تسع آيات خارج التوراة . وكذلك عيسى بن مريم جاءته الآيات البينات مفصولة عن الإنجيل الذي هو نبوة عيسى . وهكذا يتبين لنا الفرق الكبير بين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبين نبوة موسى وعيسى، ويتبين لنا عظمة النبوة عند محمد صلى الله عليه وسلم .

ولعظم هذه النبوة جاء المقام الرفيع للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى) :إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) (الأحزاب 56). هنا قال (يصلون على النبي) ولم يقل (يصلون على الرسول) وذلك للعلو العظيم لمقام نبوته. ونرى بهذا الصدد أن العرب منذ أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا قد اهتموا برسالته وهجروا نبوته. ولكن اهتم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم كل معاهد الأبحاث العلمية والجامعات في العالم، لأن نبوته هي قوانين الحقيقة الموضوعية المادية والتاريخية)بالإضافة إلى وحدانية الله) وهذا ما تمتم به المعاهد والجامعات وما بحث فيه كل فلاسفة العالم قاطبة ابتداء من أرسطو وأفلاطون، مروراً بكانت وانجلز وهيجيل وديكارت.

سميت (الآيات البينات) بيناتٍ لأنها موجودة أو حصلت خارج الوعي الإنساني لذا فهي قابلة للإبصار أو لأن عقل. فعندما عرض موسى الآيات البينات التسع على فرعون قال عنها: بصائر. فهل الآيات القرآنية هي

بصائر كآيات موسى التسع؟ أي قابلة للإبصار؟ أي أن تأويل الآية النهائي هو إبصارها. والإبصار هو التأويل الحقيقي النهائي بعينه أي تحويل الآية من علم إخباري إلى علم نظري يدعمه العلم الحسي فيما بعد أو تحويل الآية مباشرة إلى علم حسي. هذه هي الناحية التي أغفلها المسلمون عند وضعهم لقواعد التأويل. فتأويل الآية هو مطابقتها مع الحقيقة الموضوعية (إبصارها) أي مطابقتها مع العقل واستنتاج قانون مجرد قابل للإبصار فيما بعد. لقد أدى إغفال هذه الناحية إلى دخول الفلسفة الصوفية في تأويل القرآن، فحولت العقيدة الإسلامية إلى التفكير الخرافي الوهمي .

وما زلنا نعيش هذه المأساة إلى يومنا هذا، حيث ورثنا مسلمات عقائدية تظن ألها قرآنية وهي لا تمت إلى القرآن بصلة وليست أكثر من مجرد أوهام. لذا علينا إعادة النظر بالمسلمات التي نظن ألها إسلامية وهي ليست كذلك. هذه المسلمات التي توجهنا ضمن عقلنا الباطن والتي صيغت عليها عقلياتنا الظاهرة. ولا يمكن أن تحل هذه المشكلة إلا إذا أعدنا النظر في الأطر العقائدية التي ورثناها. ويجب أن تتم إعادة النظر هذه قبل إعادة النظر في الأطر الفقهية التشريعية، لأن حل المشكلة العقائدية يؤدي بشكل آلي إلى حل الأزمة الفقهية. أي علينا إعادة النظر في أمور مهمة مثل مقولات ثبات الأعمار، ثبات الأرزاق، هل الأعمال مكتوبة أو غير مكتوبة؟ الحرية الإنسانية (القضاء والقدر)، نظرية المعرفة الإنسانية، والمعرفة الإلهية ،إذ لا أمل لنا في الخروج من أزمة تخلفنا دون حل هذا الإشكال.

لقد قلنا: إن الآيات البينات التي جاءت لموسى هي بصائر. فهل آيات القرآن التي هي آيات بينات هي بصائر أيضاً؟

نعم هذا ما قاله تعالى بالضبط)قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) (الأنعام) (104وإذا لم تأهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (الأعراف 203) ونرى أنه بعد أن ألهى هذه الآية في سورة الأعراف أتبعها بقوله)وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) (الأعراف 204) لاحظ هنا قوله: (إذا قرئ) ولم يقل (إذا تلى) أي ذكر القراءة ولم يذكر التلاوة وشتان في المعنى بين القراءة والتلاوة.

وكذلك ورد هذا البرهان في الآية رقم 1 في سورة النور وهي)سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون (فقوله هنا) :وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون (فقوله هنا) :وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون أما باقي الآيات فهي آيات من نوع آخر من الآيات المحكمات أو تفصيل الكتاب.

لنتصفح الآن سورة النور، نرى فيها أحكاماً وبياناً لأحكام حتى نصل إلى الآية رقم 35 التي تبدأ بقوله تعالى: الله نور السموات والأرض ... الآية) فنرى أن هذا الآية يختلف موضوعها عن الآيات السابقة وتستمر الآيات حتى رقم 45 التي تقول): والله خلق كل دابةٍ من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى

على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير .(ثم نرى أن الآيات التي تلى هذه الآية إلى آخر سورة النور هي مواعظ وأحكام ما عدا الآية الأخيرة .

لذا يجب علينا أن ننتبه دائماً إلى الآيات في بدايات السور لأنه قد يكمن فيها إشارة إلى محتويات السور ومواضيعها كقوله تعالى) :تلك آيات الكتاب المبين) (الشعراء (2فإذا سألت علماءنا: ما هو الكتاب المبين؟ يقولون لك مباشرة هو القرآن، إذاً فلماذا عطف (كتاب مبين) على القرآن في أول سورة النمل)طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) (النمل 1)؟ إن الانتباه إلى هذه الآيات يعتبر من المفاتيح الأساسية في فهم محتويات الكتاب.

وهكذا توصلنا إلى أن القرآن هو الآيات البينات، وهو في الوقت نفسه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كله (أنباء عن حقائق) وهو بصائر، وهو الحق، وهو الذي قالوا عنه: إنه سحر مبين، وهو الذي يشكل جزءاً كبيراً من آيات الكتاب، وكل آياته من المتشابحات، مضافاً إليه السبع المثاني التي تحمل مطلق الحقيقة في صياغتها ونسبية الفهم من الناس، (أي المطلق في المحتوى والنسبية في الفهم). وهذه النسبية إما فلسفية أو علمية أو مجردة.

بقي أن نفهم أنه سبحانه وتعالى قال عن القرآن) :تصديق الذي بين يديه) (يونس 37-يوسف 111). وذكر مصطلح: (تفصيل الكتاب) (يونس 37). فما هو الذي بين يديه وما هو التفصيل؟

لنرجع الآن إلى الآيات التي ورد فيها تصديق الذي بين يديه:

)والذي أوحينا إليك من الكتاب ه الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير) (فاطر 31). (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ()يونس 37.

في هذه الآية من سورة يونس يقول عن القرآن إنه تصديق الذي بين يديه ثم يقول في الآية رقم 39)بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) لاحظ قوله: (ولما يأتهم تأويله (علماً أن الحديث في الآيتين السابقتين عن القرآن، حيث أن القرآن كله متشابه وكله قابل للتأويل، لا للتفسير) لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (يوسف 111 .(

لاحظ قوله) :وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) (يونس 37) (وما كان حديثاً يفترى) (يوسف 111) وقوله) :وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند رجم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين) (سبأ 31) ولاحظ قوله) :ولكن تصديق الذي بين يديه) (يونس 37) (ولكن تصديق الذي بين يديه) (يوسف 111) ولاحظ قوله) :وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) (يونس 37)

لقد قلنا: إن نبوة موسى هي التوراة، ورسالته الكتاب والفرقان (وإذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم متدون) (البقرة 53). ونبوة عيسى الإنجيل، ورسالته الكتاب والحكمة، وهي تعديل لكتاب موسى. وكانت نبوة موسى ورسالته ونبوة عيسى ورسالته بحاجة إلى تصديق، وجاء التصديق خارجاً عن النبوة وعن الرسالة وذلك بما سماه الآيات البينات .وبالنسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم كانت نبوته القرآن والسبع المثاني وتفصيل الكتاب، ورسالته أم الكتاب "الأحكام". فلو كان الأمر على غرار موسى وعيسى لآتته الآيات البينات من خارج النبوة والرسالة وهذا ما طلبه العرب من محمد صلى الله عليه وسلم تماماً) :ولقد صرفنا البينات من خارج النبوة والرسالة وهذا ما طلبه العرب من محمد صلى الله عليه وسلم تماماً) :ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبي أكثر الناس إلا كفوراً) (الإسراء 98) .(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً) (الإسراء 90) (أو تكون لك جنة من نحيل وعنب فتفجر الأنمار خلالها تفجيراً (91)أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله واللاتكة قبيلاً) (92) (أو يكون لك بيت من زخرفٍ أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تتريل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً .(93) (لاحظ في هذه الآيات أن الحديث عن القرآن، وأن القرآن لم يفهمه العرب على أنه آيات بينات بل طلبوا الآيات البينات المادية المباشرة من خارج القرآن، أو عوضاً عن القرآن.

إن مصطلح "الذي بين يديه" في اللسان العربي تعني دائماً الحاضر ولا تعني الماضي. فالقرآن هو الآيات البينات، وهو تصديق الذي بين يديه. والهاء في " بين يديه "إما أن تعود على القرآن أو تعود على الله سبحانه وتعالى. فما الذي كان بين يدي الله أو بين يدي القرآن حين نزوله وبحجة إلى بينة؟ الشيء الوحيد الذي كان يوجد حين نزول القرآن هو الأحكام "الرسالة". فالقرآن جاء مصدقاً لأم الكتاب وهي التي سماها الله" كتاب الله . "لأن الأحكام ليست بينات في ذاتما وهي قابلة للتقليد، وإنما بحاجة إلى بينات من خارجها. والبينات موضوعية مبصرة.

إني لأعجب تمام العجب كيف ظن الفقهاء والمفسرون أن الذي بين يديه هما التوراة والإنجيل فبذلك قصموا ظهر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حين أكدوا ألها ما جاءت إلا لتخبر الناس أن التوراة والإنجيل الموجودين في بداية القرن السابع الميلادي حين نزول القرآن هما صحيحان لا أكثر من ذلك ولا أقل من ذلك! وإذا كان هذا هو الهدف من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقط، فأعتقد أن أشد اليهود والنصارى تزمتاً وتعصباً سيؤيدون لك لأن بكلا من التوراة والإنجيل الحاليين هما نفس التوراة والإنجيل في القرن السابع والأجدر بنا حينئذ نحن المسلمين أن نعتنق اليهودية أو النصرانية!! لأن الهدف من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو تصديق العهد الجديد المعروفين في القرن السابع؟

إن" بين يديه "تعني الحاضر ولا تعني الماضي، وقد قالها صراحة في سورة آل عمران)نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان .. الآية) (آل عمران بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل هما اللذان بين يديه، مع أنه قال عنهما) :من قبل (؟ وكيف

يكون)من قبل (و)بين يديه (دالين لمدلول واحد؟ إذا كان الأمر كذلك، فليس لهاتين الآيتين معنى! وحاشى لله.

إن حجة المفسرين على أن "بين يديه" تعني التوراة والإنجيل هي الفهم الخاطئ للآيات التالية عن عيسى بن مريم)ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآيةٍ من ربكم فاتقوا الله وأطيعون) (آل عمران 50.(

ويتضح الخطأ في الفهم بما يلي: إن نبوة عيسى عليه السلام في الإنجيل هي استمرارية لنبوة موسى في التوراة، وليست ناسخةً لها كما أن شريعة عيسى هي نفس شريعة موسى مع بعض التعديلات)ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم (وقد فهمهما أهل الكتاب هكذا. ولهذا فإننا نرى اليوم أن الكتاب المقدس عند النصارى يحتوي على أربعة مواضيع وهي)ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) (آل عمران 48)، (شريعة موسى معدلة + الوصايا + التوراة + الإنجيل) لذا فإن هذه المواضيع الأربعة مع بعض تسمى (الكتاب المقدس.(

ولو كان القرآن مصدقاً لما قبله بهذا المفهوم للزم بالضرورة أن يحتوي الكتاب عند المسلمين ما يلي: كتاب موسى (الشريعة) + التوراة + الإنجيل + القرآن + شريعة محمد (أم الكتاب) + الوصايا (الفرقان). وليس الأمر كذلك، بل جاء الكتاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم ناسخاً لما قبله لا مصدقاً بالمفهوم السابق، أي أن كل ما جاء قبل محمد صلى الله عليه وسلم من نبوات داخلٌ في قوله تعالى) :من قبل هدى للناس (لا الآن، وكل ما جاء في الرسالات هو حالات خاصة من أم الكتاب.

ولنوضح الآن الصورة بشكلها النائي فنقول:

أراد الله سبحانه وتعالى أن يبلغ رسالته للناس (الأحكام) ليبين لهم فيها الفرق بين الحرام والحلال، ويبين لهم فيها العبادات والأخلاق وقواعد السلوك الإنساني. هذه الأحكام بمجموعها تسمى "كتاب الله"، وهي بحاجة إلى توقيع ممن أرسلها أي أن تكون مصدقة منه "التوقيع والختم" ليعلم الناس ألها من عنده. فوقع سبحانه وتعالى على هذه الرسالة بتوقيعه وكان توقيعه "القرآن والسبع المثاني" حيث جعل حقيقة الوجود تصديقاً لقواعد السلوك. فالرسالة هي كتاب الله "الأحكام"، والنبوة "القرآن" وفيه كلام الله "قوله الحق" الذي هو القوانين المطلقة للوجود. فصدق القرآن كتابه الذي هو قواعد السلوك الإنساني. ولله المثل الأعلى.

يشتمل كتاب الله "الرسالة" على:

- 1 الحدود.
- 2العبادات.
- 3الأخلاق (الفرقان.(
- 4 تعليمات عامة و خاصة.

وجاءت المصادقة على صحة الرسالة بواسطة "النبوة" التي تتألف من:

- 1القرآن العظيم.
- 2وسبع من المثاني.

فرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم فرقت بين الحلال والحرام في السلوك الإنساني. ونبوته فرقت بين الحق والباطل "الحقيقة والوهم" في الوجود الموضوعي. وشتان بين الاثنين! إن الخطيئة القاتلة التي يرتكبها المسلمون اليوم ألهم لا يفرقون بين قواعد السلوك وحقيقة الوجود، أي ما بين الذاتي والموضوعي. فالرسالة فيها الذاتي، والقرآن فيه الموضوعي. أي أننا يجب أن نفرق بشكل واضح لا لبس فيه بين القانون الموضوعي والقيمة الأخلاقية، فلا نضع القيمة الأخلاقية بديل القانون الموضوعي. إن كل الأخلاق الفاضلة في الدنيا لا تستطيع أن تصمد مقابل الحقيقة الموضوعية، وإن الحقيقة المادية لا تواجه بالتقوى والأخلاق. وما خيبات الأمل المتتالية التي نصاب بها، وما التشويش الفكري وضيق الأفق إلا نتيجة مباشرة لآفة عدم التفريق بين القانون الموضوعي والقيمة الأخلاقية.

- 4القرآن هو الكتاب المبارك

البركة في اللسان العربي تعني التكاثر والتوالد، وتعني الثبات كأن نقول مبرك الناقة وبركة الماء "الماء الراكد". ووصف الكتاب بأنه "مبارك" يعني "أثابت النص". مطلقة تفهم فهماً نسبياً، لذا فإن حركة المحتوى فيه دائمة "التبديل والتغيير"، فالعلماء يستنبطون من القرآن نظريات علمية على مر الزمن، والصحابة فهموه حسب أرضيتهم العلمية، وبما أن معلومات الإنسان صاعدة إلى الأعلى بشكل دائم فإنه على مر السنين سترى الأجيال معلومات جديدةً في القرآن لم تكن الأجيال السابقة تعرفها. وهكذا فحسب نمو المعرفة الإنسانية تتولد المعلومات الجديدة والنظريات الجديدة، والنص القرآني يستوعبها كلها، ولهذا سمى القرآن كتاباً مباركاً.

أما الأحكام فتحمل صفة الثبات في النص والمحتوى والحركة ضمن حدودها لأن آية الوضوء فهمها الصحابة كما نفهمها نحن على حد سواء. ومنذ أن نزلت آية الوضوء إلى أن تقوم الساعة فإن الوضوء هو الوضوء ولا يمكن أن يتغير فهم هذه الآية، وكذلك آيات الإرث فقد فهمها الصحابة وطبقوها وقوفاً عليها كما نطبقها نحن الآن علماً بألها آيات حدودية ويمكن التحرك ضمنها دون تجاوزها .وهكذا الحال بالنسبة للأجيال التي بعدنا. لذا قال عن القرآن)وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) (الأنعام 155. التقوى اتباع الحلال وترك الحرام، فهي في أم الكتاب لألها سلوك إنساني وليست معرفة الوجود، وبما أن القرآن في بين الحق والباطل والرسالة فرقت بين الحلال والحرام، فإن القرآن ليس له علاقة بالتقوى. لذا قال كلمة)واتقوا) بعد كلمة (فاتبعوه.(

هنا أريد أن أؤكد على نقطة في غاية الأهمية وهي أن القرآن كتاب الوجود المادي والتاريخي، لذا فإنه لا

يحتوي على الأخلاق ولا التقوى ولا اللياقة ولا اللباقة، ولا تنطبق عليه عبارة "هكذا أجمع الفقهاء" و"هكذا قال الجمهور". إننا في القرآن والسبع المثاني غير مقيدين بأي شيء قاله السلف، إننا مقيدون فقط بقواعد البحث العلمي والتفكير الموضوعي وبالأرضية العلمية في عصرنا، لأن القرآن حقيقة موضوعية خارج الوعي فهمناها أو لم نفهمها، قبلنا بها أو لم نقبل. والشيطان حين محاولة فهم القرآن يدخل فينا من خلال الأخلاق واللياقة واللباقة.

فالقرآن حقيقة موضوعية مادية وتاريخية لا تخضع لإجماع الأكثرية حتى ولو كانوا كلهم تقاةً، ويخضع لقواعد البحث العلمي حتى ولو كان الناس كلهم غير تقاة. وعلينا أن نكسر هذا الحاجز الوهمي المبني على عبارة "هذا ما قاله الجمهور" أو "هذا ما أجمع عليه الجمهور -جمهور الفقهاء". لذا قال عن الكتاب)هدى للمتقين () البقرة 2) وعن القرآن)هدى للناس) (البقرة 185.

- 5أسباب الترول هي للأحكام ولتفصيل الكتاب، وليس للقرآن أسباب نزول

بما أن القرآن علم بالحقيقة الموضوعية "الموجودة خارج الوعي الإنساني ''وفيه قوانين الوجود وقوانين التاريخ، نستنتج بالضرورة أن له وجوداً مسبقاً عن التتريل. لذا قال تعالى عن القرآن) :قرآن مجيد * في لوح محفوظ () البروج 21-22) وهو القوانين العامة الناظمة للوجود منذ الانفجار الكوني الأول وحتى البعث والجنة والنار والحساب، وأنه في إمام مبين وذلك بالنسبة لأحداث الطبيعة الجزئية "ظواهر الطبيعة" المتغيرة وأحداث التاريخ بعد وقوعها. ولم يقل ذلك أبداً عن أم الكتاب ولا عن الذكر ولا عن الفرقان .وهذا يجرنا إلى الموضوع التالي: ما هو "اللوح المحفوظ" و"الكتاب المكنون ''و"الإمام المبين"؟

-اللوح المحفوظ: هو لوحة التحكم في الكون الذي نشأ فعلاً، وقد برمج القرآن المجيد في داخلها. ويمثل اللوح المحفوظ.(INFORMATION IN ACTION):

-الكتاب المكنون: هو البرنامج الذي بموجبه تعمل قوانين الكون العامة كمعلومات

(INFORMATION).

-الإمام المبين: فيه قوانين الطبيعة الجزئية (ظواهر الطبيعة المتغيرة) آيات الله. وفيه أرشفة الأحداث التاريخية بعد وقوعها) إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) (يس 12). من هذا الإمام المبين جاءت قصص القرآن، لذا سماها "الكتاب المبين" ففي أول سورة يوسف الآية (1) جاءت) الرتلك آيات الكتاب المبين (وفي أول سورة القصص الآية (1-2) (طسم * تلك آيات الكتاب المبين (وفي أول سورة الشعراء الآية (1-2) (طسم * تلك آيات الكتاب المبين (فإذا أخذنا محتويات هذه السور الثلاث نراها كلها قصص أحداث تاريخية.

أما إذا أخذنا سورة النمل فنراها تبدأ (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين (فإذا نظرنا إلى محتويات السورة نرى أن فيها آيات كونية وقصصاً معاً وجاء فيها ذكر "كتاب مبين" الآية رقم 75) وما عن غائبةٍ في السماء

والأرض إلا في كتاب مبين . (لذا نجد هنا عطف "كتاب مبين" على "القرآن" من قبيل عطف الخاص على العام.

ولهذا فإن القرآن ليس له أسباب نزول وقد قال عنه إنه أنزل دفعة واحدة عربياً وفي رمضان)شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ... الآية) (البقرة 185(،) إنا أنزلناه في ليلة القدر) (القدر 1.(

- 6مصطلح (الحديث) للقرآن فقط

عرفنا أن القرآن هو النبوة وأنه "الحقيقة". ولكن لماذا قال تعالى عنه: إنه "الحديث"؟) :ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه) (يوسف 111) (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) (القلم 44) (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) (الواقعة 81) (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) (النساء 78) (فبأي حديث بعده يؤمنون) (المرسلات 50) (هل أتاك حديث موسى) (النازعات 15) (هل أتاك حديث الجنود ()البروج 17.

الحديث مشتق من فعل "حدث". والحدث هو واقعة ذات شقين: إما واقعة إنسانية)هل أتاك حديث موسى (أو واقعة كونية) :أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون) (الأعراف 185)، أي حدث إنساني أو حدث كوني. والقرآن قرن الأحداث الكونية الكلية والجزئية مع الأحداث الإنسانية "القصص القرآني، أحسن القصص" لذا سمي حديثاً وسمى قرآناً.

سمي حديثاً لأن فيه أحداث الكون والإنسان "التاريخ" والقوانين الناظمة للمادة والقوانين الناظمة للتاريخ الإنساني وربطهما بعضهما ببعض في قوله) :نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ... الآية) (يوسف 3.(

وسمي قرآناً لأن القرآن جاء من "قرأ" وعلى قول بعضهم من "قرن" وكلاهما يعني الجمع والمقارنة، كأن تقول قرأت الماء في البئر أي جمعته، أو قوله تعالى) : والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) (البقرة 228) فالقرء هو جمع فترة الطهر مع فترة الحيض. والأساس في اللسان العربي هو فعل "قرن"، فعند ابن فارس نرى أن فعل "قرأ" اشتق من فعل "قرن"، ومن هنا جاء معنى القراءة عند العرب وهو العملية التعليمية، لأنما لا تكون إلا بالمقارنة أي مقارنة الأشياء بعضها ببعض، لذلك لا تقول العرب قراءة إلا على العلم كقولهم "قرأت العلم على فلان"، هنا يجب أن نميز بين القراءة والتلاوة، فالمذيع في التلفاز يتلو الأخبار ولا يقرؤها، والأستاذ في الجامعة يقرأ المحاضرة ولا يتلوها .

فالتلاوة هي إعادة لفظ نص بحرفيته، دون شرح ولا تعليق وبشكل متتال ومنه جاءت التلاوة، فإذا أراد المذيع في الإذاعة أن يقرأ الأخبار عوضاً عن تلاوتها فهذا يعني أن يشرح الخبر ويعلق عليه ويقارنه بأخبار وأحداث أخرى وذلك بمدف تفهيم السامع. وإذا أراد الأستاذ في الجامعة أن يتلو المحاضرة عوضاً عن قراءتما فهذا يعني أن يفتح الكتاب ويتلو النص بالتتالي كما جاء في الكتاب دون أي تعليق وأي شرح وأي مقارنة. فالتلاوة يقابلها باللغة الإنكليزية (Citation) والقراءة يقابلها.(Reading)

هنا يجب أن نفهم قوله تعالى)وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترجمون) (الأعراف 204) أي عندما يأتي شخص ويشرح القرآن فأنصتوا له، هذه الآية من القراءة وليست التلاوة. وكذلك نفهم قوله تعالى) :فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) (النحل 98) أي إذا أراد الإنسان أن يفهم القرآن فعليه الاستعاذة بالله من الشيطان، لأن الشيطان يدخل في الإنسان حين يريد فهم آيات القرآن "تأويلها."

أما التلاوة فهي لفظ الآيات بالتتالي وتختلف عن القراءة فنقول عن القرآن إنه المتعبد بتلاوته، فالكتاب كله يتلى)إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة .. الآية) (فاطر 29) (إنما أمرت أن أعبد ربَّ هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين * وأن أتلو القرآن) (النمل 91-92).هنا نلاحظ كيف ذكر التلاوة لكتاب الله وللقرآن وعن الكتاب كله قال)الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ()البقرة 121.

- 7 القصص من القرآن وهي الكتاب المبين

قلنا: إن القرآن هو الحديث وأنه جاء من قرن قوانين أحداث الطبيعة مع أحداث التاريخ بعد وقوعها حيث أنها أخذت صفة الحتمية بعد وقوعها لا قبله. أي قرن بين القوانين الناظمة لأحداث الطبيعة والقوانين الناظمة لأحداث التاريخ.

لنرجع الآن لأول قصة يوسف:

)الر تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) (يوسف 1-3). في أول السورة اسم إشارةٍ لآيات السور حيث قال: (تلك آيات الكتاب المبين) ثم ذكر القرآن بعد الكتاب المبين. وربط القصص بوحي القرآن) بما أوحينا إليك هذا القرآن" .(بما" هنا جاءت بمعنى "بالذي" وليؤكد أن القصص من القرآن قال) :وإن كنت من قبله لمن الغافلين (فالهاء هنا تعود على القرآن. فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل الوحي كان غافلاً عن قوانين التاريخ وأحداثه معاً.

ثم نرى في آخر قصة يوسف قوله تعالى) :لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه) (يوسف 111.(

فالحديث هو القرآن لأنه قرن أحداث الكون مع أحداث التاريخ. وسورة يوسف كلها قصص، والقرآن هو

التصديق)وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه) (يونس 37). لنأخذ الآن الآيات التالية:

- -أول سورة يوسف)الر تلك آيات الكتاب المبين. (
- -أول سورة الشعراء)طسم * تلك آيات الكتاب المبين. (
- -أول سورة القصص)طسم * تلك آيات الكتاب المبين. (
- -أول سورة النمل)طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين. (

ففي سورة يوسف والشعراء والقصص نرى أن محتويات السور كلها قصص لذا قال)تلك آيات الكتاب المبين . (أما في سورة النمل ففيها قصص وكونيات معاً أي فيها من مواضيع القرآن كاملة قصص وكتاب مبين لذا عطف كتاباً مبيناً على القرآن، أي الخاص على العام.

- 8السبع المثاني

بقي علينا أن نوضح ما هي السبع المثاني) :ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) (الحجر 87. (- 1 لقد عطف القرآن على السبع المثاني فهذا يعني أن القرآن شيء والسبع المثاني شيء آخر، وأن السبع المثاني ليست جزءاً من القرآن وقد وضعها الله سبحانه وتعالى قبل القرآن حيث ميزها عليه بالأفضلية من ناحية المعلومات.

- 2لا يمكن أن يكون القرآن جزءاً من السبع المثاني، لأن السبع المثاني سبع آيات، والقرآن أكثر من ذلك.
- 3وجب أن يكون هناك تجانس ما بينهما حتى يتم عطف أحدهما على الآخر، فإذا تم عطف القرآن على أم الكتاب، فوجه التجانس بينهما ألهما موحيان من الله ... وهكذا نرى عندما عطف)ثيباتٍ وأبكاراً) (التحريم 5) أن الثيب غير البكر ولكن كلاهما من النساء.

ونقول الآن: بما أن القرآن العظيم هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والنبوة علوم، فهذا يعني أن السبع المثاني هي من النبوة وفيها علوم. و هكذا نفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم إن صح "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود انظر مختصر تفسير ابن كثير ج1 ص12" ما هو إلا تعليق على هذه الآية. فإذا كانت السبع المثاني هي مثل القرآن فهذا يعني أن المعلومات الواردة فيها لا تقل كمّاً ونوعاً عن المعلومات الواردة في القرآن، ولكن جاءت بطريقة تعبيرية مختلفة عن طريقة القرآن.

- 4 لقد ميز السبع المثاني عن القرآن بأن أطلق عليها مصطلح (أحسن الحديث) وذلك في قوله) :الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربحم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذكل هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد) (الزمر 23). فقد أطلق على القرآن مصطلح الحديث، وأطلق على السبع المثاني مصطلح أحسن الحديث، حيث أنه تم تمييزها، وهذا التمييز بأن

القرآن آيات متشابهات فقط، وأحسن الحديث يحمل بالإضافة إلى التشابه صفة المثاني)كتاباً متشابهاً مثاني(، أما القرآن فكتاب متشابه فقط. فما هي المثاني؟

جاء في مقاييس اللغة ما يلي: "الثاء والنون والياء أصل واحد، وهو تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين". وجاء فيه: "المثناةُ :''طرف الزمام في الخشاش". وإنما يثنى الشيء من أطرافه فالمثاني هي الأطراف ..ومن هنا كان لكل سورة مثناة أي طرف فالمثاني إذاً أطراف السور وهي إذاً فواتحها.

يبدو لنا أنه من خلال الأولى أن نسمي الفاتحة بالسبع المثاني، لأن الفاتحة هي سبع آيات في فاتحة واحدة هي فاتحة الكتاب. ولكن السبع المثاني هي سبع آيات، كل منها فاتحة. أي هي سبع آيات وهي في الوقت نفسه سبع فواتح. فيبقى احتمال واحد. بما أن الكتاب واحد، وبما أنه مؤلف من 114 سورة، فيلزم أن تكون السبع المثاني هي سبع فواتح للسور، كل منها آية منفصلة في ذاتما .فإذا نظرنا إلى فواتح السور نرى فيها السبع المثاني وهي:

- 1 الم، 2 - المص، 3 - كهيعص، 4 - يس، 5 - طه، 6 - طسم، 7 - حم. فإذا سأل سائل: ما هي إذاً: الر، المر، طس، ن، ق، ص؟

أقول: هذه حروف كل منها جزء من آية، وليس آية منفصلة تامة في ذاتها. فالآية الأولى في سورة نون هي)ن والقلم وما يسطرون . (أما الآية الأولى في سورة البقرة فهي (الم)، وأما)عسق (فهي ليست فاتحة لسورة، لأنها الآية الثانية في سورة الشورى، والآية الأولى هي (حم) فإذا نظرنا إلى عدد الحروف "الأصوات" الموجودة في الآيات السبع المذكورة أعلاه نراها تتألف من "11" أحد عش حرفاً "صوتاً" هي:

- 1 الألف، 2 - اللام، 3 - الميم، 4 - الصاد، 5 - الكاف، 6 - الهاء، 7 - الياء، 8 - العين، 9 - السين، 10 - الطاء، 11 - الحاء.

وإذا أخذنا بقية الحروف "الأصوات" الموجودة في الر، المر، طس، عسق، ن، ق، ص، والتي لا تشكل آيات منفصلة في ذاتما كبداية وفيها آية واحدة ليست كبداية هي عسق، فنرى أن فيها ثلاثة حروف "أصوات" غير موجودة في آيات السبعة الفواتح وهي:

- 1 القاف، 2 - الراء، 3 - النون.

فمن هذه الأصول تتألف كلمة "القرآن" لأن كلمة القرآن مشتقة من "قرأ" ومعنى "ق ر أ" الجمع كما في المقاييس، وكذا معنى "ق ر ن"، وعليه فالقراءة والقرن جمع وفيها استقراء ومقارنة. وإذا أضفنا الحروف "الأصوات" الثلاثة الإضافية إلى السبعة الفواتح التي تشتمل على أحد عشر حرفاً، يصبح المجموع أربعة عشر حرفاً "صوتاً" مختلفاً أي "7 × 2" وهذه هي أيضاً سبع مثان.

فما هي إذن "جوامع الكلم" التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله، إن صح "أعطيت جوامع الكلم" و"اختصر لي الكلام اختصاراً؟ لقد طغى على الأذهان أن هذين التعبيرين يراد بهما البلاغة النبوية،

و نقول:

إن الكلام في اللسان العربي يعني الأصوات، وإن كل كلام الناس قاطبة هو أصوات، وإن نشأة الألسن هي نشأة صوتية. وإن السبع المثاني ما هي إلا حروف أي أصوات هي جوامع الكلم وهي "اختصار الكلام". إذ لو عنت "جوامع الكلم ''البلاغة النبوية كما يقول بعضهم، فإنا نستنتج بالضرورة أن القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم لأنه إلى الآن لم يقلده أحد، فيصبح القرآن هو بلاغة محمد صلى الله عليه وسلم وعلينا أن نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على بلاغته بشراً، وبلاغته فيهم بلاغة متميزة مع أنما مألوفة، وحين ندّعي أنه يفوق ببلاغته البشر، نفسخ الطريق لمتهم يظن أن القرآن من صنعه،)قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى) (الكف 110.

إن الذي أوقعنا في هذا الإشكال هو أننا لم نفرق بين الكلام والقول .فالبلاغة في القول لا في الكلام. فالكلام أصوات يصدرها الإنسان، والقول معنى هذه الأصوات في الذهن.

فأول ما نستنتجه من حروف "أصوات" السبع المثاني ما يلي:

- 1 ألها أعطت مقاطع صوتية يتألف منها أصل الكلام الإنساني وليس اللغة العربية فقط.
- 2أن عدد الأصوات الأحد عشر في الآيات السبع الفواتح تشكل الحد الأدنى لأي كلام إنساني، أي أنه لا يمكن أن توجد لغة إنسانية يقال عنها لغة، إلا إذا كانت أصواها الأصلية من أحد عشر صوتاً على الأقل. ويؤيد هذا ما توصل إليه المحدثون من علماء اللغويات واللسانيات من أن العدد (11) يشكل الحد الأدنى لأية لغة إنسانية معروفة في العالم ويمثلون لها بلغة البروتوكاس Protokasوهي لغة أهل سيشل.
- 3أن الأصوات تحمل الصيغة الكونية، فلو كانت هناك مخلوقات عاقلة في الكون فطريقة التواصل معها هي طريقة صوتية بالضرورة.
- 4 لقد أكد الكتاب أنه توجد مخلوقات حية "فيها العاقل وغير العاقل" في هذا الكون، وليس في الأرض فقط، وأن العاقل منها سيجتمع بعضه مع بعض في المستقبل، وذلك في قوله تعالى)ومن آياته خلق السموات والأرض وما ثبت فيهما من دابةٍ وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) (الشورى 29 .(

فقد وضع الدابة في السموات والأرض وهي م دبّ، يدبّ على الأرض وهو أي كائن حي بما في ذلك الإنسان أو أي كائن عاقل، ووضع قانون التطور أنه أصل الخلق في الوجود كله في قوله (وما بث فيهما من دابة) ووضع الاجتماع للعاقل فقط من الدواب في قوله) على جمعهم' (الميم جمع للعاقل فقط"، وهذا الاجتماع ممكن في المستقبل (إذا يشاء.(

ويحق لي الآن أن أخمن دون أن أقطع، أنه إذا ما تيسر لنا لقاء بعقلاء في كوكب آخر غير الأرض ثم أردنا أن نتفاهم معهم أو نبث إليهم فعلينا أن نستعمل هذه الأصوات الأحد عشر لأنني أعتقد أنها القاسم المشترك للأصوات التي يمكن أن تصدر عن العقلاء، والله أعلم.

الفصل الثاني النبوة والرسالة

- 1القرآن (النبوة) هو الموضوعي (Objective) وأم الكتاب (الرسالة) هي الذاتي(Subjective)

لقد قلنا: إن القرآن فرّق بين الحق والباطل "الحقيقة الموضوعية والوهم"، وأم الكتاب فرقت بين الحلال والحرام "السلوك الإنساني:"

إن الوجود الموضوعي وقوانينه موجودة خارج الوعي الإنساني، فالشمس موجودة عرفنا ذلك أم لم نعرف، قبلنا ذلك أم لم نقبل. ومن هنا نقول: إن وجود الشمس" حق" ونقول إن الموت حق ولا نقول إن الموت حلال، لأن ظاهرة الموت موجودة عرفنا أن هناك موتاً أم لم نعرف، قبلنا بالموت أم لم نقبل. وكذلك قانون الجاذبية والساعة والبعث، فإذا عرف الناس أن هناك بعثاً بعد الموت فإلهم سيبعثون، وهم سيبعثون أيضاً إذا لم يعرفوا وهم سيبعثون إذا قبلوا بالبعث وإذا لم يقبلوا، لأن البعث حقيقة موضوعية توجد خارج الوعي الإنساني. ولهذا نقول: إن البعث "حق" ولا نقول" إن البعث "حلال."

والقرآن حقيقة موضوعية مطلقة في وجودها خارج الوعي الإنساني. وفهم هذه الحقيقة لا يخضع إلا لقواعد البحث العلمي الموضوعي، وعلى رأسها الفلسفة وكل العلوم الموضوعية من كوسمولوجيا وفيزياء وكيمياء وأصل الأنواع وأصل الكون والبيولوجيا وسائر العلوم الطبيعية. أما "الشريعة والأخلاق والعبادات والقانون والسياسة والتربية" فليس لها علاقة بالقرآن لا من قريب ولا من بعيد، لذا يجب أن نفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "القرآن حجة لك أو عليك" "صحيح مسلم ج1 ص203" لأن من آمن بالبعث-والبعث من مواضيع القرآن-يرى التأويل النهائي لآيات البعث حين يبعث لأنه يبصرها حقيقة مادية موضوعية. وعندما يبعث الناس يكون القرآن حجة لمن آمن بالبعث وحجة على من لم يؤمن بالبعث لأن كل آيات الساعة والبعث والبعث واليوم الآخر والجنة والنار هي من القرآن، وتأويلها النهائي هو إبصارها.

-) -ولو ترى إذا وقفوا على ربمم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ()الأنعام 30.(
-) -ونزعنا ما في صدورهم م غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) (الأعراف 43.(وبما أن القرآن هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الآيات البينات، وهو الحق الموجود خارج الوعي

الإنساني، فقد قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم" :العلماء ورثة الأنبياء" "أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو داوود وأهمد" و"إن معاشر الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم" "انظر كشف الخفاء ج2 ص83" و"من قال بالقرآن بغير علم فليتبوأ مقعده في النار" "الجامع الصغير للسيوطي ج2 ص167." إن ورثة الأنبياء ليسوا علماء الشريعة والفقه وحدهم إن هذا غير صحيح. إن الفلاسفة وعلماء الطبيعة وفلسفة التاريخ وأصل الأنواع والكونيات والإلكترونيات هم ورثة الأنبياء. لذا قال) :وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) (آل عمران 7) وقال) :بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) (العنكبوت والراسخون في العلم) (آل عمران 7) وقال) :بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) (العنكبوت جدد بيض وهر مختلف ألوافه وغرابيب سود) (فاطر 27) (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) (فاطر 28).

نحن نعلم في اللسان العربي أن كلمة "كذلك" أداة وصل بين خبرين. فالخبر الأول هو الآية 27 وأول الآية 28 والخبر الثاني هو)إنما يخشى الله من عباده العلماء (فجاءت الأداة "كذلك" لتربط بين الخبرين. ونلاحظ في الخبر الأول علوم الأنواء والجيولوجيا وعلوم الأجناس والأنواع الحية، ثم علق عليها)إنما يخشى الله من عباده العلماء (كذلك قوله تعالى) :أولم يكن لهم آيةً أن يعلمه علماء بني إسرائيل) (الشعراء 197). "علماء بني اسرائيل" هنا ليسوا الحاخامية والأحبار فقط، ويجب أن نعلم أن النبوة مربوطة بالعلوم الموضوعية والتاريخية. والرسالة مربوطة بالعلوم الاجتماعية والشرعية.

أما الرسالة فهي ذاتية. فما معنى الذاتي (Subjective) ؟

لنأخذ مثلاً إحدى وصايا رب العالمين) : و وصينا الإنسان بوالديه) (العنكبوت 8، لقمان 14، الأحقاف 15). فإذا أخذنا بر الوالدين لا نرى أن له وجوداً خارج الوعي الإنساني. فإذا علم الإنسان بوصية الله ببر الوالدين يمكن أن يبرهما أو لا يبرهما، وإذا لم يرد الإنسان أن يبر والديه فيمكن أن لا يبرهما. وكذلك الصلاة، فإذا شاء الإنسان صلى وإن لم يشأ لم يصلّ. أي أن كل أحكام أم الكتاب مرتبطة بالإنسان. فلو افترضنا أنه قامت حرب ذرية وفني الجنس البشري فإن هذا لا يؤثر على الشمس والمريخ .. ولا يؤثر على نواميس الكون والوجود المادي .

ولكن في الوقت نفسه إذا فني الإنسان ولم يبق هناك جنس إنساني فتذهب معه الصلاة والصوم والحج والزكاة وبر الوالدين واجتناب شر الخمر والميسر وتحريم الربا والعدل والظلم وكل القيم الإنسانية المنفردة والاجتماعية .هنا نفهم ما معنى الذاتي .

ولهذا لم يطلق لفظة الحق على أم الكتاب لأنها قواعد سلوك إنساني وليست قوانين وجود موضوعي، بل أطلق عليها مصطلح الرسالة، وبها أصبح محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً وبلغها للناس واجتهد في تطبيق أحكامها في زمانه، وهي ليست كلمات الله ولا من نواميس الوجود، لأن كلمات الله حق "قوله الحق."

ولا نرى في أحكام أم الكتاب مصطلح "قال الله" وهي قابلة للأخذ بما أو تركها، لذا فهي مناط التكليف وفيها القضاء "أي الاختيار" الإنساني. أي أن الإنسان يقضي فيها بنعم أولاً، وله ملء الخيار فيها)لا إكراه في الدين) (البقرة 256). أما القرآن فليس مناط التكليف ولا يوجد فيه أي أحكام وأوامر تكليفية فهو حق حتمي ساحق ماحق، لذا فهو مناط القدر في قانونه العام، ومناط المعرفة الإنسانية في القوانين الجزئية، ومناط المعرفة الإنسانية بالتاريخ.

وموقف الإنسان من القرآن الإيمان به أو عدمه، ولذا قال)وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤيمن ومن شاء فليكفر .. الآية) (الكهف 29). أما أن يغير في قوانينه أو يهرب منها فلا سبيل له إلى ذلك) :واتل ما أوحي الميك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً) (الكهف 27) وللإنسان حرية التصرف في القوانين الجزئية للطبيعة دون الخروج ع القانون العام، وهي مناط المعرفة الإنسانية والتصرف الإنساني. ونرى أن التقدم العلمي الهائل أعطى الإنسان حرية التصرف واستعمال هذه القوانين للدمار أو للرفاهية.

ولو قيل: إذا كانت أم الكتاب ليست حقاً وليست كلمات الله، فالسؤال الذي يطرح نفسه هو التالي: هل أم الكتاب باطل "أي وهم"؟! نجيب فنقول: إن الحق ''القرآن" هو الموضوعي جاء لتصديق أم الكتاب "الذاتي". حيث أن أم الكتاب ليس لها وجود قائم في ذاته ومنفصل عن الإنسان. فما هو المصطلح الذي أطلق عليها في الكتاب؟

إن الظن بأن الروح هي سر الحياة هو الذي أبعد الناس عن المفهوم الحقيقي للروح والذي جاء في آيات الكتاب، فإذا كانت الروح هي سر الحياة فهذا يعني أن البقر والأفاعي والسمك وكل الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات لها روح! وهذا غير صحيح لأن الله سبحانه وتعالى نفخ الروح في آدم ولم يقل: إنه نفخ الروح في بقية المخلوقات .

إن أزمة سوء فهم معنى الروح هي التي أوقعت المسلمين في شرك عدم البحث عن أصل الحياة وأصل الإنسان والأنواع على الأرض، ظناً منهم أن الروح سر الحياة، وهي من اختصاص رب العالمين. لذا لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن أصل الحياة، وذلك ناتج عن خطأ في فهم الآية) :ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) (الإسراء 85). علماً بأن آيات خلق البش عندي هو العالم الكبير تشارلز داروين. فهل يبحث عن الحقيقة في أصل الإنسان. والقرآن أورد حقيقة أصل الإنسان، فيجب أن يتطابقا إن كان داروين على حق. وأعتقد أن نظريته في أصل البشر في هيكلها العام صحيحة لأنها تنطبق على تأويل آيات الخلق.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو ما معنى قوله تعالى) :قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا(؟؟

ولقد ظن الكثير أن الإجابة هي الروح أمر لا يخصهم ولا علاقة لهم به لأن معلوماهم قليلة، فاستنتج السلف

أنه لا بحث في شأن الروح وألها سر الحياة .هكذا كانت الأرضية المعرفية السائدة، وقد كان موقفهم هذا مقنعاً لهم ولمعاصريهم. أم الأمر بالنسبة لنا فهو غير ذلك.

لننته الآن من أن الروح ليست سر الحياة وأن الموت والحياة هما من قوانين الوجود المادي الموضوعي خارج الوعي الإنساني وكلاهما من قوانين الخلق) :الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً .. الآية) (الملك 2 .(

-)سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى) (الأعلى 1-2(،)كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) (القصص 88). لنأخذ الآن آيات الموت والوفاة التي وردت في الكتاب:
 -) -وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً .. الآية) (آل عمران 145.(
 -) -الله يتوفى الأنفس حين موتما . . . الآية) (الزمر 42.(
 -) -يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضيةً مرضيةً) (الفجر 27-28.(
-) -ولو ترى إذا الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم) (الأنعام 93. (فلنأخذ الآن قول النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده .''ولنأخذ قول مصعب بن عمير عندما هددته والدته بأن تقتل نفسها إذا لم يرجع عن دين محمد فقال: "والله لو أن لك مئة نفس فخرجت نفساً نفساً.''

إن مقولة المترادفات في اللسان العربي جعلتنا نخلط بين النفس و الروح فالنفس تقابل بالإنجليزية (SOUL) والروح تقابل (SPIRIT) ومن الخطأ القول الفاتحة إلى روح النبي، وروح المتوفى. والصحيح: الفاتحة إلى نفس النبي صلى الله عليه وسلم ونفس المتوفى.

إن الله سبحانه وتعالى لم يذكر الروح في مجال الحياة والموت بتاتاً، ولكن التشابه في آيات خلق آدم، والأرضية المعرفية للسلف جعلتهم يقولون: إن الروح هي سر الحياة، وكان هذا ينسجم مع أرضيتهم المعرفية، وفي هذا يكمن إعجاز القرآن الأكبر وهو الجدل بين النسبي والمطلق "أو الجدل بين المحتوى والمتحرك والنص الثابت". فالنفس هي التي تحيا وتموت ولا علاقة للروح في ذلك. ولا يمكن شرح مقولة الروح إلا بعد شرح نظرية المعرفة الإنسان.

ولكن لإعطاء فكرة للقارئ عن الروح التي حولت البشر إلى إنسان، أي التي نقلت الإنسان نقلة نوعية من المملكة الحيوانية إلى كائن عاقل واع، نقول : لإعطاء هذه الفكرة لا بدّ من الإشارة إلى أننا نرى أن نفخة الروح هي الحلقة المفقودة عند العلماء الذين بحثوا في نشأة الإنسان. كما نرى أن آدم هو أبو الحسن الإنساني لا الجنس البشري، بمعنى أنه يبدأ التاريخ الإنساني الواعي بآدم. أما قبل آدم فكان ثمة صنف من المملكة الحيوانية يدعى البشر. ثم اصطفى الله آدم وزوجه من ذلك الصنف)إن الله اصطفى آدم) (... آل عمران عند قادم إذاً لا يدخل في النبوات ولا في الرسالات. ثم إن هناك معنى خاصاً للفظة آدم، فهي تحمل صفة

التشابه (وسنفصل القول في ذلك لدى البحث في نشأة الكلام الإنساني). لقد نفخ الله الروح في البشر فتحول إلى إنسان وتطور وتقدم، ولم ينفخ الروح في القرود فبقيت كما هي.

أي لدينا الآن المعادلة: بشر + روح = إنسان.

إن كلية الطب تسمى كلية الطب البشري لأنها تدرس الإنسان من حيث كونه بشراً، شعر وجلد وعيون وجهاز هضمي وعصبي وقلب ودورة دم، أي تدرسه كائناً حياً فقط، وفي هذا يتشابه الإنسان وبقية المخلوقات كالقرود والبقر والإبل، فكلها كائنات حية ولها جلد وجهاز هضمي وعصبي ... الخ، ولا تعيش دون رطوبة وأوكسجين، وكذلك الإنسان البشر.

وهناك علوم تسمى العلوم الإنسانية وهي القانون والشريعة والسياسة والأخلاق والفنون والآداب والفلسفة والتاريخ، ثم هناك العلوم الطبيعية وهي الفيزياء والكيمياء .. وهكذا دواليك.

إن العلوم الإنسانية هي العلوم التي تنتفي بغياب الإنسان. فبدون الإنسان توجد الطبيعة والمجرات والشمس والبحار والتفاعلات الكيميائية، وبدونه لا يوجد أصلاً فقه ولا قانون ولا فنون ولا علوم بالطبيعة.

الروح إذاً هي التي حوّلت البشر إلى إنسان ولنا هنا أن نتساءل: ما الذي يميّز الإنسان من الحيوان ؟؟ يتميز الإنسان من الحيوان بأمرين فقط وهما :النتاج المباشر للروح: المعرفة والتشريع (الأمر والنهي .(

فالحرية كانت نتيجة مباشرة للمعرفة، والتشريع جاء رديفاً للمعرفة. وبنفخة الروح أصبح الإنسان خليفة لله في الأرض. ومن جراء نفخة الروح هذه أصبح للإنسان تاريخ واع، وأصبح يلبس لباساً ويسكن بيوتاً، وصار عنده حرام وحلال ومسموح وممنوع، وبنفخة الروح طيّر الطائرات وأطلق الصواريخ وصنع السيارات والغواصات وأشاد المصانع، كما أقام دولاً، ووضع تشريعات وقوانين وأنشأ مؤسسات علمية واجتماعية. كل هذا حصل من هذه النفخة التي قال عنها) :ونفخت فيه من روحي) (الحجر 29، ص72). فنفخة الروح هي النقلة النوعية التي أدت إلى انتقال البشر إلى إنسان.

لنستعرض الآن آيات "الروح من أمر ربي:"

-) -ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) (الإسراء 85.(
-) -وكذلك أوحينا إليك روحاً من أرمنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان .. الآية) (الشورى 52.(
 -) يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) (غافر 15.(
 -) -ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده .. الآية) (النحل 2.(
 -) -تنزل الملائكة والروح فيها بإذن رهم من كل أمر) (القدر 4.(

فعندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح جاءت الإجابة التالية: هي من أوامر رب العالمين، فقد أمرنا رب العالمين بالصلاة والصوم والحج والزكاة وبر الوالدين والصدق وترك شهادة الزور وأوصانا بالإرث وبعدم قتل النفس إلى نماية أحكام أم الكتاب. هذه الأحكام لا توجد قائمة في ذاتما وإنما مرتبطة بشكل مباشر بالإنسان. فإذا ذهب الإنسان ذهبت معه، والأحكام مرتبطة بالإنسان العاقل، وقد قال السادة الفقهاء" إن العقل مناط التكليف ''و"إذا أخذ ما أوهب أسقط ما أوجب". فالله أعطانا الروح من ذاته وليس من المادة الكونية المكونة للإنسان. ولذلك سمى الأحكام روحاً لأنها ليست حقيقة مجسمة وإنما هي سلوك واع. لنضرب الآن مثالاً على ذلك: نقول: إن تعيين زيد بن عمرو رئيساً لجامعة دمشق هو من أمر السيد رئيس الجمهورية، أي لا بد ليصبح زيد بن عمرو رئيساً لجامعة دمشق من مرسوم تعيين يصدره السيد رئيس الجمهورية. فإذا صدر المرسوم فهل يرى بالعين أو يلمس باليد؟ أي هل هو من المجسمات؟ قد يقول قائل: نعم هو من المجسمات لأن المرسوم يطبع على ورق ويوزع على دوائر الدولة ويرى بالعين. إن الذي يرى بالعين ويلمس باليد هو الورق والحبر، ولو كان الورق والحبر هو عين المرسوم، لأمكن إصدار المراسيم إلى الإنسان والبهائم معاً ولكن مرسوم التعيين هو المعنى المتضمن في الكتابة والذي يفهمه الإنسان فقط على أنه مرسوم بتعيين زيد رئيساً للجامعة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى عندما يطلع إنسان ما على نص المرسوم فإنه يعرف أن فلاناً أصبح رئيساً لجامعة حامقة، وهذا يعني أن معلوماته زادت معلومة، أي أنه كان لا يعرف أن فلاناً أصبح رئيساً لجامعة دمشق، فأصبح يعرف، فهل هذه الزيادة في المعرفة هي زيادة مجسمة؟

إن الروح هنا لها جانبان "الأمر + المعرفة". وكلاهما لا يعد من المشخصات والمجسمات. وبما أن الأوامر والنواهي يجب أن يستوعبها الإنسان، فيجب عليه أن يمتلك أرضية معرفية معينة حتى يستطيع أن يستوعب الأمر. ولا يمكن أن تتم المعرفة الإنسانية دون قالب لغوي. فعندما عبر الله سبحانه وتعالى عن نفخة الروح في آدم قال) :وعلم آدم الأسماء كلها .. الآية) (البقرة 31) إن في هذه الآية مفتاح فهم الروح، وتأويلها مهم جداً في تحول البشر إلى إنسان.

عندما ورد السؤال عن الروح جاء الجواب:

-) -قل الروح من أمر ربي) (الإسراء 85). "أوامر"
-) -وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) (الإسراء 85) "معلومات."
 - لاحظ الربط بين الأوامر والمعلومات "الحقائق العلمية.''

وكذلك جاءت بقية الآيات بالمعنى نفسه) : يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) (غافر 15) (يترل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) (النحل 2). ونلاحظ أن هذه الآية هي رقم 2 في سورة النحل. فإذا نظرنا إلى الآية رقم 1 نرى ألها تقول) : أتى أمر الله فلا تستعجلوه (وسمى جبريل روحاً لأنه كان يقوم بمهمتين هما)نقل الأوامر والنواحي "أم الكتاب" ونقل الحقائق العلمية "القرآن("، علماً أن الآية 86 في سورة الإسراء شرحت تماماً معنى الآية 85 فقد أتبع قوله)ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) (الإسراء 85) أتبعها بقوله) : ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك

به علينا وكيلا) (الإسراء 86)

إن الآية 86 شرحت بشكل لا لبس فيه أن الروح المذكورة في الآية 85 هي مجموع ما أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهل أوحي إليه غير التشريع والعلم؟ !لقد فهمنا سؤال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فهما خاطئاً، فظننا ألهم يسألونه عن سر الحياة، علماً بألهم كانوا يسألونه عن الناموس الذي جاء إلى موسى وعيسى، حيث أن مفهوم الروح عندهم لا يعني سر الحياة. ولهذا اكتفى السائل بهذا الجواب. هنا يكمن مفتاح القضية في فهم خلق الإنسان ويتجلى ذلك في أن الروح ليست سر الحياة العضوية. وهكذا

هنا يكمن مفتاح القضية في فهم خلق الإنسان ويتجلى ذلك في أن الروح ليست سر الحياة العضوية. وهكذا نرى أنه عندما سئل عن الروح أجاب إجابة شافية وافية، ولم يقل للناس إن الروح سر لا تعرفونه فاسكتوا ولا تسألوا، "هكذا فهمها مفسرونا"، وعلينا تجاوزهم، لأنه دون هذا التجاوز يستحيل تأويل آيات خلق الإنسان، وأي تأويل لآيات خلق الإنسان ينطلق من أن الروح هي سر الحياة هو تأويل خاطئ لا يمكن أن يتطابق مع الحقيقة الموضوعية (objective reality) وأصول البحث العلمي الموضوعي. ومن جراء هذا الفهم الخاطئ ابتعد العرب المسلمون مئات السنين عن البحث العلمي في خلق الإنسان وأصل الأنواع وتركوه لغيرهم.

ويجب أخيراً أن نعلم أن الروح هي القاسم المشترك بين الله والإنسان وأنها سر التقدم الإنساني والرقي وأن الإنسان فقط له روح، فعندما نفخ الله الروح في آدم وهي من ذاته أسجد الله له الملائكة لأنه من هذه النفخة أعطاه الخلافة "حرية التصرف."

فالله يقضي والإنسان يقضي، والله يعلم والإنسان متعلم.

- 2أم الكتاب هي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهي كتاب الله، وقد جاء القرآن تصديقاً لها

تحتوي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم على عدة فروع وهي:

- 1 الحدود بما فيها العبادات.
- 2الفرقان العام والخاص (الوصايا. (
 - 3أحكام مرحلية.
 - 4أحكام ظرفية.
- 5 تعليمات عامة لا تدخل في الأحكام الشرعية جاءت تحت بند "يا أيها النبي" كلباس المرأة في سورة الأحزاب.
 - 6تعليمات خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم "زوجات النبي.''
- 7 ممنوعات كالخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وهي تخضع للاجتهاد ما عدا الحدود والعبادات وأول من الجتهد بما النبي صلى الله عليه وسلم وطبقها حسب الظروف الموضوعية في شبه جزيرة العرب في القرن

السابع الميلادي.

لا أريد هنا أن أخوض في تفصيلات أم الكتاب لأننا أفردنا لها فصلاً خاصاً بما في الباب الثالث ولكن أقول أن هذه هي الرسالة وبما أصبح محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً. ولها الطاعة المنفصلة أو المتصلة لذا قال)قل أطيعوا الله والرسول .. الآية) (آل عمران 32). "طاعة متصلة" وقال)وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول .. الآية ()المائدة 92). "طاعة منفصلة"، ولم يقل أبداً وأطيعوا النبي، لأن الرسالة أحكام والنبوة علوم .

هذه هي الرسالة التي طبقها محمد صلى الله عليه وسلم بسنته لذا قال صلى الله عليه وسلم إن صح "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به" من خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع (انظر جامع الأصول جــ 3 ص 465). وقال "أوتيت الكتاب ومثله معه."

لقد كان تطبيق محمد صلى الله عليه وسلم لأم الكتاب في شبه جزيرة العرب في القرن السابع هو الاحتمال الأول لتطبيق الرسالة وفقاً للشروط الموضوعية زماناً ومكاناً وسنفصل الحديث عن ذلك عند الكلام على السنة في بحث أم الكتاب.

ولكن أريد أن أبين نقطة وهي أن الآيات من أم الكتاب والتي تبدأ بقوله تعالى) :يا أيها النبي (ليست أحكاماً شرعية، بل هي تعليمات أو حالات خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم أو هي تعليمات عامة وليست تشريعات أي أنها "ولله المثل الأعلى "تعليمات إجرائية وليست مراسيم تشريعية.

لقد جاءت لفظة الآيات البينات للقرآن. وقد شرحنا مفهوم البينات بألها بينة في ذاتها. أما الآيات المبينات فهي مبينة لغيرها وهي من أم الكتاب. وجاءت الآيات المبينات في أمور تتعلق بأحكام ظرفية في أم الكتاب مثل الزنا. وقد وردت لفظ "مبينة" مفرداً مع الفاحشة فقط في قوله)إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) (النساء 19. و)يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) (الأحزاب 30). وقوله)ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة (الطلاق 1). هنا نلاحظ أن الفاحشة بحاجة إلى ظروف وملابسات تبينها .

وبما أن الزنا مرتبط بأمور ظرفية، فقد بين هذه الأمور الظرفية والشروط اللازمة لإقامة الحد في سورة النور في الآيات (4-9) إذ بين رمي المحصنات والشهادة والملاعنة ثم أتبع ذلك بقوله في الآية 34) :ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينا .(وعندما ذكر الفاحشة المبينة في الآية رقم 1 في سورة الطلاق ذكر بعدها آيات تتعلق بالعدة والعلاقات الأسرية 2، 4، 6، 7. وهذه الآيات تتعلق بالرسالة ولذا ذكر في آخر سورة الطلاق)رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات .. الآية) (لطلاق 11.

- 3تفصيل الكتاب

) -وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) (يونس 37.(

- -) -الركتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (هود 1.(
 -) -أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) (الأنعام 114.(
 - هذه الآيات تتحدث عن التفصيل، ولكن يجب أن نميز بين نوعين من التفصيل.

اشتق التفصيل من الفعل "فصل" وهو أصل صحيح يدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه "ابن فارس ملا ص505". وعلى هذا المعنى فالتفصيل يحمل وجهين:

- 1 الوجه الأول: التفصيل بمعنى الشرح: وقد سبق لي أن ذكرت الآيات التي تتحدث عن الكتاب بأن فيه محكماً ومتشاهاً والتي تذكر أن القرآن جعل عربياً وأنزل عربياً، وأن أم الكتاب عربية وأن القرآن لا يمسه إلا المطهرون، هذه الآيات تشرح محتويات الكتاب، لذا فهي لا محكمة ولا متشاهة أي ليست أحكاماً وليست قرآناً فهذه الآيات تسمى تفصيل الكتاب في قوله) : وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين). وقد جاء التفصيل بمعنى الشرح في قوله تعالى في آخر سورة يوسف) وتفصيل كل شيء. (
- 2الوجه الثاني: الفصل المادي للأشياء زمانياً أو مكانياً أي أن تأتي أحداث متتالية مفصولة زمنياً بعضها عن بعض كأن نقول: الفصل الدراسي الأول والفصل الدراسي الثاني، فهذا يعني أن هناك فاصلاً زمنياً فصل بينهما وألهما جاءا بالتتالي وبمعنى الفصل الزمني كأحداث متتالية جاءت الآية)فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين) (الأعراف (133فهنا ذكر خمس آيات من الآيات البينات التسع التي جاءت إلى موسى ولكن ذكر هنا أن هذه الآيات الخمس كانت آيات مفصلات أي مفصولاً بعضها عن بعض.

إذ جاء الطوفان أولاً ثم تلاه الجراد وهكذا حتى الدم، وهناك أيضاً الفصل المكاني أي فصل آيات الكتاب بعضها عن بعض ووضعها في أماكن مختلفة في الكتاب (السور). وعلى هذا الأساس نفهم قوله تعالى) :وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً) (الأنعام 114) أي أن الكتاب مفصل إلى 114 سورة، كأن نقول ولله المثل الأعلى: إن كتاباً ما مؤلف من فصلين أو ثلاثة فصول. هذا ليبين أن فصل الآيات بعضها عن بعض توقيفي وأن عدد الآيات وترتيبها في كل سورة توقيفي من الله.

أما قوله تعالى)الركتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (هود 1) فهذه الآية تتحدث عن الفصل المكاني للكتاب المحكم والذي يمثل مجموع الآيات المحكمات "أم الكتاب" لذا وضع الكتاب في صيغة النكرة في قوله "كتاب" ثم عرفه بإضافة)أحكمت آياته (وهو هنا الكتاب المحكم وليس المصحف. هذا الكتاب المحكم نرى أن الأحكام فيه متوزعة في كل المصحف، فنرى أحكاماً في سورة البقرة ثم نرى أحكاماً أخرى في سورة النساء والمائدة .. الخ وهذا ما لا نراه في الكتب الإنسانية، فعندما نقرأ أحكام الدستور لدولة

ما، نرى أن هذه الأحكام تحمل صفة التتالي فنرى المادة الأولى تتلوها المادة الثانية وهكذا . ولكن في الكتاب نرى حكماً ما يتلوه آية كونية ثم قصص ثم حكم آخر وهكذا .هذا الفصل في الآيات المحكمات لبعضها عن بعض إنما هو من الله، يدلك على ذلك أنه أتبعها بقوله) :ثم فصلت من لدن حكيم خد. (

فإذا سأل سائل: ماذا وضع بين آيات الكتاب المحكم؟ لقد جاءت الإجابة على هذا السؤال في سورة فصلت في قوله) :كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون) (فصلت 3.(

لنرى الآن الربط:

)الركتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون . (فصيغة "قرآناً عربياً" هي حال لفعل فصلت وليست وصفاً لكلمة "كتاب"، أي أن آيات الكتاب المحكم فُصل بعضها عن بعض ووضع بينها القرآن وفاعل الفصل هو الله سبحانه وتعالى لقوله) :من لدن حكيم خبير. (إن التيه الأكبر في كتب التفاسير هو أن أصحابها لم يربطوا بين الآية 7 من آل عمران وهي) :هو الذي أنزل في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب (نوع الآية: "تفصيل الكتاب، لا محكم ولا متشابه."

والآية /1/ من سورة هود وهي) :الركتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (نوع الآية: تفصيل الكتاب و"الر" من أصوات السبع المثاني.(

والآية /3/ من سورة فصلت وهي) :كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون) (نوع الآية: تفصيل الكتاب.(

والآية /23/ من سورة الزمر وهي) :الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم .. الآية) (نوع الآية: تفصيل الكتاب.(

إن الخطأ هو الظن بأن الكتاب المقصود بهذه الآيات المذكورة أعلاه هو نفسه، أي أن الكتاب الموجود ما بين دفتي المصحف هو المقصود بهذه الآيات كلها .وبدون هذا التفريق لا يمكن وضع منهج علمي لفهم الكتاب من أحكام وقرآن وتفصيل الكتاب.

الآن يمكن أن نسأل السؤال التالي: ما هي الغايات التي فصل الكتاب من أجلها على هذا الشكل أي لماذا تداخل التشابه وتفصيل الكتاب إلى هذا العدد والمواقع من السور والآيات؟ إن الهدف الأول الذي نراه هو أن الآيات المحكمات قابلة للتزوير وليس فيها أي إعجاز، وقد حصل فعلاً هذا عند اليهود، إذ نرى عندهم أحكاماً جاء بها أحبار اليهود. أي أن اجتهادات أحبار اليهود أضيفت إلى الأحكام التي جاءت إلى موسى إضافة وفي هذا قال) :فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من

عند الله .. الآية) (البقرة 79) وقد قلت: إن الكتاب بالنسبة لليهود والنصارى هو الأحكام فقط .أما الشكل الذي وضع به القرآن بين الأحكام فإن أي اجتهاد في الأحكام لا يمكن وضعه داخل هذه الأحكام، لأن عدد الآيات وترتيبها في السورة الواحدة المؤلفة من محكم ومتشابه ولا محكم ولا متشابه مضبوطٌ تماماً وموقع كل آية مضبوطٌ تماماً، وهذا ما أكده الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة)وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه .. الآية) (المائدة 48.

فالكتاب بالحق هو القرآن وهو النبوة مع تفصيل الكتاب. هذا القرآن هو تصديق لما بين يديه من الكتاب، وأم الكتاب هي من الكتاب حيث تشكل مع القرآن الكتاب. أي أن الوظيفة الثانية للقرآن بعد تصديق أم الكتاب "الذي بين يديه" هي الهيمنة على أم الكتاب. والهيمنة في اللسان العربي تعني الحفظ والرقابة فنقول: هيمن الطير على فراخه عندما يفرد جناحيه فوقهم ليحفظهم .ومنه جاء اسم الله "المهيمن" وهو الحافظ والرقيب.

والناحية الأخيرة التي نراها في تفصيل الكتاب هذا التداخل في المواضيع في السورة الواحدة فنرى أن قصة موسى في أكثر من موضع وكذلك آيات خلق الإنسان وخلق الكون حيث نراها متداخلة مع غيرها ومتناثرة ضمن نسق لا ندري إلى الآن الآلية الرياضية لهذا النسق، ولكن الذي نقوله هو ما يلي:

إذا نظرنا إلى جسم الإنسان وهو أكمل المخلوقات المعروفة رأينا أن أعضاء جسم الإنسان متداخل بعضها ببعض، فهناك الأجهزة والأعضاء المختلفة لهذه الأجهزة، ثم نرى أيضاً أن الأجهزة المختلفة متداخل بعضها ببعض، فلا نرى الجلد وحده والعظام وحدها والعضلات وحدها وكذلك الأعصاب والأوردة والشرايين، كل هذا متداخل بعضه ببعض، فلا نرى في الإنسان أولاً طبقة كاملة من العظام تليها طبقة كاملة من الأوعية الدموية تليها طبقة كاملة من العضلات. وهكذا دواليك.

ثم نجد هذه الظاهرة في الطبيعة، فالأحوال الجوية هي الحرارة والرطوبة والرياح ولكن هذه العناصر متداخل بعضها ببعض مكاناً وزماناً غير مفصولة وأن الذي صنع الإنسان والطبيعة هو الذي صاغ الإنزال وأمر بالتتريل وفصل الكتاب، فنرى هذا التشابه العجيب حيث أن الناموس واحد. ثم إن الإنسان منذ ألف عام شاهد الدم وقال عنه إنه سائل أهمر والآن نرى الدم فيه كريات همر وبيض وصفائح .. الخ، وهكذا عندما نظر الأقدمون إلى القرآن شاهدوه كما شاهد الأقدمون الدم، والآن نحن نشاهده كما نشاهد الآن الدم أكثر وضوحاً مع معرفة الوظائف لكل مركب. والقرآن في صياغته، والكتاب في توزيع آياته وتفصيله معقد كتعقيد تركيب جسم الإنسان، وما زلنا إلى اليوم نكتشف الجديد وأمامنا الكثير الكثير لنبحث عنه ونعلمه. إن النتيجة الأساسية التي نستنتجها من تفصيل الكتاب أن هناك سوراً في الكتاب كلها قرآن، وسوراً في الكتاب فيها قرآن وأم الكتاب معاً، وسوراً فيها أم الكتاب فقط، فإذا كان هناك سورة كلها من أم الكتاب أي أن كل آياةا محكمات فتصبح السورة محكمة، وفعلاً هناك سورة واحدة فقط في الكتاب محكمة ليس فيها أي أن كل آياةا محكمات فتصبح السورة محكمة، وفعلاً هناك سورة واحدة فقط في الكتاب محكمة ليس فيها

قرآن، وقد نبهنا الله لهذا في سورة محمد في قوله) :ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرضٌ ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم () محمد 20 .(

في هذه السورة قال: سورة محكمة، قال عنها محكمة للتعريف أي ليميزها عن بقية السور، ولو كانت كل السور في الكتاب محكمة لما قال سورة محكمة، ثم لاحظ كيف جاء الإنزال والتتريل للفظة "سورة". فعندما ذكر التتريل لم يعط أي معلومات في قوله (لولا نزلت سورة) وعندما ذكر الإنزال للسورة أتبعها بمعلومات للإدراك في قوله) : فإذا أنزلت سورة محكمة .. الآية . (فإذا تصفحنا الكتاب نرى أن هذه السورة المحكمة هي سورة التوبة التي تبدأ بالآية)براءة من الله ورسوله (ثم نرى أن هذه هي السورة الوحيدة في الكتاب التي لا تبدأ بــ''بسم الله الرحمن الرحيم ''والسبب في ذلك هو عد وجود أي آية من آيات القرآن فيها وبالتالي لا يمكن أن يكون اسم الرحمن في البسملة لقوله)الرحمن * علم القرآن) (الرحمن 1-2) لذا حذفت البسملة كلها لأن القرآن كله رحماني حيث أن آية)علم القرآن (لا تعني أنه علمه للآخرين بمعنى العملية التعليمية، ولكنها تعني أنه وضع اسمه الرحمن علامةً للقرآن لكي يميز .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم واعين لهذه الحالة تماماً حيث وضعوها سورة لوحدها ولم يعتبروها تتمة لسورة الأنفال. فإذا أردنا أن نقارن بين سورتين في الكتاب إحداهما محكمة تماماً والأخرى متشابحة تماماً "قرآن فقط ''فما علينا إلا أن ننظر إلى سورة التوبة "كلهم محكم" وسورة الصافات "كلها متشابه" فإن ما نراه بشكل واضح هو اختلاف المواضيع واختلاف الصياغة، فسورة الصافات هي من أعقد السور في الكتاب. ولو سألني سائل: هل عدد آيات المتشابه "القرآن" أكثر أم عدد آيات الحكم "أم الكتاب"؟ لقلت: إن عدد آيات لمتشابه أكثر بكثير من عدد آيات الحكم "أم الكتاب" لأن هناك أكثر من سورة واحدة في الكتاب كلها قرآن.

وبما أن أم الكتاب أنزلت عربية)وكذلك أنزلناه حكماً عربياً) (الرعد (37وجزء من أم الكتاب له علاقة بالأحداث التي حصلت في أثناء بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل أيضاً عربياً)إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم بالأحداث التي حصلت في أثناء بعثته صلى الله عليه وسلم وأنزل أيضاً عربياً)إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) (يوسف .(2فلو جعل القرآن فقط عجمياً لأصبح في الكتاب لغتان: القرآن أعجمي وأم الكتاب وتفصيل الكتاب باللسان العربي. أي يصبح الكتاب بلغتين عربية وأعجمية وآيات متداخلة بلسانين، الأحكام وتفصيل الكتاب تلازم الإنزال والتريل ولا يوجد فيهما جعل والقرآن أعجمي فوجب فصل بعضهما عن بعض. وفي هذا المجال بالضبط في سورة فصلت) :ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي .. الآية) (فصلت 44 .(

ذكره في مجال "الذكر" في الآيات 41 و42 في قوله) إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز (*) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تتريل من حكيم هيد . (وهل يمكن أن يجعل القرآن أعجميا؟ الجواب: نعم، لسببين: الأول: هو أن القرآن له وجود مسبق قبل أن يكون عربياً وإنما جعل عربياً دفعة واحدة في الإنزال. وثانياً أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت نقل القرآن إلى الناس دون تأويل، وفي هذا كان عجب العرب بأن يترل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في شبه جزيرة العرب، والعرب قوم متخلفون عن غيرهم فكانت تجاورهم فارس والروم .

وكان الروم والفرس متقدمين من الناحية العلمية والحضارية على العرب) : وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم) (الزخرف 31). لاحظ أن هذه الآية جاءت حول القرآن فقط، وليس حول أم الكتاب .والقرآن لا علاقة له بأسباب الترول، والقريتان هنا هما الروم والفرس .و"القرية" هنا من المجتمع المستقر من فعل "رو" ومنها جاء الاستقرار لأن الروم والفرس كانوا مؤهلين أكثر من العرب لاستقبال القرآن لهذا أتبعها بقوله) :أهم يقسمون رحمة ربك) (الزخرف 32). ولهذا فإنه كان كثيراً ما يسبق إلى ظني أن المقصود بالقريتين إنما هو الفرس والروم، لا مكة والطائف.

وفعلاً، من الناحية الموضوعية، لو كان القرآن أعجمياً وبقية الكتاب عربياً لرأينا في السورة الواحدة الآيات المتداخلة آية عربية وأخرى أعجمية. ولبرز التساؤل التالي: لماذا لم تفصل الآيات بعضها عن بعض العربية على حدة والأعجمية على حدة)ولقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي .(وإنه لمن الوهم الكبير الظن بأن قوله:)أأعجمي وعربي (هو أن القرآن أعجمي والنبي صلى الله عليه وسلم عربي حيث ألها لا تستقيم من الناحية اللغوية، أي كيف يتم عطف القرآن على النبي، ولكن المعنى يستقيم تماماً عندما تعود جملة! أأعجمي وعربي! على الكتاب نفسه أي جزء منه أعجمي وجزء آخر عربي.

قد يسأل سائل: لماذا لم يقل: إن الكتاب كله "أي الذكر الموجود بين دفتي المصحف" أنزل عربياً دون هذه التفاصيل؟ أقول إن هناك سببين لهذه التفاصيل:

- 1 القرآن تلازم فيه الجعل والإنزال "جعل عربياً وأنزل عربياً" أي له وجود مسبق في لوح محفوظ وإمام مبين، أما أم الكتاب وتفصيل الكتاب فليس لهما وجود مسبق بل تلازم الإنزال والتتريل فيهما ولا يوجد فيهما جعل.
- 2هناك آيات في الكتاب غير عربية وهي آيات السبع المثاني حيث ألها ليست بلسان عربي وإنما هي أصوات إنسانية أي أن /الم * يس / ليست عربية ولا تركية ولا إنكليزية ... الخ. بل هي ألفاظ مركبة من أصوات تتألف منها اللغات الإنسانية قاطبة. فمثلاً لفظة " يس "تتألف من صوتي الياء والسين وهما موجودان في كل ألسن أهل الأرض دون استثناء، وكذلك لفظة " الر "المؤلفة من أصوات الهمزة واللام والراء هي أصوات موجودة في كل لغات أهل الأرض فهذه الألفاظ ليست عربية ولا غير عربية، لأن اللفظة في لسان ما تتألف

من أصوات "دال" ترتبط بمعنى وهو المدلول "المعنى في الذهن". ولو كانت لفظة'' الم ''أو لفظة'' يس ''عربية لما مضى أربعة عشر قرناً على نزولها وما زلنا لا نفهمها .

ونكتفي بالقول: الله أعلم بمرادها. وهناك مئات الآلاف بل الملايين أتقنوا اللسان العربي على مدار أربعة عشر قرناً. ولو كانت' الم ''لفظة عربية لأدرك الإنسان العربي معناها في الذهن مباشرة لأنها كلمة تدخل ضمن مفردات لسانه، ولكن لا يوجد في اللسان العربي كلمة تلفظ "ألف لام ميم ''بل يوجد كلمة تلفظ "ألم" كقوله. (ألم نشرح لك صدرك) (الإنشراح 1). ولكن ''ألم" في آية (ألم نشرح لك صدرك) هي مختلفة تماماً عن آية "ألف لام ميم .''وهكذا يظهر جلياً لماذا لم يقل: إن الكتاب كله أنزل عربياً.

ورد في الآية 7 من سورة آل عمران قوله)هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب و آخر متشابهات ... الآية) (آل عمران 7) هذه الآية صنفت الآيات في الكتاب إلى أكثر من نوعين. فلو قلنا: إن الكتاب فيه نوعان من الآيات محكم ومتشابه فقط لوضع الآيات المتشابهات معرفة أي في صيغة "والأخر متشابهات" في هذه الحالة يفهم أن كل الآيات غير المحكمات هي متشابهات ولكن كونه وضع التشابه في حالة غير معرفة يفهم أن غير المحكم فيه متشابه ولكن ليس كله متشابها فنستنتج بالضرورة أن هناك آيات في الكتاب لا محكمات ولا متشابهات، هذه الآيات هي تفصيل الكتاب حيث ورد في الكتاب آيات كثيرة تشرح محتويات الكتاب وأعتقد أن هذه المعضلة وقع فيها الكثير ممن عملوا في علوم الكتاب .

و أوضح مثال على ذلك الآية رقم 7 في سورة آل عمران والتي تقول: إن الكتاب فيه محكم وفيه متشابه في الآيات غير المحكمة. هذه الآية نفسها كيف تصنف :هل هي متشابحة؟ والجواب: لا هي غير متشابحة لأنما هي التي أخبرتنا عن وجود المحكم والمتشابه. والاستنتاج المنطقي أنما آية من الكتاب تشرح محتوياته، هذا النوع من الآيات تم تصنيفها في الآية رقم 37 من سورة يونس في قوله) :وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (أي أن الآيات التي تشرح محتويات الكتاب وتصنيفاته هي تفصيل الكتاب وعددها في الكتاب ليس بالعدد القليل.

مثال آخر: الآية 37 من سورة يونس التي تقول إن هناك قرآناً وهناك تصديق الذي بين يديه وهناك تفصيل الكتاب هي نفسها لا محكمة ولا متشابحة وتنتمي إلى زمرة الآيات التي تدخل تحت عنوان تفصيل الكتاب وكذلك الآية)ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) (الحجر 87) ليست أحكاماً وليست قرآناً وليست من السبع المثاني لأنها تتكلم عن عطف القرآن على السبع المثاني وليست قصصاً فهي شارحة للمتشابه في الكتاب وهو القرآن والسبع المثاني فتدخل تحت بند تفصيل الكتاب. وقد أكد أن تفصيل الكتاب موحى من الله أيضاً وليس من النبي صلى الله عليه وسلم في قوله)وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (يونس 37). هنا جاء تفصيل الكتاب بمعنى شرح محتويات الكتاب لا شرح أحكام الكتاب.

في كل سورة وعدد هذه الآيات هو أمر توقيفي من الله سبحانه وتعالى، فنرى أن سورة البقرة فيها 286 آية وآل عمران فيها 200 آية وتسلسل الآيات في كل سورة لم يأتي حسب نزولها بالضرورة بل تم ترتيبها وحياً وقد جاء هذا المعنى المادي في الفصل لا في الشرح في قوله تعالى) :الركتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) .(هود 1)، وسيأتي شرح هذه الآية في حينه.

يبقى لدينا سؤال هام هو: هل آيات تفصيل الكتاب مثل الآية رقم 7 في آل عمران والآية رقم 37 في سورة يونس أهي من الرسالة إلها قطعاً ليست من الرسالة لأن ليس فيها أحكام ولا أوامر ولا نواه ولا مواعظ أو وصايا، ويبقى أحد الاحتمالين:

الأول: أنها من النبوة لأن مواضيعها كلها إخبارية تعليمية، لذا فإنها تدخل تحت بند النبوة حيث أنها آيات تعليمية شارحة لمحتويات الكتاب ولكنها غير متشابهة.

الثاني: ألها ليست من النبوة ولا من الرسالة وأنا أستبعد هذا الاحتمال حيث أن الكتاب الذي أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم حوى النبوة والرسالة معاً. فمحمد صلى الله عليه وسلم نبي ورسول وله مقامان فقط: مقام النبوة ومقام الرسالة فلا يوجد أي مقام آخر إضافي نعطيه للنبي لكي يغطي تفصيل الكتاب، وبالتالي فآيات تفصيل الكتاب تدخل في النبوة ولكنها ليست متشابحة وليس لها علاقة بلوح محفوظ أو إمام مبين بل أوحيت مباشرة من الله تعالى.

- 4أم الكتاب "الرسالة" كتاب الألوهية والقرآن والسبع المثاني "النبوة" كتاب الربوبية

-تعريف الألوهية والربوبية:

لقد جاء في الكتاب أن الله سبحانه وتعالى هو إله الناس وهو رب العالمين بقوله) :الحمد لله رب العالمين () الفاتحة 1). وقوله)فاعلم أنه لا إله إلا الله) (محمد 19). وقوله)فإلهكم إله واحد) (الحج 33) وقوله)رب المشرقين ورب المغربين) (الرحمن 17). فما معنى مصطلح الرب ومصطلح الإله؟

-الرب:

جاءت الرب في اللسان العربي من الملك والسيادة. فنقول إن الأب هو رب الأسرة والسيد، فعلاقة الأب بالأسرة هي علاقة سيادة وملكية وسيطرة كقوله تعالى) :يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً ()يوسف 41) وقوله)اذكري عند ربك) (يوسف 42)، فإذا كان لزيد ثلاثة أولاد: الأول يطيعه، والثاني لا يطيعه ولا يعصيه، والثالث لا يعترف به أصلاً، فهل مواقف الأولاد الثلاثة تغير من حقيقة أن زيداً هو أبوهم؟ فالربوبية هي حقيقة موضوعية خارج الوعي الإنساني وهي علاقة الله بمخلوقاته كلها وهي علاقة سيطرة وملكية وسيادة وهي علاقات صارمة لا تبديل فيها .فعندما ندرس قوانين الفيزياء والكيمياء والجاذبية فإننا ندرس قوانين الربوبية حيث ألها قوانين صارمة تعمل خارج الوعي الإنساني، فالله هو رب الناس "مؤمنهم ندرس قوانين الربوبية حيث ألها قوانين صارمة تعمل خارج الوعي الإنساني، فالله هو رب الناس "مؤمنهم

وكافرهم" ورب الشجر والسموات والأرض شاؤوا أم أبوا، عرفوا أم لم يعرفوا .

لذا فعندما ادعى فرعون الربوبية قال)أنا ربكم الأعلى) (النازعات 24) وهذا الإدعاء كان إدعاء ملكية وسيادة بقوله) :ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس ليس ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون) (الزخرف 51) أي أن فرعون في ادعائه الربوبية، حسب أن مصر بأراضيها وأنهارها وسمائها ومزروعاتها وحيواناتها وسكانها هي ملكه الشخصي يتصرف بها كيف يشاء ومتى يشاء دون أن يعارضه أحد. وعندما قال الله سبحانه وتعالى للملائكة)إني جاعل في الأرض خليفة) (البقرة 30) فمن هو خليفة الله في الأرض غير الإنسان؟ فخلافة الإنسان لله في الأرض هي أن أعطاه سلطة من سلطاته، وسلطان الله على المخلوقات ه من مقام الربوبية، فأعطى الله للإنسان من هذا المقام فأصبح الإنسان يملك الأرض والسماء ويتصرف بما وتعلم قوانين الربوبية في الأشياء لكي يصبح هو رباً لها .

فعندما عرف الجاذبية وقوانين الدفع صعد إلى القمر ثم مع الزمن سيتصرف في القمر في هذا المجال قال تعالى :) ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم) (الحج 65) وقوله تعالى)ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير () لقمان (20) وقوله)وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون () الجاثبة 13.(

فالإنسان "مؤمناً أو كافراً" خليفة الله في الأرض في مقام الربوبية أصبح مالكاً لها مسيطراً عليها متصرفاً بما ثم سيتصرف في السموات. فماذا أعطى الله للإنسان بالضبط لكي يصبح خليفة له؟ "أنظر مقالتي حول نفخة الروح من هذا الكتاب."

أما الألوهية فهي كما يلي:

بما أن الله أعطى الإنسان خلافته في الأرض فأعطاه من البربوية، وطلب منه مقابل ذلك طاعة لأوامره ونواهه. هذه الطاعة جاءت في الألوهية أي أن يعترف الإنسان أن الله إلاهه، وهذا الاعتراف يعبر عنه بطاعة أوامر الله.

فالربوية هي علاقة صارمة بين الله وكل مخلوقاته وأعطيت للناس سواسية، أما الألوهية فهي اعتراف من العاقل فقط بالله وبتوحيده وبأوامره)أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف فقط بالله وبتوحيده وبأوامره)أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف 40). لاحظ هنا أن الخطاب موجه إلى العاقل فقط. ولكي يؤكد وحدانية الربوبية وأن الربوبية سيطرة وملكية وقهر قال) :يا صاحبي السجن ءاأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) (يوسف 39) هنا نلاحظ كيف ذكر الوحدانية والقهر مع الربوبية .

فالربوبية علاقة سيادة وملكية وهي علاقة موضوعية صارمة لا خيار فيها. والألوهية هي علاقة طاعة اختيارية

من العاقل فقط.

ونشير إلى أمر هام جداً وهو أن الربوبية تسبق الألوهية، فقبل وجود العاقل لا يوجد ألوهية، وإنما وجدت مع العاقل لذا لا نرى في الكتاب صيغة "رب العالمين" أو "إلاه السموات والأرض" بل نرى صيغة "رب العالمين" "رب السموات والأرض."

وكان هنا ادعاء فرعون الثاني، وهو إدعاء الألوهية الذي سبقه ادعاء الربوبية بقوله)وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري .. الآية) (القصص 38) هنا الخطاب للعاقل فقط في قوله)يا أيها الملأ . (أما قوله)ما علمت لكم من إله غيري (كان طلباً للطاعة الكاملة من العاقل، ولو سألته: لماذا الطاعة الكاملة؟ لأجاب من مقام الربوبية)ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) (غافر 29) أي بما أنني أنا ربكم فانكم سترون ما أرى، لأني أعرف مصالحكم أكثر ما تعرفونها أنتم أنفسكم .

وعندما أعدم فرعون السحرة أعدمهم من مقام الربوبية لأنه مالكهم ولأنهم عصوه في مقام الألوهية) المنتم له قبل أن آذن لكم) (طه 71) عصوه هم في الطاعة فأعدمهم بالملكية. لذا قال تعالى عن فرعون) فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) (النازعات 25). فالأولى هنا هي ادعاء الربوبية والآخرة هي ادعاء الألوهية وهنا ذكر الآخر قبل الأولى وهي الألوهية لأنها جاءت بعد قوله) .أنا ربكم الأعلى.

فإذا أخذنا الآن الكتاب نرى أن كل أوامر الله ونواهيه جاءت في أم الكتاب "الرسالة" فطلب منا أن نقول:
"لا إله إلا الله محمد رسول الله" ونرى كل القوانين الموضوعية الصارمة جاءت في القرآن "النبوة" ففيها كلها قوانين الربوبية، ولو قال: "لا رب إلا الله، بل طلب منهم أن يقولوا "لا إله إلا الله" لأن الله ربحم شاؤوا أم أبوا إلى ألمم لا يستطيعون أن يتحدوه في ربوبيته لهم. فالله رب الناس "كافرهم ومؤمنهم" حيث قال)كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك محظوراً) (الإسراء 20) (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك موا كان عطاء ربك محظوراً) (الإسراء 20) والله من مقام الربوبية يرزق المؤمن والكافر ويعطي المطر والغيث والشمس وكل قوانين الطبيعة للمؤمن والكافر على حد سواء. فإذا سأل سائل لماذا؟ فالجواب لأنه ربحم. لاحظ قوله تعالى) :وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الشمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كحفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير) (البقرة 126) فعندما دعا إبراهيم الله أن يرزق أهل البيت الحرام فقط من آمن منهم بالله واليوم الآخر، أما غير المؤمن قلا يدخل في إبراهيم الله أن يرزق أهل البيت الحرام فقط من آمن منهم بالله واليوم الآخر، أما غير المؤمن قلا يدخل في دعاء إبراهيم كان رد الله عليه)قال ومن كفر فأمتعه قليلاً (قليلاً هنا تعني في هذه الحياة الدنيا لقول)-فما مناع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) (التوبة 38) وقوله)قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى .. الآية) (النساء 77. (

ثم نرى أيضاً أن الله لم يطلب من أحد الاعتراف بربوبيته، وكل الرسالات جاءت من أجل الألوهية، لا من أجل الربوبية. جاءت من أجل أن يعترف العاقل بأن الله هو الإهه. فبدأ بقوله)شهد الله أنه لا إله إلا هو

```
الملائكة وأولو العلم) (آل عمران 18) لاحظ الشهادة من الله والملائكة وأولو العلم. فإذا تصفحنا كل آيات الكتاب فلن نرى أن هناك آية تقول: إن غير العاقل شهد لله بالألوهية، وخطاب الألوهية يعود للعاقل. ففي خطاب الرسل لأقوامهم كانت الألوهية هي العمود الفقري للخطاب:
) -قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) (البقرة 133.(
) -وإلهكم إله واحد) (البقرة 163). لاحظ أن الخطاب للعاقل.
) -لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) (المائدة 73.(
```

هنا لاحظ "ربكم ___ خالق كل شيء.

لا إله إلا هو ____ فاعبدوه.

فخالق كل شيء تعود على ربكم. واعبدوه تعود على لا إله إلا هو.

لاحظ كيف أتبع العبادة بالألوهية.

نلاحظ أنه عندما يذكر مقام الأوهية يذكره من باب قبول العاقل له، ومن باب أن يتخذ العاقل الله إلاهه.

لاحظ كيف ذكر الربوبية للسموات والأرض والأولهية لدعاء العاقل فقط.

) -قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) (الأعراف 138.(

فإذا تصفحنا كل آيات الكتاب لا نرى صيغة "ولا تدع مع الله رباً آخر". ولا نجد صيغة "ألا تعبدوا إلا الرب."

وعندما دعا هود قومه قال)إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابةٍ إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراطٍ مستقيم)(هود 56.(

لقد قال)الله ربي وربكم (فعلام الخلاف؟ كان الخلاف على الألوهية بقوله) :وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون) (هود 50). قال)ما لكم من إله غيره .(ولم يقل ما لكم من رب غيره لأن الأمر مفروغ منه بأن الله هو رب هود ورب قوم هود. ويجب علينا أن نفهم أن الله سبحانه وتعالى هو رب محمد سبحانه وتعالى هو رب محمد صلى الله عليه وسلم ورب أبي لهب، وأن الله سبحانه وتعالى إلاه محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه ليس بإلاه أبي لهب. وأن الله سبحانه واتخذ آلهة غيره.

وبما أن مجال أوامر الله سبحانه وتعالى جاءت في أم الكتاب "الرسالة" فمن هنا نستنتج أن أم الكتاب هي كتاب الألوهية، وبما أن قوانين الكون الصارمة وظواهره جاءت في القرآن اعترف بما الناس أم لم يعترفوا بالقرآن هو كتاب الربوبية.

وبما أن أم الكتاب هي كتاب الألوهية وهو كتاب الله قال في سورة فاطر)إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانيةً يرجون تجارة لن تبور) (فاطر 29.(

أما عن كتاب الربوبية فقال) :واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً) (الكهف 27.

إن ملاحظة الفرق الكبير بين نهاية الآية الأولى ونهاية الآية الثانية، فـــ)يرجون تجارةً لن تبور (فيها رجاء، و)لن تجد من دونه ملتحداً (فيها حتمية.

وعندما ذكر موسى الآيات البينات التسع قال) :وما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر () الإسراء 102). وهنا نلاحظ أيضاً أن الآيات البينات فيها الربوبية.

فهنا جاءت تلاوة كتاب الله الرسالة "أم الكتاب" وتلاوة كتاب الربوبية النبوة "القرآن" "كتاب ربك) . "هذا بصائر من ربكم) (الأعراف 203) والكتابان جمعاً في المصحف مع آيات تفصيل الكتاب، وبما أن الحياة والموت والرزق والأجر من مقام الربوبية فقد قال) : وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) (الشعراء 109-127-145-180) (الله لا إله إلا هو رب العش العظيم) (النمل 26 ("رب الأمر والنهي."

)-إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها) (النمل 91.(

لاحظ ب هذه البلدة.

-) -رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن) (النبأ 37.
 -) فليعبدوا رب هذا البيت) (قريش 3.
 -) -وإن ربكم الرحمن فاتبعوبي وأطيعوا أمري) (طه 90.(

وعندا جعل الله الإنسان خليفة في الأرض جعله من مقام الربوبية لقوله)وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفةً) (البقرة 30.(

أما قوله عن النصارى بألهم)اتخذوا أحبارهم ورهبالهم أرباباً من دون الله) (التوبة 31) فهو أن أحبار النصارى ورهبالهم مارسوا أمرين هما من اختصاص الربوبية ولا يوجد فيهما أية طاعة وتشريع: الأمر الأول: ألهم في مرحلة من المراحل التاريخية صاروا يوزعون الجنة على الناس بصكوك وهذا من الحتصاص الربوبية.

-الأمر الثاني: وهو قام إلى اليوم في ظاهرة الاعتراف، فإذا اعترف المذنب فإن الراهب يحلله من الذنب وهذا من اختصاص الربوبية.

لذا فإننا نرى في الكتاب أن دعاء الإنسان إلى الله دائماً يأخذ مقام المملوك إلى المالك فيبدأ بربي، والمناداة دائماً من مقام الربوبية "ربي، ربنا) "رب اغفر لي ولوالدي) (نوح 28) (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) (البقرة 201 ()يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) (المائدة 83) . (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وتر همنا لنكونن من الخاسرين) (الأعراف 23) (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) (التحريم 8). فتكفير السيئة والتحليل من الخنب هي من اختصاص الربوبية، هنا نفهم لماذا قال)أرباباً من دون الله (ولم يقل آلهة من دون الله. وبما أن مقام الربوبية له وضع خاص لا يستطيع أي انسان أن يفعله فقد قال) :ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين لا يغفرون لأحد ولا يوزعون على أحد الجنة أو النبيين أرباباً) (آل عمران 80) أي أن الملائكة والنبيين لا يغفرون لأحد ولا يوزعون على أحد الجنة أو النبيين أرباباً)

إن توضيح الفرق بين مفهوم الألوهية والربوبية ينعكس بشكل مباشر على بنية الدولة. فالربوبية سلطة وتملك، والألوهية طاعة من خلال القانون والأحكام والدولة ينعكس فيها هذان المصطلحان، فالدولة فيها السلطة والتملك وامتلاك مقادير الأمور وفيها الطاعة والولاء عن طريق القانون والأحكام وقد انعكس هذا المفهوم على بنية الدولة من خلال التطور التاريخي للدول، وما القصص القرآني إلا تفاعل الإنسان مع قوانين الربوبية في المعرفة "النبوات" ومع أحكام الألوهية في الرسالات وهكذا يكتسب القصص هذه الأهمية.

- 5العرب اهتموا بفهم أم الكتاب "الوسالة"

لقد اهتم العرب بفهم الرسالة اهتماماً شديداً وأعطوها كل وقتهم وجهدهم وجاهدوا في نشرها بين الأمم ولكنهم لم يهتموا بفهم القرآن. لأن القرآن بحاجة إلى تفرغ ووضع حضاري معين وبحث علمي، لذا قال تعالى عن القرآن)وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكثٍ (الإسراء 106) قال) :على الناس (ولم يقل على الذين اتقوا .

فكلما زادت معاهد البحث العلمي وزاد عدد المتفرغين لهذا البحث وزاد عدد الاختصاصات زاد فهم الناس للقرآن. هذه الشروط لم تكن متوفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الظاهرة وردت في سورة الفرقان بقوله)وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) (الفرقان 30). فقوم الرسول هم العرب، كل العرب، لاحظ قوله (إن قومي) إذ لم يقل: "إن الذين كفروا من قومي"، ولو عنى المسلمين لقال "أمتي" لأن العرب قومه والمسلمين أمته. هذه الآية تنطبق على العرب بما فيهم الصحابة والخلفاء الراشدين من أبي طالب. فإذا سألني سائل: ما دليلك على هذا؟؟ أقول ما يلي:

- 1 بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حارب أبو بكر الصديق المرتدين من أجل الزكاة وهي من أم الكتاب "الرسالة" واستشهد في حرب الردة كثير ن الصحابة، ومع ذلك كان أبو بكر الصديق واثقاً من قراره. وقد أجاب في الوقت نفسه عندما سئل عن تفسير حرف من القرآن فقال: "أي سماء تظلني وأي أرضٍ تُقِلني! وأين أذهب! وكيف أصنع إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد الله تبارك وتعالى" (انظر تفسير الطبري 78 - 10 -

تأمل قوله، ترى هل كان يقصد الزكاة أو الصلاة أو الإرث؟. وقرأ عمر بن الخطاب "رض" على المنبر قوله تعالى (وفاكهة وأباً) فقال: "ما الأب؟" ثم قال: إن هذا الكتاب فاعملوا عليه، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه" (فتح القدير للشوكاني ج5 ص376) لاحظ أن تعليق عمر بن الخطاب كان على آية من القرآن وليس من الأحكام.

- 2 لقد قال الذين كفروا من العرب عن القرآن فقط إنه سحر مبين)وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) (الأحقاف 7). لماذا؟ وكيف فهم العرب مؤمنهم وكافرهم قوله تعالى) :مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان) (الرحمن 19-20)؟ أقول لم يستوعبوها، فالكافر قال إنها سحر، والمؤمن آمن بها تسليماً.
 - 3كان إيمان المؤمنين من العرب كالتالي)ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق) (يونس 53) وهكذا آمن العرب تسليماً بأنه حق كما جاء في هذه الآية.
- 4روى عن سعيد بن المسيب (أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال" :إنا لا نقول في القرآن شيئاً") رواه مالك في الموطأ. تُرى هل كان سعيد بن المسيب يقصد آيات الإرث أو المحارم أو آية الوضوء أو آية المداينة والتي كلها من المحكمات القابلة للفهم من كل الناس، لقد كان دقيقاً عندما قال" :إننا لا نقول في

القرآن شيئاً."

هذا الموقف من العرب أيام النبي صلى الله عليه وسلم كان موقفاً علمياً من الناحية التاريخية، لأن القرآن كان معظمه-إن لم يكن كله- غيباً بالنسبة لهم ولم يؤول أية آية في زماهم ولم تكن أرضيتهم العلمية تسمح لهم بالتأويل لذا قال عن الكافرين) :بل كذبوا بما يحيطوا بعلمه ولما يأهم تأويله .. الآية) (يونس 39). هذا الموقف التاريخي العلمي مقدره الله لهم تقديراً كبيراً بأن سلموا بالقرآن تسليماً وآمنوا به على أنه الحق، علماً بأنه كان غيباً بالنسبة لهم.

هذا التقدير جاء في سورة الواقعة)والسابقون السابقون * ألئك المقربون * في جنات النعيم * ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين) (الواقعة 10-11-12-13) أي عند نزول القرآن آمن به من آمن تسليماً، وهؤلاء هم السابقون، وأعطاهم الله مكانة عالية بقوله) :أولئك المقربون .(أما قوله)ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين .(فهذا يعكس التطور العلمي والتاريخي لفهم القرآن. فالذين آمنوا بالقرآن تسليماً عند نزوله كانوا يشكلون الأكثرية الساحقة إن لم يكونوا كلهم لذا قال)ثلة من الأولين .(ولكن بعد مرور الزمن وتقدم العلم فإن الناس الذين سيؤمنون تسليماً على طريقة الأولين سيكون عددهم أقل لأننا نعرف الآن معنى قوله تعالى)مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان (والناس يؤمنون بها الآن كافر ومؤمن تصديقاً لا تسليماً.

- 6القدر في القرآن والقضاء في أم الكتاب

بما أن آيات القرآن هي آيات قوانين الوجود وظواهر الطبيعة وأحداث التاريخ التي حصلت فعلاً "أي بعد حدوثها لا قبله" والتي تظهر التطور التاريخي الحتمي في اتجاه التقدم من خلالها لأن الحدث التاريخي الإنساني هو قضاء قبل وقوعه يدخل في عالم الممكنات وبعد وقوعه ينتقل إلى عالم الحمكنات وبعد وقوعه ينتقل إلى عالم الحتميات، لذا جاء القصص من القرآن .فقوانين الكون هي قوانين حتمية صارمة وأحداث الإنسان بعد وقوعها تأخذ صفة الحتمية، والقدر هو الوجود الحتمي للأشياء والأحداث خارج الوعي الإنساني، والقضاء هو حركة إنسانية واعية بين النفي والإثبات ضمن هذا الوجود . فإن الله المسلوك فإن الياساني فالإنسان له الخيار في أن يقوم بها أو لا يقوم، وهي مناط القضاء الإنساني وتدخل ضمن الحرية الإنسانية. وبما أن أوامر أم الكتاب فيها حركة بين نفي وإثبات، أي نعم ولا، فالله سبحانه وتعالى في أوامره لم يأمرنا إلا بالخير ونهانا عن الشر، ولكن لنا ملء الخيار في أحدهما ولا يمكن أن نمارس الأحكام الواردة في أم الكتاب إلا إذا دخلت وعينا وعلمنا بها، فوجب أن تكون صياغتها سهلة الفهم لأنه على كل الناس ممارستها حاصتهم وعامتهم، ومن هنا كانت لا تحتوي على خاصية التشابه، فلا يمكن للناس أن يصوموا إذا لم يعلموا خاصتهم وعامتهم، ومن هنا كانت لا تحتوي على خاصية التشابه، فلا يمكن للناس أن يصوموا إذا لم يعلموا خاصتهم وعامتهم، ومن هنا كانت لا تحتوي على خاصية التشابه، فلا يمكن للناس أن يصوموا إذا لم يعلموا خاصتهم وعامتهم، ومن هنا كانت لا تحتوي على خاصية التشابه، فلا يمكن للناس أن يصوموا إذا لم يعلموا

بالصوم أولاً، وإذا علموا بالصوم فيمكن أن يقبلوا أولاً يقبلوه. أي أن أم الكتاب حتى تنفذ لها شرطان: العلم هما وقبولها، لذا فهي تعاليم إلاهية تدخل ضمن القضاء الإنساني وليست قوانين رحمانية موضوعية. أما القرآن ففيه قوانين الوجود الموضوعي وقد قال عنه: إنه الحق "فالموت حق" ولا تتأثر ظاهرة الموت بعلم الإنسان لها أو قبوله لها. ولهذا نقول: إن الإنسان لها أو قبوله لها. ولهذا نقول: إن آيات القرآن فيها القدر، فالقدر وجود موضوعي والقضاء سلوك إنساني واع.

من هذا المنطلق نفهم الآيتين التاليتين من سورة النساء:

) - 1أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولون هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء لا يكادون يفقهون حديثاً) (النساء 78. () - 2وما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً) (النساء 79. (

تبدأ الآية 78 من سورة النساء بقوله) :أينما تكونوا يدرككم الموت (والموت حق ولا علاقة له بالحلال والحرام وتنتهي بقوله) :فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً (وكما قلت إن القرآن هو الحديث أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) (الواقعة 81)، فهذه الآية تتحدث عن الوجود لا عن السلوك، فجبريل وإبليس والحياة والموت كلاهما وجود من الله لذا قال)قل كل من عند الله (هذه الآية تتكلم عن المقدرات وجوداً.

أما الآية رقم 79فإلها تتحدث عن الاختيار الإنساني فالله أوجد جبريل وإبليس وكلاهما حق ولا يوجد أحقية بالوجود لأحدهما دون الآخر، ولكنا أمرنا باتباع جبريل دون اتباع إبليس (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وبما أن أم الكتاب هي الأوامر والنواهي من رب العالمين للسلوك الإنساني حصراً وهي تشكل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أتبعها بقوله)وأرسلناك للناس رسولاً (فالآية الأولى هي آية قدر "وجود" تتحدث عن القرآن والثانية هي آية قضاء "سلوك" تتحدث عن أم الكتاب "الرسالة." ماذا يحدث لو اعتبرنا آية من آيات أم الكتاب قرآناً أو العكس (أي آ]ة من آيات القرآن أو تفصيل الكتاب أحكاماً: (

لناخذ الآن آية من آيات أم الكتاب وهي من آيات السلوك "قضاء" ونعتبرها قرآناً "حق-وجود" فماذا تكون النتيجة؟ لنأخذ الآية التالية:

)وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً) (الإسراء 23.(

هذه الآية هي من آيات أم الكتاب "الرسالة" وفيها أمر ونهي للإنسان العاقل ''موعظة"، فعبادة الله وحده هي أمر للعاقل وقد عطف عليها بر الوالدين. فإذا كانت هذه الآية هي من القرآن فهي حقيقة موضوعية خارج

الوعي ونافذة حكماً بغض النظر عن قبولنا لها أو عدم قبولنا فهي كالموت تماماً. وبذلك يصبح معنى الآية كالتالى:

إن عبادة الله موضوعياً نافذة بغض النظر عن وعي الإنسان لها أو عدم وعيه أو كيف يمارسها، فالذي يعبد الله القمر فقد عبد الله، والذي يعبد الشمس فقد عبد الله .. وهكذا دواليك. لأنه من المستحيل أن يعبد غير الله) لا مبدل لكلماته (وينتج عن ذلك إسقاط العقوبات والإرادة الإنسانية وإسقاط الحرية وتساوي الجنة والنار ونصل إلى مفهوم وحدة وصحة العبادات على اختلاف مشاربها توحيدية أو وثنية وتصبح عبادة الله كعبادة الأصنام لا فرق بينهما، وعبادة الله كعبادة فرعون.

لقد أخطأ ابن عربي حين علق على الآية)وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه (هذه الخطيئة القاتلة إذ اعتبر أن هذه الآية قرآن نافذ "كلام الله" ووصل إلى مفهوم وحدة العبادات وأسقط الإرادة الإنسانية "إسقاط التدبير" وحول الإسلام إلى مهزأة حيث كان تعليقه على هذه الآية "فما عبد غير الله في كل معبود" [الفصوص "فص كلمة سبوحية في كلمة نوحية"] حيث قضى على الإسلام عقيدة وأحكاماً قضاء مبرماً. وما إسقاط التدبير والتواكل والفكر الخرافي الموجود عند العرب والمسلمين حالياً إلا من النتائج المباشرة لهذا الخلط. لنلاحظ كيف عطف بر الوالدين على عبادة الله حيث قال)وبالوالدين إحساناً (فإذا حكمنا أن هذه الآية قرآن فهذا يعني أن الذي يضرب والديه أو يجوعهما أو يشتمهما، والذي يطيعهما وتلاطف معهما في الكلام ويبرهما، هما سواء وكلا عمليهما من بر الوالدين لأن الإنسان مهما فعل مع والديه فهو قد بر هما لأنه موضوعياً لا يستطيع إلا أن يكون براً هما.

والآن إذا أخذنا آية من آيات تفصيل الكتاب واعتبرناها من آيات أم الكتاب مثل قوله تعالى) إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون) (الواقعة 77-78-79) إذا اعتبرنا آية)لا يمسه إلا المطهرون (من الأحكام فهذا يعني ألها تعني الإنسان العاقل ولا تعني غيره، وفيها مجال الاختيار، فإذا فهمناها هكذا فتعني الحائض والنفساء والجنب، فتصبح حكماً شرعياً وهذا هراء.

وهذا الهراء حاصل فعلاً عند كثير من الناس لأنه في هذه الحالة تم تحويل "لا" النافية في)لا يمسه إلا المطهرون (إلى "لا" الناهية. وتم تحويل (قرآن كريم) إلى المصحف المنسوخ بحبر على ورق أو على جلد غزال أو على شريط كاسيت. وهكذا نلاحظ ما يترتب على عدم التفريق والخلط بين كلام الله وبين كتاب الله "أوامر الله". ففي حالة فهم آية قرآن أو تفصيل الكتاب على ألها أحكام يصبح السلوك الإسلامي وأحكامه غير مفهومة إطلاقاً، ولا يوجد أي ترابط في السلوك الإسلامي وفي حال فهم آية من أم الكتاب على ألها قرآن تصبح العقيدة الإسلامية نوعاً من السخرية والمتناقضات التي لها أول وليس لها آخر وهاتان الحالتان حاصلتان فعلاً في حاتنا.

ولنأخذ مثالاً آخر الآيتين التاليتين:

-) -إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) (النحل 90) هذه آية من آيات أم الكتاب فيها موعظة للإنسان.
-) -وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) (الإسراء 16) "قرآن."

الآية 90 من سورة النحل هي من أم الكتاب لذا قال في آخرها)يعظكم لعلكم تذكرون.(

الآية 16 من سورة الإسراء هي من القرآن لذا قال في آخرها) :فحق عليها القول" (قوله الحق": أي فيها قانون موضوعي وليس موعظة أو وصية.

لقد حار المفسرون في الربط بين الآيتين، ولكن لا ربط بينهما لأن المواضيع مختلفة تماماً، ففي آية النحل أعطى أمراً ولهياً للإنسان "موعظة" "قانون أخلاقي" فيمكن للإنسان أن يأخذ بها أو لا يأخذ ولا تحتاج إلى تأويل. أما الآية الثانية فهي قانون موضوعي يعمل خارج الوعي لا علاقة له بقبول الإنسان أو عدم قبوله وتحتاج إلى تأويل حيث أن الخطأ الفاحش هو الظن أن آية الإسراء موعظة أي أن الله يأمر وينهى فيها وهذا عين الخطأ.

- 7الكتاب عند موسى وعيسى

لقد سمَّى الكتاب "المصحف" مجموعة الأحكام التي جاءت إلى موسى وعيسى بالكتاب الله وذلك في قوله)ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) (البقرة 101.(

وعن عيسى قال)قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً) (مريم 30). فالكتاب فيه الرسالة وأضاف إليه النبوة. وقوله أيضاً عن موسى) :وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تمتدون) (البقرة 53) هنا أيضاً الكتاب عبارة عن التشريع وأضيف إليه الفرقان.

وقوله) : فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) (البقرة 79 (لاحظ أنه قال الكتاب وهو يريد التشريع فقط الذي جاء في الرسالة، ولهذا حذر من تقليده لأن التشريع يقلد ولا يخضع للتحدي والإعجاز. وقوله عن المسيح)ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) (آل عمران 48). لاحظ كيف أضاف التوراة والإنجيل إلى الكتاب والحكمة. إن مجمل هذه البنود الأربعة تشكل الكتاب المقدس عند النصارى. فالكتاب هو التشريع والحكمة هي الوصايا والتوراة نبوة والإنجيل نبوة عيسي.

أي أن مصطلح الكتاب ذو معنيين:

-المعنى الأول للكتاب: بالنسبة لموسى وعيسى هو مجموعة التشريعات التي جاءت لهما. والرسالة والكتاب عند اليهود والنصارى تختلف عن التوراة والإنجيل): ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل). (ولقد آتينا

موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل) (البقرة 87) لاحظ كيف ربط الكتاب والرسالة عند موسى. الله الثاني للكتاب: وقد جاء لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو مجموعة الآيات الموحاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم والتي تحتو على رسالته ونبوته معاً حيث سمى التشريع عند النبي صلى الله عليه وسلم "بأم الكتاب 'أي أن الكتاب والفرقان عند موسى والكتاب والحكمة عند عيسى، يقابلهما أم الكتاب عند المسلمين. ويمكن أن نفهم أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل مفهوم الكتاب في حديثه بمعنى التشريع فقط في قوله "أوتيت الكتاب ومثله معه" حيث فصل هنا بين الكتاب والقرآن حيث قال في حديث آخر "أوتيت القرآن ومثله معه."

وطبقاً لما أخبرنا الله فإن الكتاب جاء إلى ثلاثة رسل هم موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم. فلماذا جاء الكتاب لهؤلاء الرسل الثلاثة مع أن هناك رسلاً غيرهم مثل شعيب وصالح وهود ونوح ولا نقول عنهم إنهم جاءهم الكتاب؟

فكما عرفنا أن الكتاب هو مجموعة المواضيع التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الله وحياً، وتحوي الرسالة والنبوة معاً. وإذا نظرنا إلى الرسالة وجدناها مجموعة كاملة من التشريعات والتعليمات "كود تشريعي وأخلاقي" وإذا نظرنا إلى النبوة وجدنا فيها مجموعة كاملة من العلم والمعلومات، على هذا نفهم معنى الكتاب الذي جاء إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

فقد جاء إلى موسى مجموعة كاملة من التشريعات "الرسالة" وقد سميت الكتاب .كما جاءه مجموعة كاملة من المعلومات في النبوة وسميت "التوراة" وجاء هذا أيضاً إلى عيسى الرسالة في الكتاب والنبوة في الإنجيل وجاءت تشريعات كاملة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وسميت "أم الكتاب" وبما أن القرآن هو نبوة محمد فقط، والإنجيل نبوة عيسى فقط والتوراة نبوة موسى، ففي الكل التجانس في النبوة لذا عطف بعضها على بعض في قوله)وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن) (التوبة 111). لاحظ كيف ذكر لفظة "حقاً" قبل ذكر كتب النبوة الثلاثة.

فإذا نظرنا إلى رسل مثل نوح رأينا أنه لا يوجد عندهم كتاب "كود كامل تشريعي وأخلاقي" مع مجموعة كاملة من المعلومات فرسالة نوح كانت التوحيد والاستغفار فقط ونبوته صناعة الفلك والتبشير بالبنيان وكانت رسالة إسماعيل الصلاة والزكاة لأهله فقط) .وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ()مريم 55). ورسالة شعيب كانت)فأوفوا الكحيل والميزان ولات بخسوا الناس أشياءهم) (الأعراف 85) ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) (الأعراف 56-85 .(

)ولا تعثوا في الأرض مفسدين) .(البقرة 60). قد يظن البعض أن قوله تعالى) :ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها .(وقوله)ولا تعثوا في الأرض مفسدين (تعليمات أخلاقية وهذا غير صحيح. فالفساد عكسه الصلاح ونقول: فسد الطعام فهذا يعني أن الطعام غير صالح للأكل، ونقول فسدت السيارة فهي بحاجة إلى

إصلاح، فالفساد في الأشياء والوظائف والفسوق في السلوك الإنساني وهو حصراً يعني الخروج عن تعليمات رب العالمين كقوله عن إبليس)ففسق عن أمر ربه) (الكهف 50) وعندما كانت امرأة زكريا عاقراً قال وأصلحنا له زوجه) (الأنبياء 90) فهل كانت زوجه فاجرة فأصبحت تقية؟! أم كانت عاقراً فأصبحت ولوداً؟ وعندما نقول فسد جهاز الشرطة فهذا يعني أنه غير قادر على القيام بوظيفته التي أنشئ من أجلها. كما نقول فسدت المعدة فهي غير قادرة على الهضم. ففي نبوة شعيب جاءتنا معلومات وتعليمات في غاية الأهمية وما زلنا إلى يومنا هذا نعاني من عدم فهمها وهي:

- 1 بعد إصلاح الأرض من إقامة جسور وطرق وشوارع ومزارع وأبنية وحدائق علينا أن لا نفسدها. لذا قال) :إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف .. الآية) (المائدة 33.(
 -) 2ولا تعثوا في الأرض مفسدين) (البقرة 60) فالعثو هو الإقامة في مكان ما وإفساده من جراء هذه الإقامة ومنه جاءت كلمة العث أو العت وهي الحشرة التي تعيش في الملابس الصوفية وتفسدها من جراء عيشها داخلها.

إن القصص القرآني هو تطور تاريخي في أكثر من ظاهرة علمية من حيث تاريخ المعارف الإنسانية عن طريق النبوات وتاريخ التشريع الإنساني عن طريق الرسالات، وقد ظل هذا التطور سارياً حتى جاء الرسل الثلاثة "أهل الكتاب "فجاءهم مجموعة كاملة "كود كامل" من المعلومات والتشريعات وكان آخرها هو كتاب الإسلام لأنه نسخ جزءاً من التشريعات وثبت جزءاً آخر فكل ما جاء في التشريعات في قصص القرآن فهو ملزم وجزء من دينا لأنه يدخل مضمن حدود التشريع الإسلامي.

مثل تحريم اللواط صراحة في رسالة لوط وهو محرم علينا أيضاً عدا ما جاء صراحة أنه غير ملزم كقوله:)وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر (.. إلى قوله)ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون) (الأنعام 146. أما النبوات فهي تطور في المعلومات إذ بدأت النبوات من قوله)ويصنع الفلك) (هود 38). وقوله)ويمدد كم بأموال وبنين) (نوح 12) فتطورت هذه النبوات حتى محمد صلى الله عليه وسلم حيث جاءته "الحقيقة المطلقة ذات الفهم الإنساني النسبي" في القرآن.

فإذا طرحنا البعد التاريخي من أذهاننا من حيث المعرفة والتشريع الإنساني فإن قصص القرآن غير قابل للفهم. وفي هذا البعد التاريخي يكمن التشابه في القصص أي نسبية الفهم.

فبالنسبة لموسى وعيسى فصلت التشريعات عن النبوات، لا كما حدث مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فنبوة موسى هي التوراة وشريعته الكتاب والفرقان وكذلك نبوة عيسى الإنجيل وشريعته هي الكتاب نفس شريعة موسى مع بعض التعديلات)ولأحل لكم بعض الذي حُرم عليكم) (آل عمران 49). لذا قال عن عيسى فقط، أما عند محمد صلى الله عليه وسلم فهو النبوة والرسالة معاً حيث أن رسالة محمد هى أم الكتاب

عوضاً عن الكتاب عند موسى وعيسى، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن والسبع المثاني وتفصيل الكتاب وقد جاء جميع ذلك في الكتاب. فمفهوم الكتاب عند المسلمين يختلف عن مفهوم الكتاب عند موسى وعيسى فالكتاب عند المسلمين هو مجمل التتريل وعند موسى وعيسى هو الأحكام فقط "الشريعة."

- 8النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان أمياً وكان يقرأ ويكتب

نريد في هذا البحث أن نضع النقاط على الحروف حول معنى لفظة "الأمي". لقد وردت هذه اللفظة في الكتاب في ستة مواقع وهي:

-) -فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي الله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالبعاد) (آل عمران 20.(
-) -ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم ن إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (آل عمران 75.(
 -) -قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) (الأعراف 158.(
-) -الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم .. الآية) (الأعراف 157.) -هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (الجمعة 2.(
 -) -ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا بظنون) (البقرة 78.(

أولاً: لنعرف ما معنى كلمة الأمي التي وردت في الآيات السابقة. لقد أطلق اليهود والنصارى على الناس الذين لا يدينون بدينهم أي ليسوا يهوداً ولا نصارى لفظ الأمي)وجاءت من كلمة غوييم العبرية "الأمم .('' وهو ما نعبر عنه اليوم بالدهماء أو الغوغاء أو العامة، لأن هؤلاء الناي كانوا جاهلين ولا يعلمون ما هي الأحكام في كتاب اليهود والنصارى، والنبوات التي جاءت لهم. ومن هنا جاء لفظ الأمي التي تعني:

- 1غير اليهودي والنصراني.
- 2الجاهل بكتب اليهود والنصارى.

وبما أن التوراة والإنجيل هما نبوتا موسى وعيسى لذا جاء التبشير بنبوة محمد في التوراة والإنجيل وليس في الكتاب لقوله)الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) (الأعراف 157). وهذا واضح في الآية رقم 20 من آل عمران)وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين (فالذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى والباقي من الناس هم الأميون.

وهذا المعنى واضح أيضاً في الآية رقم 75 من آل عمران عندما ذكر أهل الكتاب اليهود والنصارى فمنهم أي اليهود)من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك (ومنهم أي النصارى)من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك .(فلماذا لا يؤدي اليهود الأمانات لغيرهم؟ لألهم يعتبرون "الغوييم" الأمم خدماً لهم وألهم الدهماء، وهؤلاء الأميون لا تنطبق عليهم وصايا الرب حيث قال)ذلك بألهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل.

وفي سورة الأعراف الآية 157) .الذين يتبعون الرسل النبي الأمي .(أمي لأنه ليس منهم لأنه قال) :الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .(

وكذلك جاءت في الآية 158 حيث أتبعها بأن محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الله إلى الناس جميعاً اليهود والنصارى والأميين علماً بأنه لم يكن أصلاً يهودياً ولا نصرانياً بل من الفئة الثالثة وهي الأميون. وبمعنى الجهل في الكتاب قال) :ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني) (البقرة 78) أي الذين لا يعلمون الكتاب ومحتوياته هم أميون بالكتاب ولذا أتبعها)وإن هم إلا يظنون) (البقرة 78.

فإذا قلنا: إن فلاناً أمي دون التعريف .. أمي بماذا؟ وأراد أن يمحوا أميته فيدخل مدرسة محو الأمية تحت اسم محمد بن سعيد ويخرج تحت اسم هارون. أما إذا قلنا فلان أمي وعرفناه بماذا، فهذا صحيح ونكون قد استعملنا المعنى الوارد في الآية)ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني . (فكاتب هذا الكتاب هو أمي بعلم البحار مع أنه دكتور مهندس في الهندسة المدنية. أي هو لا يعلم في علم البحار إلا اللمم وعندما يتكلم عن علم البحار فمعلوماته ظنية غير يقينية) : وإن هم إلا يظنون. (

ومن ها هنا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً بمعنى أنه غير يهودي وغير نصراني، وكان أمياً أيضاً بكتب اليهود والنصارى وكانت معلوماته عن كتبهم هي بقدر ما أوحي إليه بعد بعثته صلى الله عليه وسلم أما إسقاط هذا المعنى على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً أي لا يقرأ ولا يكتب فهذا خطأ، فكما قلت: إن الكتابة هي تجميع الأشياء بعضها إلى بعض لإخراج معنى مفيد "موضوع" فهل كان النبي صلى الله عليه وسلم عاجزاً عن تأليف جملة مفيدة أو كتابة كتاب "تأليف"؟ إنّ الكتاب الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى هو كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذي أملاه وصاغه. والقراءة تعني العملية التعليمية "تبع المعلومات" ثم القدرة على استقراء نتائج منها ومقارنتها بعضها ببعض. فالاستقراء والمقارنة جاءا من القراءة، فهل كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقرأ؟

قد يقول البعض-وهذه هي الحجة التي يوردها كثير من الناس-إنه عندما جاء الوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم قال له: اقرأ، فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم: ما أنا بقارئ، واستنتجوا أنه لا يقرأ. وأقول إنه إذا أمر سعيد زيداً أن يذهب، فقال زيد "ما أنا بذاهب" فهل هذا يعني بالضرورة أن زيداً مشلول أو بلا أقدام. هل هذا يعني أن زيداً لا يستطيع الذهاب أو أنه لا يريد الذهاب. ثم هل يعني أن جبريل قدم للنبي صلى الله عليه وسلم مادة مخطوطة لكي يقرأها خطاً. فهنا خلطنا بين إرادة النبي صلى الله عليه وسلم للقراءة وبين عدم

استطاعته، وظننا أن جبريل قدم له مادة مخطوطة على قرطاس ليقرأها، لأنه عندما قال له في المرة الثالثة: اقرأ فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم: ما أنا بقارئ. فقال جبريل) :اقرأ باسم ربك الذي خلق) (العلق 1). فسكت النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآيات ولم يقل ما أنا بقارئ.

قد يقول البعض: ألم يكن النبي صلى الله عليه وسلم أمياً بمفهومنا الخاطئ للقراءة والكتابة؟ أقول: نعم لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من أول حياته إلى وفاته أمياً بالخط أي كان لا يخط ولا يقرأ المخطوط وجاء هذا المعنى في قوله تعالى)وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون () العنكبوت 48). (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) (العنكبوت 49.(

لقد وضحت أمية النبي صلى الله عليه وسلم في شيئين: أولهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في حياته قبل البعثة عن أي موضوع من مواضيع القرآن، ولو فعل ذلك لقال له العرب: لقد كنت تتحدث إلينا عن هذه المواضيع قبل أن تكون نبياً. أي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً في مواضيع القرآن تماماً؛ وقوله من كتاب (منكرة، وتعني القرآن لأنه أتبعها بقوله)بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم (أما مواضيع أم الكتاب فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم أمياً بما كلها فمثلاً: الصدق والأمانة والوفاء بالكيل والميزان من مواضيع أم الكتاب، أو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم صادقاً وأميناً ويوفي الكيل والميزان قبل البعثة؟ والناحية الثانية التي تقولها الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً بالخط، وأميته بالخط استمرت إلى أن توفى صلى الله عليه وسلم.

إن السر الأكبر في أمية النبي صلى الله عليه وسلم من ناحية الخط وقراءة المخطوط هي أن أساس الكلام الإنساني هو الأصوات وليس الخطوط، أي أن اللغة بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم كانت لساناً وأذناً "كلام وسمع". لأن أي قوم إذا غيروا أبجديتهم فلا يتأثرون أبداً في كلامهم بين بعضهم وفهمهم للغتهم بل يتأثرون بقراءة المخطوط. علماً بأن الكتاب جاء إلى النبي وحياً ، أي جاءه بصيغة صوتية غير مخطوطة وسماه الكتاب.

فإذا سألني سائل: ما معنى قوله تعالى)وكتبنا له في الألواح) (الأعراف 145)؟ الألواح هنا قرطاسية أي ما يخط عليه. فأقول: لو قال "وخططنا له فالسؤال هنا: ماذا كتب؟ ويأتي الجواب مباشرة)من كل شيء موعظةً وتفصيلاً لكل شيء) .(الأعراف 145) فهنا بعد فعل كتبنا ذكر الموضوع مباشرة.

وإذا سأل سائل: ما معنى فعل كتب في آية المداينة في سورة البقرة وهي آية حدودية) .يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدينٍ إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل .. الآية) (البقرة 282) هنا "فاكتبوه" بمعنى تسجيل العقود حسب الموضوع كأن نقول فريق أول وفريق ثانٍ وموضوع العقد هل هو مال أو بيت أو تنفيذ أعمال .. مع ذكر الأجل .. الخ حيث أن بنود العقد تشمل كل صغيرة وكبيرة لذا قال. "فاكتبوه "وهنا ليس بالضرورة أن يكون الكتاب بالعدل خطياً أو العقد خطياً فيمكن أن يكون العقد شفهياً أي أن هذه

الآية تشمل العقود الخطية أو الاتفاقات الشفهية. لذا قال عن الشهادة)فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) (البقرة 282(

فكيف نفهم هذا الشرط في حالة توثيق العقد في كاتب العدل كما نفعل الآن لأنه في حالة العقد الخطي بوجود الكاتب بالعدل لا داعي أصلاً أن تضل إحداهما لتذكرها الأخرى لأن محتويات العقد الخطية الموثقة في كاتب العدل لا تحتاج بعد مدة من الزمن إلى أي مراجعة، وهذا الشرط صحيح للكتابة الشفهية للعقد "شروط العقد" لأن أساس التعامل بين الناس والدول هو الاتفاقات الشفهية أولاً ثم تنسخ أو لا تنسخ "توثق أولاً توثق."

ومن ناحية أخرى عندما يتم عقد نكاح بين رجل وامرأة فكتابة عقد النكاح هو اكتمال شروط العقد "الكتاب" بالإيجاب والقبول والشهود وتحديد الصداق ... الخ. فإذا تمت هذه الشروط قلنا لقد تم كتاب فلان على فلانة. هذه الشروط لا تعني الخط مطلقاً. فبعد ذلك يتم تسجيل عقد النكاح. ولكن إذا سجل هذا العقد أم لم يسجل فشروطه صحيحة ويبقى صحيحاً، وإذا لم يكن الأمر كذلك وفهمنا الكتابة على ألها التسجيل، فإذا سجل العقد خطياً ففي هذه الحالة يصبح جماع الرجل والمرأة نكاحاً شرعياً. وإذا لم يسجل خطياً فيصبح زنا؟؟!! وأعتقد بأن كل زيجات النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن خطية ومع ذلك فهي شرعية والكتاب فيها أي شروط عقد النكاح مستوفاة. والله أعلم.

الفصل الثالث الإنزال والتتريل

- 1الفرق بين الإنزال والتتريل

إن شرح الفرق بين الإنزال والتتريل يعتبر أحد المفاتيح الرئيسية لفهم الكتاب بشقيه: النبوة والرسالة كما له علاقة كبيرة بمبادئ التأويل. فبدون فهم الفرق بين الإنزال والتتريل لا يمكن فهم قوله تعالى) :وأنزلنا الحديد (وقوله) :يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً) (الأعراف 26 .(إذ قال إنه تم إنزال الحديد وقال إنه تم انزال اللباس على بني آدم .

وقال أيضاً) :إنا أنزلناه قرآناً عربياً) (يوسف 2 (وقال) :إنا أنزلناه في ليلة القدر) (القدر 1 (فكيف نفهم إنزال الحديد وإنزال القرآن؟ أما عن التتريل فقال) :إنا نحن نزلنا عليك القرآن تتريلاً) (الإنسان 23 .(

وقال) :تتريل الكتاب من الله العزيز الحكيم) (الجاثية 2 (وقال) :تتريل من الرحمن الرحيم) (فصلت 2 (وقال) :تتريل من رب العالمين) (الواقعة 80.(

إن النبي صلى الله عليه وسلم شرح الإنزال بقوله: "أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة" رواه ابن عباس، البرهان في علوم القرآن للزركشي ج1 ص288". وبما أن هذا الحديث من الأحاديث التي تتعلق بالغيب فلا ينبغي أن يفهم فهما سطحياً ساذجاً، بل لا بد من فهمه فهما عقلانياً منطقياً يتناسب مع العقل وينطبق على الواقع فإذا فهمناه فهما سطحياً نقول. إذا كان إنزال القرآن هو الترول إلى السماء الدنيا فماذا عن الحديد واللباس أي ما هو إنزال الحديد وإنزال اللباس؟ وكيف يفهم إنزال القرآن وإنزال الحديد بشكل لا يناقض أحدهما الآخر .

أما التتريل فكيف نوفق بين قوله)تتريل من رب العالمين) (الواقعة 80 (و)إنا نحن نزلنا عليك القرآن تتريلاً ()الإنسان 23 (وبين قوله)ونزلنا عليكم المن والسلوى) (طه 80(؟ وكيف نفهم)وأنزلنا عليكم المن والسلوى) (.. البقرة 57(؟ أي كيف نفهم الإنزال والتتريل في المن والسلوى وفي القرآن.

فعن القرآن قال: "نزلنا وأنزلنا" وعن المن والسلوى قال أيضاً: "نزَّلنا، وأنزلنا" وعن الماء قال) : وأنزلنا من السماء ماء مهورا) (الفرقان 48 (وقال) : ونزلنا من السماء ماء مباركاً) (ق 9 (وعن الذكر قال) وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّلَ إليهم) (.. النحل 44 . (فما هو الإنزال والتتزيل للقرآن؟ والإنزال والتتزيل للمن والسلوى؟ والإنزال والتتزيل للماء؟ والإنزال والتتزيل للملائكة والذكر حيث قال عن الملائكة)ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى .. الآية) (الأنعام 111) (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون) (الأنعام 8 . (

كيف نفهم الإنزال والتتريل في هذه الحالات بشكل ينسجم بعضها مع بعض وينسجم مع قوانين الحقيقة. أي يجب أن يكون بينهما رباط منطقي مع مطابقة موضوعية.

إن الهمزة: في اللسان العربي تعطي معنى التعدي. مثال على ذلك: بلغ وأبلغ .فلدينا مصطلحان هما البلاغ والإبلاغ. ولنأخذ الآيات التالية:

-) ما على الرسول إلا البلاغ) (المائدة 99) (بلاغ.
-) يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) (المائدة 67) (بلاغ. (
-) -فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) (الأعراف 93) (إبلاغ. (فعملية البلاغ هي عملية نقل من شخص إلى آخر دون التأكد من أن الشخص المنقول إليه البلاغ وصله الخبر. فعندما نقول إن هناك بلاغاً من وزارة المالية إلى المواطنين في الإذاعة حول دفع الضرائب. فهذا البلاغ ينتقل إلى الناس ولكن لا يوجد أي تأكد من أن كل المواطنين المعنيين بهذا البلاغ قد وصلهم، فعندما يصل محتوى البلاغ إلى إدراك ووعى كل مواطن مقصود بهذا البلاغ يصبح إبلاغاً.

لذا فعندما أمر الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم)بلغ ما أنزل إليك من ربك (ولو قال أبلغ ما أنزل إليك من ربك، لوجب على النبي أن يتأكد من أن كل إنسان معني بهذا البلاغ قد أدرك ووعى محتويات البلاغ، وبما أنه رسول الله إلى الناس جميعاً فيجب عليه في حالة الإبلاغ أن يطوف الدنيا ويتأكد من أن كل شخص وصله البلاغ. ولأن هذا متعذّر كل التعذر فقد قال في حجة الوداع" :ألا هل بلغت" ولم يقل ألا هل أبلغت. "اللهم فاشهد."

بما أن هوداً وصالحاً وشعيباً أرسلوا إلى أقوامهم فقط أي إلى عدد قليل من الناس وهم قوم عاد وقوم ثمود وقوم مدين فكانت عمليتهم هي عملية إبلاغ لا بلاغ، وقد تم إهلاك القوم، وإلا فكيف يهلك أناس لم يدركوا ما هو المطلوب منهم ولم يعلموا بأي رسالة. في حالة قوم صالح قال لهم)فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي) (الأعراف 79 .(وفي حالة قوم شعيب قال) :فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) (الأعراف 93 .(وبالنسبة لقوم هود)فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم) (هود 57 .(

وقوله)ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربحم) (الجن 28 . (ولم يكن مطلوباً من النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من البلاغ حيث أتم الآية)بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس (المائدة 67 (وقوله هذا بلاغ للناس) وقوله)فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين) (التغابن 12 (وقوله)فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ) (الشورى 48 . (فالبلاغ هو مجرد عملية نشر الخبر أو الأمر. والإبلاغ هو عملية التأكد من أن الإنسان المقصود تبليغه قد وصله البلاغ وأصبح ضمن مدركاته . ولا يثبت لمعترض أن يعترض علينا بقوله: إن الله سبحانه وتعالى قد قال على لسان هود) :قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به) (الأحقاف 23 (وهذا تبليغ وليس إبلاغاً لأن ماضي أبلغكم: بلغتكم لا أبلغتكم" فنجيب قائلين: لقد كان هذا في بداية الدعوة لا في نمايتها.

والآن لنأخذ التتريل والإنزال:

فالتتريل: هو عملية نقل موضوعي خارج الوعي الإنساني.

والإنزال: هو عملية نقل المادة المنقولة خارج الوعي الإنساني، من غير المدرك إلى المدرك، أي دخلت مجال المعرفة الإنسانية.

هذا في حالة وجود إنزال وتتريل لشيء واحد مثل القرآن والماء والملائكة والمن والسلوى. أما في حالة وجود إنزال دون تتريل كما في حالة الحديد واللباس، فإن الإنزال هو عملية الإدراك فقط "أي المعرفة فقط." لنأخذ الآن أمثلة عادية على الإنزال والتتريل، وأود أن أنوه بأن المكتشفات العلمية والتكنولوجية في النصف الثاني من القرن العشرين هي التي سمحت لنا بفهم الإنزال والتتريل والجعل بهذه الدقة.

-المثال الأول:

مباراة حية في كرم القدم بين البرازيل والأرجنتين تجري في المكسيك .فاللاعبون الأساسيون المؤلفون من أناس أحياء من لحم وعظم ودم يلعبون في المكسيك. وهناك في دمشق شخص يريد أن يشهد هذه المباراة حية. فحتى يشهد هذا الشخص في دمشق المباراة الحية في المكسيك وتدخل ضمن إدراكه يجب القيام بعمليات على الشكل التالى:

- 1 الوجود المادي للمباراة فعلاً قبل التكلم عن أي نقل أو إدراك.
 - 2التقاط المباراة صوتاً وصورة أو صوتاً فقط أو صورة فقط.
- 3بث المباراة عن طريق الأمواج بواسطة الأقمار الصناعية إلى كل أنحاء الأرض بما فيها دمشق.
- 4وجود جهاز تلفزيون أو راديو لاقط، يأخذ هذه الأمواج ويحولها مرة ثانية إلى صوت وصورة أو إلى صوت فقط. فعند ذلك يدرك المشاهد في دمشق ما حدث في مباراة المكسيك.

ثم هناك حالة ثانية للنقل إذا لم يكن هناك بث، وذلك بأن تسجل المباراة على شريط فيديو صوتاً وصورة أو على شريط كاسيت صوتاً فقط، وينقلها شخص إلى دمشق. في هذه الحالة يجب أن يكون في دمشق جهاز فيديو وتلفزيون أو جهاز تسجيل لكي يعيد المباراة حتى تصل إلى إدراك المشاهد في دمشق.

الآن لنناقش في هذا المثال أين الإنزال وأين التتزيل:

-عملية المباراة الأصلية عن طريق الأمواج من المكسيك إلى دمشق هي التتزيل، لأن هذه العملية تمت خارج وعي المشاهد في دمشق، والنقل حصل مادياً خارج وعي المشاهد بواسطة الأمواج. أما عملية دخول الأمواج إلى جهاز التلفزيون ليحولها إلى صوت وصورة أي إلى حالة قابلة للإدراك من قبل المشاهد فهذا هو الإنزال.

-المثال الثاني:

عملية نقل واقع جبل قاسيون إلى إنسان يعيش في القاهرة عن طريق مخططات:

- -العملية الأولى: عملية رفع قاسيون إلى مخطط طبوغرافي.
- -العملية الثانية: عملية نقل هذا المخطط إلى القاهرة ليشاهد إنسان ما.

ففي العملية الأولى تم النقل المادي إلى المخطط بطريقة قابلة لإدراك الإنسان في القاهرة. هذا المخطط مؤلف من إحداثيات ومقياس 1/100 مثلاً ومن خطوط تسوية "كونتور" لتبيان التضاريس التلال والوديان. فعملية نقل الجبل من الواقع إلى مخطط قابل للإدراك هو الإنزال، وعملية النقل المادي للمخططات من دمشق إلى القاهرة هي التتريل.

إذاً فهناك حالتان:

-الحالة الأولى: أن يتم التتريل قبل الإنزال كما في المباراة.

-الحالة الثانية: أن يتم الإنزال قبل التنزيل كما في المخطط.

ولكن في هاتين الحالتين يجب أن يكون هناك وجود مسبق للشيء قبل عملية الإنزال والتتريل. فوجود اللاعبين والمباراة في المكسيك فعلاً قد سبق عملية الإنزال والتتريل. والمباراة في المكسيك فعلاً قد سبق عملية الإنزال والتتريل. ولنناقش الآن حالة الإنزال والتتريل في القرآن فقط وليس في أم الكتاب أو تفصيل الكتاب، لأن أم الكتاب وتفصيل الكتاب لهما وضع خاص:

حتى يكون هناك حالة إنزال منفصلة عن التتريل في القرآن، يجب أن يكون للقرآن وجود قبل الإنزال والتتريل، ومن هذا يفهم بأن أسباب الترول ليس لها أي معنى في القرآن، لأن تتريل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم هو حتمي، سئل عنه أو لم يسأل، لذا قال عن الأشياء التي تخص مواضيع القرآن مثل الغيبيات) لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسوءكم وإن تسألوا عنها حين يترل القرآن تبدلكم) (المائدة 101 (ولم يقل أبداً عن الأشياء التي تخص الأحكام أو تفصيل الكتاب لا تسألوا عنها:

هنا يطرح السؤال الثاني نفسه بالضرورة:

إذا كان القرآن موجوداً بالصيغة اللسانية العربية التي نراه عليها الآن والتي نستوعبه من خلالها وهو كلام الله وآيات القرآن موجوداً بالصيغة اللسانية العربية التي نراه عليها الآن والتي نستوعبه من خلالها وهو كلام الله وآيات الله والقصص لكان الاستنتاج المباشر لذلك بأن الله عربي. وبما أن كلام الله هو عين الموجودات ونواميسها العامة التي تحكم الوجود خزنت بشكل ما في لوح محفوظ وفي كتاب مكنون. ففي كتاب مكنون يوجد البرنامج العام للكون، وفي لوح محفوظ يوجد هذا البرنامج وهو يعمل. وفي إمام مبين توجد قوانين الطبيعة الجزئية التي يتم التصريف من خلالها وأحداث التاريخ بعد وقوعها.

فالقرآن في لوح محفوظ وفي إمام مبين هو من علم الله، وعلم الله هو أعلى أنواع علوم التجريد، وأعلى أنواع علوم التجريد هو الرياضيات لذا قال)وأحصى كل شيء عدداً) (الجن 28 (أي أن علم الله بالموجودات هو علم كمي بحت. فالإحصاء هو التعقل، والعدد هو حال الإحصاء. هذا القرآن موجود في لوح محفوظ وإمام مبين بصيغة غير قابلة للإدراك الإنساني وغير قابلة للتأويل، وبصيغة مطلقة .

فعندما أراد الله أن يعطي القرآن للناس فالمرحلة الأولى كانت تحويله إلى صيغة قابلة للإدراك الإنساني النسبي، أي جرت عملية تغيير في الصيرورة .وهذا التغيير في الصيرورة عبر عنه في اللسان العربي في فعل "جعل". إذ قال) :إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) (الزخرف 3 (أي كان له وجود مسبق قبل أن يكون عربياً فجعله عربياً "أي في صيرورته" وهذا معنى الجعل.

ولكنه أيضاً قال)إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) (يوسف 2 (والإنزال هو نقل غير المدرك إلى المدرك. أي كان القرآن غير مدرك "غير مشهر" فأصبح مدركاً، وهذا ما جاء في الإنزال. أي أن:

-الجعل: هو التغيير في الصيرورة.

-الإنزال: هو النقل من صيغة غير مدركة إلى صيغة مدركة "الإشهار."

والآن لماذا وضع الجعل والإنزال على أنه عربي؟ أقول إن الجعل هو تغيير في الصيرورة فيمكن أن تغير صيرورة القرآن من شكل غير قابل للإدراك إلى شكل آخر غير قابل للإدراك، لذا قال)إنا جعلناه قرآناً عربياً (والإنزال هو نقل من غير المدرك إلى المدرك لذا قال)إنا أنزلناه قرآناً عربياً.(

ففي القرآن تلازم الجعل والإنزال أي جعل وأنزل عربياً. أي أن القرآن الموجود بين أيدينا ليس عين القرآن الموجود في لوح محفوظ وإمام مبين، وليست صيغته نفس الصيغة الموجودة فيهما. وإنما هو صورة قابلة للإدراك الإنساني "الإنزال" تم التغيير في صيرورهما "الجعل" حتى أصبحت مدركة، ثم وصلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، مادياً عن طريق الوحي "التتزيل "والنبي صلى الله عليه وسلم نقلها آلياً إلى الناس.

وقد تم جعل القرآن وإنزاله عربياً على دفعة واحدة. وهذا ما حصل في ليلة القدر حين قال تعالى)إنا أنزلناه في ليلة القدر) (القدر 1 (وهكذا نفهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه في ليلة القدر نزل القرآن إلى السماء الدنيا. أي أصبح قابلاً لأن يدرك من قبل الناس التي تعيش الحياة الدنيا وأشهر. وبما أنه في ليلة القدر تم إشهار القرآن، فقد قال) : ليلة القدر خير من ألف شهر) (القدر 3. (

لك أن تذهب بكلمة شهر إلى أنها من الشهرة والإشهار القانوني الملزم للبيع والشراء. ولا يلزمك أن تفهم "الألف" على أنها عدد، بل جاءت من فعل "ألف ''وهو ضم الأشياء بعضها إلى بعض بشكل منسجم، ومنه جاءت الألفة والتأليف. أي أن إشهار القرآن خير من كل الإشهارات الأخرى مؤلفة كلها بعضها مع بعض. وقال أيضاً) :إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين) (الدخان 3 (وقال) :شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس .. الآية) (البقرة 185. (لاحظ في الآيات الثلاث أن فيها فعل أنزل، والإنزال تم دفعة واحدة وكان عربياً)إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) (يوسف 2.(

-التتريل: هو نقلة مادية حصلت خارج الوعي الإنساني كالنقل بالأمواج، ولكن حصلت عن طريق جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وهو الذي تم على مدى ثلاثة وعشرين عاماً. ففي القرآن تلازم الجعل والإنزال وحصلا دفعة واحدة، وافترق التتريل حيث جاء في ثلاثة وعشرين عاماً. لذا بعد الجعل والإنزال قال): في صحف كرة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة * كرام بررة) (عبس 13-16. (وبما أن القرآن له وجود مسبق وجاهز قبل التتريل وحصول التتريل منجماً يبرز السؤال التالي: لماذا لم يتم

التتريل "النقلة الموضوعية بعد الجعل والإنزال" دفعة واجدة؟ وكان الجواب على هذا) :وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملةً واحدةً كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً) (الفرقان 32 (ولفهم لماذا تم تتريل القرآن على دفعات اقرأ الفصل حول الفؤاد حول الفؤاد وحول أنواع الوحي.

قد يقول الفقهاء إن للتتريل في القرآن أسباباً، وأقول إن القرآن ليس له علاقة بأسباب الترول لأنه كان سيأتي سُئل عنه أو لم يسأل، حيث أن معظم الأسئلة كانت في أم الكتاب أو تفصيل الكتاب. ومجال حديثنا هو

القرآن. أما بالنسبة للقصص فقد تم سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل الكهف وذي القرنين، ولكن السؤال هنا ليس له معنى لأن قصة أهل الكهف وذي القرنين كانت ستأتيه على كل حال سئل أو لم يسأل لأن بقية القصص جاءت كلها دون سؤال.

والآن لنطرح السؤال التالي: ماذا يصبح معنى الآية لو قال" إنا نزلناه قرآناً عربياً" عوضاً عن)إنا أنزلناه قرآناً عربياً (؟ أقول: لو قال تعالى هذا لأصبح اللسان العربي ذا وجود موضوعي خارج الوعي الإنساني، أي لو ذهب العرب جميعهم لبقي اللسان العربي مادياً دون عرب، ولأصبح وجود اللسان العربي منفصلاً عن الإنسان، ولأصبح جبريل عربياً .ولوجدنا في الطبيعة أن هناك في البث الإذاعي والتلفزيوني يوجد أمواج قومية مثل أمواج تركية وأخرى عربية وثالثة إنكليزية . . . وهكذا دواليك، ولوجدنا وجود تيار كهربائي عربي وآخر انكليزي.

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو: هل كان ممكناً أن يأتي القرآن والكتاب بطريقة أخرى غير الطريقة الصوتية "الذكر؟ أقول: نعم، كان ممكناً أن يأتي منسوخاً .فكما قلت إن الكتاب هو الموضوع، وهذا الموضوع ممكن أن ينقله الإنسان شفاهة ''صوتاً" أو نسخاً" خطياً". فعندما نريد أن ننسخ كتاباً شفهياً نحتاج إلى أشياء نخط عليها مثل الأحجار وجلد الغزال وورق البردى، ثم الورق العادي ثم شريط التسجيل ثم شريط الفيديو، هذه الأشياء التي يتم تسجيل الكتب عليها ثم نسخها على عدة نسخ لها مصطلح في اللسان العربي وهو "القرطاس" فكما قال المتني:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

إلى النبي صلى الله عليه وسلم بطريقة منطوقة لا مخطوطة قال تعالى)ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) (الأنعام 7. (فكل الكتاب جاء منطوقاً لا منسوخاً، ولو جاء منسوخاً لوجب أن ينسخ على القرطاس فعند ذلك يمكن لمسه باليد، فالكتاب المنطوق لا يلمس باليد، والكتاب المنسوخ "في قرطاس" يلمس باليد. لذا قال)فلمسوه بأيديهم (ولاحظ قوله)نزلنا (ولم يقل "أن لنا."

السؤال الآن: هل جاء إلى أحد غير النبي صلى الله عليه وسلم من الأنبياء شيء منسوخ "في قرطاس"؟ الجواب: نعم، لقد جاءت الوصايا العشر إلى موسى منسوخة على ألواح، أي جاءت في قرطاس وذلك في قوله تعالى)ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدىً ورحمة للذين هم لربهم يرهبون () الأعراف 154 (لاحظ قوله "الألواح" بمعنى القرطاس وكيف أتبعها بقوله: "وفي نسختها."

- 2 الإنزال والتريل للقرآن

قلنا إن إنزال القرآن حصل دفعة واحدة "أي صيغ عربياً دفعة واحدة" والذي جاء إلينا هو هذه الصيغة اللسانية بطريقة صوتية "الذكر"، لا بطريقة خطية.

فنضرب المثال التالي للشرح: إن رئيس الولايات المتحدة هو إنسان واحد، وهو الأساس ولكن معظم أهل الأرض يعرفونه ولكن ليس عن طريق المشاهدة المباشرة، ولكن عن طريق التصوير، وهناك عدة احتمالات للتصوير "واقفاً، جالساً، ضاحكاً ... " وهناك عدة احتمالات لإخراج الصورة "أبيض وأسود، ملون" تمثال نحت من خشب أو من معدن أو صورة على ورق نحاس أو ورق صحف. ومن كل احتمال من هذه الاحتمالات يمكن سحب ملايين النسخ. وهي تصل إلى يد أي إنسان، فأي إنسان يمسك صورته يعلم أن هذا هو الرئيس الأمريكي .

ولكن هل يعني أنه مس الأصل نفسه؟! فعندما جاءنا القرآن صوتياً وتلاه علينا النبي صلى الله عليه وسلم صوتياً أيضاً، فنحن وضعناه على قرطاس، والقرطاس هو كل ما يخط عليه أو يسجل عليه، ابتداء من ألواح الطين، وورق النخل، وورق البردي وجلد الغزال، ثم ورق وحبر ثم شريط كاسيت ثم شريط فيديو، فعندما نحس الآن نسخة من المصاحف فإننا لا نحس القرآن، وإنما نحس صورة عن القرآن منسوخة بواسطة الحبر على ورق فالذي يمس مادياً هو الحب والورق، ثم نرى آية)لا يمسه إلا المطهرون (هي آية خبر لا آية أمر ونهي، حيث "لا" هنا، نافية وليست ناهية، فإذا قلنا "لا يأكل أحمد إلا خبزاً" وشاهدناه يأكل لحماً فيصبح الخبر كاذباً. فإذا كان المطهرون في الآية)لا يمسه إلا المطهرون) (الواقعة 79 (تعني أياً من الناس تقياً، أم فاجراً . والهاء في "لا يمسه" تعود على نسخ المصاحف التي بين أيدينا. لو كان هذا هو المعنى وحصل غير ذلك، لأصبح الخبر كاذباً. ونرى الآن آلافاً من الناس وهم من جنب وحائض ونفساء يمسون المصاحف. فإذا كان المعني بــــــ"المطهرون" هم غير الحائض والنفساء والجنب يصبح الخبر كاذباً.

أما المعنى الصادق فهو ما يلى:

إذا كان هناك صورة للرئيس الأمريكي وطبعت منها ملايين النسخ في الصحف فإن هناك ملايين الناس يمسون صورته منهم من يحبه، ومنهم من يكرهه. ولكن هل من يحبه أو من يكرهه يمكنه أن يصل إلى الرئيس الأصل الذي يعيش في البيت الأبيض؟ إن الذي يصل إلى الرئيس الأصل هم أهله ومستشاروه وموظفو البيت الأبيض ومع ذلك فهناك عدة مليارات من الناس تعرفه بالصورة.

الآن لنأخذ الآيتين قبل هذه الآية، والآية التي بعدها:

)إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تتريل من رب العالمين) (الواقعة 77-78-79 (قال عن القرآن إنه)في كتاب مكنون(، والمكنون هو المخبأ، ثم بعد ذلك قال)تتريل من رب العالمين (فالآية هنا تعني القرآن الأصل الموجود في الكتاب المكنون والذي أخذت صورة عنه مترجمة إلى العربية "الجعل والإنزال"، ثم جاءت هذه الصورة إلينا عن طريق جبريل "التتريل" منطوقة لا مخطوطة. فهاهنا يكون

"المطهرون" هم الملائكة المعنيين الموكل إليهم حفظ القرآن. فلا يصل إلى القرآن الأصل في الكتاب المكنون أحد من البشر، لا تقي ولا شقي ولا متطهر ولا جنب.

إن الخطأ هو الالتباس بين المطهرين والمتطهرين حيث قال عن الصلاة)وإن كنتم جنباً فاطهروا) (المائدة 6 () فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يجب التوابين ويجب المتطهرين) (البقرة 222 . (إن الذي لا يجوز على الجنب والحائض والنفساء هو الصلاة حصراً. أما مس المصحف وتلاوته خارج الصلاة، فالأمران سيان إن الله جنباً أو متطهراً، وإن كانت المرأة في فترة الحيض أو خارجها، وإن كان متوضئاً أو غير متوضئ، علماً بأن محتويات المصحف هي القرآن والسبع المثاني وأم الكتاب وتفصيل الكتاب.

- 3الإنزال والتريل لأم الكتاب وتفصيل الكتاب

>لقد قلنا: إن الإنزال والجعل حصلا دفعة واحدة في القرآن، وافترق التنزيل حيث جاء على ثلاث وعشرين سنة، والمخزن في لوح محفوظ وإمام مبين هو القرآن فقط والذي له وجود مسبق قبل الإنزال والتنزيل لذا أضاف فعل "جعل" للقرآن.

أما أم الكتاب التي تحوي على الحدود ومنها العبادات والمواعظ والوصايا والتعليمات وتفصيل الكتاب فليس لها علاقة بلوح محفوظ أو إمام مبين أي ليست من القرآن وإنما من الكتاب. فلو كان صوم رمضان مخزناً في لوح محفوظ لأصبح من كلام الله. ولو كان مخزناً في إمام مبين لأصبح من ظواهر الطبيعة، وكلام الله نافذ وظواهر الطبيعة حقيقة موضوعية صارمة)قوله الحق(، ولصام الناس في رمضان، شاؤوا أم أبوا،، وكذلك بقية مواضيع أم الكتاب.

هذا الموضوع يعتبر من أهم النقاط خطورة وتعقيداً في العقيدة الإسلامية إن لم يكن أهمها على الإطلاع. إذ أن سوء فهم هذا الموضوع، وعلى رأسه عدم التفريق بين الرسالة والنبوة وبين الكتاب والقرآن جعل من المسلمين أناساً متحجرين ضيقي الأفق، وضاع العقل لهائياً وضاع مفهوم القضاء والقدر والحرية الإنسانية ومفهوم الثواب والعقاب "المسؤولية". وأعتقد أن ما كتب عن الحرية والمسؤولية الإنسانية والقضاء والقدر ونظرية الدولة والمجتمع في الأدبيات الإسلامية مسقطاً هذا الفرق، لم يكن أكثر من عبث ولف ودوران. فلو كانت الآية)عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) (عبس 1-2 (هي من القرآن وهم يقولون إن القرآن قديم وهو كلام اله، فهي بالتالي حقيقة صارمة مخزنة قبل حدوث الحدث، ولكانت حقيقة خارج الوعي أي ليس لها علاقة يإدراك النبي أو عدم إدراكه، ففي هذه الحالة لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم أي خيار في أن يعبس أو لا يعبس. وليس لعبد الله بن أم مكتوم وهو الأعمى المعني أي خيار في أن يأتي أو لا يأتي .

أخرجت ووضع لها سيناريو مسبق وقدمت للناس على ألها هداية لهم، ولأصبحت الحياة الإنسانية عبارة عن كوميديا إلاهية، أي أن الناس مجموعة من الصور المتحركة مبرمجة منذ الأزل في أفعالها وأقوالها، ولأصبحت هذه الحياة لهواً إلاهياً، ولأصبح مفهوم خلافة الإنسان لله في الأرض ليس أكثر من خدعة. علماً أن الله أخبرنا بغير ذلك، فالله سبحانه وتعالى لا يلهو معنا، ونحن بالنسبة لله لسنا صوراً متحركة مبرمجة مسبقاً في اختياراتها وأقوالها لذا قال)لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) (الأنبياء 17" (لاحظ كيف قدم جواب الشرط على الشرط لأهمية الجواب."

إن المسلمين أصبحوا في هذه الحالة من الوهن ليس لأهم تركوا الصلاة والصوم والحج والزكاة أو لأهم شربوا الخمر. وإنما بسبب الحلط في مسألة الحرية والقضاء والقدر والجبر والاختيار والتقرير المسبق لعمر الإنسان ورزقه وعمله. وما هو الموجود مسبقاً قبل أن يدخل في المدركات وما هو غير الموجود. إن غموض هذه النقاط بالذات هي التي تسببت لكثير من العرب والمسلمين في أن يبحثوا عن هوية أخرى غير الهوية العربية الإسلامية، ورفض الإسلام جملة وتفصيلاً علماً بأن السلف قد بحثوا هذه الأمور ووضعوها ضمن أطر قد تكون مقبولة منذ مئات السنين حسب تأويلاهم ولكن هذه الأطر غير مقبولة الآن طبقاً لتحديات ومعطيات العصر وهذا هو السبب الأساسي في دخول فلسفات غير إسلامية إلى عقر دار المسلمين.

إن الله سبحانه وتعالى يخبرنا عن أم الكتاب ما يلي:

- 1إن أم الكتاب هي مجموعة الآيات المحكمات والتي تتألف من آيات الحدود بما فيها العبادات والأخلاق والمواعظ والتعليمات المختلفة والتي في مجموعها تمثل الرسالة وهي آيات لا تحمل في طياتها التشابه. والتشابه فقط في القرآن والسبع المثاني. أي أنها لا تحمل صيغة المطلق بتاتاً، وغير قابلة للتأويل لأنها آيات لا تبصر وليس لها وجود قائم في ذاته أي وجود مشخص وهي آيات للسلوك الإنسان لا للوجود الموضوعي وهي مناط القضاء الإنساني، ففيها الرفض وفيها الإيجاب. أي أنها فرقت بين الحلال والحرام في السلوك الإنساني . الواعي ولم تفرق بين الحق والباطل "الحقيقة والوهم" في الوجود الموضوعي المطلق خارج الوعي الإنساني . لذا فإنه من الخطأ الفاحش اعتبار أم الكتاب هي فاتحة الكتاب كما يعتقد البعض، لأن هذا يناقض بنية الكتاب. فإذا كانت الفاتحة هي أم الكتاب فهذا يعني بالضرورة أن كل السور من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الناس من المتشابجات وتفصيل الكتاب .

ففاتحة الكتاب لا يوجد فيها أحكام، فعند ذلك تصبح أحكام الصوم والصلاة والحج والزكاة وبر الوالدين والإرث وكل ما جاء في أم الكتاب من المتشابه القابل للتأويل، علماً بأنه لا يمكن تأويله، ولوقعنا في تناقض مرعب وهو كيف نأمر الأطفال وهم في سن العاشرة بالصلاة، وأي إنسان يفهم آية الإرث وآية الوضوء، وأي إنسان يفهم أحكام الصوم ومع ذلك قال)وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) (آل عمران 7 (فتصبح أم الكتاب عبارة عن أمور خاضعة للبحث العلمي الموضوعي. فعلينا أن ننشئ معهد أبحاث الصدق،

ومعهد أبحاث بر الوالدين، ومعهد أبحاث الوضوء، ومعهد أبحاث الإرث، ومعهد أبحاث الصلاة .. علماً بأن هذه الأمور تخضع للاجتهاد "الفقه."

- 2بما أن محتويات أم الكتاب ليس لها علاقة بلوح محفوظ أو إمام مبين وليست مطلقة)لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة .. الآية) (المائدة 48 (فإلها تخضع للتبديل والاجتهاد "والاختلاف بين أمة وأخرى زمن وآخر" وتخضع لأسباب الترول، وقد أوحيت مباشرة من الله سبحانه وتعالى، أي أن الآية)عبس وتولى * أن جاءه الأعمى (جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تصحيحاً من الله عز وجل أي أنه لو لم يعبس النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أم مكتوب لما نزلت هذه الآية مطلقاً ولما سمعنا بها.

وهذا ما نفهمه من الأحكام المختلفة التي جاءت للرسل. فالله سبحانه وتعالى أرسل تشريعات مختلفة لرسل وأقوام لم يقصها على النبي صلى الله عليه وسلم لأن هذه التشريعات كانت مرحلية وألغيت. وهذا ما نراه أيضاً بالنسبة لموسى وعيسى، فالله سبحانه وتعالى عندما حرم على اليهود الحوايا وما اختلط بعظم قال): ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون) (الأنعام 146 (أي أهم لو لم يبغوا لما حرم عليهم، ثم جاء عيسى رسولاً إلى بني إسرائيل .. لماذا؟)! ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) (آل عمران 50.(

فمقام الرسالة كان في المسموح والممنوع وهذا هو السر الأكبر في وجود الناسخ والمنسوخ في أم الكتاب ووجود التطور في التشريع. ولذلك نحذر من الظن أنه يوجد ناسخ ومنسوخ في القرآن أو في تفصيل الكتاب. ففي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم جاءت تعليمات وألغيت فيما بعد، أي في نفس الرسالة حصل تغيير. فجاء هذا التغيير فيما يتعلق بالسلوك الإنساني. فمثلاً قال) :وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فجاء الآية) (البقرة 284. (ثم نسختها الآية) لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) (البقرة 286. (لذا قال تعالى :) يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (الرعد 39. (

هنا نلاحظ هذين الأمرين الهامين، أولهما أ، أم الكتاب فيها يمحوا أو يثبت، أي فيها تغيير. والأمر الثاني أنه ليس لها علاقة بالقرآن لذا قال) :وعنده أم الكتاب (أي ألها من عند الله مباشرة. وعلينا أنت نعلم أن هذه الآيات قابلة للتزوير وقابلة للتقليد ولا يوجد فيها أي إعجاز، بل صيغت قمة الصياغة الأدبية العربية، لذا فهي بحاجة إلى حفظ ورقابة وتصديق وكانت هذه إحدى مهمات القرآن. فالقرآن هو تصديق أم الكتاب)تصديق الذي بين يديه (وهو حافظ ورقيب على أم الكتاب من التزوير والإضافات والنقصان لذا جاءت آيات أم الكتاب موزعة بين آيات القرآن.

إنه من الخطأ أن نقول إن الله يخلق آيات أم الكتاب ويترلها لأن خلق الله حق، وآيات أم الكتاب ليس لها علاقة بالحق وإنما هي "سلوك" لذا فكلمة "خلق ''وكلمة "جعل" وكلمة "سوى" لا تنطبق عليها. ففي أم الكتاب كان يحصل الإنزال والتتريل دفعة واحدة. أي أن أم الكتاب ليس لا علاقة بليلة القدر ولم تخزن عربية

قبل التتريل. أي أن الإنزال والتتريل كانا آنيين ومتلازمين.

ثم لننتبه إلى كيفية فرض الصلاة حسب الروايات إن صحت. فالله فرض الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المعراج فقال خمسون صلاة ثم نزل إلى خمسة، إن صح هذا. فلو كانت الصلاة من القرآن لتغير القرآن، والله لا يغير القرآن من أجل أحد ولا ينسخ شيئاً من القرآن من أجل أحد، لا من أجل محمد ولا عيمى ولا موسى. فمثلاً قوانين الموت هي من القرآن "الموت حق" فلو طلب محمد صلى الله عليه وسلم من الله أن لا يموت ويخلد في هذه الدنيا لما استجاب الله سبحانه وتعالى له، ولكن يمكن أن يطلب طول العمر المجزء المتغير" ويمكن أن يطلب المغفرة من الذنب، ويمكن أن يطلب الشفاعة، ويمكن أن يطلب الجنة. لذا فعندما طلب النبي تخفيض الصلاة "إن صح هذا الحديث ''فهذه أمور من أم الكتاب قابلة للمحو والإثبات. فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد سهل على عباده وغير في أحكامه مع تطور التاريخ وتغير الشروط الموضوعية والأرضية المعرفية، وغير في أحكامه مع بني إسرائيل لأفم "بغوا" ولو لم يبغوا لما جزاهم)ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون) (الأنعام 146 .(ثم غير هذا الحكم مع عيسى)ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) (آل عمران 50 .(فلفهم معنى قوله تعالى) : يمحوا الله ما يشاء ويثبت عليكم) (آل عمران 50 .(فلفهم معنى قوله تعالى) : يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (الرعد 39 .(وهنا يكمن السر الأكبر في تسجيل قوله تعالى) : يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (الرعد 39 .(وهنا يكمن السر الأكبر في تسجيل الآيات المنسوخة من أم الكتاب في المصحف وذلك لننتبه إلى هذه الحقيقة.

والآن لننتقل إلى آيات الإنزال والتنزيل في أم الكتاب:

-الإنزال): وكذلك أنزلناه حكماً عربياً) (الرعد 37.

-التتريل) :تتريل الكتاب من الله العزيز الحكيم) (الزمر 1 (هنا ذكر التتريل للكتاب حيث أن أم الكتاب هي جزء منه، وقد تلازم الإنزال والتتريل في أم الكتاب وتفصيل الكتاب.

لنخلص الآن الجعل والتنزيل والإنزال:

- 1الجعل) :إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) (الزخرف 3 (وهو للقرآن فقط.
 - 2الإنزال:
 - أ للقرآن) :إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) (يوسف 2.(
 - ب لأم الكتاب) :وكذلك أنزلناه حكماً عربياً) (الرعد 37.
- ج- للكتاب كله) :الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً) (الكهف 1 .(هنا ذكر الإنزال للكتاب كله لكي يشمل القرآن وأم الكتاب وتفصيل الكتاب والسبع المثاني .
 - 3التنزيل:
 - أ القرآن) :إنا نحن نزلنا عليك القرآن تتريلاً) (الإنسان 23.(

ب - أم الكتاب وتفصيل الكتاب والسبع المثاني معاً جاؤوا في تتريل الكتاب)تتريل الكتاب من الله العزيز الحكيم (الزمر 1) (تتريل الكتاب من الله العزيز الحكيم (غافر 2) (تتريل الكتاب من الله العزيز الحكيم () الجاثية 2، الأحقاف 2.(

أما بالنسبة للسبع المثاني فقد ذكر الإنزال في الكتاب)الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) (الكهف 1. (وذكر التتريل على حدة في قوله)الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني .. الآية) (الزمر 23 (ففي القرآن تلازم الإنزال والجعل وافترق التتريل حيث حصل على مدى ثلاث وعشرين سنة. وفي أم الكتاب وتفصيل الكتاب والسبع المثاني تلازم الإنزال والتتريل دون جعل. أي أن أم الكتاب أنزلت ونزلت على مدى ثلاث وعشرين سنة.

فتتريل الكتاب كله كان على مدى ثلاث وعشرين سنة، لذا لم يخصص آية خاصة لتتريل أم الكتاب، بل قال:)تتريل الكتاب من الله العزيز الحكيم) (الزمر 1 (لأن خصوصية فصل الإنزال عن التتريل جاءت للقرآن وحده دون بقية مواضيع الكتاب ولذا خصها وذكها صراحة لأنها من خصوصياته.

إن ترتيب الكتاب بهذا الشكل وتداخل القرآن مع أم الكتاب واستعمال المصطلحات هو من قوارب العالمين مباشرة وليس له أي علاقة بتخزين موضوعي مسبق، أي ليس له علاقة بلوح محفوظ أو إمام مبين. أما السبع المثاني فقد حصل التزيل فيها في قوله) :الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني ... الآية ()الزمر 23(، أما الإنزال فقد جاء مقاطع 9 صوتية وأعداداً مجردة، والأعداد المجردة هي علم رب العالمين المباشر)وأحصى كل شيء عدداً) (لجن 28 (لذا فيها مفاتيح الثوابت الرياضية كأعداد مجردة وفيها مفاتيح نشأة الكلام الإنساني كأصوات، وليس لها علاقة بلغة معينة عربية أو غير عربية وقد سماها)أحسن الحديث (وهي أكثر الآيات تشابهاً في الكتاب لذا قال عنها)كتاباً متشابهاً مثاني (ولا يوجد فيها أي جعل ولا يفهمها إلا كبار علماء اللغات والرياضيات على مرّ العصور، وإلى اليوم لم يتم تأويلها، وتلازم فيها الإنزال والتزيل. وإني لأعجب تمام العجب كيف كانت أم الكتاب عند المفسرين في سورة آل عمران هي مجموعة الآيات المخكمات فأصبحت في سورة الرعد "اللوح المخفوظ" علماً بأن أم الكتاب هو مصطلح، والمصطلح لا يخضع الظاهرة التشابه لأنه من عادة المصطلح أن يعرف. وقد عرفه الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران)منه الظاهرة التشابه لأنه من عادة المصطلح أن يعرف. وقد عرفه الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران)منه آيات محمات هن أم الكتاب) (آل عمران 7.(

وإني لأعجب كيف كان الكتاب عند المفسرين هو المحكم والمتشابه في سورة آل عمران)هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ... الآية) (آل عمران 7 .(ثم أصبح هذا الكتاب الذي جاء معرفاً في سورة فاطر "الكتاب) "والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق .. الآية) (فاطر ... 31.

فأصبح هذا الكتاب في سورة فاطر هو اللوح المحفوظ. وأكرر أنه جاء معرفاً في الحالتين. ولو جاء منكراً في الحالتين لقلنا إن هذا كتاب، وهذا كتاب آخر وأولو جاء معرفاً في حالة ومنكراً في أخرى لقلنا: هذا غير هذا الكتاب أن المناب أن

علماً بأنه أيضاً حين قال الكتاب معرفاً في آل عمران ثم قال)كتاب أحكمت آياته (في سورة هود، وظن المفسرون أن الكتاب المعرف في آل عمران هو نفسه الكتاب المنكر في سورة هود. مع أن معنى الكتاب في آل عمران)هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابحات (هو المحكم + المتشابه + اللا محكم واللامتشابه، أي الرسالة والنبوة، أم الكتاب والقرآن والسبع المثاني وتفصيل الكتاب، أما)كتاب أحكمت آياته (في سورة هود فهو الرسالة فقط أي الكتاب المحكم فقط .

حيث جاء الكتاب منكراً فعرف بإضافة)أحكمت آياته (فأصبح في هذه الحالة الكتاب المحكم. وإن الآية التي تبين بشكل قاطع أن الإنزال والتتزيل تلازما في الآيات المحكمات هي "الآية 20 في سورة محمد) "ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة .. الآية (وكما نعلم أن الإنزال حصل دفعة واحدة للقرآن كله، فإذا كان القرآن هو كل محتويات المصحف فكيف يقول أنزلت سورة، ولكي يبين أن المعنى بهذه الآية هو المحكم قال سورة محكمة، أي ألها سورة لست من القرآن وذكر الإنزال والتتزيل معاً.

أم الكتاب وتفصيل الكتاب جاءا من العرش (أي من عند الله(

لناخذ أولاً معنى العرش: فالعرش في اللسان العربي جاء من "عرش" ولها أصلان صحيحان:

-الأول: عرش الرجل هو قوامُ أمره.

-الثاني: العرش هو ما يجلس عليه من يأمر

وينهي. "لاحظ أن المعنى الثاني مرتبط بالأول."

فالأساس في العرش هو الأمر: فنقول إن الملك حسينً تولى عرش الأردن، فهذا يعني أنه أصبح الآمر الناهي في الأردن. وهنا لا يقصد العرش الذي يجلس عليه. فإذا صنعنا عرشاً وكرسياً مثل العرش والكرسي الذي يجلس عليه الملك حسين في أحد بيوت دمشق فهذا لا يعني أن الذي يجلس على هذا العرش والكرسي أصبح آمراً ناهياً في الأردن.

فبالمعنى الأول جاءت لفظة العرش للأمر والنهي في الآيات:

-) -وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء .. الآية) (هود 7.(
-) -إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش .. الآية) (الأعراف 54.(
 -) -و يحمل عرش ربك فوقهم يوميئذ ثمانية) (الحاقة 17.(
 -) -الرحمن على العرش استوى) (طه 5.(
 -) -قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً) (الإسراء 42.(

وفي كل مكان ورد ذكر العرش جاء بمعنى الأم والنهي أني بالمعنى الأول ما عدا الآيات التالية في سورة يوسف وسورة النمل جاءت بمعنى المكان الذي يجلس عليه من يأمر وينهى وهي) :ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً) (يوسف 100(، هنا استعمل العرش لأن يوسف كان آمراً ناهياً في مصر. وقوله) :نكروا لها عرشها (

)النمل 41 (وقوله)أيكم يأتيني بعرشها) (النمل 38 (وقوله)فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) (النمل 42 (وقوله)وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) (النمل 23 . (هنا ذكر عرش ملكة سبأ لأنها كانت تأمر وتنهي. ففي الانفجار الكوني الأول وقبل تشكل العناصر المادية المختلفة كان الكون كله مؤلفاً من عنصر واحد هو الهيدروجين)مولد الماء) (ماء (Hydro و)توليد (gen ففي هذه المرحلة لم يكن ثمة مجرات ولا كواكب ولا نجوم ولا حياة سوى الهيدروجين)مولد الماء . (وفي هذه المرحلة كان أمر الله على مولد الماء، فقال)وكان عرشه على الماء) (هود 7 . (وهذا هو العرش الأول.

وفي الآية الثانية:

بعد ان تكونت المجرات والسموات والأرض والنجوم والكواكب أصبح عرش الله "أمره" عليها فقال) :ثم استوى على العرش) (الأعراف 54 (وهذا هو العرش الثاني حيث أنهى الآية بقوله)يُغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (الأعراف 54 .(لاحظ كيف ذكر النجوم ووجود العناصر غير الهيدروجين.

وفي الآية الثالثة:

بعد أن تقوم الساعة ويتكون كون جديد بقوانين جديدة، وما الساعة إلا بداية تغير بصيرورة مادة هذا الكون لكي يتكون منها كون جديد فيه نبعث ونحاسب، فأمر الله "عرشه" على هذا الكون الجديد قال عنه) :ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) (الحاقة 17 (وهذا هو العرش الثالث. لاحظ قوله "يومئذ." وفي الآية الرابعة:

)الرحمن على العرش استوى (العرش هنا اسم حنس لأمر الله من قبل ومن بعد، لأنه لم يعطه أية صفة إضافية كقوله) :وكان عرشه على الماء (و)ثم استوى على العرش (و)و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية .(ولا بد من الإشارة إلى أنه ليس للعرش هنا مفهوم مكاني.

وفي الآية الخامسة:

إذا كان هناك عدة آلهة فلهم من يرأسهم وله الأمر والنهي عليهم لذا قال) :وإذاً لابتغوا إلى ذ العرش سبيلاً ()الإسراء 42 (أي إلى ذي الأمر والنهي، ليكونوا آمرين ناهين مهيمنين مسيطرين.

أما مفهوم الاستواء فلا يعني الجلو، فأحد معاني "استوى" اللغوية هو الاستقرار والسيطرة والاستحكام كقوله تعالى): "والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) (الزحرف 12-13. (فعندما يركب الإنسان دابة غير مروضة فإنه يستطيع الركوب عليها ولكنه لا يستحكمها بحيث يستقر عليها وتخضع له تماماً يوجهها كيف يشاء، فتأمل مفهوم الاستواء حين لا يقصد به الجلوس وإنما الاستحكام والسيطرة الكاملة لذا وضع أداة "إذا" قبل " استويتم" لأن الفترة الزمنية بين محاولة الإنسان تذليل الأنعام ونجاحه في تذليلها "الاستواء" كانت فترة غير قصيرة.

أما الكرسي فهو يأتي فوق العرش من ناحية المرتبة والأولويات، لا من الناحية المكانية، لأن الذي يأمر وينهي عليه أن يعلم على ماذا يأمر وينهي، فالأمر والنهي لا يتم بدون المعرفة الكاملة على ما يأمر وينهي، وهذا هو الكرسي والكرسي جاءت في اللسان العربي من "كرس" فنقول: كرست وقتي لهذا العمل، أي أعطيته كل وقتي ومعلومات، وقالت العرب: العلماء كراريس، ومنها جاءت الكراسة والكرسي، والكراسة هي ما يدون عليها معلومات ما. لذا قال): وسع كرسيه السموات والأرض) (البقرة 255 (لاحظ التشابه الكبير، فالكرسي هنا من الكراسة، لا الكرسي الذي عليه الإنسان فهنا نفهم) وسع كرسيه (أي وسع علمه كل الموجودات وذلك لكي يأمر وينهي، وقد قال قبل هذه الفقرة) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) (البقرة 255.

- 4الإنزال والتتريل للملائكة

قلنا إن الإنزال هو ما يدخل في المدركات، وإن التتريل هو نقل موضوعي خارج الإدراك. فإذا قال الله سبحانه وتعالى "أنزل ملائكته" فهذا يعني أن الملائكة يمكن مشاهدتما من قبل الناس وتصبح من المدركات. وإذا قال الله سبحانه وتعالى "نزل ملائكته" فهذا يعني أن الملائكة تأتي موضوعياً ولكن الناس لا تشاهدها ولا تدركها. ففي المعنى الأول "الانزال" جاءت عن قوم نوح. إذ أن نوحاً كان أول نبي ورسول من البشر أوحي إليه، وكان الله يرسل إلى الناس قبل نوح ملائكة لتنذرهم، لأن البشرية قبل نوح كانت قريبة من المملكة الحيوانية ولا تفهم إلا المشخص المجسم "الإدراك الفؤادي) "وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) (فاطر 24. (وعندما جاء نوح وكان الناس قد اعتادوا أن يرسل الله ملائكته ولا يرسل بشراً، قال له قومه) :ولو شاء الله لأنزل ملائكةً ما سمعنا بهذا في الناس قد اعتادوا أن يرسل الله ملائكته ولا يرسل بشراً، قال له قومه) :ولو شاء الله لأنزل ملائكةً ما سمعنا بهذا في بشراً مثلنا .. الآية) (هود 31. (إلهم كذبوا نوحاً وكذبوا الرسل من الملائكة التي أتت قبله لذا قال لهم) :ولا أقول إني ملك .. الآية) (هود 31. (إلهم كذبوا نوحاً وكذبوا الرسل من الملائكة التي أتت قبله لذا قال)كذبت قوم نوح المرسلين) (الشعراء 105 (لاحظ كيف جاءت "المرسلين" بالجمع مع أن نوحاً شخص واحد .

وفي هذا المقام قال)كذبت عاد المرسلين) (الشعراء 123 . (وقال)كذبت ثمود المرسلين) (الشعراء 141 . (هذه الظاهرة بقيت في أذهان الناس حتى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله) : فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كتر أو حاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل) (هود 20 . (وجاء انزال الملائكة أيضاً) . وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون) (الأنعام 8 (فهنا)أنزل عليه ملك (أي ألهم أرادوا أن بروا الملائكة مع محمد، وتدخل الملائكة ضمن إدراكهم. أما التتريل للملائكة فيعني نقلة مادية موضوعية خارج الوعي الإنساني كنقل الصوت والصورة عن طريق الأمواج،

أما التتريل للملائكة فيعني نقلة مادية موضوعية خارج الوعي الإنساني كنقل الصوت والصورة عن طريق الأمواج، وكذلك لظاهرة ترى بالعين أو تسمع بالأذن ولكنها لا تدخل ضمن المدركات "المعقولات الإنسانية كشق موسى للبحر والآيات البينات الثماني الأخر" وفي هذا المعنى قال) :إن نشأ نترل عليهم من السماء آيةً فظلت أعناقهم لها

حاضعين) (الشعراء 4. (وهكذا جاء التتريل للملائكة كنقلة الأمواج وهو أن تترل الملائكة تتريلاً مادياً ولكن دون دون أن يراها أحد) تترل الملائكة والروح فيها بإذن رهم من كل أمر) (القدر 4 (أو أن تُرى وتسمع ولكن دون أن تدرك أو تعقل كقوله) :ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا به إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) (الأنعام 111 (وكقوله تعالى) :قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لترلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) (الإسراء 95.

- 5الإنزال والتتريل للمن والسلوى

ولقد جاء الإنزال والتتريل في المن والسلوى:

فالإنزال:

)وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (البقرة 57.(

)وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا نعليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (الأعراف 160.(

والتتريل جاء في قوله تعالى:

)يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى) (طه 80 ()كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه .. الآية) (طه 81.(

فعندما قال) :أنزلنا عليكم المن والسلوى (دخل في مدركاتهم أن هذه للطعام لذا أتبعها دون أن يقطع الآية)كلوا من طيبات ما رزقناكم.(

وعندما قال)نزلنا عليكم المن والسلوى (حصلت نقلة خارج الوعي بأن جاءهم المن والسلوى دون أن يعلموا ما هي ولأي سبب لذا قطع قوله)كلوا من طيبات ما رزقنكم (ووضعه "تتريل" ثم أدرك بنو إسرائيل ما هو المن والسلوى وأنه للأكل ولمساعدتهم "إنزال."

الإنزال والتزيل للماء

عندما يقول "أنزل" للماء فإنه يعطي ظاهرة قابلة للإدراك وهي من المدركات فقوله) :أ لم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض) (الزمر 21 . (يعني أن ظاهرة جريان المياه في الأرض "المياه الجوفية" هي ظاهر قابلة للإدراك الإنساني، فادرسوها يا أولي الألباب، هذا ما نسميه اليوم "الهيدرولوجيا." وقوله) :أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) (الرعد 17 . (يخبرنا عن ظاهرة لكي ندركها، أي نقلة من غير المدرك إلى المدرك فإنه يقول لنا: إن المياه التي تترل من السماء هي نفس المياه التي تسيل في الأودية والتي تتخزن، والمساواة بينهما كمية.

وعندما يقول)ويترل الغيث) (لقمان 34 (فإنه يخبرنا عن نقلة موضوعية حارج الوعي الإنساني، أي أن هذه الظاهرة تحصل موضوعياً حارج إدراكنا. أي أن قرار تتريل الغيث وإرسال الرحمة للناس يحصل موضوعياً حارج الوعي الإنساني وكذلك قوله) :ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جناتٍ وحب الحصيد) (ق 9 .(أي أن عملية إحراج الحياة النباتية من الماء حصلت موضوعياً قبل أن تدرك من قبل الإنسان.

هذا على قراءة نافع وعاصرهم وابن عامر) :ويترل الغيث) (الشورى 28 (وقد قرأ أبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي) ويترل الغيث) (في الموضعين (وعلى هذه القراءة فيكون الإنزال مدركاً. وعلى القراءتين فالغيث يترل موضوعياً حارج الإدراج وهو من المدركات.

الظواهر التي حصل فيها الإنزال دون التريل:

لقد حاء الإنزال دون التتريل في قوله تعالى)وأنزلنا الحديد (وفي قوله) :يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً .. الآية) (الأعراف 26 .(

وبما أن الإنزال مرتبط بالوعي الإنساني، فإذا كانت هناك ظاهرة في الطبيعة موجودة موضوعياً ولكن لا يدركها الإنسان وحصل إنزال لها فهذا يعني أنها أصبحت من المدركات. وهنا يكمن التعريف الأساسي لنظرية المعرفة الإنسانية في القرآن حيث أنها تتلخص في الإنزال. أي بالنسبة للإنسان يسبق الوجود الإدراك، والإنزال هو عملية إدراك الموجودات.

فالحديد موجود في الطبيعة ولكنه موجود بشكل فلزات وغير موجود بشكل حر، واستخراجه من الأمور الصعبة بخلاف الذهب والفضة، وأعتقد أنه إلى اليوم هناك سؤال حير علماء تاريخ العلوم وهو: كيف اكتشف الإنسان الحديد بهذا الوقت المبكر؟ لأن الحديد من المعادن التي عرفها الإنسان قديماً،. وكانت معرفة الإنسان للحديد نقلة نوعية كبيرة في حياة الإنسانية، فقد يسأل سائل :ما دخل الله في حياة الناس؟ أقول: لقد أعطى الله قفزات معرفية للناس في النبوات وأعطاهم قفزات تشريعية في الرسالات. فعندما قال)وأنزلنا الحديد) (الحديد 25. (فهذا يعني أن الله عن طريق النبوات عرف الناس بالحديد ومنافعه واستخراجه.

ولم يكتشف استخراج الحديد بالصدفة لذا أتبع الخواص الموجودة في الحديد في نفس الآية بقوله)فيه بأس شديد ومنافع للناس) (الحديد 25 (وهذا هو سر معرفة الإنسان للحديد في مرحلة مبكرة، وإني لا أدري لولا قوله تعالى وأنزلنا الحديد (هل كنا نركب السيارات ونشيد الأبنية العالية والمصانع في الوقت الحاضر لاحظوا هنا كيف تدخل الله سبحانه وتعالى وأعطى قفزة معرفية للناس. ولاحظوا أيضاً أنه لم يقل وأنزلنا النحاس أو أنزلنا الذهب أو أنزلنا النار لأن الإنسان اكتشف النحاس والذهب والنار دون نبوات. ولو قال ونزلنا الحديد فهذا يعني أن الحديد كان حارج الأرض ونقله الله إلى الأرض، أي أن الحديد انتقل موضوعياً إلى الأرض من مكان ما كقوله)ويترل الغيث. (

أما قوله)قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً) (الأعراف 26 (فهذا يعني أن الإنسان عندما كان في

المملكة الحيوانية بشراً كان عارياً لا يعرف اللباس، ثم عرف بعد ذلك الغطاء "السرابيل" غير مخيط ودون مخيط. فمن علم الإنسان ربط قطعة حلد بقطعة أحرى عن طريق المخيط؟ الجواب: إن الله أعطى قفزة للناس بأن علمهم هذه الظاهرة عن طريق النبوات.

أما الريش فجاءت من قبل "ريش" وهي كثرة المال "النقد" ويقابلها باللغة الانكليزية .(Rich)فهنا نقول: من علم الإنسان ظاهرة التجريد الاقتصادي في تبادل السلع؟ لقد قام الاقتصاد على تبادل السلع على مبدأ المقايضة أولاً، فلكي تنتقل هذه العملية من المشخص إلى المجرد وجب أن يكون هناك وحدة قياس للسلعة وهذا ما يسمى بالنقد. وهي عملية تجريد بحتة لتبادل السلع. فهنا نقول مرة أحرى إن الله سبحانه وتعالى علمهم إياها عن طريق النبوات وأعطى الناس دفعة إلى الأمام.

-حالة طلب فيها العرب الإنزال دون التتريل، وحالة طلبوا فيها التتريل دون الإنزال:

لقد طلب العرب الإنزال دون التتزيل من النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى في سورة هود الآية 12) .لولا أنزل عليه كتر (فالعرب لم يطلبوا من محمد صلى الله عليه وسلم أن يترل كتر كما يترل المطر من السماء، ولكن طلبوا أن يوحي الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن مكان كتر مخبأ في الأرض ولا يعرف أحد مكانه فيدلهم عليه.

أما الحالة التي طلبوا فيها التتريل دون الإنزال، ففي سورة الإسراء الآية 93)أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تترل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشر رسولاً (هنا طلب العرب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرقى إلى السماء ويأتيهم بكتاب بشكل مادي يرونه بأعينهم، أي ألهم طلبوا أن يأتي الكتاب من السماء منسوحاً على قرطاس ويلمس باليد مادياً كقوله)ولما نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) (الأنعام 7.(

- 6 الإنزال والتريل لمائدة من السماء

لنرى الآيات التالية في سورة المائدة:

-) -إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن يترل علينا مائدةً من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) (المائدة 112.(
-) -قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين) (المائدة 114.(
-) -قال الله إلى مترلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) (المائدة 115)

و لنلاحظ ما يلي:

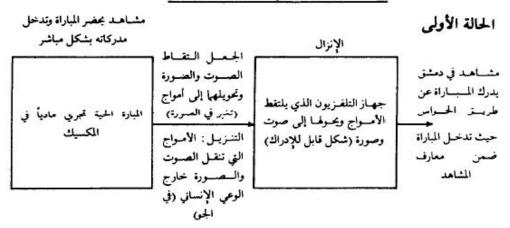
- 1لقد طلب الحواريون من عيسى بن مريم تتريل مائدة من السماء، أي طلبوا مائدة مادية ليأكلوا منها مادياً تترل عليهم موضوعياً كسقوط التفاحة من الشجرة إلى الأرض أو كسقوط الغيث، وكان هذا طلباً كبيراً، لذا قال): اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (وكان هذا الطلب هو "تتريلاً."
 - 2كان طلب الحواريين لوجود شك عندهم من أقوال المسيح إذ قالوا)ونعلم أن قد صدقتنا.(
- 3لقد طلب المسيح من الله سبحانه وتعالى إنزالاً بشأن المائدة، أي طلب الوحي بشأن المائدة لأن المسيح كان لا يشك مطلقاً بصدق الله معه، وهو شخصياً ليس بحاجة إلى أي بينة مادية من الله.
- 4 لقد استجاب الله لطلب الحواريين فقال) :إني مترلها عليكم" (تتريل" فجاءهم مائدة مادية من السماء دون أي وحي بشأنها لذا قال لهم) :فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين(، هذا على قراءة نافع وابن عامر وعاصم) إني مترلها .(وقرأ أبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي) إني مترلها" (إنزال" فيكون المعنى على هذه القراءة أن الله سبحانه وتعالى استجاب لطلب عيسى عليه السلام فكان الإنزال بأن أوحى إليه وحياً بأمرها. غير أن تواتر الأخبار يفيد أنها تترلت بصورة مادية "العشاء الرباني". وهذا ما يرجح قراءة نافع وابن عامر وعاصم.

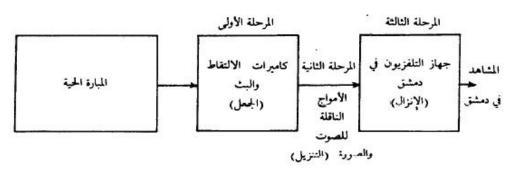
ويحسن بي هنا أن أختم هذا الفصل بالوقوف على شرح قوله تعالى) :لو أنزلنا هذا القرآن على حبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) (الحشر 21.(

بما أن محتويات القرآن كلها علوم الحقيقة الموضوعية المادية والتاريخية، فلو أنزل هذا القرآن على جبل "أي دخل في مدركات الجبل" لأصبح الجبل عالمًا، وبالتالي خاشعاً متصدعاً من خشية الله، والخشية هي الخوف عن إدراك. حيث قال)كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء) (فاطر 28 (ولو قال لو نزلنا هذا القرآن على حبل فهذا يعني أنه وضع القرآن مادياً على الجبل "كتاباً منسوخاً في قرطاس" وينطبق على الجبل قوله تعالى) :مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً) (الجمعة 5)، فعندما يحمل الحمار أسفاراً "كتباً في قرطاس" فيها معلومات لا يفهمهما يبقى حماراً، أما إذا فهمها و دخلت ضمن مدركاته فلن يبقى حماراً . وكذلك الجبل إذا جاءه القرآن واستوعبه أصبح عالماً "الإنزال" وإذا جاءه مادياً و لم يستوعبه يبقى جبلاً كما هو "تتزيل فقط" ولذا قال :)لو أنزلنا هذا القرآن على حبل) (الحشر 21.(

بعد هذا التفصيل نتوقع أن يرد السؤال التالي: هل فهم السلف الإنزال والتتريل بهذا الفهم؟ وإن لم يكونوا فهموه كذلك فهل ذك ضائرهم؟ وأجيب: لو فهموه هكذا لكان الأمر عجباً ولكانت النتائج أعجب، لقد غاب عنهم هذا الفهم لأن أرضيتهم العلمية لم تكن تعينهم عليه إلا أننا لا ننكر أن بعضهم حام حوله دون أن يقع عليه، فقد حكى سيبويه أن أبا عمر كان يفرق بين أنزلت ونزلت، و لم يذكر الفرق "لسان العرب زل" وعلى كل حال فالقرآن صالح لكل زمان ومكان ويفهمه كل قوم وفقاً لأرضيتهم المعرفية وإنما أعاننا على هذا الفهم معارف النصف الثاني من القرن العشرين، وأما هم فلا ضير عليهم بشرط أن نكون مقتنعين فعلاً وقولاً بأنه معجزً".

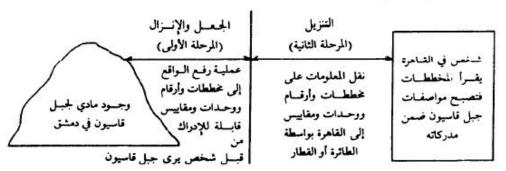
مخطط عملية الإنزال والتنزيل



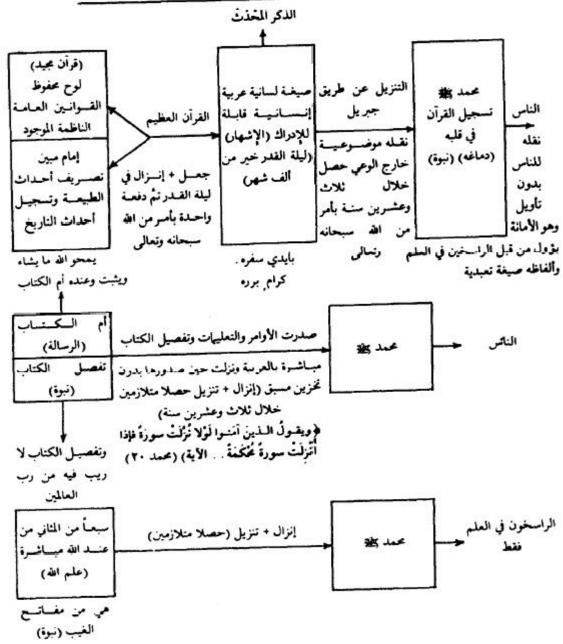


في هذه الحالة لدينا الترتيب التالي وجود مادي للمباراة - جعل - تنزيل - إنزال

الحالة الثانية



الإنزال والتنزيل للكتاب الموحى إلى مُحمَّد ع



وبها أن المذكر هو الصبغة الصوتية للكتاب كاء وهي الصيغة التعبدية فقد أجل الإنرال والتنزيل فيه بقوله ﴿وأَتُرَلنا إليكَ الذكر لتُبينَ لِلناسِ ما نُرُّلُ إليهِم﴾ (النحل 13).

وأجمل التنزيل بقول ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزُلْنَا اللَّهُمْ وَإِنَّا لَهُ خَافِظُونَ ﴾ (الحجر ٩).

وبها أن الكتباب هو مجموعة المواضيع الموجودة بين دفتي المصحف وهي الذكر من حيث اللفظ فقط فقد أجل الإنزال فيه بقوله ﴿الحَمْدُ فَه الذي أَنزَل على عَبدهِ الكتابُ ولم يَجْعل لهُ عوجاً ﴾ (الكهف ١). وأجل التنزيل فيه بقوله ﴿تنزيل الكتاب مِنْ الله العزيزُ العَليمُ ﴾ (غافر ٢).

مثال على الإنزال دون التنزيل في تفاحة نيوتن



الفصل الرابع إعجاز القرآن وتأويله

- 1التحذير من كتابه الكتاب بأيديهم ونسبته إلى الله، والتحدي بأن يأتوا بمثل هذا القرآن

إن بداية القول في إعجاز القرآن تأتى من موازنة الآيتين التاليتين وهما:

-) فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون) (البقرة 79.(
-) -قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ()الإسراء 88.(

ففي الآية الأولى يحذر الله الناس أن يكتبوا الكتاب بأيديهم ويقولوا هذا من عند الله. وفي الآية الثانية يتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

الآن لنناقش الأمور التالية:

- 1إذا كان المقصود بالكتابة الخط، والخط يكون باليد)يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله وبالتالي الله (، فهذا يعني أن المقصود في هذه الآية هم كتبة الوحي فقد خطوا الكتاب وقالوا هذا من عند الله وبالتالي فالويل كل الويل لكتبة الوحي.
 - 2أما إذا كان المقصود بالكتابة إضافة أحكام فقط إلى الكتاب.

وحصل مثل هذا الأمر فعلاً عند اليهود حيث أضافوا اجتهادات أحبارهم إلى الكتاب، وقد شرحنا أن الكتاب عند موسى وعيسى هو التشيع فقط "الرسالة" وهذا أمر ممكن الوقوع فيه وغير مستحيل لذا تم التحذير منه فعلاً.

- 3إذا كان الكتاب هو المصحف كما يعتقد الناس فكيف يحذرهم مرة ويتحداهم مرة أخرى؟ "هذا تناقض كبير جداً"، ولكن إذا كان التحذير لشيء والتحدي لشيء آخر توضع الأمور في نصابها، حيث أن التحذير للتشريع "الرسالة" والتحدي للقرآن "النبوة". فالله سبحانه وتعالى يحذر الناس من أمر لا يعجزون عنه، ويتحداهم بأمر يعجزون عنه. هكذا فقط يجب أن نفهم التحذير من أمر غير معجز والتحدي لأمر معجز. لنبحث الآن في التحذير والتحدي، كحل على حده:

- أ- التحذير :لقد جاء التحذير من كتابة الكتاب ونسبة الكتاب إلى الله. فحتى توضع الأمور في نصابما نفهم هذا التحذير كالتالى:
- 1إن الأحكام من الكتاب ولست من القرآن وهي الكتاب بالسنة لموسى وعيسى ولا يوجد فيها أي إعجاز، فلا يجوز للإنسان أن يسن تشريعاً مثل قانون السير أو قانون الجامعات أو قانون الجمارك ثم ينسب هذا التشريع إلى الله وهذا ما يؤكد أنه لا يوجد حق لأحد في أن يصدر أحكاماً ويعطيها صفة الألوهية وإنما هي فقط اجتهاد متطور حسب الظروف الموضوعية التاريخية له الصفة الحنيفية غير الثابتة هدفه اليسر لا العسر. وقد جاء هذا التحذير حيث أن اليهود مارسوا هذا النوع من التزوير في الأحكام "الكتاب" لذا قال)فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم .(
- 2لا يجوز أن تدمج اجتهادات النبي صلى الله عليه وسلم واجتهادات الفقهاء في الكتاب وجعلها جزءاً منه.
 - 3لا يجوز تغيير ترتيب آيات الكتاب من حيث الترتيب والعدد التي وردت فيه فمثلاً جاءت الوصايا في سورة الأنعام تحت رقم 151-152-36، فلا يجوز وضعها في سورة أخرى أو في مكان آخر في نفس السورة.
 - 4لا يجوز وضع تأويل الآيات بالنسبة للقرآن والفقه في الأحكام بديلاً للنص بالإلزام حيث أن التأويل دائماً يحمل مفهوم النسبية في المعرفة والفقه يحمل مفهوم الضرورة المرحلية الحنيفية.

لنسأل الآن: هل هناك تحذيرات أخرى حذر رب العالمين الناس من القيام بها وهي ضمن إمكانياهم؟ الجواب: نعم هناك تحذيران خطيران جداً وهما:

-التحذير الأول : عندما يؤول القرآن وهو الآيات المتشابجات فيمكن أن يستنتج من هذا التأويل نظريات فلسفية وحقائق علمية موضوعية تفيد الناس جميعهم "كل الناس" وليس المؤمنين فقط. هذه الاستنتاجات يتحقق منها فوائد علمية وعملية للناس وهذا التأويل يحصل من بعد نزول القرآن لا حين نزوله أي أن هذا التأويل سيحصل بعد النبي لا في عهده. فقد حذرنا الله تحذيراً شديداً من كتمان هذه الحقائق والنظريات وما ينتج عنها من فوائد علمية وعملية وقد ورد هذا التحذير في قوله تعالى) :إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم الله ويلعنهم الله ويعنهم الله ويقصد بها الآيات البينات لذا قال "في الكتاب" حيث أنه في الكتاب يوجد آيات أخرى غير الآيات البينات وهي آيات الرسالة. هذه الظاهرة حصلت في تاريخنا عند المتصوفة في مراتب المعرفة في قولهم القطب الفلاني والعالم الرباني قدس الله سره .

فالسؤال الذي يطرح نفسه هو: أية أسرار هذه؟ فهناك احتمالان: الأول أن يكون عندهم فعلاً أسرار وكتموها فبذلك يكون قد دخلوا تحت بند يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون. والاحتمال الثاني وهو الأرجح أنه لا يوجد أي أسرار لديهم وهذه الأسرار ليست أكثر من وهم وخرافة. وهذه الحالة الوهم والخرافة لا يحملان

أي قدسية. ثم إن هؤلاء العلماء الربانيين ماذا قدموا للناس وبأي شيء أفادوا الناس؟ الجواب: لا شيء سوى الوهم .

أما العلماء الربانيون الحقيقيون فقد قدموا للناس البنج والمحرك البخاري والعمليات الجراحية والأدوية ووسائل الاتصال والمراكب البحرية والحاسبات الإلكترونية وكل ما تنعم به الإنسانية من نعم من نتاج هؤلاء العلماء الربانين، ولكن هؤلاء العلماء نشروا معارفهم للناس واستفاد كل الناس منها عملياً وعلمياً ولم يكتموها عن أحد لذلك لا ينطبق عليهم قوله تعالى)يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون .(وهؤلاء العلماء الربانيون الحقيقون هم من الخاصة ولكن لم يقولوا: إن هذه المعلومات هي للخاصة فقط، بل أسسوا الجامعات ونشروها بين الناس، وهي متوفرة لمن أرادها، ويكفي أن يكون عند العامة رغبة في التعلم ليتعلموها لأنها منشورة في الكتب والصحف والجامعات، والحصول عليها يحتاج إلى أن يفتح الإنسان عينيه وعقله لا أن يغمضهما ويقول "الله، الله" لتشرق عليه الأنوار الربانية.

-التحذير الثاني : جاء في قوله تعالى)إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطوفهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيام ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (البقرة 174). فإذا كان التحذير الأول جاء حول كتمان الآيات البينات من الذين يفهمولها لقوله "ما أنزلنا" والإنزال هو من المدركات فإن التحذير الثاني هو لبقية الآيات التي هي آيات الأحكام والمواعظ والوصايا، أي أن الذين يستنبطون من هذه الآيات أحكاماً يجب عليهم أن يظهروها للناس ولا يكتموها. هذه الآية تبين للمسلمين وجوب وجود منابر فقهية حرة عندهم وعدم التقيد بفقه مذهب من المذاهب بعينه. والفقه هو ظاهرة متطورة مستمرة، وأول من بدأ بالفقه وبالاجتهاد هو النبي صلى الله عليه وسلم وفقهه واجتهاده هو ما نسميه بالسنة النبوية .

حيث أن التقيد بمذهب من المذاهب الفقهية ما هو إلا استبدال المذهب بالنص الأصلي حيث أصبح المذهب الفقهي فيما بعد هو الأساس الذي اختفى النص وراءه .وأصبح الفقه في شرح المذهب لا في شرح النص. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى جاءت الآية لتحذير الفقهاء من فتاوي التبرير، حيث ألهم يفتون لتبرير سلوك ما لشخص ما، بحيث ألهم يظهرون أن هذا السلوك هو عين الإسلام مع أن الإسلام خلاف ذلك، وهم يعلمون ذلك وما أكثرهم في تاريخنا حيث أن هذا التبرير يكون لشخص يتصف بالغنى أو السلطة أو كليهما، إن المهضوم حقه هو الضعيف والفقير فهل هذا من باب الصدفة أو أن النص التشريعي أو القانون هو مع القوي والغني؟؟

ب- التحدي):الإعجاز:(

بعد أن أنهينا التحذير نأتي إلى التحدي. ففي الكتاب أكثر من آية تتحدث عن بالتحدي وهذه الآيات هي:) -قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (

-)الإسراء 88.(
-) -أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) (يونس 38.() -أم يقولون افتران قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)(هود 13.(
 -) -وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثلهِ وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) (البقرة 23.(

- 2السحر والمعجزات

بما أن الإنسان ظهر في هذا الكون بعد وجود الكون والشمس والقمر والكواكب والنجوم وقوانين الطبيعة التي تدخل كلها في عالم المحسوس "عالم الحقيقة "فالحق في القرآن يقسم إلى قسمين: القسم الأول وهو الله الذي الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل) (لقمان 30). والقسم الثاني هو "الموجودات، العالم المادي الموضوعي" وهو عين كلام الله)ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) (الأحقاف 3). فالله والعالم الموضوعي كلاهما حق وموجود خارج الوعي الإنساني، ووجودهما سابق لوجود الإنسان، والمعرفة الإنسانية هي معرفة الله من خلال كلماته ":الموجودات."

إن معرفة هذا الوجود الحقيقي لله ومعرفة الموجودات التي تؤدي إلى معرفة وجود الله خارج الوعي الإنساني هي التي أخذت طابع التطور. فكلما تقدمت المعارف الإنسانية زادت معرفة الناس بالموجودات، وبالتالي زادت معرفتهم بالله. والقفزات المعرفية التي جاءت من الله للإنسان في النبوات إنما جاءت لهذا الغرض، وهذا قدر من الله قدرة على الإنسان سلفاً، وهو الخروج والابتعاد عن المملكة الحيوانية، فالإنسان عندما وجد على الأرض كان بحيمياً ثم تأنسن، وفي بداية الأنسنة كان بدائياً، فنطر إلى عالم المحسوس الشمس والقمر والأنهار والبرق والرعد وبقية ظواهر الطبيعة التي لها علاقة مباشرة معه ولكنه كان عاجزاً عن أن يعقل هذه الظواهر، بحيث تدخل في عالم المعقول "أي معقولاته"، ولم يستطع أن يضع لها تفسيراً معقولاً، وأثناء هذه المحاولة اختلط عليه الأمر ووقع بالرجس الوثني واتخذها آلهة وبهذا بدأت عبادة مظاهر الطبيعة.

وهذا ما عبر عنه في قصة نوح حيث كان قوم نوح يعبدون ظواهر الطبيعة)ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً * وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) (نوح 15-16) انظر الفصل الثالث من الباب الرابع من هذا الكتاب. وهذا هو السبب الأساسي في ظهور الأسطورة والخرافة عند كل الشعوب قاطبة وهو المحاولة الحاطئة لتطابق المحسوس مع المعقول أو عقلنة المحسوس. ومع تقدم الزمن وتطور المعارف، أدرك الإنسان أن هناك صفات مختلفة في الطبيعة، مثل الحرارة والبرودة والمطر والفيضان والجفاف، وصفات مختلفة عند الإنسان مثم الخير والشر والبخل والكرم، أي أنه عندما ازداد تمييز الإنسان للأشياء بصفاتما

المختلفة لم يستطع أن يدرك أن الصانع واحد، ولم يدرك وحدة الناموس الكويي، فأراد أن يعقلها وذلك بأن ردها إلى آلهة مختلفة الصفات "السمات."

فهناك إلاه المطر وإلاه الجفاف وإلاه المحاصيل وإلاه الخير لنفع وإلا الشر للضرر والسوء، وهذه المرحلة كانت واضحة في قوم هود بقوله تعالى)أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) (الأعراف 71). والأسماء من السمات وقوله) إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) (هو 54) فقولهم بعض آلهتنا بسوء تعني بالضرورة أن هناك إلاها للخير وآخر للشر أي ظهر التميز "الأسماء) "فسبب ظهور الخرافة هو عدم القدرة على مطابقة المحسوس بالمعقول (وعلى هذا الخطأ لم يؤاخذ الله عباده، بل أرسل إليهم رسلاً منذرين لهم لتصحيح هذا الخطأ وذلك بقوله) :وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) (الشعراء 208) وقوله)وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) (الإسراء 15). وكانت هذه الإنذارات تأتي حسب مدركات ومستويات الإدراك لأهل هذه القرى.

متى يقول إنسان ما عن شيء إنه سحر؟ لنضرب المثال التالي:

إذا أخذ شخص ما صندوقاً خشبياً ووضع بداخله رجلاً ما بحيث يساوي طول الرجل طول الصندوق ثم نشر الصندوق نصفين ورأينا أن الرجل داخل الصندوق لم يمسه أي أذى فنقول عن هذا الإنسان إنه ساحر. قلنا عنه إنه ساحر لأننا لم نستطع أن ندرك "نعقل" كيف نجا الرجل داخل الصندوق. ولكن العملية بالنسبة للرجل الذي قام بعملية النشر أو بالنسبة للرجل الذي كان بداخل الصندوق لا تعتبر سحراً لأنهما يعرفان كيف تحت عملية نشر الصندوق دون إلحاق الأذى بالرجل الذي كان بداخل الصندوق.

فكل شيء يمكن أن يراه الإنسان في عالم المحسوسات ولا يدخل ضمن مستوى معقولاته يصفه بأنه سحر. ومن هنا قال العرب عن القرآن إنه سحر لأنهم سمعوه مادياً ولم يستطيعوا أن يعقلوه حسب معارف وقتهم فقالوا هذا سحر)وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) (الأحقاف 7. (وفي هذا قال فرعون وقومه عن موسى عندما جاءهم بتسع آيات بينات، وهي العصا واليد وضرب البحر، كل هذه البينات شاهدها الناس حسياً، أي شاهدوا العصا واليد وشق البحر والجراد والقمل والضفادع والطوفان والدم والرجز، شاهدوها ضمن عالم المحسوس ولم يدركوا كيف حدثت هذه الآيات، ولم تدخل ضمن معقولاتهم، لذا قالوا عن موسى إنه ساحر، ولكن سحرة فرعون أنفسهم يدركون معنى السحر في ذلك الوقت، ولما رأوا سحر موسى أدركوا أن هذا أعلى من معقولاتهم هم عن السحر فآمنوا وكان إيمانهم واقعياً عاماً بقولهم) آمنا برب هارون وموسى) (طه 70.(

وهكذا يمكن لنا أن نعرّف المعجزات للأنبياء بما يلي: المعجزة عند كل الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم هي تقدم في عالم المحسوس "ظاهرة طبيعية" عن عالم المعقول السائد وقت المعجزة "كشق البحر" ولكنها ليست بحال من الأحوال خروجاً عن قوانين الطبيعة أو خرقاً لها لقوله تعالى) :وما كان لرسول أن يأتي بآيةٍ إلا بإذن

الله) (الرعد 38) ودائماً يدخل الأذن ضمن قوانين الطبيعة الصارمة .

أي هي عبارة عن قفزة زمنية إلى الأمام في تطويع قوانين الطبيعة. ولرب سائل يسأل: ألا يعد إحياء المسيح للموتى خرقاً لقانون الطبيعة؟ أقول: ليس بخرق، لأنه يوم القيامة سيبعث الناس جميعاً وهم في عداد الأموات، فما عملية إحياء المسيح للميت إلا قفزة زمنية ترينا إمكانية إحياء الموتى مادياً وهو الذي سيحصل يوم البعث. وكذلك نار إبراهيم عليه السلام فهذا يعني أن النار تحوي صفتين متضادتين في وحدة وهما الحرارة والبرودة، فالصفة الأولى لنا والصفة الثانية جاءت لإبراهيم.

- 3القرآن الكريم معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة

لقد جاءت كل معجزات الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم مادية بحيث أن عالم المحسوس "الظاهرة الطبيعية للمعجزة" سبق عالم المعقول إما بفترة زمنية قصيرة، أو فترة زمنية طويلة الأمد. وذلك لأن الإنسان في مراحل تطوره كان عالم المحسوس المباشر عند أهم من عالم المعقولات أن أن المحسوسات سبقت المجردات المعقولات.

وهذا هو التطور الطبيعي التاريخي للمعرفة الإنسانية لأن المعرفة الإنسانية تبدأ بالإدراك الفؤادي المشخص بحاستي السمع والبصر، ثم تنتقل إلى المجردات. أما بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم فقد كانت معجزة نبوته هي القرآن نفسه أي أن القرآن هو التصديق، وهو النبوة معاً، ولم تأته النبوة والآيات البينات منفصلاً بعضها عن بعض. عن بعض كما كانت بالنسبة لكل الأنبياء النبوة والآيات البينات منفصلاً بعضها عن بعض.

لقد شكل القرآن من الكتاب معظمه، وبما أن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء فيجب أن تبقى معجزته خالدة، وكلما تقدمت الإنسانية في المعارف والعلوم يظهر إعجاز القرآن بشكل أوضح، فكانت معجزته معاكسة تماماً لمعجزات بقية الأنبياء، وذلك لأن:

- 1 نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي القرآن والسبع المثاني سبق فيها الطرح المعقول عن المدرك من المحسوس بصياغة متشابهة. فكلما تقدم الزمن تدخل طروحات القرآن ضمن المحسوسات المدركة، وهذا ما يسمى بالتأويل المباشر "أي مطابقة المدرك من المحسوس مع النص): "اسنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) (فصلت 53) (لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) (الأنعام 67) (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأهم تأويله .. الآية) (يونس 39) وهذا هو السبب الثاني في أنه سمي قرآناً من الاستقراء حيث أن السبب الأول هو المقارنة وهو قرن أحداث الطبيعة بأحداث التاريخ.

لقد قال تعالى)وجعلنا من الماء كل شيء حي) (الأنبياء 30) وعرفنا الآن أن في الكون كله لا يمكن أن يوجد مظهر من مظهر ن مظاهر الحياة دون وجود الماء "الرطوبة" وقال) :كل في فلك يسبحون) (الأنبياء 33)

والفلك في اللسان العربي هو الاستدارة كقولنا "فلك ثديا الفتاة" أي استدارا، فكل شيء في هذا الكون من أصغر الجزيئات إلى أكبرها يتحرك ضمن أفلاك أي حركة غير مستقيمة "منحنية". هذا ما عرفناه الآن ووصفه القرآن قبل أربعة عشر قرناً في عالم المعقولات، والآن أصبح في عالم المحسوسات والمعقولات معاً. ثم إنه قال) :ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) (الذاريات 49) وقال)سبحان الذي خلق الأزواج كلها ثما تنب الأرض ومن أنفسهم وثما لا يعلمون) (يس 36) لقد قال منذ أربعة عش قرناً ووضع في عالم المعقولات أن هذا الكون قائم كله على الأزواج "قانون الزوجية" في كل شيء مطلقاً، في الذي معرفه والذي لا نعرفه، وقد حذرنا من أن ننسى هذه الحقيقة)لعلكم تذكرون (ثم إنه وضع لنا في عالم المعقولات قوانين جدل المتناقضات والأزواج والأداد. ولهذا سميت آيات النبوة قرآناً من الاستقراء، فمن القرآن نستقرئ النظريات العلمية المادية والتاريخية بالإضافة إلى أنه قرن الحقيقة الموضوعية المادية مع الحقيقة التاريخية. والآن أريد أن أوجه سؤالاً: هل هذا الكلام هو من أساطير الأولين أو من أساطير الآخرين ؟؟! قد يقول قائل: إن السادة المفسرين وعلماء المسلمين لم يشرحوه هكذا وأقول: هنا يظهر الوجه الثاني من إعجاز القرآن هو:

- 2 لقد حوى القرآن الحقيقة المطلقة للوجود بحيث نفهم فهماً نسبياً حسب الأرضية المعرفية للعصر الذي يحاول فهم القرآن فيه. فهو قد حوى الحقيقة المطلقة والفهم النسبي لهذه الحقيقة بآن واحد، وهذا لا يمكن الإنسان أياً كان أن يفعله. فالمطلق عبر عنه مادياً في الصيغة اللغوية المخدثة "الذكر"، فإذا أردنا أن نعرف الأرضية المعرفية للعصر الذي عاش فيه ابن كثير فما علينا إلا أن نقراً تفسيره وإذا أردنا أن نعرف الأرضية المعرفية لعصر الصحابة فما علينا إلا أن نتبع تفسيراقم وعلى رأسهم ابن عباس. فتفسير ابن كثير وغيره بحمل المعرفة النسبية لفهم القرآن لا المعرفة المطلقة، وهذا هو سر الإعجاز الأكبر في القرآن وهو "التشابه." وأما الوجه الثالث من أوجه الإعجاز فهو أننا نعلم الآن أن هناك نوعين من الصياغة اللغوية هما الصياغة العلمية الموضوعية كصياغة إسحاق نيوتن وآلبرت انشتاين وابن الهيثم لنظرياقم، وهناك الصياغة الأدبية الخطابية والشعرية الغنية بالصور الفنية كصياغة شكسبير وبوشكين والمتنبي. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل يمكن صياغة نظريات نيوتن وانشتاين وابن سينا وابن الهيثم صياغة كصياغة المتنبي وبوشكين وشكسبير دون أن تؤثر هذه الصياغة على الدقة العلمية ودون أن تكون على حسابها؟ إلى يومنا هذا لم نر هذا النوع من الصياغة وهذا هو الوجه الثالث من الإعجاز .

إن كل ما كتب عن إعجاز القرآن عند السلف إنما يتعلق بالجزء الأدبي من الوجه الثالث للإعجاز أقول إنه لو كحان الإعجاز فقط أدبياً، وافترضنا أنه لا يمكن تقليد صياغة القرآن من الناحية الأدبية الفنية فهذا يعني أن الإعجاز واقع على العرب فقط دون غيرهم لأن الصياغة القرآنية جاءت بلسان العرب. والقرآن نفسه يقول: إنه لو كان المقصود بالإعجاز الصياغة فقط دون المضمون لأمكن للناس صياغة بعض القطع الأدبية

التي تشبه القرآن من الناحية الصنعية فقط وهذا ما جاء في قوله) :أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) (هود 13) في هذه الآية جاء النوع الأول من التحدي وهو أن يكون الموضوع غير قرآني والصياغة قرآنية .

وهذا ما سماه بالإفتراء، ففي هذه الحالة طلب عشر سور ووضع الإعجاز فيها فيمكن أن نستنتج بالضرورة أن المفتري يمكنه أن يأتي بأقل من عشر سور. فهل هذا الإعجاز واقع على العرب وحدهم أو عليهم وعلى غيرهم؟ الجواب: على العرب وعلى غيرهم من الأقوام لأن المطلوب هو الافتراء من الناس، كلِّ في لغته، العربي بالعربية والفارسي بالفارسية والإنكليزي بالإنكليزية وهكذا دواليك فالمطلوب بالضبط هو أن يؤخذ موضوع غير قرآني مفترى. مثال على ذلك قصة حب بين رجل وامرأة أو قانون علمي موضوعي كقانون الجاذبية، وتصاغ هذه القصة أو القانون بشكل قرآني أي ألها يجب أن تحتوي على الشروط التالية:

- 1أن تحوي على القوانين المطلقة للحب بشكل يفهمها كل قارئ حسب وعيه ومداركه عن الحب أي أن تحتوي على علاقة جدلية بين المطلق والنسبي.
 - 2أن تكون فيها المعقولات عن الحب تسبق المحسوسات "أي الأخبار عن الحب سبق معلومات الناس عنه."
 - 3أن تصاغ صياغة فنية رفيعة.

هذه الشروط الثلاثة وبشكل خاص الشرطتان الأول والثاني هي التي تسمح بالتأويل. هذه الخاصة نراها جزئياً عند عمالقة الأدب في العالم وليس العلم من أمثال دوستويوفسكي وشكسبير والتنبي حيث أنه على مر الأيام تعاد قراءة هؤلاء الأدباء في ضوء معطيات العصر. وقد يقول قائل:

إنه أمكن لهؤلاء تقليد القرآن بشكل افتراء. أقول: هذا غير صحيح للأسباب التالية:

لقد طلب في حالة الافتراء عشر سور، فإذا فرضنا أن السورة مؤلفة من ثلاث آيات فقط حيث أن أصغر سورة في القرآن مؤلفة من ثلاث آيات فقط، وحيث أن الآية قد تحوي وحدة المعنى، فهذا يعني أن المطلوب هو ثلاثون موضوعاً مفترى، وأن تصاغ صياغة قرآنية على شكل آيات تحتوي الشروط المذكورة أعلاه .فمثلاً أحد المواضيع يمكن أ، يكون في تاريخ مدينة دمشق، يصاغ بشكل طلق لمدينة دمشق، بحيث إذا قرأه بإنسان يراه مطابقاً لمستوى معلوماته التاريخية عن دمشق، وإذا قرأه إنسان بعد خمسين عاماً يراه مطابقاً لمستوى معلوماته الجديد عن مدينة دمشق، وإذا قرأه إنسان بعد مئة عام يراه طابقاً وهكذا "هذا مثال عن القصص والتشابه فيه" هذا ينتج عنه بالضرورة المعقول قبل المحسوس وهو الذي نسميه بالغيبيات .

هذا النوع الأول من الإعجاز الذي طلب فيه عشر سور مفتريات تحتوي على نص على شكل آيات. فإذا سألني سائل ما هي مقومات الآية القرآنية؟ أقول: هي ما يلي:

-تعريف الآية: قبل أن نبدأ بمقومات الآية لنضع تعريفاً لها:

الآية كما جاءت في الكتاب لها معنيان منفصلان:

- المعنى الأول: الآية هي النص اللغوي الموجود بين مواقع النجوم "الفواصل "فنقول: إن سورة البقرة فيها 286 آية. وهذه الآيات تتلى كقوله تعالى)وإذا تتلى عليهم آياتنا بيناتٍ) (يونس 15) وقوله) :وأن أتلوا القرآن) (النمل 92) وقوله) :إن الذين يتلون كتاب الله) (فاطر 29) وقوله) :تلك آيات الكتاب المبين ()يوسف 1.

لقد سميت العبارات بين مواقع النجوم آيات في الكتاب كله ولم تسم جملاً، لأن الجملة في العربية هي مجموعة كلمات تعطي معنى مفيداً يمكن الوقوف عليه. أما الآية فتحددها مواقع النجوم أي الفواصل بين الآيات في الكتاب كله، ويجب الانتباه إليها عند التأويل في القرآن أو الاجتهاد في أم الكتاب.

- المعنى الثاني: الآية بمعنى الظاهرة المادية في الطبيعة حيث أن ظواهر الطبيعة تسمى آيات الله وفي هذا المعنى جاءت في قوله تعالى) ولقد آتينا موسى تسع آياتٍ بينات) (الإسراء 101) وقوله تعالى) :هذه ناقة الله لكم آيةً) (الأعراف 73) وقوله) :وكأين من آيةٍ في السموات والأرض) (يوسف 105) وقوله) :وجعلناها وابنها آية للعالمين) (الأنبياء 91) وقوله) :ومن آياته أن خلقكم من تراب) (الروم 20.(

- المعنى الثالث: الاثنان معاً: الآيات التي تتلى والظواهر المادية وذلك في قُوله) : تلك آيات الله نتولها عليك بالحق) (الجاثية 6) حيث كانت قبلها الآيات عن الليل والنهار وتصريف الرياح وخلق الإنسان. لذا فإن مقومات الآية القرآنية المراد تقليدها "الإفتراء" هي:

- 1 ثبات الصيغة اللغوية.
- 2 حركة المحتوى بشكل يتناسب مع معقولات القارئ العالم وهذا ما يسمى بالتشابه.
- 3أن يكون الموضوع غير تشريعي. حيث أن القرآن لا يحتوي على مواضيع تشريعية.

هذا فيما يتعلق بالسور العشر المفتريات. أما فيما يتعلق بالسورة الواحدة فجاء التحدي على شكلين: الشكل الأول في قوله) :أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين () يونس 38). المطلوب في هذا التحدي هو سورة واحدة فيها كل الشروط المذكورة أعلاه وبآية لغة كانت، بحيث يكون الموضوع قرآنيا والصياغة قرآنية وموضوع القرآن هو القوانين المطلقة للطبيعة والتاريخ، فالمطلوب بهذا التحدي صياغة قوانين جدل الطبيعة وجدل التاريخ صياغة جدلية بحيث تفهم هذه الصياغة حسب الأرضية المعرفية للعصر الذي تقرأ فيه.

والشكل الثاني والذي جاء على شكل سورة واحدة هو في قوله تعالى) :وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) (البقرة 23) هذا النوع من التحدي يختلف عن النوع الأول حيث قال)بسورةٍ مثله .(أما هنا فقال) :بسورةٍ من مثله .(هنا يبين حقيقة التتزيل بقوله) :وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا .(وقد شرحت سابقاً معنى التتزيل بأنه نقلة خارج الوعي،

والتتريل بالنسبة للقرآن جاء بعد الإنزال أي أن الصيغة القرآنية صيغت عربية خارج وعي محمد صلى الله عليه وسلم مصاغاً جاهزاً إلى عليه وسلم، وهذا هو الإنزال ثم جاء القرآن من خارج وعي محمد صلى الله عليه وسلم مصاغاً جاهزاً إلى وعيه عن طريق الوحي على مدى ثلاث وعشرين سنة، وهذا هو التتريل.

فهنا جاءت الآية للذي يشك في التتريل، وبما أن التتريل جاء للكتاب ومن ضمنه القرآن وهو أكثر من سورة لذا قال) :سورةٍ من مثله .. (فالذي يعتقد أن القرآن كان من محمد صلى الله عليه وسلم محتوى وصياغة فما عليه إلا أن يحاول أن يأتي من مثل هذا الذي يشك بأنه وحي مع التقيد بالشروط المذكورة سابقاً. لأن كل شيء من صنع الإنسان يمكن أن يتجاوز. وهنا لم يطلب التجاوز وإنما طلب المماثلة التي هي أقل من التجاوز. أما التحدي الأكبر فهو اجتماع الإنس والجن قاطبة لغاية واحدة وهي الإتيان بمثل هذا القرآن. أي لو جند الإنس والجن علماءهم وأدباءهم ومعاهد أبحاثهم لهذه الغاية فقط فإلهم مع ذلك لا يستطيعون تحقيقها. إنه من الخطأ القول كما قال بعضهم: إنه تحدى العرب بالقرآن، فعندما عجزوا تحداهم بعشر سور، وعندما عجزوا تحداهم بسورة، والخطأ في ذلك أن كل آية من آيات التحدي تمثل نوعاً من التحدي مختلفاً عن الآخر. والتحدي في كل أنواعه لم يكن للعرب وحدهم وإنما كان للناس جميعاً كل في لسانه، وليس من الضروري على غير العربي أن يتعلم العربية لكي يشمله الإعجاز.

- 4قواعد التأويل

) فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب (آخر الآية 7 من سورة آل عمران. إن أم الكتاب هي الكتاب الحكم وهي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وإن القرآن والسبع المثاني هما المتشابه وهما نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع تفصيل الكتاب. وبما أن النبوة فيها قوانين الحق والباطل التي تنطبق على كل إنسان، شاء أم أبي، وجاءت بصيغة متشابهة "تغير المحتوى وثبات النص ونسبية الفهم." لذا قال) : فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه (حيث أن القرآن)هدى للناس (والكتاب)هدى للمتقين . (فمثلاً إذا قلنا لأكبر ملحد في العالم: إن هذا الكون مبني على جدل داخلي يقوم على صراع تناقضي في اتجاه واحد بين عنصرين مكونين لكل شيء مادي)مخلق وغير مخلق) (صنوان وغير صنوان (، وعلى جدل خارجي هو جدل تلاؤم الزوجين)ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) (الذاريات وعلى جدل خارجي هو عدل تلاؤم الزوجين)ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) (الذاريات مانع، وإذا قلنا: جاء هذا القانون من الله تصديقاً لأحكام أم الكتاب من صوم وصلاة وعبادات وأحكام .. الخ والتي جاءت من الله أيضاً .

فعندئذ سيقول: كلا، أنا أقبل هذا القانون، ولكن لا أقبل بالصوم. وهنا بيت القصيد في قوله) . فأما الذين في

قلوهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه (فأحد معاني الزيغ في اللسان العربي هو النقصان، فإذا أعطينا زيداً مئة تفاحة وزاغ في العد فهذا يعني أنه عدها أقل من مائة، وإذا عدها أكثر من مائة فإنه طغى في العد، وقد وضع الله سبحانه وتعالى الزيغ والطغيان من المتضادات بقوله) :ما زاغ البصر وما طغى) (النجم 17. فبذلك يصبح المعنى: إن الذين يقبلون القرآن ويتبعونه لأنه قوانين موضوعية، ولا يقبلون اتباع أم الكتاب هم ذوو عقول ناقصة لأنهم رفضوا أم الكتاب .لماذا؟ لأن الذي يؤول القرآن ويستنتج منه النظريات والقوانين العلمية والتاريخية ويطبقها لأنما أساس التقدم العلمي والتكنولوجي يفتن الناس، وكلنا يعلم مدى فتنة الناس بالصعود إلى القمر وبالكمبيوتر والتلفاز إ أ الذين تمكنوا من الصعود إلى القمر واختراع الكمبيوتر وصناعته تمكنوا من فتنة الناس وهذا ما حصل فعلاً.

أما قوله)وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم . (فهو: بما أن القرآن حقيقة مطلقة فتأويله الكامل لا يعلم يكون إلا من قبل واحد فقط، وهذا الواحد هو الله المطلق. ولهذا قلت: إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم التأويل الكامل للقرآن بكل تفاصيله لأنه يصبح شريكاً لله في مطلق المعرفة. أما معرفة التأويل المتدرج المرحلي فهو من قبل الراسخين في العلم كلهم مجتمعين لا فرادى. وهنا يجب أن نفهم أن الراسخين في العلم هم مجموعة كبار الفلاسفة وعلماء الطبيعة وأصل الإنسان وأصل الكون وعلماء الفضاء وكبار علماء التاريخ مجتمعين .

ولم نشترط لهذا الاجتماع حضور الفقهاء، لأنهم ليسوا معنيين في رأينا بهذه الآية، لأنهم أهل أم الكتاب. والراسخون في العلم مجتمعين يؤولون حسب أرضيتهم المعرفية ويستنتجون النظريات الفلسفية والعلمية، ويتقدم التأويل والعلم في كل عصر حتى قيام الساعة، فعند ذلك يتم تأويل كل الآيات التي تتعلق بهذا الكون وهذه الحياة "حيث تصبح هذه الآيات بصائر". لذا فالراسخون في العلم مجتمعين لا فرادى، وكل حسب اختصاصه يؤولون القرآن بالشكل التالي:

-الحالة الأولى: تحويل بعض الآيات إلى بصائر حية "أي مطابقة مباشرة مع الحقيقة الموضوعية" وهذا أقوى أنواع التأويل، أي التأويل الحسي.

-الحالة الثانية: استنتاج واستقراء لنظريات فلسفية وعلمية بالتأويل وذلك حسب أرضيتهم المعرفية المتوفرة. من هذا المنطلق نفهم الحالة الأولى التي جاءت في قوله تعالى)لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) (الأنعام 67)، والحالة الثانية)سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (فصلت 53). فكل نبأ جاء في القرآن "ومن هنا جاءت كلمة النبوة" له زمن سيستقر فيه، أي يصبح تأويله نهائياً "مبصراً". أما قوله "سنريهم" فالرؤيا من اختصاص الفؤاد، وهو الإدراك المشخص بالحواس.

إن هؤلاء الراسخين في العلم هم بالضرورة من المؤمنين لأنهم يقولون) : آمنا به كل من عند ربنا) (أم الكتاب والقرآن وتفصيل الكتاب.(فمن هم الراسخون في العلم؟ لقد وضع الكتاب تعريفاً لهم بقوله) :بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم (فالصدر هنا ليس العلم) (العنكبوت 49). هنا نلاحظ التشابه الكبير بقوله)في صدور الذين أوتوا العلم (فالصدر هنا ليس جوف الصدر ولا جوف الرأس "الجمجمة"، وإنما هو كما يقول الشاعر:

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

فالصدر هنا تعني ما نقوله الآن "الصدارة" كأن نقول إن إسحاق نيوتن يحتل مركز الصدارة بني علماء الرياضيات، وإن أينشتاين يحتل مركز الصدارة بين علماء الفيزياء. فالراسخون في العلم هم من الناس الذين يحتلون مكان الصدارة بين العلماء والفلاسفة، وهؤلاء من أمثال "البيروني، الحسن بن الهيثم، بابن رشد، إسحاق نيوتن، أينشتاين، تشارلز داروين، كانت، هيجل."

وهذا أيضاً نفهم قوله تعالى في سورة الناس) :قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس (بأن الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى من الوسواس الخناس الذي يوسوس في الناس الذين يحتلون مكان الصدارة في مجتمعهم أو في العالم بأسره. إن النتيجة المباشرة لما قلنا، هي أن كل التفاسير الموجودة بين أيدينا ليست أكثر من تفاسير تاريخية مرحلية للقرآن، أي لها قيمة تاريخية لأنها نتاج أشخاص عاشوا منذ قرون.

قلنا: إن آيات القرآن والسبع المثاني متشابحات، وإن خاصية التشابه هي الفهم النسبي للحقيقة المطلقة والتي عبر عنها بصيغة ثابتة "النص الثابت .''فما هي الشروط التي يجب اتباعها لكي يتم التأويل الآن أو في المستقبل؟

فالتأويل مشتق من "أول" وهذا الفعل من أفعال الأضداد في اللسان العربي فنقول أول الأمر وهو عكس آخره، هذا المعنى الأول وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى)هو الأول والآخر) (الحديد 2). أما المعنى المضاد أي بمعنى آخر الأمر فنقول: إن السرقة تؤول بصاحبها إلى السجن. هنا جاءت بمعنى تنتهي به. فالتأويل هو ما تنتهى إليه الآية" أي ما تؤول إليه" من قانون عقلى نظري أو حقيقة موضوعية مباشرة .

فلدينا الآيات التي جاءت بصيغة نظرية، وعندما نؤولها نستنتج منها قانوناً ينطبق مع العقل والحقيقة أي علينا أن نفهم القاعدتين التاليتين:

أ - أن الوحي لا يناقض الفعل. (Revelation does not contradict with reason)

ب - أن الوحي لا يناقض الحقيقة. (Revelation does not contradict reality)
ومن هنا ننطلق، إن كل ما أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم هو من عالم الحقيقة ومن عالم المعقولات حيث لا يوجد شيء في الوجود المادي غير قابل لأن يعقل ولكن هناك عجزاً وقصوراً للعقل، وبالتالي لا يوجد آ]ة من آيات الكتاب غير قابلة أن تعقل الآن أو في المستقبل. فبدلاً من أن نكيل الاتمامات للقرآن بأنه غير قابل أن يعقل من الناس، علينا أن نتهم أنفسنا بالقصور عن فهم آياته.

وفي معنى التأويل جاءت الآيات التالية:

-) -وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) (آل عمران 7) أي الراسخون في العلم يعلمون ما هي النظريات والحقائق العلمية التي يمكن استنتاجها من الآية القرآنية، كل حسب اختصاصه وحسب الأرضية المعرفية لعصره. وحيث يمكن استنتاج نظريات علمية جديدة تعتبر قفزات هائلة في المعرفة الإنسانية مثل نظرية النشوء والارتقاء لداروين لأنها تعد نموذجاً حياً ممتازاً للتأويل.
 -) -بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) (يونس 39) هنا لاحظ كيف ألهم استعجلوا بتكذيب القرآن ولم يؤول بعد.
 -) -وقال يا أبتِ هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً) (يوسف 100.(

هذه الآية من سورة يوسف أعطتنا معنيين هامين جداً: المعنى الأول هو معنى التأويل والمعنى الثاني معنى الحق. ففي المعنى الأول: لقد رأى يوسف في المنام ما رآه، ثم تتالت الأحداث حتى وصله أهله إلى مصر وهو وزير، عندها تحول المنام من مجرد رؤيا في وعي يوسف إلى حقيقة موضوعية مادية خارج وعيه. هذا التحول هو التأويل. وفي المعنى الثاني)جعلها ربي حقاً (أي غير صيرورتها من مجرد رؤيا إلى حقيقة ملموسة خارج وعي يوسف، لذا استعمل كلمة "حقاً."

فيصبح معنى الآية: قال يا أبت هذا ما انتهت إليه "آلت" رؤياي التي كانت مجرد أفكار في وعيي إلى حقيقة ملموسة خارج وعيي. وهذا أيضاً ما قاله يوسف لصاحبيه في السجن)قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله) (يوسف 37) التأويل هنا: ما يأتيهم من رؤيا فيها طعام إلا أخبرهم بما تنتهي به "تؤول" إلى حقيقة موضوعية.

وبما أن القرآن بتأويله الكامل الكلي لا يكون إلا يوم القيامة لأن كل آياته تصبح مبصربة، بما فيها آيات الساعة والصور والبعث والحساب والثواب والعقاب. فقد قال) :يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوهُ من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق .. الآية) (الأعراف 53.(

وفي قصة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف نبأه العبد الصالح عما تؤول "ما تنتهي" إليه الأحداث التي قام بها، ولم يستطع موسى الصبر عليها لذا قال له) :سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) (الكهف 78) وبعد الانتهاء من التأويل قال له) :ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً) (الكهف 28. (وفي قوله في سورة الإسراء) :وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خيراً وأحسن تأويلاً (

وفي قوله في سورة الإسراء) :واوقوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خيرا واحسن تاويلا ()الإسراء 35) فهنا جاء التأويل بمعنى النهاية تماماً. أي أن إيفاء الكيل والوزن بالقسطاس سؤولان "سينتهيان" بكم إلى الأحسن.

ضوابط التأويل أو قواعده

-القاعدة الأولى:

-التقيد باللسان العربي على الأسس التالية:

أ- إن اللسان العربي لا يحتوي خاصية الترادف، بل بالعكس اللفظة الواحدة يمكن أن يكون لها أكثر من معنى مثل فعل "أمر."

ب- إن الألفاظ هي حدم المعاني، وأن المعاني هي المالكة سياستها "الجرجاني."

ج- إن الأساس عند العرب هي المعاني، فإذا حصلوها تساهلوا في العبارة عنا "ابن حني."

د- لا يفهم أي نص لغوي إلا على نحو يقتضيه العقل والمطابقة الموضوعية أو العقل فقط "الاستقراء" فيما يتعلق بالأمور التي ما تزال في الغيبيات.

هـــ الأخذ بعين الاعتبار أصالة اللسان العربي من حيث أفعال الأضداد في المعاني مثل فعل "عبد" و "خفي". وأفعال الأضداد في المعاني والأصوات مثل "علق -قلع" "كتب - بتك" "ضاف - فاض" أي ضرورة معرفة فقه اللغة. القاعدة الثانية:

فهم الفرق بين الإنزال والتتزيل حيث أن هذا الفرق يعتبر من أسس نظرية المعرفة الإنسانية، أي العلاقة بين الوجود الموضوعي "التتزيل" والوعي الإنساني لهذا الوجود "الإنزال."

-القاعدة الثالثة:

-الترتيل):ورتل القرآن ترتيلاً) (المزمل 4:(

بما أن مواضيع القرآن متفرقة في السور. فمثلاً موضوع آدم موجود في سورة البقرة والأعراف وطه وسور أحرى. وكذلك قصة نوح موجودة في سورة نوح وهود والأعراف والمؤمنون. وكذلك قصة موسى موجودة في كثير من السور فكيف نفهم هذا الموضوع إذا لم يتم ترتيله؟

والترتيل هنا هو أخذ الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد وترتيلها بعضها وراء بعض. والرتل في اللسان العربي هو الصف على نسق معين. ولا يقصد بالترتيل التلاوة ولا التنغيم، كما ذكرنا.

والله سبحانه وتعالى نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم على أرتال بقوله)وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملةً واحدةً كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً) (الفرقان 32) أي جاء القرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم على أرتال و لم يأته دفعة واحدة. ونحن الآن نستعملها فنقول رتلاً أحادياً أو ثنائياً .ونقول رتل دبابات "انظر مثالاً عن الترتيل في ترتيل قصتي نوح وهود."

وهناك موضوع واحد جاء مرتلاً في القرآن هو قصة يوسف التي جاءت كلها دفعة واحدة في سورة واحدة. إن قاعدة التتريل هي من قواعد البحث العلمي الحديث ومن دولها لا يمكن لأي بحث علمي أن يعطي أي نتائج إيجابية. فإذا أخذنا دراسة حول موضوع معين يتعلق بالمياه الجوفية مثلاً، فأول شيء نفعله هو جمع المقالات المختلفة التي نشرت في هذا الموضوع، حيث أنه في هذا الجمع يتم إخراج موضوع يحتوي على المعلومات الواردة في كل المقالات المختلفة، وكذلك في مواضيع القرآن يجب علينا إجراء عملية الترتيل. فموضوع خلق الكون أو

خلق الإنسان لم يأت في مكان واحد دفعة واحدة كقصة يوسف. فوجب علينا ترتيلها أولاً .

إن قاعدة الترتيل لم تتبع إطلاقاً في التفاسير التاريخية المتوفرة بين أيدينا. وأهم نتيجة نستنتجها من قاعدة الترتيل هي ترجمة الكتاب إلى لغات غير عربية حيث أن الترجمة الحرفية للآيات بالتتالي الموجودة في الكتاب يعتبر ضرباً من ضروب مضيعة الوقت حيث تشوه المعنى. ولكن يمكن ترجمة الكتاب مرتلاً حسب المواضيع الواردة فيه مع شرح هذه المواضيع من قبل أخصائيين وكل موضوع على حدة. فمثلاً يمكن أن نترجم نظرية خلق الكون في القرآن أي نورد آيات الخلق كلها مرتلة ثم نشرح نظرية الخلق. هذه العملية تتطلب جهداً كبيراً جداً من قبل معاهد أبحاث وفريق كبير من العلماء.

إن وظيفة الترتيل تنحصر في فهم القرآن فقط، أما في فهم أم الكتاب فلا حاجة للترتيل، وإنما تلزم المقارنة فقط مثل مقارنة محارم الزواج. فآية المداينة واحدة وآية الوضوء واحدة وكذلك الصوم جاء متتالياً، وآية الإرث وآية المحارم، وآية اجتناب الخمر والميسر وكذلك الوصايا الواردة في سورة الأنعام.

-القاعدة الرابعة:

عدم الوقوع في التعضية لقوله تعالى) :كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى اللَّهُ تَسمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) (الحجر 90- 90)، فالتعضية جاءت من "عضن" وقد شرحها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "لا تعضية لوارث" "الزمخشري فعل عضن."

والتعضية هي قسمة ما لا ينقسم. فإذا ورث ذكران من أبيهما سيفاً وحصاناً وسيارة فالتعضية هي قطع السيف إلى قطعتين وكذلك الحصان والسيارة، وفي هذه الحالة يفقد السيف والحصان والسيارة أية قيمة لها.

والتعضية في القرآن تعني أن الآية القرآنية قد تحمل فكرة متكاملة وحدها أو فقرة من موضوع كامل. وبعد الترتيل مثل آيات آدم وخلق الكون، ونظرية المعرفة الإنسانية فإن جمع كل مواضيعها مع بعضها يخرج الموضوع الكلي كاملاً.

مثال) :الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون) (يس 80.(

-القاعدة الخامسة:

فهم أسرار مواقع النجوم: لقوله تعالى) :فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كيم ()الواقعة 75-76-77 إن القرآن قوانين لأحداث موضوعية. والموضوع الواحد جاء في عدة آيات "أي قسم إلى عدة آيات" فمثلاً)والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل في ذلك قسم لذي حجر ()الفجر 1-2-3-4. لنأخذ الآيات الأربع الأولى: كان من الممكن أن تصاغ كما يلي أي آيتين عوضاً عن الأربع: والفجر وليال عشر * والشفع والوتر والليل إذا يسر (

فإذا أخذنا قاعدة عدم التعضية وهي أن الآية قد تحمل فكرة متكاملة فكانت الفكرة في آية)والفجر (ثم)وليال عشر (فتصبح "والفجر وليال عشر" لذا قال بعد ذلك)هل في ذلك قسم لذي حجر (أي أن ذا التقسيم للآيات مهم جداً لكل ذي حجر.

إن الانتباه لمواقع النجوم في الكتاب كله، وهي الفواصل بين الآيات، لا مواقع النجوم في السماء، هي من مفاتيح تأويل القرآن وفهم آيات الكتاب كله وبالتالي فكل آية من آيات الكتاب كله وبالتالي فكل آية من آيات الكتاب تحمل فكرة متكاملة. فإذا نظرنا إلى آيات الكتاب والفواصل بينها رأينا أموراً عجيبة، ويزول العجب إذا فهمنا مبدأ الفكرة المتكاملة.

مقال) :قال إني أشهد الله وأشهدوا أني بريء مما تشركون) (هود 54) (من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون ()هود 55). لاحظ الفاصلة جاءت بعد قوله تعالى "مما تشركون" وأتت الآية بعدها بقوله "من دونه" أي لاحظ موقع الفصل "التنجيم" بين الآية 54 والآية " 55هود."

وفي حالة المن والسلوى قال عند التتريل في سورة طه) :يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم حانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى) (طه 80) (كلوا من طيبات ما رزقناكم ... الآية) (طه 81. (أما عند الإنزال في نفس موضوع المن والسلوى كما جاء في سورتي الأعراف والبقرة) :وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم) (الأعراف 160). لاحظ هنا عندما قال) :ونزلنا عليكم المن والسلوى (جاءت كيف انتهت الآية "تنجيم" وجاءت الآية)كلوا من طيبات ما رزقناكم) .(وأنزلنا عليهم المن والسلوى (جاءت)كلوا من طيبات ما رزقناكم (غير منجمة متصلة دون انقطاع.

مثال آخر قوله تعالى في سورة المؤمنون:

)وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون) (المؤمنون 18). (فأنشانا لكم به حناتٍ من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) (المؤمون 19). (وشجرةً تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) (المؤمنون 20. (

-الآية 18: أصل الماء الموجود في الأرض هو من السماء "أي من حارج الأرض" نزل على الأرض واستقر فيها)فأسكناه في الأرض(، وكان يمكن "أن يحصل كما حصل في كواكب أخرى أن يوجد فيها الماء" ثم يذهب إلى الجومرة أخرى لذا قال) :وإنا على ذهاب به لقادرون.(

-الآية 19: إن الماء أساس الحياة على الأرض وفي كل مكان وأينما وحدت الحياة فهذا يعني وجود الماء "الرطوبة" فأنشأ بهذا الماء حنات من نخيل وأعناب وما ذكره في هذه الآية هو ما يصلح للطعام الآدمي لذا قال)ومنها تأكلون.(

-الآية 20: معطوفة على الآية 19 ولكنها مفصولة عنها "منجمة" ذكر في هذه الآية شجرة واحدة فقط، وما هي هذه الشجرة لا ندري، ولكننا نقول إنها مهمة جداً لأنها في آية وحدها، ومن المرجح أيضاً أنها لا تصلح للطعام الآدمي لذا قال) :وصبغ للآكلين .. (ولو كانت هذه الشجرة كما يقول بعضهم هي الزيتون لوضعها في الآية 19 الزيتون طعام للآدمي.

هنا نرى أهمية مواقع النجوم وعدم التعضية، لذا قال عن تقسيم القرآن إلى آيات مفصول بعضها عن بعض-وهذا هو عين التنجيم)-فلا أقسم بواقع النجوم \star وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) (الواقعة 75-76). لاحظ مواقع

النجوم في هاتين الآيتين، ففعل "أقسم" في الآية الأولى بمعنى القسم "اليمين". وفي الآية الثانية لفظ "أسم" بمعنى التقسيم. لذا تم الفصل بين الآيتين.

مثال آخر: قوله تعالى) :اقرأ باسم ربك الذي حلق * حلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) (العلق 1-5) هنا نلاحظ أهمية مواقع النجوم لفهم الآيات. كان من الممكن أن يقول: اقرأ باسم ربك الذي حلق الإنسان من علق * وأيضاً: الذي علم الإنسان بالقلم. لنأخذ الآيتين لنرى الفرق في المعنى فيما إذا كانتا آيتين أو أية واحدة. ففي قوله)الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم (يكون القلم هو وسيلة التعليم لكل شيء .. الملائكة والإنسان والحيوان والجاد. أي كل شيء أراد الله أن يعلمه، فوسيلة للتعليم هي القلم. هذا معنى الآية)الذي علم بالقلم . (هنا التعليم مطلق لأي شيء.

ثم تأتي الآية التي بعدها)علم الإنسان ما لم يعلم . (فإذا سألنا: بماذا علم الله الإنسان؟ فنقول: بالقلم، أي عندما قال) :علم آدم الأسماء كلها؟ فالجواب بكل تأكيد: بالقلم. لو جاءت الآيتان بدون تنجيم أي بالشكل: الذي علم الإنسان بالقلم أو: علم الإنسان ما لم يعلم بالقلم. المعنى أن القلم هو وسيلة التعليم للإنسان فقط وأن بقية المخلوقات تتعلم بوسيلة أخرى غير القلم وهذا غير صحيح. لأن الله يقول إن القلم هو وسيلة التعليم المطلقة. فما هو القلم؟؟ !هذا ما سنبحثه في فصل "حدل الانسان."

مثال آخر: قوله تعالى) : حلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون ()الزمر 6). هذه الآية تحمل فكرة متكاملة. فالفكرة هي تاريخ خلق البشر ومراحل تطوره حتى أصبح الشكل الذي نراه عليه الآن. وهذا الموضوع لا يمكن فهمه وإخراج نظرية نشوء الإنسان على الأرض إلا من خلال الترتيل أولاً. ثم فهم كل آية على حدة لأنها تحوي "حلقة كاملة في نظرية الخلق."

فلنأخذ هذه الآية على سبيل المثال لنفهم منها حلقة من حلقات وجود البشر على الأرض. تبدأ الآية) حلقكم من نفس واحدة : (أي أن أساس الخلق أحادي دون قانون الزوجية، فعندما وحدت الحياة على الأرض وحدت حلية واحدة تكاثرت عن طريق الانقسام الذاتي لا عن طريق التلاقح الزوجي. وبعد ذلك تطورت وحيدة الخلية هذه لتصبح كثيرة الخلايا مع اختلافها بالنوع لذا قال) : إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) (الإنسان 2). وقد مرت الحياة حتى نضج فيها البشر بثلاث مراحل من الخلق "التصميم": المرحلة الأولى: المرحلة البحرية. المرحلة الثانية: المرحلة البحرية البرية .

المرحلة الثالثة: المرحلة البرية. ففي ثلاث مراحل يوجد ظلمة: الظلمة البحرية، الظلمة البحرية البرية، الظلمة البرية "الرحم". فحتى وصل الإنسان إلى الشكل الذي نراه عليه الآن مرت الحياة العضوية على الأرض بهذه المراحل الثلاث، فكان الإنسان وليد المرحلة البرية. وفي هذه المرحلة كان التكاثر زوجياً. أي عن طريق اللقاح بين الذكر والأنثى. أي كان الفصل موجوداً بين الذكورة والأنوثة لذا قال) :ثم جعل منها زوجها (والجعل هو التغير في

الصيرورة، و"ثم" هي للتعاقب مع التراخي. لذا فإننا نرى أن الجنين في بطن أمه يمر في هذه المراحل الثلاث. وبما أن الفواصل الفعلية بين هذه المراحل عبر ملايين من السنين قال) : حلقنا من بعد خلق (أي تصميماً من بعد تصميم، ولم يقل خلقاً بعد خلق. والآن يظهر السؤال التالي: متى ظهر البشر حيث ظهر على اسم التطور في المرحلة البرية؟ فيأتي الجواب مباشرة)وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج (لاحظ قوله "وأنزل" ولم يقل "نزل" أي أن البشر ظهر نوعاً مميزاً بين الأنواع مع ظهور الإبل والبقر والغنم والماعز، فتزامن ظهور البشر مع ظهور الأنعام. فإذا أردنا أن نبحث عن بداية ظهور البشر نوعاً مميزاً على سلم التطور والنشوء، فعلينا أن نبحث في مرحلة ظهور الأنعام على نفس السلم، حيث كانت غذاء له حتى وهو في مرحلته الحيوانية.

إنه من الوهم أن نظن) حلقاً من بعد حلق في ظلمات ثلاث . (أن الظلمات الثلاث هي غشاء الخلاص وغشاء الرحم وغشاء البطن، لأن الجنين عندما يكون في بطن أمه تغلفه ثلاثة أغشية وظلمة واحدة. وليس ثلاثة أغشية وثلاث ظلمات، لأن وجود غشاء واحد يؤدي إلى الظلمة، فإذا وجد خارج هذا الغشاء عدد لا متناه من الأغشية فتبقى الظلمة واحدة، فإذا وجد إنسان ما في غرفة محكمة الإغلاق مظلمة تماماً وكانت هذه الغرفة موجودة داخل غرفة أكبر منها أو غير موجودة، فالظلمة واحدة، فالظلمة لا تعد بعدد الأغشية. ثم تنتهي الآية بقوله) :ذلكم الله ربكم له الملك (هنا جاءت النهاية لتقول لنا: إن هذه الآية من آيات الربوبية بقوله) :ذلكم الله ربكم له الملك (همي لإثبات الألوهية للعاقل بقوله) :لا إله إلا هو فأني تصرفون. (

لقد أوردت هذه الأمثلة فقط لشرح المنهج الذي يجب أن يتبع في تأويل القرآن وهو الترتيل والإنزال والتتريل، والتعضية، ومواقع النجوم. أما الآية فإنما قد تحوي فكرة متكاملة في الكتاب كله لآن كل الكتاب آيات.

-القاعدة السادسة:

-قاعدة تقاطع المعلومات (Cross Examination) تقتضي هذه القاعدة انتفاء أي تناقض بين آيات الكتاب كله في التعليمات وفي التشريعات. فمن هذه القاعدة تم فهم الإنزال والتتزيل حيث تم مقارن ومقاطعة المعلومات الواردة في آيات الإنزال والتتزيل، وتم فهم معناهما بحيث انطبق على الآيات كلها، وتم فهم الفرق بينهما. وكذلك إذا أردنا أن نفهم الآية 31 من سورة النور وهي آية الزينة، فعلينا أن نقاطع المعلومات الواردة فيها مع المعلومات الواردة في آيات المحارم في سورة النساء، وعند ذلك نفهم معنى الزينة بشكل ينطبق مع العقل والواقع، وبشكل لا يناقض بعض الآيات بعضها الآخر.

بعد أن شرحنا قواعد التأويل، نتساءل كيف يمكن أن نطبقها بشكل عملي ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين الميلادي وفي بداية القرن الخامس عشر الهجري؟

نطبق هذه القواعد طبقاً للمنهج التالي:

- 1علينا أن نعتبر أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي حديثاً، وجاءنا الكتاب بالترتيب الذي هو عليه الآن، حيث أن ترتيب الآيات في الكتاب توقيفي. وأن القرآن جاء لنا ولمن بعدنا. هذا إن كنا نعتقد حقيقة لا تشدقاً ونفاقاً أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، وأن القرآن حوى الحقيقة المطلقة والفهم النسبي بآن واحد، ونعتقد أن الرسالة

- صالحة لكل زمان ومكان لسبب آخر غير التشابه.
- 2نستنتج نظرية في المعرفة الإنسانية مباشرة وتصاغ. وصياغة هذه النظرية يعتبر من أهم الأمور إلحاحاً بالنسبة للعرب والمسلمين. وصياغة هذه النظرية هي من احتصاص الفلاسفة.
- 3 فهم الآيات القرآنية المراد تأويلها من قبل العلماء، وكل حسب اختصاصه بحيث تصبح ضمن المعقولات أولاً، حيث أن القرآن كله قابل لأن يدخل ضمن المعقولات)إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) (الزخرف 3.(
- 4مطابقة ما توصل إليه العلم الموضوعي من انجازات علمية، وكل حسب اختصاصه، وهذا ما نسميه المدرك من عالم المحسوسات مع الفهم العقلاني للآيات المراد تأويلها، أي مطابقة المحسوس بالمعقول مطابقة كاملة مثل كروية الأرض ودورانها وحركة الموجودات وقوانين الجدل. وفي حال المطابقة الجزئية، مثل آيات خلق البشر، فقد تم تأويلها في هيكلها العام من قبل العالم الكبير تشارلز داروين. لكن هذه النظرية غير كاملة لاشتمالها على حلقة مفقودة. ففي هذه الحالة يتم التأويل بتصحيح النظرية إن كان فيها أحطاء وإتمامها إن كان فيها نواقص.
- 5بالنسبة للآيات ذات المواضيع التي لم تدخل حيز العلم الحسي نهائياً، يمكن تأويلها بوضع نظرية تبقى في عالم المعقول مرحلياً، بحيث تنتقل مع الزمن إلى عالم المحسوس. مثال على ذلك قوله تعالى) :ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) (الفرقان 45). (ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) (الفرقان 46).

إذا أردنا أن نعقل هذه الآيات نستنتج منها النظرية التالية:

أ - أن الظل له وجود قائم في ذاته ولا علاقة للنور بإيجاده.

ب - أن نور الشمس هو الذي دلنا على الظل، أي أن النور لا يتسبب في إيجاد الظل وإنما يدل عليه دلالة لأن الظل له وجود دون نور.

إنني أعتقد-وأنا لست من علماء الفيزياء- أن علوم الفيزياء حتى يومنا هذا تعتقد أن الظل هو المعلول وأن النور علته، في حين يقول القرآن إن للظل وجوداً ذاتياً منفصل عن النور، ثم جاء النور بعد ذلك ليدلنا عليه فقط. هذه نظرية في الفيزياء، ولا أدري هل علوم الفيزياء الحديثة تقر هذا أو لا تقره؟! فإن كانت لا تقه فيمكن أن يأتي يوم تنقلب فيه بعض الموازين في علم الفيزياء أو كلها، والله أعلم.

- 6 تؤول آيات الساعة والصور والبعث واليوم الآخر والجنة والنار بحيث تدخل ضمن عالم المعقولات ويتم تأويلها ضمن نظرية كونية شاملة بحيث تدخل كلها ضمن المعقولات، فبداية الكون يمكن أن تدخل ضمن المعقولات والمحسوسات معاً، أما نهايته فتدخل ضمن نظرية شاملة مع بدايته ضمن المعقولات بحيث تدخل حين قيام هذه الأحداث ضمن المحسوسات. فالتأويل الحسي للساعة هو حدوثها فعلاً .ولكن يمكن أن تؤول تأويلاً عقلياً قبل حدوثها. وعندما تدخل هذه المصطلحات ضمن المحسوسات تتحقق الآية) :يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل بنا بالحق) (الأعراف 53.(
 - 7علينا أن لا ننسى أن التأويلات التي نؤولها في عهدنا قابلة للتطور أو النقض على مر السنين لأن تأويلات

عصرنا تقوم على أساس نسبية معرفتنا للحقيقة. وهذا هو أهم بند علينا أن لا ننساه وعلينا أن نؤكد عليه للأجيال القادمة لكي لا تتحجر ولا تتزمت، ولكي تكون روح المنهج العلمي في البحث عن الحقيقة هي المهيمنة على أجيالنا المقبلة.

- 8علينا أن نسحب القرآن - قبل أن يفوت الأوان - من أيدي السادة الوعاظ المعروفين بالعلماء الأفاضل، أو رحال الدين حيث يجب أن يكون موقف هؤلاء "العلماء الأفاضل" من القرآن هو كموقف العامة تماماً: التسليم، لأن معلوماتم بالنسبة للقرآن لا تزيد عن معلومات العامة بتاتاً. وإن كان لهؤلاء الناس دور فدورهم وعظى بحت.

- 5 نموذج من التأويل-تأويل سورة القدر

في ضوء ما تقدم سنطرح تأويلاً لسورة القدر:

بسم الله الرحمن الرحيم

)إن أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر *ليلة القدر خير من ألف شهر * تترل الملائكة والروح فيها بإذن ربمم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر.(

لقد قلنا: إن الإنزال هو دخول الشيء في عالم المدركات، وهذا إما أن يكون له وجود مسبق غير مدرك فتغير في صيرورته فأصبح مدركاً، وفي هذه الحالة ينطبق عليه فعل الإنزال والجعل معاً، وهذا ما حصل للقرآن دفعة واحدة في ليلة القدر. حيث غير في صيرورته بشكل أصبح قابلاً للإدراك، وفي هذا نقول :إن الإنزال والجعل تلازما في القرآن حيث أن القرآن مخزن في لوح محفوظ وإمام مبين. وهذه الصيغة القابلة للإدراك الإنساني هي الصيغة اللسانية العربية حيث أنها في لفظها الصوتي هي الذكر وفي محتواها المعرفي هي القرآن ولذا قال عن الذكر إنه "محدد،"

الآن لماذا أطلق على الإنزال والجعل قوله)في ليلة القدر (ويفهم منها ألها تحمل طابعاً زمنياً معيناً؟ لنأخذ أولاً مفهوم "القدر "حيث جاءت في اللسان العربي من "قدر" وهي تدل على مبلغ الشيء وكنهه ولهايته، يقال "قدره كذا" أي لهايته "ابن فارس م5 ص62". وبما أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء، والقرآن هو خاتم النبوات، وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصل اللسان العربي إلى مرحلة اللسان العربي المبين فوصل إنزال القرآن إلى مبلغه وغايته.

ثم لنأخذ الآن مفهوم "ليلة" فهل هي الليل؟ فإذا كانت ليلة القدر تعني الليل، فالسؤال في أي ليل هو؟ هل هو ليل مكة أم ليل لوس أنحلوس وكلاهما على الكرة الأرضية؟ حيث يوجد في الكرة الأرضية بشكل مستمر ليل ونهار معاً وعلى هذا لا يستقيم المعنى. إما إذا فهمنا الليل على أنه الظلام كقوله تعالى) :الحمد لله الذي حلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) (الأنعام 1) وقوله) :والفجر * وليال عشر (فهذا يعني أن اللوح المحفوظ والإمام المبين لا يخضعان لمفهوم الليل والنهار ولكن بما أن الظلام في الوجود سبق النور حيث أنه بعد الانفجار الكوني

الأول مرت المادة بعدة مراحل للتطور حتى أصبحت شفافة للضوء وظهر النور .

هذا الإنزال حصل في وقت يقابله عندنا في الأرض شهر رمضان ولكن رمضان من أية سنة؟ لا ندري. لذا عندما شرحها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان صح "العشر الأخير من رمضان" حددها ضمن برهة زمنية و لم يحددها في ليلة بعينها، وهذا كلام دقيق من الناحية العلمية ينطبق على كل الكرة الأرضية .فليلة القدر هي مصطلح يعني صدور أمر رب العالمين بإشهار القرآن بلسان عربي مبين، أي تم إنزال القرآن وجعله عربياً، ففي هذا انتقل إلى صيغة قابلة للإدراك الإنساني، أي أنه لم يعد سراً بل تم اشهاره .

لذا قال) :ليلة القدر حير من ألف شهر (وهنا الشهر لا تعني الشهر الزمني كأن نقول ألف شهر 83 سنة وثلث، أما إذا فهمناها على ألها من الشهرة والإشهار فيتطابق المعنى مع مفهوم الإنزال والجعل وهنا كلمة ألف: إما أن تعني أن اشهار القرآن حير من ألف إشهار آخر حيث قال في سورة الدحان إنه في ليلة القدر تصدر أوامر كثيرة وليس فقط أمر إشهار القرآن وذلك في قوله)إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا مندرين) (الدحان 3. () فيها يفرق كل أمر حكيم) (الدحان 4) . (أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين) (الدحان 5) هنا نلاحظ تسلسل الآيات الثلاث: الإنزال للقرآن وهو النبوة وقد أكد بشكل قاطع أنه في ليلة القدر صدر أمر رب العالمين بالإشهار بقوله)أمراً من عندنا (وبما أن الرسالة بحاجة لنبوة، فقد صدر أمر النبوة من أحل الرسالة. وقد أكد أنه في ليلة القدر تصدر أوامر أحرى كثيرة بقوله) :فيها يفرق كل أمر حكيم (وهكذا تفهم "ألف شهر" أي أمر إشهار القرآن خير من ألف أمر آخر صدر في ليلة القدر أو نفهم ألف شهر؟ "ألف" تعني تأليف الأشياء بعضها مع بعض فإن أمر إشهار القرآن خير منها جميعاً، وأنا أميل إلى هذا المعنى .

وبما أنه صدرت وتصدر أوامر أخرى القرآن خير منها جميعاً، وأنا أميل إلى هذا المعنى. وبما أنه صدرت وتصدر أوامر أخرى القرآن خير منها جميعاً، وأنا أميل إلى هذا المعنى. وبما أنه صدرت وتصدر أوامر أخرى في ليلة القدر قال): تترل الملائكة والروح فيها بإذن ربحم من كل أمر (قارن هذا القول مع قوله)فيها يفرق كل أمر حكيم . (أما فيما يتعلق بالأوامر الأخرى فاستعمل مصطلح التتريل لا الإنزال . فالإنزال جاء للقرآن وقد حصل مرة واحدة. أما التتريل فلم ينته حتى يومنا، وبما أن التتريل نقلة موضوعية خارج المدركات الإنسانية، فالأوامر الحكيمة التي تصدر تنفذ دون أن يعلم الناس بما ودون أن تشهر، أي لا يحصل فيها إنزال كأن يبلغ الله سبحانه وتعالى زيداً من الناس أنه صدر بحقه أمر كذا وكذا .

فوضع الله سبحانه وتعالى ليلة القدر "إشهار القرآن" بمثابة موسم لإصدار بالأوامر كالعفو. الخ. لذا يتوجه الناس بالعبادة والتضرع إلى الله في هذه الليلة. وهذه الحالة موجودة عند الناس الآن، ولله المثل الأعلى، كأن نقول يصدر الرئيس مراسيم بالعفو عن المجرمين بمناسبة يوم الدستور أو العيد الوطني للدولة. ولكن هذه الأوامر تصدر عن رب العالمين كما قلنا بدون إشهار "إنزال" بل تتريل فقط لذا قال) :تترل الملائكة والروح فيها بإذن ربمم من كل أمرٍ .(

أما القول القائل: إنه في ليلة القدر تحصل ظواهر غير طبيعية فيما يتعلق بشروق الشمس أو الأشجار أو مشاهدة

ظواهر غريبة فهذا وهم كالخرافة الشائعة التي تقول إن فلاناً شاهد ليلة القدر، أي علينا أن نعلم أ، كل الأوامر الصادرة في ليلة القدر بحق أي إنسان هي أوامر غير قابلة للإشهار ولا يتبلغها أحد. ولكن كل ما نعلمه أن ليلة القدر هي موسم من رب العالمين.

والآن نطرح السؤال التالي: هل ليلة القدر حصلت مرة واحدة وهي عندما أشهر القرآن وجعل عربياً، أم أن هذا الموسم مستمر يتجدد كل سنة في شهر رمضان؟ هذا ما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى بقوله) :سلام هي حتى مطلع الفجر .(أي أن هذا الموسم موسم إشهار القرآن سلمه الله لنا وهو سالم يتجدد كل عام ما دام هذا الكون قائماً وسينتهي هذا الموسم بالنفخة الأولى في الصور وقيام الساعة حيث يحصل الانفجار الكوني الثاني ليتشكل على أنقاضه كون جديد فيه البعث والحساب والجنة والنار ولذا قال) :حتى مطلع الفجر .(أما فهم)حتى مطلع الفجر .(على أنه فجر الشمس "الصبح" فهو فهم ساذج، والله أعلم.

- 6استنتاجات في الإعجاز القرآني

ما هي الاستنتاجات التي يمكن أن نستنتجها من مبحث الإعجاز؟

إن الاستنتاج الأساسي الذي يمكن أن نستنتجه من مبحث إعجاز القرآن هو الجواب على السؤال التالي: هل القرآن الكريم يدخل ضمن التراث العربي الإسلامي أم لا يدخل؟ للجواب على هذا السؤال يترتب علينا تعريف التراث.

التراث: لقد تم تعريف التراث في مقدمة الكتاب على أنه النتاج المادي والفكري الذي ورثته مجموعة من الناس عن سلفها بحيث أن هذا النتاج لعب دوراً أساسياً في تكوين شخصية هذه المجموعة وهويتها أي في تكوين عقلها الباطن وسلوكها الظاهر. وهذا الفهم للتراث يعني أن الجزء الأساسي من السلف الذي كون هذا النتاج هو في عداد الأموات.

من هذا المنطلق ننظر إلى القرآن، فالذي أنزل القرآن هو الله، والله سبحانه وتعالى مطلق حي باق والناس نسبيون ميتون. لذا فالقرآن ليس تراثاً وقد صيغ القرآن بصيغة متشابهة لهذا السبب بحيث حوى الحقيقة المطلقة من الله والفهم النسبي لهذه الحقيقة من قبل الناس بآن واحد.

وبما أن القرآن ليس تراثاً وجب علينا أن نفهم أن صياغته متشابهة وأنه جاء من حي إلى أحياء. فالله حي والعرب في القرن السابع الميلادي أحياء فتفاعلوا معه حسب أرضيتهم المعرفية، ونحن الآن في القرن الخامس عشر الهجري أحياء والله حي. فما علينا إلا أن نتفاعل معه طبقاً لأرضيتنا لمعرفية، ففي هذه الحالة فقط لا يكون القرآن تراثاً لأننا نفهمه على أساس أنه تترل علينا.

فإذا كان القرآن ليس تراثاً فما هو التراث العربي الإسلامي؟ الجواب :التراث العربي الإسلامي هو تفاعل الناس مع

القرآن ابتداء من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وصدر الإسلام مروراً بكل أنواع التفاسير على مر القرون. هذا النتاج الفكري والحضاري الهائل الناتج من هذا التفاعل هو التراث العربي الإسلامي. فإذا تفاعلنا نحن في القرن الخامس عشر الهجري حتى يصبح تفاعلنا تراثاً بالنسبة للناس بعدنا.

هكذا فقط يمكن التعامل مع القرآن إذا أردنا أن ننظر إليه على أنه كتاب حي صادر عن حي إلى أحياء أي من شاهد إلى شاهد إلى شاهد. وخاصية التشابه تسمح لنا بذلك.

فماذا قدم السادة العلماء للناس؟ لقد تصدر العلماء المجالس والإذاعة والتلفزيون على ألهم علماء المسلمين وجلهم ناقل وليس بمجتهد أي ألهم قدموا لنا ماذا فهم السلف من القرآن على أنه تفسير للقرآن. والواقع ألهم بذلك لم يقدموا ما يؤكد أن القرآن صالح لكل زمان ومكان بل قدموا تفاعل هؤلاء الناس مع القرآن وبالتالي قدموا الأرضية المعرفية التاريخية لهؤلاء الناس إلينا ونحن في القرن العشرين، أي قدموا لنا تراثاً إسلامياً ميتاً. وكل الشواهد التي نراها في القرن العشرين هي أن الإسلام دين خارج الحياة حاء للناس جميعاً وهو عبء عليهم. والمشكلة ألهم نقلوه عن أموات وأهملوا أن صاحبه حي باق. وبعض رحال الدين شاؤوا أم أبوا، بموت النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة هو الاحتمال وسلم، والصحابة حولوا القرآن تراثاً و لم يعلموا أن كل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة هو الاحتمال الأول لتفاعل القرآن مع العرب في القرن السابع الميلادي)الثمرة الأولى .(

وبذلك أصبح الإسلام دين نقل ومات العقل والنظرة النقدية إلى النصوص، وعند مشايخنا فهم القرآن هو عن .. عن، وقال مجاهد وعكرمة وابن عباس وابن كثير والزمخشري، علماً بأن أقوال هؤلاء ليس لها قيمة علمية كبيرة بالنسبة لنا ولكن لها قيمة تراثية أكاديمية بحتة. والقيمة الحقيقية هي للنص القرآني الحي المتشابه. وهكذا يمكن لنا أن نقدم التبرير العلمي لإصرار النبي صلى الله عليه وسلم على تدوين الوحي وبنفس الوقت إصراره على عدم تدوين أقواله الشخصية لأن الله هو الحي المطلق ومحمد صلى الله عليه وسلم نبي ولكنه إنسان. هكذا فقط، يمكن أن نقول بكل جرأة علمية: إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان.

الفصل الخامس شجرة الذكر

الآن بعد أن عرفنا الكتاب والقرآن والسبع المثاني والذكر والفرقان والصراط المستقيم لنعط التعاريف الكاملة لكل منها:

- 1 الكتاب: هو مجموعة المواضيع التي جاءت إلى محمد صلى الله عليه وسلم وحياً، وهو مجموع الآيات الموجودة بين دفتي المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس وفيه النبوة والرسالة وهو الرسالة فقط بالنسبة لموسى وعيسى.

الكتاب = الرسالة + النبوة.

- 2أم الكتاب: هي مجموعة الآيات التي تشكل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وفيها العبادات والحدود والتعليمات والفرقان "الصراط المستقيم والحكمة "وهي الكتاب المحكم)منه آيات محكمات هن أم الكتاب (وهي التي أوحيت من الله مباشرة وليس لها وجود مسبق قبل الإنزال والتنزيل ولا يوجد فيها جعل.
 - 3النبوة: وفيها القرآن والسبع المثاني وتفصيل الكتاب: والنبوة تقسم حسب الآيات التالية:
 - أ الآيات المتشابمات: وهي القرآن والسبع المثاني.
 - ب آیات لا محکمات و لا متشابهات: تفصیل الکتاب.
 - أ- الآيات المتشابحات:
- 1 القرآن "الحديث": وهي مجموعة القوانين المخزنة في اللوح المحفوظ والإمام المبين وهي القوانين العامة الناظمة للوجود المتحكمة فيه من بداية الخلق إلى نهاية الثواب والعقاب في الجنة والنار "اللوح المحفوظ "والقوانين الجزئية لتصرف ظواهر الطبيعة وأحداث الإنسان بعد وقوعها "إمام مبين" وهي التي لها وجود مسبق قبل إنزالها وتتريلها وهي التي جعلت عربية، والتشابه فيها حركة المحتوى مع ثبات النص، ويفهم فهماً نسبياً حسب الأرضية المعرفية للعصر.
 - 2 السبع المثاني "أحسن الحديث": وهي سبع آيات فواتح للسور "متشابه مثان ''مثل "ألم" وأربعة عشر حرفاً "صوتاً" وهي متشابحة وتفهم فهماً نسبياً حسب تطور المعارف للعصر وهي أحسن الحديث. ب- آيات لا محكمات ولا متشابحات: وهي الآيات التي تشرح محتويات الكتاب من قرآن وأم الكتاب والفرقان:

- -الكتاب = آيات محكمات + آيات متشابهات + آيات لا محكمات و لا متشابهات.
 - =أم الكتاب + القرآن + السبع المثاني + تفصيل الكتاب.
 - =أم الكتاب + "الحديث + أحسن الحديث" + تفصيل الكتاب.
- -الذكر: هو الصيغة اللغوية الإنسانية للكتاب كله والذي جاء بلسان عربي مبين وهو الصيغة التعبدية بغض النظر عن فهم المضمون وهو الذي تكفل الله بحفظه وهو محدث كله.
- -الفرقان: وهو الوصايا العشر التي جاءت إلى موسى وعيسى ومحمد وهي الآيات (153-151)من سورة الأنعام وهو جزء من أم الكتاب وهو الأخلاق المشتركة بين الديانات السماوية وجاء إلى موسى منسوخاً على الألواح مفروقاً عن الكتاب:

لنأخذ الآن الآيات الخمس الأولى من سورة الزخرف:

- -الآية الأولى) :حم (من السبع المثاني.
- -الآية الثانية) :والكتاب المبين (القصص.
- -الآية الثالثة) :إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون (القرآن.

ونشير هنا بين معترضتين إلى أن هذه الهاء في "جعلناه" ليست عائدة على الكتاب المبين في الآية السابقة بل هي عين القرآن العربي) :إنا أنزلناه في ليلة القدر .(لاحظ أنها جاءت بعد الفاصل.

- -الآية الرابعة) : وإنه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم (القرآن في أم الكتاب عند الله على حكيم.
- -الآية الخامسة) :أفنضرب عنكم الذكر صفحاً إن كنتم قوماً مسرفين (الذكر هو الصيغة اللغوية العربية التعبدية للكتاب.

لاحظ هذه الآيات الخمس كيف شملت مركبات الكتاب.

لناخذ الآن الآية الرابعة التي تقول) :وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم (حيث وصف القرآن بأنه علي حكيم: وأن ":علي حكيم" جاءت في مكان واحد آخر في الكتاب كله وذلك في قوله تعالى) :وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجابٍ أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم) (الشورى 51.

يتحدث هنا عن كيفية الوحي لكلام الله بقوله)يكلمه الله (ولا تشمل هذه الآية الرسالة لقوله) :قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) (الأعراف 144). وهنا "على حكيم" تعود على الموحى به وهو القرآن. وإذا سأل سائل: وكيف تم وحي الرسالة وبقية أجزاء الكتاب؟ هل بنفس الطريقة أو بطريقة أخرى؟ فتجيبه الآية التي تليها)وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً لهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم) (الشورى 52) أي بنفس

الطريقة للوحي التي ذكرت في الآية 50 أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة والنبوة، الرسالة في "روح من أمرنا". و"الكتاب" الرسالة والنبوة معاً.

أمثلة على آيات الذكر.

أ- آيات أم الكتاب "الرسالة:"

آية المداينة "البقرة 282" آيات المحارم "النساء 22-23 آية منع تعدد الزوجات "النساء 3" آية الزينة "النور "3" آيات الإرث "النساء 11-12-176."

ب- آيات القرآن:

آية البرهان على البعث بقانون التطور "الحج 5" آية قانون جدل هلاك شكل الشيء باستمرار في الطبيعة "الأنعام 95" شرح التطور "الأنعام 99". آية الأزواج "الذاريات 49" آية بداية الحلق "الفجر 1-4" آيات الله" الصور، الساعة، البعث، وصف الجنة والنار والحساب، أسماء الله الحسنى "آيات جدل الطبيعة" "آيات الله" والتي تبدأ بقوله "ومن آياته" "سورة يوسف" وكل القصص القرآني.

ج- آيات السبع المثاني:

الم . المص. الر. المر.

د- آیات تفصل الکتاب:

"الزخرف 2-5" "آل عمران 7" "يوسف 2-3" "يونس 37" "الرعد 37-39" "الإسراء 85."

الباب الثاني: جدل الكون والانسان

تمهيد

أصل الجدل في اللسان العربي من "جدل" وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد، الخصومة ومراجعة الكلام "ابن فارس" -مقاييس اللغة - والاسترسال من "رسل" وتعي الانبعاث والامتداد، جاء القوم أرسالاً أي يتبع بعضهم بعضاً.

ويقوم الجدل على الثنائية. والثنائية على أنواع:

- 1 ثنائية تلازمية في الشيء المادي الواحد. تؤدي إلى جدل داخلي يقوم على صراع تناقضي في اتجاه واحد بين عنصرين مكونين لكل شيء مادي. وهذا هو جدل هلاك شكل الشيء باستمرار.
- 2 ثنائية تقابلية بين شيئين ماديين يتواجدان معاً في علاقة ما. تؤدي إلى جدل خارجي بينهما يقوم على صراع غير تناقضي في اتجاهين أي على تأثير وتأثر متبادل بين هذين الشيئين يفضي إلى تلاؤمهما. وهذا هو جدل تلاؤم الزوجين.
- 3 ثنائية تعاقبية بين ظاهرتين لا تلتقيان أبداً، إذ ينفي وجود الواحد وجود الأخرى بالضرورة. تؤدي إلى جدل الأضداد في ظواهر الطبيعة غير الحية بنتيجة الحركة الميكانيكية للجمادات "مثال ذلك تعاقب الليل والنهار". كما تؤدي إلى جدل الأضداد في عالم الأحياء بنتيجة الحركة العضوية للكائنات الحية "ومثال ذلك تعاقب بسط اليد وقبضها وتعاقب الشهيق والزفير في التنفس". ويقوم جدل الأضداد على صراع تناقضي على التعاقب. وهذا هو جدل تعاقب الضدين.
- 4ثنائية تلازمية بين نقيضين غير ماديين يتواجدان معاً في الدماغ الإنساني الذي يقوم على صراع بينهما في اتجاهين. وقد ينتهي جدل النقيضين في الدماغ بإصدار حكم في كل صراع على حدة يؤيد أحدهما ويلغي الآخر. ويكون الحكم صادقاً أي حقيقياً إذا كان مطابقاً للواقع المادي الموضوعي خارج الذات الإنسانية، ويكون الحكم كاذباً أي وهمياً إذا كان غير مطابق للواقع الموضوعي. ويتجلى بهذا جدل الفكر الإنساني، وقد لا ينتهي جدل النقيضين في الدماغ عن طريق إصدار حكم، فيتم حينئذ تغليب عاطفي "غير عقلي" لأحدها على الآخر "ويظهر ذلك مثلاً في التغلب العاطفي للحب على الكراهية أو بالعكس". ويتجلى بهذا جدل النفس الإنسانية .

وسنبدأ بالحديث عن الجدل المادي الداخلي "جدل هلاك شكل الشيء باستمرار"، ثم عن الجدل المادي الخارجي "جدل تلاؤم الزوجين". وننتقل بعد ذلك إلى عرض رأينا في الصور والحساب والجنة والنار. وفي

الحتام نتطرق إلى جدل النقيضين في الدماغ الإنساني الذي ينطلق يتجلى في صيغتين: جدل الفكر الإنساني وجدل النفس الإنسانية.

الفصل الأول قوانين جدل الكون

أولاً: الثنائية التلازمية "الجدل الداخلي في الشيء الواحد" "جدل هلاك الشيء"

إن صراع العنصرين المتناقضين داخلياً، الموجودين في كل شيء يؤدي إلى تغير شكل كل شيء باستمرار، ويتجلى في هلاك شكل ذلك الشيء وظهور شكل آخر .وفي هذا الصراع يكمن السر في التطور والتغير المستمرين في هذا الكون ما دام قائماً. هذا هو ما يسمى بالحركة الجدلية الداخلية التي أطلق عليها في بعض الترجمات مصطلح النفي ونفي النفي. وقد أطلق عليها القرآن مصطلح التسبيح) :وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) (الإسراء 44.

وقوله) :سبح لله ما في السموات وما في الأرض) (الحشر 1- الصف 1) وقوله) :يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) .(الجمعة 1-التغابن 1.(

والتسبيح جاءت من "سبح" وهو الحركة المستمرة "كالعوم في الماء" كقوله عن حركة كل شيء) :كل في فلك يسبحون) (الأنبياء 33). هذا الصراع يؤدي إلى التغير في الأشياء، وينتج عنه مقولة أن "الموت حق" والله حي باق. وهكذا نفهم معنى الآية) :ولا تدع مع الله إلها أخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) (القصص 88) وسيبقى هذا القانون سائداً حتى يهلك هذا الكون المادي "عند النفخة الأولى في الصور = الساعة" لينشأ على أنقاضه كون آخر جديد مؤلف من مادة ذات خصائص جديدة "عند النفخة الثانية في الصور التي تؤدي إلى البعث . "وفي ضوء ذلك تتضح مقولة "البعث حق. "

وقولنا)سبحان الله (في صلاتنا هو إقرار العاقل بهذا القانون، حيث ورد التسبيح في القرآن في حالتين: حالة تسبيح الوجود، وحالة تسبيح العاقل" أي حالة الإقرار العاقل بقانون التطور" وقد وردت الحالتان في القصص عن يونس)وإن يونس لمن المرسلين * إذ أبق إلى الفلك المشحون * فساهم فكان من المدحضين * فالتقمه الحوت وهو مليم * فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) (الصافات 139-144) هنا وضح بأن قانون تسبيح الوجود عام ينطبق على يونس والحوت كانطباقه على بقية الأشياء. ولو لم ينطبق عليه هذا القانون لانتفت ظاهرة الموت بالنسبة له وبقي إلى يوم يبعثون. وفي تسبيح العاقل عن يونس قال) :وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) (الأنبياء 87.

وفي كل آيات الكتاب وردت "سبحانك" بهذا المفهوم أي عندما يقارن الله مع غيره من الأشياء كقوله) :قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه) (يونس 68) (ويجعلون لله البنات سبحانه) (النحل 57) .(سبحانه وتعالى عما يصفون) .(الأنعام 100) .(ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) (مريم 35) (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً) (الإسراء 43) .(لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) (الزمر 4.(

أما القول بأن "سبحان الله" هو تتريه الله من النقائص والعيوب فهو قول قد مضى زمانه، إ أن النقائص والعيوب تحمل مفهوم النسبية حيث تتغير هذه المفاهيم من مكان لآخر ومن زمن لآخر. إن التسبيح الحقيقي للأشياء كلها في وجودها منذ خلق الله هذا الكون المادي وهو متره عن هذه الحركة في ذاته لأنه واحد "أحد صمد" "ليس كمثله شيء" حيث أن هذه الحركة تؤدي إلى هلاك الأشياء "الموت."

لقد عبر القرآن بشكل مباشر عن قانون صراع المتناقضات الداخلي في قوله) :إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون) (الأنعام 95.(

وفعل "فلق" في اللسان العربي أصل صحيح يدل على فردة وبينونة في الشيء، وعلى تعظيم شيء، والفلق هو الخلق كله كأنه شيء فلق عنه شيء آخر حتى أبرز وأظهر. وفي الآية جاءت "فالق" بمعنى شيء أبرز وأظهر منه شيء آخر.

"ومعنى الفلق قريب من معنى الخلق لألهما يشتركان في حرفين ويتميزان بحرف واحد". و"الحب" جاءت في اللسان العربي من "حبب" وله ثلاثة أصول صحيحة أدها للزوم والثبات، والثاني الحبة في الشيء ذي الحب، والثالث وسف. وهنا المعنى هو الثاني كحبة الشعير والقمح. أما فعل "خرج" فلها في اللسان العربي أصلان: الأول النفاذ عن الشيء والثاني اختلاف لونين، الإخراج كأن ينفذ شيء عن شيء آخر وهنا استعمل الشيء والشيء الآخر وهما الحي والميت.

إن هذه العملية تتكرر كل يوم آلاف المرات. فإذا أخذنا حبة القمح ووضعناها في التربة المناسبة لها فإلها تجتاز تحولاً فتنتش وتكف الحبة في ذاتها عن الوجود فينتفي وجودها أي قملك، وتظهر في مكافها النبتة التي نشأت عنها، ثم تستمر العملية الحياتية من نمو ونضوج كي تنتج من جديد حبوب القمح. وبمجرد نضوج الحبوب الجديدة تموت النبتة أي قملك بدورها .. وهكذا نحصل من جديد على حبة القمح الأصلية ولكن نحل عليها أضعافاً مضاعفة. فإذا سأل سائل إننا نأخذ حب القمح ونصنع منه خبزاً وبذلك لا يعمل قانون صراع المتناقضات الداخلي .. أقول: هذا صحيح، إننا نناقش هذا القانون من دون تدخل الإنسان .

وقد استثنت الآية الكريمة قضاء الإنسان أي تدخله حين وضع إخراج الحي من الميت في صيغة فعل مضارع)يخرج الحي من الميت (ووضع إخراج الميت من الحي في صيغة اسم فاعل حيث قال) :ومخرج الميت من الحي (وهنا استثنى قضاء الإنسان حيث أن إخراج الحي من الميت هو قانون موضوعي "من الله"، أما اخراج الميت من الحي فالله أخرج الميت إخراجاً، وهنا أعطى مجالاً لتدخل الإنسان، فالإنسان يتدخل بأن يهلك حبة القمح بالطحن أو لا يهلكها، ولولا أن الله أخرج الموت إخراجاً لما كان هناك قضاء "تدخل "إنساني في القتل. ولو أنه قال "ويخرج الميت من الحي" وقتل إنسان إنساناً آخر لقلنا: إن الله قتله ولسقطت نظرية العقوبات كاملة. فنقول الله يحيى ويميت، ولا نقول يحيى ويقتل.

والإنسان يقضي "يتدخل" بالقتل أو لا يقضي، ولولا الموت لما كان هناك قتل .ولم يذكر الكتاب القتل من قبل الله تعالى إلا مرة واحدة حين مد يد المساعدة المادية المباشرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فيقوله)فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ... الآية) (الأنفال .(17أما في البعث فقال)يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتما وكذلك تخرجون) (الروم 19). وذلك لتبيان أن قضاء الإنسان "أي تدخله" سقط نمائياً في البعث واليوم الآخر. أما استعماله) :يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي . (في سورة يونس وآل عمران فهو خاص بجدل الأضداد في الظواهر وهي ظواهر متكافئة، أي لا تعمل باتجاه واحد. وسنفصل القول في ذلك فيما بعد .

أما قانون صراع المتناقضات الداخلي فيعمل في اتجاه واجد وهو من قوانين القدر "أي القوانين الموضوعية" لذا ختم الآية بقوله)ذلكم الله فأنى يؤفكون . (والافك هو الارتداد أي أنه لا يستطيع أي إنسان رد هذا القانون، إن الإنسان يتدخل في إسراع أو إبطاء عمل هذا القانون ولكنه لا يلغيه، فالطب والعناية الصحية يطيلان الأعمار ولا يلغيان الموت، والقتل يقصر الأعمار لذا قال عن النبي صلى الله عليه وسلم)وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . . الآية) (آل عمران 144). فالموت حق ولكن الأعمار تطول وتقصر وسنتوسع في شرح ذلك أدناه.

لقد عبر القرآن عن قانون صراع المتناقضات الداخلي في الشيء نفسه بصيغة) :مخلق وغير مخلق (و)صنوان وغير صنوان (و)متشابه وغير متشابه (و)معروشات وغير معروشات (في الآيات التالية:

) -يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بميج) (الحج 5.(

جاءت هذه الآية لتثبت للناس البعث وتترع الشكوك بشأن بلوغه الحتمي فبدأت بقوله) :يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث (فإذا قال قائل: "أنا في ريب من البعث" فما علينا إلا أن نورد له بقية الآية . ولكن ما علاقة بقية الآية بالبعث؟ إذا نظرنا إليها وجدنا أنما تحتوي على قانون أساسي هو قانون التطور "تغير شكل المادة باستمرار" باتجاه واحد، أي بدأ خلق الإنسان من تراب ثم نطفة "خلية" وبعد اللقاح تجتمع الخلية

المنوية مع البويضة "علق شيء بشيء آخر" فتنتج العلقة وبعد ذلك يبدأ النمو والتكاثر الخلوي وتشكل الأعضاء المختلفة وتشعبها في المضغة، وأصل المماضغة في اللسان العربي هو من: "ماضغت فلاناً مماضغة: جاددته القتال والخصومة'' ''الزمخشري-أساس البلاغة" أي بعد العلقة تبدأ المماضغة وهي تجدد مستمر للقتال "الصراع" والخصومة بين العنصرين المكونين للمضغة نفسها وهما العنصر المُخلِّق والعنصر غير المُخلِّق. وهنا وصف المُخلَّقة وغير المُخلَّقة يعودعلي المضغة نفسها أي لو كان مضغة مخلقة ومضغة ثانية غير مخلقة لقال "مضغة مخلقة وأخرى غير مخلقة" كقوله) :منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابحات) (آل عمران 7) ولكن المخلق وغير المخلق يدخل ضمن تركيب المضغة نفسها وهذا يؤدي إلى صراع المتناقضات الداخلي في الشيء نفسه، أي أن هذا الصراع يؤدي إلى نمو المضغة وتطورها وتحولها إلى جنين كامل. وهذا القانون هو القانون الأساسي للحركة الجدلية للحياة العضوية للإنسان والكائنات الحية. ففي النمو الخلوي صراع بين المخلق وغير المخلق، والمخلق تعنى المصمم، حيث أن الخلق يعنى التقدير لا الإيجاد كقولنا: خلق الخياط القميص من القماش أي قدره قبل القطع قدره قبل القطع والتفصيل، وعندما تخلق بيتاً تضع له مخططاً تميز فيه الممرات من غرف النوم ومن المطبخ، أي أن الصراع هو بين المصمم المتميز وغير المتميز أي من غرف النوم ومن المطبخ، أي أن الصراع هو بين المصمم المتميز وغير المتميز أي بين التكاثر المقدر "المنتظم" وغير المقدر "الفوضوي". فكلما كانت الخلايا التي يتألف منها التصميم متميزة ضمن نظام مقدر فهي مخلقة، وهذا ما يسمى (Cell Differentiated)، وكلما بعدت عن التميز كانت غير مخلقة (Cell Undifferentiated).

وهنا يكمن سر النمو العضوي للكائنات الحية في الصراع بين المخلق وغير المخلق في الخلية الواحدة. فعندما ينتصر المخلق تكون الحياة العضوية والنمو سليمين. وكلما بعدنا عن المخلق بعد النمو عن أن يكون سليماً. أي أن الحركة الجدلية بين العنصرين المتناقضين داخلياً في الشيء نفسه هي التي أدت إلى التطور الذي تجلى في تغير الشكل باستمرار "هلاك شكل وظهور شكل آخر في الجمادات وفي الكائنات الحية"، ومن هنا نفهم أن الكائنات الحية قد ظهر بعضها من بعض، وخضعت لقانون التطور والارتقاء.

وعليه نفهم أن البعث هو الطفرة النهائية والارتقاء النهائي لهذا الكون، حيث يتوقف حينئذ في الكون الآخر عمل قانون صراع المتناقضات في الشيء نفسه، وينتفي بالتالي الهلاك المستمر بشكل المادة، لذا لا موت ولا ولادة في الكون الآخر بل الخلود.

وإن من الخطأ الفادح أن نظن أن الله خلق الأفاعي وحدها ونفخ فيها الروح، وخلق القطط وحدها ونفخ فيها الروح، وخلق الأسماك وحدها ونفخ فيها الروح ونؤكد هنا أننا نفهم الروح على أنما ليست سر الحياة، وإنما هي سر الأنسنة التي نقصد بما تحول البشر "الذي هو من الفصيلة الحيوانية" إلى إنسان، "وسنفصل القول في ذلك في الفصل الثاني من هذا الباب". لذا فالحياة العضوية والكائنات الحية في وجودها خضعت لقانون النشوء والارتقاء الذي هو قانون التطور، نتيجة الصراع الداخلي للمتناقضات في الشيء نفسه فبدأت الحياة

من نطفة واحدة "خلية" وتطورت بعملية جدلية أدت باستمرار إلى تغير الشكل حتى ظهر البشر غير العاقل، ثم الإنسان العاقل.

وهذا ما وضحه في قوله تعالى) :وما بث فيهما من دابةً) .(الشورى 29). وقوله) :وفي خلقكم وما يبث من دابةً آيات لقومٍ يوقنون) (الجاثية 4). "وبث" في اللسان العربي تعني تفريق الشيء وإظهاره، كقولنا :بثت الدولة العيون أي فرقتها، وقولنا البث الإذاعي والتلفزيوني، أي أن أساس الحياة العضوية النباتية والحيوانية واحد، وتم الانتشار والتغير في الأنواع عن طريق البث الذي جاء نتيجة لقانون التطور والارتقاء.

وقد جاء فعل "بث" في صيغة الماضي والحاضر للدلالة على استمرارية هذا القانون وعدم توقفه في هذا الكون، ولا يتوقف هذا القانون عن العمل إلا بانفجار الكون أي هلاكه. وقد أشار القرآن إلى ذلك بعبارة" النفخة الأولى في الصور" ليحل محله كون آخر "النفخة الثانية في الأولى في الصور" ليحل محله كون آخر "النفخة الثانية في الصور" يتغير فيه جوهر المادة حيث يتوقف فيها قانون صراع المتناقضات الداخلي ليحل محله قانون جديد للمادة يتجلى فيه أن المادة تتألف من عنصرين مترابطين أحدهما بالآخر في علاقة حركية غير متناقضة، لا ولادة ولا موت ولا تطور، بل حركة مستمرة من نمط آخر.

وهكذا يظهر جلياً أن البعث وقانون التطور مرتبطان ارتباطاً لا انفصام له، لذا فإن فهم القوانين الناظمة للمادة وتطورها في هذا الكون بسبب تناقضاها الداخلية منذ بداية نشأته هو الدليل العقلي "العلمي" القاطع على حتمية البعث. هكذا يمكن برأينا تأويل هذه الآية الكريمة حيث بدأت)يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث (ومن أجل تقديم الدليل العلمي كان الجواب إيراد قانون التطور بسبب الهلاك المستمر لشكل المادة.) -وفي الأرض قطع تجاوزات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان غير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (الرعد 4.(

في هذه الآية يبين إحدى مراحل التطور "البث"، واستعمل أيضاً صيغة المتناقضات الداخلية في الزرع "النخيل" حيث قال) :صنوان وغير صنوان وغير صنوان وغير صنوان يعود على ذات الشيء الواحد .

و صنوان في اللسان العربي جاءت من "صنو" هي تدل على تقارب شيئين قرابة أو مسافة وعليه نفهم أن النخيل حيث ذكره صراحة هو أساس لطفرة نتجت عنه كقوله عن المضغة)مخلقة وغير مخلقة (أي هي أساس التكاثر الخلوي المخلق وغير المخلق. فهناك صراع عنصرين متناقضين داخلياً في النخيل في أن تبقى متقاربة "صنوان" أو أن تتحرك باتجاه التطور كي تتحول إي غير متقاربة "غير داخلياً.

) -وهو الذي أنشأ جناتٍ معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (الأنعام 141. جاءت هذه الآية لتبين أن الحركة الجدلية التي يكمن فيها سر التطور هي القانون النظم لاختلاف الأنواع في

النباتات، ويؤدي ذلك إلا الاختلاف في المأكل، لذا قال) :والنخل والزرع مختلفاً أكله (وحين ذكر الزيتون والرمان بصيغة متناقضة بقوله) :متشابهاً وغير متشابه (بين أن الزيتون والرمان تولدا نتيجة لطفرة نباتية، أي أنه كان هناك نبات حصل فيه صراع عنصرين متناقضين داخلياً أدى إلى طفرة نتج عنها الزيتون والرمان، وكل واحد منهما)متشابه وغير متشابه.(

أما قوله تعالى) جناتٍ معروشاتٍ وغير معروشاتً (فهنا ذكر إحدى مراحل التطور النباتي بشكل عام. بدأت الحياة النباتية بالنباتات الزاحفة "معروشات"، وتطورت إلى نباتات قائمة "غير معروشات"، فكان تطور النبات من نباتات زاحفة إلى نباتات غير زاحفة "قائمة بذاها "نتيجة لصراع عنصرين متناقضين داخلياً حيث أن صيغة "هو وغير هو" هي صيغة التناقض.

وهكذا نرى أن المتناقضات الداخلية المذكورة في الآيات السابقة هي السر الكان وراء التطور في الكائنات الحية النباتية "والحيوانية" منذ بداية الحياة على الأرض. وهكذا أيضاً نفهم قوله تعالى) :ما لكم لا ترجون الله وقاراً * وقد خلقكم أطواراً) (*نوح 13-14.(

والآن يمكن أن نلخص القانون الأول للمادة وحركتها في هذا الكون كما يلى:

إن قانون المتناقضات الداخلي "الثنائية في الشيء الواحد" يقوم على علاقة تجاذب وتنابذ "تناقض بين عنصرين مكونين لأي شيء مادي موجودين معاً في ذات الشيء" يؤديان إلى حركة ضمن الشيء نفسه ينجم عنها تغير شكل الشيء باستمرار.

وهذا القانون يعمل في داخل جميع الأشياء المادية بلا استثناء. ويعبر التجاذب والتنابذ عن تناقض مستمر يؤدي إلى حركة ضمن الشيء ينجم عنها تغير مستمر لشكل الشيء "أي هلاك شكل وولادة شكل جديد .. وهكذا دواليك. والصياغة المثلى لهذا القانون وردت في القرآن الكريم) :كل شيء هالك إلا وجهه ()القصص 88.

ثانياً: الجدل الخارجي بين شيئين "جدل تلاؤم الزوجين"

"التكيف"

ورد مصطلح "الزوج" في آيات عديدة منها)وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) (النجم 45). فالزوج هو زوج المرأة، والمرأة زوج بعلها، والزوج في اللسان العربي أصل يدل على مقارنة شيء لشيء آخر وارتباطه بعلاقة ما .. فالمرأة هي زوج عندما تكون على عصمة رجل "أي في علاقة مع رجل"، وكانت قبل الزواج عزبة، وإذا مات عنها زوجها فهي أرملة، وإذا طلقت فهي مطلقة، ولا يقال عنها زوج إلا إذا كان معها رجل "زوج آخر". "هذا بالمفهوم الاجتماعي". وعندا هاجر النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر قال تعالى) :ثاني

اثنين إذ هما في الغار) (التوبة 40) هنا قال "اثنين" ولم يقل زوجين، لأهما من الذكور. وعندما قال في سورة الأنعام) : ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبوئني بعلم إن كنتم صادقين) (الأنعام 143) . (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين .. الآية (الأنعام 144. هنا عندما قال "ثمانية أزواج"، والزوج في اللسان العربي لفظة ليس لها مؤنث، فالذكر زوج الأنثى، والأنثى زوج الذكر. أما عملية القرآن الشرعي بين الذكر والأنثى فقد أطلق عليها الكتاب مصطلح "النكاح" فنقول عقد نكاح ولا نقول عقد زواج، فالأساس في معنى الزوجي الطبيعي هو أن الذكر زوج الأنثى في الوجود لا في العقود، وأي أنثى عقد زواج الأي ذكر بالخلق. وفي هذا قال) : الله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً

ويهب لمن يشاء الذكور) (الشورى 49) (أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير (

اشتملت الآيتان على أربع حالات يهب الله فيها أو لاداً أو لا يهب وهي:

- 1حالة الإناث فقط.

)الشورى 50.(

- 2 حالة الذكور فقط.
- 3حالة الذكور والإناث.
 - 4حالة العقم.

والحالة التي تعنينا هنا هي الحالة الثالثة. فقد استعمل هنا مصطلح "الزوج "بصيغة "يزوجهم" للدلالة على اشتراك الجنسين معاً في الهبة "الذكر "و"الأنثى"، وهما في هذه الحالة أخ وأخت ولكنهما في الطبيعة من حيث الذكورة والأنوثة زوجان.

ثم جاء المعنى الثاني للزوج بالمفهوم الاجتماعي أي حتى تصبح الأنثى زوج الذكر اجتماعياً وجب أن يكون هناك عقد نكاح، لذا ظهر مفهوم الحلال والحرام في نكاح المحرمات الواردة في الآيات "22-23" في صورة النساء، وفي الزنا حيث أن المفاهيم هذه اجتماعية إنسانية "أخلاق" وليست مفاهيم طبيعية وجودية. ويتضح من ذلك لماذا لم يسأل أحد من العرب النبي صلى الله عليه وسلم عن وضع المرأة في الجنة وذلك حين سمعوا الآيات التالية) :كذلك وزوجناهم بحور عين) (الدخان 54) . (متكنين على سرر مصفوفة وزوجناهم

بحور عين) (الطور 20).(ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون (البقرة 25).(وأزواج مطهرة

ورضوان من الله والله بصير بالعباد) (آل عمران 15) .(لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً) (النساء

57). (هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكنون) (يس 56. ()ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) (الزخرف 70. (

هذه الآيات الواردة والتي ذكر فيها الجنة والأزواج كلها قرآن. وتتحدث الآيات عن الجنة للذكور والإناث

حيث استعملت ميم الجماعة، وهي في اللسان العربي تستعمل للشمول "صيغة جمع" وكذلك عندما يكون المراد أن تشمل اللفظة الذكور والإناث معاً تأتي صيغة عامة كقوله) :اهبطوا منها جميعاً .(وقوله) قد أفلح المؤمنون .(وقوله) :يا أيها الذين آمنوا .(هنا الهبوط للذكور والإناث والمؤمنون للذكور والإناث والذين آمنوا للذكور والإناث.

وعندما يريد أن يفرق بين الذكور والإناث تأتي دائماً صيغة خطاب صريحة)إن المؤمنين والمؤمنات(، فعندما قال) :كذلك وزوجناهم بحورٍ عين .(أي أن أهل الجنة من الذكور والإناث معاً لهم أزواج من حور عين أي أن الحور العين هم من الذكور والإناث، فالذكر له من الحور العين أنثى، والأنثى لها من الحور العين ذكر. وقوله) :ادخلوا الجنة(، هي أيضاً للذكور والإناث معاً، و)أزواجكم (للذكور والإناث. ومن هنا يتبين أن حال المرأة في الجنة كحال الرجل تماماً، وعندما يذكر الجنة يستعمل دائماً لفظة "أزواج" ولا يستعمل نساء أو المرأة أو لفظة رجل أو رجال.

إن التفريق بين الزوج على أنه الذكر فقط أو الأنثى فقط يحدده سياق كل آية، فمثلاً عندما يذكر ويذكر معه الزوج فهنا تعني الأنثى كقوله) :يا أيها النبي قل لأزواجك .(وقوله) :يا أيها النبي إنا أحلننا لك أزواجك (الأحزاب 50). وقوله) :يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك) (التحريم 1). هنا المخاطب هو النبي صلى الله عليه وسلم فتأتي الأزواج إناثاً.

وفي قوله) :ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد) (النساء 12). يقصد بالأزواج الإناث لقوله:)إن لم يكن لهن ولد) (النساء 12). فاستعمل نون النسوة في "لهن" ولو كان يقصد الذكور والإناث لقال "إن لم يكن لهم ولد". وكذلك قوله)إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) (التغابن 14). هنا أزواجكم يقصد بما الذكور والإناث.

ولكي يبين أن قانون الزوجية "وهو اقتران شيء بشيء آخر وبالتالي ارتباطه معه بعلاقة ما" معمم على الوجود المادي كله قال) :ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) (الذاريات 49) وقال) :سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) (يس 36). وهنا استعمل لفظة سبحان لتتريه الله أن ينطبق عليه قانون الزوجية.

فقانون الزوجية هو القانون الثاني الأساسي الذي تخضع له جميع الأشياء في الكون المادي. وقد عبر القرآن الكريم عن العلاقة الثنائية بين شيئين متميزين بعضهما عن بعض ومتقابلين في أمرنا بمصطلح "الأزواج". وهذه العلاقة تشمل كل الموجودات في الكون فهي علاقة خارجية بالنسبة للشيء "الزوج ''وللشيء المقابل له "الزوج الآخر .''

ويؤكد هذا القانون أن الأشياء في الكون المادي لا يمكن لا يمكن أن تكون منعزلة بعضها عن بعض، لذا فهي بالضرورة تكون علاقة تقابلية مع الأشياء الأخرى في مستويات لا حصر لها. وليست الزوجية علاقة بين

عنصرين ضمن الشيء نفسه، بل هي علاقة خارجية بين شيئين متقابلين "زوجين" معلومين أو لا يزالان مجهولين. ويمكن أن نصفها بأنها علاقة تأثير وتأثر متبادل بين شيئين ''علاقة جدلية بينهما". لذا فإنه لا يصح أن نقول بوجود علاقة خارجية جدلية بين شيئين إلا بعد أن تحدد العلاقة التقابلية "الزوجية" بينهما والمستوى التقابلي لهذه العلاقة.

وتكون العلاقة التقابلية الزوجية على مستويات مختلفة بحيث يكون الشيء في علاقة جدلية تقابلية مع شيء آخر في مستوى ما، ويكون الشيء نفسه في علاقة تقابلية جدلية أخرى مع شيء ثالث في مستوى آخر . . وهكذا دواليك.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الزوجين يوجدان معاً في علاقة ثنائية تقابلية وبذا يتميزان عن الضدين. فالضدان لا يوجدان "لا يلتقيان" معاً بل تقوم بينهما علاقة تعاقبية، ولا يكون ذلك في الأشياء المادية بل في الظواهر فقط. وهكذا يظهر جلياً أن العلاقة التقابلية بين زوجين هي علاقة خارجية بين شيئين تقوم على التأثير والتأثر المتبادل بينهما. وينبني على هذا القانون قانون التكيف في الطبيعة.

وبذا نكون قد أزلنا اللبس العالق في الأذهان بنتيجة الترجمات الفاسدة التي توهم بأن التناقض يمكن أن يكون بين الزوجين "الشيئين المتقابلين" أو بأن الزوجين هما ضدان.

ونلخص القانون الثاني قانون الأزواج أو قانون الثنائية التقابلية في الأشياء بما يلي:

يقوم على علاقة تأثير وتأثر متبادل "بين شيئين متميزين بعضها عن بعض "زوجين" تؤدي إلى التكيف والتلاؤم المستمرين هذين الشيئين.

والقانون الثاني يعمل في جميع الأشياء من خلال علاقة خارجية ثنائية تقابلية غير تناقضية بين شيئين متميزين بعضهما عن بعض عن طريق التأثير والتأثر المتبادل بينهما. وتكون هذه العلاقة في مستويات عديدة. والصياغة المثلى لهذا القانون وردت في القرآن الكريم) .ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) (الذاريات 49.(

ثالثاً: أقوال في الصور والحساب والجنة والنار

إننا نتبنى النظرية العلمية القائلة بأن ظهور الكون المادي كان نتيجة انفجار هائل أدى إلى تغير طبيعة المادة. ونرى أن انفجاراً هائلاً آخر مماثلاً للانفجار الأول في حجمه سيؤدي حتماً إلى تغير طبيعة المادة وهلاك هذا الكون المادي ليحل محله كون "عالم" مادي آخر. ويعني ذلك أن هذا الكون لم ينشأ "يخلق" من عدم بل من مادة ذات طبيعة أخرى. كما أن هذا الكون سيزول ليحل محله كون آخر من مادة ذات طبيعة مغايرة.

أ - الصور

قلنا أن قانون صراع المتناقضات الداخلي في الشيء نفسه، يؤدي إلى تغير الصيرورة بشكل مستمر وهلاك شيء وظهور شيء آخر. وهذا القانون حتمي لا رد له، ويسير باتجاه واحد فهو لذلك قدر الموجودات كلها الذي يعبر عنه بالتسبيح. فالحلق الأول بدأ بانفجار كوني هائل حيث قال) :والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر) .(الفجر 1-2-3) حيث أن الفجر هو الانفجار الكوني الأول،)وليال عشر (معناه أن المادة مرت بشعر مراحل للتطور حتى أصبحت شفافة للضوء، لذا أتبعها قوله) :والشفع والوتر (حيث أن أول عنصر تكون في هذا الوجود وهو الهيدروجين وفيه الشفع في النواة والوتر في المدار، وقد أكد هذا في قوله) :وهو الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) (الأنعام 1.(ويجب أن نميز في خلق الوجود ثلاثة أفعال مختلفة:

-) -خلق السموات والأرض) (الأنعام 1.(
-) -بديع السموات والأرض) (البقرة 117.
 -) فاطر السموات والأرض) (فاطر 1.(
-) -قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) (الرعد 16.(

فالخلق هو التصميم ولكن يمكن أن يكون التصميم لشيء له سابقة، أي يمكن لمهندس أن يصمم بيتاً قد سبقه إليه أحد وله سابقة. ولكي يبين أن خلق السموات والأرض ليس له سابق، وأنه لأول مرة قال) :بديع السموات والأرض (ولكي يبين سبحانه وتعالى أن تصميم السموات والأرض وابداعهما غير قديمين وألهما كانتا معاً ثم انفصلتا عن بعضهما قال) :فاطر السموات والأرض (وقد أكد أن هذا الفصل حصل بانفجار. لقد سبق أن ذكرنا أن العرش هو الأمر، ويعني ذلك أن أمر الله كان على أول عنصر تكون في هذا الوجود وهو الهيدروجين "مولد الماء" لذا قال) :وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) (هود 7) أي كان على العنصر المكون للوجود وهو الهيدروجين.

هذا الوجود منذ الانفجار الكوني بدأ ينطبق عليه قانون التسبيح "صراع المتناقضات الداخلي في الشيء نفسه" أي أن الذي لا يسبح من الأشياء لا وجود له. وصارت الأشياء تتغير من كينونة إلى صيرورة "كان فصار"، وستبقى كذلك إلى أن يحدث تغير مفاجئ في صيرورة المادة الكونية. وهكذا نفهم الآية)كما بدأن أول خلق نعيده) (الأنبياء 104.

فبداية تكون هذا الكون كان بطفرة "الانفجار الأول" حيث تعتبر التغير الأول في الصيرورة المادية "أي من مادة ذات طبيعة غير معروفة"، هذه التغيرات سارية المفعول حتى تحدث طفرة مفاجئة "تغير مفاجئ في الصيرورة الكونية"، طفرة ثانية. وقد أورد القرآن القانون الأول للجدل المادي للبرهان على البعث. لقد عبر القرآن عن الطفرة المفاجئة بعبارة)ونفخ في الصور) (الزمر 68). و"نفخ" في اللسان العربي أصل صحيح يدل على انتفاخ وعلو، ويقال انتفخ النهار أي علا، ومنه "نفخ في النار" وذلك لكي يسرع في إشعالها وتعلو. ولفظ "الصور" جاءت من "صير" وهو أصل صحيح وتعني المآل والمرجع ومن ذلك صار يصير صيرا وصيرورة، ويقال أنا على صير من أمر أي إشراف على قضائه، وذلك الذي يصار إليه.

فالنفخ في الصور تعني التسارع في تغير الصيرورة "المآل" وهذا ما يسمى بالطفرة. ويوجد نوعان من التسارع في تغير الصيرورة، عبر عنهما بالنفخة الأولى للصور والنفخة الثانية. والنفخة الأولى لها مصطلح خاص هو الساعة .وسميت الساعة لأن هلاك هذا الكون قائم فيها وهي حتمية تقتضيها بنية هذا الكون المادي الثنائي. وقد جاءت الساعة من "سوع" وهو استمرار الشيء "1" "ومضيه "1"، "1 و2" هما العنصران المتناقضات داخلياً في الوجود المادي للكون أي أن يستمر على ما هو عليه أو ينتهي، وإنتهاؤه يكون عن النفخة الأولى في الصور. "

فقولنا جاءنا بعد سوعٍ من الليل وسواعٍ أي بعد هدء منه، وذلك أنه شيء يمضي ويستمر. فالساعة تدل على مضي واستمرار معاً، فالمستمر هو الوجود المادي، والمضي هو انتهاء عمل قوانين المادة السائدة في هذا الكون ليحل محلها عمل قوانين جديدة في كون مادي آخر. وبمعنى الهدوء والمضي جاء قوله تعالى)ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعةٍ) (الروم 55) ومنه نستنتج أن عذاب القبر بالمفهوم السائد لا وجود له. ففي المعنى الأول للساعة يقول)يوم تقوم الساعة .(وهو الانفجار، المضي بعد الهدوء. والمعنى الثاني الهدوء والاستمرار لفترة زمنية في قوله)يقسم المجرمون لما لبثوا غير ساعةٍ.(

وهكذا نفهم الآيات:

-) -ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) (الزمر 68.(
 -) -يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) (الحج 1.(
 -) -إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) (غافر 59.(
 -) ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد) (الشورى 18.(
 -) -ويوم تقوم الساعة يومئذٍ يخسر المبطلون) (الجاثية 27.(
-) -يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا يأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون () الأعراف 187.

ففي آية الأعراف 187 جاءت الساعة بمعنى المضي يقول) :أيان مرساها (وجاءت بمعنى أن الساعة موجودة في طبيعة المادة الكونية "العنصران المتناقضان والمتصارعان هما المضي والاستمرار) . "ثقلت في السموات والأرض . (ولبيان أنما تسارع مفاجئ في تغير الصيرورة جاء قوله)لا تأتيكم إلا بغتة (ولبيان أن توقيتها لا يعلمه إلا الله جاء قوله)قل إنما علمها عند الله) (الأحزاب 63) وقوله)إن الله عنده علم الساعة) (لقمان علمها لوقتها إلا هو . (

وقوله) :إليه يرد علم الساعة) . (فصلت 47) وقوله) :إن الساعة آتية أكاد أخفيها) . (طه 15) هنا أخفيها

جاءت بمعنى أظهرها لأن فعل "خفى" في اللسان العربي هو من أفعال الأصداد.

ويجب أن نلاحظ أمراً هاماً جداً، وهو أن قيام الساعة لا يعني انتهاء حياة الشمس بشكل طبيعي أن انطفاءها حيث أن انطفاءها عبارة عن ظاهرة فلكية طبيعية "ولا تحصل بغتة". فإذا كان الحال كذلك فهذا يعني أن الحياة ستنتهي على الأرض قبل انطفاء الشمس بمدة طويلة، ولكن وصف القرآن للساعة يدل على أنه ستكون هناك حياة على الأرض كقوله)لا تأتيكم إلا بغتةً .(

وقوله) :يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) (الحج 2) والإنسان عند قيام الساعة يكون قد وصل إلى وضع من التطور والتقدم العلمي بحيث يظن نفسه أنه أصبح ربا متصرفاً في ظواهر الوجود وذلك في قوله تعالى)إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها ألهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) (يونس 24.

هنا نلاحظ مرة أخرى كيف ربط قانون التطور وتغير الصيرورة بقيام الساعة وأن علامة الساعة المباشرة هي وصول الإنسان إلى درجة م التطور يظن نفسه أنه أصبح ربا. وقد وصف القرآن الساعة وخراب الكون الحالي في أماكن كثيرة كقوله)إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها) (الزلزلة 1-5) وقوله) :يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة ()النازعات 6-7) وقوله)فإذا النجوم طمست * وإذا السماء فرجت * وإذا الجبال نسفت * وإذا الرسل أقتت * لأي يوم أجلت * ليوم الفصل) (المرسلات 8-13). والفصل هو فصل قانون صراع المتناقضات عن الوجود المادي.

ب - البعث والحساب

ظهر الإنسان على الأرض بعد مليارات السنين من الانفجار الكوني الأول وحصلت تغييرات كثيرة في الصيرورة حتى ظهر البشر ثم الإنسان، وسيستمر هذا الكون متغير الصيرورة حتى يهلك الشكل الحالي للكون، هذا الهلاك هو بداية لتشكيل كون مادي آخر بقوانين جديدة للمادة، فتحصل تغييرات جديدة في الصيرورة حتى يستقر ويصبح كوناً جديداً بمادة خالية من صراع المتناقضات الداخلية في الشيء الواحد. لذا لا يوجد في الكون الجديد لا ولادة ولا موت، وتختفي ظاهرة التطور وتظهر حركة للمادة من نوع آخر وعلاقات أخرى، ويبقى عمل القانون الثاني للجدل التأثير والتأثر المتبادل بين الأشياء "الأزواج." ففي الجنة يوجد أزواج وفي النار يوجد أزواج. أما الجنة والنار فليسا زوجين حيث لا يوجد علاقات متبادلة بينهما بل يوجد أزواج في كل منهما، أي أن هناك قانون تأثير وتأثر متبادل من نوع جديد مع اختفاء قانون صراع المتناقضات، لذا ففي الجنة والنار حركة من نمط آخر ولكن لا يوجد تسبيح وجود.

من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) (الزمر 68) لاحظ في النفخة الأولى وقوله) : فصعق من في السموات ومن في الأرض (و"من" للعاقل لذا أتبعها بقوله)إلا من شاء الله (ومن العاقل المستثنى من هذه الصعقة هو ابليس لقوله تعالى)قال رب فأنظرين إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم) (الحجر 36-37-38). وعبر عن النفخة الثانية)ثم نفخ فيه أخرى .(

لاحظ كيف وضع بين الأولى والثانية الأداة "ثم" حيث فيها التعاقب مع التراخي.

الآن لنأخذ الآيات التالية ونرى عن أية طفرة "تغيير في الصيرورة" تتكلم:

-) -قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور) (الأنعام 73) هنا الصيرورة الأولى والثانية جاءت الصور اسم جنس.
 -) -ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً) (الكهف 99) الصيرورة الثانية.
 -) -فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون) (المؤمنون 101) الصيرورة الثانية.
 -) -ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) (ق 20) الصيرورة الثانية.
-) -فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة) (الحاقة 13) الصيرورة الأولى لأنه أتبعها بقوله)وحملت الأرض والجبال فدكتا دكةً واحدةً) (الحاقة 14.(
 -) فيومئذٍ وقعت الواقعة) (الحاقة 154) .(وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) (الحاقة 16.(
-) -يوم ينفخ في الصو فتأتون أفواجاً) (النبأ 18) النفخة الثانية حيث أتبعها بقوله)فتأتون أفواجاً (إذ وضع وصفاً جديداً للسماء)وفتحت السماء فكانت أبواباً) (النبأ .(19ووصف الوضع السابق للجبال)وسيرت الجبال فكانت سراباً) (النبأ 20.(

لقد وصف الله البعث بالخروج من الموت إلى الحياة بقوله)والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون) (الزخرف 11). وقوله) : يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتما وكذلك تخرجون) (الروم 19). (رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج) (ق 11). هنا في الآية 19 في سورة الروم وضع الإخراج متكافئاً بين الحي والميت حيث قال)يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي . (لأنه يصف يوم الخروج حيث لا قضاء للإنسان في ذلك اليوم لذا قال)له الملك يوم ينفخ في الصور (للدلالة على انتهاء تدخل الإنسان وقضائه. أي أن البعث هو خروج الناس من الموت إلى الحياة بكينونة مادية جديدة لا تغير في صيرورتما.

قد يسأل سائل: وهل بعد أن يفنى الإنسان ويصبح تراباً سيعاد تكوينه؟ الجواب: نعم. هنا يجب أن نميز بين نوعين من النفس: النفس التي تموت وهي النفس البشرية وهي التي تتحول إلى تراب والتي قال عنها)وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً) (آل عمران 145) والنفس التي تتوفى والتي قال عنها)الله يتوفى الأنفس حين موها والتي لم تمت في منامها) (الزمر 42.(

فالنفس التي تموت والتي نقول عنها "الجسد" عبارة عن تحول مادي عضوي بحت، فعند الموت يبدأ التحلل للمواد العضوية المكونة لهذه النفس، حيث أن هذه النفس مجموعة من المواد المركبة بعضها إلى بعض ضمن نسب محددة والتركيب المادي للنفس لا يعتبر عين الذرات المركبة لها، ولكن هو مجموعة من النسب المادية مربوط بعضها ببعض. وهذا واضح بأننا نطرح الفضلات الغازية والسائلة والصلبة ونحرق في الجسم ما نحرق ثم نعوض بالتغذية المواد المفقودة بحيث نأخذ ونعطي دائماً. فالمهم هو التركيب النسبي للمواد وليس عين المواد.

ج - الجنة والنار لم توجدا بعد واستقرار النقيضين فيهما الجنة والنار ستظهران على أنقاض هذا الكون:

هناك قول شائع جداً، وبنفس الوقت خاطئ جداً بأن الجنة والنار، أي جنة المتقين ونار الكافرين موجودتان الآن وألهما تنتظران يوم البعث. وهذا غير صحيح طبقاً للنص القرآني حيث أن الجنة والنار ستشكلان على أنقاض هذا الكون بعد النفخة الأولى. وحتى يحين وقت النفخة الثانية الذي سيحصل فيها البعث، تكون الجنة والنار جاهزتين.

ولكن يجب علينا أن نعلم أن الوجود في الكون الجديد هو وجودي مادي سيتشكل على أنقاض هذا الوجود بقوانين جديدة للمادة يختفي فيها القانون الأول، صراع المتناقضات الداخلي في الشيء الواحد "التسبيح"، وينتهي التطور لذا سمى الآخرة دار القرار)يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ()غافر 39) وذلك بانتهاء قانون "كل شيء حالد" الذي عبر عنه بمصطلح الخلود. ويبقى قانون الأزواج، التأثير والتأثر المتبادل بين الأشياء، ولكنه يكون من نمط آخر. ففي الجنة أزواج)هم وأزواجهم (وفي النار أزواج) واخر من شكله أزواج) (ص 58). وفي الجنة طعام وجماع وأنمار .. وهكذا دواليك ولكنها ذات كيفية أخرى.

أولاً: لنبحث كيف ذكر القرآن أن الجنة والنار لم تظهرا بعد.

قبل أن ندخل في هذا البحث علينا أن نعرف الجنة والنار وكيف جاء ذكهما في القرآن بشكل متشابه. فلفظة الجنة في اللسان العربي من "جنن" وهذا الفعل يعني التغطية والستر كقوله)فلما جن عليه الليل ()الأنعام 76) أي غطى الظلام الأرض ومنها جاءت كلمة المجنون وهو الإنسان الذي صار على عقله غطاء، ومنها جاء معنى الجن أي مخلوقات مغطاة عن أبصارنا لا نراها. وجاءت هذه اللفظة في القرآن للدلالة على الجنة في الدنيا أو في الآخرة حسب سياق الآية. فالجنة هي أرض مغطاة بأشجار وأغصان وما شابه ذلك ولها معنى إيجابي دائماً. فالبستان المشجر المزروع يقال له جنة، وقد وردت بهذا المعنى في قوله)واضر له مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب) (الكهف 32). وقوله)وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خميط (بسبأ 16) وقوله)أو يلقى إليه كتر أو تكون له)سبأ 16) وقوله)أو يلقى إليه كتر أو تكون له

جنة يأكل منها) (الفرقان 8) وقوله)و دخل جنته وهو ظالم لنفسه) (الكهف 35. (
وقوله)فأنشأنا لكم به جناتٍ من نخيل وأعناب) . (المؤمنون 19) وقوله)فأخر جناهم من جناتٍ وعيونٍ (
)الشعراء 57) وقوله)وهو الذي أنشأ جناتٍ معروشاتٍ وغير معروشاتٍ) (الأنعام 141). هنا نلاحظ كيف أطل لفظ الجنة على حالات دنيوية طبيعية وهكذا يجب أن نفهم جنة آدم حيث ألها تختلف عن جنة المتقين. إن وصف جنة المتقين في القرآن والتي لم تتكون بعد يختلف عن وصف جنة آدم التي ذكرها في قوله) :إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى) (طه 119). لقد أخبرنا القرآن بأن البشر ظهر على الأرض وأنه كان يعيش في منطقة غابات وفي المناطق الحارة حيث أن الآيتين 118 و119 في سورة طه لا تصفان أكثر من غابة "وسنفصل القول في هذا حين الحديث عن آدم ونشأة الكلام الإنساني." أما جنة المتقين فيصفها وصفاً آخر تماماً حيث فيها الخلود بقوله "خالدين فيها" وتختفي ظاهرة الموت حيث تظهر هذه الجنة في كون آخر هي والنار، حيث لا جدل بينهما ولا توجد بينهما علاقات متبادلة لقوله)ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) (الأعراف 50.(

ولفظة "النار" جاءت في القرآن للدلالة على النار في الدنيا أو في الآخرة حسب سياق الآية، وأحياناً تأتي معرفة كاسم جنس، وهي دنيوية كقوله)ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع) (الرعد 17). جاءت النار هنا معرفة وهي تعني نار الأفران العالية المستعملة لصهر المعادن، وأحياناً تأتي نكرة مقصودة) :قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) (الأنبياء 69) هنا نار إبراهيم. وأحياناً تأتي غير معرفة كقوله)مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً (تعني ناراً في الدنيا وليس في الآخرة. أما نار الآخرة ففيها الخلود للكافرين.

لنورد الآن الأدلة على أن الجنة والنار لم توجدا بعد، وإنما ستوجدان على أنقاض هذا الكون بين الطفرة الأولى "تغير الصيرورة عند النفخة الأولى للصور" وبين الطفرة الثانية "النفخة الثانية للصور."

-) -يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) (ابراهيم 48.(
-) -ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) .(الزمر 68.(
-) -وأشرقت الأرض بنور بما ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ()الزمر 69.(
 -) -ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزةً وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً) (الكهف 47.
 -) -وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً) (الكهف 99.(
 -) -وعرضنا جهنم يومئذٍ للكافرين عرضاً) (الكهف 100.

-) -وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) (آل عمران 133.(
-) -سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (الحديد 21.(
-) -وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذٍ () هود 108.
 -) -فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) (هود 106.
 -) -خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) (هود 107.
 -) -وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العالمين) (الزمر .74.

لقد دلت الآيات الواردة أعلاه على أنه سيحصل تبديل في السموات والأرض أي سيكون هناك سموات وأرض جديدة بقوانين مادية جديدة بقوله)يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) (ابراهيم 48) وقوله)وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) (الكهف 100). وهنا يجب أن نفهم قوله)عرضها السموات والأرض) (آل عمران 133). فلفظة)عرضها (جاءت من)عرض (ومنها جاء العرض والمعرض والأعراض فنقول هنا عرض عسكري، فعرض الشيء هو إظهاره بشكل جلي، وهكذا نفهم)جنة عرضها السموات والأرض) (آل عمران 133.

أي أن السموات والأرض الجديدة هي المكان الذي ستعرض فيه الجنة أو هي عين عرض الجنة، وكذلك النار بقوله)وعرضنا جهنم) (الكهف 100). وهنا يجب أن لا نفهم بأن)عرضها السموات والأرض) (آل عمران 133). على أساس أن العرض هو البعد الأصغر والطول هو البعد الأكبر، فتصبح الآية لا معنى لها وغير مترابطة حيث أن أبعاد الوجود ليست الطول والعرض فلا نقول طول الكون وعرض الكون. أما قوله)سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) (الحديد 21). هنا استعمل كاف التشبيه، والسماء بشكل مفرد للدلالة على الجنس لا العدد أي أننا حين ننظر فنرى السماء والأرض كجنس فهنا يشرح طريقة العرض)جنس العرض (أي أن العرض هو عرض مادي كعرض السماء والأرض الحاليين وكذلك قوله)يقولون أإنا لمردودون في الحافرة) (النازعات 10) والحافرة هي عود على بدء وقوله)فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة (

)النازعات 13-154) الساهرة هي مصطلح في اللسان العربي يطلق على كل أرض)ابن فارس. (أما الآية 108 في سورة هود فقد ذكر أهل الجنة والخلود فيها آية واحدة للدلالة على أن الدخول إلى الجنة والخلود فيها مرتبطان بعضهما ببعض فلا إقامة مؤقتة في الجنة، أما فيما يتعلق بالنار فقد فصل أصحاب النار عن الخلود فيها)لاحظ أهمية مواقع النجوم (وذلك لكي يبين أن الدخول إلى النار شيء والخلود فيها شيء آخر، فليس كل من يدخل النار سيخلد فيها لذا فصل أصحاب النار عن الخلود فيها، كل في آية على حدة،

أصحاب النار في الآية 106 والخلود فيها في الآية 107، وهذا يبين لنا فهم أهمية مواقع النجوم بين الآيات. هنا يكمن الدليل القرآني على أنه ليس كل من يدخل النار سيخلد فيها. وفي نماية آية الجنة قال)عطاءً غير مجذوب (للدلالة على وضوح وثبات الثواب، وأما بالنسبة للنار قال)إن ربك فعال لما يريد (للدلالة على احتمال المغفرة أو ثبات العذاب.

-2استقرار النقيضين في الجنة والنار:

لقد وصف الله سبحانه وتعالى الدنيا بأنها)متاع الغرور) (آل عمران 185- الحديد 20) أي أن متاع الدنيا متاع زائل لأنه هالك أي متغير في الصيرورة باستمرار ينتقل من شكل لآخر والغرور من)غرر (وتعني في اللسان العربي عدم النضج)النقصان (كأن نقول دورة أغرار، وفلان ما زال غرا، أي ناقص الخبرة ومنها جاء الغرور.

أما الجنة)فأكلها دائم (ومتاعها باق)وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة) (الواقعة 32-33)

اليوم المجتمع الدنيوي الآخر

- 1وجود ظاهرة العمل والراحة.
- 1اختفاء ظاهرة العمل)قطوفها دانية) (الحاقة 23) (وذللت قطوفها تذليلاً) (الإنسان 14) (وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة) (الواقعة 32-33) (متكئين عليها متقابلين) (الواقعة 16) (لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) (الحجر 48) (لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) (فاطر 35).
 - 2وجود ظاهرة الصحة والمرض.
 - 2اختفاء ظاهرة المرض)وإن الدار الآخرة لهي الحيوان) (العنكبوت 64) والحيوان هنا ضم (موتان)، وهي من الحيوية.
 - 3وجود ظاهرة الخير والشر في العمل الإنساني.
 - 3احتفاء ظاهرة الشر)ونزعنا ما في صدورهم من غل إحواناً على سرر متقابلين) (الحجر 47.(
 - 4و جود ظاهرة الحرب والسلام.
 - 4الجنة دار السلام والنار دار الخصام)إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) (ص 64.(

قد يقول البعض أن مواصفات الجنة يمكن تحقيقها في الحياة الدنيا. أقول هذا مستحيل للسبب التالي: إن قوانين المادة الحالية في كوننا)التي تخضع لقانون صراع المتناقضات الداخلي الذي يؤدي إلى تغير في

الصيرورة باستمرار (لا تسمح أبداً بقيام مجتمع كهذا لأن أي مجتمع دنيوي له تناقضاته الخاصة به والتي تؤدي إلى تطوره أي هلاكه وعدم ثبات الصيغة فيه بقوله تعالى)وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً) (الإسراء 58.(

ولأن ذلك المجتمع يحتاج إلى قاعدة مادية تقوم على قوانين مادية تختلف عن قوانين المادة الحالية في كوننا. فظاهرة العمل والراحة والصحة والمرض والخير والشر لا يمكن أن تختفي ضمن القوانين الحالية في كوننا، ففي القوانين الحالية تعطي شجرة التفاح موسماً واحداً في السنة أو اثنين أو ثلاثة، أما تفاح الجنة فإنه كلما قطفته فإنه يخلف مباشرة. فشجرة تفاح واحدة من تفاح الجنة تكفى أهل الأرض جميعاً.

ولا يمكن أن يحصل هذا إلا بتغير قوانين المادة، هذا التغيير في القوانين المادية يوضحه قوله تعالى) هم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) (ق 35). هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن محتوى التفاح في الجنة يتغير عن محتواه في الدنيا، وأهل الدنيا يرون التفاح ويعلمون أن هذا تفاح ولكن عند المذاق يختلف عن تفاح الدنيا لذا قال سبحانه وتعالى)كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأوتوا به متشابهاً) (البقرة والتشابه كما قلت ثبات الشكل وتغير المحتوى، أي كلما أكل واحد من أهل الجنة تفاحة يرى طعمها مختلفاً عن أي تفاحة أخرى .. وهكذا دواليك أي أن هناك تفاحاً واحداً ومليارات الإحتمالات م الطعم والنكهة للتفاح.

كما نستنتج أنه في الكون الجديد والقوانين الجديدة للمادة بعد النفخة الثانية في الصور لا يوجد تسبيح للأشياء حيث لا ولادة ولا موت ولا تغير في الصيرورة. والآيات الوحيدة في التسبيح في اليوم الآخر هي عن الملائكة فقط في قوله تعالى)وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربمم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) (الزمر 75) أن نماية العرض والحساب ودخول الناس إلى الجنة والنار وثبات الأشياء ختم بقوله) الحمد لله رب العالمين (وبدئ الكتاب بقوله :

)الحمد لله رب العالمين) (الفاتحة 1- يونس 10- الصافات 182- الزمر 75) وبدئ الخلق بقوله)الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) (الأنعام 1) وهكذا نرى أن هناك حمداً في الدنيا وحمداً في الآخرة لقوله تعالى:)له الحمد في الأولى والآخرة) (القصص 70). وورد تسبيح العاقل في الجنة في قوله)دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) (يونس 10) فالتسبيح في اليوم الآخر للناس فقط لا للأشياء)أي تسبيح شكر لا تسبيح وجود (وهكذا فإن طبيعة المادة وتركيبها في الكون الجديد تسمح برؤية الله سبحانه وتعالى حيث تسبيح العاقل في اليوم الآخر تتريه عاقل لله.

الفصل الثاني جدل الإنسانية

تمهيد في جدل الإنسان (الرحمن والشيطان(

لقد ميز القرآن الكريم جدلاً خاصاً بالإنسان في قوله) :ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثلٍ وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) (الكهف 54.(

فإذا كان هناك جدل للأشياء المادية فإن هذا الجدل ينطبق على الإنسان لكونه كائناً حياً مادياً أي بشراً، لذا قال)وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً . (أي أن هناك جدلاً خاصاً بالإنسان لا يوجد لغيره من الأشياء وهذا الجدل هو جدل الفكر حيث أن الإنسان يتميز عن بقية الأشياء بأنه كائن عاقل مفكر لذا فإن جدل الإنسان والمعرفة الإنسانية في القرآن يقوم على المبدأ التالى:

إن الحق والباطل "الحقيقة والوهم" في الفكر الإنساني ملتبسان في علاقة جدلية لا تتوقف بحيث يفرز الحق عن الباطل لفترة معينة ثم يعود هذا الإلتباس من جديد أشكال جديدة، فيحتاج إلى فك جديد وهكذا دواليك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد مثل الله التباس الحق والباطل بالماء الذي يشوبه التلوث فهو بحاجة إلى فرز وتنقية ليعود صافياً، وبالحديد الذي يوجد في الطبيعة على شكل فلزات فتقوم الأفران العالية الحرارة بفرز الحديد عن الخبث.

)أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حليةٍ أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) (الرعد 17) "نوع الآية: قرآن."

نلاحظ كيف جعل القرآن أساس المعرفة الإنسانية هو الفصل الدائم بين الحق والباطل المرتبطين ببعضهما بعلاقة تناقضات جدلية. ومهمة المعرفة هي تفريق الحقيقي عن الوهمي لذا قال لبني إسرائيل) ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) (البقرة 42) أي بعد تفريق الحق عن الباطل يجب أن لا نلبسهما معاً مرة أخرى لذا علق في نهاية الآية بقوله) : وأنتم تعلمون. (

لقد فصل النبي صلى الله عليه وسلم بين الحق والباطل عند العرب في القرن السابع ومن جراء فك الالتباس هذا حصلت الحرب الأهلية "حيث أن الباطل ينسف والخطأ يصحح" وتأسست الدولة العربية الإسلامية بانطلاقتها الجبارة، حيث فرز النبي صلى الله عليه وسلم أوهام الجاهلية والوثنية عن الحقيقة الموضوعية في

الفكر العربي المعرفي ثم السياسي في القرن السابع، ثم عاد الالتباس مرة أخرى بأشكال جديدة، وما علينا نحن العرب والمسلمين إلا أن نفك هذا الالتباس من جديد في القرن العشرين حيث نفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم)إن الحلال بين وإن الحرام بين (انظر صحيح مسلم م3 ص1219 ولم يقل أبداً إن "الحق بين والباطل بين" فالزنا يفهمه عمر كما نفهمه نحن، أما الأوهام التي كانت عند عمر في الجاهلية والانتقال إلى الحقيقة يختلف تماماً عن الأوهام التي نعيشها نحن والحقيقة التي نريد أن ننتقل إليها .

ولو كان الحق بيناً والباطل بيناً دون التباس بعلاقة جدلية لكفى للإنسانية جمعاء نبي واحد لتبيان الحق والباطل مرة واحدة وإلى أن تقوم الساعة. وهنا تكمن مهمة الفلسفة وبناها العلوم جميعاً بفك الارتباط الدائم حيث أن مهمة الفلسفة والعوم لا تنتهى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هنا تظهر أهمية نظرية المعرفة الإنسانية بالفك المستمر للإلتباس وقد أعطى القرآن أسس نظرية المعرفة الإنسانية أي أسس فك الالتباس بين الحق والباطل حيث أن أسس نظرية المعرفة الإنسانية هي من القرآن)النبوة (وليست من أم الكتاب "الرسالة" "العلماء ورثة الأنبياء."

وبالاستناد إلى نظرية المعرفة في القرآن نجيب على الأسئلة التالية:

- 1ما هي نظرية المعرفة الإنسانية؟

هي فك الالتباس بين الحقيقة الموضوعية والوهم "الحق الباطل" وذلك بإدراك العالم الموضوعي الرحماني "الحقيقة" على ما هو عليه حيث أن وجود الأشياء خارج الوعي هو عين حقيقتها، فالمعرفة الإنسانية تبدأ بالمشخص الجزئي وتنتهي بالمجرد العقلي والذي يسمى بالقوننة "الكلي" وهي التي مكنت الإنسان من تسخير الأشياء لمصلحته فهي عملية انتقال مستمر من عالم الغيب إلى عالم الشهادة.

- 2ما المقصود بموضوعية المعرفة الإنسانية؟

هو أن الصور الموجودة في الأذهان يجب أن تكون مطابقة للأشياء الموجودة في الأعيان "خارج الوعي" حيث أنه ليس من الضروري أن تكون الصور الموجودة في الأذهان مطابقة للأشياء الموجودة في الأعيان وهنا يكمن الإلتباس الأساسي بين الحق والباطل أي بين التصديق والتصور. أي يجب أن تكون التصورات والتصديقات متطابقة فإذا كان لدينا تصور ما عن الحياة ونظرنا إلى الحياة فوجدناها غير ذلك فما علينا إلا أن نعدل هذه التصورات لكي نجعلها مطابقة للتصديقات. وإن مصداقية هذه المطابقة هي في مقدار طواعية هذه الموجودات الإرادة الإنسان وبتعبير آخر هي في مقدار استجابة هذه الموجودات لتكون مسخرة له.

- 3هل العالم الموضوعي خارج الوعي حقيقي أم وهمي؟

لقد وقفت نظرية المعرفة الانعكاسية المادية "التي تقول إن المعرفة الإنسانية تنطلق ن الواقع المادي القائم على

صراع المتناقضات الداخلي "عاجزة عن بيان عنصري التناقض في الدماغ الإنساني وكيف تمت إزالة هذا التناقض. لذا طرحت نظرية المعرفة الإنعكاسية المقولة التالية: إن الدماغ الإنساني تطور معقد جداً للمادة، ولم تستطع تفسير كيف بلغ الإنسان مرحلة التجريد ومرحلة التخيل والابتكار. أما نظرية المعرفة القرآنية التي تلتقي من حيث المنطلق فقط مع النظرية الإنعكاسية المادية، فإنها تقدم التفسير العلمي القادر على الإجابة عن تلك الأسئلة عن طريق طرح مقولة نفخة الروح من الله تعالى "من خارج الكون المادي الثنائي" التي حملت صفة من صفات الله وهي الأحادية التي تتميز بعدم التناقض.

إن هذا الفهم المادي لنظرية المعرفة القرآنية يرد على أوهام ذوي الفهم المثالي للقرآن الذين يرفضون نظرية التطور والارتقاء ويسخرون من نظرية داروين بزعم أنها غير علمية، وحجتهم في ذلك قائمة على التساؤل التالي : لماذا تطور الإنسان من القرد، وبقي القرد قرداً؟! وجوابنا هو أن الله تعالى نفخ الروح في البشر "وهو فصيلة من المملكة الحيوانية. ولو أنه نفخ الروح في فصيلة من المملكة الحيوانية. ولو أنه نفخ الروح في فصائل أخرى لإرتقت أيضاً. إن نفخة الروح هي الحلقة المفقودة في نظرية داروين حول الأنسنة.

وقبل أن ندخل في بحث جدل الإنسان يجب علينا أن نميز بين مصطلحين قرآنيين هامين جداً وهما: مصطلح الرحمن، ومصطلح الشيطان وهما النقيضان اللذان يعملان في الدماغ الإنساني "التصديق والتكذيب، الحقيقة والوهم."

الرحمن:

جاءت لفظة الرحمن في اللسان العربي من "رحم" وهو أصل يدل على الرقة والعطف والرأفة. والرحم علاقة القرابة.

وأضاف القرآن الكريم لها معنى آخر، فالرحم وظيفته التوليد ومن هنا جاء اسم الرحمن على وزن فعلان، لأن النون في الرحمن ليست من أصل الكلمة. ووزن فعلان يفهم في اللسان العربي على أنه وزن ثنائية المتناقضين والزوجين والضدين. وقد كان هذا المعنى جديداً على العرب وذلك في قوله تعالى) :وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً) (الفرقان 60.(

لنأخذ الأمثلة التالية على وزن فعلان:

كسيان ____ عريان

جوعان ____ شبعان

فرقان ____ جمعان)وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان). (الأنفال 41.

تعبان _____ ريحان)فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم) (الواقعة 87-88.(

أنثان ____ ذكران)أتأتون الذكران من العالمين) (الشعراء 165.(

موتان ____ حيوان)وإن الدار الآخرة لهي الحيوان) (العنكبوت 64.(

فاسم الله الرحمن يمثل قوانين الربوبية "السيطرة والاستحكام والتوليد وبالتالي التطور في هذا الكون المادي الثنائي" وهي تعمل بشكل موضوعي، وعيناها أم لم نعها، أي بإخبار منه عنها أو دون ذلك، وهذا واضح في قوله)الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيراً ()الفرقان 59.(

)رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً) (النبأ 37) .(الرحمن على العرش استوى ()طه 5). أي أن كل القوانين المادية الموضوعية القائمة على الثنائيات في هذا الكون والذي يليه، هي قوانين رحمانية مادية، فالله يقضي في هذا الكون من خلال القوانين المادية الموضوعية، والتي سنطلق عليها من الآن فصاعداً ''القوانين الرحمانية" وبما أن القرآن يشرح قوانين هذا الكون واكلون الذي يليه فهو رحماني لذا قال:)الرحمن * علم القرآن) (الرحمن 1-2.(

والقوانين الرحمانية "قوانين الجدل" الخلق ووحدة وصراع المتناقضات في الشيء الواحد وجدل الأزواج في الأشياء عبارة عن قوانين مخزنة في اللوح المحفوظ الذي يشتمل على القوانين العامة الناظمة لهذا الكون، وجدل الأضداد في ظواهر الطبيعة عبارة عن قوانين جزئية متغيرة) ثابت ومتحول (مخزنة في الإمام المبين الذي يحتوي على قوانين التصرف في ظواهر الطبيعة وكذلك السلوك الإنساني بعد حدوثه مخزن في الإمام المبين. ولكي يبين أن اسم الله هو الأساس قال) الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) (السجدة 4) فنقول "الله الرحمن" ولا نقول "الرحمن الله" لذا فعندما ترد لفظة "الرحمن" في القرآن فإنها ترد في هذا المفهوم ولا ترد في مفهوم الرحمة أبداً.

وبما أن الرحمن هو المولد قال)وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) (الأنبياء 26) وقوله:)وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) (مريم 88). وكذلك عن الذكر قال إنه من الرحمن)وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) (الشعراء 5) وقد قلنا إن الذكر هو الصيغة الصوتية المادية للكتاب، وهو الصيغة التعبدية المحدثة، بغض النظر عن فهم المحتوى لذا أعطاها الصيغة الصوتية المادية.

ففي العالم الرحماني لا يوجد "لا معقولات" وإنما هناك عجز العقل الإنساني عن الإدراك في عصر من العصور " "مثال على ذلك الجن والملائكة."

ومن خلال القوانين الرحمانية والتي تعتبر قوانين الجدل "قانون التطور وتغير الصيرورة وقانون الزوجية "التكيف" من أساسياتها ولد هذا الكون وتشيأ أي أصبح أشياء متميزة بعضها عن بعض، وفي هذا الكون لا يوجد شيء اسمه فراغ بدون مادة أي أن ما نقول عنه الآن الفراغ الكوني هو فراغ مادي رحماني لذا قال)خلق السموات والأرض وما بينهما) (السجدة 4) أي أن الفراغ هو شكل من أشكال المادة. هذا الوجود المادي الثنائي أطلق عليه مصطلح كلمات الله "في جوهره" وآيات الله في ظواهره، لذا فإن مفهوم

```
كلام الله في القرآن يعني الوجود المادي و لا يعني أبداً الفكر "لا مبدل لكلماته) .''وتمت كلمة ربك صدقاً
  وعدلاً لا مبدل لكلماته) (الأنعام 115). وإذا أخذنا الآيات التي تقول "ومن آياته .." "تلك آيات الله .."
                 "آيات بينات .." "آية بينة .." رأينا ألها تتكلم عن الظواهر الطبيعية في هذا الوجود كقوله:
                                              ) -وانظر إلى حمارك ولنجعلك آيةً للناس) (البقرة 259.(
                                                   ).49 أنى قد جئتكم بآية من ربكم). (آل عمران 49.(
                                       ) -وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون) (آل عمران 50.(
                                            ) -تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك) (المائدة 114.(
                                                      ) -وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) (الأنعام 25.(
                               ) -أن تبتغى نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآيةٍ) (الأنعام 35.(
    ) - وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن يترل آيةً ولكن أكثرهم لا يعلمون) . (الأنعام
                                                                                              ).37
                                                 ) - وإذا جاءهم آيةٌ قالوا لن نؤمن) .(.. الأنعام 124.(
                                                            ) -هذه ناقةُ الله لكم آيةً) (الأعراف 73.(
                                ) -ويا قوم هذه ناقة الله لكم آيةً فذروها تأكل في أرض الله). (هود 64.(
                                   ) - فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين). (الأنبياء 91.(
                                             ) -إن في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين) (الشعراء 8.(
                                        ) -و جعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل) (الإسراء 12).
                                                 ) -تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) (البقرة 252.(
                                           ) -قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) (آل عمران 118.(
                                            ) -تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) (آل عمران 108.(
                                              )-101 (الإسراء 101. )
                                         ) -ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) (الكهف 57.
                                              ) -إن في السموات والأرض لآياتٍ للمؤمنين) (الجاثية 3.(
                                      ) - وفي خلقكم وما يبث من دابةٍ آيات لقوم يوقنون) . (الجاثية 4. (
     ) -واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتما وتصريف الرياح
                                         آياتٌ لقوم يعقلون) (الجاثية 5). (تلك آيات الله) (الجاثية 6.(
هنا نلاحظ في الآيات 4-5-6 من سورة الجاثية كيف ذكر الآيات في الظواهر الكونية ثم أعقبها في الآية رقم
                                                                          6 بقوله): تلك آيات الله. (
```

وإذا أخذنا الآيات في سورة الإسراء من الآية 23 والتي تبدأ)وقضي ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين

إحسانا .(وتنتهي بالآية رقم 38 بقوله) : كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها . (أعقب هذه الآيات بقوله :) ذلك ثما أوحى إليك ربك من الحكمة) (الإسراء 39). وهي كلها من أم الكتاب وقد أطلق عليها مصطلح الحكمة، لأنما لا تحتوي أحكاماً شرعية أو تعبدية وهي "أخلاق" من الوصايا وهي ليست كلمات الله وليست آيات الله. ولكي يبين ذلك قال في سورة الأحزاب لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم) : واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً) (الأحزاب 54.(

ولا نرى في الكتاب آية من آيات العبادات والأحكام ذكر فيها أنها من آيات الله، فلم يقل عن الصلاة أو الصوم أو الحج تلك آيات الله أو كلماته.

نستنتج الآن أن الرأي الذي يقول إن كلام الله هو أزلي غير مقبول فالوجود هو عين كلام الله وهو مخلوق وغير قديم، ولو كان كلامه أزلياً لأصبح الكون والله واحداً، ولأصبح المسيح ابن الله لأنه كلم منه، وقد شرحت في الباب الأول أن القرآن هو كلام الله وآيات الله والقصص وأن أم الكتاب هي كتاب الله فانظره. لنناقش الآن هل القرآن مخلوق أم أزلي؟ لقد سبق أن طرح الفكر المعتزلي هذا السؤال، والموقف من هذا الطرح بأنه مخلوق أم أزلي له انعكاسات أيديولوجية خطيرة على بنية الدولة والمجتمع والحرية الإنسانية. أولاً: لقد قال المعتزلة بخلق القرآن، وأعتقد بألهم يقصدون القرآن بمفهومه الذي طرحته في كتابي هذا وكانوا لا يقصدون الكتاب كله أي ألهم يقصدون المتشابه ولا يقصدون محكم التنزيل حيث أن القرآن جُعل عربياً وأنزل عربياً، أما أم الكتاب فقد أنزلت عربية فقط دون جعل .

ثانياً: إن كان القصد بالأزلية هو النص القرآني الذي بين أيدينا والذي يتلى تلاوة وهو جزء من الذكر كقوله)والشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها (.. *فهو نص عربي فهذا يعني أن الله عربي ولغته هي العربية وهذا مرفوض وواضح أنه غير صحيح لقوله) :إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون (والجعل هو تغير في صيرورة أي أنه كان غير عربي في صيغة ما، ثم أصبح عربياً وقوله) :إنا أنزلناه قرآناً عربياً (والإنزال هو للإدراك الإنساني وقد تلازم الإنزال والجعل في القرآن.

ثالثاً: إذا كان المقصود بالأزلية هو عين الشمس والقمر والتي هي فعلاً من كلمات الله فأيضاً الشمس والقمر ليستا أزليتين.

رابعاً: إذا كان المقصود بكلام الله الأزلي هو الكلام النفسي "أي أفكار الله" فهذا خطأ لأنه يعني أن لله سبحانه وتعالى كلاماً نفسياً ونقيس الله على الإنسان، علماً بأنه بالنسبة لله سبحانه وتعالى القول والوجود متطابقان تماماً ومتلازمان)قوله الحق) . (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (أي أن التصور والتصديق متلازمان متطابقان عند الله، وهذا هو عين كمال المعرفة .

فعند الله لا يوجد شيء اسمه طموح أي أن نقول بأن الله سبحانه وتعالى "يطمح إلى أن يفعل كذا وكذا" والتشابه بين الله والإنسان هو في أن الله عليم والإنسان متعلم، والله حر والإنسان متحرر، ولقد سمى الله الوجود كلماته، وهذه التسمية دقيقة جداً حيث أننا إذا أخذنا الكلام الإنساني "الأصوات-الكلام" رأيناه صادراً عنه وليس جزءاً منه.

خامساً: بانتصار الفقهاء على المعتزلة تم قصم الفكر الإسلامي العقلاني وأعتقد أنه في هذه النقطة ضاع الفرق بين الكتاب والقرآن وضاع العقل معه وأصبح النقل أساس الإسلام لا العقل، وكانت بداية التدهور الذي وصلنا إليه حتى يومنا هذا حيث أن أزلية الكتاب والذي يحوي)عبس وتولى * أن جاءه الأعمى (.. ولدت المفهوم الجبري المسبق عند العرب والمسلمين وكانت هذه الجبرية المسبقة في الفكر الإسلامي هي النتيجة الأيديولوجية الأولى لانتصار الفقهاء على المعتزلة. هذا لا يعني أن المعتزلة لم يرتكبوا أخطاء في طروحاتهم حيث كانت معظم أفكارهم نتيجة للأرضية المعرفية لعصرهم .

أما الفقهاء فلا نقول إنهم أخطأوا، ولكن نقول إنهم قضوا على دور الفكر الإسلامي الحر العقلاني. وهذه المأساة لا نزال نعيشها حتى يومنا هذا حيث منذ ذلك الوقت أصبحت الجبرية هي العقيدة الرسمية لعامة المسلمين.

سادساً: هذا الوجود المادي الثنائي "الرحماني" مرتبط مع الله الأحادي بقانون صارم هو الحركة "التسبيح"، وقد شرحت التسبيح في القانون الأول للجدل المادي، فلا نرى في الكتاب صيغة "سبح للرحمن" أبداً. سابعاً: في هذا الوجود المادي "الرحماني" ظهرت أسماء الله الحسنى على شكل معان مميزة بعضها عن بعض وعلى شكل ثنائي لذا قال أولاً)ولله الأسماء الحسنى فادعوه بما) (الأعراف 180) وبما أن أسماء الله الحسنى لا تفهم إلا من خلال الوجود المادي الرحماني قال)قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) (الاسراء 110.

ثامناً: من خلال القوانين الرحمانية "والإرادة الإلهية" ولدت الحياة على الأرض ضمن قوانين الجدل المادي "البث" وتطورت وظهر البشر ككائن عضوي حي .لذا قال)الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان) (الرحمن " علم القرآن * خلق الإنسان) (الرحمن الحقيقة الرحمانية، أي أن خلق الإنسان تم من خلال القوانين الرحمانية وقوله)خلق الإنسان .(لبيان مجمل هذه الحقيقة الرحمانية، أما عندما أعطى المراحل التفصيلية لنشوء الإنسان وارتقائه فقد قال: "البشر." تاسعاً: عندما نضج البشر كائناً رحمانياً وأراد الله سبحانه وتعالى أن يجعله خليفة له في الأرض ليخلفه في قوانين الربوبية أولاً، أي في القدرة على التصرف في هذا الوجود المادي، والألوهية ثانياً أي في القدرة على التشريع أعطاه من صفاته الذاتية الأحادية الخالية من التناقض وهي الروح)ونفخت فيه من روحي .(لذا فإن الإنسان فقط مدين لله سبحانه وتعالى في أنسنته وابتعاده عن المملكة الحيوانية ومن هنا جاءت لفظة الدين وهي من دان يدين ومنه جاء الدين والمدينة والمدنية.

>br>الشيطان:

إن لفظة الشيطان في الكتاب هي من المصطلحات المتشابهة، فلهذه الكلمة معنيان متباينان تماماً، ويؤخذ أحد

هذين المعنيين حسب السياق العام للآية التي ورد فيها مصطلح الشيطان. فعندما تأتي لفظة الشيطان من فعل "شطن" تكون النون من أصل الفعل فهو على وزن "فيعال."

وفعل شطن يعني البعد فنقول بئر شطون أي بعيدة القعر، والشطن هو الحبل لأنه بعيد ما بين الطرفين ومنه أيضاً معنى الغرابة. وفي هذا المعنى مصطلح الشيطان هو مصطلح مادي موضوعي له وجود خارج الوعي الإنساني، ولكي نفرقه عن المعنى الآخر للشيطان سنطلق عليه مصطلح "الشيطان الفيعالي" وقد جاء بهذا المعنى في الآيات التالية:

-)وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شيطانهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون) (البقرة
 - 14).الشياطين هنا قد تعني أشخاصاً "زعماء" غير ظاهرين للعيان:
-) -طلعها كأنه رؤوس الشياطين) (الصافات 65). الشياطين هنا تعني شيئاً غريباً بعيداً عما ألفه الناس.
 -) -ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين) (الأنبياء 82.(
 -) -والشياطين كل بناء وغواص) (ص 37.(
 -) -وحفظاً من كل شيطان ماردٍ) (الصافات 7.(
 -) وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً) (النساء 117.
-) -واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) (البقرة 102.(
 -) كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران) (الأنعام 71.(
 -) -إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) (الإسراء 27.
 -) -ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) .(الحج 3.(
 -) -فو ربك لنحشرنهم والشياطين) (مريم 68.(
 -) وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين). (المؤمنون 97. (
 -) -وما تترلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون) (الشعراء 210، 211.
-) -هل أنبئكم على من تترل الشياطين) (الشعراء 221" .(لاحظ كيف استعمل التتريل للدلالة على حركة خارج الوعى الإنساني."
 -) ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) (الملك 5.(
 -) الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) (البقرة 275.(

أما المعنى الثاني للشيطان فهو من "شاط-شيط" هنا النون ليست من أصل الفعل لذا الشيطان في هذه الحالة هو على وزن "فعلان" وشاط تعني ذهاب الشيء وبطلانه كقولنا أشاط السلطان دم فلان أي أبطله، وجاء الشيطان بهذا المعنى للدلالة على الباطل "الوهم" في الفكر الإنساني، وسنطلق عليه مصطلح ''الشيطان الفعلاني .''

أي أن الشيطان الفعلاني هو أحد أطراف العملية الجدلية في الفكر الإنساني الذي يحاول معرفة الحقيقة الموضوعية الرحمانية، لذا وهو الطرف النقيض للرحم الذي هو الطرف الحقيقي وهما العنصران المتناقضان في الفكر الإنساني .وهكذا نلاحظ الخلاف الكبير جداً بين هذين المعنيين للمصطلح الواحد "وهذا هو أحد أشكال التشابه."

لقد ورد الشيطان الفعلاني في الآيات التالية:

-) -يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا) (مريم 44.(
-) -فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلي) (طه 120.
-) -وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) (الحج 52.(
 -) -وكان الشيطان للإنسان خذولاً) (الفرقان 29.(
 -) -وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) (النمل 24.(
 -) -ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً) (النساء 119.(
 -) -وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى ع القوم الظالمين) (الأنعام 68.(
 -) -فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) (النحل 98.(
 -) -وكان الشيطان لربه كفوراً) (الإسراء 27.(
 -) -إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً) (الإسراء 53.
 -) -وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) (الإسراء 64.(
 -) -يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) (مريم 45.(
 -) -إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) (فاطر 6.(
 -) -وما هو بقول شيطان رجيم) (التكوير 25.(
 -) -ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) (الزخرف 36.(
 -) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) (البقرة 36.
 -) يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) (الأعراف 27.

لذا فعلينا أن نفرق وندقق تماماً الشيطان الفيعالي من الشيطان الفعلاني في كل آية ورد فيها ذكر مصطلح الشيطان. وعلى الباحثين المسلمين تدقيق آيات الشيطان مرة أخرى للتفريق بين الشيطانين وبحث ماذا يمثل الشيطان الفيعالي في الحقيقة الموضوعية.

وبما أن الشيطان الفعلاني هو أحد أطراف العملية الجدلية في الفكر الإنساني، فالطرف الآخر في العملية الجدلية هو الرحمن المادي لذا قال) :يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً) (مريم 44) فالشيطان

الفعلاني يمثل الوهم والجانب الوهمي في الفكر الإنساني، والرحمن يمثل الجانب المادي الموضوعي في الفكر الإنساني .

وبما أن الشيطان الفعلاني هو اسم جنس ولكل إنسان شيطانه الخاص فلا يأتي في الكتاب إلا على صيغة المفرد وليس الجمع. وبما أن الشيطان الفيعالي هو وجود مادي خارج الوعي الإنساني فيمكن أن يأتي في صيغة المفرد أو في صيغة الجمع كقوله) :وإذا خلوا إلى شياطينهم (.. وعندما يأتي الشيطان في صيغة الجمع "شياطين" ينصرف معناها إلى الشيطان الفيعالى.

لذا فبالنسبة لما ورد في الكتاب من الأمر بأن نستعيذ بالله من الشيطان عند قراءة القرآن)فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الفعلاني" لأن مهمة فاستعذ بالله من الشيطان الفعلاني" لأن مهمة الشيطان الفعلاني تحويل قراءة "فهم" القرآن من قراءة مادية "رحمانية" إلى قراءة مثالية "شيطانية." بعد هذا التمهيد الذي قدمناه لموضوع جدل الإنسان ننتقل الآن إلى شرح عناصر المعرفة الإنسانية:

الفرع الأول: عناصر المعرفة الإنسانية

- 1 الحق و الباطل
- 2الغيب والشهادة
- 3السمع والبصر والفؤاد
 - 4القلب
 - 5العقل والفكر
 - 6البشر والإنسان

-1 الحق والباطل:

الحق: لقد عرفنا الحق في الباب الأول)الذكر (بأنه الوجود الموضوعي المادي خارج الوعي الإنساني. وقد عبر القرآن عن هذا المعنى بقوله) :وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً ... الآية) (يوسف القرآن عن الحق بمصطلحين الأول هو "الله" حيث عبر عن الله بأنه وجود موضوعي خارج الفكر الإنساني وليس من نتاج الفكر الإنساني بقوله :

-)-ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) (الحج 62.(
 -) ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير) (الحج 6.(

لقد عبر القرآن عن الوجود الإلهي بأنه وجود موضوعي حقيقي خارج الوعي الإنساني ولكن هذا الوجود ليس مثل وجود الأشياء) ليس كمثله شيء) (الشورى 11) حيث إن الأشياء ينطبق عليها القانون الأول والثانى للجدل فتتغير وتتطور طبقاً للقانون الأول ولها علاقات تأثير وتأثر متبادل طبقاً للقانون الثانى، وقد

سبحت الأشياء لله تعالى تسبيح وجود "نزهته" عن أن يكون مثلها فيفسد ويهلك. وبما أن قانون الثنائية ينطبق على الأشياء كلها، فقد عبر القرآن عن الوجود الإلهي بالصفات التالية:

- -1لا ينطبق عليه قانون 1، 2 للجدل)ليس كمثله شيء) (الشورى 11.(
 - -2بأنه أحادي غير ثنائي في كيفه) .قل هو الله أحد) (الإخلاص 1.(
 - -3بأنه واحد في كمه) .أنما إلهكم إله واحد) (الكهف 110.
- -4عدم التناقض حيث أن الوجود الموضوعي الأحادي لا يحتوي على التناقضات في ذاته وبالتالي غير قابل للفساد والتغير "الهلاك).''كل شيء هالك إلا وجهه) (القصص 88.(
- 5لا تنطبق عليه معادلة الزمان حيث أن الزمان والمكان بمفهومه الحالي هو من صفات المادة الثنائية المتغيرة)هو الأول والآخر والظاهر والباطن) (الحديد 3.(

حيث وضع واو العطف بين الأول والآخر، وبين الظاهر والباطن وإذا استعرضنا الكتاب فلا نرى أسماء الله الحسنى معطوفة على بعضها إلا في هذه الآية وذلك للدلالة على عدم انطباق معادلة الزمان على الله. لذا فإن الإلحاد من وجهة نظر القرآن هو من نتاج الفكر الإنساني وهو موقف مثالي بحت.

أما المصطلح الثاني للحق: فهو كلمات الله والتي هي عين الموجودات المخلوقة)قوله الحق) (الأنعام 73. () ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون). (يس 82). ولكي يعبر عن أن الوجود المادي الكوني خارج الوعي الإنساني "الأشياء" عبارة عن حقيقة وليست تصورات قال): وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل) (الحجر 85). (خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون) (النحل 3. (

هنا بين بشكل واضح أن السموات والأرض وما بينهما مخلوقات موضوعية لها وجود خارج الوعي وليست تصوراً، لذا استعمل الحق مع حرف الجر "الباء" "بالحق" الأي ألها مخلوقة بكلماته."

لذا فنحن المسلمين نعتقد بوجود حقيقي لله وبوجود لكلماته التي هي عين الموجودات وكلاهما خارج الوعي الإنساني.

أما عندما استعمل كلمة الحق في أم الكتاب كقوله) :ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) (الأنعام 151). أو قوله)الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) (الحج 40) هنا استعمل كلمة الحق لارتباطها بمفهومين أساسيين بالحقيقة، وقد عبر عن هذين المفهومين في سورة الأنعام) .وتحت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته) (الأنعام 115.

فالصدق والعدالة لا تكونان إلا من خلال الموجودات الحقيقية فلا صدق وهمياً ولا عدالة وهمية، فالعدالة لا تتحقق إلا إذا جاءت منسجمة لا متعارضة مع قوانين الوجود، والصدق لا يكون في أوهام بل في موجودات "كلمات". لذا قال بعد فتح مكة)وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) (الإسراء 81). ولم

يقل قل جاء الصواب وذهب الخطأ.

-الباطل: لقد استعمل القرآن مصطلح الباطل للدلالة على الوهم والتصور الوهمي فعبادة العرب للأصنام قبل الإسلام لا تعتبر موقفاً خاطئاً بل موقفاً باطلاً "مثالياً" أي ألهم تصورا بأن الأصنام تضر وتنفع موضوعياً، ولكنها موضوعياً ليست أكثر من أحجار، وهذا شأن كل موقف فيه شرك فهو موقف باطل "مثالي". ولكي يؤكد بطرح بمعاكس بأن السموات والأرض حقيقة لا وهم قال) :وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً) (ص 27) . (ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته .. الآية) (الشورى 24) . (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار) (آل عمران 191.(

وعندما استعمل الباطل بمفهوم الحلال والحرام في السلوك الإنساني استعمله بنفس المفهوم في قوله) :إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل) .(التوبة 34) .(وأكلهم أموال الناس بالباطل) (النساء 16) هنا استعمل الباطل لأن الأحبار والرهبان يزرعون في أذهان الناس تصورات وهمية كأنهم وسطاء في المغفرة من الله ووسطاء في التقرب من الله ويأخذون أموال الناس انطلاقاً من هذه التصورات لذا قال "بالباطل."

لذا نستنتج مما ذكر أن الوجود الموضوعي المادي خارج الوعي هو وجود حقيقي لا وهمي "تصوري" وهذا الوجود سبق في وجوده وجود الإنسان كائناً حياً عاقلاً لذا نقول إن التصديق سابق التصور أي أن الموجودات سبقت في وجودها وجود الإنسان وأن المعرفة الإنسانية هي معرفة هذا الوجود على ما هو عليه . فهنا تقسم المعرفة الإنسانية إلى قسمين:

أ - معرفة الموجودات "الوجود المادي الثنائي" الأشياء.

ب - معرفة الله من خلال كلماته وآياته. فكلما زادت معرف الإنسان بالموجودات "كلمات الله وآياته-العالم الرحماني" زادت معرفته بالله ن خلال أسمائه الحسني "السمات.''

-2الغيب والشهادة:

الغيب في اللسان العربي من "غيب" وهي أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون ثم يقاس عليه. والشهادة في اللسان العربي من "شهد" وهو أصل يدل على حضور وعلم، والمشهد محضر الناس. إن مفهوم الغيب والشهادة كما ورد في الكتاب هو مفهوم مادي بحت فالغيب لا يعني في الكتاب كما يقال في المصطلح الفلسفي ما وراء الطبيعة، ففي معنى حصول حدث ما أثناء غياب الشخص المعني قال تعالى حول امرأة العزيز)ذلك ليعلم أين لم أخنه بالغيب) (يوسف 52). وجاءت في المعنى المباشر لغياب شيء محدد ما في قوله) .وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) (النمل 20). وعندما ألمى جزءاً من قصة نوح في سورة هود قال تعالى)تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا

فاصبر إن العاقبة للمتقين). (هود 49.(

لقد كانت أحداث قصة نوح بالنسبة لقومه من الشهادة وليست من الغيب، وعندما أخبر الله بما النبي صلى الله عليه وسلم قال عنها إلها من أنباء الغيب لألها كانت غيباً بالنسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولقومه، وقوله أيضاً من مريم واصطفائها) .ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) (آل عمران 44). ولكي يبين أن حدث مريم لم يكن شهادة للنبي صلى الله عليه وسلم فيقول) وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم.(

وعندما أخبر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم، بعض أحداث نوح ومريم على ألها غيب دخلت في معلومات النبي صلى الله عليه وسلم وفي معلوماتنا نحن وأصبحت من المدركات ولو ألها غابت عنا ولكي يبين أن القصص كله غيب بالنسبة للنبي، وشهادة لله مع أنه أحداث مادية وإنسانية قال)فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) (الأعراف 7) ولكي يؤكد أن الغيب هو أشياء وأحداث مادية قال): وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) (النمل 75) و)إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور . ()فاطر 38) و):قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (الأعراف 188.

إن الدول تحاول تطبيق هذه الآية "أي الآية 188 من سورة الأعراف" بكل إمكانياها، فإذا سألنا الدول عن سبب الأقمار الصناعية والتصوير الفضائي وإرسال الجواسيس وصرف مليارات الدولارات على هذه المشاريع لجاءنا الجواب بشقين اثنين:

-الأول: هو معرفة ما تبيته الدول بعضها لبعض واستكشاف الكوارث الطبيعية وذلكم من باب درء الأذى هو شق الآية)وما مسني السوء .(فعندما يعرف الإنسان ما يبيته له الآخرون فإنه يتخذ الاحتياطات اللازمة لدرء الأذى.

-الثاني: هو استكشاف خيرات الأرض واستثمارها وعقد الصفقات التجارية التي تؤدي إلى ربح وهذا ما يسمى بدراسة الجدوى الاقتصادية وهذا هو شق الآية)لاستكثرت من الخير .(فالغيب أشياء وأحداث مادية موجودة، أو حصلت ولكنها غابت عن بعض الناس أو عن كل الناس ولكنها ليست في ما وراء الطبيعة وقابلة للإدراك. فهناك في القرآن آيات الجنة والنار والبعث والحساب والساعة وكلها من الغيبيات ولكنها في عالم المادة وقابلة للإدراك. لذا قال عن بداية الكتاب)ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (البقرة 2.() الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (البقرة 3) وبما أن الله كامل المعرفة فلا يوجد بالنسبة له أشياء موجودة أو أحداث حصلت لا يعرفها لذا قال عن نفسه عالم الغيب والشهادة في قوله)عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) .(الرعد 9). وقال) :عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) (الخشر 22).

ولكي يؤكد أن عالم الغيب هو من عالم الرحمانيات المادي قال) :من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب .(الله عنه على الله عنه الله الله الله الله الله عنه الله عنه الله الله عنه ا

والآن يمكن لنا أن نعرف الغيب كالتالي:

-الغيب: هو وجود الأشياء مادية أو أحداث طبيعية أو إنسانية غابت عن المعرفة الإنسانية الحضورية أو العقلية غياباً جزئياً أو كلياً.

فالغيب الجزئي: هو أشياء أو أحداث مادية أو إنسانية "كالقصص" شهدها ''وعرفها" أناس وغابت عن غيرهم شهوداً ومعرفة، وهناك الآن أشياء كثيرة في العالم يعرفها البعض وغابت عن البعض الآخر وهذا النوع من الغيب متحول غير ثابت، وهو غير أبدي، لأن ما عرفه البعض اليوم وهو غيب للآخرين قد يعرفه الآخرون غداً.

الغيب الكلي: هو أشياء أو أحداث مادية لا يعرفها أحد إلا الله، وهذا الغيب هو غيب نسبي لأن ما تجهله الإنسانية اليوم قد تعرفه غداً. هنا وضعت الإنسانية ككل لأنه إذا عرف شخص واحد شيئاً ما أو حدثاً ما فهذا الشيء وهذا الحدث لا يدخل في الغيب الكلي.

فالغيب الكلي والجزئي متحرك دائماً باتجاه المعرفة وبالتالي باتجاه التقلص، وقد غداً هذا الأمر واضحاً بعد التقدم الذي حصل في ميدان المعلومات والتقدم الهائل في انتقال المعلومات من مكان إلى مكان آخر. أما ما اختص به الله سبحانه وتعالى فهو "مفاتيح الغيب" وهي مجموعة م القوانين إذا عرفها الإنسان أصبح مؤهلاً لأن يكون كامل المعرفة والتي لا يطلع عليها إلا من ارتضى من "رسول" حيث قال)عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) (الجن 26). ثم أتبعها بقوله) :إلا من ارتضى من سول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) (الجن 26).

أما الشهادة فمن المعنى اللغوي الذي هو الحضور والعلم يتبين ألها إما المعرفة الحسية المباشرة "الحضورية" الآتية عن عن طريق الحواس مباشرة، أو عن طريق السمع فقط، والتي تسمى "المعرفة الخبرية" وإما المعرفة الآتية عن طريق الاستنتاج العقلي والتي هي المعرفة النظرية. لذا قال عن اليوم الآخر)ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) (هود 103). وهنا)يوم مشهود (تعني الحضور المباشر للناس في هذا اليوم، لا المعرفة النظرية فقط.

-3السمع والبصر والفؤاد:

لقد جاءت الألفاظ الثلاثة "السمع والبصر والفؤاد" مجتمعة في عدة أماكن في الكتاب كقوله تعالى:) -ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) (الإسراء 36.(

-) -والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ()النحل 78.(
 -) -قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) (الملك 23.(
 -) -ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفندة قليلاً ما تشكرون) (السجدة 9. (نلاحظ في هذه الآية كيف ربط بين السمع والبصر والفؤاد فالسمع هو وظيفة لعضو هو الأذن، والبصر وظيفة لعضو هو العين، وفي اللسان العربي لا تعطف إلا الصفات بعضها على بعضها أو الموصوفات بعضها على بعض. ففي عطف الموصوفات قال) :ألم نجعل له عينين * ولساناً وشفتين * وهديناه النجدين) (البلد 8، 9، 10. (

هنا نلاحظ في الآيات الثلاث من سورة البلد كيف ذك الأعضاء فبدأ بالعينين ثم تلا ذلك اللسان والشفتين ولم يقل بصراً ولساناً أو بصراً وشفتين، وهنا تأتي النتيجة المباشرة بأن النجدين هما أعضاء وهنا بمعنى الثديين. يدلك على هذا وضع النجوم بين الآيات الثلاث إذ لم يضعها في آية واحدة لتبيان اختلاف الوظائف لهذه الأعضاء.

وبما أن السمع والبصر هما وظائف لأعضاء، وبما أنه عطف الفؤاد عليهما نستنتج أن الفؤاد وظيفة لعضو وليس عضواً، فالفؤاد هو الإدراك الناتج عن طريق الحواس مباشرة وعلى رأس هذه الحواس السمع والبصر لأن التفكير الإنساني بدأ بهما أي الإدراك المشخص بحاستي السمع والبصر. وهو المقدمات المادية للفكر الإنساني. لذا قال عندما رمت أم موسى ولدها في اليم بيديها ورأت ذلك بأم عينيها)وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) (القصص 10). أي أن المقدمات الحسية عند أم موسى جعلتها في وضع حيواني انعكاسي غير قادرة على التفكير فعندما يتعدى إنسان على قطط صغار فإن تصرف الأم يأتي مباشرة وتبدي استياءها مباشرة وتبدأ بالدفاع عن أطفالها لذا أتبعها بقوله) إن كادت لتبدي به.(

وكذلك قوله عن تتريل القرآن مرتلاً) .وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرآن جملةً واحدةً كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً) .(الفرقان 32). هنا ذكر الفؤاد في مجال التتريل هو تبليغ القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم بشكل مباشر عن طريق الوحي حيث أن القرآن لم يأت للنبي صلى الله عليه وسلم عن طريق السمع والبصر لكي يتثبت الإنسان ما سمع وما أبصر، ولو جاءه دفعة واحدة لوقع فيه الشك بين الوهم والحقيقة. علماً بأن بداية الوحي كانت بداية فؤادية بحتة حيث جاءه جبريل صوتاً وصورةً وعله)اقرأ باسم ربك الذي خلق) (العلق 1) ولو بدأ الوحي بداية مجردة لما صدق النبي صلى الله عليه وسلم ذلك. وهذه ناحية مهمة جداً لنا نحن المسلمين بأن بداية الوحي كانت بداية فؤادية لها علاقة مباشرة بالسمع والبصر حيث جاءه جبريل مشخصاً .

وكذلك نفهم شروط الشهادة التي يجب أن يؤديها الإنسان. فحتى لا تكون الشهادة شهادة زور يجب أن

تكون شهادة فؤادية أي معلومات معتمدة على السمع والبصر مباشرة. أما إذا كانت غير ذلك كالرأي الاستنتاجي أو الاستقرائي فتسمى خبرة وليست شهادة. ومن الآية رقم "78" من سورة النحل نستنتج أن الإنسان يولد خالياً من كل المعلومات، أي أن المعلومات المخزنة عنده تساوي الصفر، والحواس وعلى رأسها "السمع والبصر" هي مصدر بداية المعلومات، فالفؤاد "الإدراك المشخص" يعتبر المقدمات المادية للفكر الإنساني المجرد .أي أن الفؤاد يعتبر المرحلة الأولى من مراحل التفكير الإنساني - وهو القاسم المشترك بين أهل الأرض جميعاً عالمهم وجاهلهم - ذكيهم وغبيهم. "انظر فرع نشأة الفكرة وارتباطه باللغة". وهكذا نفهم لماذا يعتبر التلفزيون أهم وسيلة للإعلام ظهرت في العالم .. لأنه مصدر معلومات فؤادي يعتمد على السمع والبصر "صوت وصورة" ولأنه جذب معظم أهل الأرض ودخل في حياقهم.

وهنا نفهم قوله تعالى) :ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء .. الآية) .(البقرة 255). هنا ربط المشيئة بحرف الجر "الباء" بقوله "بما شاء" وهذا يعني أن المعلومات التي يحيط بما الإنسان تأتي بالوساطة التي أرادها الله وهي السمع والبصر والفؤاد. وأيضاً ربط الفؤاد بالسمع والبصر لكي يميز بداية التفكير الإنساني عن البهائم، فالبهائم لها سمع وبصر وفؤاد انعكاسي ولكنها دون فؤاد إنساني. وقد أعطى الكتاب معنى قياسياً للفؤاد حيث هو في اللسان العربي من "فأد" وهو أصل صحيح يدل على هي وشدة حرارة ومن ذلك فأدت اللحم أي شويته. وقد سمي بذلك الفؤاد لأنه مقدمات أو هو المرحلة الأولية من مراحل الفكر الإنساني، وقد أعطى القرآن هذا المعنى على أنه معنى حمول على المعنى الأول حيث أن الفؤاد هو بمثابة الصاعق "المحرض" أو مرحلة الإقلاع للفكر الإنساني.

-4القلب:

لقد جاء القلب في اللسان العربي من "قلب" والقاف واللام والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على خالص شيء وشريفه، والآخر على رد شيء من جهة إلى جهة، والأول القلب قلب الإنسان وغيره سمي قلباً لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه، وخالص كل شيء وأشرفه قلبه.

لنر الآن كيف استعمل الكتاب هذا المصطلح. فما هو أخلص شيء وأشرفه في الإنسان؟ ويا ترى أي عضو من أعضاء الإنسان أطلق عليه الكتاب مصطلح القلب؟

لقد أطرق الكتاب مصطلح القلب على عضو يعتبر من أنبل الأعضاء في جسم الإنسان، هذا العضو هو المخ وهو أنبل الأعضاء لدى الإنسان لذا سمي بالقلب وقلب المخ هو القشرة الخارجية حيث هي أنبل جزء فيه "مركز الفكر والإرادة "وفي هذه الحالة يزول التعجب حيث أن الكتاب ذكر من أعضاء الإنسان اليدين والأرجل والجلود والحناجر والأذن والعين واللسان والشفة والأمعاء والقلب فكيف لم يذكر المخ وهو أنبل الأعضاء قاطبة؟

وإذا استعرضنا آيات الكتاب رأينا أنه ذكر المخ صراحة على أنه القلب وذلك في قوله) :أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الطرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها أولئك كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) (الأعراف 179) والإنسان يتميز عن الأنعام بالقشرة الخارجية للمخ.

نلاحظ في الآيتين "46" من سورة الحج و"19" من سورة الأعراف أن القلب ليس العضلة التي تضخ الدم حيث وضع الصفات والموصفات التالية:

- " -1آذان يسمعون بما "الأذن عضو والسمع وظيفة الأذن.
- " -2أعين لا يبصرون بما "العين عضو والبصر وظيفة العين.
- " -3آذان لا يسمعون كما "الأذن عضو والسمع وظيفة الأذن.

قد يسأل سائل لماذا لم يذك المخ صراحة؟ فالجواب أنه في سورة الأعراف ذكر الجن والإنس وذكر القلب على أنه عضو التفقه، والقلب هو أنبل وأشرف عضو في المخلوق وهو المخ عند الإنسان وليس من الضروري أنه المخ عند الجن لأن الجن مخلوقات عاقلة من نوع آخر فكان القلب الذي هو أنبل عضو بغض النظر عن اسمه الفيزيولوجي تحديداً هو قاسم مشترك بين الإنس والجن.

وقد ذكر الزمخشري في "الكشاف م3 ص167" "أن القلوب مراكز العقول.''

لقد ذكر الكتاب للقلوب فعلان الأول يعقلون بها والثاني يفقهون بها وهما فعلان متغايران. فالفقه جاء من "فقه" ويدل على إدراك الشيء والعلم به وكل علم بشيء فهو فقه ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام فقيه، وأفقهتك الشيء إذا بينته لك. فيهمنا هنا المعنى الأساسي وهو العلم بالشيء بكامل تفاصيله حيث سمي فيما بعد العلم بالحلال والحرام ''الفقه"، علماً بأنه يحتوي على تفاصيل دقيقة ظرفية وعينية. أما قوله) : فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) . (الحج 46). فهنا الصدور لا تعني صدر الإنسان الذي يحتوي على العضلة القلبية وقد شرحت في الباب الأول مفهوم الصد كقوله)الذي يوسوس في صدور الناس 5.(

وتعني الناس الذين يشغلون مواقع الصدارة في المجتمع، وقوله)بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، العلم) (العنكبوت 49) هنا أيضاً الناس الذين يشغلون مراكز الصدارة بين العلماء أي الراسخون في العلم، فالصد هنا أبرز شيء في الإنسان وهو الرأس الذي يحتل مركز الصدارة بين أجزاء الإنسان. والصدر في اللسان العربي له أصلان صحيحان "أحدهما يدل على خلاف الورد "والآخر صدر الإنسان

[&]quot; -4قلوب يعقلون بما "القلب عضو والعقل وظيفة القلب "وهنا هو المخ الإنساني"

[&]quot; -5قلوب لا يفقهون كما "القلب عضو والفقه وظيفة القلب

وغيره، والصدار ثوب يغطي الرأس والصدر. ففي معنى الرأس قوله تعالى) :القلوب التي في الصدور .(وفي معنى الصدر جاء في قوله تعالى) :ألم نشرح لك صدرك) (الإنشراح 1). وهنا لا تعني المعنى الفيزيولوجي المباشر لشق الصدر "عملية جراحية" ولكن لها معنى محمول وهو التشجيع والراحة في الإقدام على عمل ما كقوله)رب اشرح لي صدري) (طه 25.(

أما في معنى الصدر عكس الورود فقد جاءت في قوله تعالى)يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم () الزلزلة) وفي قوله تعالى) :قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء) (القصص 23.(

الآن إذا رتلنا آيات الكتاب التي تحوي على القلب فإننا نراها لا تخرج عن هذا المعنى:

) - 1ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) (آل عمران 159). هنا ذك ناحيتين مهمتين في الإنسان: الناحية الأولى الفظاظة في الطبع وهي سلوكية، وغلاظة القلب وهي التي نقول عنها الآن "بلادة الذهن أو الغباء .STUPID "فالنبي صلى الله عليه وسلم كان فطناً حيث أن الفطنة من صفات النبوة.) - 2إلا من أتى الله بقلب سليم) (الشعراء 89) .(وإن من شيعته لإبراهيم * إذ جاء ربه بقلب سليم)الصافات 83، 84). هنا القلب السليم تعني سلامة التفكير ونضجه، وقد ذكر هذا عن إبراهيم في مكان آخر في قوله)ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) (الأنبياء 51.(

وقد عبر أيضاً عن القلب السليم في قصة تكسير إبراهيم للأصنام بقوله) :فاسألوهم إن كانوا ينطقون (الشعراء 63). وقوله) :قال هل يسمعونكم إذ تدعون) (الشعراء 72) .(أو ينفعونكم أو يضرون) (الشعراء 73). وكذلك إخباره عن سلامة تفكير إبراهيم) .وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم بتؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) (البقرة 260) هنا أعطانا رأس المنهج العلمي السليم الذي بدونه لا يمكن أن يتقدم العلم وهو منهج الشك للوصول إلى اليقين. ومنهج التجربة العلمية "الاختبار" لمطابقة الحقيقة الموضوعية مع المقدمات والنتائج النظرية .

فالعلماء الآن يضعون النظيات العلمية، ويعلمون ألها مترابطة منطقياً، ومع ذلك فإلهم يخضعولها للتجربة العملية لمطابقة النظري مع الواقع العلمي وهذا هو أكبر اختبار لأية نظرية، وهذا ما فعله إبراهيم تماماً، إذ أراد أن يخضع نظرية البعث وإحياء الموتى للتجربة العملية مع أنه واثق منها لذا قال)بلى ولكن ليطمئن قلبي (فكان إبراهيم بهذا إماماً للناس في قوله) :وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلماتٍ فأتمنهن قال إبي جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) (البقرة 124.

هنا نلاحظ قوله) :إني جاعلك للناس إماماً .(ولم يقل "إني جاعلك للمتقين إماماً" فإبراهيم هو إمام الناس المؤمن منهم والكافر ولا يمكن أن يكون إمامهم إلا بالمنهج العلمي السليم لذا قال) :إذ جاء ربه بقلب سليم ()الصافات 84). وهنا يجب أن لا نفهم الإمامية بالتقوى لأن المتقين هم من الناس ولكن ليس كل الناس من المتقين. وقد أكد ذلك بقوله) :وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات (وقد قلنا إن الكلمات هي عين الموجودات

- وقوانينها وليست صلاة أو صوماً أو أخلاقاً فاضلة.
-) 3قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك) (البقرة 97) .(نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون ن المنذرين) (الشعراء 193-194) لقد كان الكتاب يوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحياً مجرداً بوساطة جبريل وكان يغيب عن الوعي ويصحو، فإذا بالآيات الموحاة منقوشة "مسجلة" في دماغه لذا قال :)نزله على قلبك) (البقرة 97). وقال) :على قلبك لتكون من المنذرين.(
 -) 4أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك) (الشورى 24). والافتراء هو نشاط فكري بحت ويجري في المخ، لذا علق على الافتراء بقوله) :إن يشأ الله يختم على قلبك .(ففي هذه الحالة يصبح المخ عاجزاً عن التفكير، وكذلك في قوله) :فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) (المنافقون 3.() 5ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) (البقرة
 - 204). القول هو من نشاط الفكر وقد قلنا: إن الكلام حين يتحول إلى معنى في الذهن يصبح قولاً، وهذه الآية تصف المنافقين) :يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) (الفتح 11). فالإنسان عندما يقول شيئاً ويضمر شيئاً آخر فإنه يضمره في دماغه لا في العضلة التي تضخ الدم.
- ثم إنه لو كان يقصد بالقلب العضلة التي تضخ الدم فإن الحيوانات العليا كالقردة لها عضلة قلبية كعضلتنا تماماً ولكن دماغها ليس كدماغنا أي أنها لا تملك نشاطاً فكرياً. وكل شيء قاله القلب في الكتاب يتعلق بالنشاط الفكري الذي يميز الإنسان عن بقية الحيوانات.
-) 6أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (محمد 24). إن التدبر صفة إنسانية والقرآن بحاجة إلى تدبر لذا أتبع تدبر القرآن بقوله): أم على قلوب أقفالها .(هذا الإصلاح الذي نقول عنه الآن مخ مغلق أو مقفل (Closed Mind)
 -) 7تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) (الحشر 14). ففي قوله) :وقلوبهم شتى .(يذكر الخلافات الفكرية بين اليهود.
 -) 8فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) (الصف 5) .(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب) (آل عمران 8.(
 - فالزيغ تعني النقص وهو عكس الطغيان "الزيادة" كقوله) :ما زاغ البصر وما طغى) .(النجم 17) وهو الانحراف لذا قال) :فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم .(أي أصبح تفكيرهم منحرفاً.
 -) 9ثم قست قلوبكم . (عن بني اسرائيل تعني ألهم تحجروا في تفكيرهم من بعد موسى، ولا تعني "قست قلوبكم" أي حصل معهم تصلب في الشرايين.
 -) 10لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم) .(البقرة 225.
 - هنا يذكر الله أن المؤاخذة عن الإيمان والأعمال التي يقوم بما الإنسان عمداً وعن وعي لما يعمل، ولذا قال:

)ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم. (

وهذا المعنى جاء أيضاً في قوله تعالى) :ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وكان الله غفوراً رحيماً ()الأحزاب 5.(

هنا أيضاً وضح الأعمال المقصودة عن وعي وإدراك حيث عبر عنها بقوله) :ما تعمدت قلوبكم (وقد عبر عن الحالة غير المقصود بقوله) :فيما أخطأتم .(والخطأ والعمد ما هما إلا نشاطان فكريان.

) - 11يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكحان الله بما تعملون بصيرا) (الأحزاب 9) .(إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) .(الأحزاب 10.(

عندما ينتاب الإنسان الخوف ويظن أن الذي اعتمد عليه قد سحب تأييده، وفي هذه الحالة "المعتمد عليه هو الله" لذا قال) :وتظنون بالله الظنونا .(في هذه الحالة)بلغت القلوب الحناجر .(تعني ما يلي: الحنجرة هي جهاز الصوت "الكلام" والقلب هو جهاز الفكر والعقل. أي يبدأ الإنسان بالتعبير صراحة وجهراً عن شكوكه واستيائه.

لذا عندما قال) : وبلغت القلوب الحناجر . (أتبعها بقوله) : وتظنون بالله الظنونا. (

كذلك نفهم أيضاً قوله تعالى) :وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) (غافر 18.(

حيث أنه في يوم الحساب)يوم الأزفة . (كل شيء موجود في القلب "في المخ" يصبح على اللسان) . إذ القلوب لدى الحناجر . (ولا يوجد أي شيء يمكن أن يخفيه الإنسان مع أنه لا يرغب بإبدائه لذا قال) : كاظمين (والكاظمون لها أصل واحد وهو "الإمساك والجمع لشيء.''

وهذا المصطلح ما زال شائعاً حتى يومنا هذا إذ نقول أن زيداً من الناس لا يخفي شيئاً، ما في قلبه على لسانه.) - 12إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) (التوبة 60.(

يحدد هنا مصارف الصدقات، ويذكر أن نوعاً من المستفيدين منها هم مجموعة من الناس سماهم "والمؤلفة قلوبهم"، هؤلاء الناس الذين لهم جاه معين أو من الذين يتصفون بالحكمة ورجاحة العقل والدين يؤدون دوراً في إقناع الناس الآخرين بتأييدهم لفكرة أو قضية ما وعدم الوقوف ضدها.

) - 13وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين () القصص 10.(

لقد قلنا في بحث الفؤاد. إن الفؤاد هو الإدراك المشخص المرتبط بالحواس مباشرة وعلى رأسها السمع والبصر

وهو القاسم المشترك بين أهل الأرض جميعاً الذين يملكون حواساً، لذا عندما ألقت أم موسى ولدها في اليم على مرأى ومسمع منها فرغ إدراكها الفؤادي أي كادت تخضع لرد الفعل الانعكاسي البهيمي أي تسلك سلوكاً بهيمياً كما تسلك البهائم عند فقدان أولادها وذلك بأن تصوت وتصرخ وتجلب الانتباه إليها لذا أتبعها بقوله) :إن كادت لتبدي به .(ولكن لكي يثبتها ويجعل عقلها يسيطر عليها وتسلك سلوك انسان رابط الجأش صابر قال) :لولا أن ربطنا على قلبها (ومركز الإدارة في القلب.

) - 14ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) (الحج 32). هذه الآية تتكلم عن شعائر الحج، وشعائر الحج طقوس تعبدية لذا ذكر فيها التقوى التقوى جاءت من فعل "وقى" وهي تدل على دفع شيء عن شيء بغيره، والوقاية: ما يقي الشيء، واتق الله "توقه"، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية. ومنه جاء الطب الوقائي وهو إجراءات يقوم بها الإنسان ليدفع عن نفسه المرض وكذلك تعظيم شعائر الله هو من إجراءات الوقاية الواعية العاقلة التي يقوم بها الإنسان لذا قال): من تقوى القلوب. (

هنا أيضاً نذكر قوله تعالى:

)الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (الرعد 28.(

فحتى يطمئن تفكير الإنسان بذكر الله يجب عليه أولاً أن يكون مؤمناً لذا بدأ الآية بقوله) :الذين آمنوا . (والاطمئنان بذكر الله هو الاتباع الواعي لأوامر الله الواردة في الكتاب وعلى رأسها الوصايا، هذا الاتباع الواعي هو الذي يولد الاطمئنان، لذا أتبعها) .وتطمئن قلوهم بذكر الله .(وعندما ذكر الوصايا الخمس الأولى من الفرقان قال) :ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) (الأنعام 151). والمصطلح الحديث لاطمئنان القلب ما يسمى "براحة البال.(peace of mind)

) - 15وسنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) (آل عمران 151.(

)إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) .(الأنفال 12.(

إن الرعب في اللسان العربي له ثلاثة أصول "الخوف، والملء، والقطع". فهنا المعنى الأول وهو "الخوف" والثالث وهو "القطع" كقولنا للشيء المقطع: مرعب، فهنا الرعب هو الخوف واختلاف الرأي وهذه من صفات القلوب.

-) 16ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين) (الحجر 10.(
-)وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) (الحجر 11.(
 -)كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) (الحجر 12.(
 -)لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين) (الحجر 13.(

)ولو نزلناه على بعض الأعجمين) (الشعراء 198.(

)فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) (الشعراء 199.(

كذلك سلكناه في قلوب المجرمين) (الشعراء 200.(

)لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) (الشعراء 201.

يذكر القرآن هنا أن المجرمين يصرون على أنه مجموعة الأساطير القديمة لذا تكلم عن شيع الأولين علماً بأن طريقة النبوات والمعجزات للأولين قد خلت، وأن هذه المعجزات جديدة هي للآخرين وليست للأولين.

) - 17ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفهِ) (الأحزاب 4.(

هنا يتكلم عن جوف الرأس "الجمجمة" الذي يحتوي على دماغ واحد مهما كانت التشوهات الخلقية لأنه لو كان هناك دماغان لجسد واحد لأصبح هذا المخلوق اثنين وليس بواحد. لأن الذي يحدد شخصية الإنسان دماغه وليس العضلة القلبية أو بقية الأعضاء.

نخلص إذاً إلى أن الآيات الواردة في الكتاب والمذكور فيها "القلب" تعني أشرف وأنبل عضو في الإنسان وهو الدماغ وهو عضو التعقل كما أن العين هي عضو البصر والأذن عضو السمع، وهذا ما نراه في الطب الحديث إذ أن القلب الذي يضخ الدم يمكن أن ينتقل من إنسان إلى آخر دون أن يؤثر على شخصية الآخر ولكن إذا انتقل دماغ زيد إلى جوف رأس عمرو "جوف الجمجمة" فإن عمراً سيصبح زيداً. ولكي نميز القلب الذي يعقل عن القلب الذي يعقل عن القلب الذي يعقل عن الله عن الذي يعقل و "العضلة القلبية" عن الذي يضخ الدم. ونحن نعلم الآن أن العضلة القلبية والدماغ هما الأعضاء النبيلة في الإنسان، والدماغ أنبلها حيث أن الموت يتحدد بتوقف الدماغ عن العمل لا بتوقف القلب.

-5العقل والفكر:

العقل في اللسان العربي جاء من "عقل" وهو أصل واحد مطرد منقاس يدل عظمه على حبسةٍ في الشيء أو ما يقارب الحبسة. من ذلك العقل وهو الحابس عن ذميم القول والفعل. قال الخليل: العقل: نقيض الجهل يقال: عقل، يعقل عقلاً، ومن الباب: المعقل وهو الحصن. ويقال: عقلت البعير، أعقله عقلاً إذا شددت يده بعقاله، وهو الرباط، وعقيلة كل شيء أكرمه.

والفكر في اللسان العربي جاء من "فكر" وهي تردد القلب في الشيء. وجذرها ''فك" وتعني التفتح والانفراج، من ذلك فكاك الرهن وهو فتحه من الانغلاق وجاءت الراء للتكرار والترداد في عملية التفتح وفك الأشياء بعضها عن بعض، ومنه جاء معنى الفكر وهو فك الأشياء بعضها عن بعض وتقليبها. وهكذا نرى أن الفكر والعقل صفتان متتامتان فالفكر يفكك الأشياء بعضها عن بعض ويقلبها والعقل يشد "يربط" الأشياء بعضها إلى بعض فالفكر يفاضل ويحلل الأشياء بعضها عن بعض والعقل يكامل ويركب عناصر الأشياء بعضها إلى بعض ليصدر حكماً يتعلق بالوجود المادي الموضوعي أو حكماً يتعلق بالسلوك الاجتماعي

-الفؤاد والفكر والعقل من سمات الإنسان وهي لنفخة الروح. هذه الصفات الثلاث ارتبطت بنشأة اللغة.

-6البشر والإنسان:

لقد ورد مصطلح البشر في الكتاب ليعبر عن الوجود الفيزيولوجي لكائن حي له صفة الحياة كبقية المخلوقات الحية وقد شرحت في القانون الأول للجدل كيف نحت الحياة وتطورت عن طريق البث الذي يحتوي على الطفرات الحياتية التي أدت إلى ظهور البشر وقد متميز البشر في الظهور ككائن حي مستقل في الفترة التي ظهرت فيها الأنعام)خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأني تصرفون. () الزمر 6). ففي هذه الآية نلاحظ أن وجود الإنسان البشري قد تزامن مع ظهور الأنعام وقد شرحت في بحث مفردات الذكر معنى الإنزال والتريل. وكيف أن الإنسان في رحم الأم يمر بكل مراحل التطور التي مر بحا وهي الظلمات الثلاث وهي المرحلة الحيوانية البحرية والمرحلة الحيوانية البحرية والمرحلة الحيوانية البوية. وعندا شرح الكتاب إحدى رماحل خلق الإنسان بالمعنى العام وذلك بالمقارنة مع الجان قال) :ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حماً مسنون) (الحجر 26.(

وعندما أعطى التفصيل أتبعها بقوله) :وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من هما مسنون () الحجر 28) . (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (الحجر 29). وبعد نفخة الروح أمر الله إبليس بالسجود فأجاب) :قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من هما مسنون) (الحجر 33). وفي سورة "ص" قال) :إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين) (ص71) . (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (ص72). وقد قلنا: إن الحلق هو التقدير قبل التنفيذ. لذا فعندما قال من روحي فقعوا له ساجدين) (فهذا يعني أن البشر لم يظهر بعد لذا اتبعها بقوله) :فإذا سويته. (ثم اتبعها بقوله)ونفخت فيه من روحي (وبين الحلق والتسوية توجد الأداة "إذا" وهي ظرف لما يستقبل من الزمن. لذا قال)هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون) (الأنعام 2). ثم استعمل أداتين معاً وهما "ثم وإذا" في قوله) :ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) (الروم البشر هذه المرحلة التي أخذت منات الملايين من السنين. وقد بين أن الانتشار في الأرض حصل في مرحلة البشر قبل نفخة الروح وأن البشر كان منتشراً قبل مرحلة الأنسنة. وأن البشر هو الشكل المادي الحيوي المين يفوله بلانسان في بداية التزيل في قوله) :خلق الإنسان من علق) . (العلق 2). والعلق جاء من الفيزيولوجي الظاهري للإنسان حيث أن الإنسان من علق) . (العلق 5). والعلق جاء من

"علق" وفي اللسان العربي علق به و علقه: نشب به، كقول جرير يصف شجاعاً:

إذا علقت مخالبهُ بقرنٍ أصاب القلب أو هتك الحجايا

"الزمخشري أساس البلاغة ص211"

وفي ابن فارس العين واللام والقاف أصل كبير صحيح يرجع إلى معنى واحد وهو أن يناط الشيء بالشيء ثم يتسع الكلام فيه وأحد معاني العلق "الدم الجامد."

لقد فهم المفسرون العلق على أنه الدم الجامد وهو تأويل لا يتطابق تمام التطابق مع الحقيقة وذلك لجهلهم بوجود الخلية المنوية والبويضة واللقاح الخلوي.

فالعلق هو أن يعلق شيء بشيء آخر ومفردها "علقة" لذا قال) :من نطفة ثم من علقة (فوضع العلقة بعد النطفة وهي مفرد وتعني دخول الحيوان المنوي إلى البويضة 'اتعلق شيء بشيء آخر" وهذا ما نسميه اللقاح وهو ما نقول عنه الآن في المصطلح الحديث "علاقة" فالعلق جمع علقة "أي علاقات" وقوله) :خلق الإنسان من علق . (أي أن الإنسان مخلوق من مجموعة من العلاقات هذه العلاقات التي نقول عنها في المصطلح الحديث علاقات فيزيائية وكيميائية معدنية وعضوية وبيولوجية الخ. ثم لنلاحظ أن قوله)خلق الإنسان من علق . (قد جاءت في بداية الوحي للتنويه بأن الوجود المادي هو مجموعة كبيرة من العلاقات المتداخلة بعضها ببعض، ومن هذه العلاقات لا من خارجها تم خلق الإنسان. وذلك للدلالة على أن الوجود المادي خارج الوعي الإنساني هو مجموعة من العلاقات.

-الآيات التي ذكر فيها البشر تعني الوجود الفيزيولوجي المادي للإنسان وذلك للدلالة على جنسه كبشر وليس ملكاً أو من جنس آخر:

) - 1قالت رب أبي يكون لي ولد ولم يمسسني بشر) (آل عمران 47.(

)قالت أبى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً) (مريم 20.(

)فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) (مريم 17.(

إن هذه الآيات تبين أن مريم قد رأت روح الله في صورة بشرٍ بحت لا في صور ملكٍ أو جن ولذلك قال: "سه با."

) - 2ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو ن وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم) (الشورى 51.(

هنا يؤكد طريقة الوحي للجنس البشري لأنه لو كان جنساً آخر لكان من الممكن أن تكون طريقة الوحي غير الذي ذكر فمثلاً في الوحي للنحل، والنحل ليس بشراً كقوله) :وأوحى ربك إلى النحل) (النحل 68) فهذا يعني أن طريقة وحي الله للنحل غير طريقة وحي الله للبشر .ولكي يؤكد أن المسيح بشر والبشر إذا أوحي إليه من الله لا يقول للناس كونوا عباداً لي فهذا يعني أنه دجال ولم يوح إليه شيء.

-) 3ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) (النحل 103.(
 -)إن هذا إلا قول البشر) (المدثر 25.(

هنا أكد أن الذي يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ليس من البشر أي ليس من جنس النبي صلى الله عليه وسلم وإنما يعلمه الله عن طريق الوحي وهو ليس من البشر. وقول الوليد بن المغيرة إن الذي يوحى إلى محمد هو من قول البشر أي من قول مخلوق من جنسنا.

-) 4ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه) (المؤمنون 33). هنا أكد أن الطعام من صفات البشر وأن الرسل الذين أرسلهم الله كانوا من البشر يأكلون كما تأكل بقية الناس.
 -) 5بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) (المائدة 18) .(وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيء) (الأنعام 91) .(قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا ()إبراهيم 10) .(قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم) (ابراهيم 11) .(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى) .(الكهف 110) .(ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكةً ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) .(المؤمنون 24.(
 -) -ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآيةٍ إن كنت من الصادقين) (الشعراء 186. (
 -) -فقال الملأ الذين كفروا من قومهِ ما نراك إلا بشراً مثلنا) (هود 27.(
 -) -وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) (يوسف 31.(
 -) -وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً) (الإسراء 94.(
 -) -ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون) (المؤمنون 34.(
 -) -فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر) (القمر 24.(
-) -فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) (المؤمنون 47). هنا نلاحظ في تلك الآيات السابقة ذكر البشر في مجال الجنس الفيزيولوجي المادي أي أنه كبقية الناس لهم أيد ومعده ووجه وباقي الأعضاء ويأكلون كبقية الناس ولكن يتميزون عنهم فقد بالوحي لذا قال)بشر مثلنا): (لبشرين مثلنا . (وقد قارن البشر كجنس بأنه ليس ملائكة بقوله في مجال المقارنة مع البشر) . ولو شاء الله لأنزل ملائكة) . (المؤمنون 24) والملائكة ليسوا من جنس البش وذلك أن الناس تعودوا بأن يبرل الله ملائكة رسلاً قبل أن يبعث الله رسلاً منهم بصفة بشرية ولذا كان هذا الاستغراب الكبير.
-) 6سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر * لواحةٌ للبشر * عليها تسعة عشر) (المدثر 26، 30.
- هنا بين أن العذاب جسدي فيزيولوجي بحت قال عن سقر بألها)لواحة للبشر (ولكي يبين أن إيراد ذكر سقر في الكتاب هو لهذا الجنس الذي هو البشر.
 - 7 الآيات التي جاء فيها الإنسان "الناس" تعنى الكائن العاقل:

لقد ورد الإنسان والناس في عدة آيات بمعنى الكائن العاقل ولكن يجب أن نميز بين أصل إنسان وهو من "أنسن" وتعني في اللسان العربي ظهور الشيء وكل شيء خالف طريقة التوحش ومنه الإنس أي أنس الإنسان بالشيء إذا لم يستوحش منه ويقال إنسان وإنسانان وأناسى.

فالإنسان هو البشر المستأنس غير المتوحش، أي له علاقة اجتماعية وصلة مع غيره، أما الناس فقد جاءت من "نوس" وهو في اللسان العربي أصل يدل على اضطراب وتذبذب فعندما اجتمع الإنسان مع أخيه الإنسان تولد عن هذا الاجتماع اضطراب وتذبذب في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، أي لم تسر الحياة بشكل رتيب كما عند بقية المخلوقات كالنحل وأصبحوا ينوسون أي ينتقلون من مكان إلى آخر بشكل واع. وكلما ازداد الإنسان في تقدمه الإنساني كلما زاد النوسان.

فإذا تصفحنا آيات الكتاب التي تحتوي على لفظة الإنسان والناس نراها تدور حول المواضيع التالية:

) - 1ومن الناس من يقول) (.. البقرة 8(،) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس .. الآية) .(البقرة 13(،) يا أيها الناس أعبدوا ربكم .. الآية) .(البقرة 12(،) وقولون للناس) (.. البقرة 88(،) أتأمرون الناس .(.. البقرة 44(،) ولتجد لهم أحرص الناس) (.. البقرة 96(،) وسيقول السفهاء من الناس) (.. البقرة 146(،) عا ينفع الناس) (.. البقرة 164(،) ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) (.. الروم 41(،) شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس) (.. البقرة 185(،) يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم) (.. النساء 174(،) فلا تخشوا الناس) (.. المائدة 44(،) وإن كثيراً من الناس لفاسقون) (.. المائدة 94(،) يوسوس في صدور الناس) (.. الناس 5(،) ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (.. سبأ 28(،) التأكلوا فريقاً من أموال الناس) (.. البقرة 188(،) ذلك يوم مجموع له الناس) (.. هود 103(،) وما أكثر الناس

نلاحظ أن هذه الصيغة كلها صيغ للعاقل ودائماً يوجه الخطاب في الكتاب في قوله)يا أيها الناس . (ولم يقل أبداً يا أيها البشر.

ولو حرصت بمؤمنين) (يوسف 103.

) - 2إن الإنسان لظلوم كفار) . (ابراهيم 34(،) ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) (الإسراء 11(،) إن الإنسان لكفور مبين) (الزخرف 15(،) إن الإنسان خلق هلوعاً) . (المعارج 19(،) يقول الإنسان يومئذ أين المفر) (القيامة 10(،) ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً) (الأحقاف 15) هذه الصفات كلها للمخلوق العاقل. - 3 عندما ذكر خلق الإنسان أعطاه في جملة كقوله)خلق الإنسان من علق . (وعندما أعطى التفاصيل وطريقة الخلق ذكر البشر كقوله)إني خالق بشراً. (

نلاحظ الفرق الواضح بين البشر والإنسان فالبشر هو الوجود الفيزيولوجي المادي للإنسان ككائن حي ضمن مجموعة مخلوقات حية. إن القردة كائنات حية والأنعام كائنات حية لذا عندما ندرس جسم الإنسان في الجامعة ككائن حي فقط نقول" كلية الطب البشري" ولا نقول كلية الطب الإنسان. فالبشر هو تباشير الإنسان أوله

حيث تباشير كل شيء أوائله. وعندما نقول العلوم الإنسانية فإننا نقصد علوم اللغات والتاريخ والفلسفة والحقوق والشريعة والسياسة والاقتصاد وعلم النفس والفنون بأنواعها. أي العلوم التي تتعلق بالإنسان ككائن حي عاقل له سلوك واع.

الفرع الثاني: نشأة الإنسان واللغة

تمهيد:

عندما بلغ البشر مرحلة متقدمة من التطور العضوي والنضج، أصبح مؤهلاً لنفخة الروح وهذا التأهيل كان في ظاهرتين رئيسيتين هما:

- 1 انتصاب الإنسان على قدميه وتحرير اليدين وذلك في قوله تعالى) :يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسويك فعدلك * في أي صورة ما شاء ركبك) (الانفطار 6، 7، 8 . (فهنا نرى لفظة عدلك جاءت بعد التسوية، وعدل في اللسان العربي لها أصلان صحيحان لكنهما متقابلان كالمتضادين أحدهما يدل على الاستواء والآخر على الاعوجاج. ونرى هنا معنى عدلك هو معنى فيزيائي وليس اجتماعياً لأنه جاء في آية واحدة مع الخلق والتسوية، والخلق والتسوية هنا لهما معان مادية وليست اجتماعية بمعنى العدل ضد الظلم .

ونرى هنا أن المعنى الأول هو الصحيح وهو الاستواء على قدمين، لأن الإنسان الآن مستو على قدميه ومتحرر اليدين. هذه الظاهرة في الاستواء على القدمين أعطت للإنسان بعداً إضافياً وهو تحرير اليدين من أجل ظاهرة العمل الواعي، فإذا نظرنا إلى اليدين في الإنسان رأيناهما من أروع آلات العمل، تمتلكان قدرة هائلة على المناورة في الحركات.

- 2 نضوج جهاز صوتي خاص به، وهذا الجهاز قادر على إصدار نغمات مختلفة بعكس بقية المخلوقات التي تصدر نغمة صوتية واحدة. هذا الجهاز الصوتي عبر عنه في سورة الرحمن) :الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان (فقوله) :علمه البيان (عن الرحمن فهذا يعني أنه تعلم اللغة بواسطة قوانين مادية موضوعية وليس وحياً أو إلهاماً. وأول هذه القوانين هو وجود الجهاز الصوتي، لاحظ أنه قال "الرحمن" ولم يقل "الله."

أولاً: آدم وبداية نشأة الكلام الإنساني:

لا يمكن للكلام أن يسمى كلاماً إنسانياً إلا إذا كان مقطعاً إلى مقاطع صوتية متميزة بعضها عن بعض يصدرها الإنسان بشكل واع.

عندما أصبح البشر جاهزاً من الناحية الفيزيولوجية لعملية نفخة الروح "الأنسنة"، وذلك بانتصابه على قدميه

وتحرير اليدين وبوجود جهاز صوتي قادر على إصدار النغمات المختلفة. وللدلالة على أنه أصبح جاهزاً قال:)وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفةً قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (

) .البقرة 30. (

نلاحظ في هذه الآية قوله) :إني جاعل .(والجعل هو عملية التغير في الصيرورة كقوله لإبراهيم)إني جاعلك للناس إماماً .(إذ لم يكن إبراهيم إماماً للناس فأصبح إماماً. واستعمال اسم الفاعل في قوله) :إني جاعل (فيه دلالة على استمرار العملية كقوله) :إني خالق بشراً من طين) (ص 71) ففي مراحل الخلق المختلفة استعمل)إني خالق (

فعندما قال)إني جاعل (للدلالة على وجود البشر الذي تمت تسويته وأصبح جاهزاً لتغير في الصيرورة ليصبح خليفة الله في الأرض أي لم يكن خليفة فأصبح ولكنه موجود مادياً. لذا سأله الملائكة) . :أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء (لنقارن هذا القول مع قوله) :إني خالق بشراً من طين.(

فعندما قال) :خالق بشراً .(لم يذكر احتجاج الملائكة لأنه لم يستو بعد ولم يكن الإنسان موجوداً في شكله الجاهز لنفخة الروح لذا أتبعها بقوله)فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (ص72). ومع ذلك لم تقل الملائكة) :أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء .(ولكن عندما قال) :إني جاعل في الأرض خليفة (كان البشر ما يزال في المملكة الحيوانية قبل الأنسنة، ولكنه قائم على رجليه وله جهاز صوتي قادر على التنغيم المختلف وكان تصرفه كالبهائم أي يأكل اللحوم)ويسفك الدماء (للدلالة على التخريب غير الواعي في الغابات كما تفعل بعض فصائل القردة من قطع أغصان الأشجار، وهنا يجب أن لا نفهم)يفسد فيها (على أنه سلوك لا أخلاقي أي مخالفة تعليمات الله سبحانه وتعالى فهذا يسمى فسوق لا فساد .

فعندما يصبح الطعام غير صالح للأكل نقول: فسد الطعام ولا نقول فسق الطعام. فالفساد هو التخريب كقوله تعالى) :إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) (المائدة 33.(

هنا)يسعون في الأرض فساداً) (تعني قطع الشجر وتخريب الطرق والجسور وهدم البيوت والمنشآت. وكقوله) :ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) (الأعراف 85) وقوله) :ولا تعثوا في الأرض مفسدين .()البقرة 60) (هود 85) (الشعراء 183) هنا أيضاً اكد بأن الله منع تخريب الأرض بعد إصلاحها وفي قوله :)ولا تعثوا في الأرض مفسدين .(منع أن نفسد الأرض من جراء إقامتنا فيها في)ولا تعثوا .(وكقوله) :ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس لنذيقهم بعض الذي عملوا) (الروم 41). هذه الآية تعطينا نبأ مسبقاً عن ظاهرة التلوث حيث ذكر الفساد في الأرض وذكر السبب وهو الناس وهم الناس وليس الكافرين فقط. فهنا أعطاها أيضاً مفهوماً مادياً لا مفهوماً أخلاقياً.

وهنا نلاحظ الخطأ في القول بأن)يُفسد فيها ويسفك الدماء (تعني أنه كان هناك مخلوقات عاقلة قبل آدم فسدت وسفكت الدماء فأهلكها الله سبحانه وتعالى، أو علمت الملائكة أن هذا المخلوق سيفسد في الأرض ويسفك الدماء، فالقولان فيهما نظر، والصحيح عندنا أن الملائكة قالت ما شهدت فعلاً عند قوله) :إني جاعل في الأرض خليفة .(ومن هنا فعلينا أن نعيد النظر في القول الذي يقول إن الله خلق آدم ووضعه في الجنة ثم خلق بعده حواء ثم طردا من الجنة هما وابليس ونزلا إلى الأرض، وذلك للأسباب التالية:

إن وصف الجنة التي وصفها لآدم لا يشبه وصف جنة المتقين، حيث بينا في بحث الساعة والصور واليوم الآخر بأن الجنة والنار لم توجدا بعد وإنما ستقومان على أنقاض هذا الكون بقوانين مادية جديدة، وأن من صفات جنة المتقين الخلود واختفاء ظاهرة الموت. فكيف يمكن إغراء إنسان بشيء لا يعرفه وغير موجود؟ وقد تم إغراء آدم بقوله) :هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) (طه 120). وقوله) :ما لهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) (الأعراف 20.(

فلولا أن آدم يعرف الموت وأن الأشياء تبلى لما تغرر بذلك القول وهذه الآية تنوه أيضاً بأن غريزة البقاء هي أقوى غريزة لدى المخلوقات كلها. ثم تأتي بعدها شهوة التملك وبقاء الممتلكات بقوله)وملك لا يبلى. (ثم إن وصف جنة آدم بعيداً جداً عن وصف جنة الخلد وذلك في قوله) :إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى) (طه 118) .(وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) (طه 119.(

هنا نلاحظ أنه يصف جنة أرضية تشبه الغابة التي فيها ثمار طبيعية بحيث يأكل بدون أن يعمل. و"تعرى" هنا من العراء أي الخروج من الغابة إلى الصحراء كقوله) :فنبذناه بالعراء وهو سقيم) (الصافات 145) فإذا خرج إلى العراء فإنه يحتاج إلى ظاهرة العمل ليكسب عيشه لذا قال)فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) (طه 117.

وكذلك يوجد في الغابات التي عاش فيها الإنسان المياه)لا تظمأ فيها(، وفيها أيضاً الظل)ولا تضحي (حيث "تضحى" جاءت من فعل "ضحى" وهو في اللسان العربي أصل صحيح يدل على بروز الشيء ويقال ضحى الرجل يضحي، إذا تعرض للشمس، ويقال أضح يا زيد أي أبرز للشمس، ومنه سميت الأضحية لألها تذبح عند إشراق الشمس، وضاحية كل بلد ناحيتها البارزة.

إن هذا الوصف بعيداً جداً عن وصف جنة الخلد الذي جاء في القرآن ومن أول مواصفاتها اختفاء ظاهر الموت.

من هنا نستنتج:

أ- أن البشر وجد على الأرض نتيجة تطور استمر ملايين السنين "البث" حيث أن المخلوقات الحية بث بعضها من بعض طبقاً للقانون الثاني الطبيعة وبعضها مع بعض طبقاً للقانون الثاني للجدل.

وقد وجد البشر وانتشر في مناطق حارة مغطاة بالغابات حيث يوجد في هذه الغابات مخلوقات حية أخرى كان

يفترسها البشر)يسفك الدماء (وكان يسلك سلوك الحيوانات الأخرى أي كان كائناً غير عاقلٍ إذ لم تظهر فيه ظاهرة العمل الواعى وهو بشر.

ب- يجب علينا أن نفهم قوله) : اهبطوا منها . (على أنه انتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى، وليس المعنى "انزلوا منها" ونحن نقول: إن الله أنزل ونزل القرآن ولا نقول أهبط وهبط القرآن وقد استعمل الكتاب فعل في مجال الانتقال المكاني أو الكيفي؛ في مجال الانتقال المكاني أي من مكان إلى آخر على الأرض في قوله)قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) (هود يا نوح البين كان نوح عندما قال له)اهبط (هل كان في السماء؟ وفي قوله)وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم .. الآية) (البقرة 61. (المحنظ أن الكلام هنا عن بني إسرائيل الذين كانوا في سيناء وليس في السماء فاهبطوا هنا جاءت في المعنين المكاني والكيفي، فالمكاني الانتقال من سيناء إلى مصر والكيفي ألهم كانوا يأكلون المن والسلوى "طعام واحد" فأرادوا الانتقال إلى كيفية أخرى من الأطعمة.

فهنا يجب أن نفهم)اهبطوا منها (انتقال كيفي أو مكاني أو الاثنين معاً، وكل ذلك حصل على الأرض، وجنة الخلد ليس لها أية علاقة بذلك لأنها أصلاً لم توجد بعد.

ج- مفهوم آدم: لقد جاء آدم "من "آدم" وهذا الفعل في اللسان العربي له أصل واحد وهو الموافقة والملاءمة، ومنها جاءت الأدمة وهي باطن الجلد لأن الأدمة أحسن ملاءمة للحم من البشرة ولذلك سمي آدم عليه السلام لأنحه أخذ من أدمة الأرض.

هنا جاء في لفظة آدم المصطلحان معاً فالبشر مؤلف عضوياً م عناصر موجودة في الأرض وبعد انتصابه ووجود الجهاز الصوتي المناسب أصبح موافقاً وملائماً لعملية الأنسنة، أي أن آدم هو المخلوق المتكيف الملائم للأنسنة ومن الخطأ الفاحش أن نقول أن آدم اسم أعجمي بل هو مصطلح عربي صرف وإذا مدحنا إنساناً وقلنا إنه آدمي فهذا يعني أنه دمث متكيف مع الظروف التي يعشها.

وهنا أيضاً يجب أن نفهم أن آدم ليس شخصاً واحداً وإنما هو جنس نقول عنه الجنس الآدمي. لذا فعندما قال)يا بني آدم وفإنه يخاطب الجنس الآدمي وقوله) :واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق وفإن ه يذكر أحدى مراحل تطور الجنس الآدمي وذلك بعد خروجه من المملكة الحيوانية وهذه الحلقة هي تعليمه دفن الموتى. ولا تعنى كما يقول البعض قابيل وهابيل.

د- شرح قوله تعالى "الذي علم بالقلم": "قلم" في اللسان العربي أصل صحيح يدل على تسوية شيء عند بريه وإصلاحه، من ذلك قلمت الظفر ومن هذا الباب سمى القلم قلماً.

لقد جاء قوله تعالى)الذي علم بالقلم .(في بداية الوحي، وقد شرحنا قوله) :خلق الإنسان من علق (وعندما

قال) :الذي علم بالقلم .(أتبعها بقوله) :علم الإنسان ما لم يعلم .(ونلاحظ أيضاً ألهما آيتان منفصلتان بينهما "نجمة"، وكان من الممكن أن يقول "الذي علم الإنسان بالقلم."

ولقد جاء فصل الآيتين للدلالة على أن التعليم بالقلم مطلق للإنسان ولغيره، ومن جملة المخلوقات التي تم تعليمها بالقلم الإنسان. لقد قال المفسرون عن قوله تعالى) :الذي علم بالقلم .(هي كناية عن تعليم الكتابة لأن آلة الكتابة هي القلم. فإذا سلمنا جدلاً بأن هذا الكلام صحيح، فماذا نقول عن قوله تعالى)وعلم آدم الأسماء كلها .(وقد قال بشكل مطلق أن التعليم لا يكون إلا بالقلم "كما زعموا" فهل كان عند آدم كتابة وقرطاسية؟

إننا نعلم أن الكتابة "الأبجدية" ظهرت في عهد غير بعيد نسبياً.

فإذا كان الأمر كذلك فما هو القلم الذي علم الله به كل المخلوقات بدون استثناء ومن ضمنها الإنسان؟ إذا نظرنا للأصل اللغوي وهو التسوية والإصلاح والتهذيب. فعندما نقص أغصان الشجر فإننا نقلمها، وعند نقص ونهذب طرف العود الصغير فنسميها قلماً فالقلم هو قص الأشياء بعضها عن بعض وتهذيبها، وهذا ما نقول عنه اليوم التمييز "التعريف". فحتى يومنا هذا في سوريا عندما نقوم بجرد مستودع أو استلام مواد نضع في قائمة الجرد أو الاستلام مثلاً:

- -1طاولة عدد 6.
- -2كرسى عدد 6.
- -3خزانة عدد 3.
- -4مكتبة عدد 1.

وعندما نغلق الصفحة نقول "فقط أربعة أقلام لا غير" أي أربعة بنود متميزة بعضها عن بعض، وهذه البنود هي طاولة، كرسي، خزانة، مكتبة.

وفي مكتب تسجيل السيارات هناك القلم أي فيه اضبارة كل سيارة، نوعها، سنة الإنتاج، اللون، الرقم، المالك، كحل هذه المعلومات هي لتمييز كل سيارة على حدة. وكذلك هناك في القوات المسلحة "قلم اللواء" أي فيه الأوراق الصادرة والواردة تميز وتوزع حسب العائدية.

فالتقليم هو تمييز الأشياء بعضها عن بعض وهذه العملية هي العمود الفقري للمعرفة الإنسانية، وبدونها لا تتم أية معرفة.

فإذا كان الأمر كذلك فلماذا وضعها بشكل مطلق)الذي علم بالقلم . (ثم علق الإنسان بها بقوله)علم الإنسان ما لم يعلم (أقول لأن التقليم ليس من صفات بالإنسان فقط حتى المعرفة الغريزية تقليم . فنرى أن القطة تميز أولادها، والبقرة تميز وليدها، فإذا جاء غير وليدها ليرضع منها فإنما تصده، أي أن البقرة لها جهاز ما أو مؤشر ما يتناسب مع بنيتها تستطيع أن تميز به وليدها من غيره، وكذلك النحلة تميز خليتها عن باقي

الخلايا، والخيل تميز اللحم من الحشائش فلا تأكل اللحم.

والملائكة أيضاً لا تعلم من العلم إلا المعلومات التي تدخل بجهاز التقليم الخاص بخها، فهناك ملائكة تسبح فقط لأن قلمها قائم على التسبيح فقط لأنها لا تميز شيئاً آخر. لذا فما دخل في قلمنا فهو ضمن معلوماتنا "الشهادة" وما لم يدخل في قلمنا فهو خارج معلوماتنا "الغيب."

وقد خلق الله للتقليم أنواعاً كثيرة وإمكانيات مختلفة حسب الظروف التي يعيشها كل كائن حي. فالأسماك لها قلم الوطواط له قلم .. وهكذا دواليك.

فإذا أخذنا الحواس مثلاً، نرى أن العين تقلم الألوان والأبعاد والأشكال التي تدخل ضمن إمكانياتها البصرية، والأذن تقلم الأصوات التي تدخل في إمكانياتها السمعية، واللسان يقلم المذاق حسب إمكانياته، والشم يقلم الروائح، والجلد يقلم الحرارة والملمس. ولولا هذا التقليم الذي هو صفة الحواس لما كان هناك علم حيث أن الحواس تقلم وهي نفسها مقلمة إلى خمسة حواس.

ثم عندما تنتقل صورة الأشياء عن طريق الحواس يعمل الفكر أيضاً على التقليم حيث يحلل "يقلم" ظاهرة ما إلى عناصرها الأساسية ثم بعد ذلك يركب "يعقل "ويصدر حكماً.

فإذا أخذنا تقدم المعارف الإنسانية رأينا أن التقليم هو أساسها. فعندما اكتشفت الكهرباء في القرن الماضي كانت عبارة عن علم بسيط واحد ثم تطورت بالتقليم فأصبح هناك محطات توليد طاقة، خطوط نقل طاقة، محركات كهربائية، دارات إلكترونية، حتى أصبحت كلية قائمة بذاها تتألف من عدة مواد منفصلة "مقلمة". وكذلك الطب كان هناك جسم الإنسان وطب عام ثم قلمناه بالتطور فأصبح هناك طب عظام وطب عيون وطب أنف وأذن وحنجرة وطب نفساني وطب عصبي، وجراحة، وجهاز هضم، وهكذا دواليك.

ثم لنأخذ القلم في معناه المجازي كأداة كتابة للأبجدية فلا يمكن أن نقول إننا نخط رسالة بحبر أبيض على ورق أبيض، فالعين بذلك لا تميز شيئاً، ولكننا نكتب مثلاً بلون أزرق على ورق أبيض، هذا هو التمييز الأول. ثم هناك التميز الثاني للأبجدية، فنرمز لصوت النون بالرمز "ن" ولصوت اللام بالرمز "ال". بما أن النون واللام صوتان مميزان بعضهما عن بعض رمزنا لهما برمزين مختلفين لتبيان التمييز.

وإذا أخذنا مثلاً الأمراض فنرى أن مرض السرطان موجود موضوعياً فنستطيع أن نقلم "نميز" الخلية السرطانية غير المخلقة عن الخلية العادية "المخلقة ''ولكننا لم نستطع أن نقلم إلى اليوم الأسباب الحقيقية للسرطنة، لذا فإن مرض السرطان مقلم كظاهرة مرضية وغير مقلم كأسباب حقيقية لهذه الظاهرة، علماً بأنه قد تم تقليم بعض الأسباب المساعدة على السرطنة وهذا يسمى باللغة الإنجليزية.(Identification) ومبدأ الهوية الشخصية يقوم على التقليم بالاسم والكنية واسم الأب والأم والصورة وتاريخ ومكان الميلاد والعلامات المميزة وذلك لتقليم صاحب الهوية عن غيره.

فإذا رجعنا الآن إلى تعري الكلام الإنساني قلنا إنه يتألف من أصوات مقطعة متميزة، أي أن الكلام الإنساني

يقوم على تقليم الأصوات.

وإذا أخذنا الآن قوله تعالى) : خلق الإنسان من علق . (وقوله) : الذي علم بالقلم . (لوجدنا أن بداية الوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم هي بداية المعرفة حيث بدأ بفعل الأمر "اقرأ" والقراءة هي العملية التعليمية فجاءه بعدها العمودان الفقريان للمعرفة، الأول أن الوجود خارج الوعي الإنساني مؤلف من علاقات متداخلة بعضها مع بعض ومنها خلق الإنسان والثاني أن وعي هذه العلاقات من قبل الإنسان لا يمكن أن يتم إلا بالتقليم أي تمييز هذه العلاقات بعضها عن بعض، والحواس هي الأدوات المادية للتقليم المشخص المباشر. نستنتج من هذا التعريف للعلاقات المتداخلة ولتقليمها أساس البحث العلمي والنشاط الاقتصادي والإنتاجي قائم على العلاقات وتقليم هذه العلاقات.

فإذا أخذنا الآيات الواردة في الكتاب والتي ذكر فيها القلم رأيناها كالتالي) :ولو أن ما في الأرض من شجرةٍ والبحر يمده من بعدهِ سبعة أبحرٍ ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) .(لقمان 27.(
هنا جاء القلم بالمعنى الثاني وهوة آلة

الكتابة "الخط" وقد شرحت مفهوم التقليم في الكتابة."!

) -وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم) (آل عمران 44.(

هنا جاءت أقلامهم أيضاً للتمييز، فعندما تضرب قرعة بين عدة أشخاص فكل شخص يأخذ علامة مميزة عن الآخر، وقد كانت في الجاهلية تسمى "القِداح" أي كل شخص له قدح خاص ليميزه عن غيره.

) -ن والقلم وما يسطرون) (القلم 1). هذه الآية لها بحث خاص بها سيأتي. فمن مفهوم القلم نستنتج الرئيسي وهو:

إن المعرفة الإنسانية صاعدة ومحورها القلم

هـ - الإسم: لقد جاء الاسم من أحد فعلين في اللسان العربي:

- 1 من فعل "سوم" وهذا الفعل أصل واحد يدل على أثر ومعلم، ووسمت الشيء وسماً: أثرت فيه بسمة، والوسمي أول المطر لأنه يسم الأرض بالنبات. وسمي موسم الحج موسماً لأنه معلم يجتمع إليه الناس. وقوله تعالى)إن في ذلك لآيات للمتوسمين) (الحجر 75). أي الناظرين في السمات الدالة.

- 2من فعل "سمو": السين والميم والواو أصل يدل على العلو. يقال سموت إذا علوت، وسما بعده علا، وسما لي شخص: ارتفع حتى استثبته، وسماوة كل شيء شخصه، والجمع سماء وسماؤ. والعرب تسمي السحاب سماء، والمطر سماء. والسماء :الشخص. السماء سقف البيت. وكل عال مطل سماء. حتى يقال لظهر الفرس سماء. ويقال إن أصل "اسم" سمو وهو من العلو لأنه تنويه ودلالة على المعنى.

لنناقش الآن: هل الاسم مشتق من "سوم" أم من "سمو". فإذا كان الاسم من "سمو" فهو العلو والإرتفاع. أي أن الاسم يعلو صاحبه ولو كان هذا الكلام صحيحاً لعرفنا اسم كل شيء دون أن يخبرنا عنه أحد لأنه يعلوه.

أما إذا كان الاسم من "سوم" فهو سمة لصاحبه، أي شيء يميزه عن غيره. ونحن نسمي الأشياء لنميزها عن بعضها أي لنعطيها سمات مميزة. ولكل شيء سمة خاصة به، فنقول 'اتفاح جميل" فالتفاح اسم لثمرة أطلقنا عليها هذا الإسم لنميزها عن بقية الثمار، وجميل أيضاً اسم وهو سمة "صفة" مميزة للموصوف وهو التفاح. وقد قال "الفراء" واضع أسس المدرسة الكوفية إن اصل الاسم من وسم وليس من سمو. حتى ان ابن فارس وضعها بصيغة غير مؤكدة في "سمو" حيث ذكره بصيغة ممرضة "يقال بأن أصل اسم من سمو." فإذا أخذنا بالرأي القائل إن أصل الاسم من "وسم" فيتضح لنا معانٍ واقعية لآيات في الكتاب ذكر فيها لفظة "الاسم."

لنأخذ الآيات التي فيها لفظ "اسم:"

-) 1 بسم الله الرحمن الرحيم : (هنا ذكرك الصفة المميزة "لله"، والله هو لفظ الجلالة ولا نقول اسم. وإن من سماته أنه الرحمن الرحمن الرحيم وكذلك قوله) : ولله الأسماء الحسنى فادعوه بما) (الأعراف 180). فالسمات المميزة لله هى الأسماء الحسنى وقد جاء ذكرها في الكتاب.
-) 2إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) (النجم 23). هنا يذكر في هذه الآية أنه في زمن هود كان تعدد الآلهة مع التخصص فهناك إلاه الحرب وإلاه الغضب وإلاه الخصوبة وإلاه الحب وهكذا دواليك. لذا قال) :إن هي إلا أسماء .(لذ لذا أجاب قومه) :إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) (هود 54). هنا ذكر "بعض" كجزء من كل أي أن آلهة السوء اعترت هوداً وذلك لوجود آلهة أخرى لها سمات أخرى.
-) 3إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم) (آل عمران 45). إن المسيح هو سمة عيسى بن مريم وقد ذك هذه السمة بقوله) : وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين) (آل عمران 45). ولا نرى في الكتاب أبداً صيغة "اسمه" مع عيسى بن مريم إلا وقرنها بالمسيح "اسمه المسيح". لأن المسيح هي سمة خاصة لعيسى بن مريم وقد ذكر هذه السمة في الآيات (46، 48، 49) في سورة آل عمران. أي أن لفظة "المسيح" وردت بدون "اسمه" ولكن لا يوجد "اسمه" بدون المسيح."
-) 4يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً) (مريم 7). هنا أعطى الله اسماً لابن زكريا، وسمة هذا الاسم أنه أكثر اسم حي من أسماء أهل الأرض لذا سماه "يحيى" وهو أول تسمية فهو في العربي يحيى، حنا، يوحنا، وفي الروسية ايفان، وفي الإنجليزية والفرنسية جون، وفي الإيطالية جيوفاني، وفي الإسبانية خوان، وفي الألمانية ايوهان.
-) 5ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) (الصف 6). إن أحمد هو السمة المميزة لمحمد بن عبد الله وهذه الصفة هي على وزن أفعل وهي للتفضيل. فبدأ الله الكتاب بالحمد)الحمد لله رب العالمين) (الفاتحة 1). وبدأ خلق الوجود بالحمد) :الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) (الأنعام 1). وبدأ الإنزال بالحمد:)الحمد له الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً) .(الكهف 1.(

وأنهى الحساب بالحمد)وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) (الزمر 75) وأنهى دخول الجنة بالحمد)و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) (يونس 10) وقال)له الحمد في الأولى والآخرة .() القصص 70.(

لذا فقد أعطى الله نحمد صلى الله عليه وسلم سمة الحمد المميزة بالتفضيل له على كل الرسل والأنبياء، فسماه أحمد. وقد فهم العرب الأوائل هذه الصفة على ألها خاصة بمحمد صلى الله عليه وسلم لذا فقد امتنعوا عن تسمية أبنائهم باسم أحمد. فلا نرى في صدر الإسلام أو في العهد الأموي من سمى ابنه "أحمد "وإن أول اسم صادفناه تاريخياً باسم أحمد هو الإمام أحمد بن حنبل في العهد العباسي. علماً بأن كثيراً من الصحابة سموا أبناءهم باسم محمد. أي ألهم فهموا أن اسم أحمد خاص بمحمد صلى الله عليه وسلم. كما أن اسم المسيح خاص بعيسى بن مريم.

ثانياً: نشأة اللغة وارتباطها بالفكر "نفخة الروح"

الصيغتين التاليتين:

لقد تطور الإنسان من البشر وتميز من "بقية البهائم" بالربط الذهني بين الشيء وصورته وذلك من خلال صيغة لغوية. حيث إن الحيوانات تربط بين الشيء وصورة الشيء بربط انعكاسي (reflection)فالكلب عندما يشم رائحة اللحم يسيل لعابه بربط انعكاسي بحت أي أن هناك الشيء "اللحم" وصورة الشيء "في مخ الكلب عن طري حاستي البصر والشم" حيث أدى الانعكاسي بينهما إلى سيلان اللعاب. هذا الشيء موجود عند الإنسان في سلوكه الغريزي "البهيمي البحت". أي أن الكلب له سمع وبصر وذوق والإنسان كبشر له سمع وبصر وذوق. فماذا يزيد الإنسان عن ذلك حتى نقول إنه بداية الأنسنة. فحتى نعرف بداية الأنسنة ونفخة الروح وظهور الفكر فما علينا إلا أن نبحث في نشأة الكلام الإنساني، والسبب الجوهري أن الربط الانعكاسي عند الحيوانات يتم بدون قالب لغوي "أي بدون أسماء". ونحن نعلم بشكل قاطع أن الفكر الإنساني مهما كان بدائياً لا يتم بدون قالب لغوي-"صوتي" لأنه يوجد تلازم لا ينفصم بين الفكر واللغة منذ بداية الأنسنة. ونرى الآن أن أهل الأرض جميعاً تفكر بقالب لغوي. أي أن اللغة لها وظيفتان الأولى هي حامل الفكر والوظيفة الثانية هي التواصل بين متكلم ومخاطب في صيغة حبر أو أمر وفي وقيفتان الأولى هي حامل الفكر والوظيفة الثانية هي التواصل بين متكلم ومخاطب في صيغة الخبر هي أكثر تردداً وتعجب واستفهام. فإذا نظرنا إلى الكلام الإنساني بين متكلم ومخاطب رأينا أن صيغة الخبر هي أكثر تردداً تليها صيغة الأمر والنهي تليها صيغة المغرو والنهي تليها صيغة المور والنهي تليها صيغة المعرون "البشر" نضع

فبدأ الإنسان بمرحلة الإدراك القائم على المشخص المحدد بحاستي السمع والبصر. وقلنا إن الفؤاد هو بمثابة المحمى أو الصاعق لمرحلة الفكر والذي ليه وهو "القلب". لذا عندما قال)وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن

كادت لتبدي به . (أي عندما فرغ فؤاد أم موسى "بلا فؤاد" كاد أن يصبح سلوكها بهيمياً انعكاسياً غير مسيطر عليه لذا قال) :إن كادت لتبدي به . (ولكن ذكر مرحلة الفكر المجرد "القلب" وهو المرحلة الأكثر تقدماً والأكثر وعياً حيث سيطرت على سلوكها بقوله) :لولا أن ربطنا على قلبها) (القصص 10. (فمهمة الفؤاد هي الإدراك بالمشخص الذي تنقله الحواس والربط بين الأشياء وأسمائها، أي هل يفيد هذا الاسم هذا الشيء حصراً ولا يفيد؟ وهذه هي عملية التقليم والتي بدأت بالربط بين الأصوات اللغوية "الأسماء" ومدلولاها العينية "المشخصة" وهذا الربط ذهني لا انعكاسي. وبعد ذلك تصبح الأسماء جاهزة للعلاقات المجردة في الفكر والعقل.

إن الفؤاد الإنساني الذي يربط بين الشيء المشخص واسمه هو بداية نفخة الروح حيث قلنا إن الله سبحانه وتعالى وجود أحادي من صفاته عدم التناقض فبدأ باعطاء هذه الصفة الخاصة إلى البشر بالفؤاد. وابتداء من هذه الخاصية بدأ النقيضان بالعمل في الدماغ الإنساني وهما "الرحمن والشيطان" التصديق والتكذيب "الحقيقة والوهم" وهنا نرى الصيغة الأولية للفكر الإنساني. هذه هي الحلقة المفقودة التي بحث عنها العلماء والتي ربطت بين البشر والإنسان وهي السر في بداية الأنسنة أي السر في جدل النقيضين غير الماديين الحقيقة والوهم "الرحمن والشيطان" والتي تم ربطهما بقانون عدم التناقض وهنا يكمن سر بداية نفخة الروح لذا قال عن آدم)فوسوس إليه الشيطان. (

وهنا يكمن السر لماذا تقدم البشر وتطور إلى انسان وأصبح كائناً عاقلاً "عالماً ومشرعاً، ولم تتطور بقية الحيوانات العليا من فصيلة القردة علماً بأنها وجدت بنفس الشروط الطبيعية ولها نفس النشأة البيولوجية؟ فالبش خضع لنفخة الروح فبقيت على ما هي عليه قردة، وعلى هذا يجب أن نزيل الأوهام العالقة في أذهاننا بأن الروح هي سر الحياة وإنما هي سر الأنسنة فالإنسان له روح وبقية الحيوانات لها روح.

وبما أن الكتاب يحتوي معلومات وتشريعات سمي روحاً) .وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا وما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان .. الآية) (الشورى 52.(

ونحن نرى إلى يومنا هذا أن محلة الإدراك الفؤادي هي المرحلة التي يبدأ بها تعليم الأطفال، وذلك بالربط القائم على حاستي السمع والبصر بين الشيء المشخص واسمه وهي المرحلة التي يبدأ بها أي علم جديد، أي عندما يكتشف الإنسان شيئاً جديداً فأول شيء يفعله هو أن يضع له اسماً أو تعريفاً. قد يقول البعض إن عدم التناقض والذي هو أساس الفكر الإنساني نتج عن ظاهرة العمل فهذا غير صحيح للأسباب التالية:

- 1لم يذكر أصحاب النظرية المادية الانعكاسية ما هما النقيضان اللذان يعملان في الدماغ الإنساني، وإذا كان هناك نظرية انعكاسية فكيف ظهر التصديق والتكذيب والحقيقة والهم في الدماغ الإنساني.

النظرية القرآنية تقول إن النقيضين غير الماديين اللذين يعملان في الدماغ "الرحمن والشيطان"، "الحقيقة

والوهم" مربوطان بقانون عدم التناقض. وعندما يفك هذا الربط فإن الإنسان يتحول إلى شخصيتين متناقضتين تماماً. فدائماً هناك موقف رحماني "صادق حقيقي" في أمر ما وموقف آخر شيطاني "كاذب وهمي" في الأمر نفسه.

- 2حتى يعمل الإنسان بشكل واع "العمل الواعي" يجب أن يكون عنده صيغة أولية بين المخاطب والمتكلم أي أن وعي الشخص الثالث فقط لا يكفي لكي يعمل الإنسان بشكل واع بل يجب أن يكون هناك بالإضافة إلى وعي الشخص الثالث وعي ا
- 3إن عدم التناقض ليس من صفات المادة الثنائية القائمة على المتناقضات بل هي صفة لوجود موضوعي آخر غير الوجود المادي المعروف من قبلنا وهو الوجود المشيأ "الأشياء". وذلك الوجود الآخر هو وجود أحادي متره عن صراع المتناقضات الداخلية في ذاته)ليس كمثله شيء .(وهو الله سبحانه وتعالى لذا قال :)ونفخت فيه من روحي.(

الرحمن والشيطان في الفكر:

عند الربط الذهني بين الشيء واسمه من قبل الفؤاد، يبرز شيء هام وهو الصراع بين نقيضين هما الرحمن والشيطان، فالرحمن هو اسم الله الذي يمثل قوانين الربوبية لهذا الكون المادي، وهو الذي يعطي الصور الحقيقية للأشياء فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن: كيف ظهر مفهوم الوهم عند الإنسان ومفهوم الخطأ؟ فالفؤاد الرحماني هو الذي يثبت الصورة الحقيقية للأشياء مع مسمياتها والفؤاد الشيطاني "الفعلاني" هو الذي يعطي صورة وهمية للمسميات ولولا هذه العلاقة الجدلية بين المتناقضات في الفكر الإنساني لما كان هناك شيء اسمه وهم ومثالية و لما كان هناك تخيل.

وهذا هو جدل الفكر الإنساني كظاهرة، حيث إن الطبيعة تقوم على القانون الأول للجدل وهو صراع المتناقضات في الشيء، والقانون الثاني التأثير والتأثر المتبادل بين شيئين مختلفين في مستويات مختلفة. أما جدل ظواهر الطبيعة فيقوم على الأضداد كالليل والنهار في اليوم والشهيق والزفير في التنفس "والتي تكون اليوم والتنفس". وكذلك الإدراك الإنساني قام على صراع المتناقضات الحقيقية والوهم والمربوط بقانون عدم التناقض. هذه العلاقة الجدلية بين المتناقضات جاءت في مصطلح الرحمن والشيطان الفعلاني)يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً) (مريم.(

وقد قلت إن الشيطان الفعلاني هو أحد أطراف العملية الجدلية في الفكر الإنساني وهو الطرف الوهمي المثالي. أما الرحمن فهو الطرف المادي الحقيقي .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن "هل الوهم من نتاج المادة التي لها وجود حقيقي"؟ لا يوجد خارج الفكر الإنساني شيء اسمه أوهام، فالأوهام فقط في الفكر الإنساني وهكذا نفهم قوله تعالى :)فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) (النحل 98 .(وهنا "قرأت" تعني التعلم والفهم، ولا تعني التلاوة، فالشيطان يحول فهم آيات القرآن من فهم مادي رحماني إلى فهم وهمي مثالي شيطاني وفي هذا المجال نجح الشيطان نجاحاً باهراً مع المسلمين وغيرهم، ونفهم أنه لا يوجد إنسان في العالم إلا وله شيطانه الخاص لأن أي موقف مثالي أو خطأ مهما كان نوعه فهو موقف شيطاني. هنا يجب أن نضيف إلى المخطط مفهوم الرحمن والشيطان اللذين يمثلان جدل النقيضين بين الحقيقة والوهم في الفكر الإنساني.

ثالثاً: كيف عبر القرآن عن مراحل نشأة الكلام الإنساني ونفخة الروح:

قلنا إنه لا يمكن أن يكون هناك تفكير إنساني بدون نمط لغوي لذا فقد ارتبطت نشأة الفكر بنشأة الكلام الإنساني الإنساني ارتباطاً لا انفصام فيه وقد عبر القرآن عن مراحل نشأة الفكر ونفخة الروح بنشأة الكلام الإنساني كالتالى:

المرحلة الأولى: مرحلة تقليد أصوات الحيوانات والطبيعة وهي التي عبر عنها بقوله) :وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) (البقرة 31.(

هنا نرى قوله "علم" والتعليم هو التمييز "التقليم" وهنا يجب أن لا نفهم أن التعليم وحي "إلهام" لأن الوحي يحتاج إلى لغة مجردة، ويجب أن لا نفهم أن الله جلس مع آدم وعلمه كما نعلم الأطفال، بل يجب أن نفهمها فهما ماديا رحمانيا، أي أنه أصبح يميز بواسطة الحواس "السمع والبصر" ويقلد بواسطة الصوت "السمع". أما قوله "آدم" فقد جاء هنا اسم جنس للدلالة على أن البشر أصبح متكيفاً متلائماً بوجود جهاز صوتي وبانتصابه على قدميه ومتلائماً لعملية الأنسنة .

أما قوله "الأسماء" فهي من فعل وسم وهي السمات المميزة للأشياء المشخصة والسمات الأساسية المميزة للأشياء المشخصة هي الصوت والصورة وقد بدأ بملاحظة الذي يصدر صوتاً ويتحرك "معاً" "الحيوانات" قبل ملاحظة الذي يصدر صوتاً بدون ملاحظة الحركة "الشجرة" لذا قال)كلها (أي السمات الصوتية المميزة لكل الأشياء المشخصة الموجودة حوله. أما قوله)ثم عرضهم . (فللدلالة على أن السمات هي للمشخصات حصراً لأن عرضهم تعود على المسميات لا على الأسماء وهل يعرض إلا المشخص. وهنا يجب أن نصحح أمرين اثنين:

- 1أن "الأسماء" هي السمات وليس كما يقول البعض بأنه علمه أسماء الأشياء كلها بمعنى اللغات. ولو عنى هذا لقال "علم آدم الألسن كلها" حيث إنه عند استمال الألسن في شكلها البسيط "استعمال التجريد من أبسط صورة" بدأ الوحي للإنسان من نوح وعندها قال) :وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه () ابراهيم 4.(
 - 2 يجب علينا أن نفهم قوله) :ثم عرضهم على الملائكة .(بأن آدم "الجنس" كان في الأرض، ولم يعلم ماذا

قالت الملائكة، ولا علاقة لآدم بهذا الحديث وفي هذا المجال قال) :قل هو نبأ عظيم) (ص67) .(أنتم عنه معرضون) (ص68) (ما كان لي من علم بالملأ إذ يختصمون) .(ص69). وقد قلنا إن العلم لا يكون إلا بالقلم للإنسان وغير الإنسان لذا فإن ما علمه آدم لم يدخل في علم الملائكة لأن الملائكة لها قلمها الحاص "تمييزاتها الحاصة" لذا أجابت الملائكة بقوله) :قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) .(البقرة 32. (

هذه المرحلة هي مرحلة التقليد أو المحاكاة "أي مرحلة آدم الأول وفيها ظهر وعي الشخص الثالث هذه المرحلة هي مرحلة ما قبل الكلام الإنساني وهي التمهيد الضروري التي تليها وهي مرحلة بداية الكلام الإنساني القائم على التقطيع بفعل الأمر "أي مرحلة آدم الثاني."

المرحلة الثانية "مرحلة آدم الثانى:"

مرحلة فعل الأمر وقد جاءت في قوله) :قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) (البقرة 33. (

فقوله) :يا آدم أنبئهم .(والنبأ جاء من النبأة وهي الصوت ومنه سمى النبأ لأنه ينتقل من شخص لآخر كما أن الصوت ينتقل من مكان إلى آخر. وقوله) :بأسمائهم .(أي أن واسطة النبأ هو التمييز الصوتي لذا استعمل حرف الجر "الباء" والباء فيها الواسطة أي أن النبأ "الصوت" هو واسطة الدلالة على الاسم فربط بين الصوت والاسم، وبالتالي الشيء والسمة الصوتية للشيء.

وهذه المرحلة ظهر فيها التقطيع الصوتي بواسطة فعل الأمر فمثلاً "لفظة الطلب" للشخص الثاني بواسطة التقطيع الإرادي.

تكرار خرخر ____ فعل الأمر خرخر.

تكرار زق زق ____ فعل الأم زق زق

في هاتين المرحلتين نرى مرحلة الإدراك الفؤادي وهي مرحلة الشيء المشخص وصورة الشيء عن طريق حاستي السمع والبصر واسم الشيء.

نلاحظ في هذه المرحلة أن الله تعالى قال) :وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) (البقرة 34.(

لنقارن تسلسل الآيات "30، 31، 32، 33، 34). في سورة البقرة مع تسلسل مراحل الخلق في قوله تعالى:)إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين) (ص 71) . (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) . (ص72) . (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) (ص73) . (إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين . () ص 74. (

نلاحظ في الآية 30 في سورة البقرة قوله) :إني جاعل في الأرض خليفة (للدلالة على استكمال التسوية وفي

الآية 34 في سورة البقرة طلب السجود ومنه يتبين أن الآيات 31)، 32، (33كانت للتعبير عن بداية نفخة الروح "بداية الأنسنة."

وفي هذه المرحلة بدأ البش يصبح إنساناً بظهور الشيطان الفعلاني ولكنه كان غير قادر على ظاهرة العمل الواعي، لذا قال له) :اسكن أنت وزوجك الجنة (وقد شرحت في مكان آخر جنة آدم وهي عبارة عن غابات استوائية فيها أشجار مثمرة "متوفر فيها الطعام والماء والظل"، كانت هذه الفترة لتعميم فعل الأمر والتقطيع الصوتي على الأصوات المخزونة لديه من المرحلة الأولى. لذا قال)ولا تقربا) . (صيغة الطلب . (وكان هذا الطلب أول ظاهرة من ظواهر التشيع البدائي. هنا يجب أن نفهم الشجرة على أنها ذات معنى رمزي فقط حيث جاءت صيغة التشريع البدائي في صيغة تتعلق بمظاهر الطبيعة الشائعة والبارزة لدى الإنسان.

وقد مثل الشيطان الفعلاني الجانب الجدلي في العملية الفكرية حيث دخل الوهم إلى الإنسان بأن هذه الشجرة فيها الخلود "الباطل" حيث كان لدى الإنسان غريزة البقاء فلعب الشيطان بهذه الغريزة حتى أدخل الوهم إلى الفكر الإنساني. في هذه الحالة التي أخذت فترة من الزمن أصبح الإنسان جاهزاً للعمل الواعي فانتقل نقلة نوعية بقوله) : فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) (البقرة 36.(

هذه النقلة هي نقلة)فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) (طه 117) حيث مثلت هذه النقلة بقوله)اهبطوا بعضكم لبعض عدو .(حيث كانت الحياة الاجتماعية والتشريعية لم تبدأ بعد وبقوله)فتشقى .(بدأت ظاهرة العمل والتواصل بين اثنين مع البقاء على استعمال الأصوات المقطعة المكتسبة من تقليد أصوات الحيوان وظواهر الطبيعة، لذا اعتبرها القرآن فترة انتقالية مؤقتة بقوله)ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين.(مرحلة آدم الثالث:

هذه المرحلة تعتبر القفزة الهائلة في نفخة كقفزة قانون ربط النقيضين بعدم التناقض، وهي قفزة التجريد حين إن الإدراك الفؤاد يقوم بربط الأسماء بالأشياء كل على حدة ربطاً قائماً على الحواس وعلى رأسها حاستي السمع والبصر. انتقل الإنسان بعدها إلى مرحلة أخرى من مراحل تطور اللغة وبالتالي الفكر وهي مرحلة التجريد أي الانتقال من العلاقة الطبيعية بين الصوت والمدلول القائمة على الحواس "السمع والبصر" إلى علاقة اصطلاحية قائمة على الاسم والشيء فقط هذا ما يسمى بالتجريد. وبما أن الطبيعة المعروفة كلها قائمة على المشخصات فكان الإنسان بحاجة إلى قفزة نوعية للانتقال من المشخص إلى المجرد.

وبما أننا ننطلق من النظرة الرحمانية)المادية (في المعرفة الإنسانية أي أن المعلومات تأتي من الخارج القائم على قوله)والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) (النحل 78.(

فالسؤال الذي يطرح نفسه كيف بدأ التجريد عند الإنسان لأول مرة علماً أن الطبيعة خالية من التجريد أي

أنه لم يأت تقليداً لظاهرة ما في الطبيعة؟

هنا جاءت مرحلة آدم الثالث لتغطي هذه القفزة. في قوله تعالى) : فتلقى آدم من ربه كلمات فتات عليه إنه هو التواب الرحيم) . (البقرة 37 . (لقد جاءت قفزة التجريد من الله مباشرة أي أنه سمع أصواتاً مجردة لها معنى التوبة، والتوبة من المفاهيم المجردة وليست من المشخصات أي أنه سمع فعل أمر من صوتين أو ثلاثة أصوات مقطعة كقوله تب فتات عليه. وهنا بدأ التجريد .وقد أعطى الكتاب مثالاً رائعاً على التجريد والعلاقة الاصطلاحية بين الصوت والمدلول في الآية)وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وستريد المحسنين) (البقرة 58). هنا لاحظ العلاقة الاصطلاحية بين لفظة "حطة" وبين نغفر لكم خطاياكم أي:

حِطَّةٌ "علاقة اصطلاحية بصيغة الطلب <--- "تعنى المغفرة.

قارن بهذه العلاقة الاصطلاحية بقوله تعالى:

) فتقلى آدم من ربه كلمات فتاب عليه (والكلمات كما قلنا من الناحية اللسانية تعني مجموعة الأصوات المقطعة أي تلقى مجموعة من الأصوات المقطعة بصيغة الطلب تعني التوبة بعلاقة اصطلاحية غي طبيعية وعليه فإنه ليس بالغريب أبداً أن نرى أن أول كلمة بدأ بها الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم هي صيغة الطلب بفعل الأمر "اقرأ". بعد هذه القفزة الربانية الهائلة أي قفزة التجريد بدأ القانون الثاني للجدل يعمل مع القانون الأول.

فالقانون الأول للجدل يعمل على ربط النقيضين بعدم التناقض. أما القانون الثاني فبدأ منذ التجريد يعمل بربط الأشياء بعضها مع بعض عن طريق أسمائها المجردة كقولنا "القط جميل". وهذا هو بط أسماء الأشياء والمفاهيم بعضها ببعض "تأثير وتأثر متبادل قانون الزوجية" برباط يسمى الرباط المنطقي ''المسند والمسند إليه" أي ببداية الفكر المجرد بدأت العلاقات بالمنطقية بين أسماء الأشياء والمفاهيم وباكتمال التجريد الذي بدأ بقوله:)فتلقى آدم من ربه كلمات .(

والذي أخذ وقتاً طويلاً اكتمل الرباط المنطقي للغة بظاهرتي الصرف والنحو، فظاهرة الصرف تعني إعطاء أساء جديدة للأشياء أي عندما يكتشف الإنسان جديداً غير معروف سابقاً فإن أول شيء يفعله دون شك هو أن يضع له اسماً ''مصطلح" وفي الوقت الحاضر تستعمل قواعد الصرف "الاشتقاق" في اللسان الواحد أو يستعار من لسان آخر. وفي ظاهرة النحو تظهر بشكل جلي العلاقة المنطقية بين البنية اللفظية النحوية وبين مدلو لاتها.

وكذلك ظهر القانون الثالث وهو قانون الأضداد في الظواهر "صفات الأشياء والمفاهيم". وقد ظهر مفهوم العقل وهو الربط المجرد بين المقدمات والنتائج بقانون عدم التناقض الذي ربط بين الرحمن والشيطان، وبه يستنتج الإنسان المجهول من معلوم وهو القانون الأساسي للتفكير المنطقي المجرد عند الإنسان فإذا كانت

النتائج وهمية فهي شيطانية، وإذا كانت حقيقية فهي رحمانية وفي كلتا الحالتين يعمل قانون عدم التناقض. والآن ما علينا إلا أن نؤكد الحقائق التالية في أذهاننا:

- 1إن القانون المنطقي موجود عن كل الناس العاقلين على حد سواء، لأهم يمتلكون لساناً، ولكن مستويات استعمال هذا القانون تختلف من إنسان لآخر، وهذا القانون يعمل على حد سواء.. سواء كانت المقدمات حقيقية "رحمانية" أم وهمية "شيطانية" لأنه لا يمكن أن نقول: إن العلماء عاقلين والدجالين مجانين حيث كلاهما عاقل. ولكن العالم يستعمل المقدمات الرحمانية، والدجال يستعمل المقدمات الشيطانية وكلاهما يستعمل قانون عدم التناقض.
 - 2إن القانون المنطقي الذي هو ربط مجرد بين أسماء الأشياء بعضها ببعض لاستنتاج المجهول من معلوم إلى مبدأ عدم التناقض. هذا القانون هو الذي نسميه المنطق الصوري.
- 3إن قانون الربط بين النقيضين بقانون عدم التناقض والربط المنطقي بين المقدمات والنتائج القائم على عدم التناقض هو القانون الذي لا يخضع للتطور أبداً وهنا تكمن نفخة الروح. حيث أن التطور جاء منهما وهذا القانون لم يتولد من علاقة إنتاجية أو من طبقة أو من علاقة اقتصادية، بل به تميز الإنسان كجنس وقفز من المملكة الحيوانية وهو الحلقة المفقودة عند داروين.

وهنا لا بد من التنويه لإزالة الالتباس، بطرح اسمين للمنطق: الأول المنطق الصوري. والثاني: المنطق الجدلي. وهذا خطأ فادح حيث لا يوجد منطق جدلي، بل يوجد قوانين الجدل. أما المنطق فهو قانون التفكير الإنساني المجرد والقائم على عدم التناقض.

الآن يمكن أن نضع المخطط الثاني للمرحلة الثانية "مرحلة التفكير الجرد الذي ينتهي بالتعقل:"

مرحلة الهبوط الثانى:

بعد أن تلقى آدم الثالث القفزة الأساسية وهي بداية التجريد حصل الهبوط الثاني وهو الانتقال إلى مرحلة اكتمال التجريد واكتمال العلاقة المنطقية .في هذه المرحلة بدأ الإنسان باكتساب المعارف وبداية العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والتشريعية في أشكالها البدائية. لذا قال)قلنا اهبطوا منها جميعاً .(وأتبعها بقوله) :فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (البقرة 38. (لاحظ الفرق بين التعقيب على الهبوط الأول بقوله) :ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) (البقرة 36). وبين التعقيب على الهبوط الثاني)فإما يأتينكم مني هدى .(وقد جاءت هذه الصيغة للمستقبل، وقد أرسل الله رسلاً للهدى بواسطة الوحي .وهل يمكن أن يكون هناك وحي من الله لإنسان دون أن يملك الإنسان لغة مجردة 'السان" لكي يوحي له بها.

الاصطفاء:

)إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) (آل عمران 33. (لقد حصل الاصطفاء في مرحلة آدم الثالث: أي أن الذي تلقى التجريد والعلاقة الاصطلاحية شخص واحد وعن طريق السمع وقد علمها هذا الشخص للآخرين.

لذا جاءت صيغة الهبوط "الانتقال" في الجمع في قوله) :اهبطوا منها جميعاً .(أي هو ومن كان معه وعلمهم هو تعليماً. وهذا يؤكد قوله تعالى) :قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدئ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) (طه 123.(

هنا لاحظ التعليق على قوله "جميعاً" بعد "اهبطا منها" حصل القول لمننى والتنفيذ للجمع لأنه لو حصل الهبوط لاثنين فقط فإن كلمة جميعاً لا معنى لها لأنه لو كان الخطاب موجهاً إلى جزء من كل لقال "أجمعون" كقوله:) فسجد الملائكة كلهم أجمعون) (الحجر 30) أي أن السجود ليس من كل الملائكة وإنما حصل من الذين وجه إليهم القول: ولو قال: "فسجد الملائكة جميعاً" لعنى بذلك جنس الملائكة كلهم، وكقولك "فجاء الناس كلهم جميعاً" لكان كلهم أجمعون" أي جاء الناس الذين وجهت إليهم الدعوة فقط. ولو قلت "فجاء الناس كلهم جميعاً" لكان معنى ذلك مجيء الناس بدون استثناء. وهنا قوله جميعاً هي للكل، لذا أتبعها بقوله): فإما يأتينكم مني هدى. (وهذا ما نراه حتى يومنا هذا عند كل أهل الأرض أن العلاقة الاصطلاحية بين الصوت والمدلول "الاسم والمسمى" لا تأتي إلا تعليماً أي أن الشخص الذي يعرف العلاقة الاصطلاحية يعلمها للشخص الذي لا يعرفها. وهذا ما يحصل عند تعليم الأطفال الكلام من قبل الوالدين والمجتمع، فالطفل يمكن أن يقلد صوت المرة والكلب دون أن يعلمه أحد، ولكن لا يمكن له أن يعلم لوحده كلمة الهرة أو الكلب.

ولو ولد إنسان وعاش لوحده في غابة فإنه يستطيع أن يمر بمراحل آدم الأول والثاني ولكنه لا يبلغ مرحلة التجريد أي بإعطاء علاقة اصطلاحية بين الصوت والمدلول كما حصل عند آدم الثالث إلا إذا علمه إياها أحد. وهنا يكمن الاصطفاء لآدم الثالث. والذي هو أبو الإنسان وأبو الجود التاريخي وليس أبا البشر. وعندما نقول عن أنفسنا إننا نحن بنو آدم فهذا لا يعني أننا نحن أبناءه بشكل فيزيولوجي مباشر ولكنه يعني أولاً: أننا نحن من الجنس الآدمي المتكيف المتلائم. وثانياً أن آدم المصطفى والدنا، فنحن أبناؤه من حيث الأنسنة، حيث نقول في اللسان العربي إن فلانا ابن المدينة أي ولد في المدينة وأخذ طباعها. ونقول إن فلانا ابن أبيه ونعني بذلك أن أباه علمه وأخذ طباعه فكان نسخة عنه أما نوح وآل ابراهيم وآل عمران فهم من أبناء آدم بالمصطفى من صلبه أي من أبنائه لقوله) : ذريةً بعضها من بعض.(

لذا فإن الإنسان الذي تعلم التجريد ومشى فيه استمر إلى يومنا هذا والذي لم يجرد وبقي على العلاقة الطبيعية فقد انقرض، وهذا ما يسمى بالإنسان الحديث فهو الإنسان الذي اكتمل عنده حد أدنى من العلاقات المجردة أي أصبح له لغة ولو في أدنى مستوى تجريدي.

لقد شرحنا سابقاً مفهوم الشيطان وقلنا إن هناك نوعين من الشيطان: الشيطان الفعلاني من "شاط، شيط" وهو أحد أطراف العملية في جدل الأضداد في الفكر الإنساني، والشيطان الفيعالي من " شطن" وهو وجود مادي خارج الوعى.

أما إبليس فقد جاء من "بلس" وتعني في اللسان العربي اليأس والقنوط كقوله) :فإذا هم مبلسون) (الأنعام .44.

وهنا يجب أن نميز بين الملائكة وإبليس، فإبليس كان من الجن وهي مخلوقات عاقلة مكلفة وجدت قبل الإنسان عندما كانت الأرض ما زالت ملتهبة وقبل أن تبرد لذا قال) :وخلق الجان من مارج من نار) (الرحمن 15). وقال) :والجان خلقناه من قبل من نار السموم) (الحجر 27). والجان لها بنية مادية تختلف عن البنية المادية للإنسان بحيث تأخذ هذه البنية أشكالاً مختلفة، ويمكن أن تكون هذه البنية موجية لذا قال) :وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً) (الجن 8) .(وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) (الجن 9. (

هذا الكلام لا ينطبق إلا على مخلوقات يمكن أن تأخذ بنية موجية. ومنه نفهم أن إبليس ليس له علاقة بالملائكة لا من قريب ولا من بعيد وإنما وجد على الأرض كآدم ولكنه قبله.

ثم قال الله للملائكة أن يسجدوا لآدم، ونحن علم أن)قوله الحق (فإذا تفحصنا الآيات حول هذا الموضوع رأيناها كما يلي:

)ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ()الأعراف 11). هنا لاحظ كيف وضع إبليس في محل خبر بقوله) :لم يكن من الساجدين . (ثم ليبين بشكل قاطع أن الله قال للملائكة قولاً وأمر إبليس أمراً اتبعها بآية منفصلة بقوله) :قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) (الأعراف 12). ثم لاحظ ان ابليس ليس له علاقة بالملائكة ولم يخرج من الأرض كآدم لذا قال له كقوله لآدم) :قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين) (الأعراف 13.(

ولكي يؤكد أن إبليس عصى الأمر ولم يخالف القول قال) :وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دويي وهم لكم عدو بئس الظالمين بدلاً () الكهف 50.(

أما قوله) :وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) (طه 116) . (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فشقى) (طه 117). هنا تعبير)إن هذا (اسم إشارة للدلالة على أن أحد الشياطين الفيعالية هو إبليس لأنه وجود مادي خارج الوعي فهنا يجب أن نميز بين مهمة الشيطان الفعلاني التي هي تحويل الحقيقة إلى وهم وهو الذي قال عنه) :فوسوس إليه الشيطان . (ومهمة إبليس "الشيطان

الفيعالي" التي هي مخالفة الأمر لذا قال عنه) :إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)(الأعراف 27. (

لاحظ كيف جاءت "الشياطين" بصيغة الجمع. وبما أن أوامر الله ونواهيه بدأت من عهد آدم بأبسط الأمور)لا تقربا .(وأن أهم أوامر رب العالمين بدأت بموسى وانتهت بمحمد صلى الله عليه وسلم وهي الصراط المستقيم "الوصايا والحدود جزئياً أو كلياً لم تكن قد جاءت بعد قال) :قال أنظرين إلى يوم يبعثون) .(الأعراف) .(قال إنك من المنظرين) .(الأعراف 15) .(قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) (الأعراف) .(ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمالهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) (الأعراف .17

هنا نلاحظ قوله) : لأفعدن لهم صراطك المستقيم) (والصراط المستقيم بدأت بالتوحيد)لا تشركوا به شيئاً . (وانتهى بالوصايا العشر والحدود لذا قال) :أنظرني إلى يوم يبعثون (ولكي يبين أن الشيطان الفيعالي "هو وجود خارج الوعي الإنساني" قال) : لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) (الأعراف 17.

لذا فان مهمة الشيطان الفعلاني هي مهمة تحويل الحقيقة إلى وهم في الفكر وزرع الفكر بالأوهام "المثالية" فهي مهمة معرفية بحتة ليس لها علاقة بالحلال والحرام، أما مهمة "ابليس" الشيطان الفيعالي فهي خارج الوعي الإنساني وهي خلق ظروف موضوعية لحض الناس على مخالفة الصراط المستقيم الذي له علاقة بالحلال والحرام فقط "الأخلاق والحدود."

أما قوله)فدلاهما بمغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواقهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما رهما ألم ألهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) (الأعراف 22. (هنا تصف الآية التصرف الطفولي البدائي للإنسان عندما يشعر أنه اقترف ذنباً إذ نرى الأطفال الآن عندما يقترفون ذنباً فإنه بإدراكهم الطفولي يحاولون الاختباء والاختفاء عن الأعين أي)بدت لهما سواقهما . (لا تعني ظهرت الأعضاء التناسلية ولكن بدا لهما أن هذا العمل سيء ومنها جاءت السيئة والسيئات وهنا بين مرحلة بدائية من مراحل وجود الضمير الذي يؤنب الإنسان والتصرف البدائي الطفولي لردة الفعل للضمير الإنساني الذي بدأ بالتشكل.

علماً بأن جنس آدم عند نفخه الروح كان عارياً لا يعرف الملابس وكان يعيش في منطقة ذات مناخ حار حيث قال) :لا تظما فيها ولا تضحى) (طه 119.(

رابعاً: مرحلة الإنسان القديم من آدم إلى نوح

لقد بدأ القصص بعد آدم بنوح مباشرة، ولم يغط الفترة الطويلة بين آدم ونوح حيث أن البش التي تعلمت التجريد من آدم المصطفى في كل منطقة وجد فيها البشر استمرت عملية الأنسنة. حيث قلنا إن البشر

انتشرت قبل الأنسنة وأن آدم كان في أكثر من منطقة أي أن آدم المصطفى كان أكثر من واحد في أكثر من منطقة. وإن البشر التي لم تتعلم التجريد منه انقرضت وهذا ما يسمى بالإنسان القديم الذي انقرض لأنه لم تتم عنده عملية الأنسنة بالتجريد.

أي أن الإنسان القديم هو الإنسان الذي بقيت عنده العلاقة الطبيعية بين الصوت والمدلول دون القفزة إلى العلاقة الاصطلاحي. لقد بدأ القصص القرآني بنوح لأنه يعتقد بأن نوحاً يمثل بداية التاريخ الإنساني الحديث في منطقة الشرق الأوسط على الأقل، ومرحلة نوح تمثل اكتمال لغة مجردة بأبسط أشكالها حتى حصل الوحي للجنس البشري من الله، لأنه لا يمكن أن يكون هناك وحي بدون لغة تقوم على علاقات مجردة، هذا الوحي بدأ بنوح بأبسط صورة مجردة وانتهى بمحمد صلى الله عليه وسلم فأصبح القرآن قمة التجريد اللغوي عندما وصل اللسان العربي إلى طور "اللسان العربي المبين" واعتبرت لغة القرآن قمة العلاقات المنطقية المجردة. ولكن ماذا يخبرنا القرآن عن الفترة الواقعة بين آدم ونوح.

لقد اعتمد التعليم بعد آدم على المشخص، وذلك بأن أرسل الله من الملائكة رسلاً ترى بالعين المجردة وتسمع بالأذن، لذا عندما بعث نوحاً وكان هنا لغة مجردة في شكلها الأولى قال له قومه) :فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكةً ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولي () المؤمنون 24.

إذا حللنا هذه الآية نرى ما يلي:

أ- الاستغراب بأن بشراً جاءه وحي من الله ليدعي بذلك الزعامة على قومه علماً بأن قومه تعودوا على أن الاتصال من الله بالبشر كان عن طريق الملائكة لذا قالوا) :ولو شاء الله لأنزل ملائكة .(هنا لاحظ) لأنزل ملائكة .(أي وضع صيغة الإنزال أي أن الملائكة التي بعثها لتتصل بالناس مشخصة وترى بالحواس "قابلة للإدراك" أما عندما يترل الملائكة ولا ترى بالحواس يستعمل صيغة "نزل" كقوله)تترل الملائكة والروح فيها بإذن رهم من كل أمر) (القدر 4.(

ولكي يؤكد أن هذه أول مرة يأتي بها الوحي إلى جنس البشر عندهم قالوا) :ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين. (ب- لقد أكد لهم نوح من طرفه ما يلي) :ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذاً لمن الظالمين) (هود 31. (

ج- لقد أكد أن اللغة التي يتكلم بما نوح وقومه هي لغة مجردة مقطعة إلى مقاطع صوتية متميزة وذلك ليبين أن الإنسان أصبح جاهزاً لوحي وذلك في قوله) .حم) .(الشورى 1) .(عسق) .(الشورى 2) .(كذلك يوحي إليك وإلى الذي من قبلك الله العزيز الحكيم) (الشورى 3.(

هنا نلاحظ أن "حم" عبارة عن مقطعين صوتيين متميزين وأن "عسق" عبارة عن ثلاثة مقاطع صوتية مقطعة متميزة. ثم اتبع هاتين الآيتين بقوله "كذلك ''وكذلك في اللسان العربي تستعمل في خبر غير ابتدائي للتعليق

على خبر ابتدائي والخبر الابتدائي هو)حم —عسق (حيث شرحها بقوله) :كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم . (هنا وضع المفعول به قبل الفاعل لأهمية الخبر، والخبر هو أنه عندما وجد القطعان الصوتيان المتميزان والثلاثة مقاطع الصوتية المتميزة بدأ الوحي وعلى هذا الغرار كان الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم وللذين من قبله لذا أضاف إليها الآية)وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً) (الشورى 7. (ولكي يبين أن نوحاً هو أول من أوحي إليه من البشر قاطبة، وأن به بدأ تاريخ الإنسان الحديث في الشرق الأوسط على الأقل قال) :إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده .. الآية) (النساء 163. والآن ما هي الأشياء التي جاءت للإنسان في الفترة بين آدم المصطفى ونوح؟ أي في فترة الانتقال من العلاقة الطبيعية بين الصوت والمدلول إلى العلاقة الاصطلاحية؟

ممارسة الإنسان لدفن الموتى عن طريق التعليم المشخص المباشر "التقليد" حيث أكد الكتاب بأن الإنسان تعلم دفن الموتى تعليماً "فؤادياً" مرتبطاً بحاستي السمع والبصر)فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين) (المائدة .31.

لقد ذكر هذه الحاثة ليؤكد أن الإنسان كان لا يعلم دفن الموتى، وقبل ذلك كان يترك الموتى في العراء كالبهائم، وهذا يؤكد مرة أخرى قوله تعالى) :وعلم آدم الأسماء كلها .(بأن الأسماء لا تعني الألسن واللغات، لأن الإنسان لا يمكن أن يكون عنده دلالات دون أن يكون لها مدلولات في ذهنه. فكيف يمكن أن يتعلم آدم فعل "دفن" مثلاً باللسان العربي وهذا الفعل ليس له مدلول في ذهنه. لذا فتفسير)الأسماء .(على أنها أسماء الأشياء كلها ولا ندري بأية لغة؟ هل هي بالعربية أو الإنجليزية؟ وأنها جاءته إلهاماً، هذا التفسير هو تفسير خاطئ.

ولقد أكد أن هذه الحادثة حصلت بعد آدم بقوله) :واتل عليهم نبأ ابن آدم بالحق) (المائدة 26). هنا يجب أن نفهم أن ابني آدم لا تعن أولاد آدم المباشرين من صلبه، ولكن نفهمهما كقولنا نحن أبناء آدم بأي نحن أبناؤه بالأنسنة وليس بالبشرية. كقولنا عن الذي تخرج من جامعة دمشق "ابن جامعة دمشق." وهكذا نرى أن الإنسان تعلم في هذه الفترة تعليماً مشخصاً فقط وذلك عن طريقين: أولهما عن طريق الملائكة فكانت مشخصة يراها الإنسان ويسمعها وقد سماها النذر، لذا قال) :وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) (فاطر 24). لقد أرسل الله هذه النذر إلى كل التجمعات التي بدأت بالأنسنة في كل أنحاء الأرض، هذه الملائكة أعطتهم فكرة أولية عن الله والتوحيد بأبسط صورة البدائية وعن التقرب والعبادة لله بأبسط الصور البدائية المشخصة، وهي تقديم القرابين لله. لذا لا نرى تجمعاً إنسانياً مهما كان بدائياً إلا ولديه فكرة ما عن الله، ولديه مفهوم ما للتضحية والتقرب من الله أولاً والتي تشوهت فيما بعد وأصبحت التقرب من الآلهة. هذا المفهوم في أبسط صورة بقي عندنا نحن المسلمين في الذبح في عيد الأضحى المبارك وفي هذا قال) :واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله

من المتقين) (المائدة 27.(

هنا نلاحظ أن مفهوم التقوى لم يكن مجرداً بل كان تقبل الله للقربان تقبلاً مادياً محسوساً. ونلاحظ أيضاً نمو مفهوم الضمير الإنساني بالتقوى وظهور المفهوم الاجتماعي لرفض قتل النفس بقوله) :لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين) (المائدة 28.(

علماً قتل النفس لم يحرمه الله سبحانه وتعالى إلا في رسالة موسى لذا قال) :من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) (المائدة 32). أي أن الناس قبل موسى كانت تتصرف حسب أعرافها في عقوبة قتل النفس أو في العقوبة التي تستحق قتل النفس. وهكذا نفهم فقط قوله تعالى) :كذبت قوم نوح المرسلين) (الشعراء 105) فنوح إنسان واحد وهو رسول فلما قال) :المرسلين (بالجمع؟ هنا نفهم بأنه قبل نوح كان المرسلون من الملائكة فكذبوهم وكذبوا نوحاً معهم فقال) .المرسلين (بالجمع؟ هنا نفهم بأنه قبل نوح كان المرسلون من الملائكة فكذبوهم وكذبوا نوحاً معهم فقال) .المرسلين.(

بهاتين الطريقتين: التعليم المشخص المباشر "التقليد" أو إرسال ملائكة مشخصة تعلم ما يلي بالإضافة إلى دفن الموتى والقرابين:

عن طريق الملائكة المشخصة: تعلم اللباس بأبسط صوره بقوله بعد ذكر آدم الثالث والانتقال إلى مرحلة الأنسنة مباشرة) : يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سواتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون) (الأعراف 26). هنا نلاحظ كيف ذكر عن اللباس الإنزال ولم يذكر التتريل أي أن الإنسان أدرك اللباس عن طريق شيء ما قلده. ولو ذكر التتريل للباس لعني بذلك أنه أرسل ملابس مخيطة من عنده، أي جاءت الملابس بعينها من عند الله وليس فكرة الملابس. أي أن بدايات الإنسان الحديث كان الإنسان يلبس شيئاً ما، وهذا الشيء شرحه في سورة النحل "انظر فصل المفاهيم الجمالية في الباب الرابع." وعن طريق التعليم المباشر التقليد اكتشف الإنسان النار واستعملها. لقد ذكر الكتاب أن الإنسان عاش في مناطق لها غطاء نباتي "غابات" ونحن نعلم إلى يومنا هذا أن الغابات يمكن أن تشب فيها الحرائق الطبيعية بدون مناطق لها غطاء نباتي "أبات" ونحن نعلم إلى يومنا هذا أن الغابات يمكن أن تشب فيها الحرائق الطبيعية بدون وتنحل الإنسان فهي ملفتة للنظر، لأنها تصدر حرارة وتضيء في الليل وتنتقل وتتوسع من شجرة إلى أخرى وتسبب خوفاً وذعراً له وللحيوانات التي تعيش معه. فمن تكرار ملاحظة الإنسان لهذه الحرائق، وكيف ألها وتسبب خوفاً وذعراً له وللحيوانات التي تعيش معه. فمن تكرار ملاحظة الإنسان لهذه الحرائق، وكيف ألها فعند ذلك أوقد النار منها لنفسه لذا قال تعالى) :الذي جعل لكم من الشج الأخضر ناراً فإذا أنتم منه فعند ذلك أوقد النار منها لنفسه لذا قال تعالى) :الذي جعل لكم من الشج الأخضر ناراً فإذا أنتم منه

هنا ذكر بأن النار التي جعلت من الشجر الأخضر "الغابات" هي التي أوقد منها الإنسان بعد أن رآها مرات عديدة لذا قال)فإذا (ولو أوقد الإنسان النار من أول مرة رآها لقال "فإذا أنتم منه توقدون."

هنا يعطينا القرآن حقيقة تاريخية كبرى وهي أن الإنسان أوقد النار ممن حرائق الغابات، وعندما أشعل الإنسان النار بواسطة الاحتكاك كان يعرف النار وفوائدها ومضارها وكان بحاجة إليها ومن الاحتكاك اكتشف كيف يشعلها بنفسه.

هذه النواحي التي أعطاها القرآن تعتبر قفزات نوعية هائلة في تقدم الإنسان نحو الأنسنة وابتعاده عن المملكة الحيوانية.

ففي ظاهرة دفن الموتى ظهر مفهوم اجتماعي وذلك بالقيام بعمل ما يتعلق بغيره وله فيه وللآخرين مصلحة. وفي ظاهرة القرابين ظهر مفهوم التضحية والإيثار، وهو مفهوم التقوى بأبسط صوره والذي جاء فيما بعد بمفهوم العبادات والإيثار.

وفي ظاهرة الامتناع عن قتل النفس تعبير مباشر عن بداية ظهور الضمير الاجتماعي وظهور الأخلاق التي كانت الوصايا العشر "الفرقان" قمتها.

وفي ظاهرة اشعال النار قفز الإنسان قفزة معرفية كبرى حيث أن إشعالها أولاً من حرائق الغابات ثم من الاحتكام مكنته من الدفاع عن النفس والرؤيا في الليل وظهور ظاهرة أكل اللحم مشوياً. ونرى أن الفترة الزمنية الكبرى ابتداء من إشعال الإنسان النار بالاحتكاك "توليد الحرارة من قوة ميكانيكية" إلى توليد القوة الميكانيكية من الحرارة بالمحرك البخاري أخذت الآلاف من السنين.

الإنسان الحديث:

لقد قلنا إن الإنسان الحديث الذي بدأ بنوح كان يملك لغة مجردة في أبسط بصورها حيث سمحت هذه اللغة بظاهرة الوحي علماً بأنه كان هناك مرحلة انتقالية اشترك فيها الوحي المجرد مع الملائكة المشخصين. فعن مرحلة نوح قال) :كذبت قوم نوح المرسلين) (الشعراء 105) وعن مرحلة عاد قال) :كذبت عاد المرسلين ()الشعراء 123 (ولكن هناك ناحية هامة في مرحلة عاد إذ إنه جاءت الملائكة "النذر"قبل هود ومع هود لذا قال) :واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) (الأحقاف 12.6)

هنا لاحظ قوله) :وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) (الأحقاف 21). لذا كانت هداية هود على أيدي النذر التي عاصرته) :ومن بين يديه .(حيث لم يأت قومه بالبينات المادية التي طالبوه بها) :قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) (هود 53 .(هنا نلاحظ طلب الناس للبينة حيث يعلمنا الله أن لا نتبع كلام أي شخص بمجرد أنه قال كذا وكذا بدون بينات وقد كانت بينة النبي صلى الله عليه وسلم هي القرآن "النبوة" الذي هو تصديق بالذي بين يديه "الرسالة."

وكذلك قال في ثمود)كذبت ثمود المرسلين) (الشعراء 141). وكذلك قال في لوط) :كذبت قوم لوط المرسلين) (الشعراء 160). وقوله) :ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم

عصيب) (هود 77). ولابراهيم أيضاً جاءت الملائكة المشخصة بالإضافة إلى الوحي في قوله) :ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حينئذ) .(هود 69 .(وقد انقطعت الملائكة عند موسى حيث بعث الله معه أخاه هارون، وعند عيسى، وعند محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن بينات موسى وعيسى كانت خارج النبوة والرسالة وكانت مادية مشخصة. أما بينة محمد صلى الله عليه وسلم فكانت نبوته)القرآن (وفيها قمة العلاقات المجردة أي أن المعقولات سبقت المحسوسات وعند هذا نضجت الإنسانية مهيأة لتتم مسيرة التطور والأنسنة لوحدها إلى قيام الساعة.

إن القصص في الكتاب يعطينا تطور التشريعات في الرسالات والمعلومات في النبوات بالنسبة للإنسان الحديث ابتداء من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم. وهنا يكمن سر القصص. وهكذا يجب أن يدرس القصص في الكتاب. أما من يقول إن القصص جاء لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم فهذا نوع من العبث .وإن من يقول عن قوله تعالى) :كذبت قوم نوح المرسلين (بأن تكذيب نوح هو بمثابة تكذيب للرسل التي جاءت من بعده فهذا عبث أيضاً لأن الإنسان يمكن أن يكذب من معه ومن قبله ولكنه لا يكذب من هو بعده .فتكذيب قوم نوح له ولمن قبله لا يعني تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم إذ ليس لهم آية علاقة بمحمد صلى الله عليه وسلم وإلا فإنهم شركاء الله في معرفة سياق التاريخ الذي هو غيب بالنسبة لهم. والله أعلم.

الفصل الثالث نظرية المعرفة القرآنية

تمهيد

قلنا إن العلاقات المجردة التي جاء التعبير عنها باللغة المجردة والرباط المنطقي القائم على عدما لتناقض بالربط بين نقيضين هما الرحمن والشيطان هي نفخة الروح وهي التي حولت البشر إلى إنسان ومازالت نفخة الروح تقوم بهذا العمل الجبار التي أنجزته الإنسانية بفرعين رئيسيين وهما:

- 1خط التشريع والعبادات والأخلاق وهو العلاقات الاجتماعية والقانونية بين الناس والتعبدية بين الناس والله وهي التي نقول عنها العلاقات المتحضرة "خط الرسالات."
- 2خط تقدم المعرفة الإنسانية بالموجودات وظواهر الطبيعة والتي سمحت للإنسان بتسخير الطبيعة لمصلحته والسيطرة عليها "خط النبوات" "العلماء ورثة الأنبياء."

إننا سنطلق اصطلاحا على الخط الأول العقل الاتصالي "الاجتماعي والأخلاقي والتعبدي"، وعلى الخط الثاني العقل العلمي.

وبما أن الكتاب كله يحتوي على النبوة "العقل العلمي" والرسالة "العقل الاتصالي" معا فقد سماه روحا)وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا لهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) .(الشورى 52). وسمي جبريل روحا لأنه كان ينقل الأوامر "الرسالات" والمعلومات "النبوات."

وهنا يكمن جدلا لإنسان في العقل العلمي "المعرفي" وفي العقل الاتصالي "الاجتماعي." وأعطى تعريف الروح بشكل قاطع في ألها أوامر رب العالمين في الرسالات والمعلومات الموحاة في النبوات بقوله) :ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .(الإسراء 85). ولكي يبين أن الروح في هذه الآية هي مجمل الوحي أي الأوامر والنواهي والمعلومات إلى النبي صلى الله عليه وسلم أتبعها بقوله:

)ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) . (الإسراء 86. (
قلنا إن جدل الإنسان يتجلى في ظاهرة الفكر غير الموجودة في بقية الأشياء التي نعرفها لذا قال:
) ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) . (الكهف 54. (
تبين هذه الآية أن قوانين الجدل هي من القرآن وأن الأمثال المضروبة في الكتاب هي من القرآن . وفي قوله:
)أكثر شيء جدلا (استعمل كلمة "أكثر" للدلالة على الزيادة الكمية في الجدل. أي أن الجدل الموجود في الأشياء موجود في الإنسان ولكن هناك جدلا في الإنسان غير موجود في الأشياء، هو جدل الفكر. ولو كان الإنسان هو نفس جدل الأشياء ولكنه أوضح في الإنسان. لقال: "وكان الإنسان أكبر شيء جدلا.'' لقد شرحنا في قوانين الجدل القانون الأول للجدل في الشيء الواحد. والقانون الثاني العلاقة المتبادلة بين الأشياء المتميزة بعضها عن بعض "الأزواج .''وهذه العلاقة موجودة في مستويات التأثير المتبادل وهي علاقة في غاية التعقيد حيث ن العلاقة الزوجية بين شيئين مختلفين توجد في مستوى تأثير وليست في وحدة. هذان القانونان يعملان في الأشياء ومن ضمنها الإنسان كبشر وهما العمود الفقري لقوانين القدر.

الأضداد:

إن مفهوم الأضداد يختلف كثيرا عن مفهوم المتناقضات والأزواج. ففي الأشياء لا يوجد أضداد بل أزواج ومتناقضات، ولكن الأضداد موجودة في ظواهر الأشياء التي تدرس من قبل الإنسان. فالقانون الأول للجدل في الشيء الواحد وعيناه من خلال الموت والحياة. وكذلك الأرض والشمس هما من الأشياء. ولكننا لا نقول عن الليل والنهار ألهما من الأشياء ولكنهما ظاهرة طبيعية تولدت عن دوران الأرض حول نفسها، وكذلك الصيف والشتاء هما ظاهرتان تولدتا عن دوران الأرض حول الشمس.

هذه الأضداد والتي هي من ظواهر الأشياء هي الطريقة التي يستوعب بها الإنسان الأشياء ولها وحدة تسمى وحدة الأضداد حيث أن الأضداد يلغي بعضها بعضا ولا تجتمع ولكنها تتعاقب وتتناوب، ويوجد في تناوبها

مرحلة انتقالية.

فمثلا بين الليل والنهار يوجد الفجر، وبين النهار والليل يوجد الغسق فالأشياء في الطبيعة لا يلغي بعضها بعضا ولكن الإلغاء "النفي والإثبات "يكمن في ظواهر هذه الأشياء. حيث نفهم هذا النفي والإثبات من خلال الحركة الميكانيكية والحرارية والعضوية..الخ. وهذا ما تدرسه العلوم.

وبما ن الفكر الإنساني ظاهرة وليس شيئا. واللغة هي حال هذا الفكر ولا تنفصل عنه، فقد تم التعبير عن الفكر الإنساني في ظاهرة الأضداد وقد ظهرت هذه الأضداد في اللغة كحامل للفكر لا ينفصم عنه. أي أننا يمكن أن نورد ما يلي:

- 1 القانون الأول للجل: "قانون صراع المتناقضات في الشيء الواحد" وقد أدى هذا القانون لتطور اللغات كمفردات جديدة وقوانين للصرف.
 - 2 القانون الثاني للجدل "قانون التأثير والتأثر المتبادل بين الشيئين ''وقد أدى هذا القانون إلى العلاقات المنطقية بين الكلمات في تأليف الجمل وإخراج المعانى المختلفة قد عبر عنه في قوانين النحو.
- 3 بما أن التعبير عن ظواهر الطبيعة جاء في الأضداد فجاءت الأضداد في التعابير اللغوية وفي المعاني الكلمات أي التعبير عن الفكر، فقد جاءت المتناقضات في الفكر الإنساني المعرفي في مصطلحي الرحمن والشيطان "الحقيقة والوهم" وجاءت الأضداد في التعابير اللغوية "قيا، قعود" "شهيق، زفير" "حب، كراهية"، "فجور، تقوى"، "كفر، إيمان" "سالب، موجب" "كبير، صغير" "قليل، كثير" "يمين، يسار .''

أي وجب علينا تمييز النقيضين في الرحمن والشيطان أي الحقيقة والوهم الملتبسين معا والمربوطين بقانون عدم التناقض وبين التعبير اللغوي على ظاهرة ما وذلك في الأضداد أي أن الرحمن هو الجانب الحقيقي والشيطان الجانب الوهمي في الضد الواحد علما بأن الحركة بين الأضداد هي حركة تناقضية .وظاهرة الأضداد في بنية اللسان العربي واضحة بشكل جلى في الظاهرتين التاليتين:

أ - يوجد أفعال في اللسان العربي ذات تراكيب صوتية بحيث إذا انعكس التركيب الصوتي انعكس المعنى، أي أعطت المعنى المضاد تماما:

- -كتب "تعني تجميع الأشياء بعضها إلى بعض" ومنها جاء الكتاب والمكتب والكتابة.
- -ب ت ك "تعني تفريق الشيء إلى قطع أو تفريق الأشياء بعضها عن بعض، كقوله تعالى)فليبتكن آذان الأنعام) . (النساء 119. (
 - -در "تعني الإعطاء كقوله تعالى)كوكب دري) .(النور 35). أي أنه شفاف يمرر الضوء.
 - -رد "عني رد الشيء."
 - -فاض "عكسها في الصوت والمعنى" ضاف.
- -نمر سمى النهرنموا لأنه ينهر المياه ويمررها .عكسها في الصوت والمعنى رهن وتعني الحجز ومنه جاءت الرهينة.

- -شرف تعنى العلو ومنه جاءت الشرف والشرفة، عكسها في الصوت والمعنى فرش.
 - -حبس تعنى الحجر عكسها في الصوت والمعنى سبح وتعنى الحركة المستمرة.
- -جب وتعنيا لتجميع ومنه جاء معنى الجب وهو المكان الذي يجمع المياه وعكسها في الصوت والمعنى بج فنقول بجت الأرض الماء أي طرحته.
 - -رخص تدل على الرخاوة، عكسها في المعنى والصوت صخر.
 - -س رح تدل على الإطلاق وعكسها في المعنى والصوت ح رس.
 - -ح زم تدل على شدة في الأمر وعكسها في المعنى والصوت م زح.
 - -علق منها تعليق شيء بشيء آخر عكسها في الصوت والمعنى قلع.
 - -قشع عكسها في الصوت والمعنى عشق.

ب - يوجد في اللسان العربي أفعال كل فعل يحمل المعنيين: المعنى والمعنى المضاد تماما في نفس الفعل. فأحيانا يأتى المعنى الأول وأحيانا يأتى بالمعنى الأول وأحيانا يأتى بالمعنى الأول وأحيانا يأتى بالمعنى الأول وأحيانا يأتى بالمعنى المضاد تماما وأحيانا يأتى بالمعنى الأول وأحيانا يأتى بالمعنى المضاد تماما في نفس الفعل.

-ظن: لها معنيان متضادان: المعنى الأول الشك كقوله تعالى) :وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا) .(يونس 36) .(إن بعض الظن إثم) .(الحجرات 12. (

وجاءت في المعنى المضاد وهو اليقين في قوله تعالى) :الذين يظنون ألهم ملاقوا رهم وألهم إليه راجعون . (البقرة 46 . (وقوله) :قال الذين يظنون ألهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) . (البقرة 249). وقوله) :فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه * إني ظننت أبي ملاق حسابية * فهو في عيشة راضية) . (الحاقة 19، 20، 21). وقوله)ورأى المجرمون النار فظنوا أنعهم مواقعوها) . (الكهف 53). وقوله)ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة) . (القيامة 24-25) وقوله) :فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا) . (الإسراء 101. (

-عبد: فعل له معنيان متضادان: الأول الذل والخنوع .والثاني الأنفة والكبر. ففي المعنى الأول جاءت في قوله تعالى)إياك نعبد وإياك نستعين) .(الفاتحة). ومنها جاءت العباد والعبيد .وكقوله تعالى)التائبون العبادون الحامدون السائحون) .(التوبة 112 .(وقوله) :لا أعبد ماتعبدون) .(الكافرون 3). وقوله) :إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) .(غافر 60). وقوله) :وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه) .(هود 123 .(وقوله تعالى) :قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) .(الأنبياء 53. (وجاءت بمعنى التكبر والأنفة والاستعلاء في قوله تعالى) :قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين .(

وهذا يعني أن الله أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن الرحمن لم يلد ولم يولد فإذا تبين أن له ولد فإن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول إنسان يكفر به ويستنكف عنه.

وجاءت تحتمل المعنيين معا في قوله) : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) . (الذاريات 56). هذه الآية خبرية. فالله خلق الجن والإنس أحرارا ولهم حرية الاختيار، فمنهم من يعبد بمفهوم التذلل والطاعة، ومنهم من يعبد بالمفهوم المضاد، أي يكفر ويتكبر. وهذه الآية تعطينا الغاية من خلق الإنسان وهي الحرية وتنسجم مع قوله تعالى) : وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. الآية) . (الكهف 29. (

- خفى: لها معنيان متضادان: الأول الستر والثاني الظهور . ففي المعنى الأول جاءت في قوله تعالى) : ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) . (إبراهيم 38) وقوله تعالى) : يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) . (الحاقة 18) وقوله) : وتخفي في نفسك ما الله مبديه) . (الأحزاب 37. (

وفي المعنى الثاني أي الظهور والعلن جاءت في قوله تعالى) :إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) .(طه 15 .(هنا "أخفيها" بمعنى ظهرها .وقوله تعالى) :وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) .(طه 7) هنا "وأخفى" تعنى العلن أي يعلم السر والعن.

-تل: لها معنيان متضادان هما: الارتفاع والانخفاض. ففي معنى الارتفاع جاءت كلمة التل وهو المكان المرتفع. وفيمعنى الانخفاض جاءت في قوله تعالى): فلما أسلما وتله للجبين). (الصافات 103) أي أخفضه على جبينه إلى الأرض ليذبحه.

-مولى: لها معنى السيد والعبد. فنقول الله مولانا "أي سيدنا" ونقول فلان مولى فلان "أي خادمة". وجاءت في المعنى الأول في قوله تعالى) :وإني خفت الموالي من ورائي) .(مريم 5. (

-عدل: لها معنيان متضادان: العدل "المساواة" والظلم فلفي معنى العدل جاءت في قوله تعالى) : وأمرت لأعدل بينكم) . (الشورى 15). وقوله تعالى) : فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة . . الآية) . (النساء 3). وقوله تعالى) : وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) . (الأنعام 152). وفي المعنى الثاني في قوله تعالى) : أإله مع الله بل هم قوم يعدلون) . (النمل 60. (

-قسط: لها معنيان متضادان: الأول البر والإحسان. والثاني: الجور والطغيان. فالمعنى الأول جاء في قوله تعالى:)إن الله يحب المقسطين) .(المائدة 42). وقوله تعالى) :وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) (...النساء 3). والمعنى الثاني جاء في قوله تعالى) :وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) .(الجن 15. (

-رغد: وتعني شظف العيش ورخاءه ففي المعنى الأول جاءت في قوله تعالى) :وكلا منها رغدا حيث شئتما) (البقرة 35 . (وفي المعنى الثاني) وضرب الله مثلا قرية كانت آمن مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) . (النحل 112 . (ومن أراد الاستفاضة في هذا الموضوع فليراجع كتاب الأستاذ محمد عنبر) جدلية الحرف العربي (وفيزياء الفكر والمادة. كيف استعمل الكتاب فعل "جدل" في المواقف الفكرية الإنسانية:

بما أن جدل الإنسان قائم على جدل الأضداد في مظهره وجدل المتناقضات في جوهره "محتواه" وذلك في

تفكيره العقائدي وفي سلوكه فقد استعمل الكتاب فعل "جدل" عند الإنسان في حالة الأضداد وليس الأزواج علما بأن العلاقة بين الأضداد هي علاقة تناقضية.

) - 1ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) .(الكهف 56. () وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذهم فكيف كان عقاب) .(غافر 5. (

هنا نلاحظ كيف استعمل الجدل بين الباطل والحق، وهما من الأضداد في وحدة هي الفكر الإنساني، وقد قلنا إن أحد معاني الجدل هو الكلام ومراجعة الكلام ''موقف وموقف مضاد"، ونلاحظ هذا المعنى موقف وموقف مضاد". بشكل كامل في قوله تعالى:

)قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) .(المجادلة 1). لقد كانت المرأة التي تشتكي اللنبي حول المظاهرة في موقف مضاد فيما يتعلق بزوجها ولكنها هي ليست في موقف مضاد مع النبي. فحول الموقف بالنسبة لزوجها قال) :تجادلك في زوجها.(

وحول علاقتها مع النبي صلى الله عليه وسلم قال) :والله يسمع تحاوركما .(هنا نلاحظ كيف استعمل فعلي الحوار والجدل في آيةواحدة. وعندما يوجه الإنسان كلاما إلى آخر، أمرا أو فهيا أو خبرا بدون أن يعرف موقف الآخر، في هذه الحالة يسمى "خطابا" كقوله تعالى لنوح) :ولا تخاطبني في الذين ظلموا إلهم مغرقون .() هود 37) ومن هنا جاء مفهوم المهرجان الخطابي حيث يعرض الإنسان في خطابه وجهة نظر، وبعد ذلك يجادله قسم من الناس، وقسم آخر يحاوره.

-) 2إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه). (غافر 56. (
 -) -ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص) .(الشورى 35. (
 -) -حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين). (الأنعام 25. (
 -) -ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا) (غافر 4. (

هنا نلاحظ أن الجدل غير الحوار فقد قال "يجادلون" ولم يقل"يحاورون" أي يمكن أن يكون هناك حواريين اثنين من المؤمنين حول معنى آية. ولكن الذي يتخذ موقفا ضد آيات الله فهذا موقف جدلي لذا قال عن الذي يجادلون في آيات الله)مالهم من محيص .(وقال عنهم) : الذين كفروا .(وقال عنهم) :إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) .(غافر 56. (

-) 3قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) .(هود 32. (
-)-أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) .(الأعراف 71. (

هنا كان موقف جدلي بين نوح وقومه وبين هود وقومه وكان الجدل قائما بينهم على الوحدة والتعددية لذا قال فم هود) :أتجادلونني في أسماء .(وكان هذا الموقف الجدلي بين الوحدانية والتعددية بين النبي صلى الله عليه وسلم وقومه في قوله) :وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون) .(الحج 68. (

-4ولكي يبين أن الجدل من الأضداد يمكن أن يكون في الإنسان الواحد وأن الأضداد تتناوب وتتعاقب قال عن إبراهيم) : فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط * إن إبراهيم لحليم أواه منيب) .(هود 74-75. (

لقد اتخذ إبراهيم موقفا مضادا حين جادل رب العالمين في قوم لوط فالله يريد أن يهلكهم وكان موقف إبراهيم هو التريث لذا قال)يجادلنا في قوم لوط .(ورد الله عليه) :يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد داء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود) .(هود 76. (

ولكي يبين وحدة الأضداد في إبراهيم أوردها في آية منفصلة في قوله) :إن إبراهيم لحليم أواه منيب) . (هود 75). فالحلم هو من الأناة، والتأوه من العجلة فهما متضادان ووحدهما هو منيب من الإنابة. فالإنابة أما بحلم أو بتأوه. ولكي يبين أن الأضداد تتناوب وتتعاقب قال في سورة التوبة) :وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) . (التوبة 114). لاحظ التناوب في قوله تعالى:

إن إبراهيم لأواه حليم -إن إبراهيم لحليم أواه.

والإنابة هي وحدة "أواه حليم" كالتنفس الذي هو وحدة الشهيق والزفير.

هنا نلاحظ الجدل في الأضداد في المواقف الإنسانية، ففي موقف إبراهيم مع أبيه كان أواها حليما أي كان يستعجل الاستغفار لأبيه لذا غلب الأواه على الحليم، وفي موقفه من قوم لوط كان موقف إبراهيم هو تأجيل العذاب لذا غلب الحليم على الأواه. وهكذا لا نستغرب لماذا سمي إبراهيم خليل الرحمن، والرحمن ففيه توليد الثنائيات.

جدل الأضداد في العلاقات الاجتماعية والسياسية والفكرية بين الناس:

لقد قسم القرآن جدل الأضداد الذي يعتبر ظاهرة للتعبير عن المتناقضات الداخلية في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية بين الناس إلى نوعين من الجدل:

-النوع الأول:

جدل متصالح غير متخاصم أي هناك مواقف جدلية بين مجموعتين من الناس ولكن هذه المواقف ليست مواقف تصادمية وبدون عنف وقد أطلق عليها القرآن "الجدل بالتي هي أحسن" وذلك في قوله) :ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) .(العنكبوت 46). فقوله) :إلا بالتي هي أحسن .(يعني بالضرورة أن هناك جدلا مضادا وهنا نلاحظ كيف بين الكتاب العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب فالعلاقة العقائدية هي علاقة جدل متصالح)بالتي هي أحسن (أي هناك مواقف جدلية ولكنها غير تصادمية، ولكن فيما يتعلق بالعدل والظلم عكن أن يكون هناك جدل تصادمي مع أهل الكتاب ومع غيرهم من المسلمين أيضا لذا قال) :إلا الذين

هنا بين لنا الكتاب الموقف الإسلامي الواضح من غير المسلمين من أهل الكتاب وهذا الموقف "هو موقف جدلي غير تصادمي" بالنسبة للأمور العقائدية وموقف جدلي تصادمي في الأمور الاجتماعية الاقتصادية والسياسية في حالة الظلم، وحالة الظلم هذه تنطبق أيضا على العلاقة بين المسلمين أنفسهم لذا قال) : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) . (النساء 148. (

-النوع الثاني:

الجدل التصادمي "الجدل المتخاصم" هذا النوع من الجدل بين المتناقضات في الجوهر والأضداد في المظهر فيا لعلاقات الاجتماعية والسياسية هو جدل مبرر في الحالات التالية:

أ - حالة الظلم لقوله) : إلا الذين ظلموا. (

ب - في حالة القتال العقائدي والسياسي لفئات تعادي المسلمين عنوه وصراحة كالعلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وبين مشركي العرب حيث كانت علاقة جدل تصادمي وقد بين هذا في قوله) :ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون * وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) .(الزخرف 57-58). هنا نلاحظ العلاقة الجدلية المتخاصمة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومه. وكانت هذه العلاقة واضحة في المعارك التي خاضها النبي صلى الله عليه وسلم مع مشركي العرب. وقد أكد الكتاب أن العلاقة مع غير المسلمين من غير أهل الكتاب هي علاقة جدل غير تصادمي)بالتي هي أحسن .(وذلك عندما يكون موقف هؤلاء من المسلمين موقف جدل غير تصادمي وقد أكد هذا في قوله) :لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فيا لدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المسطن) .(المتحنة 8. (

هنا نلاحظ كيف وضع الآية بصيغة عامة بحيث لم يقل "من أهل الكتاب" بل وضعها صيغة عامة لكل الناس. أي على المسلم أن يكون في علاقة جدلية غير تصادمية مع كل الناس الذين يتخذون مواقف مضادة ما عدا هؤلاء الذين يتخذون مواقف جدلية تصادمية من المسلمين ويحاولون احتلال أراضيهم وديارهم. ومع الظالمين من المسلمين ومن غيرهم.

-شرح قوله تعالى)ن والقلم وما يسطرون: (

بما أن أساس لمعرفة الإنسانية هو التمييز "القلم" حيث أنه في الإدراك الفؤادي، العين تقلم الأولان والأبعاد والأشكال ضمن مجال إمكانياتها، والأذن تقلم الأصوات ضمن مجال إمكانياتها السمعية وكذلك بقية الحواس ثم بعد ذلك يأتي الفكر المجرد وتقلم العلاقات المجردة بعضها عن بعض بواسطة اللغة المجردة أولا ثم بواسطة اللغة المجردة والرموز تقوم على علاقات منطقية. ولكن عندما بدأ اللغة المجردة والمحال لا يميز الذكر عن الأنشى في المتكلم والمخاطب ولا يميز العدد أيضا فقد ظهر هذا التمييز

في فترات لاحقة.

فالكتاب يخبرنا أن غحدى وسائل التمييز التي لعبت دورا في الكلام الإنساني المجرد هو صوت النون وذلك في قوله تعالى)ن والقلم وما يسطرون) .(القلم 1. (

فنرى في اللسان العربي أن الصيغة العامة التي تشمل العاقل وغير العاقل هي صيغة "ما" كقوله) :ولله يسجد ما في اللسموات وما في الأرض) .(النحل 49. (

ثم استعملت النون لتمييز العاقل فقط بلفظة "من" كقوله) :ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها) .(الرعد 15. (

"ما" "صيغة عامة" سبقت في الاستعمال التاريخي.

''من" "صيغة خاصة" للعاقل جاءت بعد "ما" وقد استعمل فيها صوت النون.

وكذلك لعبت النون دورا في التمييز بين الذكر والأنثى وذلك في "نون النسوة". حيث "أنتم" صيغة عامة للذكور والإناث سبقت نون النسوة في الاستعمال الذكور والإناث سبقت "أنتن" "صيغة للإناث فقط" أي أن ميم الجماعة سبقت نون النسوة في الاستعمال التاريخي.

وهكذا نجد أن صوت النون في السياق التاريخي كان له دور كبير في التمييز "التقليم" لذا أتبع هذا الصوت في الآية بقوله) :والقلم .(وبزيادة التقليم زاد التصنيف للأشياء وهذا ما يسمى بالتسطير لذا أتبعها بقوله) وما يسطرون .(

وقد جاءت يسطرون من فعل "سطر" وهو في اللسان العربي له أصل مطرد يدل على اصطفاف الشيء كالكتاب والشجر وكل شيء اصطف. وهذا ما يسمى باللغة الإنيكليزية (Classification)وهو ما نسميه بالعربية التصنيف .أي أن القلم هو تمييز الأشياء بعضها عن بعض وهو ما يسمى

(identification)ثم يعقبه تصنيف الأشياء حسب مواضيعها وهذا ما يسمى بالتسطير .وفي هذا قال)وكل صغير وكبير مستطر) .(القمر 52 .(أي أن كل الأمور والأشياء صغيرها وكبيرها تدخل ضمن التصنيف .(Classified))

ومن فعل سطر جاءت الأسطورة وهي تصنيف الأشياء الباطلة بعضها إلى بعض لإخراج قصة ولهذا سميت أسطورة.

فصوت النون زاد في تقليم الأشياء بعضها عن بعض وزيادة التقليم أدت إلى التصنيف .لذا قال) :ن والقلم وما يسطرون.(

قد يقولا لبعض إن صوت النون زاد في التقليم والتصنيف في اللسان العربي فما حال بقية الألسن؟ إن الشيء المؤكد في صوت النون هو أنه موجود في كل ألسن أهل الأرض قاطبة وبدون استثناء. وبالإضافة إلى صوت النون يوجد الأصوات التالية في كل ألسن أهل الأرض قاطبة:

الألف أ اللام ل ألر الراء ر الياء ي السين س

ولقد ميز الصحابة الذين خطوا المصحف بين يس) .يس .(التي هي مقطعين صوتيين "ي س" والتي تلفظ بالدمج (YES)وبين ياسين الكلمة التي وردت في سورة الصافات في قوله) :سلام على آل ياسين .() الصافات 130). أي أن "يس" و "ألر" و "ن" هي مقاطع صوتية موجودة في ألسن أهل الأرض قاطبة.

الفرع الأول: جدل الأضداد في معرفة آيات الله (العقل الرحماني والعقل الشيطاني(

أولاً: أسس العقل الرحماني:

لقد عبر القرآن عن جدل الأضداد في ظواهر الطبيعة في مصطلح آيات الله وذلك في قوله:

-) -ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين). (الروم 22
 -) -إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين) .(الجاثية 3. (
 -) -وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون) .(الجاثية 4. (
 -) -واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتما وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) .(الجاثية 5. (
 -) -تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون) .(الجاثية 6. (لقد أعطى الكتاب في سورة الجاثية ثلاثة مستويات مختلفة لظواهر الطبيعة سماها في الآية رقم 6 بآيات الله. هذه المستويات هي:
 - 1 المستوى العام: هو ظواهر الطبيعة فيا لوجود المادي كله في قوله) :إن في السموات والأرض . (هنا نلاحظ قوله)في السموات والأرض . (ولم يقل "إن السموات والأرض .''حيث أن تصديق الظواهر العامة في السموات والأرض هو من أركان الإيمان لذا قال) : لآيات للمؤمنين. (
- 2المستوى الخاص الأول: هو ظواهر الحياة العضوية في قوله) :وفي خلقكم وما يبث من دابة .(وقد جعلها في مستوى يقيني حيث أن الخلق والبث والحياة والموت هي من قوانين الجدل "التسبيح" اليقينية التي يعتبر البعث نتيجتها لذا قال) :لقوم يوقنون.(
 - 3المستوى الخاص الثاني: ظواهر الطبيعة غير العضوية كالليل والنهار والأمطار والرياح وقد جعلها في

- مستوى عقلي أي أنه يربط فيها المقدمات والنتائج ويمكن تقليدها على مستوى صغير لذا قال)لقوم يعقلون. (والآن: ما هي المركبات المعرفية لظواهر الطبيعة؟ لقد أعطىا لكتاب المركبات المعرفية لظواهر الطبيعة في الآيات التالية والتي سماها "كتاب مبين."
 -) -وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات اأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) .(الأنعام 59. (
 -) -وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين .(
) يونس 61. (
 -) -وما من دابة في الأرض إلاعلى الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين). (هود 6. (
 -) -ومامن غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين). (النمل 75. (
-) -وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكن عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا اصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) . (سبأ 3. (
- هنا نلاحظ أن الآيات التي ورد فيها مصطلح "كتاب مبين" تحتوي على ظواهر معرفية وهذه الظواهر يمكن أنه تجمل بالبنود التالية:
 -) ويعلم ما في البر والبحر: (تركيب الأشياء .(Ingredients
 -) -وما تسقط من ورقة إلا يعلمها :(الحركة الميكانيكية للأشياء "الانتقال من مكان إلى آخر .'' (Movement).
 -) -ولا حبة في ظلمات الأرض: (
 -) وما من غائبة في السماء والأرض: (مواقع الأشياء . (Position)
 - ولا رطب ولا يابس .(الحركة الحوارية والعضوية للأشياء .(Transformation of motion) -ولا رطب ولا يابس
 -) -وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر :(الكتلة والوزن وقد بين وحدة الكتلة والوزن في الذرة وذكر أن هناك أصغر من ذلك وأكبر من ذلك.
 -) -ويعلم مستقرها ومستودعها : (حركة الحياة العضوية للكائنات الحية بما فيها البشر.
 -) -ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه : (أعمال الإنسان الواعية "السلوك الواعي" مهما استرسل فيها وذلك في قوله)إذ تفيضون فيه. (
- هنا يجب أن نذكر الملاحظة الهامة وهي أنه في الآيات السابقة يتكلم عن أشياء وظواهر موجودة فعلا في العالم المادى.
 - فطبقا لآيات الكتاب إذا أردنا معرفة ظواهر الطبيعة فما علينا إلا أن نحدد العناصر التالية لهذه الظواهر:
 - 1مواقع الأشياء :(Position)ففي الموقع يظهر مفهوم النسبة والأضداد، فإذا أردنا أن نحدد موقع

- جسم ما فما علينا إلا أن ننسبه إلى جسم آخر ثم نحدد موقعه بالنسبة لهذا الجسم، فيظهر مفهوم الفوق والتحت واليمني واليسار والشمال والجنوب.
- 2 البعد :(Dimension)فيا لبعد لا يظهر مفهوم النسبية وإنما يظهر مفهوم المقارنة، فعندما نحدد بعد جسم "أبعاده الثلاثة" نحتاج إلى مقياس للمقارنة حيث أن أبعاد الأجسام موجودة في ذات الأجسام غير منسوبة إلى غيرها، وإنما لها مقياس للمقارنة وفيها الصغير والكبير.
 - 3-ركة الجسم :(Motion) في الحركة تظهر الأنواع المختلفة للحركة وفيها مفهوما لنسبية والوقت والأضداد. فهناك الحركة الميكانيكية والحرارية والعضوية وانتقال شكل من أشكال الحركة إلى شكل آخر، فمن الحركة الميكانيكية نحصل على حرارة، ومن الحرارة نحصل على حركة ميكانيكية.
 - 4كتلة الجسم: نعبر عنها بالكتلة ثم بالوزن وقد اعتبر الكتاب أن الذرة هي وحدة الوزن "الثقل" وهي وحدة مركبة الأجسام المختلفة.
 - 5تركيب الجسم: وهو معرفة العناصر المركبة لهذا الجسم.
 - 6 الكم في الوحدة أو الكتلة أو البعد أو الحركات بأنواعها.

هذه هي مركبات العلوم الطبيعية كلها، ولكن علينا أن نعلم أن هناك مفهومين متناقضين في هذه العناصر الخمسة الأولى وهما حركة الجسم وموقع الجسم، فلا يمكن للإنسان أن يدرس بنفس الوقت حركة جسم وموقعه. فإذا أردنا أن ندرس موقع جسم في لحظة ما، فهذا يعني أنه لا يتحرك. وإذا أردنا أن ندرس حركته فهذا يعني أن موقعه متغير. فلإزالة هذا التناقض تم تقسيم العلوم إلى فرعين رئيسيين هما:

أ - حركة الجسم دون النظر إلى موقعه، وهذا ما عبر عنه في الطلب بمفهوم الفيزيولوجيا وما عبر عنه في التاريخ بمسار التاريخ. وما عبر عنه في اللغة بمسار تطور اللغة. وعندما ندرس مسار صاروخ من الأرض إلى القمر فإننا نعتبر الصاروخ نقطة مادية.

ب - موقع الجسم وأبعاده ومركباته دون النظر إلى حركته: وهذاما عبر عنه في الطب بالتشريح، فالتشريح يأخذ مقطعا من جسم الإنسان إما في الجنين أو لطفل أو المسن ويدرسه في اللحظة التي تم أخذ المقطع فيهاوما عبر عنه فيا لتاريخ بالفترات التاريخية. فالمؤرخ إما أن يدرس حركة مسار التاريخ أو يدرس تاريخ العالم في القرن الثالث قبل الميلاد. ففي هذه الحالة يذكر الشعوب والأسماء والمعارك والوضع الإنتاجي والاقتصادي بكل تفاصيله المكنة.

إن موقع الجسم وأبعاده يسمى بالمواصفات الهندسية للجسم (Geometrical Properties)وهي من أهم المواصفات التي يدرسها الإنسان في العلوم. فمثلا في الهندسة ظهر عزم العطالة من بعد الجسم وموقعه. فالجسم له ثلاثة أبعاد M3 وله موقع واحد بالنسبة إلى شيء آخر منسوب إليه. وهذا الموقع الواحد له بعد M4.ففي هذه الحالة يصبح عزم العطالة . M4.

طريقة التعبير عن المعارف:

قلنا إن أساس المعرفة هو التقليم ثم التسطير "التمييز والتصنيف" وقد تم التعبير عن المعرفة بالأشكال التالية:
- 1 التعبير التشكيلي: وهو أن يرسم الإنسان شكلا ما شاهده مشاهدة مشخصة وقد رسم الإنسان فعلا في الكهوف القديمة بعض الحيوانات التي كانت لها صلة مباشرة معه "تعبير فؤادي" ثم تطور هذا التعبير إلى أبجدية بتطور اللغة المنطوقة ووسائل الإنتاج وتطور إلى فنون النحت والرسم والتصوير. أي أن بداية التعبير التشكيلي كانت بداية فؤادية لها علاقة مباشرة بالسمع والبصر ثم تطورت إلى تعبير مجرد عن قيم "انظر فصل المفاهيم في الباب الرابع". وما زالت هذه التعابير تستعمل حتى يومنا هذا بالرسم في علوم الهندسة والطبيعة والطب.

- 2 التعبير اللغوي: وهو أعم وأساس التعابير عن المعرفة الإنسانية وقد بدأ بداية فؤادية مشخصة بالسمع والبصر ثم انتقل إلى التجريد وقد شرحت هذا في مقالتي حول نشأة اللغة وارتباطها بالفكر.
 - 3 التعبير "الكمي" العددي والرمزي: وهو التعبير الأكثر تجريدا من التعبير اللغوي لذا ظهر في مرحلة متأخرة "حيث ظهر في الرياضيات". وظهرت فيه العلاقات المجردة بأرقى تعابيرها.

فمثلا عندما نريد أن نعبر عن دائرة، فأما أن نرسمها تشكيليا أو نقول هذه دائرة لغويا أو نكتب معادلة دائرة بالشكل التالى:

 $\mathbf{R}^2 = \mathbf{X}^2 + \mathbf{Y}^2$

-التعبير العددي "الكمى:"

لنبدأ الآن بتعريف العدد والرقم. إن الرقم والعدد مصطلحان يعبران عن الكم .فالرقم يعبر عن كم معرف والعدد عن كم غير معرف، أي أن الرقم عبارة عن عدد معرف. فإذا قلنا مثلا لإنسان: عد الطلاب الموجودين في القاعة وقال إن عددهم "45" طالبا.

ففي هذه الحالة يكون قد أجابا لطلب، وإذا قلنا له رقم الطلاب الموجودين في القاعة فقال إن زيدا رقمه واحد وعمرا رقمه اثنان... وهكذا دواليك، فالعدد هو واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، والرقم هو الأول، الثاني، الثالث، الرابع فالفرق بينهما هو كالفرق بين المعرفة والنكرة. فالعدد منكر والرقم معرف في لذا فعندما نمارس علوم الكم فإننا نتعامل مع الأعداد لا مع الأرقام فنقول :الضرب العددي، لا الضرب الرقمي. فإذا أردنا أن نبحث في كيفية ظهور الأعداد والأرقام عند الإنسان فما علينا إلا تتبع نفس خطوات نشأة اللسان، فبداية نشأة اللسان كانت بداية فؤادية متصلة بحاستي السمع والبصر. فالطفل الآن لا يجرد الأعداد بل نضع له تفاحة ونقول هذه تفاحة. ثم نضع تفاحتين ونقول هاتان تفاحتان . والإنسان القديم عندما بدأ بالعد لم يجرد العد من مدلولاته. فمهمة الفؤاد في العدد هي "هل يفيد العدد الدال

على الشيء المدلول المشخص أم لا يفيد ''أي المطابقة بين الكم ومدلولاته المشخصة وبالتالي الكم والكيف

معا

وهكذا نرى في الحضارات القديمة أن أسماء الأشياء وأعدادها مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا بالمعادلة التالية: 1 - 2 = 3 "تفاحة" 1 - 3 = 3 "تفاحة" وأعدادها مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا بالمعادلة التالية:

ثم جاءت المرحلة التالية وهي مرحلة التجريد وهو فصل العدد الدال عن الشيء المدلول أي فصل الكم عن الكيف وهو ما يسمى بالتجريد العددي، وقد تعلم الإنسان التجريد في الأعداد من اللغة المجردة، فهو لم يستطع تجريد الأعداد إلا بعد أن جرد اللغات وأصبح عنده علاقة اصطلاحية بين الصوت والمدلول. لذا ظهر التجريد العددي عند الإنسان متأخرا عن التجريد اللغوي أي أصبح عنده جمع مجرد وهو:

1+2=3.

أي أعداد مجردة عن مدلولاتها. وهكذا ظهر علم الحساب عند الإنسان القائم على استعمال العلاقات المنطقية القائمة على عدم التناقض بين المقدمات والنتائج. أي أن علاقات التأثير والتأثر المتبادل بين الأشياء أصبحت علاقات تأثير وتأثر متبادل بين الأعداد طال قانونا لثاني للجدل" فأصبح:

1+2=3

3-2=2

1+1+1=3

1+1-1=1

أما كيفية التطور في التعبير عن الأعداد فهو بحث خاص مشابه لتطور التعبير عن الأصوات اللغوية "الأبحدية:"

-القدر والمقدار:

لقد بدأ العد بتعبير كمي عن كيفيات متماثلة أو مختلفة، ثم انتقل إلى تعبير كمي مجرد عن الكيف. لذا وجب علينا تمييز مصطلحين وردا في الكتاب وهما القدر والمقدار فكلاهما له أصل واحد وهو فعل "قدر". وهذا الفعل في اللسان العربي أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته. فالقدر مبلغ كل شيء والقدر قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها وكذلك القدر ومنه جاءت قدرة الله تعالى وهي استطاعته على نفاذ أي شيء يريده في كمه وكيفه) :وهو على كل شيء قدير .(وقوله) :في مقعد صدق عند مليك مقتدر) .(القمر 55). فالقدر كما ورد في آيات الكتاب هو وجود الأشياء بكمها وكيفها معا "كنهها" خارجا لوعي الإنساني حيث أن الكم والكيف لا ينفصلان عن بعضهما في الوجود الموضوعي وفي كنه الأشياء وغايتها وهو التحول "تغير الصيرورة "والتطور .

لذا قلنا إن القرآن فيه قوانين القدر وهو الحق .وهكذا نفهم قوله تعالى) :إنا كل شيء خلقناه بقدر) .(القمر 49). وقوله) :نحن قدرنا بينكم الموت) .(الواقعة

60. (وقوله) : وقدر فيها أقواها) . (فصلت 10). وقوله) : من نطفة خلقه فقدره . (عبس 19. (وبماأن القدر فيه الكم والكيف معا وفيهما تكمن وظيفة الأشياء قال) : سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى . (أي أن وجودا كميا وكيفيا معا يؤدي إلى هداية الشيء للقيام بوظيفته . لذا وضع) والذي قدر فهدى . (في صيغة مطلقة وليس لها أي علاقة بالسلوك الإنساني الواعي.

أما المقدار فقد عبر عنه الكتاب على أساس أنه كم مجرد عن الكيف وهو صيغة معرفية مجردة لأنه لا يمكن أن يجرد الكم عن الكيف إلا في الصيغ المعرفية المجودة، ففي الواقع الموضوعي يوجد:

تفاحة + تفاحة = تفاحتان "قدر" كم وكيف معا.

أما في الواقع المعرفي المجرد فنقول:

1'' = 1 + 1مقدار" "کم مجرد فقط.''

ولقد جاء المقدار في الآيات التالية:

أ- الله يعلم <=== معرفة.

ب- ما تحمل كل أنثى <=== كيف، وهو الحمل.

ج- وما تغيض الأرحام وما تزداد <=== كم مرتبط بالكيف، تغيض وتزداد "زيادة ونقصان في "الكم" أرحام "كيف."!

د- وكل شيء عنده بمقدار <=== كم مجرد حيث عمم الكم على معرفة الأشياء.

) - 2يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون). (السجدة 5 (

)تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) .(المعارج 4. (

هنا نلاحظ كيف أتبع مصطلح المقدار بتعبير عددي "كمي" مباشر .وهكذا نجد أن نفخة الروح بدأت بقوله:)وعلم آدم الأسماء كلها .(والتجريد اللغوي. ثم تطورت إلى التجريد الكمي الذي تم التعبير عنه بالأعداد والرموز الرياضية. وهكذا نجد أن اللغة والرياضيات هما وجهان لعلم واحد وهو "قانون عدم التناقض والعلاقات المنطقية" أي أن مادة علم المنطق هي اللغة والرياضيات. فإذا كانت اللغة قائمة على التجريد، فالرياضيات هي مرحلة متقدمة وهي تجريد التجريد .

وإذا أردنا أن نعرف علم الله في الأشياء فهو علم رياضي بحت، أي في علم الله لا يوجد أصفر فاتح وأصفر غامق، وتفاحة كبيرة وتفاحة صغيرة، ولكنها في علمه كلها علاقات رياضية عددية بحتة وهي مفاتيح الغيب لأن العلاقات الرياضية تتصف بالدقة والتنبؤ وعندما يريد الله أن يخبرنا عن شيء من علمه فهناك طريقتان:

أ - إخبار رياضي مباشر غير لغوي .وقد جاء هذا الإخبار في السبع المثاني .

ب - تحويل هذا الإخبار إلى لغة إنسانية. وهذا ما حصل في ليلة القدر عند إنزال القرآن، أي تحويله إلى صيغة لسانية قابلة للفهم من قبل الإنسان وهذا هو الجعل)إنا جعلناه قرآنا عربيا.(

ولكي نفهم كيف تحصل المعرفة بالمقدرات "القدر" من خلال الأعداد "المقدار" ما علينا إلا أن نشرح المفهوم التالى:

-العد والإحصاء:

العدد في اللسان العربي جاء من فعل "عد" وهو أصل صحيح يدل على مقدار ما يعد. ويقال ما أكثر عديد بني فلان وعددهم ومنه جاءت العدة: ما أعد لأمر يحدث والاستعداد له، وجمع العدد أعداد، وعداد الملدوغ أن يجد الوجع ساعة بعد ساعة،وعداد السليم أن يعد له سبعة أيام، فإذا مضت رجوا له البرء، ومن الباب العدان لأنه محدود بزمان. وأن عداد القوس أن تنبض بها ساعة بعد ساعة.

والإحصاء في اللسان العربي جاء من فعل "حصو" وهو المنع والعد مع الإطاقة وشيء من أجزاء الأرض ويشتق منه الحصاة "العقل"كقول الشاعر:

وإن لسان المرء ما لم تكن له حصاة على عوراته لدليل

لنر الآن كيف جاء العدد والإحصاء في الكتاب وبأي معنى تم استخدامهما:

-) فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا) . (مريم 84. (
 -) -لقد أحصاهم وعدهم عدا) . (مريم 94. (
-) -قالوا لبثنا يوما أوب عض يوم فسئل العادين) .(المؤمنون 113. (
 -) -قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين) .(المؤمنون 113. (
 -) -قال كم لبتم في الأرض عدد سنين) .(المؤمنون 112. (
-) -هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) .(يونس 5. (
 -) -فضربنا على آذاهُم في الكهف سنين عددا) .(الكهف 11. (
 -) -فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا) . (الجن 24.
 -) -وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) .(الجن 28. (
 -) -وإن تعدوا نعمت الله لاتحصوهاه إن الإنسان لظلوم كفار) .(إبراهيم 34. (
 -) -وإن يوما عند ربك كألف سنة مماتعدون) .(الحج 47. (
 -) -أحصاه الله ونسوه) . (المجادلة 6. (
 -) -لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها).(الكهف 49. (
 -) -وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) .(يس 12. (

-) -وكل شيء أحصيناه كتابا). (النبأ 29.
-) -فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة) .(الطلاق 1. (
- -ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) .(الكهف 12.

إن الآيات الواردة أعلاه تدل على أن العد والإحصاء فعلان متغايران مع وجود علاقة ما بينهما .فلو كان العد هو الإحصاء لأصبحت الآية) :لقد أحصاهم وعدهم عدا .(لا معنى لها أي تصبح "ولقد أحصاهم وأحصاهم" أو "لقد عدهم وعدهم" وكذلك الآية 28 من سورة الجن تبين أن هناك فرقا وعلاقة بين الإحصاء والعدد وذلك في قوله) :وأحصى كل شيء عددا .(فكونه قال "عددا" وهي هنا حال لفعل أحصى فهذا يعني أن هناك إحصاء من نوع آخر غير عددي. فالإحصاء هو أن نعقل الأشياء. فحن نرى نخلة فنعقلها عن طريق الحواس ولكننا نراها كقطعة واحدة متكاملة علما بأنها تتألف من آلاف الجزيئات أي نراها كما متصلا ووحدة متكاملة "كم منفصل" بعضها إلى بعض أصبحت نخلة "وحدة متكاملة."

لذا فإننا نميز عدة أنواع من الإحصاء وهو أن نعقل الشيء ككل وذلك ما بأن نعرض صورة له ونرسمه وهذا ما نفعله الآن عندما نريد أن نعقل خلية فنضعها تحت المجهر ونرسمها "إحصاء كيفي" وإما أن نعقل الشيء عن طريق الوصف اللغوي كأن نصف شخصا وصفا عن طريق التعبيرات اللغوية بحيث أن المستمع يأخذ صورة كاملة عنا لشخص الموصوف "إحصاء لغوي" أما النوع الثالث من الإحصاء فهو الإحصاء العددي، أي الإحصاء عن طريق الكم أي أننا نأخذ صورة كاملة عن الكم المتصل "الإحصاء" بواسطة الكم المنفصل "العدد". لذا قال عن إحصاء الله للأشياء بأنه إحصاء عددي لا إحصاء لغوي أي أن علما لله للأشياء كما قلت علم رياضي تجريدي بحت.

فإذا قلنا لشخص ما: كم عدد الطلاب في القاعة فيقول مباشرة إن عددهم مثلا عشرة طلاب وإذا قلنا له أحص الطلاب الموجودين في القاعة فيجب عليه أن يعطينا صورة كاملة عن كل الطلاب الموجودين في القاع بحيث يمكننا أن نأخذ صورة كاملة "متصلة" عنهم من خلال إحصائه لهم دون أن نراهم. وعندما نسأل عن عدد سكان سوريا في عام 1988 فالجواب يأتي في عدد واحد وعندما نسأل عن النشرة الإحصائية للجمهورية العربية السورية عن عام 1988 فالجواب يأتي في مجلد كبير يقدم لنا صورة متكاملة "كما متصلا" عن الجمهورية العربية السورية ولكن التعبيرات في هذا المجلد عبارة عن معلومات عددية منفصلة بعضها عن بعض بحيث أن مجموع هذه المعلومات يعطينا صورة متكاملة عن سوريا، وكلما زادت المعلومات العددية المنفصلة زادت الصورة وضوحا.

لذا قال) :وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها (أي أننا يمكن أن نعدد نعما لله علينا بشكل منفصل ونقول: النعمة الأولى البصر، والثانية السمع، وهكذا دواليك. ولكننا مهما عددنا هذه النعم واستغرقنا في عدها

منفصلة لا يمكن لنا أن نعقل "نحصى" نعمة الله علينا ككل متكامل متصل.

ونفهم قوله) :قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فسئل العادين. (

فالسنة وحدة زمنية منفصلة إذ نقول: سنة. سنتان. ولكن السنة الواحدة تحوي على وحدات زمنية أصغر منها وهي الشهور والأيام. . . الخ. فإذا قلنا سنة سنتان فيكون الانفصال في العد بين العدد والذي يليه هو سنة. لذا كان السؤال)عدد سنين (فجاء الجواب)فسئل العادين. (

وبما أن الإحصاء هو كم متصل متكامل فعندما نسجل على إنسان عمله صوتا وصورة ثم نعرضه له، فهذا إحصاء لأن المشاهد يأخذ صورة متكاملة عن عمل الإنسان، فالإحصاء يمكن أن يكون لشيء واحد متكامل تنطبق عليه مقولة أكثر وأقل. وهكذا نفهم قوله تعالى) :ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) .(الكهف 49. (

هذه الآي تبين لنا بشكل واضح الأمور التالية:

- 1أن أعمال الإنسان غير مكتوبة وغير مسجلة سلفا.
- 2أن الله يأخذ صورة وصوتا عن أعمال الإنسان حين قيامه بها وقد أكد هذا في قوله تعالى) :هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) (الجاثية 29. (
- 3ولكي يؤكد أن الصورة والصوت المنسوخة عنه والمكتوبة "المجمعة والمصنفة" ستعرض عليه يوم القيامة ويراها "يعقلها" بنفسه فقد قال) : ووجدوا ما عملوا حاضرا. (
- 4ولكي يؤكد معنى الإحصاء بأنه كم متصل استعمله في حالة المفرد واستعمل مصطلح الصغير والكبير معه نال): لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. (

أما العدد فإننا نستعمل معه الكثرة والقلة .فعندما يرد مصطلح)ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .(الأعراف 187). فإنه يقصد أكثر من شخص واحد وعندما نقول "ولكن أكبر الناس لا يعلمون" فإننا نقصد شخصا واحدا ككل.

لذا قال عن معركة حني)ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) . (التوبة 25). وقوله واضح أنه عن الكثرة والقلة، وأن الكثرة أكثر من واحد فقال)لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) . (الفرقان 14. (وعندما نقول إن العدد سبعة أصغر من ثمانية فإننا نقارن بين العدد سبعة ككل وبين العدد ثمانية ككل ونستنتج أن الثمانية أكبر من السبعة. أي أننا نقارن بين ما يحوي الرقم سبعة ككل مع كل أعداده ومركباته الجزئية، وبين الرقم ثمانية ككل مع كل أعداده ومركباته الجزئية .

والآن بعد أن عرفنا أن الإحصاء هو "التعقل" نقول بأن له عدة أنواع، فعندما يكون نوع الإحصاء عدديا يصبح كما متصلا. والعدد كم منفصل. فالكم المتصل والكم المنفصل يخضعان للمساواة والترجيح. فعن الكم

المتصل نقول: Y = X أو Y > < X Y > < X وعن الكم المنفصل نقول: Y > 4 = 3 + 1 5 > 4 5 < 6 والآن كيف نحول الكم المنفصل إلى كم متصل؟ لكي نعرف كيف يتم التحويل نورد المثال التالي:

 ${f X}$ ونرى أن أحسن تعبير عن الكم المنفصل هو ${f X}$ وأحسن تعبير عن الكم المتصل هو إلى الصفر تحصل على .dX وهذا هو الفرق بين الكمبيوتر والمعادلات الرياضية "التفاضلية" فالكمبيوتر يعمل على Y X أي يعمل على الكم المنفصل. لذا فإنه يعبر عن نتائجه من خلال نقاط منفصلة (dots) وكلما قربت النقاط المنفصلة من بعضها زادت دقته. أما المعادلات الرياضية فتعمل على $\mathbf{dY}, \, \mathbf{dX}$ النهايات والمشتقات وتعبر عن الكم المتصل. أي تابع ومتحول من خلال التعبير $\mathbf{Y} = \mathbf{f}(\mathbf{X})$ وبما أن المعادلات التفاضلية تعبر عن كم متصل فإن أحد أسس صحتها هو الاستمرارية. وبما أن الاستمرارية غير متوفرة في عالم الذرة فإن الرياضيات الكلاسيكية تصبح غير صالحة لهذا العالم. ولذلك لجأنا إلى مفهوم جديد هو ميكانيك الكم .Quantum Mechanics وبما أن الرياضيات هي تعبير مجرد رمزي لها رباط منطقي قائم على عدم التناقض فهي تحمل خاصية اللغة التي هي تعبير مجرد أي تحمل خاصية الأضداد في التعبير. فهناك الموجب والسالب. وإنه من الخطأ الفاحش أن نقول إن -3 و 3+هما أزواج. بل هما أضداد لأنه يعدم أحدهما الآخو . $\mathbf{X} - \mathbf{X} = \mathbf{0}$ ، $\mathbf{X} - \mathbf{X} = \mathbf{0}$ وهناك أيضاً الحلول الحقيقية والحلول الوهمية، وهما من المتناقضات لأنهما ملتبسان بعضهما مع بعض في نفس المعادلة فعند الحل ننسف الحل الوهمي ونأخذ الحل الحقيقي .وبما أن الكم المنفصل والكم المتصل يعبر عنهما من خلال الأضداد فهناك لمرحلة الانتقالية بينهما كالفجر بين الليل والنهار وهذه المرحلة الانتقالية هي الصفر. أي أننا يجب أن لا نفهم الصفر على أنه عدد بل هو كيف، يعبر عن انتقال الأعداد "الكم المنفصل والتوابع "الكم المتصل"". من ضد إلى الضد الآخر. فالصفر في الأعداد هو مرحلة انتقال من كيف إلى كيف آخر. والصفر في المعادلات يعبر عن التجانس. وفي المشتقات يعبر عن النهايات. وكذلك يجب أن نفهم اللانهاية على أنها حالة تمثل حالة انتقالية من كيف إلى كيف آخر. والآن يمكن لنا أن نطرح السؤال التالى:

هل هناك أعداد لها صفات المتصل والمنفصل معا؟؟

فإذا كان هناك أعداد تحمل هذها لصفة المميزة جدا عن غيرها، وجب أن يكون لهذه الأعداد صفات أساسية لها علاقة في الطبيعة حيث أن الطبيعة يتمثل فيها المنفصل والمتصل معا.

هذه الأعداد أطلق عليها اسم الأعداد المتعالية أو الأعداد السامية . (Transidental Number) وسنطلق عليها نحن مصطلح الأعداد الرحمانية لأنما حوت الثنائية .هذه الأعداد يجب أن تحمل الصفات التالية:

- 1لا يمكن أن تكون عددا صحيحا كالعدد 2.
- 2لا يمكن استنتاجها من تقسيم عددين صحيحين كتقسيم 5÷2=2.5.
 - 3ليس لها نهاية كسرية كالعدد 4.5667.
- 4ليس لها نهاية كسرية تحمل صفة الترداد .كالعدد 1.33333 أو كالعدد 1.181818.

وبالتالي يمكن استنتاج هذه الأعداد من سلسلة غير متناهية. فإذا نظرنا إلى الأعداد التي تحمل هذه الصفات رأينا أن فيها عددين أساسيين هما (e)أساس اللوغاريتم الطبيعي، والعدد الذي يمثله الرمز (Pi)اللاتيني أساس التوابع الجيبية. هذان العددان يستنتجان من سلسلة غير متناهية وليس لها نهاية مترددة. فضمنا كل منهما يحمل كل الأعداد المنفصلة وهما في ذاهما يمثلان كما متصلا. فإذ نظرنا إلى هذين العددين رأينا أن العدد ويرصد التوابع الأسية. والعدد الذي يمثله الرمز (Pi)اللاتيني يرصد التوابع الجيبية فالتوابع الأسية ممثل التزايد والتناقص في الطبيعة.

والتوابع الجيبية تمثل الترداد في الطبيعة والتابعان الأسي والجيبي هما تابعان أوليان في الرياضيات أي أن حلا لمعادلة هو أن تصل إلى تابع أسي أو تابع جيبي أو تابع أسي جيبي.

وكذلك نجد أن الجذر التربيعي لـ 2 هو عدد رحماني. والذي يستنتج من علاقة فيثاغورث للمثلث القائم الزاوية والمتساوي الساقين حيث كل ضلع قائم يساوي الواحد والوتر يساوي الجذر التربيعي لـ 2 أما في مفهوم الجذر التربيعي الموجب فتظهر وحدة الأضداد فنقول إن جذر 4 هو +2 و-2. أما إذا أخذنا حالة السالب مثلا -4 فنقول إن -4 = -1 فجذر 4 هو +2 و-2. ويبقى لدينا جذر الـ 1-الذي يظهر لنا أن هناك حالة وهمية وحالة حقيقية. فظهرت الأضداد في السالب والموجب وظهر النقيضان الملتبسان معا في الحقيقي والوهمي.

وبما أن اللغة هي تجريد والرياضيات هي تجريد وترميز معا فكلاهما قائم على قانون عدم التناقض وقانون التأثر والتأثير المتبادل "العلاقات المنطقية ''ففيهما التعريف والتنكير. فـــ "ال" تعتبر أداة تعريف في اللغة يقابلها الإحداثيات في الرياضيات. والإضافة في اللغة للتعريف، والإضافة في الرياضيات x1, x2, x3 أيضا للتعريف.

التغيرات الكمية والكيفية:

قلنا إن الكم والكيف مرتبطان في الطبيعة ارتباطا لا ينفصل والمعرفة الإنسانية تميز بعضهامن بعض بعملية التقليم فالمعرفة الإنسانية إما أن قمتم بالكيف أو بالكم وهذا يتبع مستوى المعرفة الإنسانية فالأذنتميز النغمات المختلفة في الأصوات أو لا وهي كيف والعين تميز الألوان وهي كيف والجلد يميز درجات الحرارة والنعومة والحشونة وهي كيف. فبداية التمييز كيفية فؤادية تحولت عن طريق التجريد إلى تعبير كمي علما بأن الكم والكيف مرتبطان معا في الطبيعة من قوله تعالى) : سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى) . (الأعلى 1-3) أي أن وظيفة كل شيء تتبع المقادير الموجودة فيهوأن أي تغير كمي في الأشياء يتبعه تغير كيفي وظيفى .

ولولا هذا القانون لأصبحت كل علوم الرياضيات علوما ليس لها أي معنى ولا تعكس أي واقع موضوعي. أي أن التعبير المعرفي اقائم على الأضداد لقانوني الجدل الأساسيين في الأشياء الأول والثاني هما التغيرات لكمية التي يلازمها تغيرات كيفية، ولو لا هذا التغير الكمي والكيفي لما أمكننا فهم قوانين الجدل في الطبيعة و في الإنسان. فقانون التغير الكمى الذي يلازمه تغير كيفي هو قانون تابع لقوانين الجدل 1، 2 وغير منفصل عنهما وهو القانون الذي مكنا لإنسان من فهم قوانين الجدل الأساسية فعندما نقول: حين تبلغ درجة حرارة الإنسان 43 فهذا يؤدي إلى الموت فالحرارة كم والموت هو انتقال من كيف إلى كيف آخر. وارتفاع الحرارة في الماء يؤدي إلى التبخر فارتفاع الحرارة تعبير كمي والانتقال من حالة سائلة إلى حلة بخارية حالة كيفية وقابلة للانعكاس وتكاثف بخار الماء يؤ دي إلى انخفاض الحرارة وهذا التكاثف له تعبير كمي، وانخفاضا لحرارة له تعبير كمي. وكلاهما يمثل كيفا متميزا عن الآخر ولكنهما متعلقان ببعضهما وهذا ما شرحته في قوله تعالى:)خلق الإنسان من علق). (العلق 2). أي أن الوجود الموضوعي عبارة عن علاقات متداخلة بعضها ببعض فما علينا إلا أن نميزها ونفصلها عن بعض "التقليم" وهذا الفصل هو فصل معرفي بحت يجري من قبلنا، أما فصل كيفيات مختلفة بعضها عن بعض أو فصل بين كم وكيف و فصل بين كميات مختلفة بعضها عن بعض والتي تعبر عن كيفيات مختلفة فهذا أرقى أنواع التقليم الذي هو التقليم الكمى من كيفيات مختلفة. وهو الذي قلنا عنه بأنه أرقى أنواع العلوم فهو "الإحصاء العددي) . "وأحصى كل شيء عددا) . (الجن 28. (وعليه يمكن أن نقول إن قانون الكم والكيف هو الذي سمح للإنسان بمعرفة الطبيعة عن طريق التقليم وإنه سمح للإنسان بفهم الطبيعة وقوانين الجدل وهو الذي سمح للإنسان بالسيطرة على قوانين الطبيعة لمصلحته. فالله مسيطر على الطبيعة ومعرفته لها معرفة رياضية ونحن أيضا نمتلك معرفة رياضية وكلما زادت معرفتنا الرياضية بالطبيعة زدنا سيطرة عليها حيث أن المعرفة الرياضية تتصف بصفتين أساسيتين هما الدقة والتنبؤ.

ثانياً: العقل الشيطاني:

قلنا ن العقل المدرك للموجودات عبارة عن علاقة جدلية بين نقيضين هما :الرحمن وهو الجانب المادي الموضوعي "الحقيقي" والشيطان الفعلاني وهو ''الوهم والخرافة". وقد شرحنا في الأقوال السابقة أسس العقل

الرحماني المادي في الإدراك الفؤادي والفكر والعقل. فما هي أسس العقل الشيطاني الوهمي الذي يولد الخرافة والوهم والأمنيات الكاذبة لدى الناس؟

لقد قلنا إن المادة حقيقة موضوعية وإن الدماغ الإنساني مؤلف من مادة. فكيف يمكن للمادة التي هي حقيقة موضوعية أن تولد وهما؟ لقد أعطى القرآن جوابا لهذا السؤال ممثلا بالشيطان الفعلاني الذي هو أحد أطراف العملية الجدلية القائمة في الفكر الإنساني "الوسواس" "الأمنيات الكاذبة". والطرف الآخر هو العقل الرحماني المادي حيث قال) :يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطن كان للرحمن عصيا) . (مريم 44) فمن مهمات الشيطان تحويل قراءة القرآن من قراءة مادية رحمانية إلى قراءة مثالية شيطانية. وقد نجح في هذه المهمة نجاحا باهرا، لأننا لم نمتثل قوله) :فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطن الرجيم) . (النحل 98) ولاحظ أنه قال)فاستعذ بالله . (ولم يقل (فاستعذ بالرحمن. (

فلنعدد الأبواب الرئيسية التي يعمل من خلالها الشيطان الفعلانى:

الباب الأول: "تلاه فهو إذن سببه" وهو الربط بين حدثين متتاليين لا علاقة موضوعية بينهما إلا التتالي. مثال ذلك كسوف الشمس وموت إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم حيث تلا كسوف الشمس حدث موت إبراهيم. وقد وقع كثير من الصحابة في هذا الوهم وهو قولهم "كسفت الشمس لموت إبراهيم" ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقع في هذا الوهم حيث صحح لهم بقوله: إن الشمس آية من آيات ربي لا تكسف لموت أحد ولا لحية أحد. يمكن أن نضرب على هذا الباب آلاف الأمثلة حيث أن هذا هو سبب ظهور معظم الخرافات عند أهل الأرض جميعا وظهور الأسطورة. وأريد أن أورد مثالا آخر بسيطا يقع فيه معظم العرب المسلمين وهو أن زيدا شتم عمرا، وبعد فترة وجيزة أصابت زيدا حمى فيقولون إن الحمى أصابته لأنه شتم عمرا. وقس على ذلك آلاف الأمثلة.

هنا يجب أن نميز بين الربط الوهمي الناتج عن التتالي وبين الحسد .فالحسد هو صفة تحمل صاحبها على القيام بعمل مؤذ لقوله تعالى): ومن شر حاسد إذا حسد) (الفلق 5). وإن الشر عمل واع مقصود لقوله تعالى) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (الزلزلة 8). أما العين فلها تأثير واحد علمي وهو: إذا نظر مجموعة من الأشخاص وركزوا نظرهم إلى شخص معين وهو يمشي، فربما يؤدي إلى انزلاقه ووقوعه على الأرض لقوله تعالى): وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون) . (القلم 51. (الباب الثاني: الخلط بين قدرة الله ومشيئته. هذا الباب دخل منه الشيطان وأوقع كثيرا من الناس في الوهم وخاصة العرب المسلمين. والخلط بين قدرة الله ومشيئته هو الباب الذي دخل من خلاله مشعوذون ودجالون ممن يدعون التصوف أو العلم إلى عقول المسلمين السذج وزادوهم جهلا وسذاجة، وهذا الباب لا يولد إلا التخدير والأماني الخادعة. فكيف حصل هذا الخلط؟.

لنضرب المثال التالي لنوضح الالتباس بين القدرة والمشيئة. لو قلنا إن زيدا يستطيع أن يحمل 10كغ فهذا لا

يعني أنه كلما صادف 10كغ حملها بالضرورة .فحمله 10كغ يتوقف أولا على استطاعته، وثانيا على مشيئته، يريد أو لا يريد.

وكذلك عندما يعلن الرئيس الأمريكي أن باستطاعة بلاده إسقاط أية طائرة تطير فوق مجالها الجوي فهذا لا يعني أن أية طائرة تطير فوق المجال الجوي للولايات المتحدة سيتم إسقاطها بالضرورة. حيث نرى أن إعلان المشيئة يتبع إعلان القدرة. فيقول أن الولايات المتحدة ستسقط أية طائرة تطير فوق مجالها الجوي بدون إذن مسبق. ولكن إعلان المشيئة دون أن يسبقه إعلان القدرة يصبح هراء. وإلا فكيف يمكن لإنسان أن يعلن عن إرادة ما إذا كان غير قادر على تنفيذ هذه الإرادة؟!

لقد فصل الكتاب بين آيات القدرة الله تعالى وآيات المشيئة .ففي آيات القدرة قال:

-) -يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) .(النور 45. (
-) -تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) .(الملك 1. (
-) -إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) .(الروم 50. (
 -) يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير) . (الحديد 2.
-) -الله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير) .(المائدة 120. (

هذا فيما يتعلق بالموجودات وظواهرها .أما فيما يتعلق بالأوامر ونفاذها بالنسبة لتاريخ الإنسان فقال:

-) -ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير) .(التوبة 39) .(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) .(الأنعام 17. (
 -) -ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصرهم إن الله على كل شيء قدير) . (البقرة 20. (
 -) -فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) .(البقرة 284. (

من الآيات الواردة أعلاه نلاحظ إطلاق القدرة في ظواهر الطبيعة مع الإنسان .ولكن إطلاق القدرة لايعني الخروج على ظواهر الطبيعة وقوانينها هي كلمات الله وهي سننه في خلقه حيث قال) :واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا) .(الكهف 27 .(وقال) :فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا) .(فاطر 43. (

وبالنسبة للإنسان فإن الله قادر على أن يفعل ما يشاء من حيث إطلاق القدرة، ولكن قرنت في الكتاب القدرة بالمشيئة وذلك في قوله) : وما يضل به إلا الفسقين) . (البقرة 26) . (والله لا يهدي القوم الظلمين) . (البقرة 258) . (والله لا يهدي القوما لكفرين) . (البقرة 264) . (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمنهم) . (آل عمران 86) . (إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل) . (النحل 37) . (إن الله لا يهدي من هو كذب كفار) . (الزمر 3) . (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) . (غافر 28) . (الله يجتبي إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب) . (الشورى 13 . (

ونلاحظ هنا أمرين بالنسبة للوجود وظواهره الذي هو كلمات الله. فمشيئة الله هي أنه لا مبدل لكلماته ولا تبديل ولا تحويل لسنته، وبالنسبة للإنسان فمشيئة الله هي أنه لا يهدي الفاسقين والكاذبين والمنافقين. علما بأنه قادر على هدايتهم من حيث القدرة.

إن السؤال عن قدرة الله غير وارد بالنسبة للإنسان المسلم ولا الكافر. فإذا قلنا هل يستطيع الله، يخلق الشمس علما بأن الشمس موجودة؟ وهل يستطيع الله أن يخلق إنسانا، والإنسان موجود؟ فإذا قلنا هل يستطيع الله أن يجعل الشمس مكعبا بدلا من كرة فنقول: نعم يستطيع. فإذا قلنا ولكنها كرة وليست مكعبا، فهل هذا عجز؟؟ الجواب: هي كرة وليست مكعبا لأنه أرادها أن تكون كذلك. كأن نقول إنه طارت طائرة فوق الولايات المتحدة لمترد ذلك ولا نفهم أنما غير قادرة على ذلك.

فإذا كان زيد ذكرا فإن الله قادر على أن يجعله أنشى. لكن بقاء زيد ذكرا مع أن الله قادر على أن يجعله أنشى لا يعني العجز بل يعني أن الله أراده أن يكون ذكرا من خلال قوانينه.

علينا أن نعلم أن إرادة الله في الأشياء لا تتم إلا من خلال كلماته) :إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) .(يس 82) وإرادة الله في الأحداث لا تتم إلا من خلاله كلماته) .وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) (البقرة 117 .(ونحن نعلم أن قوله هو الوجود)قوله الحق .(والوجود كلماته) يحق الله الحق بكلماته .(وعلينا أن نعلم أن لا خوارق ولا تبديل لكلمات الله ولا لسنن الوجود. وإن ما نسميه خوارق في الطبيعة هو خروج عن المألوف وعن المعرفة النسبية للإنسان لا خروجا عن سنن الطبيعة نفسها "انظر فصل إعجاز القرآن ."

وكل ما يقال من أن الكرامات هي الخروج عن ظواهر الطبيعة فهي وهم. ولكن الكرامات هي غير ذلك تماما. فالله يكرم إنسانا بأن يهبه ذكورا وإناثا أو يهبه الحكمة) :ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا .() البقرة 269 .(أو يهبه رزقا حلالا) :وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) .(الأنعام 17) أو يكرمه فيشرح صدره للإسلام.

هذا الالتباس بين القدرة والمشيئة كان مدخل الشيطان عند المسلمين السذج، فيأتيهم دجال ويقول لهم: إن زيدا صنع كذا وكذا. فيسألون كيف حصل هذا؟ فيخرسهم بقوله) :إن الله على كل شيء قدير. (لقد أمرنا الكتاب بأن لا نسأل عن قدرة الله، وحثنا على أن نسأل عن مشيئته ونبحث فيها أي الكيفية) :قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) . (العنكبوت 20. (

فواجبنا كمسلمين أن نسأل ونبحث، لا عن قدرة الله في خلق الشمس، ولكن نبحث ونسأل كيف خلق الله سبحانه وتعالى الشمس. أو كيف تحت مشيئة الله في خلق الشمس. هكذا نصل إلى جواب ونصبح علماء حقيقيين لا دجالين. ولا نسأل هل الله قادر على أن يخلق ذكرا وأنشى؟ ولكن نسأل كيف تمت مشيئة الله في

وجود الذكر والأنثى؟ ففي هذا ندخل في علم المورثات ونرى أن هناك حيوانات منوية فيها XY للذكر وحيوانات منوية فيها XX للإناث.

إن الاستعمال الشيطاني الوهمي لبديهية)إن الله على كل شيء قدير .(حرفنا عن منهاج البحث العلمي في الكيفيات والكميات ووقعنا عاجزين أمام العالم. وقد سببت لنا هذه الأطروحة وهما كبيرا بأن رضنا كثيرا من النظريات العلمية مثل نظرية النشوء والارتقاء والتطور. والتي برهنا في كتابنا هذا بألها العمود الفقري لأطروحات القرآن في الخلق والوجود والساعة والبعث واليوم الآخر.

لقد قال بعض المفسرين القدامي –ونحن نعلم أن في تفسيراهم كثيرا من الإسرائيليات- في الأمور المتعلقة بخلق الإنسان والكون. لقد قالوا عن آدم بأن الله خلقه على النحو التالي:

جمع الله ترابا من أديم الأرض وخلطه بالماء فأصبح طينا، ثم تركه ليجف فأصبح صلصالا. ومنهم من أضاف بأن كل مرحلة من امراحل استمرت أربعين عاما "كذا". ثم نفخ فيه الروح فأصبح كائنا حيا "كذا" ثم نام واستيقظ فإذا حواء بجانبه لتؤنس وحشته، وخلقتمن ضلعه، ثم سكنا الجنة ثم طردهم الله من الجنة إلى الأرض. فإذا سألتهم: أيعقل هذا؟ فيكون الجواب المباشر "أليس الله على كل شيء قدير ."

ونطرح على من يقول ذلك السؤال التاي: إن كان ماتقولونه صحيحا فهذا يعني أن الله أنشأ معملا للسيراميك "الفخار". أين؟ لا ندري؟؟ وصنع تماثيل من الطين على شكل إنسان وسمك وحيتان وبقر وغنم وإبل وذباب، وكل أنواع الحشرات والطيور والأسماك والزواحف. كل على حدة. ثم نفخ فيها الروح فأصبحت أحياء .ولكن القرآن يقول إن نفخة الروح حصلت للبشر فقط. علما بأن الإنسان وبقية المخلوقات المذكورة كلها كائنات حية. ومن هذه الأطروحة الوهمية للروح على أنها سرا لحياة العضوية، انجحب المسلمون عن علوم الجيولوجيا والمستحاثات وأصل الأنواع والتشريح.

ويمكن أن يأخذ ذلك الطرح الشكل التالي: إذا كان خلق الإنسان قد تم كما ذكر في تلك الروايات "لا كما ذكر في الطرح الشكل التالي: إذا كان خلق الإنسان. وإذا جاء طرح آخر يقول إن الخلق لم يحصل كما تقولون، فهذا يعني أن الله لا علاقة له بخلق الإنسان وبالتالي فإن هذا الطرح هو طرح إلحادي كافر. هذا الاستنتاج الشيطاني علينا أن نبتعد عنه وذلك بتوضيح ما يلي:

إن الذين أولوا آيات خلق الإنسان وهي كلها آيات متشابهات "قرآن"، هم أناس كانوا يقفون على أرضية علمية ضعيفة. وكان المستوى المعرفي لعصرهم لا يسمح لهم بالتوصل لاستنتاجات حقيقية، والأرضية العلمية ومناهج ووسائل ابحث العلمي لعصرهم ضعيفة، فأولوا تأويلات تتناسب مع أرضيتهم ومناهجهم. ونحن نعلم قوله تعالى:

)لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) .(الأنعام 67) (ولتعلمن نبأه بعد حين) .(ص 88 .(لذا نستنتج ألهم كانوا عاجزين عن التأويل العلمي المقنع لنا وذلك لعجز الأرضية العلمية ومنهج البحث العلمي لديهم ووسائله.

ونحن حين نتكلم عن خلق الإنسان لا نتكلم عنا لقدرة، بل نتكلم عن المشيئة، أي كيف تمت مشيئة الله في خلق الإنسان. هذه المشيئة فقد تأخذ ثانية واحدة .وقد تأخذ مئات الملايين من السنين فإذا اكتشف داروين أن هذه المشيئة أخذت مئات الملايين من السنين، فهذا لا يعني أنه إلحاد أو كفر وكأن الله لا علاقة له بهذا. وأمثل بقضية أخرى فأقول: لقد طغى على الأذهان أن عمر الإنسان ثابت منذ أن يخلق في بطن أمه. إن هذا الاعتقاد يلغي كل العلوم الموضوعية في الطب والإحصاء التي تقول عكس ذلك. فإذا قلنا إن عمر الإنسان مفتوح ورزقه مفتوح وعمله مفتوح وغير مكتوب سلفا ذهب ظن الناس السامعين فورا إلى أن الله لا علاقة له بعمر الإنسان ورزقه وعمله. وبالتالي فقولنا كفر وإلحاد. علما بأن الكتاب يقول إن الأعمار والأرزاق مفتوحة بالنسبة للإنسان وغير مكتوبة عليه سلفا. وسنفصل القول في ذلك في مبحث الأعمار والأعمال والأرزاق في هذا الباب.

فإذا أردنا أن نتخلص من هذا الوهم فما علينا إلا أن نعلم أن نظرية التطور في كل شيء هي نظرية التسبيح وهي العمود الفقري لنظرية القرآن فيا لوجود .وأن معرفة الإنسان عبارة عن معرفة نسبية بالموجودات تتطور مع الزمن. وأن القرآن حوى الحقيقة المطلقة ككلمة إلهية. والفهم النسبي كمعرفة إنسانية .لذا ففهمه يخضع للتطور والحركة وهنا السر الأكبر في إعجازه.

-الباب الثالث: الخلط بين العلم والأخلاق والتقوى. أي الخلط بين كلمات الله والتي هي الوجود وقوانينه التي جاءت في أم الكتاب "الرسالة". لقد دخل الشي جاءت في أم الكتاب "الرسالة". لقد دخل الشيطان من الالتباس بين الرسالة والنبوة. هنا أريد أن أورد الأمثلة التالية للتوضيح:

- 1إذا أخذنا قصة نوح في القرآن مع ابنه حيث قال نوح) :رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) .(هود 45) حيث وعده الله بأن ينجي أهله في قوله) :فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم... الآية) .(المؤمنون 27. (

لقد استغرب نوح كيف يغرق ابنه مع أن وعد الله حق نافذ، ويجيء الجواب) :إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح.(

لكي يكون وعد الله حقا فالذي غرق ليس ابن نوح في الحقيقة، وإنما ابن زنا، دون أن يدري نوح بذلك. لذا كان استغراب نوح استغرابا في محله. وكان جواب رب العالمين بأن نوحا لا يعلم هذه الحقيقة في قوله) :إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صلح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين) .(هود 46. (

هنا تحت باب اللباقة والقيم الاجتماعية والتحرج تم الوقوع فيا لوهم فقيل لا يليق بامرأة نبي أن تكون زانية مع ألها من أهل النار)ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صلحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) .(التحريم 10). لاحظ أن الله سبحانه وتعالى لا يستحي من الحق.

- 2عندما الهمت عائشة أم المؤمنين بالزنا "حديث الإفك" كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الاتحام موقفا موضوعيا ماديا، إذ نه لا يملك دليلا لإثبات الاتحام، ولا دليلا لنفيه، فسكت حتى جاءه الوحي بتبرئتها .وكان الأحرى بالنبي أن يقول منذ أول لحظة "اصمتوا فهذه امرأة نبي ولا يليق بحا أن تكون زانية" ولكنه سكت لعدم وجود دليل الإثبات أو النفي.

- 3 لقد انعكس وضع المرأة الاجتماعي على وضعها في الجنة. فمن الناحية الشرعية الاجتماعية لا يجوز ولا يليق بامرأة أن تنام مع رجل بدون عقد نكاح، أو أن تعقد على رجلين. فانعكس هذا المفهوم على وضع المرأة في الجنة .فالحور العين هم للرجال فقط. ولا ندري ماذا تركوا للمرأة في الجنة غذ لا يليق بها أن تنام مع رجلين؟ علما بأننا نعلم أن في الجنة لا يوجد شيء اسمه عقود أنكحة. وكل القيم الاجتماعية والمفاهيم الأخلاقية والشرعية والقانونية الموجودة في الحياة الدنيا ملغاة في الجنة.

هنا نستنتج بأن أحد مداخل الشيطان هو الخلط وتلبيس الحقائق الموضوعية في القرآن، بالقيم الاجتماعية والأخلاقية في أم الكتاب.

فعلينا أن لا نسقط نمائيا القيم الاجتماعية والأخلاقية على الحقائق الموضوعية، وإلا فإننا نقع في الوهم "الباطل.''

الباب الرابع: الاعتماد فقط على الرباط لامنطقي المجرد بين المقدمات والنتائج. أي إذا كان هناك رباط منطقي بين المقدمات والنتائج لمسألة ما، ولا يوجد تناقض، فلا يعني حتما أن المسألة صحيحة)انظر أنواع المعرفة (إذ أن صحة الرباط المنطقي لا تعني أن المسألة حقيقية حيث يمكن أن تكون المسألة كلها وهمية وفيها رباط منطقي حيث أن المقدمات يجب أن تكون حقيقية.

الباب الخامس: الأماني: وهو إسقاط أهواء الإنسان الخاصة وأمانيه الشخصية على الواقع الموضوعي، مما يسبب له الوقوع في الوهم. هذا الباب يمكن أن يقع فيه كل الناس بدون استثناء حتى الأنبياء والرسل، وذلك في قوله تعالى) : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطن في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطن ثم يحكم الله آيته والله عليم حكيم) . (الحج 52). هنا نلاحظ أن الأهواء والأماني هي من مداخل الشيطان الفعلاني . وكذلك قوله) : أم للإنسن ما تمنى) . (النجم 24) . (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطن إلا غرورا) . (النساء 123) وقوله) : ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتب) . (النساء 123. (

إن الصور الموجودة في الأذهان غير مطابقة للأشياء الموجودة في الأعيان وهذه هي وظيفة الشيطان الفعلاني.

الفرع الثانى: أنواع المعرفة ونسبيتها

أولاً: أنواع المعرفة:

لقد شرحنا في نشأة الكلام الإنساني ارتباط الفكر باللغة، ارتباطا لا انفصال له، وقلنا إن اللغة تطورت من مرحلة المشخص المحدد بالحواس وعلى رأسها حاستي السمع والبصر، أي من مرحلة العلاقة الطبيعية بين الصوت والمدلول إلى مرحلة المجرد مع وجود مراحل انتقالية بين المشخص والمجرد .فقلنا إن أنواع التعبير عن المعرفة أخذ الشكل التشكيلي بالرسم، وتطور إلى الأبجدية وباللغة المجردة "البلاغة" وبالرموز الرياضيات. فيمكن الآن أن نستنتج أنواع المعرفة الإنسانية وهي:

- 1 المعرفة الفؤادية المرتبطة مباشرة بالحواس "وعلى رأسها حاستا السمع والبصر" وهي أبسط أنواع المعرفة وأكثرها فعالية وأكثرها يقينان وهي القاسم المشترك بين أهل الأرض، ذكيهم وغبيهم، لذا قلنا إن الحساب يوم القيامة هو فؤادي مرتبط بالحواس)يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم) .(النور 24) (ووجدوا ما عملوا حاضرا) .(الكهف 49) ومن هنا طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ليكون يقينه بإحياء الموتى يقينا فؤاديا.

- 2 المعرفة الخبرية: وهي بأن يتواتر النبأ عن طريق الخبر، بأن العرب انتصروا على الروم في معركة اليرموك. هذه المعرفة قد تنتهي إلى معرفة فؤادية وهذا من اختصاص علماء الآثار. وقد يستطيعون تصديق الخبر أو تذكيبه .وقد يكون الخبر بالتواتر القولي والفعلي. فالله حفظ الكتاب عن طريق تواترا لحفظة. فمنذ أن كان النبي صلى الله عليه وسلم حيا إلى يومنا هذا هناك أناس يحفظون الكتاب بذاكر هم دون انقطاع. كما أن نقله إلينا تم عن طريق التواتر الخطي بعد جمع المصحف. علما بأننا في هذا المجال نتكلم عن الخبر كأحد أنواع المعرفة أي صدقه أو كذبه .

وقد برع المسلمون في ذلك وخاصة في علوما لحديث إذ ألهم اهتموا بعلم الحديث وطبقات المحدثين وذلك طبقا للمنهج المتوفر لديهم. ولكن هنا يجب أن نفهم تماما بأن صدق الخبر شيء واستعمالا لخبر استعمالا مطلقا شيء آخر. فصدق الخبر لا يعني بالضرورة إطلاقه وخاصة الخبر التاريخي "انظر فصل السنة في الباب الثالث."

- 3 المعرفة النظرية "الاستنتاجية": هذا النوع من المعرفة يعتمد على المنطق الصوري والرياضي في الاستنتاج والاستقراء والربط بين المقدمات والنتائج كما هو معروف أن حدود المنطق ثلاث وهي: الحد الأول في المقدمات، والحد الأوسط في العمليات الانتقالية، والحد الأخير في الاستنتاجات، حيث أن المنطق هو استنتاج المجهول من معلوم بقانون عدم التناقض بغض النظر عن الاستنتاج أوهمي هو أم حقيقي. هذا الرباط المنطقي هو غط التفكير المجرد عند الإنسان بغض النظر أكان المنطلق ماديا رحمانيا، أو مثاليا شيطانيا، حيث أن النقيضين في الدماغ الإنساني "الرحمان والشيطان" مربوطان بقانون عدم التناقض. وهنا ذكرنا أن أحد مداخل الشيطان في هذا الباب. إذ لا يكفي أن يكون هناك عدم تناقض بين المقدمات والنتائج حتى يكون الحكم حقيقيا .

فالرباط المنطقي في العقل الرحماني المادي هو أن المقدمات الموجودة في الأذهان يجب أن تتطابق مع الأشياء الموجودة في الأعيان. أي أن المقدمات يجب أن تكون حقيقية مطابقة للواقع الموضوعي. وهذا ما نسميه بفرضيات النظريات حيث أن هذه الفرضيات يجب أن تتطابق مع الواقع. ثم يأتي الحد الأوسط فيا لعمليات الانتقالية حتى نتوصل إلى النتائج.

إن الحد الأوسط في الاستنتاجات وربط النتائج بالمقدمات برباط عدما لتناقض هو نفسه عند العالم وعند الجاهل. فلا نقول إن العالم عاقل والجاهل مجنون، ولكن نقول إن مقدمات العالم حقيقية، ومقدمات الجاهل وهمية ولكن كليهما إنسان عاقل سوي. وأوضح مثال على ذلك هو الحاسب الإلكتروني فلا يكفي أن نعرف لغة الحاسب حتى نحل مسألة عليه، ولكن يجب أن نعرف الرباط المنطقي الذي يقوم عليه الحاسب لكي نبرمج حل المسألة وهذا ما نسميه (Flowchrt)ونحن إذا وضعنا مخططا منطقيا للمسألة فإننا نأخذ حلولا صحيحة طبقا للرباط المنطقي ولكن هذه الحلول قد تكون مطابقة للواقع الموضوعي "حقيقية" وقد تكون غير مطابقة "وهمية ."

فللتحقق من حقيقة علمية ما هي صحيحة وحقيقية يجب أن نتحقق من أمرين اثنين:

أ - أن تكون المقدمات غير متناقضة مع النتائج "الرباط المنطقي" فإذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أن
 العمليات الانتقالية بين المقدمات والنتائج صحيحة.

ب - إذا كانت النتائج مطابقة للواقع الموضوعي فهذا يعني أن المقدمات صحيحة. وكلما كان التطابق بين النتائج والواقع الموضوعي قريبا كلما تأكدنا من صحة المقدمات، حيث أنه أحيانا تكون النتائج النظرية والواقع الموضوعي متقاربين وغير متطابقين مما يدل على صحة الفرضيات المستعملة، ويدل في الوقت نفسه على نقص في الفرضيات أي هناك متحولات أهملت. ولم يتم أخذها بعين الاعتبار .

فالفرضيات هي مجموعة الشروط الموضوعية التي تم تمييزها "تقليمها" من قبل الإنسان، التي تعتبر العناصر المركبة لظاهرة ما.

هذه الناحية من الاعتماد على المنطق بالربط بين المقدمات والنتائج فقط بغض النظر عن فحص المقدمات وتدقيقها وتحقيقها هي السبب في كثير من الوهم الذي وقع فيه علماء الكلام المسلمون إذ اعتمد علم الكلام عندهم على الربط بين الحدود فقط بغض النظر عن المسألة الكلامية أحقيقة رحمانية أم وهمية شيطانية، ولا أريد الاستفاضة في علم المنطق لأن كتابنا هذا ليس كتابا في المنطق. وعلى من يريد أن يستفيض في هذا العلم فعليه بالكتب المختصة.

ثانياً: الزمن والوقت والنسبية:

يجب علينا أن نميز بين مصطلحين أساسيين وهما الوقت والزمن وقد استعمل الكتاب مصطلح الوقت ولم يرد مصطلح الزمن في الكتاب وإنما جاء مصطلح الدهر والسنين. فالوقت جاء من "وقت" ويعني في اللسان العربي

الزمان المعلوم، والموقوت الشيء المحدد.

فالزمن له وجود موضوعي وفيه حركة الأشياء، ولكن كيف يمكن للإنسان إدراك الزمن؟؟ نحن ندرك الأشياء بالتقليم الكمي والكيفي. فقد قلمنا الزمن بواسطة الحركة المتغيرة، أي لو أن كل شيء في الوجود يسير بنفس السرعة لما عرفنا أن هناك حركة، أي لما استطعناتقليمها وبالتالي لما عرفنا لازمن. فمن اختلاف السرعات ظهرت نسبية الحركة ونسبية الزمن وبالتالي ربطنا الزمن بأحداث الأشياء للتعبير عن النسبية في الحركة وظهر مفهوم الوقت، فالوقت هو ربط الزمن بحدث من أجل المعرفة النسبية للحركة، لذا سمى الوقت زمنا معلوما.

وقد استعمل الكتاب مصطلح الوقت بهذا المعنى تماما حيث ربطه بأحداث، فالساعة حدث وهو الانفجار الثاني للكون لذا قال عنها) :قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو) .(الأعراف 187 .(وقال) :إن يوما لفصل كان يقاتا) .(النبأ 17 .(وقال) :إن يوما لفصل ميقاقم أجمعين) .(الدخان 40) وعندما سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن الأخلة وهي ظواهر تنتج عن حركة القمر قال) :يسألونك عن الألة قل هب مواقيت للناس والحج(،)البقرة 189 .(والصلاة مرتبطة بوقت، ولاوقت مرتبط بحدث، فعندما تصبح الشمس في كبد السماء نقول حان وقت الظهر، لذا قال) :إن الصلاة كان على المؤمنين كتابا موقوتا .(وغن الآن نقول الساعة الثانية حسب توقيت غرينتش ولا نقول حسب زمن غرينتش .وبنفس الوقت نقول "المسافة = الزمن * السرعة" هنا استعملنا الزمن لأننا أخذنا قانونا مجردا غير مرتبط بحدث فلا يصح أبدا أن نقول الوقت وإذا قلنا الوقت فيجب علينا أن نقول وقت ماذا؟ فنحن نستعمل الزمن في المجردات، والوقت عندما نربط الزمن في الوحدات استعمل الكتاب مصطلح السنة والعام.

فالوقت له نسبته وهي الحدث ونسبة القياس فعندما تصبح الشمس في كبد السماء نقول وقت الظهر "نسبة الحدث" ونقول إن وقت الظهر هو الساعة 11.30 حسب توقيت دمشق أو حسب توقيت غرينتش "نسبة القياس". لذا قال) :قال رب فأنظرين إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المظرين) . (الحجر 37-38 . (فنسب التوقيت إلى حدث)يوم يبعثون (أما نسبة الزمن فتتعلق باختلاف السرعات فإذا قلنا إن جسما ما يسير على الأرض بسرعة 100كم/سا فإننا ننسب السرعة إلى الأرض ونعتبر أن سرعة الأرض تساوي الصفر . وهكذا ظهرت النظرية النسبية باعتبار أن هناك راصدا ومرصودا وهناك زمن للراصد وزمن آخر للمرصود، ولما كانت نسبة الزمن لها علاقة بالسرعة فيجب أن يكون هناك سرعة مطلقة تنسب إليها كل السرعات، وحسب معلوماتنا الحالية فإن السرعة المطلقة هي سرعة الضوء حيث أن سرعة الضوء ثابتة بغض النظر عن السرعة المسرعة البدائية "أي بغض النظر عن سرعة المصدر الضوئي". وبما أن الضوء حسب معلوماتنا فيه كمال

السرعة فلا يسير بسرعة الضوء إلا الضوء أي إذا سار أي جسم بسرعة الضوء فإنه يصير ضوءا. لقد وضع الكتاب مصطلحات مختلفة للزمن والوقت وهي السنة والعام ولايوم .فالسنة مقيس زمني منسوب إلى السرعة لذا فهو وحدة متغيرة غير ثابتة والعام مقياس للزمن منسوب إلى الأحداث أي دائما يأتي معرفا. ولبيان نسبة الزمن في مصطلح السنة نجده يضع السنة منسوبة إلى شيء معروف كقوله)ألف سنة ثما تعدون .()السجدة 5). فهذا يعني بالضرورة أن هناك سنة تختلف عن السنة التي نعد ولا يوجد أبدا مصطلح "ألف عام ثما تعدون" لأن الأعوام بحد ذاتما معرفة كقوله)فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) .(التوبة 28). فعرف العام باسم الإشارة "هذا" حيث أن العام جاءت في اللسان العربي من "عوم" وتعني السباحة كقولنا الإبل تعوم في البيداء وعاومت النخلة حملت عاما ولم تحمل عاما "الزمخشري أساس البلاغة ص 317" هنا نلاحظ كيف ربط العام بموسم الحمل للنخل.

وكقولنا ولد النبي صلى الله عليه وسلم في عام الفيل وليس في سنة الفيل أي تم ربط الولادة بحدث. وهذا المصطلح للتوقيت. فنقول توفى النبي صلى الله عليه وسلم في العام العاشر للهجرة أي بدأا لتاريخ بحدث وهو هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فنستعمل العام.

ونقول نحن الآن في عام 1987 للميلاد ولا نقول سنة 1987 للميلاد .لأننا ربطنا التاريخ بحدث وهو ولادة السيد المسيح عليه السلام.

وعندما ربط الزمن بحدث قال) : فأماته الله مئة عام ثم بعثه) . (البقرة 259 . (فجاءت العام لتبين القياس ابتداء من الحدث الذي عبر عنه في قوله) : فأماته الله . (وأجابه بالنسبة للمقاييس المعروفة ابتداء من حدث الوفاة في قوله) : بل لبثت مئة عام . (وعندما ذكر الأعوام المتعارف عليها عند العرب قال) : أولا يرون ألهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين) . (التوبة 126) : وقال) : يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما) . (التوبة عما دكر فصال الطفل وهو حدث بعد الولادة وله قياس قال) : هملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين) . (لقمان 14. (

وفي سورة يوسف ذكر الزمن بالسنة في قوله)قال تزرعون سبع سنين دأبا.. الآية) .(يوسف 47) .(ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) .(يوسف 48) .(ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون .(كقوله يعصرون) .(يوسف 49). هنا نعرف العام بعام الغوث والعصير)عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون .(كقوله عام الفيل.

ونلاحظ أنه في مصطلح العام لم يستعمل الكتاب مصطلح "مما تعدون .''لأنه في الأصل معرف. أما مصطلح السنة فقد جاء من "سنه" في اللسان العربي ولها أصل واحد يدل على زمان .وقد جاءت إما كعد للزمن بشكله النسبي كقوله) :وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) .(الحج 47 .(وقوله) :ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) .(السجدة 5)، وإما كعد للزمن بشكل عام دون ربط بحدث ما

كقوله) :حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك) .(الأحقاف 15 .(وقوله :) وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) .(يونس 5) وقوله) :فضربنا على آذاهم في الكهف سنين عددا) .(الكهف 11 .(وقوله) :ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) .(الكهف 25 .(هنا نلاظ كيف استعمل الله سبحانه وتعالى الزمن بشكل عام في قوله) :وبلغ أربعين سنة .(وقوله) :ثلاثمائة سنين(، لأنه يتكلم على وجه العموم عن أي إنسان .و)ثلاثمائة سنين .(

عبارة عن برهة زمنية (t)و في معنى البرهة الزمنية العددية (t) جاءت الآية) فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى) . (طه 40). وقوله) ولبثت فينا من عمرك سنين) . (الشعراء 18 . (وقوله) : أفرأيت إن متعناهم سنين) . (الشعراء 205) وقوله) قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين) . (المؤمنون 112 . (وقوله :) وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين) . (الروم 3-4). وقوله تعالى) : فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) . (البقرة 259 . (أي لم يؤثر عليه الزمن t كما يؤثر على غيره . هنا استعمل "يتسنه" للدلالة على الفترة الزمنية . وقوله) : يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) . (البقرة 96 . (

) - 1ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وعهم ظالمون . () العنكبوت 14). لقد ورد في هذه الآية مصطلحا السنة والعام معا. فذا يعني أنه استعمل منكرا عدديا في السنة، ومعرفا عدديا في العام، وعليه فليس من الضروري أبدا أن يكون الاستنتاج أن نوحا لبث في قومه السنة، ومعرفا عدديا في العام، وعليه فليس من الضروري أبدا أن يكون الاستنتاج أن نوحا لبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة أم تسعمائة وخمسين عاما ونحن نعلم أن البنية البيولوجية للبشر لا تسمح له بأن يعمر هذا المقدار من السنين التي نعرفها الآن؟

فهنا إما أن يكون للسنة مقياس آخر غير الذي نعرف، أو أن يكون ربط العام بحدث بحيث يكون العام الواحد "الحول" أكثر من سنة أي في كلتا الحالتين تكون النتيجة لا تساوي 950 سنة من مقاييسنا. وهناك احتمال آخر أن تكون السنة من مقاييسنا ولكن لفظة ألف لا تعني عددا يساوي 500 + 500 ولكن تعني مجموعة من السنين حيث أن "الف" تعني ي اللسان العربي انضمام الشيء إلى الشيء والأشياء الكثيرة. ومنه جاء العدد ألف والتأليف. أي ألف سنة عبارة عن مجموعة من السنين نقص منها خمسون عاما. ففي هذه الحالة أيضا لا تكون النتيجة .(950)

) - 2تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) (المعارج 4. () ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون). (الحج 47. () يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون). (السجدة 5. () هنا نلاحظ أنه استعمل مصطلح اليوم للدلالة على مقدار زمني مفتوح، فاليوم يمكن أن يكون 12 ساعة أو

24 ساعة أو ألف سنة أو خمسين ألف سنة ... الخ. فهنا عندما استعمل المقدار) مما تعدون (فالألف في هذه الحالة لها معنى عددي بحت فعندما قال) : مقداره خمسين ألف سنة (ذكر المقدار الذي هو كم، ولم يقل مما تعدون، وعندما ذكر ألف سنة عن العذاب وتدبير الأمر قال)ألف سنة مما تعدون. (

) - 3ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) (الأعراف 130. (هنا ذكر في هذه الآية قانونين أساسيين في هلاك الأمم الصالح والطالح، القانون الأول عام ينطبق على كل الأمم وهو "السنين .(الزمن، أي أن لزمن كفيل بأن يهلك كل الأمم وفي هذا قال) : وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) .(الإسراء 58 .(وقال) :كل شيء هالك إلا وجهه) .(القصص 88) القانون الأول للجدل.

والقانون الثاني وهو الأزمات الاقتصادية وذلك في قوله) :ونقص من الثمرات .(وهذا القانون أيضا كفيل بإهلاك الأمم لذا وضع العام "السنين". قبل الخاص" .نقص الثمرات". وحول الخاص أتم الآية في سورة الإسراء بقوله) :أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا) .(الإسراء 58). فالهلاك في الزمن والعذاب الشديد في الكوارث الطبيعية والأزمات الاقتصادية والحروب، وقد ذكر أن هذا من الأمور المبتوتة المصنفة (Classified) بقوله) :كان ذلك في الكتاب مسطورا.(

ثالثاً: الدائم والباقي:

لقد استعمل الكتاب مصطلح الدائم، ومعنى الديمومة في قوله تعالى) :خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) . (هود 107) وقوله)وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) . (مريم 31. (والدائم جاءت من "دوم" وهو في اللسان العربي أصل واحد يدل على السكون واللزوم، والماء الدائم: الساكن. ويحمل عليه تدويم الطائر في الهواء وذلك إذا حلق وكانت له عندها كالوقفة، ومن ذلك قولهم: دومت الشمس في كبد السماء. وذلك إذا بلغت ذلك الموضع، ويقول أهل العلم بها: إن لها ثم كالوقفة ثم تدلك. قال ذو الرمة:

والشمس حيرى لها في الجو تدويم. أي ألها لا تمضي. فكيف استعمل الكتاب مفهوم الدائم؟:

لقد استعمل الكتاب مفهوما لدائم بمعنيين: الأصل والمحمول. فنقول إن زيدا من الناس مداوم على الصلاة، فهذا يعني أنه لا يقطع وقتا منا لأوقات ويؤدي الفرائض الحمس ولكنه بين الصلاة والصلاة يقوم بأعمال أخرى ونقول إن زيدا مداوم على عمله فهذا يعني أنه يتواجد في مكان عمله في أثناء فترة معينة ولكنه يقوم بأعمال مختلفة ضمن الدوام. فإذا ربطنا قوله تعالى) :وأوصاني بالصلاة والزكاة .(مع قوله) :مادمت حيا .(رأينا ان)مادمت حيا .(هي الفترة الزمنية التي قضاها الإنسان على قيد الحياة، وهنا تعني اللزوم، ولكن هذه

الفترة الزمنية تحمل ضمنها صفة التقطيع والاستمرار لأعمال وناشطات مختلفة منها الصلاة والزكاة، فالإنسان يصلى ويزكى ويأكل وينام ويعمل.

فإذا صلى خلال فترة زمنية قدرها 11 ، فضمن هذه الفترة نقول استمر الإنسان في صلاته لمدة 10 دقائق. هنا ظهر مفهوم الاستمرارية في الصلاة، ثم بعد الصلاة أكللفترة زمنية قدرها 12 ، فنقول انقطع عن الصلاة واستمر في الطعام لمدة 10 دقائق أخرى، فاستمراريته في الطعام هي في نفس الوقت انقطاع عن الصلاة، واستمراريته في الصلاة هي بنفس الوقت انقطاع عن شيء آخر، ولكن فترة 11 للصلاة وفترة 13 فنقول انقطع عن الصلاة واستمر في الطعام لمدة 10 دقائق أخرى، فاستمراريته في الطعام هي في نفس الوقت انقطاع عن الصلاة، واستمراريته في الصلاة هي بنفس الوقت انقطاع عن شيء آخر، ولكن فترة 11 للصلاة وفترة عنا لصلاة، واستمراريته في الصلاة عن شيء واستمرارا في شيء آخر، كلتاهما تقعان على محور الزمن الذي يعيشه الإنسان وهو الدوام.

لقد استعمل الكتاب مفهوم الدوام على أنه محور الزمن (t) الذي يحمل فترات زمنية لأحداث تحمل صفة التقطع والاستمرار اللذين هما النقيضان المتصارعان في حدث ما، وهو أن يبقى مستمرا أو ينقطع وهذان النقيضان محمولان على محور هو الدائم. وبما أن لدائم هو محور النقيضين التقطع والاستمرار وهو محور الزمن فلا نرى أن هذا الاسم يدخل ضمن أسماءا لله الحسنى، فلا نقول عن الله إنه دائم ولكن نقول عنه إنه حي باق. ومن الخطأ أن نقول عبد الدائم، أو سبحان الدائم لأن الدائم حامل النقيضين والله لا يحمل صفة التناقض وغير خاضع للزمن.

وقد استعمل الكتاب أحد النقيضين المركبين للدائم والدوام وهي الاستمرار في قوله تعالى) :إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر) .(القمر 19). هنا يجب أن ندقق لماذا استعمل الريح ولم يستعمل الرياح، فنحن نعلم أن الرياح عندما قمب فإلها قمب على دفعات، دفعة قوية تتبعها دفعة ضعيفة أو سكون نسبي ثم تليها دفعة قوية ثم تليها دفعة خفيفة. أي أن الرياح تأخذ شكل نبضات مختلفة السرعات. فالنبضة الواحدة تستمر لمدة عدة ثوان لتنقطع فتتبعها هبة أقل قوة أو أكثر قوة تستمر لمدة عدة ثوان أخرى... وهكذا دواليك. لذا سميت رياحا. أما الريح الواحدة فهي نبضة واحدة مستمرة قد تستمر لمدة 10 ثوان أو يوم كامل. وقد ذكر الريح في مجال عذاب قوم هود. حيث استمرت الهبة الواحدة يوما كاملا لذا استعمل الريح مفردة وأتبعها بقوله) : في يوم نحس مستمر) .(القمر 19) إن علماء الرياح يعلمون تماما ماذا تعني نبضة واحدة تستمر يوما كاملا.

وما هو الدمار الذي يمكن أن ينتج عنها .لذا أعقب الآية بقوله) :تترع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر .()القمر 20). ونحن الآن نستعمل الدوام والاستمرار بهذا المعنى عندما نقول تمطل الأمطار في سوريا دائما في الشتاء ونقول هطل المطر لمدة ثلاث ساعات مستمرة أي ثلاث ساعات لم ينقطع فيها هطول المطر. وهكذا نفهم قوله تعالى) : مادامت السموات والأرض . (ولم يقل "ما بقيت السموات والأرض . ''وقوله بشكل واضح) إلا المصلين * الذين هم على صلاقم دائمون) . (المعارج 22-23) فدوام الصلاة لا يعني أبدا أنه لا يفعل شيئا في حياته إلا الصلاة، بل يصلى الفرائض ويقوم بأعمال أخرى بالإضافة إلى الصلاة.

وقوله) :وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) .(المائدة 117) أي أن المسيح كان شهيدا على الناس فقط وهو معهم .وعندما رفعه الله إليه لم يكن شهيدا عليهم، لذا قال) :ما دمت فيهم .(ولم يقل "مادمت حيا" أي أنه في الفترة الزمنية التي كنت مقيما معهم كنت شهيدا عليهم .وقوله) :ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما) .(آل عمران 75). إن "مادمت عليه قائما". لا تعني استمرار المطالبة. ولو قال ما استمريت عليه قائما لعني أنا لدائن يلازم المدين ويطالبه بدون انقطاع ولا يقوم بأي عمل آخر غير المطالبة. وقوله) :وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) .(المائدة 96) تعني أن الفترة الزمنية التي تبدأ بالإحرام وتنتهي بفك الإحرام لا يجوز فيها الصيد.

واستعمل هنا) .مادمتم .(لأن الحاج قد يحرم من أجل العمرة ثم يفك إحرامه، ثم يحرم من أجل الحج أي أن الإحرام فيه تقطع واستمرار. وعنى هنا بكلمة "مادمتم" الفترة الزمنية للإحرام. وقوله تعالى) :قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها) .(المائدة 24). هنا أيضا عنى الفترة الزمنية التي يقيم فيها القوم في الأرض التي أمرهم موسى بدخولها. ولو قال "إنا لن ندخلها أبدا ما استمروا بالإقامة فيها" لوجب التعريف أي استمروا بماذا ليأتي الجواب بالإقامة فيها. فهذا يعني إثبات الإقامة ونفي الأفعال الأخرى كالأكل والشرب. وقوله) :مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنحار أكلها دائم وظلها) .(الرعد 35) هنا ذكر الدوام في مجال الجنة وأكلها وظلها. وقد ذكرت في فصل الجدل بأن الكون الآخر له قوانين مادية جديدة خالية من صراع المتناقضات في الشيء الواحد، لذا لا موت ولا ولادة ولا حمل. وتقوم علاقات تأثير وتأثر متبادل جديدة بين الأشياء. لذا قال) :أكلها دائم .(بمعنى اللزوم والثبات و"ظلها دائم"، بمعنى اللزوم والثبات .ولو ساعات مستمرة علما بأن الزمن في الكون الآخر له مفاهيم مغايرة لمفهوم الزمن في كوننا الحالي. لذا قال أيضا في مجال اليوم الآخر عن أهل الجنة وأهل النار) :خالدين فيها مادامت السموات والأرض) .(هود الشخر بقوانين الدوام من اللزوم والثبات وبمفاهيم جديدة للزمن.

أما الباقي فقد جاءت في اللسان العربي من "بقى" وهو ضد الفناء أي يبقى على ما هو عليه. لذا نقول إن الله حي باق ولا نقول حي دائم. ألا ترى إلى قوله) :ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) .(الرحمن 27). وقوله) :والآخرة خير وأبقى) .(الأعلى 17) (ورزق ربك خير وابقى) (طه 131) (وما عند الله خير وأبقى) .(الأعلى 17) (ورزق ربك خير وأبقى) .(طه 73).

وقوله) :وجعلنا ذريته هم الباقين) .(الصافات 77 .(أي أن سللة نوح لا تندثر إلى يوم القيامة وهي منتشرة في كل أنحاء المعمورة، لذا تبعها بقوله) :وتركنا عليه في الآخرين) .(الصافات 78) .(سلام على نوح في العالمين) .(الصافات 79. (

ومنه البقاء بمعنى البقية وهو ما تبقى ولم يفن أو يستهلك حتى لحظة معينة كقوله تعالى) : فهل ترى لهم من باقية) . (الحاقة 8). وقوله) : وفروا ما بقي من الربا . (البقرة 248). وقوله) : وفروا ما بقي من الربا . (البقرة 278). وقوله) : فلولا كان من القرون من قبلكم ولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض) . (هود 116. (

من الدائم والباقي نستنتج أن الوجود المادي الحالي دائم يحمل صفة التقطع والاستمرار التي تعبر عن حركة التغير والتطور. والزمن هو الديمومة الحاملة لهما. والله حي باق لا يحمل صفة التطور والتقطع والاستمرار. فالوجود المادي الحالي دائم ومحوره الله الحي الباقي "أي المرتبط به.'' ويمكن أن غثل الدائم والباقي في الشكل الرمزي التالى:

)وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين). (يونس 61. (

فالله هو محور الوجود المادي الذي يسيطر عليه ومربوط به لذا قال "وما يعزب" وقوله "في كتاب مبين" أي ن الدائم "التقطع والاستمرار" هو في كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة الجزئية لأنها تخضع للزمن أي أن نسبية الزمن من قوانين الإمام المبين وليس اللوح المحفوظ.

والدائم والمادة لهما معنيان متقاربان فالمادة جاءت من فعل مد ومنه الامتداد وضمنا تحمل معنى الزمان والمكان فالامتداد فيه حركة "زمان" ويحصل ضمن فراغ "مكان" ومنه نقول الديمومة للمادة والبقاء لله.

الفرع الثالث: الوحى وعلم الله وقضاؤه

أو لاً: الوحي:

)إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا) .(النساء 163. (
إن الوحي هو أحد أنواع المعرفة الخاصة. وقد جاء الوحي في اللسان العربي من فعل "وحى" وهو أصل يدل على إلقاء علم في الخفاء إلى غيرك. والوحى: الإشارة وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحى كيف

فالوحي في الأساس هو نقل المعلومات والأوامر والنواهي بعدة طرق عددها الكتاب بالأشكال التالية:

- 1 الوحى عن طريق البرمجة الذاتية.
- 2الوحى عن طريق التشخيص "السمع والبصر."
 - 3الوحى عن طريق توارد الخواطر.
 - 4الوحى عن طريق المنام.
 - 5الوحى المجرد.
 - 6الوحى الصوتي عن طريق السمع.

الوحي عن طريق البرمجة العضوية في الكائنات الحية أو الوظيفية في ظواهر الطبيعة: وذلك عن طريق تخزين معلومات وأوامر في البنية الجينية للخلايا كقوله تعالى) :وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون). (النحل 67). (ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون). (النحل 69. (أو في البنية الوظيفية للأشياء كقوله):فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها...الآية).(فصلت 12) وكقوله تعالى) :يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها) (الزلزلة 4-5. (

الوحي عن طريق التشخيص "صوت وصورة": وهذا ما نسميه بالوحي الفؤادي وهو أبسط أنواع الوحي وأكثرها بدائية وفعالية وقد جاء هذا النوع من الوحى إلى إبراهيم في قوله) :ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) . (هو د 69). وقوله) :و لما جاءت رسلنا لوطا سيء بمم وضاق بمم ذرعا وقال هذا يوم عصيب). (هود 77. (

الوحى عن طريق توارد الخواطر: وهذا الوحى وارد لكل البشر حتى يومنا هذا وهو عندما يقع الإنسان في مأزق أو يفكر في مشكلة علمية تستحوذ على كل تفكيره، تأتيه فكرة أو خاطرة ما فيها الخروج من المأزق أو حل المشكلة العلمية "كتفاحة نيوتن". وهذا النوع من الوحى جاء في الكتاب في قوله) :وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزين إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين .() القصص 7.

وفي قوله تعالى) :وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي) .(المائدة 111 .(وقوله عن يوسف :

)وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) .(يوسف 15) وقوله لموسى) :إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي). (طه 38. (

هذا النوع من الوحى ليس له أية علاقة بالأمور الشرعية التي تتعلق بأم الكتاب وإنما له علاقة بالأمور الإجرائية والمعرفية حين الأزمات ولا يأتي إلى إنسان عشوائيا، فالإنسان لا يفكر في أمور الذرة فيأتيه إلهام

حول أسرار الذرة.

الوحي عن طريق المنام: هنا يجب أن نميز بين مصطلحين هامين وهما: الحلم والمنام إذ لهما مفهومان مختلفان فيا لكتاب. والشيء المشترك بينهما هو أن كليهما يحصل أثناء النوم. فالحلم هو مجموعة من الصور التي يراها الإنسان وهو نائم وتتصف بأنها عبارة عن صور متداخلة بعضها ببعض وغير مرتبطة. لذا عندما رأى فرعون الرؤيا قالوا له)أضغاث أحلام . (وقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم) :بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) . (الأنبياء 5). لأن الأضغاث هي صفة الأحلام وتعني في اللسان العربي التباس الشيء بعضه ببعض. والحلم جاء من فعل "حلم" واحد معانيه النضوج الجنسي كقوله تعالى) :وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنو كما استأذن الذين من قبلهم) . (النور 59 . (وإذا بين العلم أن هناك رابطا بين الأحلام وبين النضوج الجنسي فهذا وارد.

أما المنام فهو ظاهرة مختلفة عن الحلم، فالمنام يعبر عن ظاهرتين:

أ - أحد أنواع الوحي للأنبياء.

ب - بالنسبة لغير الأنبياء يسمى المبشرات وهوا لرؤيا الصادقة .

ومازالت الرؤيا الصادقة ظاهرة شائعة بين الناس بغض النظر عن التقوى وهي ليست حلما .لقد جاء الوحي في المنام إلى إبراهيم) : فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدين إن شاء الله من الصابرين) (الصافات 102 .(هنا جاء الوحي بإعطاء أمر من الأوامر. وهناك وحي في المنام بإعطاء معلومات كالوحي إلى يوسف) :إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) .(يوسف 4). والوحي في المنام إما أن يكون صريحا، كالوحي إلى إبراهيم، وإما أن يكون غير صريح وبحاجة إلى تأويل كالوحي إلى يوسف حيث قال في نهاية السورة :)ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا. . الآية) .(يوسف 100.

هنا يجب أن نميز بين قول إبراهيم) إلي أرى في المنام (ن حيث استعمل "أرى" في فعل مضارع، وبين قول يوسف) إلي رأيت (في الماضي. فالإنسان لا يذبح ابنه بمجرد أن رأى في المنام مرة واحدة أنه يذبحه، بل تكرر هذا المنام لإبراهيم حتى صدقه، بدليل استعمال المضارع "إني أرى". أما مع يوسف فمحتوى المنام كان خبرا، لذا جاءه مرة واحدة فقال) إلي رأيت (وقد صدق الرؤيا .لذا سمى الله إبراهيم صديقا فقال) :واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا) . (مريم 41) وقارن هذه الآية حول تصديق الرؤيا في قوله) :قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين) . (الصافات 105) وكذلك كانت طريقة الوحي إلى إدريس حيث بينها في قوله) :واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا) . (مريم 56. (

وقد أكد طريقة الوحي عن طريق المنام ليوسف حيث سماه أيضا صديقا في قوله) :يوسف أيها الصديق .(

وكذلك أطلق الكتاب على مريم لقب صديقة في قوله) :وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) .(المائدة 75) وذلك لأنها صدقت جبريل بأنه سيهبها غلاما ذكيا وجاءها بشكل بشر سوي بدون أي علامة فارقة فصدقته بمجرد أن أخبرها بهذا الخبر فسماها صديقة وقد أكد ذلك في قوله تعالى) :وصدقت بكلمات ربها وكتبه .() التحريم 12 .(وقد سمي أبو بكر صديقا لأنه كان يصدق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يقوله بمجرد أن يقول وبدون أي نقاش.

والآن لنميز أنواع الرؤيا الصادقة:

أ - النوع الأول: للأنبياء وهو الوحي عن طريق المنام. فهذا الوحي كما قلت إما مباشر كالوحي إلى إبراهيم،
 أو غير مباشر "رمزي" كالوحى إلى يوسف.

ب - المبشرات: وهي الرؤيا الصادقة وليست وحيا. وهذا يمكن أن يحصل مع كل الناس، المؤمن وغير المؤمن. ويمكن أن يكون مباشرا أو رمزيا. وهذا ما أطلق عليه الكتاب مصطلح الوفاة.

هنا يجب علينا أن نميز بين مصطلحين حصل فيهما خلط والتباس وهما: الوفاة والموت. وقد قلنا إن الروح ليست سر الحياة العضوية وإنما هي سر الأنسنة .فلا تدخل في مصطلح الموت أو الوفاة. وكل ما قيل عن الروح بأنما سر الحياة أو أي موضوع ربط الروح بالحياة العضوية يجب أن يستبعد لأنه -كما بينا سابقا- يخالف العمود الفقري للكتاب جملة وتفصيلا .

وكل ذلك حدث بسبب الالتباس في المصطلح بين النفس والروح حيث أن النفس يقابلها في اللغة الإنكليزية مصطلحان (body) الجسد العضوي. ومصطلح (Soul) النفس المشاعر والأحاسيس والشخصية "الأنا". أما الروح فيقابلها مصطلح (Spirit) وفي اللغة الروسية هناك مصطلح (Gywa) النفس ومصطلح الروح .(Gyx) ففي الكتاب أطلق مصطلح النفس على معنيين يفهمان حسب سياق الآية: المعنى الأول: النفس ككائن عضوي حي تنطبق عليه ظاهرة الموت وهي التي قال عنها) :كل نفس ذائقة الموت) . (آل عمران 185). هذه النفس التي تموت يدخل تحت معناها كل الكائنات الحية بما فيها الإنسان: اللذي خلقا لموت والحياة) . (الملك 2). وهذه النفس التي يمكن قتلها والتي جاءت في قوله) :ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قلتها هي النفس البشرية . وهناك نفوس أحل الله قتلها كالأنعام والبهائم والأسماك . . . الخ. وجاءت أيضا في قوله تعالى) :وما كان لنفس أن تموت إلا ياذن الله كتابا مؤجلا) . (آل عمران 145) وهذه النفس التي قال عنها) :وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) . (الحجرات 15 . (وقال عنها) :وإذا النفوس زوجت) . (التكوير 7). هذه النفس التي نطلق عليها مصطلح الجسد العضوي المادي والذي ينتقل من حال الحياة إلى حال الموت والتحلل العضوي والتغير والنغير والنفير والفيرة والنفير والنفير والنفير والنفير والنفير والنفير والنفير والفيري والنفير وال

-المعنى الثاين: النفس الإنسانية فقط وهي النفس التي تتوفى والتي لها طب خاص بها اسمه الطب النفسي. وهي مجموعة الأحاسيس والمشاعر وفيها الحب والكراهية والألم النفسي والراحة النفسية والسرور والعذاب وهذه التي قال عنها الله سبحانه وتعالى) :الله يتوفى الأنفس حين موها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى عن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .(الزمر 42. (هنا يتبين لنا الفرق الكبير بين الروح والنفس.

حيث أن الروح هي إزالة التناقض والربط المجرد وهي سبب امعرفة اوالتشريع وسبب الخلافة، وهي من الله مباشرة لألها من صفات الله التي لاينطبق عيها قانون صراع المتناقضات الدالخية في ذاته. أما النفس التي تتوفى فهي الصور المدركة والأحاسيس والملذات والمشاعر ولها جدل خاص بها وهي ليست الروح وإنما من نتاجها حيث أن لاصور والأحاسيس تعتمد على المدركات من الأشياء وإدراك الأشياء يتم بواسطة الروح. حيث أن هذه الأمور لا تتحلل بالموت لألها غير مادية، لذا ذكر لها "الوفاة" وذكر للنفس العضوية "الموت." وأعطى نفس المصطلح للحالتين لألهما مرتبطتان بعضهما ببعض في الحياة. ولا يحصل الانفصال إلا في حالتين وأعطى نفس المصطلح للحالتين لألهما مرتبطتان بعضهما ببعض في الحياة. ولا يحصل الانفصال إلا في حالتين الالتباس الذي يقول أن النوم هو كالوفاة فهذا وهم فالمنام هو الوفاة والذي يحصل أثناء النوم وليس النوم نفسه. فماذا يحصل في المنام وليس في الحلم؟ يرى النائم في المنام مجموعة منا لصور والأحداث المباشرة لها معنى المنفس حيث ترسل لقوله) :ويرسل الأخرى .(هذه الحالات لا تحدث في الضرورة كلما نام الإنسان، ولكن للنفس حيث ترسل لقوله) :ويرسل الأخرى .(هذه الحالات لا تحدث في الضرورة كلما نام الإنسان، ولكن المبشرات "الرؤيا الصادقة."

أما الوفاة الدائمة التي قال عنها) :حين موتها . (فذاك أنه في لحظة الموت لكل إنسان على الإطلاق بغض النظر أكان الموت سريعا جدا أو بطيئا لأننا نعني لحظة الموت يرى الإنسان مجموعة منا لصور يشعر فيها بالراحة أو بالعذاب. هذه الصور تبقى ثابتة إلى يوم يبعثون والجسد ليس له علاقة بذلك دفن أم حرق. هذا ما نسميه حياة البرزخ. هذه الحياة صور ثابتة وشعور ثابت وهي حالة غير عضوية ما عدا "النبيين والشهداء ." وهكذا فقط نفهم قوله تعالى) :ولو ترى إذا الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) . (الأنعام ولفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) . (الأنعام تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعوهما إن كنتم صادقين * فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنت نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين * فأما إن كان من المكذبين الضالين * فترل من حميم * وتصلية جحيم * إن هذا لهو حق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم) . (الواقعة 83

هنا نلاحظ كيف يعطي صورة الوفاة حين الموت. فالمقربون يشعرون كشعورهم بفسحة ونزهة "روح" وهم في غاية الراحة "ريحان" هنا ريحان على وزن فعلان وهي ضد "تعبان". ولكي يبين أن ذه الصورة التي تحصل في الوفاة حين الموت تبقى ثابتة إلى يوم يبعثون قال عنآل فرعون) :النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب.(

هنا أكد القرآن أن لا نعيم جسديا والعذاب جسديا إلا بعد البعث الجسدي والحساب المادي، فهناك الجنة والنار الماديتان.

هذا البحث يقودنا إلى استنتاج مهم جدا وهو ما يقال عنه عذاب القبر. فإذا فهم عذاب القبر فهما رمزيا على أنه الصورة التي يراها المتوفى حين الموت بغض النظر أدفن في القبر أم أحرق أم التهمته الوحوش فهذا وارد ولا يتعارض مع المفاهيم الواردة في الكتاب. أما ما ورد في بعض الكتب عن سؤال منكر ونكير بعد الدفن، ويسألون الميت عن ربه ودينه فلم يثبت في نص صحيح. وإن ما يفعله بعضهم من تلقين الميت بعد الدفن فما لم نجد له سندا صحيحا. وإن من مجانبة الدقة أن نقول الصلاة على روح فلان أو الفاتحة إلى روح النبي صلى الله عليه وسلم أو روح الميت. والأدق أن نقول الصلاة على نفس فلان ونفس النبي صلى الله عليه وسلم أو نفس الميت.

وإننا نقرأ في الأثر قول النبي صلى الله عليه وسلم "والذي نفس محمد بيده ''وإن كل ما ورد في الأثر وفي اكتب التراث أو الأحاديث حيث تذكر الروح على أنه سر الحياة يجب أن يعاد النظر فيه ووضع إشارة استفهام كبيرة على صحته.

أما النفس التي ترى حين الوفاة الروح والريحان وجنة نعيم وتثبت لها هذه الصورة إلى يوم القيامة فهي التي قال عنها) :يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي .() الفجر 27-30) ويبقى أن نلاحظ أنه حيث ورد ذكر الموت والوفاة في الكتاب فالمصطلح المرافق هو مصطلح النفس وليس مصطلح الروح.

قد يسأل سائل: لقد أوردت في بحث الجدل أن الجنة والنار لم توجدا بعد وإنما ستوجدان على أنقاض هذا الكون بعد هلاكه، فكيف قال عن النفس المطمئنة)وادخلي جنتي .(والجنة لم توجد بعد؟ الجواب أن الكتاب أورد أن هناك جنة ليس لها علاقة بجنة المتقين أو جنة الثواب والعقاب وهي التي سماها) : جنة المأوى . (في قوله) :ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى) . (النجم 13-15. (من هذه الآيات نناقش حادثة المعراج. فإذا شاهد النبي الجنة والنار في المعراج وقد قلنا إن الجنة والنار لم توجدا بعد - فهذا يعني أن المعراج حصل في المنام. أما إذا كانت المشاهدة فؤادية أي مرتبطة بالحواس فهذا يعني أنه شاهد جنة المأوى وليس جنة الثواب. وقد ذكر الكتاب بأن المشاهد حسية فؤادية في قوله) :ما كذب

الفؤاد ما رأى) .(النجم 11 .(وفي قوله) :ما زاغ البصر وما طغى) .(النجم 17. (وفي قوله) :ما زاغ البصر وما طغى) .(النجم 17. (وفي الحتام يبق للبحث المستقبلي ترتيل آيات النفس التي جاءت في الكتاب وتصنيف الآيات حسب معنى النفس الجسد التي تموت والنفس التي تتوفى. فعلى سبيل المثال) :وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) .(العنكبوت 40). هنا النفس التي تتوفى) :فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) .(السجدة 27). هنا النفس التي تموت.

لقد ذكرنا أن ما جاء في الكتاب عن الوفاة والموت يسمى حياة البرزخ بالنسبة لكل الناس. والناس الوحيدو المستثنون من هذه الحياة هم الأنبياء والشهداء .فهذه الحياة بالنسبة لهم ملغاة حيث تستمر مباشرة حين موهم ووفاهم -حياهم المادية الجسدية والنفسية- عند الله سبحانه وتعالى وليس في الجنة .

وقد يقول البعض إن جثث الشهداء تبقى في الأرض أو تحرق. هذا صحيح ولكن جسد الإنسان المادي عبارة عن مجموعة منا لكميات والنسب المادية لمؤلفة من عناصر، ولكل إنسان وصفة خاصة به من المواد ونسبها وهندستها، هذه الوصفة موجودة عند الله سبحانه وتعالى ويعاد تركيبها. أما الجسد الذي مات فيبقى في الأرض. لذا قال عن الشهداء) :ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند رجم يرزقون) .(آل عمران 169 .(هنا قال: "أمواتا" ويعني بذلك الحياة العضوية وأتبعها بوله) :أحياء عند رجم .(وأضاف إليها أمرا ماديا بحتا في قوله) :يرزقون .(وتلاحظ قوله) :عند رجم .(ولم يقل في الجنة كقوله تعالى) :يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) .(الرعد 39. (

وقوله) :إن الله عنده علم الساعة) .(لقمان 34. (

وقد أكد أنه لا بعث للنبيين والشهداء لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون في قوله) :وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون) .(الزمر 69 .(لاحظ قوله :) وجيء بالنبيين والشهداء .(قال هذا لأنهم أصلا موجودون "عند ربهم.''

هنا تتبين لنا المرتبة العالية للشهداء حيث أن مكافأةم من الله هي من جنس التضحية التي قدموها ولكن تفوقها درجات. فالشهداء قصروا أعمار أنفسهم وآثروا الموت على أن يستمروا في الحياة ويستمتعوا بها أطول مدة ممكنة فكافأهم الله سبحانه وتعال بأن أحياهم ومتعهم ورزقهم من لحظة موهم إلى يوم يبعثون. الوحي المجود: وهو أرقى أنواع الوحي وهو أن يأتي جبريل بدون أن يدرك بالحواس فيلتبس مع النبي صلى الله عليه وسلم ويسجل الآيات الموحاة بشكل مباشر في الدماغ "القلب". هذا النوع من الوحي الأساسي الذي كان يأتي للنبي صلى الله عليه وسلم. هنا يجب أن نناقش الوهم الذي يقع فيهالبعض وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يغيب عن الوعي عندما كان يأتيه الوحي المجرد، حيث قالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يغيب عن الوعي كانت تأتيه نوبات من الصرع وقد حصل هذا الوهم من أنا لنبي صلى الله عليه وسلم كان يغيب عن الوعي ويتفصد عرقا حين كان يأتيه الوحي، وبعد أن يتركه الوحي :ان يصحو ويعود إلى وعيه، ويرتل الآيات التي

أوحيت إليه، وأحيانا كانت تأتيه سورة كاملة من السور الطوال على دفعة واحدة كسورة يوسف، ومعظم سورة الأنعام. لنناقش هذه الظاهرة ونرد على هذا الوهم:

- 1إن الإنسان المريض بالصرع وتأتيه نوبات الصرع يصحو بعد النوبة كالمخبول ولا يقول إنه علم شيئا أو زادت معلوماته قيد أنملة أثناء النوبة .وكل العرب الذين عاشوا مع النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن منهم والكافر كانوا يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يغيب عن الوعي أثناء الوحي .وبعد أن يعود إلى وعيه يتلو عليهم الآيات التي أوحيت إليه.
- 2إننا نعلم بشكل قاطع نهلا يمكن للإنسان أن يفكر بشكل متلازم بأمرين اثنين بنفس اللحظة. فهناك طريقتان لاستلام المعلومات: إما عن طريق الحواس التي توصلها إلى المخ "الإدراك الفؤادي" ثم يبدأ المخ بعملية التحليل والتركيب "الفكر والعقل" ويصدر أحكاما. وفي هذه الحالة، الحواس هي واسطة المعرفة والإنسان بحاجة ماسة إليها. وإما أن تأتي المعلومات إلى الدماغ بشكل مباشر متجاوزة الحواس. ولا تتجاوز الحواس موضوعيا إلا إذا غاب الإنسان عن الوعي. والعلم والتجارب العلمية يمكن أن تبرهن على هذا حاليا أو في المستقبل وذلك إن أردنا أن نعطي معلومات وأوامر ونواهي إلى دماغ شخص بشكل مباشر واستطعنا فعل ذلك فهذا يعني أننا بالضرورة نحتاج إلى أن نعطل حواس الشخص الذي يتلقى المعلومات ونغيبه عن الوعي لأنه لا يمكن أن نعطي للإنسان معلومات مباشرة إلى دماغه وحواسه تعمل، لأن الحواس بحد ذاها هي مصدر للمعلومات.

وعلى هذا فإنه من الناحية العلمية، لا غرابة أبدا بأن يغيب النبي صلى الله عليه وسلم عن الوعي أثناء الوحي. لذا أطلقت على هذا النوع من الوحي مصطلح الوحي المجرد أي المجرد عن الحواس، وهو أرقى أنواع الوحي. علما بأنه وحي مادي أي كان يأتي من خارج دماغ النبي صلى الله عليه وسلم ومن خلال قوانين موضوعية "جبريل" وليس من نشاطات الدماغ الذاتية لذا قال) : وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) . (الإسراء 105). أي ترجمة القرآن إلى العربية حدثت خارج وعي محمد صلى الله عليه وسلم . وبالحق أنزلناه . (وتم نقله موضوعيا إلى قلب محمد صلى الله عليه وسلم) . وبالحق نزل . (لذا كان دور النبي صلى الله عليه وسلم هو البشير والنذير حيث أن التبشير بالجنة والإنذار بالنار هو من القرآن. الوحي الصوتي: وهو شكل الوحي الذي جاء إلى موسى عليه السلام فقط بالإضافة إلى أشكال أخرى كالإلهام. لذا فصل الوحي إلى موسى في أية منفصلة وحدها في قوله) : ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) . (النساء مجموعة من الأنبياء والرسل ذكرهم الله في آية واحدة وذكر أنه أوحى إليهم، ولم يذكر فيهم موسى، بل خصه وحده بهذه الآية المنفصلة.

هذا الوحى الصوتي جاء لموسى شفاهة "صوتا" ومنسوخا كالوصايا العشر "الفرقان" حيث قال): وكتبنا له في

الألواح من كل شيء موعظةً وتفصيلا لكل شي فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين). (الأعراف 150. (وقوله): وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره). (الأعراف 150. (

- -أنواع الوحي التي أوحيت للنبي محمد صلى الله عليه وسلم:
- 1الوحي المجرد: لقد كان هذا النوع الأساسي للوحي للنبي صلى الله عليه وسلم.
- 2الوحي الفؤادي: كانت بداية الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم بداية فؤادية حيث لو بدأ الوحي مجردا لما صدق النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، ولظن نفسه أنه متوهم. لذا كانت البداية الفؤادية للوحي هي ضرورة بشرية، حيث أن الحواس أساس المعرفة، فجاءه جبريل لأول مرة صوتا وصورة، ولم يغب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة عن الوعي. وقد أوحيت له بالطريقة الفؤادية أوائل سورة العلق. ثم أحيانا كان يأتيه جبريل بصورة إنسان يراه هو والآخرون ويخبره ويسأله بمرأى ومسمع من الآخرين دون أن يغيب أحد عن الوعي. في هذا المجال يتبين لنا لماذا لم يترل عليه القرآن "لا الكتاب "جملة واحدة، بل جاء مرتلا، وكان السبب فؤاديا بحتا لقوله تعالى) : وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) . (الفرقان 32 . (

لذا جاء القرآن على دفعات ببداية فؤادية "مشخصة" لتثبيت فؤاد النبي أي لكيلا يشك ثم جاءه بعد ذلك على أرتال بالطريقة المجردة.

ثانياً: علم الله:

قلنا إن علم الله هو أرقى أنواع العلم .وهو علم تجريدي بحت ويحمل الصفة الرياضية المتصلة والمنفصلة معا :)وأحصى كل شيء عددا) .(الجن 28) .(وكل شيء عنده بمقدار) .(الرعد 8) وقلنا إن العلم التجريدي هو علم مجرد عن الحواس. فالحواس ضرورية للإدراك الفؤادي المتعلق بالحواس. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ضرورية لناقصي المعرفة أي لاكتساب المعارف عن العالم الموضوعي المادي. أما الإدراك المجرد فهو إدراك بمعزل عن الحواس "العقل"، لذا فعلم الله علم مجرد وهو في الوقت نفسه يحمل صفة كمال المعرفة. فإذا قلنا إن مخلوقا ما يعرف أشكال الموجودات واحتمالاتها، ويعرف كل أصوات الموجودات واحتمالاتها. ففي هذه الحالة يبصر ولكن بدون عين وسمع ولكن بدون أذن فيزيولوجية لذا نقول إن الله سميع بصير أي يسمع بدون أذن ويبصر بدون عين فيزيولوجية حيث أن الحواس ضرورية لناقصي المعرفة. وقد أكد ضرورتها لاكتساب المعرفة وربطها بالفؤاد في قوله) :والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) .(النحل 78. (

قبالنسبة لناقص المعرفة هناك الشمع دو قيفة عصوية ناردن تودي إلى المعرفة، وهناك الاستماع كفعل إرادي للإنسان نفسه. لذا فإننا نرى في الكتاب صيغة "قد سمع الله" كقوله) :قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) .(المجادلة 1 .(وقوله تعالى) :لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) .(آل عمران .181 .(ولكننا لا نرى في الكتاب صيغة "استمع الله" وإنما هي لغير الله من العاقل كقوله) :قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن) .(الجن 1 .(وقوله) :قال لمن حوله ألا تستمعون) .(الشعراء 25) وقوله) :فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) .(الجن 9) وقوله) :وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترجمون () الأعراف 204. (

لنناقش الآن: هل كامل المعرفة يحتمل الشريك؟ أي أن الله كاملا لمعرفة، فهل هناك إمكانية بأن يحمل إله آخر أو أي كائن آخر نفسا لصفة؟ هذا مستحيل وللدلاة على ذلك نقول إن كمال السرعة في حدود ما نعلم، موجود في الضوء، فإذ سار جسم بسرعة أقل من سرعة الضوء لا يصبح ضوءا، ويبقى جسما مغايرا للضوء. ولكنه إذا سار بسرعة الضوء، يصبح ضوءا حيث نه لا يسير بسرعة الضوء إلا الضوء. فالسيارة تصبح ضوءا، والإنسان يصبح ضوءا إذا بلغت سرعتهما سرعته.

وهكذا نرى أن كمال السرعة لا يكون إلا في واحد، وهذا الواحد لا يحتمل الشريك ولا يحتمل معادلة الزمن. وكمال المعرفة لا يكون إلا في واحد ولا يحتمل الشريك ولا يحتمل معادلة الزمن) :هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) .(الحديد 3). وكما أن سرعة الضوء هي السرعة التي تنسب إليها كل سرعات الأجسام الأخرى. وكذلك فإننا ننسب إلى علما لله كل علوم المخلوقات الأخرى) ولا يحيطون بشيء منعلمه إلا بما شاء) .(البقرة 255.(

وبما أن الروح هي سر اكتساب المعرفة فقد أعطاها الله للإنسان ليكون خليفة له) :ونفخت فيه من روحي . (فاصبح البشر إنسانا متعلما متكسبا للمعارف. فكلما زادت معارف الإنسان زاد اقترابا منا لله بالمعرفة. وكلما زاد جهالا بعد عن الله. وهكذا فإننا نرى أن الإنسان ككل يقترب من الله مع التطور ومرور الزمن، وسيبقى هذا الاقتراب من الله مستمرا حتى يأتي يوم يظن فيه الإنسان أنه أصبح إلاها. فعند ذلك تقوم الساعة)حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها ألهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نحارا) . (يونس 24. (والآن نسأل السؤال التالي: هل علم الله يقيني أم احتمالي؟ نقول هو الاثنين معا. فعلم الله يقيني كامل بالأشياء والأحداث القائمة والموجودة فعلا كقوله) :وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون) . (الأنعام 80) وقوله :) وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا) . (الأعراف 89 . (وقوله) :إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما) . (طه 98). وقوله) :وأن الله قد كل شيء علما) . (الطلاق 12 . (وقوله) :وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) . (فاطر 11، فصلت أحاط بكل شيء علما) . (الطلاق 12 . (وقوله) :وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) . (فاطر 11، فصلت أحاط بكل شيء علما) . (الخاط والماطن وهو بكل شيء عليم) . (الخديد 3). وقوله) :ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) . (الخديد 3). وقوله) :ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) . (الخادلة 7 . (وقوله) ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) . (التغابن 11 . (النهابن والله بكل شيء عليم) . (الخديد 7 . وقوله) . (التغابن 11 . (المه بكل شيء عليم) . (الخديد 7 . وقوله) . (التغابن 11 . (المنابن والله بكل شيء عليم) . (الخديد 7 . وقوله) . (المنابن ولا تضع عليم) . (الخديد 7 . وقوله) . (التغابن 11 . (المناب والله بكل شيء عليم) . (الخديد 7 . وقوله) . (المناب والله بكل شيء عليم) . (المناب والله بكل شيء عليم) . (المناب والله بكل شيء عليم) . (التغابن 11 . (المناب والله بكل شيء عليم) . (المناب والله بكل شيء عليه . (المناب الله

```
وقوله) :ألم تعلم أن الله يعلم ما فيا لسماء والأرض). (الحج 70. (
 نلاحظ في الآيات السابقة قوله) :بكل شيء .(والأشياء هي الموجودات فعلا وقد أجمل علمه بقوله) :وسع
 كرسيه السموات والأرض .(وقد شرحت معنى الكرسي في الباب الأول .أما عن حركة الأشياء ووظائفها
      فقال) : يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها) . (سبأ2، الحديد 4). وقوله) : وما تسقط من ورقة إلا
                                                                           يعلمها) . (الأنعام 59. (
                                                            وعلينا هنا أن نميز بين نوعين من علم الله:
                            أ - النوع الأول: علم الله بالأشياء وظواهرها وحركاتما وهو الذي شرحناه.
                              ب - النوع الثانى: علم الله بالسلوك الإنساني الواعي وبالاختيار الإنساني.
   لقد حصل لغط كثير وجدل طويل وأخذ ورد والتباس في النوع الثاني من علم الله حول السلوك الإنساني
والاختيار. ومرد هذا الالتباس إلى أنهم أدخلوا في علم الله حول الاختيار الإنساني ما لا يدخل فيه، ولم يرد له
                                                                                  ذكر في الكتاب.
                                                               فحول علم الله بالاختيار الإنساني قال:
                                                      ) -ويعلم ما تخفون وما تعلنون) .(النمل 25. (
                                     ) -وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) .(النمل 74. (
                                       ) -وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) . (القصص 69. (
                                 ) -والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما) .(الأحزاب 51. (
                                              ) - يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) . (غافر 19. (
                                           ) -ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) .(الشورى 25. (
                                                      ) -والله يعلم متقلبكم ومثواكم) .(محمد 19. (
                                                              ) -والله يعلم إسرارهم) .(محمد 26. (
                                                       ) -والله بصير بما تعملون) . (الحجرات 18. (
                                                     ) -ويعلم ما تسرون وما تعلنون). (التغابن 4.
                                                         ) -إنه يعلم الجهر وما يخفى) .(الأعلى 7.
                               ) -وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) .(البقرة 270. (
                               ) -قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله) .(آل عمران 29. (
                     ) -يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون). (آل عمران 167. (
                                         ) -وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) . (آل عمران 92. (
                             ) -قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين). (القصص 85. (
```

-) -علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم) .(البقرة 187. (
 -) فعلم ما في قلوهم فأنزل السكينة عليهم) . (الفتح 18. (
 -) -فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) .(الفتح 27.
 -) -علم أن لن تحصوه فتاب عليكم) . (المزمل 20. (
-) -علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض) .(المزمل 20. (
 -) -علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا) .(البقرة 235. (
 -) -ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) .(الأنفال 23. (
 -) -الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) .(الأنفال 66. (

إن الآيات الواردة أعلاه كلها تتحدث عن سلوك إنساني واع، فلنأخذ مثلا قوله) : يعلم ما تخفون وما تعلنون (فقد جاءت في صيغة المضارع للدلالة على استمرارية المعرفة أولاً، وجاءت المعرفة لأمر مخفي فعلا. فإذا كان زيد في لحظة ما لا يخفي شيئا فالله يعلم أن زيدا لا يخفي شيئا في هذه اللحظة. وفي لحظة تالية إذا أخفى زيد شيئا فإن الله يعلم أن زيدا قد أخفى شيئا. وكذلك الإعلان والإسرار. وبما أن السر والعلن متغير عند الإنسان بتغير نواياه، فجاء العلم بصيغة المضارع للدلالة على استمرارية المعرفة. فأين يكمن الالتباس إذا؟ إن الالتباس يكمن في أنه إذا نوى زيد غدا القيام بأمر ما فإن الله منذ الأزل يعلم أن زيدا في يوم كذا وساعة كذا وثانية كذا سينوي القيام بهذا الأمر. إننا ننظر إلى الأمر نظرة مغايرة ولتبيالها نقول:

أولاً لنناقش أنه لو كان يدخل في علم الله منذ الأزل ماذا سيفعل زيد في حياته الواعية وما هي الخيارات التي سيختارها زيد منذ أن يصبح قادرا على الاختيار إلى أن يموت. فالسؤال لماذا تركه إذا كان يعلم ذلك؟ هنا من أجل تبرير هذا الأمر ندخل في اللف والدوران فنقول إن الله علم منذ الأزل أن أبا لهب سيكون كافرا، وأن أبا بكر الصديق سيكون مؤمنا. ثم نقول إن أبا لهب اختار لنفسه الكفر وأبو بكر اختار لنفسه الإيمان. إن هذا الطرح لا يترك للخيار الإنساني الواعي معنى، وإنما يجعله ضربا من الكوميديا الإلهية مهما حاولنا تبرير ذلك. فإن كان الأمر كذلك فماذا نعنى بقولنا: إن الله كامل المعرفة؟

إننا نعني أن الله كامل المعرفة بالأشياء وأحداثها "الطبيعة وظواهرها" لأن علمه رياضي)وأحصى كل شيء عددا) . (وكل شيء عنده بمقدار) . (الرعد 8). وعلمه رياضي، لأن الرياضيات اليوم هي أرقى أنواع العلوم، ولو توصل العقل الإنساني "المصوغ من روح الله" إلى علم هو أرقى منا لرياضيات وسميناه العلم س ثم وجدنا في القرآن إشارة لذلك كانت تخفى علينا أو كنا نؤولها تأويلا آخر لجهلنا بالعلم س لقلنا إن علمه جل وعلا علم سيني... وما دمنا لا نعرف علما أرقى منا لرياضيات فإننا نذهب ولا نتحرج إلى أن علمه رياضي "دلنا على ذلك العقل المصوغ من روح الله"... إن الرياضيات تتصف بالدقة والتنبؤ، فنحن إذا علمنا القانون الرياضي لظاهرة ما فيا لطبيعة، يصبح من السهل علينا أن نتنباً سلفا عن سلوك هذه الظاهرة .

وهذا ما نفعله الآن في الاختراعات الكبيرة في الطب والعلوم. إذ يمكننا أن نحكم سلفا عن موعد وصول الصاروخ إلى القمر إذا عرفنا قدرته وسرعته... الخ وبما أن الوجود هو كلمات الله، فقد أعطانا الله الاطمئنان بأنه لا مبدل لقوانينه) الا مبدل لكلماته وإن عين الأشياء هي كلماته وإن ظواهر الأشياء في كلماته لذا قال) السبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) ومريم 35) وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) ويعرف أو إلى عن ظواهر الطبيعة إلها في كتاب مبين فلا يوجد شيء في الطبيعة يقول له كن فيكون) ويعلمه الله ويسيطر عليه) إيا بني إلها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) ولقمان 16 ولذا فإن معرفة الإنسان بكلمات الله هي مفتاح خلافته الله في الوجود وهي مفتاح رقيه.

فعلم الله بالطبيعة إما علم مبرمج سلفا في اللوح المحفوظ "القرآن المجيد "والذي يحوي قوانين جدل الطبيعة الأول والثاني والحلق والتطور والساعة والبعث واليوم الآخر والجنة والنار، أي قوانين الجدل المادي لهذا الكون والكون الذي يليه. وإما علم في كلية الاحتمالات لظواهر الطبيعة الجزئية القائمة على الأضداد واليت نفهمها من خلال الرياضيات والتي سماها "كتاب مبين". وبما ان سلوك الإنسان سلوك احتمالي فقد سمى القصص أيضا الكتاب المبين لذا قال) :إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) .(يس 12). أي ان الإمام المبين هوأرشيف الأحداث الجزئية الجارية للأشياء فيا لكون والإنسان لذا جاء القصص من الإمام المبين وهناك معلومات عند الله فقط، غير مؤرشفة وغير مبرمجة سلفا وهي التي قال عنها) :إن الله عنده علم الساعة) .(لقمان 34. (

أما بالنسبة لسلوك الإنساني الواعي، فحتى نفهم هذا السلوك الواعي يجب علينا أن لا ننسى أن الإنسان خليفة الله في الأرض وأنه يوجد في الإنسان وليس في الكائنات الحية الأخرى شيء من ذات الله وهو الروح وبما أصبح خليفة الله في الأرض واكتسب المعارف وأصبح قادرا على المعرفة والتشريع. هذه النقطة إذا نسيناها فإن السلوك الإنساني سيتحول إلى مجموعة من الصور المتحركة يديرها الذي صممها "أفلام كرتون". ولكن إذ قلنا إن هناك أمرا مشتركا بين الله والإنسان وهو الروح، أي إذا قلنا إن الصور المتحركة فيها شيء من ذات المصمم لتغير الأمر.

فعلم الله في السلوك الإنساني الواعي يقسم إلى قسمين:

- 1علم الله الكامل بكلية الاحتمالات التي يمكن أن يسلكها الإنسان، فأمام كل إنسان على حدة، ملايين الاحتمالات كل يوم في موعد نومه وفي طعامه وفي لباسه وفي كلامه وفي علاقته مع الآخرين وفي صلاته وفي صومه وإيمانه وكذبه وفي أن يتعلم أو يبقى جاهلا وهكذا دواليك. فلا يمكن لأي إنسان أن يقوم بأي عمل علني أو يخفي أي أمر أو يتبنى أية فكرة سرا أو علنا إلاوتصرفه داخل في هذه الاحتمالات وبالتالي فهو داخل في علم الله الكلى، أي لا يمكن لأي إنسان مهما عمل أن يقوم بعمل ما سرا أو علنا ويفاجئ الله به ولا يدخل

في كلية احتمالات علمه وهذه هي عين كمال المعرفة كسرعة الضوء فإنما تحوي كل احتمالات السرعات الممكنة للأشياء. فأبوبكر لم يفاجئ الله بإيمانه وأبو لهب لم يفاجئ الله بكفره، لأن الكفر والإيمان كليهما معا يدخل في علم الله. ألاترى إلى قوله) : لمن شاء منكم أن يستقيم) .(التكوير 28. (حيث ذكر الاستقامة في حيز التبعيض، فالذي لا يشاء الاستقامة ينحرف، فعلم الله ومشيئته أن يكون هناك استقامة وانحراف معا، لذا قال في مجال الكلية وليس في مجال التبعيض) : وما تشاؤون إلاأن يشاء الله .() الإنسان 30). ففي علم الله ومشيئته الاستقامة والانحراف معا، وفي مشيئتنا نحن أن نستقيم أو ننحرف. بيد أن من يستقم فإنه لا يفاجئ الله باستقامته، ومن ينحرف لا يفاجئ الله بانحرافه. وفي هذا يصبح الخيار الإنساني الواعي خيارا حرا يستلزم الثواب والعقاب، وتصبح خيارات الإنسان غير مكتوبة عليه سلفا. وفي هذا قال :) وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) .(الكهف 29). وإذا قلنا الآن إن الله منذ الأزل علم أن أبا بكر سيؤمن وأن أبا جهل سيكفر فهذا عين نقصان المعرفة وليس كمالها. أي أن علم الله يحمل صفة الاحتمال الواحد. ولو كفر أبو بكر وآمن أبو جهل لكانت هذه مفاجأة كبيرة لله تعالى، علما بأن باب الكفر والإيمان كان مفتوحا أمام الاثنين على حد سواء.

- 2علم الله الكامل بأحداث مسبقة بكلياتها وجزئياتها أو بأحداث جارية بكلياتها وجزئياتها: وذلك أنه في لحظة أن نوى أبو بكر الإيمان قبل أن يفضي بهذه النية لأحد وهي مازالت سرا في نفسه علمها الله أولا وفي نفس اللحظة التي نوى فيها أبو بكر الإيمان. وثانيا هذه المعرفة داخلة في احتمالات علمه الكامل أي لم يفاجأ بها. وهنا تكمن الصفة "الصورة" المشتركة بين الله والناس. فقد خلقنا الله أحرارا في اختيارنا ونحن بالنسبة له لسنا لهوا يلهو بنا. والفرق هو أنه كامل المعرفة "عليم" ونحن ناقصي المعرفة "متعلمين" لذا فهو حر وله تمام الحرية ونحن متحررون. وقد جاءت صيغ الآيات السابقة في صيغة الماضي وفي صيغة المضارع "الحاضر" للدلالة على علمه بأحداث مسبقة بكلياتها وجزئياتها أو بأحداث جارية بكلياتها وجزئياتها.

ولكي يبين حرية الاختيار للإنسان "وأن الإنسان الفرد لحظة اختياره لأمر ما، ينتقل هذا الأمر من علم الله الكلي "كمال المعرفة" إلى علمه المصنف الذي سيسجله على الإنسان" لذا قال)يهدي من يشاء ويضل من يشاء .(وقال) : لا يهدي القوم الفاسقين .(فإذا اختار الإنسان الفسق بملء اختياره لم يهده الله. ومن هنا فقد وضع الله تعالى صيغا بالنسبة للاختيار الإنساني على الشكل التالي :

)ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) . (العنكبوت 3). وقوله) : وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء) . (آل عمران 140). وقوله) : أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) . (آل عمران 142). وقوله) : يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) . (المائدة 94) وقوله) : أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا

المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) . (التوبة 16 . (وقوله) : وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) . (البقرة 143) وقوله تعالى) ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين . (الحمد 13) . وقوله) : ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) . (الكهف 12 . (في هذه الآيات قد يظن البعض أنا لله ناقص المعرفة، علما بأن هذه الآيات ليس لها علاقة بكمال المعرفة حيث أن كمال المعرفة كلي. وهذهالآيات تدخل تحت باب المعرفة الجزئية والتي هي جزء من المعرفة الكلية أي لا تحتوي على عنصر المفاجأة ولكن تدخل تحت باب التصنيف الجزئي. فالإنسان مثلا يختار الجهاد والإيمان، فهذا الاختيار يصنف في كتاب هذا الإنسان حصرا أي ينتقل من باب المعرفة الجزئية والتي هي جزء من المعرفة الكلية الله والإيمان، فهذا الاختيار يصنف في كتاب هذا الإنسان حصرا أي ينتقل من باب المعرفة الكلية للاحتمالات والإيمان، فهذا الاختيار يصنف في كتاب هذا الإنسان التي ينتقل من باب المعرفة الكلية للأ. وهكذا نفهم الآيات التالية) :إن رسلنا يكتبون ما تمكرون) . (يونس 21) . (كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا) . (مريم . (197هنا نلاحظ من مفهوم الكتابة أنه تصنيف أعمال الإنسان وأفعاله عليه .وقوله تعالى) : ونكتب ما قدموا و آثارهم) . (يس 12) . (والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم) . (النساء 18) . (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) . (الزخرف 80) . (والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم) . (النساء 18) . (بلى

ويجب علينا هنا أن نشرح مفهوم الإكراه. فالإكراه هو انخفاض الاحتمالات الممكنة للخيار الإنساني إلى الاحتمال الواحد فقط، فإذا كان يوجد خمر وماء للشرب فأصبح هناك خيار للإنسان في الشراب. ولكن إذا كان لا يوجد إلا الخمر وشربه الإنسان فهنا يدخل مفهوم الإكراه حيث أنا لإكراه موضوعيا هو وجود احتمال واحد للاختيار بغض النظر أذكر الإكراه علنا أم لم يذكر. وعندما ينخفض عدد احتمالات الاختيار الإنساني للاحتمال الواحد فقط فالعقيدة لإسلامية تقول لا ثواب ولا عقاب فإذا وضعتم علم الله ضمن الاحتمال الواحد فهذا يعنى الإكراه ظاهرا أم مبطنا ويعنى نقصان المعرفة لإكمالها.

أما قوله) :علم أن لن تحصوه فتاب عليكم) .(المزمل 20). فالطلب الذي طلبه الله من الرسول في قوله) :يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) .(المزمل 1 - 1). هو طلب لا يتعلق بالصلاة أو قيام الليل في العبادات وقد حاولا لنبي فعل ذلك ولكنه لم يستطع علما بأن هذه الآيات جاءت في أوائل التريل حيث لا صلاة ولا صوم ولو أخذنا الآية 10 - 1 من سورة المزمل وهي آية مدنية أي نزلت بعد نزول أوائل السورة بأكثر من عشر سنوات وهي) :إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار .(

لتبين أن الطلب الذي طلبه غير قابل لأن يعقل ضمن المستوى المعرفي لعصر النبي صلى الله عليه وسلم

والصحابة لذا قال) :علم أن لن تحصوه فتاب عليكم . (وهنا الهاء في قوله "تحصوه". تعود على "الليل". وطلب عوضا عن ذلك فهم ما تيسر من آيات القرآن وليس كل القرآن. هنا القراءة لا تعني التلاوة. وإن إحصاء الليل وتفهمه ودراسته تحتاج إلى تفرغ وإن كثيرا من الناس منهما لمريض، وآخرون يزاولون مهنهم للعيش "العمال"، وآخرون مجندون للقتال 'الجند" فاستعاض عن ذلك بفهم شيء من القرآن وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخير حيث قال) :علم أن سيكون منكم مرضى...الآية) . (المزمل 20. (أما قوله) :علم الله أنكم ستذكرو فمن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا) . (البقرة 235) فقد وضع صيغة "ستذكرو فمن". بصيغة المستقبل للجمع حيث أن هذه الآية وردت للنساء الأرامل وهن أثناء العدة، وذكرهن أثناء فترة العدة هو أحد الاحتمالات الواردة والمعروفة سلفا.

أما قوله) إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) .(الأنفال 22) .(ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) .(الأنفال 23). هنا وصف الله الذي لا يعقل بأنه دابة، بل من شر الدواب وقد ربط العقل بحاسة أساسية من الحواس وهي السمع. وهنا استعمل شر الدواب استعمالا مجازيا، علما بأنه يتكلم عن بعض الناس وقد استعمل السمع استعمالا مجازيا بمعنى الفهم كقوله) : سمعنا وأطعنا .(لذا قال) :ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم(، أي في علم الله المسبق إذا اختار الإنسان الكفر وصم أذنيه عن غير ذلك فلا فائدة من إفهامه لذا أتبعها بقوله) :ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون .(وهذه الآية هي علم مسبق على وجه العموم "كمال المعرفة في كلية الاحتمالات "ولا تعني أن أبا جهل منذ الأزل سيكون كافراً. ولكن عندما اتخذ أبو جهل هذا الموقف تم تصنيفه ضمن هذه الزمرة "أي تمت كتابة الكفر عليه." وكذلك نفهم قوله تعالى) :الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) .(الأنفال 66). فقد جاء الآن بصيغة الحاضر و"علم" بصيغة الماضي. أي أن الضعف والقوة هي الاحتمالات الداخلة سلفا في علم الله، فانطبق أحد هذه الاحتمالات على المؤمنين فقال) :وعلم أن فيكم ضعفا .(ووضعها في صيغة الجمع)فيكم ضعفا (إذ لا يمكن أن نفهم أن الله خفف الآن بعد أن علم، وكان قبل ذلك لا يعلم .كما وضع في صيغة الجمع

ثالثاً: قضاء الله

)ستذكرو نهن. (

لقد جاء فعل "قضى" في الكتاب في المعابي التالية:

- 1قضى بمعنى "أخبر" كقوله تعالى)وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا) .(الإسراء 4) وقوله تعالى) :وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) .(الحجر 66 .(وقوله) :وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر) .(القصص 44. (
- 2قضى بمعنى "أمر" أي الأمر ضد النهي كقوله تعالى) : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا .

```
) الإسراء 23. (
```

- 3 القضاء بمعنى إلهاء الشيء كقوله تعالى) : فوكزه موسى فقضى عليه) . (القصص 15). وقوله) : فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) . (الأحزاب 23). وقوله) : أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي) . (القصص 28. (

- 4قضى بمعنى الإرادة الإلهية النافذة وقد جاءت في قوله تعالى:

أ) - سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) . (مريم 35.

ب) - إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) .(النحل 40. (

ت) - إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) .(يس 82. (

ث) - فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون). (غافر 68. (

إن بحثنا هو الحالة الرابعة التي هي قضاء الله حيث صاغه الله بصيغة ثابتة صارمة "يقول: نقول: كن فيكون". أي أن قضاء الله النافذ لا يأتي إلا من خلال كلماته) :قوله الحق) .(يحق الله الحق بكلماته .(وكلماته هي الوجود وقوانينه الموضوعية،)وكل شيء أحصيناه كتابا) .(النبأ 29). أي أن قضاءه المبرم لا ينفذ إلا من خلال المقدرات) :وكان أمر الله قدرا مقدورا) .(الأحزاب 38. (

وعندما أراد الله إهلاك عاد وغود ومدين أهلكهم بقضائه، ولكن كان إهلاكه لهم عن طريق القوانين الموضوعية "كلماته" لذا قال عن هؤلاء الأقوام) :ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ) .(هود 58). وقوله تعالى) :فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز) .(هود 66). وقوله) :قالوا أتعجبين من أمر الله) .(هود 73) وقوله) :يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك) .(هود 76) وقوله) :فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود) .(هود 82) وقوله) :ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه) .(هود 94). وقوله) :وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب) .(هود 101. (

هنا نلاحظ كيف ارتبط)لما جاء أمرنا .(بظاهرة من ظواهر القانون الموضوعي وهي الريح، الصيحة، الرجفة، الأحجار. أي أن هذا الأمر تم من خلال كلمات الله وهي من قوانين الربوبية بقوله عندما علق على كل القصص) : فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) .(هود 101. (للخص الآن آيات القضاء المبرم الذي هو أمر الله والذي هو كلمات:

"قضى أمرا + قولنا لشيء + إنما أمره + فإذا قضى أمرا" "يقول، نقول له كن فيكون". لاحظ القاسم المشترك بين هذه الآيات وهو فعل "يقول" وقوله الحق .هنا يجب أن نميز قضاء الله وأمره بإرادة مبرمة أي "قول" وبين أوامر الله والتي هي ضد النواهي والتي تعتبر موعظة ووصية وليست قولا.

فإرادة الله التي هي موعظة وأمر ضد النهي والتي هي علاقات روحية لا مادية أي علاقة تقوى جاءت في قوله

تعالى) :أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) .(النحل 1) .(يترل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) .(النحل 2) فأتبعها بقوله)أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) .(النحل 2 .(هنا نلاحظ كيف دمج أوامر الله التي هي ضد النواهي والتي لا يوجد فيها آية "كن فيكون" كيف دمجها مع الروح ووضع فيها التقوى. فالصلاة أمر ضد النهي لا قول وهي من التقوى لأنها ليست كلمة وكذلك بر الوالدين وبقية التعاليم يحق لا نجد في التعاليم كلمة "قال الله" أو "كن فيكون" لذا ميز الأوامر التي هي ضد النواهي بقوله "يعظكم، يأمركم، يوصيكم، والإرادة النافذة بقوله "قول، يقول، حقت كلمة ربك، فحق عليها القول" فمثال الأوامر ضد النواهي وليست قضاء مبرما "قولاً" أي ليست قانونا موضوعيا يعمل خارج وليست كلمات الله:

) - 1إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون). (النحل 90). لذا جاءت صيغة)يعظكم لعلك تذكرون. (

) - 2وإذا أردنا أن لهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .(الإسراء 16) لاحظ هنا الربط بين)أردنا (وبين)فحق عليها القول .(وقوله) :فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) .(هود 82). وبدون هذا التمييز بين أمر الله الذي هو ضد النهي "الروح" وبين أمر الله الذي هو قضاء مبرم والذي هو "القول" "الكلمات" "الحق" لا يمكن فهم أساس الأسس في العقيدة الإسلامية. فإذا حكم الناس إنسان ظالم لا نقول هذه إرادة الله وهذا قدر الله، والله قضى علينا بكذا وكذا. إن هذا الكلام مناف لأساس الأسس في العقيدة الإسلامية لأن هذا الأساس يقضي بأن المجتمعات الإنسانية تقوم على قوانين موضوعية هي كلمات الله. وعلى قوانين ذاتية تعتبر مواعظ الله ووصاياه جزءا منها.

فوعي هذه القوانين الموضعية هو الذي يعطينا حرية الحركة والتصرف ويزيل عنا مفهوما لجبرية من خلال فهم العلاقة الموضوعية إذ إن الله عندما أراد أن يهلك قوما أهلكهم من خلال تصرفه بهذه القوانين الموضوعية. والآن عندما تريد دولة أن قملك دولة أخرى فإنها تفعل ذلك من خلال التصرف بهذه القوانين "الذرة – الصواريخ-الأزمات الاقتصادية"، والتزامنا الواعي بالوصايا والمواعظ هو الذي يحدد العلاقة الاجتماعية من خلال القانون الأخلاقي.

وعلينا أن نعرف أنه إذا تزوج زيد بزينب فهذا يعني أن الله لم يكتب منذ الأزل هذه الزيجة ولو كان الأمر كذلك لما جاء قوله تعالى) :وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) .(الأحزاب 36. (

لو كان الأمر مكتوبا منذ الأزل لما قال) :الخيرة من أمرهم .(ولما قال) :ومن يعص الله ورسوله .(لأن هذا أمر ضد النهي لا أمر على أنه كلمة. وكذلك إذا ضرب زيد عمرا فلا نقول إنه مكتوب عليه لأن الله قدر الضرب على زيد وعمرو معا في وجود اليدين وإمكانية الضرب. فإذا اختار زيد الضرب فما على عمرو إلا

أن يرد عليه أو يسامحه.

هكذا يجب أن نفهم معنى كيفية قضاء الله في أعمال الناس وأرزاقهم وأعمارهم وزيجاهم.

الإذن والمشيئة:

قلنا إن قضاء الله نوعان: أمر ضد نهي جاء في أم الكتاب .وأمر شرطي نافذ جاء في القرآن والذي علق بقوله:)يقول له كن فيكون .(أو)فحق عليها القول(، أو)تمت كلمة ربك .(فقضاء الله النافذ قضاء غير أزلي، أي أن الله لم يقض منذ الأزل بهلاك قوم هود أو قوم صالح أو قوم نوح أو قوم شعيب لذا قال) :من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) .(نوح 1 .(أو)عذاب يوم محيط) .(هود 84)، وأن الله لم يقض منا لأزل بزواج زينب من زيد لأنها تمنعت علما أن الرسول أخبرها بذلك لذا قال لها) :إذا قضى الله ورسوله أمرا) .(الأحزاب 36)، و"إذا" هنا شرطية ولما يستقبل من الزمن لأنه كان لها الخيار ولو كان قضاء أزليا لما سئلت ولما أخبرت، وعندما يقضي الله قضاء نافذا فإن قضاءه ينفذ من خلال كلماته لذا وضع صيغة "القول" دائما، ففي هذا القول جانبان:

الجانب الأول: إطلاق الإرادة بقوله "كن" والثاني إطلاق القدرة بقوله ''يكون" ولاحظ الفرق بين "كن" الآنية و"يكون"الزمنية ولوكان قضاء الله مبرما منذ الأزل لقال "فإنما يقول له كن فكان" وإنما جاءت "فيكون .''

وهذا الإطلاق قابل للتغيير والتبديل بالدعاء لأنه ليس أزليا لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه إن صح "ردوا القضاء بالدعاء" وأما "اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه" فهي صيغة مشكوك فيها لأنها تناقض الصيغة الأولى والأصح أن نقول اللهم إنا لا نسألك رد القدر وإنما نسألك اللطف بنا، ومن هنا نفهم قوله تعالى في قوم يونس لما آمنوا بقوله) :فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيما فها إلا قوم يونس لما آمنوا بقوله إلى حين. (

) يونس 98) هنا نلاحظ بشكل قطعي أن قضاء الله غير أزلي ويمكن أن يتغير بتغير أحوال الناس، لذا جاء الأنبياء والمرسلون منذرين للناس، ولو كان قضاء أزليا مبرما لأصبحت الرسالات والنبوات والدعاء ضربا من ضروب العبث حيث أن القضاء الأزلي هو في قوانين اللوح المحفوظ وليس الإمام المبين، وكذلك الآية) : ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) . (الأعراف 96). وكذلك قوم يونس كفروا فأنذرهم الله بالعذاب ثم آمنوا فرفع عنهم العذاب .

لذا فإن المقولة التي تقول إن قضاء الله النافذ بالنسبة للإنسان هو قضاء أزلي غير صحيحة فقضاء الله النافذ في الإنسان قضاء مشروط بموقف الإنسان ما عدا قوانين اللوح المحفوظ الأزلي وهي قوانين الوجود والتطور، ولكن عندما ينفذ قضاء الله فلا ينفذ إلا من خلال كلماته. أما قضاء الله الذي هو أمر ضد النهي فهو لا يحمل أي صفة من صفات الأزلية ولا يأي صفة من صفات المادية حيث أنه ليس بكلمات الله وإنما هو من الروح

حيث جاء من العرش وليس من اللوح المحفوظ أو الإمام المبين. والآن لنبحث في الإذن والمشيئة حيث جاءت هاتان الصيغتان في الكتاب "شاء الله، أذن الله:''

الإذن:

جاء الإذن من "إذن" وهذا الفعل يعني في اللسان العربي إعلان الشيء وتأكيد الحصول والنفاذ. فعندما يخبرنا الله عن قانون موضوعي يعمل خارج الوعي يستعمل فعل "أذن" كقوله) : وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله عنابا مؤجلا) . (آل عمران 145) أي أن إذن الله حاصل ونافذ لا محالة وهنا هو الموت. ولكن الإذن يتم موضعيا من خلال "كتاب" وهو كتاب الموت أي مجموعة الشروط الموضوعية التي إذا حصلت واجتمعت بعضها مع بعض حصل الموت لا محالة وهذه الشروط مؤجلة غير موقوتة ومن هنا جاء شرط طول العمر وقصره. أي أن الله أذن إذا بلغت جرارة جسم الإنسان /44/ درجة مئوية فما فوق ن يحصل الموت، وأذن إذا شنق الإنسان أن يحصل الموت، وأذن إذا قطع رأس الإنسان أن يحصل الموت ...وهكذا دواليك. لنأخذ الآن الآيات التالية التي فيها فعل "أذن" على أنه شيء لا محالة حاصل وأنه يجري من خلال قانون موضوعي مادى:

-) 1وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) . (غافر 78. (
- هنا يبين بأن الآيات البينات التي يأتي بها الرسل تنفذ من خلال قوانين مادية لا محالة حاصلة، وأنه لا خرق لأي قانون من قوانين الطبيعة وأن الخرق هو فيا لمعرفة النسبية لدى الناس.
 -) -2وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله) .(آل عمران 166. (
-)-إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون .()المجادلة 10. (
-)-ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) .(التغابن 11). هنا يبين كيف أن الضرر والنفع والمصائب والنصر والهزائم لا تحصل إلا من خلال القوانين المادية الموضوعية لذا قال) :بإذن الله.(
 -) -3تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربمم من كل أمر) .(القدر 4. (
 -)-قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) . (البقرة 97. (

قال "بإذن رجمم" لأن الملائكة حقيقة موضوعية مادية موجودة خارج الوعي وتترل من خلال قوانين موضوعية ثم عطف جبريل عليها.

-) -4من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) .(البقرة 255. (
 -) -ما من شفيع إلا من بعد إذنه) .(يونس 3. (
 -) -يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه). (هو د 105. (
-) -يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) .(طه 109. (

```
) -ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) .(سبأ 23. (
                                        ) - لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) . (النبأ 38. (
   هذه الآيات عن الشفاعة وعن الكلام في غاية الأ÷مية لأنها جاءت مع فعل ''أذن" أي أنه إذا أذن الرحمن
لأحد بالكلام أو الشفاعة يوم القيامة فهذا يعني أنه يستطيع الكلام والشفاعة فيزيائيا، وإذا لم يأذن فهذا يعني
     أنه لا يستطيع الكلام فيزيائيا كأن يصبح أبكم أي بمجرد لفظه الكلام فهذا يعني أن الرحمن أذن له وإذا
استطاع الكلام بالشفاعة فيزيائيا فهذا يعنى أن الرحمن أذن له، لذا قال في سورة (المرسلات 36). (ولا يؤذن
                                   لهم فيعتذرون . (أي الهم موضوعيا لا يستطيعون أصلا الكلام ليعتذروا.
                                        ) - 5وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) .(البقرة 102. (
                                        ) -كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) .(البقرة 249. (
                                           ) - فهزموهم بإذن الله وقتل داوود جالوت) . (البقرة 251. (
                                               ) -فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله) . (آل عمران 49. (
                                 ) -وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله) . (آل عمران 49. (
                                              ) -والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه) .(الأعراف 58. (
                                       ) -وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله) . (إبراهيم 11. (
                                                    ) -تؤتى أكلها كل حين بإذن ركها) . (إبراهيم 25. (
                                                ) -ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) . (سبأ 12. (
                                       ) -ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) . (فاطر 32. (
  هذه الآيات تبين أن النفع والضرر والنصر والهزيمة للجن والإنس ومعجزات الأنبياء لا تحصل إلا من خلال
                                                              القوانين الموضوعية المادية كنبات الشجر.
  وعندما أراد الله أن يعاقب بني إسرائيل من خلال القوانين التاريخية الموضوعية النافذة قال) :وإذ تأذن ربك
ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم) . (الأعراف
                                                                                            ).167
    وعندما أراد الله أن يبين أن الربا حرام قال في حقه )فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) .(البقرة
   279). والحرب جاءت من فعل "حرب" وهي تعني السلب والنهب في الأموال والممتلكات أي أن سلب
            ونهب المال لا محالة حاصل من قبل الله في حال الربا وذلك من خلال قوانين الوجود الموضوعي.
                             أما المعنى الثاني لفعل "أذن" هو الإعلان والموافقة، فقد جاء في الآيات التالية:
                                                           ) - 1وأذن في الناس بالحج). (الحج 27. (
                                          ) - 2وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم) .(التوبة 90. (
```

) - 3فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) .(النور 28. (

-) 4فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله) .(النور 62. (
-) 5فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا) .(التوبة 83. (
 -) 6إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون) .(النور 62. (
-) 7وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر) .(التوبة 3. (
 -) 8ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) .(النور 58. (

هنا نلاحظ كيف ن الإذن بمعنى الموافقة والإعلان جاءت في آيات أما لكتاب وكيف أن الإذن بمعنى القانون الموضوعي النافذ جاءت في القرآن وتفصيل الكتاب.

-المشيئة: "شاء الله: "

إن إذن الله لا محالة حاصل من خلال قانون موضوعي نافذ كالموت والنصر والهزيمة...الخ لذا فهو لا يحتمل الا وجها واحدا من النفاذ في حال وجوه. أما المشيئة فتحتمل الوجهين الإيجابي والسلبي كقوله:

-) -تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) . (آل عمران 26. (
 -) -وترزق من تشاء بغير حساب) .(آل عمران 27. (
 -) -و هدي من تشاء) . (الأعراف 155. (
 -) -إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء) .(الأعراف 155. (
 -) -نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) .(الأنعام 83. (
 -) -قل إن الفصل بيد الله يؤتيه من يشاء) . (آل عمران 73. (

هنا نلاحظ الإذن والمشيئة في آية واحدة، فالوحي يحدث من خلال قوانين نافذة أما ما يوحى به لأحد من الناس فشرطى يحتمل عدة أوجه، لذا قال)ما يشاء.(

) -ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) .(الأنعام 88. (

فعندما قال) :يهدي به من يشاء .(فهذا يحتمل الوجهين: الإيجاب أو النفي لذا وضعها مفتوحة وذلك لأنه جعلها مشروطة بأعمال الإنسان كقوله) :والله لا يهدي القوم الظالمين) .(البقرة 258. (

لذا قال) : يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) . (الرعد 39 . (فأحكام أم الكتاب حصل فيها تطور بين نفي وإثبات حسب التطور التاريخي لذا قال) :ما يشاء . (فعندما تستعمل كلمة "شاء" يجب أن تفهم ألها تحتمل الوجهين أي أنا لمشيئة ظرفية مرتبطة بموقف الإنسان أو الموقف التاريخي لذا قال:

-) -لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون). (الواقعة 65.
-) -قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) . (الأنعام 149). ولكنه لم يشأ ولم يهد الناس أجمعين.
 -) -ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) .(النحل 93). ولكنه لم يشأ وليس الناس أمة واحدة.

)ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) (هود 118. (

ولكن لم يشأ ولم يجعل الناس أمة واحدة. لذا فعندما نقول إن زيدا سيذهب غدا إلى الطبيب فإن ذهابه سيحتمل الوجهين: الذهاب أو عدم الذهاب فيقول: إني ذاهب غدا إلى الطبيب إن شاء الله. ولكن إذا أخذ زيد حبة من الإسبرين من أجل الصداع فيقول: فيها الشفاء بإذن الله لأنها تحتمل الوجه الواحد وهوا لتفاعل وتسكين آلام الرأس.

وكذلك قوله) :وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) .(الكهف 29). هنا وضع الكفر والإيمان في المشيئة "مشيئة الإنسان" ولم يضعهما في الإذن لأن عقيدة الإنسان تحتمل الوجهين الإيمان والكفر وله الخيار فيهما.

وننتقل الآن إلى:

تأويل قوله تعالى:

)إن الله عنده علم الساعة ويترل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) . (لقمان 34. (

إن تأويل هذه الآية يؤكد بشكل قطعي وجازم أن الأعمال والأرزاق والأعمار غير محددة سلفا وذلك حسب التأويل التالي:

قلنا إن القرآن المجيد في اللوح المحفوظ وهو مجموعة قوانين الطبيعة العامة الصارمة الجازمة ومنها قوانين الجدل المادي "التطور وتغير الصيرورة "وقوانين جدل الإنسان، وإن أي حدث بعد حصوله يتم تسجيله في الإمام المبين، لذا جعل "الكتاب المبين وكتاب مبين" جزءا من القرآن العظيم، ولا يوجد أي استثناءات منها لأحد، ومطلوب منا وعيها ومعرفتها.

ومن خلال وعينا لهذه القوانين تزداد حرية التصرف هذه. ويجدر بنا هنا أن نقارن بين هذين المفهومين: المفهوم الأول: الوجود المادي الموضوعي الصارم .والثاني: حرية التصرف من قبل العاقل بهذه القوانين ومن أجل هذا نضرب المثال التالى:

يوجد في كل من الدولتين العظميين في العالم مجموعة من الأسلحة المدمرة والصواريخ مختلفة الحجوم والمدى. هذه الصواريخ موجودة وكل شيء فيها مبرمج سلفا: الاتجاه، القوة التدميرية، آلية الانطلاق، مكان الوصول. ولكن هناك شيئا واحدا فقط غير مبرمج سلفا هو موعد إطلاق هذه الصواريخ غذ أن هذا الموعد مرتبط بأعلى قيادة سياسية في الدولتين، مثلا الرئيس الأمريكي والأمين العام للحزب الشيوعي السوفييتي. والقيادة السياسية في كلتا الدولتين تتصرف وفق أحد الاحتمالين التاليين:

أ - إما أن تتصرف حسب الأحوال السياسية الدولية وحسب تصرف الدولة الأخرى وتقرر أن تطلق أو لا
 تطلق.

ب - أن تضع توقيت إطلاق الصواريخ عندها حصرا، ولا تظهر هذا التوقيت إلا بغتة وبشكل مفاجئ. لقد وضع الله عنده هذين الاحتمالين معا بعد أن خزن قوانين الكون العامة سلفا في اللوح المحفوظ وأبقى لنفسه حرية التصرف في هذه القوانين. هذه الحرية تحتوي على الاحتمالية، إما حرية ظرفية، أي الاحتمال الأول، وإما حرية التصرف مع التوقيت، أي إظهار الحدث بشكل مفاجئ. فعلى هذا الأساس لنحلل هذه الآية بندا بندا:

) - 1إن الله عنده علم الساعة : (لقد برمج الله أحداث الساعة سلفا في اللوح المحفوظ، وقد وصف لنا ما هي أحداث الساعة وماذا سيحصل في هذا الكون لامادي حين تقوم الساعة ولكن لم يضع توقيت قيامها في اللوح المحفوظ، واحتفظ به لنفسه لذا قال) :عنده علم الساعة . (لنقارن هذه الآية مع قوله تعالى) : وعنده أم الكتاب) . (الرعد 39). أي أن أم الكتاب هي أمر ظرفي قابل للتبديل وغير محددة سلفا "الاحتمال الأول". أما الساعة فتخضع للاحتمال الثاني لذا قال) : لا يجليها لوقتها إلا هو) . (الأعراف 187). وقال أيضا) : لا تأتيكم إلا بغتة) . (الأعراف 187. (

حيث أن توقيتها عنده فقط كأم الكتاب، وقد قلنا إن أم الكتاب هي كتاب الله لذا قال) :ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون) .(الروم 55) .(وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوما لبعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) .(الروم 56). هنا نلاحظ الناحية المهمة جدا كيف قال) :لقد لبثتم في كتاب الله .(ولم يقل في القرآن و في اللوح المحفوظ أو في الكتاب.

هنا يجب علينا أن نفهم تماما ما يلي: يقول علماء الفلك والكوسمولوجيا حسب الدراسات العلمية إن الشمس ظهرت منذ كذا مليار سنة وإلها ستخبو وتنطفئ بعد كذا من الوقت، فظن البعض أن انطفاء الشمس وزوالها هو الساعة، وأخذ البعض نظرية الكون النابض بأن هذا الكون آخذ في الاتساع فإنه سيأتي زمن يبدأ فيه بالانقباض ليرجع إلى نقطة الصفر، وظن البعض أن هذه هي الساعة. وهذا كله غير صحيح مع أننا لا نشكك مطلقا بالدراسات الفلكية والكوسمولوجية، ولكننا نشك بربط هذه الأحداث بالساعة، حيث أن الساعة هي حدث كويي مفاجئ تماما "تسارع في تغير الصيرورة) ."نفخ في الصور .(وغير متوقع)لا تأتيكم إلا بغتة .(ولا يمكن التنبؤ بزمن حدوثه أبدا)لا يجليها لوقتها إلا هو .(وقد أعطى الله سبحانه وتعالى أشراط الساعة في عدة أماكن لذا قال) :إن الساعة آتية أكاد أخفيها) .(طه 15). هنا)أكاد أخفيها .(بمعني "أكاد أظهرها" أي لم يظهرها ولكنه اقترب من إظهارها بقوله) :فقد جاء اشراطها) .(محمد 18). ولو أن توقيت الساعة مخزن في اللوح المحفوظ أو إمام مبين "القرآن" لأمكن للعلماء في المستقبل تحديد توقيتها بكل دقة، حتى دقة الثانية، ولكنها ليست كذلك.

) - 2ويترل الغيث : (لقد حدد الله سلفا، القوانين الموضوعية مثل قوانين تشكل البخار وتشكل الغيوم

المشكلة للمطر، ولكنه لم يحدد سلفا كمية المياه التي ستترل على كل كيلومتر مربع من سطحا لأرض، ولو حدده سلفا لأمكن للعلماء في المستقبل تحديد كمية الأمطار التي ستهطل في مساحة ما على سطح الأرض ولو بعد ألف سنة لذا فإن الإنسان يستطيع أن يقلد تشكيل الغيوم من خلال قانون التبخر ويستطيع أن يسوق هذه الغيوم في المستقبل ولو جزئيا لتتريل المطر في منطقة ما لأنها غير محددة سلفا في اللوح المحفوظ. ومن هنا نعرف معنى صلاة الاستسقاء والدعاء لله سبحانه وتعالى بإرسال الغيث لأنه لو كانت كميات الأمطار التي ستهطل في كل منطقة إلى أن تقوم الساعة محددة سلفا ومبرمجة مسبقا لأصبح الدعاء لله بتتريل الغيث ضربا من ضروب العبث.

) - 3 ويعلم ما في الأرحام : (لقد برمج الله سبحانه وتعالى سلفا في اللوح المحفوظ قانون الزوجية واللقاح وأنه عندما يلقح أي حيوان منوي أية بويضة فسيحصل الحمل ويتشكل الجنين. كل هذا ضمن قوانين صارمة هي قوانين الجينات والوراثة ولكنه لم يبرمج في اللوح المحفوظ سلفا من سيتزوج من. أي أننا نحن البشر غير مبرمجين سلفا في اللوح المحفوظ ولكن المبرمج هو قوانين الحياة والموت والوراثة والجنين البشري أما تحويل البشر إلى إنسان فقد جاء من الله مباشرة، لذا فلا نقول إن فلانة من نصيب فلان منذ الأزل. لذا قال سبحانه وتعالى) : الله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور) . (الشورى 49) . (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير) . (الشورى 50) . لاحظ هنا قوله "يشاء". ولم يقل "يأذن"، لنعلم بشكل جلي أن عدد الذكور والإناث لكل إنسان غير مبرمج سلفا وكذلك الزيجات لذا فالدعاء له معنى كقوله) : الحمد الله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق) . (إبراهيم 39). من هنا نستنتج ما يلي: بما أن نوع الجنين غير محدد سلفا في اللوح المحفوظ أذكر هو أو أنثى، وبالتالي فإن استطاعة الطب تحديد وتوجيه نوع الجنين سلفا أذكر هو أو أنثى ومعرفة نوع الجنين وهو في رحم الأم. ولكن ليس باستطاعة الطب تحديد وتوجيه نوع الجنين سلفا أذكر هو أو أنثى ومعرفة نوع الجنين وهو في رحم الأم. ولكن ليس باستطاعة الطب خلق جنين بدون لقاح حيوان منوي مع بويضة.

ولو كان كل شيء مبرمجا سلفا في اللوح المحفوظ لأمكن معرفة من سيتزوج فاطمة لحظة ولادتها وعدد الأولاد الذين ستنجبهم، ولكن هذا مستحيل لأنه غير مبرمج وإنما يحدد من خلال الشروط الظرفية "المشيئة."

) - 4وما تدري نفس ماذا تكسب غدا : (هنا يؤكد بشكل قاطع أن اختيار الإنسان لأعماله غير محدد سلفا في اللوح المحفوظ، وإلا فإن العلم سيعلم في المستقبل ماذا سيفعل كل إنسان غدا. هذا العمل مفتوح تماما للإنسان، ويمكن لكل إنسان أن يختار أعماله بنفسه لأنها غير محددة له سلفا، والأرزاق غير محددة سلفا لكل إنسان والله يتدخل فيها تدخلا شرطيا غير مسبق "المشيئة."

) - 5وما تدري نفس بأي أرض تموت : (هذا مجمل للآيات التي تقول إن أعمار البشر غير محددة سلفا في اللوح المحفوظ، ولو كانت أعمارهم محددة سلفا منذ بداية الخلق لأمكن في المستقبل معرفة عمر كل إنسان من لحظة ولادته، وهذا مستحيل لأنه غير مبرمج سلفا، وفي هذا قال الله سبحانه وتعالى عن معركة بدر)فلم

تقتلوهم ولكن الله قتلهم) .(الأنفال 17) فلو كانت أعمارهم مبرمجة ومحددة سلفا لأصبح قوله "ولكن الله قتلهم" غير ذي معنى. ولكن الله حدد سلفا القوانين الموضوعية التي تحدد الحياة والموت وتحدد قصر العمر وطوله ولنا نحن البشر التصرف بها حسب معرفتنا النسبية لها، والله يتدخل فيها تخلا شرطيا "المشيئة ." لذا فإني أقول وأدعو لنفسي وللقارئ بأن يطيل الله أعمارنا ويحسن أعمالنا، وأن يتدخل تدخلا شرطيا فيستجيب.

القضاء والقدر والحرية:

قلنا إن قانون الزوجية بين الأشياء وصراع المتناقضات في الشيء الواحد هما القانونان الأساسيان لجدل الأشياء، وغن ظواهر الطبيعة تقوم على الأضداد .إن الفكر الإنساني يقوم على صراع نقيضين هما الرحمن والشيطان "الحق والباطل" والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية هي من الظواهر، فتقوم على الأضداد في مظهرها وعلى التناقضات في محتواها.

وبما أنا لفكر الإنساني عبارة عن ظاهرة تقوم على الأضداد في مظهرها وبالتالى فالحرية الإنسانية ظاهرة تقوم على الأضداد وجدها والحركة الواعية بين النفي والإثبات بين ضدين، وهذان الضدان متكافئان بين النفي والإثبات كالشهيق والزفير والليل والنهار في ظواهر الطبيعة، ونعم ولا في السلوك الإنساني، والكفر والإيمان في العقيدة، فلا أحد منهما يغلب الآخر وينفيه بشكل مستمر، وفي هذا التكافؤ يكمن سر الحرية الإنسانية، إذ أن الظواهر الموضوعية للطبيعة فيها النفي والإثبات. وظواهر الحرية الإنسانية فيها النفي والإثبات "نعم، لا" بشكل متكافئ، فلا الكفر يغلب الإيمان بشكل مستمر ويسيطر على كل أهل الأرض، ولا الإيمان يغلب الكفر بشكل مستمر ويسيطر على أهل الأرض، وهذه الظاهرة في جدل الإنسان نعمل بها نحن المسلمين على أنها من سنن الله في خلقه في قوله)ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين). (يونس 99) . ولكي يبين التكافؤ بين النفي والإثبات في جدل الإرادة الإنسانية أورد الكتاب هذا الجدل في الإرادة الإلهية حيث وضعه بشكل متكافئ وذلك في قوله): ولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب). (آل عمران 27). هنا نلاحظ كيف وضع النفي والإثبات بشكل متكافئ وذكر قبله ظاهرة من ظواهر الطبيعة وهي الليل والنهار حيث استعمل فعل)تخرج (لحالة النفي والإثبات معا أما في جدل الأشياء فقال)إن الله فالق الحب والنوى). (الأنعام 95). فاستعمل صيغتين "يخرج، ومخرج" وذلك لاستبعاد قضاء الإنسان. حيث أن الموت في جدل الأشياء هو دائما المنتصر النهائي. وكذلك وضع الصيغة المتكافئة للنفي والإثبات في القضاء الإلهي في الظواهر في قوله):قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحيي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون). (يونس 31). هنا نلاحظ كيف أنمى الآية بقوله) :ومن يدبر الأمر .(وذكر فيها عملية الرزق، لا الرزق نفسه، وذكر ظاهرة

السمع والبصر وليس الأذن والعين.

وقبل أن ندخل في تعريف الحرية علينا أن نحدد بعض الظواهر التي تدخل في مركبات الحرية الإنسانية بشكل مباشر والتي حصل فيها التباس كبير وهي عمر الإنسان ورزقه وعمله لأن هذه العناصر الثلاثة لها علاقة مباشرة بالحرية الإنسانية، هل هي مكتوبة عليه سلفا "محددة"؟ أي هل مقدر على زيد منذ أن يولد أو منذ الأزل عمره ورزقه وعمله؟ أم أن الأعمار والأرزاق والأعمال مقدرات احتمالية، وبالتالي فالأعمار والأرزاق والأعمال تصبح غير ثابتة ولكنها مقدرة على وجه العموم. كيف تطول الأعمار وتقصر وكيف تتسع الأرزاق وتضيق، وما هي الأعمال التي يمكن أن يقوم بها الإنسان موضوعيا، والإنسان يختار منها حسب معارفه واجتهاداته.

الفصل الرابع الأعمال والأعمال

لقد ظن الكثير أن عمر الإنسان ورزقه وعمله مكتوب عليه سلفا، والمكتوب جاءت بمعنى المقدر عليه سلفا، وبذلك يصبح الإنسان فاقد الإرادة والخيار له في أعماله وأرزاقه ويصبح الطب والعلاج والعمليات الجراحية بدون معنى وكذلك يصبح دعاءا لإنسان لله تعالى ضربا من ضروب العبث واللهو.

أما رأي القرآن فهو غير ذلك، ففي بحثنا عن القرآن والكتاب عرفنا أن فعل "كتب" تعني تجميع الأشياء بعضها إلى بعض لإخراج موضوع معين محدد. ومن هنا جاءت كلمة الكتاب وهو مجموعة المواضيع التي جاءت إلى محمد صلى الله عليه وسلم وحيا، والتي جمع فيها نبوته ورسالته معاً.

فعندما تأتي لفظة "كتاب" في مواضيع أم الكتاب كقوله) :كتب عليكم الصيام) .(البقرة 183 .(فهذا يعني أن الصوم هو أحد المواضيع التعبدية التي فرضها الله عليكم كما فرضها على الذين من قبلكم، وقوله) :إ الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) .(النساء 103 (أي أن الصلاة هي أحد المواضيع التعبدية التي تؤدي في أوقات محددة سلفا، وهي)أي هذا الكتاب "الموضوع التعبدي (''مؤلف من عناصر الطهارة والوضوء والقيام والركوع والسجود . . . الخ أي أن مجموعة هذه المواضيع بعضها مع بعض تؤلف كتاب الصلاة.

أما عندما تأتي لفظة "كتاب" في القرآن فهي تعني مجموعة الشروط الموضوعية التي إذا اجتمعت بعضها مع بعض يخرج منها ظاهرة موضوعية ما.

هكذا يجب أن نفهم كلمة "كتاب" عندما تأتي في القرآن، فمثلا كتاب الموت هو مجموعة الشروط الموضوعية

بحيث إذا اجتمعت بعضها مع بعض "كتبت" وقع الموت لا محالة. وكذلك كتاب النصر وهو مجموعة الشروط الموضوعية التي إذا اجتمعت بعضها مع بعض وقع النصر، وكذلك كتاب الهزيمة.

وعندما حاضت عائشة رضي الله عنها عند خروجها مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحج فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذا أمر كتبه الله على الله عليه وسلم: إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم". هنا سمى الدورة الشهرية للمرأة كتابا أي هو إحدى الظواهر الطبيعية للمرأة .وإذا أردنا أن ندرس كتاب الحيض فعلينا أن نراجع الطب النسائي لمعرفة تفاصيل هذا الكتاب.

إن علاقة الإنسان بكتب الطبيعة والتي هي "القدر" هي علاقة دراسة ومعرفة، فكلما زادت معلومات الإنسان عن كتاب الموت استطاع أن يؤجل وقوعه ولكنه لا يلغيه. بعد هذه المقدمة لندخل إلى صلب البحث:

الفرع الأول: الأعمار:

لنقارن بين الآيتين التاليتين:

-) 1وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين) .(آل عمران 145.(
-) 2فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) .(النساء 103.(

الآية الأولى في آل عمران هي من القرآن "نبوة" أما الآية الثاية من سورة النساء فهي من أم الكتاب "رسالة" وقلنا إن النبوة فيها قوانين القدر، والرسالة فيها القضاء الإنساني. فعندما قال إن الموت كتاب مؤجل أي إن كتاب الموت هو مجموعة الشروط الموضوعية التي تؤدي إلى الموت، وإن الموت مؤجل حتى تتحقق شروط هذا الكتاب. وعندما يدرس الإنسان كتاب الموت وتزيد معرفته به يستطيع أن يؤجل هذه الشروط ويطيل الأعمار.

فمثلا عندما تقدم طب الأطفال والنظافة العامة، خفت وفيات الأطفال بشكل ملحوظ وألغيت بعض الأمراض السارية. وعندما تقدم طب القلب والعمليات الجراحية أصبحت فرص النجاة من أمراض كانت سابقا لا أمل من النجاة منها كثيرة، وهذا ما أدى إلى ارتفاع متوسط الأعمار في هذا المضمار، فكلما زاد تقدم البلد في الطب وفي النظافة وفي تطبيق قواعد السلامة في العمل وفي الحياة العامة، ارتفع متوسط الأعمار فيه، لذا قال عن الموت)كتابا مؤجلا . (أما إذا اجتمعت الشروط الموضوعية التي تؤدي إلى الموت فالأجل لا محالة حاصل، ولذلك قال) : فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . (

)الأعراف 34.

ولكنه ربط أي أجل بكتاب بقوله) :لكل أجل كتاب) .(الرعد 38 (أي أن الواقع الحتمى لأي حدث "أجله"

لابد أن يسبقه كتاب هذا الحدث وهو مجموعة الشروط الموضوعية التي تؤدي حتما إليه والتي تخضع للدراسة من قبل الإنسان فكلما زادت معرفة الإنسان بالكتب الطبيعية زادت إمكانيته لتسخيرها لمصلحته والمناورة بما وقد خبرنا الله سبحانه وتعالى أن كل شيء له كتاب بقوله) :وكل شيء أحصيناه كتابا) .(النبأ 29 . (أما الآية الثانية من سورة النساء فهي من أم الكتاب وهي من قضاء الإنسان لذا قال عنها أي الصلاة هي من المواضيع التي تؤدي في أوقاها المحددة والمعروفة سلفا. لذا فإن كتاب الصلاة هو من أم الكتاب وكتاب الموت هو من القرآن فالأول كتاب قضاء والثاني كتاب قدر.

من هذا المنطلق نفهم أن أعمار الإنسان غير ثابتة. بل متغيرة لقوله) : كتابا مؤجلا .(وجاء هذا البلاغ بشكل صريح في قوله تعالى) : والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير) . (فاطر 11 .(لاحظ في هذها لآية كيف صرح أن نقصان العمر أو زيادته لا تكون إلا في كتاب، أي أن هناك مجموعة ما لشروط الموضوعية تؤدي إلى نقصان العمر أو زيادته لا تكون إلا في كتاب، أي أن هناك مجموع من الشروط الموضوعية تؤدي إلى نقصان الأعمار، وأخرى تؤدي إلى زيادها، وما اختصاص علم الطب إلا في هذه الكتب، وإن الأموال المصروفة على الأبحاث الطبية في العالم لا تصرف هدرا وبدون فائدة لأن هذه الأموال تصرف على البحث في شروط طول العمر وقصره .

أما ما جاء من اللف والدوران في بعض كتب التفسير بأن الضمير في "ينقص من عمره" تعود على شخص آخر فهذا ما لا تحتمله اللغة لأنه لو كان يريد ذلك لقال "ولا ينقص من عمر آخر" ولكن الفكرة المسبقة عن الأعمار وأنها ثابتة أدت إلى هذا المخرج الساذج.

لقد آن لنا نحن المسلمين أن نفهم أن الأعمار غير ثابتة، وآن لأطبائنا أن يفهموا أن الأعمار غير ثابتة ويتحملوا مسؤوليا هم الكاملة تجاه المرضى، وآن للمسؤولين في البلاد العربية والإسلامية أن يفهموا ذلك ويتحملوا مسؤوليا هم تجاه حياة الناس في دولهم.

إن عدم ثبات الأعمار يوضح لنا لماذا كانت عقوبة القاتل هي القتل، لأن القاتل قد نقص من عمر المقتول فكانت عقوبته إنقاص عمره. وإن عدم ثبات الأعمار يوضح لنا لماذا أعز الله الشهيد وأعطاه المرتبة العالية، لأنه تبرع بأغلى ما عنده وهو الحياة، ولأنه وافق طوعاعلى إنقاص عمره في سبيل الله .

وهذا أيضا يبين لنا لماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم من أحرص الناس على حياة أصحابه وعلى حياة العرب وكان يعدهم بأجر الشهادة عند الله، ولكنه لم يأمر أحدا منهم بأن يذهب في مهمة انتحارية لقتل نفسه، ونرى هذا ايضا في تحريم الله تعالى للانتحار بأمره)ولا تقتلوا أنفسكم) .(النساء 29 .(ونرى أيضا كيف أجل الهلاك على قوم يونس بقوله) :فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمالها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي. في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) .(يونس 98.(

لنشرح الآن قوله تعالى في الآيات التالية:

)قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) .(التوبة 51 .(إن هذه الآية تفهم في ضوء قوله تعالى) :وكل شيء أحصيناه كتابا) .(النبأ 29 .(هذا يعني أن كل شيء في الطبيعة عبارة عن شروط مجتمعة بعضها مع بعض "كتب .''فلا يمكن لأي إنسان أن يصيبه شيء غلا من خلال هذه الكتب. فإذا مرض فإنه لن يمرض إلا بمرض من الأمراض الموجودة في الطبيعة والموجودة ضمن الشروط التي يعيشها، أي تنطبق عليه، لذا وضع)لن يصيبنا .(جمعا ولم يضعها مفردة) .ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسهم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) .(الحديد 22 .(

)-لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) . (الحديد 23 . (في هاتين الآيتين يتبين أن كل المصائب التي تحصل في الأرض من زراعة وأملاك وهلاك دول وقيامها والزلازل والمصائب التي تحصل في الأنفس لا تكون إلا في كتاب، أي من خلال الشروط الموضوعية الموجودة فعلا . ففي حالة الهزيمة مثلا، فهذا يعني ن هناك شروطا موضوعية وجدت نتج عنها الهزيمة "كتاب الهزيمة"، وفي حال النصر يعني وجود شروط موضوعية اجتمعت مع بعضها أدت إلى النصر "كتاب النصر". وبالتالي فيجب على المنتصر أن لا يفرح بنصره، وعلى المهزوم أن لا ييأس من هزيمته بحيث إذا درسا كتاب النصر وكتاب الهزيمة فيمكن أن يتبادلا الأدوار، فالمنتصر يمكن أن يهزم والمهزوم يمكن أن ينتصر لذا قال) :لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم. (

أما قول النبي صلى الله عليه وسلم "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة ومثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد... إلى أخر الحديث" "انظر صحيح مسلم ج4 ص 2036" إن قول النبي هذا يبين لنا الأمور التالية:

- 1إن الروح ليس لها علاقة بالحياة لأن لملك عندما ينفخ الروح في الجنين وهو كائن حي، فالحيوان المنوي كائن حي والبويضة كذلك وبعد اللقاح يحصل التكاثر، وهذه كلها ظواهر كائن حي، أما الروح فهي شيء آخر تماما وليست سر الحياة، كما سبق لنا أن بينا.
 - 2بعد أن يتحول الكائن البشري في الرحم إلى كائن إنسان يبدأ التسجيل عليه في ثلاثة فروع:
 - أ تسجيل الحياة العضوية أثناء الحياة "تجميع وهذا يعني يكتب."
 - ب تسجيل الأعمال حين وقوعها.
 - ج تسجيل الأرزاق حين وقوعها.

وبعد أن يموت ينتهي عمره ورزقه وعمله فيمكن أن يعمل له كشف بأعماله فتظهر نتيجة ذلك الكشف بأنه شقى أم سعيد. إن هذا الحديث متطابق تماما مع النص القرآني، فقد بينا أن الروح في النص القرآني ليست سر الحياة، وأن أعمال الإنسان في النص القرآني إنما تسجل عليه حين وقوعها لا قبل وقوعها وذلك واضح في قوله تعالى: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) .(الجاثية 29 .(وقوله تعالى) :كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون) .(الانفطار 11 و12 (فنحن نعلم أن النسخ لا يكون إلا من أصل، فأصل الأعمال هو أعمالنا نحن، أي النسخة الأصلية لأعمالنا هي أعمالنا حين وقوعها وحين نقوم بها يؤخذ نسخة عنها "صوت وصورة" لذا قال) :ينطق عليكم بالحق . (

لقد فهم كثير من الناس هذا الحديث فهما معاكسا تماما حيث ظنوا أن الجنين في بطن أمه يكتب عليه سلفا عمره ورزقه وعمله وشقي أو سعيد. لقد أخطأوا هنا بفهم كلمة "كتب". وقد أكدت الآيات التالية أن الأساس هو أعمالنا والله ينسخها ويجمعها لنا حين وقوعها وذلك في قوله تعالى) : فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون) . (الأنبياء 94 . (وقوله) : وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون) . (يونس 21 . (وقوله) : كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا) . (مريم 79 . (هنا لاحظ قوله) : له كاتبون، سنكتب، يكتبون (كلها للدلالة على أن أساس الأعمال هو نحن وتسجل علينا وتجمع وتصنف حين وقوعها.

الفرع الثاني: الأرزاق:

)وفي السماء رزقكم وما توعدون) .(الذاريات 22.(

)وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم). (الزخرف 31.(

)أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون) .(الزخرف 32.(

لقد ظن الكثير أن أرزاق الناس محددة سلفا. هذا صحيح إذا فمناها على معنى الجمع الكلي الاحتمالي وغير صحيح إذا فهمناها على معنى الإفراد. فإذا فهمناها على معنى الجمع فهذا يعني أن أرزاق الناس لا تأتي إلا من خيرات الطبيعة ومن العمل هذان هما المصدران الوحيدان للرزق لقوله) :ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون). (يس 35. (هنا "ما" اسم موصول بمعنى الذي، أي والذي عملته أيديهم.

أما خيرات الطبيعة من طعام وشراب وأنعام فأساسها الماء لذا سمي ماء المطر "الرزق" لقوله تعالى) :واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله منا لسماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) .(الجاثية 5 .(لاحظ كيف سمى الماء من السماء رزقا، أما قوله) :وما توعدون .(بمعنى والذي توعدون، فإن كل وعود رب العالمين تأتي من السماء لقوله) :يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه .() السجدة 5.(

أما قوله تعالى) : نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا...الآية .(فهذه الآية تعطينا قواعد التنظيم الاجتماعي المتحضر بأن الناس تمارس عملا واحدا في معاشها فهناك مجال الزراعة وهناك مجال الصناعة وهناك مجال الخدمات، كل هذه الأعمال هي مجالا لحياة ولا خروج عنها لذا قال) :قسمنا بينهم معيشتهم .(وهنا جاء مفهوم التسخير) :ليتخذ بعضهم بعضا سخريا .(فالذي يزرع مسخر لإطعام الذي يعمل في المصانع والطبيب مسخر لكي يعالج العامل والفلاح، والعامل مسخر لكي ينتج للفلاح والطبيب، والمعلم مسخر لكي يعلم أبناء هؤلاء... وهكذا دواليك حيث لا يمكن لأي تجمع حضاري متقدم أن يعيش إلا على أساس تخصص المهن وطرق المعاش بحيث أن كل صاحب عمل مسخر لخدمة الباقين، وقد أكدنا أن التسخير لا يكون تخصص المهن وطرق المعاش بحيث أن كل صاحب عمل مسخر لخدمة الباقين، وقد أكدنا أن التسخير لا يكون دون مقابل أي أن السخرة هي عمل له مقابل لذا قال) :ليتخذ بعضهم بعضا سخريا .(
أي أن هذه الآية ليس لها علاقة بالتحديد المسبق لأرزاق الأفراد كل على حدة. أما التحديد المسبق للرزق فهو الطبيعة وخيراتها وعمل الإنسان ثم إنه في عمل الإنسان هناك القسمة في المهن بين الناس التي تعتبر قانونا فهو الطبيعة وخيراتها وعمل الإنسان ثم إنه في عمل الإنسان هناك القسمة في المهن بين الناس التي تعتبر قانونا ولا مناص منه.

أما قوله تعالى) :ومن يتق الله يجعل له مخرجا...الآية) .(الطلاق 2) .(ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) .(الطلاق 3 .(فعلينا هنا أن نعرف التقوى أولا، فالتقوى الاجتماعية هي اتباع وصايا أم الكتاب حصرا) .وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) .(الأنعام 153 .(هذا عمله ورزقه ولكن هذا هذه هي الوصية العاشرة في الفرقان. فعندما يتبع الانسان الوصايا فإن الله يسهل له عمله ورزقه ولكن هذا

هذه هي الوصية العاشرة في الفرقان. فعندما يتبع الإنسان الوصايا فإن الله يسهل له عمله ورزقه ولكن هذا التسهيل لا يكون إلا من خلال الكتب أي من خلال الشروط الموضوعية التي يعيشها هذا الإنسان لا من خراجها أي من خلال المقدرات الموجودة فعلا، لذا ألهى الآية بأهم شرط بقوله)قد جعل الله لكل شيء قدرا . (فإذا أراد الله أن يرزق إنسانا يعمل في حقل الهندسة المدنية "كتاب الهندسة" فلا يرزقه من حقول القمح والبطاطا إلا إذا غير مهنته إلى حقل الزراعة "كتاب الزراعة". أي عندما يريد الله سبحانه وتعالى أن يرزق إنسانا ما يجعل كل الظروف الموضوعية التي يعيشها تعمل لصالحه. والله أعلم.

الفرع الثالث: الأعمال:

ما هي الأعمال؟ وهل أعمال الإنسان مقدرة عليه سلفا؟ وما هو المقدر عليه سلفا من أعماله؟ وما هو الشيء المفتوح؟ قبل أن نخوض في هذا البحث علينا أن نعرف المصطلحات التالية:

"العمل"، "الفعل"، "الصنع"، "الكسب:"

-العمل: هو حركة واعية يقوم بما الإنسان على وجه العموم .(WORK)

-الفعل: هو عمل معرف محدد (do)فنقول "ضرب" فعل ماض أي عمل معرف بالضرب، و"أكل" فعل

ماض أي عمل معرف بالأكل، ولا نقول عمل ماض. فإذا أخذنا كل آيات الكتاب المذكور فيها "فعل وعمل" رأيناها لا تخرج عن هذين المعنيين. فالله سبحانه وتعالى يعلم ماذا يفعل فقال) :فعال لما يريد). (البروج 16. ولم يقل عمال لما يريد.

وعندما تسجل الملائكة أعمال الإنسان فإنما تعلمها وتسجلها لذا قال) :كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون . () الانفطار 11، 12 . (وعندما كسر إبراهيم الأصنام وجاء قومه يسألونه عمن كسرها) :قالوا من فعل هذا بآلهتنا) . (الأنبياء 59 . (كانوا يسألون عن الكسر فأجابجم إبراهيم) :بل فعله كبيرهم) . (الأنبياء 63 . (أي كسره وعندما رأى إبراهيم في المنام أنه يذبح ابنه) :قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) . (الصافات كسره . (فأجابه ابنه قائلا) :قال يا أبت افعل ما تؤمر) . (الصافات 102 . (هنا قال "افعل" أي اذبح . وعندما أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة) :يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) . (المائدة 67 . (هنا قال) :وإن لم تفعل . (أي لم تبلغ .

وعندما قال) :وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) .(الأنعام 112 .(هنا جاء قوله) :ولو شاء ربك ما فعلوه .(تعليقا على قوله) :يوحي بعضهم إلى بعض .(وعندما قال) :يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) .(البقرة 278، 279 (هنا قال) :فغن لم تفعلوا .(أي لم تذروا ما بقي من الربا، أي جاءت لشيء محدد معرف.

وبما أن الله يعلم أفعال الإنسان تحديدا عندما يقوم بما فقد قال) :إن الله يعلم ما تفعلون) .(النحل 91 . (هنا جاءت معرفة الله بأفعال الإنسان بصفتين: الصفة الأولى وهي إثبات المعرفة بقوله) :إن الله يعلم ما تفعلون . (والثانية نفيا لجهل بقوله) :وما ربك بغافل عما تعملون) .(النمل 93 (ولو قال "ليس الله بغافل عما تفعلون" فالفعل أصلا معرف محدد فلا داعي أن يقول ليس بغافل ولا تأتي الصفة قبلها إلا بصيغة يعلم. وبما أن العمل منكر أي على وجه العموم لا التحديد جاءت الصيغة قبله بنفي الجهل بقوله تعالى) :ليس بغافل . (ولا نجد في الكتاب أبدا صيغة "وليس الله بغافل عما تفعلون."

أما قوله) :إنه خبير بما تفعلون) .(النمل 88 .(فالخبرة تسبقها معرفة، أي أن الخبرة معرفة وممارسة معا لذا نقول إن الله عليم خبير. ولا نجد في الكتاب أبدا صيغة "إن الله يعمل ما يشاء" بل نجد صيغة)إن الله يفعل ما يريد) .(الحج 14(، وصيغة)ويفعل الله ما يشاء) .(إبراهيم 27 (لأن إرادة الله وأفعاله كلها معرفة له. فعندما قال) :إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كان لهم جنات الفردوس نزلا) .(الكهف 107 (لم يحدد ما هي الصالحات، قالها على وجه العموم لأن الصالحات متغيرة مع تغير الزمن، وعندما قال) :فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .(الزلزلة 7، 8 (قالها على وجه العموم لأنه لو قال "ومن

يفعل مثقال ذرة حيرا يره" لقالت له العرب ما هو الفعل الذي إذا فعلناه لكان مثقال ذرة من الخير أي لوجب عليه تعريفه تحديدا .

ولو قال "إن الذين آمنوا وفعلوا الصالحات" لأتبعها بتحديد الصالحات حصرا، أو لسأله العرب ما هي هذه الصالحات؟ ومثال على ذلك قوله) :ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل .(إذ أتبعها مباشرة بتحديد هذا الفعل بقوله) :ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل .(حتى آخر السورة. وهكذا نرى عندما يقول)عملوا الصالحات .(تأتي على وجه العموم لا على وجه الخصوص دون أن تعرف ما هي هذه الصالحات، لأنما متغيرة حسب الزمان والمكان وتطور التاريخ فيبقيها دون تعريف.

فالعمل عام، والفعل خاص ومعرف. فنقول إن زيدا من الناس يعمل نجارا ولا نقول يفعل نجارا، فيقول بالأفعال التالية: ينشر الخشب ويدقا لمسامير ويلصق الألواح الخشبية بعضها ببعض. أي أن العمل بشكل عام والعمل الإنتاجي بشكل خاص يمكن أن يقسم إلى أفعال أولية معرفة كل على حدة.

الآن بعد أن عرفنا الفعل والعمل نرى أن حالة إثبات المعرفة لله سبحانه وتعالى جاءت في الكتاب على ثلاث حالات:

-الحالة الأولى:

حالة إثبات المعرفة على وجه الخصوص أي جاءت المعرفة للحدث المعروض في الآية وقد جاءت على وجهين: أ- تقديم العلم على الفعل:

-)-إن الله يعلم ما تفعلون). (النحل 91.(
-) -إنه خبير بما تفعلون) .(النمل 88'' (الخبرة = العلم + الممارسة.''
 -) -ويعلم ما تفعلون) .(الشورى 25.(
 -).159 من ينبئهم بما كانوا يفعلون). (الأنعام 159.
 -) -إن الله عليم بما يفعلون). (يونس 36. (
 - ب- تقديم الفعل على العلم:
 -) وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما). (النساء 127.
 - -وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم). (البقرة 215.(
 -) -وما تفعلوا من خير يعلمه الله) .(البقرة 197.(

هنا قدم الفعل على العلم بصيغة واحدة فقط هي)من خير .(حيث ذكر الخير في حالة التبعيض في بداية الآيات، وبما أن علم الله يحمل كل الاحتمالات وضع العلم بعد صيغة "من خير."

-الحالة الثانية:

حالة إثبات المعرفة على وجه العموم أي ن المعرفة لم تقتصر على الأحداث المذكورة في الآية بل معرفة عامة

```
كاملة وجاءت في صيغتين:
            أ- حالة تقديم العلم على العمل: وقد جاءت هذه الصيغة في الكتاب/36/مرة بالأشكال التالية:
                                                       ) -والله خبير بما تعملون) . (آل عمران 153. (
                                                             ) - والله بصير بما يعملون) . (البقرة 96. (
                                                           ) - والله عليم بما يعملون) .(يوسف 19.(
                                                   ) - والله شهيد على ما تعملون). (آل عمران 98.(
                                                                 ).64 -فينبئهم بما عملوا) .(النور
                                                         ) -فينظر كيف تعملون) . (الأعراف 29.
                                                  )-إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون). (الجاثية 29.(
          ب- حالة تقديم العمل على العلم: وقد جاءت هذه الصيغة في الكتاب/37/مرة بالأشكال التالية:
                                                         ) -إن الله بما تعملون بصير) .(البقرة 110.(
                                                           ) -والله بما تعملون خبير) .(البقرة 234.(
                                         )-61 ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا). (يونس 61. (
                                                            ) -إن ربي بما تعملون محيط) .(هو د 92.(
                                                            ) - إنى بما تعملون عليم) . (المؤمنون 51. (
                                                                                     -الحالة الثالثة:
حالة نفي الجهل جاءت حصرا على وجه العموم أي وردت كلمة "عمل" ولا نجد في الكتاب صيغة "فعل" مع
   نفي الجهل وذلك لنفي الجهل على العموم لا لنفي الجهل بالموضوع المذكور بالآية ولو جاء نفي الجهل مع
"يفعلون" لنفى جهله في الفعل المعرف مع زمن حدوثه بالآية فقط مع إمكانية جهله بمواضيع أخرى وفي أزمنة
                                                                                            أخرى:
                                                        ) -وما الله بغافل عما تعلمون) .(البقرة 74.(
                                                        ) -و ما الله بغافل عما تعملون). (البقرة 85.(
                                                       ) - وما الله بغافل عما تعلمون). (البقرة 149).
                                                    ).132 وما ربك بغافل عما يعملون). (الأنعام 132)
```

) -وما الله بغافل عما تعملون). (آل عمران 99.(

) -و ما ربك بغافل عما تعلمون). (هو د 123)

) -وما ربك بغافل عما تعملون). (النمل 93.

) -ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون). (فصلت 22. (

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

```
) -ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) .(إبراهيم 42.(
                                                                       إرادة الله وأفعاله كلها معرفة له:
                                                           ) -ولكن الله يفعل ما يريد) . (البقرة 253. (
                                                       ) -كذلك الله يفعل ما يشاء) . (آل عمران 40.(
                                            ) -ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم و آمنتم) .(النساء 147)
                                                               ) -ويفعل الله ما يشاء) . (إبر اهيم 27.
                                                   ).23 يسأل عما يفعل وهم يسألون). (الأنبياء 23.
                                                                 ) -إن الله يفعل ما يريد) .(الحج 14.
                                                                )-10 الله يفعل ما يشاء) .(الحج 18.(
                                                                     ) -فعال لما يريد) . (هو د 107.
                                                                     ) -فعال لما يريد) .(البروج 16.(
                                                              ) -و كان أمر الله مفعولا) . (النساء 47)
                                                       ) -ليقضى الله أمراكان مفعولا) .(الأنفال 42.(
                                                       ) -ليقضى الله أمرا كان مفعولا) . (الأنفال 44. (
                                                                ) -و كان وعدا مفعولا) . (الإسراء 5. (
                                                        )-10 كان وعد ربنا لمفعولا). (الإسراء 108.
                                                            ) - و كان أمر الله مفعولا) . (الأحزاب 37 (
                                                                     ) - كان وعده مفعولا) . (المزمل. (
                                                                                   -شرح قوله تعالى:
                              )أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون). (يس 71. (
    هنا لو قال "مما فعلت أيدينا أنعاما" فهذا يعني أن المخاطب وهو الإنسان يعلم كل الأفعال المتالية والمتوازية
المعرفة التي تحت في خلق الأنعام ابتداء من أول خلية حية حتى الوصول إلى الأنعام أو لذكر ما هي كل الأفعال
   التي نفذت حتى تم خلق الأنعام، ولو كانت هذه الأفعال معرفة للمخاطب لاستطاع هذا المخاطب أن يخلق
       أنعاما بنفسه. وهنا يجب أن نشرح كلمة )أيدينا : (فالأيدي جاءت من فعل "أيد" ومنه جاءت الأيدي
والأيادي والتأييد، فنقول إن فلانا أيد فلانا في موقفه فهذا يعني أنه وافقه وبالتالي مد له يد المساعدة "دعمه"
                                            وهكذا نفهم قوله تعالى) :يد الله فوق أيديهم) .(الفتح 10.(
 إن الله سبحانه وتعالى أيد الصحابة في بيعة الرضوان في موقفهم هذا ومد لهم يد المساعدة وكذلك نفهم قوله
     تعالى) : والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) . (الذاريات 47 (فالآية تدل على القدرة والحفظ على وجه
```

العموم لا الحصر.

وإذا جاءت من "يد" فهي تعني المنعة والقوة والإصلاح "ضرب بيد من حديد" أي ضرب بمنعة وقوة، أي اتخذ موقفا منيعا وقويا.

-معنى فعل "صنع:"

والربع هو المكان العالي، وبما أن هذا المكان العالي بحاجة إلى مياه فقد صنعوا أيضا حفرا لتجميع المياه، سميت مصانع، وإلى الآن تستعمل في بعض البلاد العربية كلمة "مصنع مياه" أي خزان ماء. وعندما قال) :إن الله خبير بما يصنعون) . (النور 30) . (إن الله عليم بما يصنعون) . (فاطر8) . (والله يعلم ما تصنوعون . () العنكبوت 45 . (فالصناعة تحتاج إلى علم وخبرة ومؤلفة من مجموعة من الأفعال المحددة لإنتاج شيء ما لذا رافعه: عليم وخبير بما يصنعون فوضع "عليم وخبير" قبل "يصنعون "لا بعدها لأنه قالها على وجه الخصوص لا على وجه العموم. أما قوله لموسى)وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني) . (طه 39 . (حيث تربى في بيت فرعون وقام فرعون بتربيته وتنشئته والله يرعاه قال) :ولتصنع على عيني (لذا فقولنا "الجامعة هي مصنع العلماء" يعتبر قولا عربيا صحيحا أي لتحويل الجاهل إلى متعلم.

ولنشرح الآن الآيتين التاليتين:

) - 1وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) .(النحل 112 .(إذ أن آيات الأمثال هيمن القرآن دائما لقوله ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) .(الكهف 54 .(ففي هذه الآية قانون موضوعي، هذا القانون هو أن كل مجتمع إنساني مستقر "قرية" كفر بأنعم الله فهناك عقابان هما نتيجة صنع الإنسان نفسه، هنا "الباء" في "بما" هي باء الاستعانة كقولنا "ضربتك بيدي" العقاب الأول هو الجوع، والعقاب الثاني هو الخوف. وسببهما هو صناعة الإنسان نفسه. فإذا نظرنا الآن مثلا إلى العالم رأينا أنه يصنع القنابل الذرية وحاملات الطائرات والخواصات والصواريخ فإذا عرفنا الآن أن حاملة طائرات واحدة مع ملحقاتما تكلف

حوالي/20/مليار دولار لعرفنا النفقات الهائلة الأسطورية التي تنفق على سباق التسليح . هذا السباق ينتج عنه مشكلتان:

-الأولى: الجوع حيث أن هذه النفقات تذهب على حساب متطلبات الإنسان ورفاهيته.

-والثانية: الخوف حيث أن هذه الأسلحة تسبب الدمار الهائل فأصبحت تشكل كابوسا على الإنسان، وهذه الأسلحة هي من صناعة الإنسان أصلا أي من نتاج عمله لذا قال) : فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . (وهذا أيضا يدل على أن القرية عندما تكفر بالله لا يقطع الله عنها الرزق من ماء وشجر وزراعة... الخ، لأنه ربحاً. فسباق التسلخ هو عذاب الله على الكفر بنعمته في العصر الحديث. فعلى الإنسانية المؤمنة أن تسعى لوضع حد لهذا العذاب. إن مقياس إخلاص الإنسان تجاه الإنسانية هو موقفه من سباق التسلح وهدر المليارات من النقود على آلة الرعب وسبب الجوع. وهكذا نفهم قوله تعالى) : من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) . (هود 15) . (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) . (هود 16 .(

هذه الآيات تقول للذين لا يؤمنون إلا بالحياة الدنيا ويظنون أنما نماية المطاف وأنه لا آخرة بعدها فالله يوف إليهم أعمالهم فيها ولا يبخسهم فيها شيئا. أما في الآخرة فلا تفيدهم كل صناعاتهم المنتجة في الدنيا لذا قال: وحبط ما صنعوا فيها . (يظن بعضهم أن الدنيا للكافر والآخرة للمؤمن! وهذا غير صحيح. فالدنيا للكافر والمؤمن على حد سواء، والمؤمن له ثواب الآخرة بالإضافة إلى الدنيا .أما الكافر فلا يوجد له ثواب في الآخرة.) - 2ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد) . (الرعد 31. (

تدل هذه الآية على أن مواضيع القرآن هي العلم فقط لذا قال)قطعت به الأرض أو كلم به الموتى... الخ (وإن العلم متاح لكل إنسان لذا قال عن القرآن) : هدى للناس . (هذه العلوم متاحة للمؤمن والكافر على حد سواء لذا قال للمؤمن إن قوانين الجدل هي قوانين موضوعية وإنه لا مناص من وجود الكفر والإيمان معا وإن الكفر لا ينتهى والإيمان لا ينتهى بل هما في علاقة جدلية مادامت الإنسانية موجودة .

أما الذين كفروا فيصيبهم)بما صنعوا (فالباء هنا باء الاستعانة أي بصناعتهم التي هي نتاج عملهم ستصيبهم)قارعة (وهي من فعل "قرع" وهي الضربة القاصمة القوية)أو تحل قريبا من دارهم (وهنا يجب أن نميز بين الدار والديار، فالدار هي قطعة من الأرض تسمى الوطن، فالأرض التركية هي دار الأتراك، أما الديار فهي أبنية لها جدران لذا قال)أو تحل قريبا من دارهم (أي مجاورة لحدودهم وهذا المعنى جاء في قوم ثمود فهناك فئتان من لناس في ثمود، الفئة الأولى تسكن البيوت المنحوتة في الجبال وهذه البيوت لها أبواب وجدران ولكنها دون نوافذ فهلك سكالها بالصيحة "الموجة الصوتية" لذا قال) :وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في

ديارهم جاثمين) (هود 67).

أما الفئة الثانية من الناس فكان تعيش خارج البيوت المنحوتة في السهول ولا تؤثر فيها الموجة الصوتية وكانوا يعيشون على قطع من الأرض لها حدود فيها بينها لقوله) :تتخذون من سهولها قصورا) .(الأعراف 74 . (والقصور جاءت من "قصر" أي أن إنسانا ما أخذ قطعة من الأرض ووضع لها حدودا وأصبحت هذه الأرض مقتصرة له، وبدون أن يبني عليها مبنى له جدران فهؤلاء أهلكهم الله بالزلزال، لذا قال) :فأخذهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) . (الأعراف 78.

-الكسب:

هو المردود الإيجابي للعمل لذا قال) : لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . . الآية) . (البقرة 286 . (أما الاكتساب فهو المردود السلبي للعمل لذا قال عن الكسب لها وعن الاكتساب عليها.

الآن لنلخص معاني المفردات الأربع بالمفهوم الإنساني العاقل، لا بالمفهوم الطبيعي:

-العمل: حركة واعية يبذلها الإنسان العاقل ويحمل معنى العموم هنا وقلنا الإنسان العاقل لنميزها عن العمل الناتج عن الحركة الميكانيكية للأجسام أي المعنى الفيزيائي البحت.

الفعل: هو عمل معرف محدد ويحمل معنى الخصوص "أكل، شوب، ضوب، نام."

-الصنع: هو نتاج العمل "أو نتاج تربية."

-الكسب: هوا لمردود الإيجابي للعمل.

-الأجر: هو ما يعطيه رب العمل للإنسان مقابل عمل هو للمأجور كسب.

فنقول إن زيدا من الناس يعمل نجارا ويقوم بالأفعال التالية: يقطع الخشب ويدق المسامير ويلصق الخشب ثم يدهنه فيصنع كرسيا ويكسب نقودا. ونقول ضرب زيد عمرا فاكتسب إثما، فالضرب فعل والإثم اكتساب. فهل هذه المعاني تنطبق على الزراعة؟ لا تنطبق كليا لأنه إذا قلنا إن زيدا من لاناس يعمل في الزراعة فإنه يقوم بالأفعال التالية: يشق الأرض ويبذر البذار ويذر السماد ويقوم هو بعدة أفعال لكي تنتج الأرض المحصول فالإنسان يعمل في الأرض، والأرض هي التي تنتج المحصول لذا قال الله تعالى) :أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) .(الواقعة 63-64 (فالحرث هو غلة الأرض الزراعية لا شق الأرض الزراعية، لذا فحرث الأرض هو كسب لمن عمل فيها وهو كسب .

فالمزارع يقوم بالأفعال المذكورة لكي تنتج الأرض، لأن الأرض يمكن أن تنتج دون تدخل الإنسان كما نرى في العطاء النباتي الطبيعي للكرة الأرضية وفيا لبحار. لقد ذكر تدخل الإنسان "بالعمل بالأرض وفي الحرث" لا في الزراعة نفسها. وأن مصطلح الزراعة والصناعة مفصولان عن بعضهما وهذا صحيح، فالإنسان يعمل في الزراعة ويجني الحرث، والأرض تنتج. ويعمل في الصناعة وهو ينتج لذا قال في سورة يس عن خيرات الأرض من النبات) : ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم) . (يس 35 . (هنا قال عن لنبات: 0ليأكلوا من ثمره). ومن

عمل الإنسان)وما عملته أيديهم . (أي والذي عملته أيديهم.

لنشرح الآن لماذا فصل القول ولم يعتبره فعلا حيث قال)لم تقولون مالا تفعلون) . (الصف 2(، أليس القول فعل يقوم به الفم واللسان والجهاز الصوتي؟ أقول لا ليس هذا بالقول، وإنما هو الكلام. فالكلام فعل وليس قولا فعندما يتكلم الإنسان فيصدر أصواتا هي الكلام وهذا الإصدار حقيقة موضوعية لأنه صوت وهذا ما نسميه بالنطق، فالنطق فعل وحقيقة لذا قال) : فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون . () الذاريات 23 (ولم يقل مثلما أنكم تقولون، فالنطق للكلمات لا للأقوال لذا قال سليمان) : يا أيها الناس علمنا منطق الطير) . (النمل 16 (ولم يقل قول الطير.

أما القول فهو عندما تصل الكلمات إلى ذهن السامع فتتحول إلى معنى في الذهن فهذا المعنى هو القول، فالإنسان نطقه حق وليس من الضروري أن يكون قوله حقا. أما الله سبحانه وتعالى فالقول والوجود بالنسبة له واحد لذا قال) :قوله الحق(، وإن الكون كله ما هو إلا عين كلمات رب العالمين لذا قال) :إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) .(يس 82.(

هل أعمال الإنسان محددة سلفا؟ وما معنى قوله تعالى)والله خلقكم وما تعملون) .(الصافات 96. (لاحظ أنه قال "وما تعملون" ليضعها على وجه العموم علما بأن الأفعال هي أعمال معرفة. ولنأخذ الآن أعمال الإنسان على العموم لنحولها إلى أفعال على الخصوص، ولكن بعد شرح معاني الأفعال التالية في اللسان العربي:

-خلق، سوى، جعل:

-1خلق:

فعل خلق في اللسان العربي له أصلان صحيحان، الأول يعني التقدير قبل التنفيذ كقولنا خلق الخياط القميص من القماش أي قدره قبل القطع. فعندما يأخذ الخياط قطعة القماش ويضع عليها علامات تبين الأكمام والصدر والظهر...الخ قبل القص فهذا يعني أنه يخلق قميصا، وهذا ما نقول عنه في اللغة المعاصرة "التصميم" فعندما نخلق سيارة "نصمم" نخلق الإسطوانة والمكبس وكل قطع المحرك وبقية السيارة، كل هذا الخلق يتم على لامخططات طبقا لقوانين الميكانيك والترمو ديناميك، فكل ما تقوم به السيارة من عمل هو طبقا للتصميم الموضوع " الخلق" مؤلف من أفعال أولية موجودة في بنية التصميم.

وعندما نقول خلق المهندس بيتا أي وضع له مخططات معماري وإنشائية وصحية وكهربائية قبل التنفيذ، فالله يخلق والإنسان يخلق، ولكن الله أحسن الخالقين كما في قوله تعالى) : فتبارك الله أحسن الخالقين (وذلك لأنه بكل خلق عليم، فالله هو خالق السموات والأرض ولكن الخلق يمكن أن يكون منقولا فليس من الضروري أن كل بيت يخلقه مهندس هو تصميم لا سابق له فإذا كان لا سابقة له فهذا يسمى الإبداع لذا قال) : بديع السموات والأرض التي نراها حاليا ليس لها سابقة فالله هو خالق السموات والأرض التي نراها حاليا ليس لها سابقة فالله هو خالق

السموات والأرض وهو بديع السموات والأرض.

وهنا يجب أن نفهم بشكل واضح وجلي أن الخلق لا يعني الإيجاد من العدم كما يظن البعض فنرى أنه لا توجد آية واحدة في الكتاب تقول إن الخلق من العدم وإنما من شيء كقوله) :خلق الغنسان من علق) . (العلق 2(، فهل العلق عدم؟! وقوله) :إين خالق بشرا من طين) . (ص 71 . (وقوله) :خلقتني من نار وخلقته من طين) . (الأعراف 12 (وقوله) : ثم كان علقة فخلق فسوى) . (القيامة 38 (وقوله) :وهو الذي خلق منا لماء بشرا) . (الفرقان 54 (وقوله) : خلقتني من نار وخلقته من طين) . (الأعراف 12 (وقوله) : ثم كان علقة فخلق فسوى) . (القيامة 38 (وقوله) :وبدأ خلق فخلق من الماء بشرا) . (الفرقان 54 (وقوله) :وبدأ خلق الإنسان من طين) . (السجدة 7 . (

فعندما يذكر فعل خلق فإما أن يقول: من ماذا؟ كالآيات السابق ذكرها، أو لا يقول شيئا كقوله) :الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) .(الأنعام 1 .(أما لماذا سميت بعض النواحي في السلوك الإنساني أخلاقا وهي من فعل "خلق "هذا فلأن الإنسان في تصميمه "خلق" مهيأ لهذا السلوك فنقول: خلق سيء وخلق حسن، وجاءت في هذا المعنى "الخلاق" وهو ما يستحقه الإنسان نتيجة لسلوك معين فنقول أن زيدا من الناس خليق بكذا وكذا كقوله تعالى) :ما له في الآخرة من خلاق .() البقرة 102 .(وقوله) :وإنك لعلى خلق عظيم) .(القلم 4 .(أما المعنى الثاني لفعل "خلق" هوا لتمليس فنقول صخرة خلقاء أي صخرة ملساء.

-2سوى:

وله في اللسان العربي عدة أصول صحيحة:

أولها: المساواة فنقول أن 8+1=4، ثلاثة مضاف إليها واحد تساوي الأربعة. وفي هذا المعنى جاءت في قوله تعلى)وقدر فيه أقواتما في أربعة أيام سواء للسائلين) .(فصلت 10 (أي أن الأرض تعطي أقواتما وخيراتما للذي يعمل فيها ويأخذها كافر أو مؤمن على حد سواء. وقوله) :إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) .(البقرة 6 .(وبما أن المساواة في المعادلة تكون في الوسط وعلى طرفيها حدود المعادلة في سنت منها العنى الثاني وهو الوسط كقوله تعالى) :فاطلع فرآه في سواء الجحيم) .(الصافات 55 (هنا سواء الجحيم أي في وسط الجحيم.

أما المعنى الثالث فهو بعد التصميم نقوم بما نسميه بالتسوية فإن أي تصميم "خلق" يحتاج بعده إلى عملية تنفيذ فعلية لتحويل المخطط المخلوق إلى شيء واقعي منفذ على أرض الحقيقة لذا فإن أي تصميم يعقبه تنفيذ مباشر لذا قال) :سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى) .(الأعلى 1، 2 (فالخلق يعقبه تسوية ولاحظ أن "فاء" التعقيب والسببية جاءت بين فعلين "خلق، سوى."

والتسوية هي التنفيذ الكامل للتصميم بدون أي نقصان أو عيب فعندما نقول إن زيدا من الناس "إنسان غير

سوي": فيه عيب ونقص. وهكذا نفهم) : فتمثل لها بشرا سويا) . (مريم 17 (أي أن جبريل تمثل لمريم بصورة بشر سوي لا عيب فيه ولا نقص. ولم تلاحظ مريم أي شيء غير بشري. لاحظ قوله) : بشرا سويا . (ولم يقل إنسانا سويا للتأكيد على كمال الناحية الفيزيولوجية.

وعندما قال الله للملائكة عن خلق البشر أعقبه مباشرة بالتسوية بقوله) :إذ قال ربك للملائكة إن يخالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) .(ص 71، 72 (فلاحظ كيف أن الخلق هو التصميم الذي أعقبه التسوية "التنفيذ.''

أما المعنى الأخير لفعل "سوى" فهو الاستقرار والتحكم كقوله تعالى) :لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) .(الزخرف 13 .(فالاستواء على ظهور الأنعام هو عملية الاستقرار عليها، فيمكن للإنسان أن يركب على ظهر الجواد ثم يقع عن ظهره أثناء التذليل. أما الاستواء فهو الاستقرار والتحكم وهكذا نفهم قوله تعالى) :الرحمن على العرش استوى) .(طه 5.(

-3جعل:

وتعني في اللسان العربي انتقالا من حالة إلى حالة أو تغيرا في الصيرورة لشيء موجود فعلا كقوله تعالى) :إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) .(الزخرف 3 .(فهنا "جعل" تدل على أن القرآن كان موجودا فأخذت منه نسخة مترجمة إلى العربية لذا قال) :إنا جعلناه .(ولم يقل "إنا خلقناه" فالجعل يمكن أن يتم بتغيرات أثناء عملية التسوية أو بعدها كقوله عن أحد مراحل التسوية في لأرض)وجعل فيها رواسي من فوقها) .(فصلت عملية الأرض كانت كرة ملتهبة سائلة وتجمد قسم منها وهو القشرة الخارجية لذا قال) :مرواسي من فوقها) .(فصلت 10 .(فصلت 6 .

أي أن الأرض كانت كرة ملتهبة سائلة وتجمد قسم منها وهو القشرة الخارجية لذا قال) : رواسي من فوقها . (وندما قال الله سبحانه وتعالى لإبراهيم) : إني جاعلك للناس إمام) . (البقرة 124 (أي أن إبراهيم لم يكن إمام للنسا فأصبح إماما لهم، أي أضيفت له صفة صار بها إماما للناس. وقوله تعالى) : وجعلنا منا لماء كل شيء حي) . (الأنبياء 30 (أي أن الماء يغير في صيرورة الأشياء من كائن غير حي إلى كائن حي وقوله) : ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) . (القيامة 38، 39 (لاحظ كيف جاءت الأفعال الثالثة متتالية "خلق، سوى، جعل" هنا جاء التصميم ثم التنفيذ ثم تغير من صيرورة إلى صيرورة أخرى. ولنعد الآن إلى الموضوع الأساسي وهو قوله تعالى) : والله خلقكم وما تعملون) (الصافات 96 . (ولنأخذ أعضاء الحركة عند الإنسان:

- 1 اليد: تألف من الكف والزند والذراع وفيها عدة مفاصل فإذانظرنا إلى اليد من حيث البنية فنرى أن الأفعال التالية موجودة في تصميم هذه البنية "الخلق". فنرى أن الكف يحوي في بنيته "خلقه" على إمكانية الحركة باتجاهين متضادين، القبض والبسط وكذلك الأصابع مع مفاصلها تحتوي في بنيتها على مجموعة

منالأفعال. وكذلك الذراع والزند يحتويان في بنيتهما على مجموعة من الأفعال، وكل هذه الأفعال الموجودة ضمن مجال حركتها البنيوي عبارة عن أضداد قاليد اليمنى واليد اليسرى أزواج والحركات ضمن اليد اليمنى واليسرى أضداد، فالقبض والبسط في الكف وعملية الكب والاستلقاء في الزند وعملية الرفع والتتريل في الزند وفي الذراع وعملية الحركة إلى الأمام والخلف في الذراع... وهكذا دواليك وكذلك الأرجل ففي بنيتها تحوي أفعالا وتوجد فيها أفعال على شكل أضداد "الوقوف والمشي" وفي الحوض والأرجل "الجلوس والنهوض."

وكذلك الأعين عين يمنى وعين يسرى "أزواج" فيها تدخل إمكانية العمى والبصر ''أضداد" والأذن فيها إمكانية الصمم والسمع واللسان فيه إمكانية البكامة والكلام والبلعوم فيه إمكانية التقيؤ والبلع. فإذا أراد الإنسان أن يقوم بعمل ما على وجه العموم فإن هذا العمل يتألف من مجموعة منا أفعال الأولية على وجه الخصوص وإمكانية هذه الأفعال موجودة في بنيته فلا يستطيع أي إنسان أن يمضغ الطعام برجليه ويمشي بأسنانه.

فكل أفعال الإنسان التي يقوم بها على وجه الخصوص للقيام بعمل على وجه العموم هي ممكنة التنفيذ في بنيته "خلقه" وعلى هذا فالإنسان لا يخلق ولا يستطيع أن يخلق أي فعل غير موجود في بنيته أو في الطبيعة. فرب سائل يقول إن الإنسان صنع السيارة والصاروخ والغواصة والرافعة والطائرة والأحوية .أقول إن الإنسان صنع هذه الأشياء من قوانين موجودة في الطبيعة، فالإنسان صنع الطائرة نتيجة استيعابه لقواني الطيران الموجودة فعلا في الطبيعة والتي شاهدها أولا من خلال الطيور والحشرات الطائرة لذا فقد سمى القرآن ظواهر الطبيعة) آيات الله . (فالإنسان بعد أن عرف هذه الأفعال الموجودة بالإدراك الفؤادي أولا، ثم بالتجريد العقلي "القوننة" وصل إلى ظاهرة الإبتكار والتخيل فقلد أفعال الطبيعة وأبدع فيها وسخرها لمصلحته "للإعمار أو الدمار" وابتكر آلاف الأدوات والتجهيزات الجديدة، لذا لم يقل أبدا في الكتاب "والله خلقكم وما تصنعون" بل قال) :إن الله عليم بما يصنعون) . (فاطر 8 . (

وقال) :إن الله خبير بما يصنعون) .(النور 30 .(فكل ما ذكر سابقا عن الأفعال ووجودها في الطبيعة هي حقيقة موضوعية موجودة خارج الوعي الإنساني "حق" وهي تعتبر من قوانين القدر "الوجود." والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هو دور الإنسان في هذا وأين الخيار والحرية للإنسان؟ أي أين قضاء الإنسان؟ وما علاقة الإنسان بقوانين القدر القائمة في ظواهرها على الأضداد وفي ذاها على المتناقضات الأزواج "التأثير والتأثر المتبادل"؟

الجواب هو أن العلاقة تتحدد حصرا بالمعرفة فعندما عرف الإنسان قوانين القدر في الدورة الدموية وفي دورة الدم في القلب والشرايين استطاع أن يقضي فيها وذلك بالعمليات الجراحية وبالتالي زادت حريته فيما يتعلق بهذا الموضوع. وعندما عرف قوانين الطيران استطاع أن يصمم الطائرة وينتجها وبالتالي ازدادت درجة حريته

في التنقل، وعندما عرف قوانين الكيمياء زادت درجة حريته في اختراع الأدوية... وهكذا دواليك، فالإنسان يتعلم ظواهر الطبيعة والأفعال المقدرة فيها لكي يمارس القضاء من خلالها حيث أن حريته تكمن فيهما معا. فالموت قدر والقتل قضاء ولولا الموت لما كان هناك قتل. ووجود إمكانية الضرب باليد قدر والقيام بعملية الضرب قضاء وهذا نراه في قوله تعالى) :هو يحي ويميت) . (يونس 56" . (قدر إلهي". وقوله) :لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك) . (المائدة 28" (قضاء إنساني."

فكلما زاد جهل الإنسان بالمقدرات زاد شعوره بالجبرية، فالإنسان يطلب الأشياء حسب معرفته لها، والذي لا يعرف شيئا لا يطلب شيئا لذا قال) :إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) .(الأنفال 22 (فمثلا كان الإنسان سابقا يظن أن وجوده على الأرض وجود جبري، ولكن عندما عرف قوانين الجاذبية وقوانين الطيران والدفع الصاروخي تخطى هذه الجبرية فأصبح يخرج من الأرض ثم يعود إليها. لنضع الآن تعريفا للقضاء والقدر والحرية:

- 1القدر: هو الوجود الموضوعي للأشياء وظواهرها خارج الوعي الإنساني.
- 2القضاء: هو ظاهرة تتمثل في السلوك الواعي "إرادة إنسانية" قائم على الحركة بين الأضداد، أي سلوك بين نفى وإثبات في ظواهر الوجود "القدر."

فالقضاء الإنساني المتحرك دائما يتولد من القدر من خلال المعرفة المتحركة دائما "والتي تعتبر المقادير أعلى شكل للتعبير عنها."

وبما أن المعرفة الإنسانية لظواهر الوجود متحركة دائما إلى الأعلى وبالتالي فالقضاء الإنساني متحرك دائما إلى الأعلى.

هذه التعاريف يمكن أن نمثلها بالشكل الرمزي التالى:

فكلما زادت معرفة الإنسان بالقدر زاد قضاؤه وبالتالي زادت حريته وانخفض مفهوم الجبرية عنده. فالقضاء دون قدر وهم وأحلام يقظة "لا موضوعية"، والقدر دون قضاء جهل ورجعية أو رجوع إلى المملكة الحيوانية.

من هذا التعريف للقضاء والقدر نستطيع ن نضع تعريفا جامعا مانعا للحرية والتقدمية:

- 1الحرية: هي إرادة إنسانية واعية دائمة الحركة بين النفي والإثبات في الأضداد "ظواهر الوجود."

فالسؤال الآن: كيف بدأت حرية الإنسان "الومضة الأولى للحرية"؟ بدأت هذه الومضة الأولى مع بداية المعرفة الإنسانية وهذه الومضة جاءت مع نفخة الروح وهي الحلقة المفقودة بين البشر "المملكة الحيوانية" والإنسان وقد تم شرحها في مقال سابق.

ولنعبر عن هذا الانتقال بالمعادلات التالية:

من هذا التعريف نرى أن ظاهرة الحرية لها مركبتان: المركبة الأولى موضوعية وهي الوجود الموضوعي للأشياء وظواهرها. والمركبة الثانية ذاتية وجاءت من نفخة الروح وهي المعرفة التي نتج عنها إرادة واعية. فأول شيء مارسه آدم بعد المعرفة مباشرة هو الحرية، وكانت هذه الحرية في معصية أمر الله. لذا فإن الذي يطلب الحرية لا يطلب وهما ولا يعيش في وهم، وإن أحد الأسباب الرئيسية لمعاداة العرب للنبي صلى الله عليه وسلم هو الجهل لذا كان الني صلى الله عليه وسلم يدعو بقوله "اللهم اهد قومي فإلهم لا يعلمون."

أما التعريف القائل إن الحرية هي "وعي الضرورة" فهو تعريف ناقص، فوعي الضرورة لا يكفي لممارسة الحرية حيث أن هذا الوعي والذي أطلقنا عليه مصطلح المعرفة بالموجودات هو شرط لازم غير كاف لممارسة الحرية حيث قلنا إن الحرية ظاهرة وليست شيئا. لذا فإنما تقوم على الأضداد .

فحتى يمارس الإنسان حريته يجب ن يكون هناك مجال للاختيار بين ضدين أي مجال للنفي والإثبات وهنا يكمن سر جدل الإنسان في الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية. فحتى يتحقق جدل الإنسان في الفكر يجب أن يكون هناك الفكر والفكر المضاد والرأي والرأي المضاد "جدل غير متخاصم" وهذه الخاصية تعتبر أهم خاصية في المجتمعات الإنسانية الحرة المتحضرة.

وإذا سأل سائل: ما هي وحدة الفكر والفكر المضاد في المجتمعات المتحضرة؟ أقول: وحجتهما هي البحث عن الحقيقة في المعرفة والوطنية في السياسة والاقتصاد.

- 2التقدمية: بما أن المعرفة الإنسانية هي معرفة صاعدة إلى الأعلى وغير ثابتة وتحمل مفهوم النسبية، لذا فإن التقدمية هي الانتقال من درجة في الحرية كيفا وكما إلى درجة أعلى في كل نواحي الحياة. وإذا فقدت هذه الخاصية في رفع الحرية كما وكيفا للناس فقد فقدت أهم مبررات وجودها.

الآن لننتقل إلى تصحيح بعض الأخطاء الشائعة:

- 1 إنه من الخطأ الفاحش عندما نعجز عن تفسير ظاهرة ما، كأن يقع إنسان ما من على السطح ويموت فنقول مات قضاء وقدرا. لأن قولنا مات قضاء وقدرا يعني أنه قتل عمدا من قبل شخص ما لا نعرفه والصحيح أن نقول مات قدرا. وكما قلت كلما زاد جهل الإنسان بالمقدرات زاد الجانب الجبري "القدري" في قناعاته وتصرفاته، لذا كلما زاد جهل الناس زاد تفسيرهم الجبري للأحداث وهذا شائع جدا في الوطن العربي حيث يرد كثير من الناس كثيرا من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والمرضية بقولهم "هذا مكتوب علينا" ويظنون أن هذه القناعة هي جزء أساسي منا لعقيدة الإسلامية وهي ليست أكثر من سذاجة.
- 2كلما زاد جهل الإنسان بقوانين الطبيعة والإجتماع والاقتصاد زاد ربطه للأحداث بمفهوم الصدفة وأكبر جهل يمكن أن يرتكبه إنسان هو أن يعزو ظهور الحياة على الأرض وظاهرة الإنسان إلى الصدفة.
- 3إن الإنسان مخير وحر في اختياره لكل أفعاله من خلا لعالم الحقيقة لا الوهم والناس ولدوا أحرارا مسلمين

والذي يقيد الإنسان في اختياره هو أمران:

- . 1المرجع الأخلاقي والمعرفي والجمالي والذي يعتبر المرجع القانوبي امتدادا له.
 - . 2الإرهاب "الإكراه."

فالأمر الأول يقبل به الإنسان العاقل المتحضر من وازع وجداني وإنساني بحت ''التقوى" ومن وازع بشري بحت "الخوف من العقوبة". أما الأمر الثاني فلا يستعمل إلا مع البهائم.

-الخلاصة:

إن أساس العقيدة الإسلامية فيما يتعلق بالأعمال والأرزاق والأعمار بالنسبة للإنسان هو أن الله لم يحدد سلفا عمر الإنسان ورزقه وعمله، وإنما حدد سلفا القوانين الموضوعية "الكتب" التي من خلالها يولد الإنسان ويحيا ويموت اليطول عمره أو يقصر" والقوانين الموضوعية التي من خلالها يرزق الإنسان، والقوانين الموضوعية التي من خلالها يعمل الإنسان.

والإنسان حرفي اختياره من خلال هذه القوانين، ولا يحد اختياره إلا أمران :المرجعية المعرفية والأخلاقية والجمالية والعرفية أو الإكراه. وإن تدخل الله في قضائه في هذه الأشياء هو تدخل ظرفي "المشيئة" مرهون بموقف الإنسان وبالظروف الموضوعية التي يوجد فيها) :إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .() الرعد 11.(

وإن قضاء الله هو إما أمر ضد النهي فأعطى فيه القانون الأخلاقي والتشريعي ''الذاتي". أما قضاؤه من خلال أمر نافذ وغير مبرم منذ الأزل إنما هو ظرفي لذا قال) إذا أراد (وتدخله من خلال كلماته، وكلماته هي الوجود، والقوانين الموضوعية للأشياء خارج الوعي. وبما أن الله كامل المعرفة فهو الحر المطلق بهذه اقوانين، يتدخل فيها لمصلحة الإنسان أو ضده. وبما أن الإنسان ناقص المعرفة فهو ذو تصرف نسبي بهذه القوانين، وبالتالي فحريته نسبية وتزداد بازدياد معرفته لهذه القوانين الموضوعية، وكلما زادت معرفته بهذه القوانين زاد قربا من الله تعالى.

الديموقراطية:

بعد أن عرفنا الحرية والتقدمية ننتقل إلى تعريف الديموقراطية .الديموقراطية: هي ممارسة الحرية من قبل مجموعة من الناس ضمن علاقات معينة وفقا لمرجعية معرفية وأخلاقية وجمالية وعرفية. فنقول إن الله حر ولكنه غير ديموقراطي، لأن ديموقراطيته تتطلب آلهة مثله لكي يمارس حريته بالاتفاق معها ضمن مرجعية ما، وفي هذا المجال قال) :لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) .(الأنبياء 22 .(وقوله) :قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) .(الإسراء 42 (وهنا قوله) :لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا .(أي لابتغوا إلى ذي السلطة بينهم أي المرجع.

لنورد الآن بعض الأمثلة على أنواع المرجعية:

- 1 المرجعية المعرفية: إن الأرضية العلمية وتقدما لمعارف بالموجودات "الطب، الفيزياء، الكيمياء، علم الإحصاء...اخ" تعطينا يوميا معلومات جديدة عن قوانين الوجود "القدر" وبالتالي تنمو معلوماتنا عن الضار والنافع في الموجودات. هذه المعلومات المتطورة تعطينا أرضية للقيام بتشريعات تحد من حرية الإنسان وأكبر مثال على ذلك "التلوث، التدخين، المواد السامة، المخدرات" حيث تم سن التشريعات هذه طبقا لأرضية معرفية بحتة، لا طبقا الأرضية أخلاقية وعليه فإن تقدم المعارف ينعكس على تطور التشريع بالضرورة، وهذه إحدى الصفات الحنيفية في الإسلام "انظر مبحث الاستقامة والحنيفية في الباب الثالث."
- 2 المرجع الأخلاقي: هذا المرجع هو من المراجع التي تحمل صفة الثبات في الإسلام وهي تحمل الصفة الكونية مثل الصدق والكذب وشهادة الزور وتحريم قتل النفس والوفاء بالكيل والميزان وحنث اليمين، وهذا المرجع الأخلاقي هو من المراجع التي لا تحمل صفة التطور وهو أحدا لصفات المستقيمة في الإسلام ويتمثل فيا لفرقان "الوصايا العشر" "انظر مقالتي حول الوصايا العشر في الباب الثالث."
- 3 المرجع الجمالي: هذا المرجع يحمل الصفة المتطورة حيث مفاهيم الإنسان عنا لجمال ضمن المفاهيم المتطورة "انظر مبحث الجمال في الباب الرابع" مثل أشكال اللباس والهندام.
- 4المرجع العرفي: وهوا لمرجع الذي يتبع أعراف المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان. فهذه الأعراف تختلف من مكان لآخر، ومن زمان لآخر، وهو يتبع الجانب الحنيفي في الإسلام " انظر مقالتي حول المعروف والمتنكر في الباب الثالث.''

هذه المراجع الأربعة أضيف إليها في الإسلام مرجع خامس وهو الأحكام التي جاءت في الكتاب تحت بند "حدود الله" كالإرث... فهذا التشريع فيه حد من الحرية.

أنواع الحرية:

بما أن الحرية تدخل تحت بند جدل الإنسان وهي خاصة إنسانية بحتة تمارس م خلال المجتمعات الإنسانية وفق المرجعية المذكورة أعلاه، فلها عدة أشكال رئيسية تعبر عن ذاها فيها. ونذرك منها واحدة فقط وهي حرية الفكر والرأي حيث أن بقية أنواع الحرية تبحث في مفهوم الدولة والمجتمع والقانون.

حرية الفكر وحرية التعبير عنه:

وهي أهم أنواع الحرية الإنسانية قاطبة، إذ أن الفكر والتعبير عنه هو أهم صفة مميزة للإنسان عنا لبهائم ويتجلى دائما في حرية الرأي والرأي المضاد وحرية الفكر دائما تقاس بالميزان المضاد لها. فحرية الفكر عند إنسان ما تقاس بمقدار ما يسمح للفكر المضاد له بالتعبير عن نفسه ولا تقاس بالمقدار الذي يسمح لنفس بالتعبير عن ذاته. أي يجب علينا دائما أن نقيس حرية الفكر بحرية الفكر المضاد.

وبما أن الحرية هي حركة واعية بين ضدين فيجب أن يكون هناك الضدان حتى نول إن هناك حرية أصلا. هذه الحرية هي من نتاج جدل الإنسان وهي ظاهرة مميزة للمجتمعات الإنسانية. وإن حرية الفكر والفكر المضاد لها وحدة هي البحث عن الحقيقة بالنسبة للوجود، وكلاهما يبحث عن الحقيقة ولا يقيد هذه الحرية إلا منهج البحث العلمي. وحرية الرأي والرأي المضاد في المجتمعات لها وحدة هي الوطنية ولا تقيدها إلا المفاهيم الوطنية التي تعتبر مرجعية هذه الحرية والتي يعبر عنها بالدستور.

الباب الثالث: أم الكتاب والسنة والفقه

الفصل الأول (أم الكتاب (الرسالة

تمهيد

قلنا إن أم الكتاب هي مجموعة الآيات المحكمات)منه آيات محكمات هن أم الكتاب) (آل عمران 7 (وهي التي الكتاب المحكم الذي قال عنه)الركتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) . (هود 1 (وهي التي خضعت للتطور وللتدرج وللناسخ والمنسوخ ولا تحمل صفة الأزلية وهي التي تلازم فيها الإنزال والتتزيل ولا يوجد فيها جعل) يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) . (الرعد 39. (الرعد 39. (المحكم هو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي تحتوي على الحدود والعبادات والأخلاق وعلى تعليمات عامة وخاصة وأحكام مرحلية. هذه الأمور كلها تدخل في السلوك الإنساني "الذاتي " تعليمات عامة وخاصة وأحكام مرحلية. هذه الأمور كلها تدخل في السلوك الإنسان "الذاتي " الأنسان "الأخلاق" وأسس التشريع في الحدود، وهي التي أطلقنا عليها مصطلح العقل الاتصالي. الأخلاق" وأسس التشريع في الحدود، وهي التي أطلقنا عليها مصطلح العقل الاتصالي. فلنناقش باختصار كل مفردات أم الكتاب، ولكن قبل ذلك علينا أن نبدأ بالمدخل التالي لفهم أم الكتاب. لقد بحثنا في فصل جدل الكون وجدل الإنسان المواضيع الرئيسية لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم أي لمواضيع القرآن الذي وقع به الإعجاز وقد بينا أن إعجازه يكمن في التشابه لذا فهو يحمل طابعا متميزا إلى أن تقوم الساعة بينما كانت نبوة موسى وعيسى في التوراة والإنجيل تحمل الطابع النسبي المرحلي التاريخي طبقا لمعارف الساعة بينما كانت نبوة موسى وعيسى في التوراة والإنجيل تحمل الطابع النسبي المرحلي التاريخي طبقا لمعارف الساعة بينما كانت نبوة موسى وعيسى في التوراة والإنجيل تحمل الطابع النسبي المرحلي التاريخي طبقا لمعارف

الإنسان حين نزلوها لذا قال عن التوراة والإنجيل إنهما هدى للناس من قبل. لنبحث الآن موضوع الرسالة أي بماذا أصبح محمد صلى الله عليه وسلم رسولا؟

إذا قارنا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم برسالتي موسى وعيسى نرى أن رسالة موسى وعيسى تحمل السم "الكتاب" أي مجموعة التشريعات التي جاءت إليهما ولكن هذه التشريعات تحمل الطابع الزماني والمكاني "المرحلي التاريخي" من حيث الزمان والمكان "لبني إسرائيل". لذا كان موسى رسول بني إسرائيل، وأرسل عيسى لبني إسرائيل لتعديل شريعة موسى. وهكذا يجب أن نعلم أن شريعة موسى وعيسى كانت شريعة عينية، أي أن كل التشريعات التي جاءت إليهما تشريعات عينية وأن مفهوم التجريد في التشريع لم يكن عند موسى وعيسى، لذا فقد وجه الله سبحانه وتعالى اللوم لبني إسرائيل لشدة تمسكهم بشريعة موسى عندما جاء عيسى وقال): ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم). (آل عمران 50.

ومن جراء هذا التمسك بشريعة موسى ثم بشريعة عيسى المعدلة، وعلى مرور الزمن، أصبح هذا التشريع غير صالح، وخرج من الحياة تماما كما خرج التوراة والإنجيل من الحياة أيضا في تفسير الكون والإنسان، لذا فقد أصبحت الديانتان اليهودية والمسيحية ديانتين كنسيتين توجدان في المعابد فقط وخرجتا منا لحياة وبقي في الحياة منهما الفرقان فقط "الوصايا"، حيث أن الفرقان عبارة عن أخلاق وليس تشريعا ولا تفسيرا للكون والإنسان.

أما بالنسبة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فالوضع يجب أن يكون مختلفا تماما، حيث أن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل بالإضافة إلى أنه خاتم الأنبياء فكما أن نبوته جاءت بشكل متشابه لكي تصلح لكل زمان ومكان فيجب أن تكون لرسالته خاصية ما تميزها تماما عن الرسالات التي قبل وتجعلها صالحة لكل زمان ومكان، وهذه الخاصية ليست خاصية التشابه، حيث أن التشابه فقط لآيات القرآن والسبع المثاني. وهذه الخاصية ينطبق عليها قوله تعالى) :وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .(الأنبياء 107 (وقوله تعالى) :قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا... الآية) (الأعراف 158.(

إن مشكلة الأدبيات الإسلامية والفقه الإسلامي المتعلقة بالرسالة هي ألها إلى اليوم لم تميز هذه الخاصية لكي تستعملها بيسر وسهولة وتكون مقنعة لغير المسلم، قبل أن تكون مقنعة للمسلم نفسه بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى الناس جميعا وهو رحمة للعالمين وأن الرسالة صالحة لكل زمان ومكان.

إن إغفال هذه الخاصية جعل من التشريع الإسلامي تشريعا متزمتا متحجرا وحجب عنا فهم أسس الشريعة الإسلامية كما حجب عنا فهم السنة النبوية على حقيقتها حيث أن مفهوم السنة النبوية مرتبط بهذه الخاصية التي تتيح لنا وضع مفهوم عاصر متجدد دائما للشرع الإسلامي وللسنة النبوية، وبالتالي وضع أسس جديدة للتشريع الإسلامي.

فإذا أردنا أن نقسم الرسالة إلى مواضيع رئيسية رأيناها تتألف من:

- 1 الحدود.
- 2العبادات.
- 3الأخلاق "الوصايا."
- 4التعليمات التي تحمل الطابع التعليمي الخاص أو العام وليست تشريعات.
 - 5التعليمات التي تحمل طابع المرحلية.

هذه المواضيع كيف نفهمها ضمن منظور عام خاص بها حصرا يجعل من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم رسالة صالحة لكل زمان ومكان أي متجددة دائما؟

هذه الخاصية لا يمكن أن نفهمها إلا إذا فهمنا صفتين أساسيتين متميزتين من صفات الدين الإسلامي بشكل عام، وهما من المتناقضات حيث أن الحركة الجدلية بينهما هي حركة تناقضية تفرزها التناقضات الداخلية للحياة الإنسانية في مجال المعرفة وعلوم الاجتماع والاقتصاد والتي ينتج عنها دائما مجالات جديدة في التشريع كما ونوعا. هذان النقيضان هما الاستقامة والحنيفية حيث يكمن فيهما جدل التشريع وبالتالي تطوره وبدولهما يستحيل فهم الدين الإسلامي فهما معاصرا والاقتناع بصلاحيته لكل زمان ومكان.

فالاستقامة جاءت في قوله تعالى) :اهدنا الصراط المستقيم) .(الفاتحة 6 .(وقوله) :قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) .(الأنعام 161 .(وقوله) :وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) .(الأنعام 153 .(وقوله عن موسى وهارون) :وهديناهما الصراط المستقيم) .(الصافات 118.

أما الحنيفية فقد جاءت في قوله تعالى) :إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) .(الأنعام 161 (وقوله) :فأقم المشركين) .(الأنعام 161 (وقوله) :فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .(الروم 30 .(وقوله) :وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة) .(البينة 5 .(

لاحظ قوله تعالى هنا) : وذلك دين القيمة . (وقوله في سورة الروم) : ذلك الدين القيم . (وقوله) حنفاء لله غير مشركين به) . (الحج 31 . (وقوله) : ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا) . (النساء 125 . (وقوله) : وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين) . (يونس 105 . (وقوله) : إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) . (النحل 120 . (وقوله) : ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا) . (النحل 123 . (وقوله) : ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) . (آل عمران 67 . (وقوله) : قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا) . (آل عمران 59 . (وقوله) وتعنى في اللسان العربى الميل والانحراف، ويقال للذي ونبدأ بـ "حنيف" فنقول: اشتق "الحنيف" من "حنف" وتعنى في اللسان العربى الميل والانحراف، ويقال للذي

يمشي على ظهور قدميه "أحنف" والحنف اعوجاج في الرجل إلى الداخل. وبما أن الحنف والخنف والجنف تشترك في صوتين وتختلف في صوت واحد فلها معان مشتركة، فالحنف الميل والانحراف في الرجل، والحنف الميل والانحراف في اللفظ حيث أن جزءا من الأصوات يميل نحو الأنف، والجنف الانحراف والميل في القسمة كقوله تعالى): فمن خاف من موص جنفا) .(البقرة 182.(

أما المستقيم والاستقامة فقد اشتقت من الأصل "قوم" وله في اللسان العربي أصلان صحيحان: الأول جماعة من الناس للرجال فقط وهي جمع امرئ، والأصل الثاني الانتصاب أو العزم، ومن الانتصاب جاء المستقيم والاستقامة "ضد الانحراف" ومنا لعزم جاء الدين القيم أيا لدين القوي صاحب السيطرة، ومن هذا الباب جاء التقييم وأصله أنك تقيم شيئا مكان شيء. وبمعنى السيطرة والعزم جاء قوله تعالى) :الرجال قوامون على النساء) .(النساء 34 .(وقوله) :الله لا إله إلا هو الحي القيوم) .(البقرة 255 .(وجاء قوله تعالى لمعنى العزم والسيطرة في قوله) :قل إنني هداني ربي إلى صرط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين.(

)الأنعام 161 (هنا نلاحظ أن عزم الدين وقوته وسيطرته تأتي بهاتين الصفتين معا الاستقامة والحنيفية حيث جاءتا معا في آية واحدة وأن قوة الدين الإسلامي تكمن في استقامته وحنيفيته معاً.

قد يسأل سائل: كيف تكمن قوة الإسلام في هذين النقيضين؟

إن الجواب على هذا السؤال هو ما يلى:

يتولد من هذين النقيضين مئات الملايين من الاحتمالات في التشريع وفي السلوك الإنساني العادي بحيث تغطي كل مجالات الحياة الإنسانية في كل مكان وزمان إلى أن تقوم الساعة.

أما لفظة الحنيف بمعناها الطبيعي الكوني المباشر فنقول عنها: لقد جاءت في قوله تعالى) :إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) .(الأنعام 79 .(فهنا)حنيفا (حال والحال تصف الفعل وأول فعل قبلها هو فطر وقد شرحت معنى "فطر" في فصول سابقة ومنها جاءت الفطرة "القانون الطبيعي.''

أي أن طبيعة السموات والأرض والوجود المادي كله في هذا الكون الثنائي هي طبيعة حنيفية متغيرة، فمن ناحية الحركة لا يوجد حركة مستقيمة في هذا الوجود المادي ابتداء من أصغر الإلكترونات إلى أكبر المجرات كلها لها مسارات منحنية "مائلة" ولا يوجد فيها استقامة لذا وضع صفة الحنيفية صفة أساسية للوجود المادي قاطبة، فالدين الحنيف هو دين منسجم مع هذا الوجود، وصفة "الحنف" هي صفة طبيعية فطرية، فإذا حمل الإنسان هذه الصفة في فطرته فهي تنسجم مع وجوده في هذا الكون المادي لأنه في أي منحن يختلف ميل النقطة عن النقطة التي قبلها والتي بعدها.

وهذه الصفة هي صفة الميل والانحراف في التشريع وفي الطباع والعادات والتقاليد والتي نقول عنها صفة التغير

"المتغيرات". فإذا كان الأمر كذلك فيجب أن يكون هناك ثوابت يحتاجها الإنسان في حياته وتشكل علاقة جدلية مع المتغيرات، وهذه الثوابت لا تخضع للتحول "مستقيمة" بل تنسب إليها المتغيرات. فهنا ظهرت حاجة الإنسان إلى الله ليدله على هذه الثوابت والتي سماها "الصراط المستقيم."

حيث أن التحول والتغير موجود أصلا في طبيعته وهو قوي جدا في طبيعة الكون والمجتمعات، ولا يحتاج الإنسان لمن يدله عليه، ولكن يحتاج إلى من يدله على الثوابت لذا قال في سورة الفاتحة)اهدنا الصراط المستقيم .(ولا يوجد آية تقول اهدنا إلى الحنيفية لألها أصلا موجودة لذا قال عن الحنيفية) : فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) .(الروم 30 (ولكن أمرنا أن نكون حنفاء ولا يعني أبداً أن الصراط المستقيم "الثوابت "جاء ليلغي المتغيرات بل ليشكل علاقة جدلية معها، "الثنائية"، وهنا يكمن التفاعل الجدلي بين الثابت والمتحول "المستقيم والحنيف" في الدين الإسلامي. فإذا سأل سائل: إذا كانت الحنيفية "التغير" موجودة في طبيعة الوجود، فما هو الصراط المستقيم "الثوابت"؟

يجب علينا لنفهم هذا أن نرجع إلى الرياضيات (Mathematics)و خاصة ما يسمى التوابع المستمرة أو رياضيات نيوتن والتي ظهر فيها مفهوم التحليل الرياضي (Mathematical Analysis)ومفهوم النقاط المميزة ذات الطبيعة الخاصة بها.

إن التحليل الرياضي علم يربط علاقة تابع بمتحول أو متحولين أو أكثر. فإذا كان التابع هو ${f Y}$ والمتحول هو ${f X}$ فالتابع هو:

$$(Y = f(x))$$

وإذا كانا متحولين فالتابع هو:

$$(Y = f(x, z))$$

ولكن هذه العلاقة للتوابع المستمرة تأخذ أشكالا متعددة يمكن أن نحصرها فيما يلي:

- 1 تابع منحن "حنيف" له نهاية عظمى فقط ونقطة النهاية لها وضع مميز خاص بها بين كل نقاط المنحني، وجاء التعبير الرياضي لهذا التمييز بأن المشتق الأول يساوي الصفر. "انظر الشكل رقم 1". "انظر الأشكال في نهاية مبحث الحدود في التشريع."
 - 2تابع منحن "حنيف" له نهاية صغرى فقط. "انظر الشكل رقم 2."
 - 3تابع منحن "حنيف" له نهايتان عظمي وصغرى كالتوابع الموجيَّة. وهذا المنحني له نقطتان مميزتان هما

النهاية لعظمى والنهاية الصغرى حيث المشتق الأول يساوي الصفر في النهايتين ونقطة الانعطاف وهو تغير الميل من الأعظمي إلى الأصغري وبالعكس أي نقطة التوازن بين الأصغري والأعظمي وفيها المشتق الثاني يساوي الصفر. "انظر الشكل رقم 3."

- 4تابع مستقيم مواز للمحور × ليس له نهاية عظمى ولا نهاية صغرى أي كل نقاطه هي عظمى وصغرى معا. "انظر الشكل 4."
- 5تابع منحن له نهاية عظمى و صغرى ولكن بنمط مقارب أي التابع المنحني يقترب من المستقيم ولا يمسه إلا في اللانهاية. "انظر الشكل 5."
 - 6 حالة منحن فيه الحد الأعلى موجب والحد الأدنى سالب. "انظر الشكل 6."

هذه التوابع تصف ظواهر في الطبيعة، ونلاحظ في التوابع المنحنية أنا لنهايات العظمى والصغرى فيها يمر منها خط مستقيم مماس لها ولكن له خاصية أساسية هي ألها لا يمكن أن تتجاوزه إذا كانت النهاية عظمى ولا يمكن أن تتجاوزه أو تترل عنه إذا كانت النهاية صغرى ولا يمكن أن تتجاوزه أو تترل عنه إذا كانت له لهايتان عظمى وصغرى، وتصل إليه فيا للالهاية إذا كان خطا مقاربا ولا يمكن أن تخرج عنه إذا كان مستقيما.

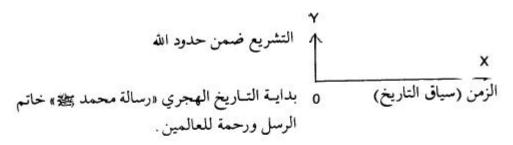
هنا نلاحظ أن التوابع منحنية بحد ذاتها ما عدا الحالة الرابعة حالة الخط المستقيم، ولكن بنفس الوقت لا تتجاوز أبدا المستقيمات المماسة للنهايات، وأن مجال تحقيقها وعملها هو مجال النهايات تحت النهاية العظمى وفوق النهاية الصغرى، أو بين النهايتين العظمى والصغرى هذه النهايات المتمثلة بمستقيمات تعطينا حدود تحقيق التابع المنحني ما عدا الحالة الرابعة وهي حالة المستقيم. وخارج هذه النهايات لا يتحقق التابع إذا فهمنا هذه الخاصية تحديدا فإننا نستطيع أن نفهم الإسلام بشقيه المستقيم والحنيف، فالحنيفية هي التابع الذي هو منحن أصلا والاستقامة هي حدود تحقيق هذا التابع المتمثلة بالنهايات، أما إذا أخذنا الحالة الرابعة وهي حالة المستقيم فقط فإننا نرى أن التابع ليس له حدود يتحقق فيها إلا المستقيم نفسه أي لا يوجد فيه ما للميل "الانحناء" أبدا "غير حنيف."

فإذا نظرنا إلى التشريع الإسلامي ووجدناه يحمل هذه الخاصية أي خاصيتي الانحناء والاستقامة معا فهذا يعني أنه صالح لكل زمان ومكان أي قابل للحركة في حدود النهايات وهذا لا يمكن أن يحصل إلا إذا كان التشريع الإسلامي والسلوك الإسلامي مبنيين على مبدأ النهايات أي الحدود المستقيمة والتي يمكن للحركة الحنيفية أن تتحقق ضمنها وقد أعطانا الله في أم الكتاب الحدود فقط أي المستقيمات التي يمكن أن نكون حنفاء ضمنها وسماها حدود الله وهي مع الفرقان تشكل الصراط المستقيم ونحن نحنف ضمن هذه الحدود المستقيمة. فإذا نظرنا الآن إلى بعض الآيات في أم الكتاب رأيناها تتصف بهذه الصفة أي صفة الحدود وقد أعطانا الله الحالات جميعها: الحد الأدبى فقط والحد الأعلى فقط، والحد الأدبى والحد الأعلى معا، وحالة المستقيم الذي هو حد أعلى وحد أدبى ولا يتغير، وحالة الخط المقارب الذي يقترب من النهاية "المستقيم "ويمسه في اللانهاية.

وحالة الحد الأعلى موجب والحد الأدبي سالب.

ولكن هنا الإحداثيات يجب أن تكون كما يلي: إحداثية (\mathbf{Y}) هي تطور التشريع ضمن الحدود وإحداثية (\times) هي الزمن أو سياق التاريخ.

ومبدأ الإحداثيات يمثل البعثة النبوية أو زمن تتريل الرسالة على محمد صلى الله عليه وسلم "الهجرة النبوية.''



فما علينا الآن إلا أن نميز آيات حدود الله وهي رأس السنام في التشريع والأخلاق والعبادات، علماً أن هناك فرعاً آخر في الرسالة وهو التعليمات والتي لها شق خاص بها، لذا فإن رسالة محمد على تتألف من:

٤ - تعليمات ليس لها علاقة بالتشريع أو بالعبادات أو بالأخلاق
 ونبدأ بالجزء الأهم في الرسالة وهو الحدود في التشريع.

فما علينا الآن إلا أن نميز آيات حدود الله وهي رأس السنام في التشريع والأخلاق والعبادات، علماً أن هناك فرعاً آخر في الرسالة وهو التعليمات والتي لها شق خاص بها، لذا فإن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تتألف من:

- - 1 الحدود في التشريع. الصراط المستقيم - - 2 الحدود في العبادات. - - 3 الأخلاق (الفرقان (

- 4تعليمات ليس لها علاقة بالتشريع أو بالعبادات أو بالأخلاق.

الفرع الأول: الحدود في التشريع والعبادات

أولاً: الحدود في التشريع:

لقد وردت الحالات المذكورة آنفا كلها في أم الكتاب أي حالة الحد الأعلى وحالة الحد الأدني وحالة الحدين

الأعلى والأدنى معا وحالة المستقيم فقط وحالة الحد الأعلى لخط مقارب دون المساس بالحد أبدا أي الاقتراب من الحد دون أن تمسه وحالة الحد الأعلى موجبا والحد الأدنى سالباً.

هذه هي الخطوط المستقيمة "الثوابت" والتي تعطينا مجال الحركة الحنيفية في التشريع "التغير."

- 1حالة الحد الأدنى:

أ - ورد الحد الأدبي من حدود الله في آيات المحارم وهي:

) -ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) .(النساء 22.(
) -حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعتنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأحتين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما) .(النساء 23.(

لقد وضع الله في هاتين الآيتين الحد الأدنى في تحريم النكاح وهذا الحد الأدبى هو الأقارب المذكورين في الآيتين (22)، (23من سورة النساء فلا يجوز بأي حال من الأحوال تجاوز هذا الحد نقصانا على أساس نه اجتهاد، ولكن يمكن الاجتهاد بزيادة العدد، فإذا بين علم الطب أن الزواج منا لأقارب كبنات العم والعمة والخال والخالة المباشرين له آثار سلبية على النسل وله آثار سلبية على توزيع الثروة، فيمكن أن يصدر تشريع يمنع زواجا من هذا النوع دون أن نكون تجاوزنا حدود الله.

هذا النوع من التشريع يحتاج إلى بينات مادية وإحصائيات قبل البت فيه، ولا يحتاج إلى قياس حالة على نص تراثي لأن ما فعله السلف قد يكون غير مفيد لنا أو قابلا للتغير حسب التطور المعرفي والاقتصادي والاحتماعي للمرحلة التاريخية التي نعيش فيها، وفي هذه الحالة نرى أن التشريع الإسلامي تشريع متجدد دائما وحنيفي "متغير" ولكن ضمن حدود الله. وهكذا نفهم لماذا يكون للمجتهد المخطئ أحر وللمجتهد المصيب أحران.

ب- كذلك ورد الحد الأدن للمحرمات في الأطعمة وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخترير في الآية رقم "3" من سورة المائدة) :حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخترير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلك فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في محمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم. (

هنا نرى كيف أعطى الحد الأدن للمحرمات في الأطعمة وبما أن المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إذا كانت على قيد الحياة وتم ذبحها فهي من لمحللات، وإذا لم تذبح وتركت فستهلك فتندمج تحت بند الميتة لذا أدمج محرمات الأطعمة في سورة الأنعام في قوله) :قل لا أحد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خترير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن

ربك غفور رحيم). (الأنعام 145)

وقد أكد تفصيل ما حرم علينا من الأطعمة بقوله) :وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين) .(الأنعام 119.

هنا نلاحظ أنه لم يغلق الحد الأدبى لمحرمات الأطعمة كما أغلقه لمحرمات النكاح حيث قال)فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم).(الأنعام 145. (أما بالنسبة لمحرمات النكاح فلا يوجد "فمن اضطر" ي هو حد مغلق تماما.

نلاحظ قوله تعالى) :اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا .(ورد في نفس آية الحد الأدبى من محرمات الأطعمة "المائدة 3". لذا نعتقد أن هذه الآية هي آخر آية حدودية وردت في الكتاب، أو آخر آية من آيات أم الكتاب "الرسالة" وليست آخر آية في الكتاب "المصحف."

كذلك الآية رقم 283 والآية 284 من سورة البقرة هما آيتا الحد الأدبي للمداينة.

كذلك ورد الحد الأدني للباس المرأة في الآية رقم 31 في سورة النور وسنشرحها في مبحث المرأة في الإسلام.

-2حالة الحد الأعلى: (نظرية العقوبات في السرقة والقتل:(

أ) - والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) .(المائدة 38 .(والنكال في اللسان العربي من الأصل "نكل" وتعني المنع ومنه جاء القيد ونكل به تنكيلا ونكالا: فعل به ما يمنعه من المعاودة.

في هذه الآية بين العقوبة القصوى للسارق وهي قطع اليد أي أنه لا يجوز أبدا أن تكون عقوبة السرقة أكثر من قطع اليد ولكن يمكن أن تكون عقوبة سرقة ما أقل من قطع اليد، فما على المجتهدين إلا أن يحددوا حسب ظروفهم الموضوعية ما هي السرقة التي تستوجب العقوبة القصوى، وما هي السرقات التي لا تستوجب العقوبة القصوى، وما هي عقوبة كل سرقة. هنا نلاحظ مرة أخرى أن الاجتهاد فتح على مصراعيه ونلاحظ حنيفية الإسلام في الاجتهاد، وعلى المجتهدين أن يضعوا —كل في بلده وحسب زمانه - مواصفات السرقة ذات العقوبة القصوى وهي قطع اليد.

هنا قد يقول قائل: إنه هناك حالات تعتبر في ظاهرها سرقة عادية ولكن عقوبة قطع اليد تعتبر غير كافية كأن يسرق إنسان ما أسرار بلده ويبيعها إلى دولة أجنبية أو يسرق أموال الناس عن طريق الابتزاز أو عن طريق شركات ومشاريع وهمية، أو يسرق موال الدولة ويساهم في تخريب الاقتصاد الوطني أو تخريب البنية السليمة للدولة في وضع الرجل المناسب في المكان غير المناسب أو ترويج المخدرات أو تخريب المنشآت من مباني وحسور وسدود ومحطات توليد الطاقة الخ... فهل تكفي عقوبة قطع اليد بالنسبة لهذه الجرائم؟

من أجل حالات كهذه جاءت الآية رقم 33 من سورة المائدة وهي)إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم حزي في

الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم .(تلاحظ في هذه الآي عقوبات حدية لذا وضع فيها عدة حيارات للاجتهاد وكلها عقوبات تفوق عقوبة قطع اليد وهذه الخيارات هي)الإعدام، قطع اليد والرجل من خلاف، السجن المؤبد (وعلى مجالس التشريع تحديد الحالات التي تنطبق عليها كل من هذه العقوبات سلفا وفقا للظروف الموضوعية .

وبما أن هذه الأحكام تعتبر عقوبات قصوى فقد فتح باب التوبة والعفو لهؤلاء الناس في الآية)إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) .(المائدة 34 (وقد وضع للتوبة والعفو شرطا أساسيا وهو)من قبل أن تقدروا عليهم (أي حتى يحصل مرتكب هذه الجرائم على العفو فعليه أن يتوب ويعترف من قبل أن يعتقل أو يكشف أمره ففي هذه الحالة يصبح العفو حكما مرجحا.

ب) - ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا) .(الإسراء 33(

)يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم .()البقرة 178.(

هنا بينا لعقوبة القصوى للقتل بغير حق وهي الإعدام لذا قال) :فلا يسرف في القتل(، أي أنه لا يجوز أن تكون العقوبة القصوى للقاتل ظلما وعدوانا هي قتله هو وأهله، فهنا يجب على المجتهدين توصيف حريمة القتل التي تستحق العقوبة القصوى وهي الإعدام والتي تسمى حريمة قتل مع سابق الإصرار والترصد، ولكن هناك حرائم قتل يمكن أن ترتكب ولا يعاقب عليها بالإعدام مثل القتل غير المتعمد والقتل دفاعا عن النفس... وهكذا دواليك. وهناك أيضا عفو أهل القتيل لذا قال) :فمن عفي له من أحيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان) .(البقرة 178 .(هنا بين كيف فتح الإسلام باب الاجتهاد في نظرية العقوبات في القتل إلى يوم الدين، أما في حالة قتل الخطأ فقد وضع الحد الأدن لعقوبة قتل الخطأ وهي:

)وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطئا ومن قتل مؤمنا خطئا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أ÷ليه إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية يصدقوا فإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما .() النساء 92.(

هنا وضع الحد الأدنى في قوله) :فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين .(ووضع الحد الأدنى وهو تحرير رقبة لأنه يمكن أن يطلب تحرير أكثر من رقبة.

ملاحظة هامة جدا:

نود الإشارة إلى مسألة هامة حدا قبل التطرق إلى موضوع الإرث كما هو مشروح هنا في كتاب (الكتاب و

القرآن), و هو أن الدكتور محمد شحرور قد أعاد النظر بقراءته الأولى لهذا الموضوع (المعروضة أدناه) والتي تتعلق بآيات الميراث و الوصية على نحو يختلف عما هو مشروح هنا و قد قام في كتابه الأخير (نحو أصول حديدة للفقه الإسلامي - فقه المرأة) بتخصيص فصل كامل لهذا الموضوع نوصي بمراجعته للمهتمين.

- 3حالة الحد الأدبى والحد الأعلى معاً:

أ) - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما) .(النساء 11.(

)ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم من بعد وصية بها أو دين ولهن الربع مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم .()النساء 12.(

) تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تحري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم. ()النساء 13.(

)ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) .(النساء 14. (
نلاحظ هنا في الآية قوله) :تلك حدود الله .(وقوله) :ويتعد حدوده .(فالحركة هنا مسموحة ضمن حدود الله فهذا يعني وجود أكثر من حدين حيث جاءت بصيغة الجمع والتعدي هنا هو الحركة في اتجاه الحد حتى نصل إليه، فإذا تجاوزناه حصلت حالة التعدي ولا يعني التعدي هو الوقوف على الحد فقط بحيث تمنع الحركة بأي اتجاه. فلاحظ من قوله تعالى) :ويتعد حدوده .(أنا لهاء في حدوده تعود على الله فقط، علما بأن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ذكرا قبلها مباشرة في قوله تعالى) :ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده .(هنا نستنتج استنتاجا قاطعا بأن صاحب الحق الوحيد في وضع حدود تشريعية دائمة إلى أن تقوم الساعة هو الله وحده فقط، و لم يعط هذا الحق للنبي صلى الله عليه وسلم، ولو عطاه الله هذا الحق لقال "ويتعد حدودهما" أي أن كل تشريع حدي أو حدودي ورد من قبل النبي صلى الله عليه وسلم فهو مرحلي وغير ساري المفعول إلى أن تقوم الساعة. وهنا تكمن عظمة السنة النبوية والأسوة الحسنة للرسول صلى الله عليه وسلم بالاحتهاد ضمن حدود الله أو في وضع حدود مرحلية ظرفية تتعلق بالشروط التاريخية في شبه جزيرة العرب.

لنر الآن ما هي هذه الحدود في آية الإرث: الحدود هي:

الحد الأعلى للذكر والحد الأدني للأنثي بمعنى أنه مهما بلغ التفاوت في تحمل الأعباء الاقتصادية للأسرة أي أن

الرجل مسؤول مسؤولية كاملة والمرأة لا تتحمل أية مسؤولية بمعنى المسؤولية الاقتصادية 100% على الرجل وصفر على المرأة، ففي هذه الحالة حاءت حدود الله لتعطينا أن يأخذ الذكر ضعف الأنثى فهنا أعطى الحد الأدنى للأنثى 33.3%) والحد الأعلى للذكر 66.6%. فإذا أعطينا الذكر 75% والأنثى 25% نكون قد تجاوزنا حدود الله بل بقينا ضمنها . حدود الله أما إذا أعطينا الذكر 60% والأنثى 40% فلا نكون قد تجاوزنا حدود الله بل بقينا ضمنها . وبما أن الله أعطانا الحد الأعلى للذكر والحد الأدبى للأنثى فيأتي دور الاجتهاد حسب الظروف الموضوعية التاريخية بتقريب الفرق بينهما، وهذا التقريب مسموح حتى التساوي الكامل فيما بينهما طبقا للحالات الإرثية المنفردة كل على حدة أو طبقا للوضع التاريخي التطوري العام أو طبقا للاثنين معاً، وهذا التقريب بينهما مجتاج إلى بينات مادية إحصائية، لا إلى عواطف حياشة مع المرأة أو مع الرجل. وهنا تظهر مرة أخرى استقامة الإسلام في الحدود وحنيفيته في الحركة بين الحدود، وأن الاجتهاد في الإسلام ضمن حدود الله يعتمد على البينات المادية الإحصائية آخذا بعين الاعتبار مصلحة المجتمع والتيسير على الناس، لا على العواطف ولا على قال فلان، أي أن الفقه الإسلامي لا يقوم أبدا على مطابقة حالة راهة على نص قيل منذ مئات السنين، ففي هذه الحالة يفقد الإسلام طابعه الحنيفي.

فإذا سأل سائل: كيف عرفت أن 33.3% هي الحد الأدنى للانثى و66.6% هي الحد الأعلى للذكر وأن الخركة الحنيفية هي ضمن هذين الحدين ي التقريب بينهما لا التبعيد؟ الجواب هنا يأتي من أهل الأرض "الناس" لقوله) : فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لحلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . (الروم 30. (ولو استفتينا مليار إناسن من أ ل الأرض لهم علاقة بالإسلام ويعرفون آية الإرث، ومليار إنسان لا يعرفون عن قواعد الإرث الإسلامي شيئا عن الحركة هل تكون باتجاه التقريب أو التبعيد؟ لجاء الجواب منهم جميعا: الحركة باتجاه التقريب وكذلك في الطبيعة)لا تبديل لحلق الله . (فإن التوابع ذات النهايات العظمى والصغرى معا تتحقق ضمن هذه النهايات لا خارجها.

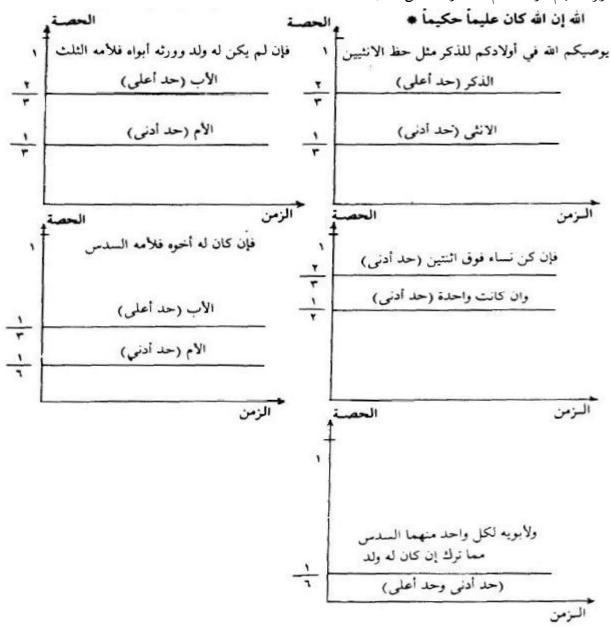
وبما أنه قال "حدود" فقوله تعالى) :فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك .(هنا أعطى حالة وجود إناث فقط في الإرث وافترض أن الإناث لا يتحملن أية تبعة اقتصادية، ففي هذه الحالة لا يجوز أن يأخذن أقل من ثلثي التركة، هنا نلاحظ كيف جاء الحد مرة أخرى:

)وإن كانت واحدة فلها النصف . (هنا أيضا الحد الأدني لميراث الأنثى إن كانت وحيدة الوالدين.

ب - كذلك وردت حالة الحد الأدن والحد الأعلى معا في الآية رقم "3" في سورة النساء حيث وضع فيها الحد الأدن والحد الأعلى من حيث تعدد الزوجات في قوله تعالى) :وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا .() النساء 3 .(انظر شرح هذه الآية الحدودية في الأشكال التالية:

الآية رقم (11 * (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد

وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بما أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيماً*



الآية رقم (1 * (ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أحت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم*



الآية (176 * (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم*



- 4حالة الحد الأدنى والحد الأعلى معا على نقطة واحدة أي حالة المستقيم أو حالة التشريع العينى:

هذه الحالة جاءت في حد الزنا فقط حيث وضع الجد الأعلى والأدبى معا في نقطة واحدة وهو مئة جلدة في قوله تعالى) :الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) .(النور 2 .(لاحظ كيف نوه بأن هذا هو الحد الأعلى والأدبى معا في قوله) :ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله .(هنا أكد بأنه لا يجوز التخفيف لتبيان أن هذا الحد هو الأدبى أيضا. علما بأنه لم يذكر موضوع الرأفة في قطع اليد للسارق لن قطع اليد هو الحد الأعلى فقط ومجال الرأفة والتخفيف مفتوح بل ذكر العكس تماما في قوله) :نكالا من الله .(لتبيان أن هذا الحد فيه تنكيل من الله فلا يجوز تجاوزه ولا يطبق إلا في حالات العقوبة القصوى للسرقة فقط.

فإذا كان حد الزنا هو نقطة لا مجال للزيادة والنقصان فيه ففي هذه الحالة تصبح المشكلة هي كيف يقام هذا الحد أي ما هي الشروط الظرفية التي يطبق فيها هذا الحد؟

بما أن الله سبحانه وتعالى ثبت حد الزنا فلم يترك الشروط الظرفية لإقامة الحد لاجتهاد الناس بل أعطانا الشروط

الظرفية أيضا وهي "أربعة شهداء "و"الملاعنة" بالنسبة للرجل وزوجه. ووضع أيضا عقوبة من يرمي الآخر بالزنا بدون تحقيق هذه الشروط وذلك من الآية 3 إلى الآية 10 في سورة النور.

وقد سمى الآيات التي بين فيها الشروط الظرفية لحد الزنا بالآيات المبينات حيث لم تأت الآيات المبينات إلا في موضوع الزنا.

ونرى أن حد الزنا هو الحد الوحيد الذين بين الله تعالى فيه الشروط الظرفية لإقامة الحد لكونه حدا أدبى وأعلى معا في نقطة واحدة.

أما في بقية الحدود كالسرقة فلم يبين فيها الشروط الظرفية لأنها إما أعلى أو أدنى، أو أعلى وأدنى ضمن محال بينهما لا على نقطة واحدة.

- 5حالة الحد الأعلى بخط مقارب لمستقيم أي يقترب ولا يمس:

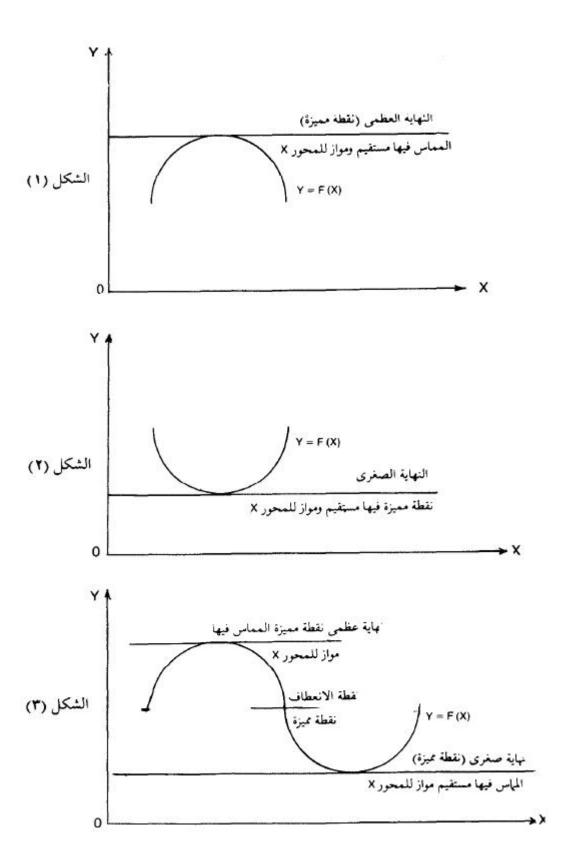
وهي حالة علاقة الرجل بالمرأة من ناحية الجنس، وتبدأ هذه العلاقة بحدودها الدنيا، وهي عدم ملامسة الرجل للمرأة بتاتا وتنتهي بخط مستقيم يقارب الزنا، فإذا اقترب الإنسان من الزنا و لم يزن، فإنه لم يقع في حدود الله، حيث أن الزنا هو من حدود الله التي يجب أن لا يقف عليها الإنسان أي لا يمسها مهما اقترب منها بينما في حد نكاح المحارم يمكن أن تقف على الحد، وفي حد القتل يمكن الوقوف على الحد، أما في حد الزنا فلا يمكن الوقوف عليه، فالوقوف عليه يعني أنه وقع فيه. وبما أن حد الزنا هو من حدود الله في خط مستقيم مقارب وتتسارع كلما اقترب منها الإنسان.

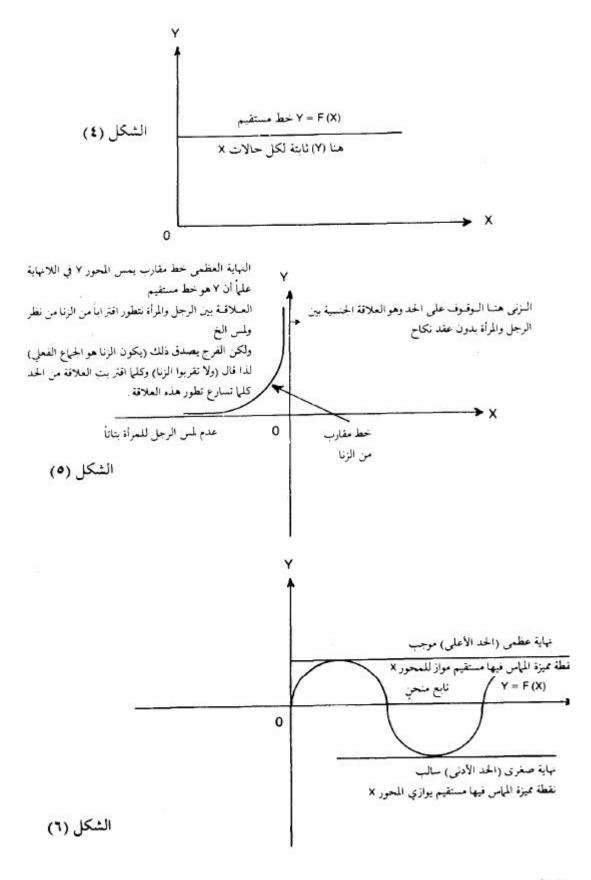
وهذا يطابق الحقيقة تماما في علاقة الرجل بالمرأة، لذا جاءت العقوبة عليه في خط مستقيم، حد أعلى وحد أدنى معا لذا قال) :ولا تقربوا الزين) .(الإسراء 32) .(ولا تقربوا الفواحش) .(الأنعام 151.(هنا نلاحظ أن الحالة الرابعة وهي عقوبة الزنا منسجمة تماما مع الحالة الخامسة وهي حد الله في علاقة الرجل بالمرأة وهي الزنا "العلاقة الجنسية المباشرة دون عقد نكاح."

- 6-الة: الحد الأعلى موجب مغلق لا يجوز تجاوزه، والحد الأدبى سالب يجوز تجاوزه:

وهي العلاقة المالية بين الناس، وهذان الحدان يمثلان الربا كحد أعلى موجب والزكاة كحد أدني سالب، وهذا الحد يمكن تجاوزه بالصدقات وبما أن هناك موجبا وسالبا فهناك حالة الصفر بينهما. أي هذه الحالة تشمل الربا "الموجب "والقرض الحسن "الصفر" والزكاة والصدقات "السالب."

يفهم من هذا أن هناك ثلاث حالات لإعطاء المال يمكن للإنسان أن يحنف بينها حسب الظروف الموضوعية التي يعيشها وحسب وضع الإنسان الذي يأخذ المال. هذه الحالة هي الربا والصدقات.





لقد قلنا إن موضوع الربا هو من حدود الله، الحالة رقم (6)، الحد الأعلى الموجب والصفر والحد الأدني السالب. لذا فلا يمكن فصل موضوع الربا عن موضوع الزكاة والصدقات.

إن لفظة الربا في اللسان العربي من الأصل "رب و-ربء" "الراء والباء والحرف المعتل وكذلك المهموز منه" ولها أصل واحد وهو الزيادة والنماء والعلو، تقول ربا الشيء يربو إذا زاد، وربا الرابية يربوها إذا علاها، والربوة المكان المرتفع.

لقد ورد الربا في الكتاب في الآيات التالية:

-) -الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .(البقرة 275.(
 -) -يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم). (البقرة 276).
 -) -يا أيها الذي آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين). (البقرة 278.(
 -) -فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون). (البقرة).279
 -) -وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) .(البقرة 280.(
 -) يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون). (آل عمران 130)
 -) -واتقوا النار التي أعدت للكافرين) .(آل عمران 131)
 -) -وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) .(آل عمران 132)
-) -وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما). (النساء 161.
 -) -وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) .(الروم 39.(

نلاحظ في هذه الآيات ما يلي:

- أ ربط الربا بالصدقات بقوله) يمحق الله الربا ويربي الصدقات) .(البقرة 276)
- ب ربط الربا بالزكاة بقوله) :وما آتيتم من ربا... وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) .(الروم 39.(
 - ت وضع حد أعلى للفائدة "الربا" بقوله) : لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) .(آل عمرا 130.(
- ج وضع حد الصفر بقوله) : وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) .(البقرة 279. (حكم حاء في تفسير ابن كثير) ج 1 الص 592 (عند الكلام عن آية الكلالة، النساء 176: ما يلي: "وقد أشكل حكم

الكلالة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: ثلاث وددت أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد إلينا فيهن عهدا ننتهي إليه –الجد والكلالة وباب من أبواب الربا." إن الربا إذا هو أمر غير مقطوع فيه، وقد أشكل حتى على أمير المؤمنين عمر .

الآن إذا أردنا أن نربط مفهوم الربا بالزكاة والصدقات فما علينا إلا أن نعرف الزكاة والصدقات.

الزكاة والصدقات: هي مبلغ من المال نقدي أو عطاء عيني يعطى من شخص لآخر دون أي مقابل أو التزام من الذي أخذ تجاه الذي أعطى، والفرق بين الزكاة والصدقات، أن الزكاة هي الحد الأدنى للهبة أي الحد الأدنى للصدقات وهي من فرائض الإسلام. لذا فعندما أورد المستفيدين من الزكاة قال) :إنما الصدقات .(حيث أن الزكاة هي من ضمن الصدقات، والصدقات هو المصطلح الأعم. هنا نرى أنا لحد الأدنى للعطاء السالب هو الزكاة وهو فرض، وهذا الحد الأحنى مفتوح بالصدقات وبما أن الأمر كذلك فقد وجهنا الله نفسه إلى الزمر من الناس التي يجب أن تعطى لهم الصدقات، أي أن هذا الحد مفتوح في الكم وفيه توجه في الكيف لذا قال) :إنما الصدقات للفقراء والمساكين...الآية) .(التوبة 60.(

وبما أن سورة التوبة لا تحوي حدودا فهذا يعني ألها مفتوحة للاجتهاد في الزيادة أو النقصان وقد اجتهد عمر بحيث ألغى الصدقات على المؤلفة قلوبهم بعد أن أعز الله الإسلام ونصره. حيث أن هذه الآية ليست من آيات الحدود. وقد عرفنا في مبحث الزكاة الفقير والمسكين، وقلنا إن الفقير هو الإنسان الذي لا يستطيع سداد أي قرض ضمن الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة فلهؤلاء الناس جاءت الآية) يمحق الله الربا ويربي الصدقات . (أي أن هؤلاء الناس لا يستطيعون سداد أي قرض أصلا فالمال الذي يعطى لهم هو ليس بقرض أصلا وإنما هو هبة وأجرها عند الله.

وجاءت الآية أيضا التي ربطت الربا بالزكاة) :وما آتيتم من ربا .(إلى قوله) :وما آتيتم من زكاة .(وعند إعطاء مال لهؤلاء الناس على أساس قرض مع فائدة فتنطبق عليه الآية 275 من سورة البقرة) :لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس .(وجاءت الآية 278 من نفس السورة) :ذروا ما بقي من الربا .(والآية 279)فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله .(هذه هي الحالة الأولى من حالات العطاء.

أما الحالة الثانية فهي للناس الذين يستطيعون سداد القرض ولكن دون أية فائدة أي حالة الصفر أو ما يسمى بالقرض الحسن وفي هذه الحالة جاءت الآية 279من سورة البقرة) :وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون .(وهذه الحالة أيضا هي الحد الأعلى في معاملة أصحاب الصدقات، لذا فضل الهبة وقال) :وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) .(البقرة 280.(

الآن إذا أخذنا بقية الحالات وهم الناس الذين لا تنطبق عليهم آية الصدقات، ابتداء من الهبة بدون مقابل وحتى القرض الحسن كأعلى حد وعمليا هؤلاء الناس هم أهل الفعاليات التجارية والصناعية والزراعية والذين هم عصب الاقتصاد مثل شركات النفط والسيارات والتعدين وكل حقول الصناعة والزراعة والتجارة والخامات، فما حكم هؤلاء وهم ليسوا من أهل الصدقات؟ من أجل هؤلاء جاءت الحالة الثالثة وهي الحد الأعلى في الفائدة وهو مغلق تماما وهذا الحد الأعلى جاء في قوله تعالى) :يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم

تفلحون). (آل عمران 130).

أي أن الله وضع سقفا للفائدة من أجل الناس الذين لا يستحقون الصدقات وليسوا بحاجة إليها، وهؤلاء يشكلون شريحة كبيرة في المجتمع وهم الصناعيون والحرفيون والمزارعون والتجار... وهكذا دواليك.

هذه الفائدة هي ضعف مبلغ الدين ولا يمكن أن تزيد عن ذلك ي أن أساس النظام المصرفي الإسلامي هو ما يلي:

- 1لا يعطى مستحقو الزكاة والصدقات قروضا، بل هبات دون مقابل.
- 2 يمكن في حالات معينة إعطاء قرض دون فائدة وهي معاملة الحد الأعلى لأصحاب الصدقات.
- 3لا يوجد في النظام المصرفي الإسلامي قرض مفتوح الأجل قد تبلغ الفوائد فيه أكثر من ضعف المبلغ، لذا فإن أجل القرض في المصارف الإسلامية كحد أعلى هو حتى تبلغ الفائدة ضعف المبلغ، ففي هذه الحالة يجب أن يكون المبلغ مسددا، وفي الحالات التي تبلغ فيها الفائدة أكثر من ضعف المبلغ الأصلي فيحق للمدين الامتناع عن دفع ما زاد عن الضعف.

هذه هي أسس النظام المصرفي الإسلامي، حيث أن المصارف هي عصب الاقتصاد الحديث من تجارة وصناعة وزراعة. ففي حالة تقيد المصارف بهذه القاعدة فلا مانع أن يضع المسلم ماله في هذه المصارف لكي تديره ويأخذ عليه الفوائد.

وفي هذه الحالة تكون الدولة المسلمة هي صاحبة الحق الوحيد في تحديد نسبة الفائدة السنوية طبقا للوضع الاقتصادي السائد، والمصارف فقط هي صاحبة الحق الوحيد في إعطاء القروض بفوائد وتطبيق أقصى العقوبات على الذي يقرض بفائدة من غير المصارف.

هنا نناقش وضع النظام المصرفي الإسلامي بالنسبة لاقتصاد معافى سليم ضمن نسب تضخم مقبولة طبقا للأوضاع السائدة. أما إذا كانت في الاقتصاد نسبة تضخم نقدي عالية، ففي هذه الحالة لا تحل المصارف مشكلته وإنما تحل المشكلة بحلول حذرية أخرى.

وكذلك البيع بالتقسيط "إلى أحل" يمكن أن نتجه فيه بنفس الاتجاه أي يجب أن لا يتجاوز المبلغ المقسط ضعف السعر النقدي.

ومع هذا وذاك فإننا نقدم احتهادا ونترك لذوي الاختصاص من الاقتصاديين والمصرفيين والتجاريين المسلمين أن يضعوا تفصيلات لذلك بشرط أن لا يتجاوزوا حدود الله.

مخطط الحد الأدنى السالب والحد الأعلى الموجب في الربا 4 -



نستنتج من هذا البحث ما يلي:

^{- 1}إن الإسلام مستقيم في الحدود والوصايا "الفرقان". وحنيف ضمن الحدود فهو يحمل صفة الثابت في الحدود "الاستقامة" والتحول "الحنيف" ضمن الحدود لذا قال) : مخلصين له الدين حنفاء. (

- 2 لقد أعطى الله سبحانه وتعالى تشريعات عينية لموسى وعيسى في الكتاب وذلك لتتناسب مع الظروف التي عاشوها هم، لذا سميت تشريعات موسى وعيسى "الكتاب" وهذه التشريعات لم تحمل الصيغة العالمية وإنما حملت الطابع الزماني المكاني، أي أنها لم تكن مبنية على نظرية الحدود لذا تم تجاوزها وتم فصل الشريعة عن الدولة بالنسبة للمسيحية واليهودية وهذا عين الصواب.
- 3لقد سميت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بأم الكتاب لأنها حنيفية على نظرية الحدود لذا فهي تحمل الصيغة الكونية، ويمكن استنتاج ملايين الأحكام العينية من خلالها، ومن الصعب تجاوزها إلا على الجاهل، وكلما زاد الإنسان تحضرا وتقدما زاد فهمه لحدود الله وقناعته بها. وإننا نرى معظم أهل الأرض ملتزمين بحدود الله في معظم تشريعاتهم وخاصة المتحضرين منهم.

لذا وصف الأعراب وهم أقل تحضرا من أهل المدن بأنهم) :وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ()التوبة 97 .(هنا نلاحظ كيف بين أن حدود الله هي الرسالة وأن أم الكتاب هي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك يتبين لنا لماذا سمى مجمل الرسالة والنبوة "بالكتاب" لأن الكتاب آياته عينية من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

إن الفرق بين الصحابة ساكني المدينة ومكة وبين الأعراب في فهم حدود ما أنزل الله هو أن الصحابة أكثر تحضرا من الأعراب. ولنا أن نذكر فرق التحضر بين الصحابة وبيننا بسبب العنصر الزمني، وهو فرق أكبر بكثير من ذلك الفرق .لذا فنحن مؤهلون الآن لفهم حدود ما أنزل الله على رسوله أكثر بكثير من أهل القرن السابع الميلادي.

- 4إن مصطلح "الشريعة الإسلامية" هو مصطلح خاطئ في الأصل ووهمي، فلا يوجد شيء اسمه الشريعة الإسلامية والقانون المدني حيث أن الإسلام مبني على الحدود فقط وهو دين مدني بحت. ومن هذا المنطلق نرى أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم صالحة لكل زمان ومكان) :يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) .(الأعراف 158 .(ونفهم لماذا كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل بالإضافة إلى شرحنا بأنه خاتم الأنبياء بالقرآن وأن رسالته حرمة للعالمين.
- 5إن أكبر خطأ ارتكب في الفقه الإسلامي هو نزع الصفة الحنيفية منه وذلك بوضع المبدأ التالي: "لا مساغ للاجتهاد فيما ورد فيه نص صريح قطعي "والصحيح أن أساس التشريع الإسلامي هو الاجتهاد ضمن محالات الحدود "دنيا أو عليا أو الاثنين معا" ويقف الاجتهاد عند النص الذي وردت فيه الحدود، لا على النص الذي وردت فيه الحدود وضمن محال الحدود. إن اجتهد الإنسان وأخطأ فله أجر واحد وإن اجتهد وأصاب فله أجران. ومن هذا يتبين لنا أن المذاهب الفقهية جميعها هي من التراث وكذلك يتوضح لنا قول النبي صلى الله عليه وسلم إن صح "الحلال بين والحرام بين" و لم يقل "الحق بين والباطل بين."
- 6هنا يتوضح لنا مفهوم السنة تماما وذلك بأن محمدا صلى الله عليه وسلم اجتهد وتحرك ضمن نص الحدود بما يتلاءم مع ظروف شبه جزيرة العرب في القرن السابع. وبهذا كان لنا الأسوة الحسنة. ولا يعني أبدا أنه إذا طبق النبي صلى الله عليه وسلم في موقف منا لمواقف الحد الأدنى أو الحد الأعلى فعلينا أن نلتزم هذا الموقف وأن نستمر

- عليه إلى أن تقوم الساعة تحت شعار السنة، لأن هذا الموقف ليس له علاقة بالسنة، لذا فإن مبدأ القياس الذي وضعه الفقه الإسلامي الموروث هو مبدأ خاطئ، فلا يمكن قياس الشاهد على الغائب، أما التشريع فهو تشريع مبني على البينات المادية الموجودة كدليل ثم الالتزام بحدود الله.
- 7. ما أن الحدود سميت حدود الله فهذا يعني أن الذي يضع حدود الله هو الله نفسه فلا يمكن لأي إنسان أن يضع حدودا بنفسه ويقول عنها حدود الله .لذا قال) : فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) .(البقرة 79 .(فكل شيء قاله النبي صلى الله عليه وسلم في السماح أو المنع و لم يرد ذكره أبدا ضمن حدود الله في الكتاب أو في الكتاب أصلا، هو إحراء مرحلي اتخذه الني طبقا للظروف التي عاشها مثال "رجم الزاني المحصن" أو تحريم التصوير .أما شروحات النبي صلى الله عليه وسلم في الحدود التي وردت في الكتاب فهي ملزمة، كفتح الله الصدقات وضع النبي حدا أدن لها وهو 2.5% فهو ملزم ولا يمكن الترول عنه بل يمكن تجاوزه زيادة وهو ما يسمى بالطاعة المتصلة لله ورسوله.
 - 8إن اجتهاد عمر بن الخطاب في عام الرمادة بعدم قطع يد السارق لا يعني أنه عطل حد السرقة، وإنما كان عمر بن الخطاب فاهما لحدود الله، أي أن قطع اليد هو العقوبة القصوى للسارق لذا كان موقفه هو عدم تطبيق العقوبة القصوى وهو في هذا لم يعطل حدود الله إطلاقا، وإنما اجتهد ضمن حدود الله ووقف على الحد الأدن وهو العفو.
 - وألغى عمر بن الخطاب تطبيق آية توزيع الغنائم على المقاتلين لأنه كان يعلم أنها ليست من آيات الحدود.
- 9عندما تضع الدولة قانونا، فإن الدولة نفسها تتكفل بحمايته وتطبيقه مثل قانون السير والجمارك...الخ، وبما أن حدود الله هي من عنده وهو الذي وضعها فإن عقوبة تجاوزها تقع على الله لذا حذرنا الله سبحانه وتعالى من تجاوز حدوده وتعديها وقال إنه هناك جنة وهناك الأجر والأجران في الالتزام ضمن حدود الله. وهناك النار في الخروج عنها وتعديها. وكذلك نبهنا أنه عندما يتجاوز الناس حدود الله فإلهم يظلمون أنفسهم) :ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) .(البقرة 229.(
- 10 إن العقوبة في الإسلام تجب الذنب، فعندما يقتل القاتل العمد أو يسجن القاتل عن غير قصد ففي هذه الحالة "يمحى ذنبه" لذا قال) :ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) .(البقرة 179 .(أما إذا تم تجاوز حدود الله وتم الإفلات من العقوبة الدنيوية كأن يقتل الإنسان إنسانا آخر عن عمد و لم يعترف ويسلم نفسه ليحاكم وأفلت من العقوبة، أي تم تسجيل الجريمة ضد مجهول، ففي هذه الحالة فقط يكون الله له بالمرصاد ويأخذ عقوبته من الله وفي هذا قال تعالى عن القاتل العمد الذي يفلت من العقوبة الدنيوية) :ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم حالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) (النساء 93.(
 - 11في الحالات التي لم يرد فيها حدود نهائيا والتي سماها الفقهاء المصالح المرسلة مثل قانون السير وقانون الجمارك...الخ. لا تحتاج هذه الحالات إلى حدود من الله، ولو احتاجت لوضع لها حدودا لأنه في الإسلام التشريعي الحدود لله والتشريع للإنسان وحدود الإنسان تعتمد على نظرية "الأعراف". وهناك تشريع إنساني

حنيف "متغير ضمن حدود الله في حالات الحدود بما تمليه مصالح المجتمع آخذا بعين الاعتبار اليسر لا العسر" وتشريع بدون حدود أيضا بما تمليه مصالح الناس والمجتمع ضمن السياق التاريخي لتطور المجتمعات الإنسانية من حيث المعرفة والعلاقات الاقتصادية.

فلم يحدد الله سبحانه وتعالى لنا حدود الضرائب، فالحد الأدنى هو الصفر "الإعفاء" والحد الأعلى يمليه التطور الاقتصادي والاجتماعي والوضع الطبقي "ضريبة الدخل التصاعدية" حث أن الحد الأعلى متغير دائما وغير ثابت. والحد الأعلى يستنتجه المشرع من مصلحة المجتمع ككل. وهكذا فقط نفهم ما يقال عنه المصالح المرسلة حيث يضع حدوده المجتمع نفسه.

- 12إن حدود الله بشكل عام مغلقة ولا يسمح بتجاوزها، وتجاوز الحدود المغلقة فيه نار جهنم وعقوبة من الله تعالى مثل حدود الإرث وحدود السرقة والقتل ونكاح المحارم. ولكن هناك بعض الحدود وضع الله نسه لها حالات بحاوزها "أي أعطى جواز سفر لاجتيازها" مثل أكل الميتة والدم ولحم الخترير حيث قال) :فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم) .(الأنعام 145 .(وكذلك الحد الأدبي لعبادة الصوم هي صوم رمضان فوضع هو نفسه حالة التجاوز بقوله) :ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أحر) .(البقرة 185.(وكذلك الحد الأدبي للباس المرأة الوارد في الآية 31 في سورة النور وضع له تجاوزا في الحالات التي وردت في نفس الآية، وقد وضع التوبة في حالات التجاوز غير المسموحة بقوله) :وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) (النور 31.(

- 13 عكن الاستفادة حدا من تشريعات الحد الأعلى والحد الأدنى وذلك بتطبيقها على حالات مماثل في المجتمع. فمثلا يمكن أن نقول إنه في الدولة العربية الإسلامية يجب ألا يقل الحد الأدنى للرواتب والأحور عن نصف الحد الأعلى للرواتب والأمور. وكذلك بالنسبة للمكافآت والعطاءات التي تمنحها الدولة أو المؤسسات للناس وكذلك بالنسبة للشريحة العليا من ضريبة الدخل بحيث تبدأ الضريبة من الصفر الإعفاء "الحد الأدنى" وتنتهي عند نسبة 66.6 %من الأرباح "الحد الأعلى."

- 14 يجب أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى لا ينتظر من الناس السؤال حول وضع الحدود ليضعها لهم. فحدود الله أوحيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغض النظر عن المسألة، كما أن حدود الله في أم الكتاب لا يوجد فيها ناسخ ومنسوخ، وتجاوزها يعرض صاحبها للعقوبة الإلهية، ويمكن أن يكون الناسخ والمنسوخ في الحدود العينية فقط كحد الزنا، فجاء حد الزنا في الآي رقم 2 في سورة النور وهذا الحد ناسخ للآيتين رقم 15)، (16 في سورة النساء وهما) : واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) . (النساء 15) . (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما) . (النساء 16.(

لذا قال) :ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) .(البقرة 106 .(هذه الآية تؤكد أنه لا يمكن أن يكون النسخ أو النسيان إلا لآية كاملة وليس لجزء من آية. كما يتبين أن

هناك نوعين من إلغاء الأحكام: النوع الأول النسخ، والنوع الثاني الإنساء "الإهمال عن قصد" والفرق بين الآيات المنسوخة والآيات المنساة هو أن المنسوخ موجود بين دفتي المصحف ومازال يذكر في الكتاب، أما لامنسى فهو آيات لأحكام مرحلية جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم وحيا وتم نسخها وإهمالها عن قصد "أي عدم تثبيتها في المصحف"، وأعتقد أن من الآيات المنساة آية الرجم للزاني المحصن، فهذه الآية إن صح حبرها فهي منسوخة ومنساة، لذا فإن رجم الزاني المحصن الن ليس من الإسلام.

ونعتقد أنا لنبي صلى لاله عليه وسلم رجم الزاني المحصن قبل نزول سورة لنور لا بعدها. "عن حالد السيباني سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم. قلت: قبل سورة النور أو بعدها؟ قال: "لا أدري) "انظر فتح الباري ج11 ص 106-107.(

ويجدر بنا هنا ن نشير إلى غياب الناسخ والمنسوخ من الشرائع السماوية قبل محمد صلى الله عليه وسلم لأنها كانت شرائع حدية عينية مؤقتة وكان البديل عن النسخ بعث رسول جديد. أما في الرسالة الخاتم فقد جعل الله سبحانه وتعالى الناسخ والمنسوخ تعليما لنا لنهتدي في تطوير التشريع ضمن حدوده. مع التنويه أن مسار الناسخ والمنسوخ كان من العنت إلى اليسر لا العكس.

وتجاوز حدود اله لا يمكن أن يكون فيه أية منافع للناس كقوله) :يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) .(البقرة 219.(

هنا يبين أن الخمر والميسر فيهما إثم كبير ومنافع للناس، فإذا كانت هذه من حدود الله فهل في تجاوز حدود الله منافع للناس؟ هذا أولاً. وثانيا إذ كانت من حدود الله فلقد وضع حالات سمح فيها بتجاوز حدوده في الطعام:)فمن اضطر غير باغ ولا عاد) .(الأنعام 145 .(فلماذا قال)فمن اضطر (في الطعام و لم تعمم على الشراب؟ لم يقلها لأنها ليست من الحدود !وإنما نصحنا الله بتحنب الخمر والميسر وكره لنا ذلك في قوله) :إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رحس من عمل الشيطان فاحتنبوه لعلكم تفلحون) .(المائدة 90) .(إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) .(المائدة 92) .(المائدة 92) .(المائدة على من التحريم هو لحدود الله كقوله) :حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخترير) .(المائدة 33 .(وأن من يقول إن الاجتناب أعلى من التحريم، فقوله من باب المزاودة فقط .وإني أقول لهؤلاء الناس أيهما أكبر. من يشرب كأسا من الخمر أم من ينكح إحدى محارمه؟ ففي حال تحريم نكاح الأخت قال) :حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم... الآية) .(النساء 23 .(ثم هنا أيضا بين لماذا أمرنا باحتناب الخمر والميسر بقوله) :إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء) .(المائدة 91. المائدة قبل أما في حال تحريم الميتة والدم ولحم الخترير فلم يين لنا لماذا؟ لأنما حدود الله وعلينا أن نسلم بما و نقبلها. ثم إنه قبل أما في حال تحريم الميتة والدم ولحم الخترير فلم يين لنا لماذا؟ لأنما حدود الله وعلينا أن نسلم بما و نقبلها. ثم إنه قبل الصلاة من شارب الخمر بقوله) :يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون...

الآية). (النساء 43. (وهذه الآية جاءت في سورة النساء، ووضعها مع أحكام لا تزال سارية المفعول إلى اليوم وهي ليست منسوخة لأن النسخ يشمل الآية كاملة وليس جزءا منها كما بين في الآية رقم 106 من سورة البقرة.

وأخيرا بين ألها رجس، والرجس هو من الاختلاط في الأمور. ولكن يبقى أن أنوه أنه لا يصح أن يفهم كلامي على أنه دعوة إلى احتساء الخمور وتسليم العقول لها وتعطيلها بها بل إن قصارى ما أردت الوصول إليه هو أن الله سبحانه أراد إفهامنا أنه يتخذ موقفا من الخمور لأنها تنافي الفطرة، وهذا ما يفعله أهل الأرض الآن جميعا على درجات مختلفة وأنه يأمر السكران بالابتعاد عن الصلاة لأنه لا يعلم ما يقول، والسكر المؤدي إلى فقدان الوعي بالقول والعمل هو الذي ينتج عن الإفراط في شرب الخمر وليس بشربها فقط. فعلى الباحثين المسلمين فرز آيات الحدود في أم الكتاب دون أي تشنج ودون مزاودات هدفها تخويف الناس وزيادة العنت عليهم.

نستنتج من نظرية الحدود ما يلي:

التشريعات العينية:

يتأكد طرحنا السابق الذي طرحناه عن تاريخ الرسالات السابقة والتي كانت تأتي لرسل وألها عبارة عن أحكام منفصلة عينية وجزء من الوصايا، ثم جاءت الوصايا "الفرقان" إلى موسى وجاء الكتاب وهو أيضا دستور كامل من التشريعات ولكنها عينية وليست حدودية كقوله تعالى عن نموذج لتشريعات بني إسرائيل) :وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) .(المائدة 45 .(وهذه الآية هي حالة خاصة من حالات أم الكتاب، وفيها نلاحظ كيف أعطى تشريعا عينيا و لم يعط تشريعا حدوديا، ونلاحظ في كتاب موسى أن التشريع هو تشريع مشخص "فؤادي" إذ لم تصل الإنسانية وقتئذ إلى المفهوم التجريدي للتشريع الذي عبر عنه بالحدود ولكن أحبرهم على التقيد به حرفيا بقوله) :ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) .(المائدة 45.(

حيث أن الإنسان لم يكن قد نضج بعد للاجتهاد ضمن الحدود .وعندما أراد تعديل شريعة موسى العينية)انظر شريعة موسى في الكتاب المقدس (أرسل عيسى بن مريم لتعديل هذه الشريعة نحو التخفيف) :ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم) . (آل عمران 50 . (ولكن بقي كتاب عيسى الذي هو شريعة موسى معدلة عينيا لا حدوديا. وبما أن شريعة عيسى هي شريعة موسى معدلة عينية فهي تحمل الطابع الزماني البحت، وبما أن هاتين الشريعتين مربوطتان إحداهما بالأخرى فقد ربط نبوة عيسى "الإنجيل" بنبوة موسى "التوراة". لذا أتبعها بقوله) :وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (المائدة 46 . (

هنا يكمن سر الوهم الأول الذي وقع به كثير من المفسرين عندما ظنوا أن ما بين يدي القرآن في قوله) :وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه) .(يونس 37 .(هو التوراة والإنجيل على غرار

تصديق إنجيل عيسى لتوراة موسى. هذا الكلام صحيح لو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والرسل حيث أن رسالته ونبوته تحمل طابعا خاصا تماما لا تحمله الرسالات والنبوات السابقة.

لذا فإن القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن تصديقا لا للتوراة ولا للإنجيل، بل كان تصديقا لأم الكتاب "الرسالة" حيث أن القرآن لا يحمل الطابع الزماني المكاني، بل هو صالح لكل زمان ومكان، وكذلك أيضا حدود أم الكتاب لا تحمل الطابع الزماني المكاني ولكنها قابلة للتحوير، فجاء القرآن مصدقا وحافظا لها، لذا سمى التشريع عند موسى وعيسى الكتاب، وعند محمد صلى الله عليه وسلم أم الكتاب. لذا فإن أم الكتاب لها خاصتان أساسيتان:

- ألها من عند الله وليست من اللوح المحفوظ "وعنده أم الكتاب."
- 2أن حدود أم الكتاب يمكن أن تستنتج منها ملايين الكتب في التشريع وليس كتابا واحدا، لذا سماها أم الكتاب.

أما الوهم الثاني الذي وقع فيه كثير من المفسرين والفقهاء)و لم يقع فيه عمر بن الخطاب (والذي نتج عن الوهم الأول فهو التالي: يما أن كتاب موسى وعيسى يحتوي على تشريعات عينية توجب الوقوف على النص فقد ظنوا أن تشريعات أم الكتاب عند محمد صلى الله عليه وسلم هي على غرار ذلك أي توجب الوقوف على النص لا عند حدود النص و لم ينتبهوا إلى الناحية الحدودية التي جاءت فقط لمحمد صلى الله عليه وسلم.

إن هذا هو سبب تخلف التشريع الإسلامي في الوقت الحاضر وهو سبب التسمية الخاطئة "شريعة محمد" على غرار تسمية "شريعة موسى" وهو تقليد اليهود والنصارى، وكما كان عند اليهود والنصارى أحبار ورهبان، صار عندنا ما يسمى السادة العلماء "المشايخ". هذا فيما يتعلق بفهم التشريع في أم الكتاب "الرسالة" وقد حذا بعض المفسرين نفس المنهج عندما اعتمدوا على التوراة في تفسير القرآن ونسوا أن التوراة مرحلية والقرآن غير مرحلي.

ثانياً: العبادات

هي التي تحدد صلة الإنسان بالله وهي توقيفية، وقد خضعت للتطور والتبدل من دين إلى آخر) :لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) .(المائدة 48 .(وتتربع الصلاة على رأسها وهي صلة مباشرة بين العبد وربه. وأهم خاصية للعبادات هي سقوط العقل فيها أي ألها لا تخضع للعقل إطلاقا، ولا لقواعد البحث العلمي الموضوعي بعكس الحدود التشريعية والوصايا وذلك لورود المقدمات والعمليات والنتائج معا. ففي أي مسألة من المسائل جاءت فيها المقدمات والنتائج معا يسقط فيها العقل "العلمي" بالضرورة. فمثلا إذا طلبنا من إنسان ما أن يسير مسافة كيلو متر واحد ويأخذ مقابل هذا السير عشرة آلاف دولار:

أي :المقدمة <==== سير 1كم.

النتيجة <==== ربح عشرة آلاف دولار.

ففي هذه الحالة لا داعي أبدا أن يسأل هذا الإنسان لماذا يجب أن يسير، أي لا داعي لأن يفكر في هذه المسألة أو

يعقلها. حيث وردت فيها المقدمات والنتائج معا. وكذلك إذا أعطينا إنسانا ما نص مسألة وطريقة الحل والنتيجة، ففي هذه الحالة أسقطنا العقل عنده. ففي العبادات هناك حالة الصلاة وطريقة الصلاة ونتيجة الصلاة.

وعلينا أن نعلم أنه كلما زادت المسائل التي تحوي على المقدمات والنتائج معا ازداد سقوط العقل. هذه الناحية مهمة حدا في العملية التعليمية والتربوية وفي وضع سياسة التربية والتعليم، حيث أن العملية التعليمية والتربوية يجب أن تقوم على أحد أطراف المسألة لكي يفكر الإنسان المتعلم كيف يصل إلى الطرف الآخر، وبما أن المنطق هو استنتاج المجهول من معلوم، فيفترض أن المعلوم هو المقدمة، والمجهول هو النتيجة. والعبادات بالنسبة للإسلام تمثل التقوى الفردية وليس الاجتماعية أو التشريعية.

لذا فإنه من الخطأ الفاحش أن نقول إن الصلاة رياضة والصوم للصحة. أو أن نضع فلسفة عقلية للعبادات. هنا يجب أن لا نخلط بين وضع فلسفة عقلية للعبادات وبين فهم النصوص التعبدية على نحو يقتضيه العقل. فلنر الآن كيف جاءت المقدمات والنتائج معا في الكتاب بالنسبة للعبادات:

- Mbr> 1 الصلاة و الزكاة:

)قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون) .(المؤمنون 1-4) .(والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .(المؤمنون 9-11.(

هنا نلاحظ كيف أن المقدمة هي الصلاة والزكاة، والنتيجة)يرثون الفردوس هم فيها حالدون) .(المؤمنون 11 .(أما آلية الصلاة والزكاة فقد شرحهما النبي صلى الله عليه وسلم فاكتملت الشروط الثلاثة المسألة وطريقة الحل ونتيجة الحل وعندما يذكر الصلاة والزكاة في الكتاب يذكر معها صفة المفلحين كقوله) :الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربحم وأولئك هم المفلحون) .(البقرة 3-5 (وقوله) :الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربحم وأولئك هم المفلحون) .(لقمان 4-5 .(وقوله)فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك حير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون) .(الروم 38.(

- 2الصوم:

)وأن تصوموا خير لكم) .(البقرة 184" (مقدمة ونتيجة) ."والصائمين والصائمات <--- أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) .(الأحزاب 35.(

مقدمة "والصائمين والصائمات" = نتيجة "أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما."

وهنا يجب علينا التعليق لماذا لم ترد الصلوات الخمس التي يؤديها المسلمون صراحة في الكتاب، بينما جاء الحج مفصلا أكثر من الصلاة.

الصلاة في اللسان العربي جاءت من الصلة والدعاء، ففي معنى الدعاء فقط جاءت في قوله) :إن الله وملائكته

يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .(الأحزاب 56 .(وقوله تعالى) :وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) .(التوبة 103 .(وقوله تعالى) :أولئك عليهم صلوات من ربم ورحمة) .(البقرة 157 .(وقوله تعالى) :ويتخذ ما ينفق قربات عند وقوله تعالى) :أولئك عليهم صلوات من ربم ورحمة) .(البقرة 157 .(وقوله تعالى) :ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) .(التوبة 99 .(وقوله) :هو الذي يصلي عليكم وملائكته) .(الأحزاب 43.(وفي معنى الصلة بين العبد وربه والذي يعتبر الدعاء حزءا أساسيا منها جاءت في قوله تعالى) :وأوصاني بالصلة والزكوة ما دمت حيا) .(مريم 31 .(فهنا الصلاة التي أوصى الله بحا المسيح لا تعني صلاة الصبح ركعتين والظهر أربع ركعات وبقية الصلوات الخمس. وإنما هي صلاة "صلة" خاصة بالديانة المسيحية. وكذلك قوله تعالى على لسان لقمان) :يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) .(لقمان 17 .(

ترى هل كان لقمان يأمر ابنه بالصلوات الخمس؟ أم كان يأمره بالدعاء الذي هو الصلة بين العبد وربه والذي هو جوهر العبادة!! وكذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم) : رب اجعلني مقيم الصلاة) . (إبراهيم 40 . (وقوله تعالى :) والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة) . (الحج 35 . (وقوله تعالى عن إسماعيل) : وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) . (مريم 55 . (وقوله تعالى) : فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب) . (آل عمران 39 . (هنا أيضا صلاة زكريا لا تعنى أنه كان يصلى الأوقات الخمسة كصلاة المسلمين.

أما الصلاة بمعنى صلاة الظهر وبقية الصلوات أي صلاتنا نحن المسلمين فجاءت بشكل صريح في قوله) :يا ايها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) .(الجمعة 9 .(

هنا الصلاة تعني صلاة الجمعة التي نعرفها .وبمعنى الصلوات الخمس الفرائض أو النفل التي نعرفها جاءت آية الوضوء) :يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم... الآية) .(المائدة 6.(وهكذا نلاحظ لماذا لم يأت تفصيل الصلاة التي نعرفها نحن المسلمين في الكتاب. ففي هذه الحالة تحصل مغالطة

كبيرة فنظن أنه كلما وردت الصلاة تعني الصلوات الخمس الإسلامية فيصبح الخبر من الناحية التاريخية غير

صحيح.

هنا نفهم لماذا كان من مهمات الرسول صلى الله عليه وسلم شرح الصلاة الإسلامية بأوقاتها الخمسة وبعدد الركعات في كل صلاة. علما بأن الركوع والسجود والقيام وهي من أركان الصلاة كلها وردت بشكل مفصل في الكتاب .ونفهم لماذا لا تسقط الصلاة عن أحد لأنها صلة العبد بربه، فيمكن للإنسان في حالة الاضطرار أن يصلي حتى بواسطة رموش عينيه.

هنا أريد أن أنبه إلى الوضوء والطهارة والغسل والتفصيلات الفقهية في هذا الصدد وذلك بإيراد الحقيقة التاريخية التالمة:

لقد ظهر الإسلام في شبه حزيرة العرب في القرن السابع الميلادي، ونحن نعلم علم اليقين الحقائق التالية: لقد ظهر الإسلام في شبه حزيرة العرب في القرن السابع الميلادي، ونحن نعلم علم اليقين الحقائق التالية:

- 1أن شبه جزيرة العرب منطقة شحيحة جدا بالمياه، ويعتبر الماء مادة عزيزة جدا بالنسبة للعرب، وأن مدينتي

مكة ويثرب لا تقعان على البحر.

- 2لا يوجد في شبه جزيرة العرب في ذاك الوقت تمديدات صحية، مياه حلوة ومياه مالحة وحمامات في المنازل.

- 3عدم وجود دورات مياه "تواليت" في المنازل حيث كانت نساء المدينة تخرج ليلا خارج المدينة للتغوط. هذه الأمور الثلاثة تبين أن مستوى النظافة العامة وإمكانياتها عند الناس كان أدبى منه عندنا الآن. فنحن الآن نعيش في القرن العشرين الميلادي "الخامس عشر الهجري" بشروط أفضل بكثير مما كان عليه الناس في القرن السابع الميلادي من حيث توفر المياه ووسائل النظافة الخاصة والعامة.

وأعتقد أنه لا يشك أحد من الناس بصحة شروط الطهارة والوضوء عند الصحابة وعند نساء المسلمين في يثرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الشروط التي تعتبر أدنى بكثير من شروطنا المعاصرة. لذا فإن الصفحات الطوال التي كتبت عن الوضوء والطهارة والغسل في كتب الفقه الموروثة هي كلام لا يتفق أبدا مع الشروط التي عاشها الناس في صدر الإسلام في يثرب ومكة حيث أن الاستفاضة والشرح المفصل لهذه الأمور هو نوع من الترف الفقهي غير مفيد وغير عملي .

وإذا أراد إنسان ما أن يتقيد بحرفية هذه الكتب فإنه سيصاب بداء الوسواس بصحة وضوئه وطهارته وصلاته، وقد تم ترسيخ مثل هذا النوع من الفقه خلال قرون عصور الانحطاط. ومن المؤسف أن يدرس اليوم على أنه جزء أساسي من الفقه الإسلامي حيث أن العبادات وخاصة الصلاة والصوم لا تحتاج إلى أكثر من ساعة واحدة لشرحها لأكثر الناس سذاجة، وقد فرضت الصلاة على إنسان يبلغ من العمر عشر سنوات، فهذا يعني أن الإنسان بعمر عشر سنوات قادر على أن يستوعبها.

أما الصوم من الناحية اللغوية فهو الامتناع عن الكلام كقولنا صام الديك أي امتنع عن الصياح .وهذا المعنى جاء في قوله تعالى) :فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) .(مريم 26 .(ثم جاء معنى الصوم الإسلامي محمولا عليه وهو الامتناع عن الطعام والشراب والنكاح من الفجر حتى الليل في شهر رمضان.

- 3 الزكاة:

الزكاة كما جاءت ي الكتاب هي للمسلمين ولغير المسلمين كقوله تعالى عن المسيح) :وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا) .(مريم 31 .(وقوله عن إسماعيل) :وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة) .(مريم 55 .(فالزكاة من الناحية اللغوية تعني النماء والزيادة والطهارة "التزكية ."

وبمعنى التزكية جاءت في قوله تعالى) : خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بما) . (التوبة 103 . (وهذا ما نستعمله في المصطلح الحديث بأن فلانا زكى فلانا أي شهد بصلاحه من ناحية الكفاءة والأمانة لمنصب ما فالزكاة في معناها العام هي الزيادة والنماء. وهكذا نفهم مفهوم زكاة المال، وكيف جاءت الزكاة في الإسلام وقبل الإسلام في نفس المصطلح. هنا نلاحظ دقة الكتاب في الزكاة بأنه تركها مفتوحة من ناحية الكم وكيفية

الجباية ولكنه وضع لها حدا أدبى وما زاد عنه فهو صدقات لذا فمصطلح الصدقات أعم من لزكاة، وحددها بشكل دقيق من ناحية الإنفاق. وأعتقد أن هذا الإطلاق والتحديد للسبب التالي:

أ- الإطلاق من حيث الكم والكيففي الجباية: بما أن الزكاة مال يدفع على شكل نقدي أو عيني، وبالتالي فإن الوضع الاقتصادي التاريخي وبنية الدولة التاريخية يؤدي دورا هاما في الكم والكيف، فقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم الزكاة بأنها 40/1 أي 2.5% وأعتقد أن هذا التحديد هو كحد أدن للزكاة "للصدقات" لا كحد أعلى، أما من يدفع الزكاة ومن لا يدفع فهذا متروك للظروف الموضوعية الاقتصادية والاجتماعية ويحدد من قبل المجتهدين حسب هذه الظروف .أما من يجيي الزكاة فقد تمت جبايتها لأول مرة من قبل الدولة حيث أن العرب قبل الإسلام كانوا قبائل. فوقع تأسيس الدولة العربية على عاتق الإسلام.

وكانت الزكاة هي أول دخل رسمي للدولة إذ ربط الدولة بأمر تعبدي من الناحية المالية، ولكن هذا الربط كان ربطا مرحليا، إذ بعد نمو الدولة وإيجاد دخول أخرى لها كان يمكن للدولة أن تشكل ميزانيتها بدون أموال الزكاة. وتحديد أوجه الإنفاق للزكاة أكد أن الدولة لها مهمة أكبر من مهمة الأوجه التي تنفق الزكاة من أجلها ففي عصرنا الحاضر هناك المنشآت المدية "الطرق والجسور وسكك الحديد والموانئ والهاتف والكهرباء وتمديدات مياه الشرب والمياه المالحة ومنشآت البحث العلمي والجامعات والمدارس والمشافي والبلديات. الح". كل هذه البنود لا تدخل تحت بند الزكاة ولكنها تدخل كلها أو جزء منها ضمن مسؤولية الدولة حسب بنية الدولة الاقتصادية. لذا فإنه من السذاجة بمكان، الظن بأن الزكاة هي ضريبة، أو أن الزكاة هي مصدر الدخل في الدولة الإسلامية. إذ قد تكون هناك دولة مبنية على أسس إسلامية دون أن تجيي زكاة من أحد، وهذا يقودنا مباشرة إلى تحديد أوجه الإنفاق للزكاة.

ب- التحديد في الإنفاق) :إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) .(التوبة 60.(

لقد حاء هذا التحديد للإنفاق لكي يؤكد أن الزكاة ليست ضريبة للدولة وليست البديل للضرائب ولنفقات الدولة، ويمكن أن تكون دخلا للدولة في ظروف تاريخية معينة كما حدث عند قيام الدولة العربية الإسلامية. ومن ناحية أخرى جاء هذا التحديد لكي يؤكد ويرد على بعض المزاودين بأن الإسلام يعترف بوجود الفوارق الطبقية أي أن هناك يدا عليا ويدا سفلى. هذا صحيح، فالإسلام يعترف بوجود فروق الدخل بين الناس لأن هذا واقع موضوعي، حيث أن الإسلام لا يدور في الأوهام ولا الطوباويات وعليه فإن مسألة الغنى والفقر دائما مسألة نسبية وليست مطلقة تتبع الظرف التاريخي والبنية الاقتصادية لمجتمع ما. وإذا نظرنا إلى كل دول العالم دون استثناء مع ألها ذات بني اقتصادية مختلفة رأينا أن مسألة الغنى والفقر لها وجود نسبي في كل هذه الدول وألها تأخذ مظاهر معتلفة حسب بنية الدولة والمجتمع .

لأن الإسلام يؤمن بالمساواة المطلقة بين الناس في إنسانيتهم وحقهم في الحياة والحرية بغض النظر عن عقائدهم وعن مركزهم الاجتماعي والاقتصادي، وحيث أن الحياة والحرية هما هبة من الله لعباده، ولكنه يقر بفوارق الدخل والدرجات بين الناس انطلاقا من قوانين الجدل المادي حيث أن قانون التأثير والتأثر المتبادل لا يمكن أن يعمل بشكل 50% و 50% أي يمكن أن يؤثر X على Y على X وتبقى العلاقة بينهما علاقة تقابلية زوجية غير تناقضية. فإذا كانت X تؤثر على Y كليا دون تأثير متبادل من Y على X فهنا يحصل الخلل، أي كلما ضعفت العلاقة المتبادلة بينهما زاد الخلل.

وقد يقول قائل: إذا كان الدخل القومي كله بيد الدولة، فهل تلغى الزكاة؟ الجواب: لا، لا يمكن للسببين التاليين: -لا تلغي على مستوى فردي لأنه لا يمكن أن تكون هناك دخول متساوية بين الأفراد لأن التفكير بهذا الاتجاه هو ضرب من ضروب العبث.

-إذا نظرنا إلى أوجه صرف الزكاة، فمن المستحيل قطعيا إلغاؤها من أي مجتمع مهما كان نوعه ودرجة رقيه. فحسب التطور الاجتماعي والاقتصادي يمكن إلغاء جزء من هذه البنود كما حدث أن ألغى عمر بن الخطاب "رض" بند "والمؤلفة قلوبهم" حيث امتنع عن الدفع لهم من أموال الزكاة لزوال سبب الدفع. وننتقل الآن لنناقش ما هي الأوجه التي لا يمكن أن تلغى في أي مجتمع مهما كان نوعه:

- 1 الفقراء والمساكين: لقد ميز الكتاب بين الفقير والمسكين، حيث ألهما حالتان مختلفتان تماما. فالفقير حاءت من فعل "فقر" وهو في اللسان العربي أصل صحيح يدل على انفراج في شيء من عضو أو غير ذلك، ومنه جاء الفقار للظهر الواحدة "فقرة-فقراة" ومنه جاء العمود الفقري، ومنه اشتقت كلمة الفقير وهو المكسور فقار الظهر من ذلته. فالفقير هو الإنسان المذلول من قلة الدخل كأنه قصم ظهره، ولكن هذا الإنسان ليس من الضروري أن يكون مسكينا.

فمصطلح الفقير هو مصطلح متطور حسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية للمكان والزمان الذي نعيش فيه. لذا وجب علينا عدم التقيد بمصطلح الفقير الذي وضعه الفقهاء في عصور سابقة لأنه قد لا ينسجم مع معطياتنا المعاصرة وعلينا أن نحدد مصطلح الفقير وفقا للشروط الموضوعية التي نعيشها نحن، لا وفقا للشروط التي عاشها الفقهاء السابقون. فمثلا يمكن دمج الأيتام الذين لا معيل لهم ضمن الفقراء والصرف على مؤسسات رعاية الأيتام من الزكاة.

أما المسكين فقد حاءت من فعل "سكن" ومنه حاء السكون والمسكن وهو المكان الذي يسكن فيه الإنسان ويهدأ، فالمسكين هو الإنسان القليل الحيلة أي الذي فيه سكون نسبي عن غيره كالأعمى والأصم الأبكم والمقعدين والقاصرين عقليا أو فاقدي أحد أعضاء الحركة كاليد أو الرجل أو الكف. كل هؤلاء الناس يدخلون تحت بند المساكين. هنا نلاحظ كيف أنه يمكن للإنسان أن يكون فقيرا ولا يكون مسكينا والعكس صحيح. قد يسأل سائل: إذا كان الإنسان مسكينا غير فقير فلماذا نساعده؟ الجواب: هل يمكن لإنسان واحد أعمى أن يفتح مدرسة لتعليم نفسه ويؤهل نفسه للعيش في المجتمع...؟ وقس على هذا. حيث أن كل مؤسسات تأهيل المساكين ورعايتهم تأخذ أموالها من الزكاة.

- 2الغارمين: هم الناس الذين وقع عليهم غرم ولا يستطيعون سداده كتأدية الدية للقتل الخطأ. لذا وجب علينا

تحديد الغارمين وفق شروطنا المعاصرة.

وهنا يجب علينا أن ننبه إلى نقطة مهمة حدا وهي أن الغارمين في الإسلام تسدد غراماتهم من الزكاة وليس على حساب المتضررين من الناس أي أن حقوق الناس أمانة في عنق الدولة ولا يجوز للدولة أن تعفو مجانا عن الذين تسببوا في الضرر للآخرين نيابة عن المتضررين. وإذا أرادت أن تعفو عنهم فعليها أن تسدد عنهم التزاماتهم. لذا حاء بند الغارمين كأحد بنود الزكاة.

- 3ابن السبيل: هم الناس الذين انقطعوا في أثناء السفر كأن سرقت نقودهم وانقطعوا.

إنني ذكرت هنا أربع بنود فقط من بنود صرف الزكاة لأنه لا يمكن أن يخلو مجتمع مهما كان نوعه من هؤلاء الناس "الفقراء حسب تعريف معاصر والمعوقين بكل أنواعهم، الغارمين، والمقطوعين في السفر". وأعتقد أن أدق تعريف للفقير "هو الإنسان غير القادر على سداد أي قرض مهما كانت قيمته نسبة للظروف الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الذي يعيش فيه."

لقد جاءت بنود صرف الزكاة صريحة لكي يؤكد الله سبحانه وتعالى حقوق هؤلاء الناس على مجتمعهم حيث أن هذه الحقوق لا مزاح فيها.

فإذا كان الدخل القومي كله بيد الدولة فهذا يعني أن 2.% من ميزانية الدولة كحد أدين يجب أن ينفق على هذه البنود. فلنتصور الآن مدى رقي العلاقات الإنسانية في دولة من هذا النوع. فإذ كانت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل لها ميزانية لا تقل عن 2.5% من ميزانية الدولة ككل ومهمتها رعاية هؤلاء فقط فهذا مؤشر كبير للمستوى الحضاري للدولة.

هنا أريد أن أنبه أنه على المحتهدين المعاصرين إعادة النظر بنصاب الزكاة ومن يدفع وعلى ماذا تدفع الزكاة وتعريف الفقير والغارم وتحديد طرق الجباية وعدم الاعتماد فقط على الفقهاء القدامي حيث أن شروطنا الاقتصادية ومتطلبات الحياة والعلاقات الإنتاجية أصبحت متغيرة تماما عن العصر الذي عاش فيه الفقهاء القدامي.

أنواع العبادات:

العبادات في الإسلام أربع وهي الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا. فلنناقش هذه العبادات من حيث النوع والمظهر، فأقدم العبادات هي الحج:

الحج:

لقد بدأ الصلة بين العبد وربه منذ أقدم العصور بشكل مشخص على شكل قرابين وأضحيات. فنرى في كل الديانات القديمة مفهوم الأضحية للإله أو الآلهة. هذا الشكل من التعبد له أساس إلهي ولكنه تحول إلى صور وثنية مختلفة بتعدد الآلهة، فالأضحية هي صلة مادية للاقتراب من الإله، ولها مكان معين تؤدي فيه، أي ألها عبادة مشخصة بالحواس "عبادة فؤادية". فإذا نظرنا إلى الحج رأينا أنه العبادة الإسلامية المشخصة. فالكعبة بناء حجري يتم الطواف حوله . والصفا والمروة صخرتان يتم السعي بينهما، ثم الوقوف بعرفة والرجم والأضحية. كل هذه

العمليات تتم وفق أشياء مشخصة بما فيها الرجم، لذا فإنه لا يستغرب أن الحج كان قبل الإسلام .

ثم حاء الإسلام وهذبه وثبته، وإنه من السذاحة القول بأن الحج هو من بقايا الوثنية ولكن من الصحيح أن نقول: إن الحج هو استمرارية العبادة الفؤادية البدائية المشخصة بحاستي السمع والبصر. وهكذا نفهم قوله تعالى على لسان إبراهيم) :ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تموي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) .(إبراهيم 37 .(هنا نلاحظ أن الحج استمرارية تاريخية للعبادات القديمة والتي تم فيها التباس في الفهم على أنها استمرارية للوثنية مع أنها استمرارية للشكل الفؤادي المشخص للعبادات الربانية.

وعلينا أن نلاحظ ما يلي:

لقد وجه الكتاب الخطاب حول الصلاة والزكاة والصوم للمؤمنين مباشرة كقوله) :قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاقم حاشعون) .(المؤمنون 1-2 (ولكن حول الحج تم توجيه الخطاب إلى الناس في قوله) :والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) (آل عمران 97 .(وقوله) :وأذن في الناس بالحج) .(الحج 27 (هذه الناحية يجب دراستها حيث ن الحج وأماكن الحج لها مدلول أساسي بالنسبة للناس أجمعين، وقد ذكرت هذا في مقام آخر في الكتاب.

الصوم:

عبادة لها علاقة بالغريزة الإنسانية وهي الطعام والشراب والجماع الجنسي .فالصوم أساسه سيطرة العقل والإرادة الإنسانية الواعية على الغرائز البشرية غير الواعية وهو عبادة شخصية فردية بتة.

الزكاة:

عبادة لها علاقة بشهوة التملك والمعاملات المالية بين الناس ومدى التزام الإنسان بالعلاقة الغيرية غير الفردية المتحضرة مع الآخرين.

الصلاة:

وهي عبادة مجردة بحتة حيث ألها صلة مباشرة للعبد بربه وهي أرقى العبادات ليس لها علاقة بالغيرية أو بالأمور الشخصية الأنانية. ولنلاحظ هذه الناحية المهمة حدا فنرى أن قمة لمجرد في العبادات وهي الصلاة ارتبطت بقمة المشخص في العبادات وهي الحج حيث أن الكعبة هي قبلة المصلي وهي من المشخصات.

السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل هناك حدود في العبادات؟ إن العبادات أيضا تخضع لنظرية الحدود، إذ نرى أن العبادات وهي الصلاة والصوم والحج والزكاة تخضع للحدود:

- 1الصوم: الحد الأدبي هو صوم رمضان ولا يوجد حد أعلى وله رخصة لاجتيازه.
- 2 الزكاة: لقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم الحد الأدنى للزكاة وهو 2.5% وبما أن هذه النسبة هي من وضع النبي صلى الله عليه وسلم وهي من الحدود فيجب التقيد بما كحد أدنى، فهي متغيرة صعودا، لذا جاء مصطلح الصدقات أعم من الزكاة.

- 3الحج: الحد الأدبي مرة واحدة في العمر على المستطيع.
- 4 الصلاة: لم يرد الحد الأدنى للصلاة صراحة في الكتاب على أنه الأوقات الخمس "الصبح، الظهر، العصر، المغرب، العشاء" ولكن ورد صراحة صلاة الجمعة وتم التأكيد على صلاة العصر) حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى). (البقرة 238. (وتم الحث بشكل مؤكد على إقامة الصلاة .أي أننا حسب منطوق الكتاب يمكن أن نحدد أربعة مستويات للصلاة:
- -المستوى الأول- صلاة الجمعة "جاء أكبر تأكيد عليها حيث وردت صراحة في الكتاب) "يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) .(الجمعة 9.(
 - -المستوى الثاني الصلاة الوسطى)حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) .(البقرة 238)
 - -المستوى الثالث الصلوات الخمس)والذين هم على صلواتهم يحافظون) .(المؤمنون 9) (والذين هم على صلاتهم يحافظون) .(المعارج 34.(
 - -المستوى الرابع النفل والتطوع)والذين يبيتون لربم سجدا وقياما) .(الفقران 64).
 - وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على مستوى صلاة الجمعة والصلوات الخمس في حديثه إن صح "الصلاة مكفرة لما بينها الصلاة للصلاة والجمعة للجمعة."
- من منطوق الآيات والحديث إن صح نستنتج أن تارك صلاة الجمعة وهي أكبر مستوى من التأكيد يمكن أن يخرج من دين الإسلام التعبدي. ويجب أن ننبه هنا ن العبادات في الإسلام هي من التقوى الفردية لا الاجتماعية، أي ألها تخص كل إنسان على حدة ولا علاقة لها بالدولة وبالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية.
- 5الوضوء: الحد الأعلى والحد الأدنى جاءا في الآي رقم 6 من سورة المائدة. الحد الأعلى للوضوء كما ورد في أول الآية، والحد الأدنى التيمم، والاجتهاد هو الحركة بينهما. ويمكن أن يكون الحد الأعلى للوضوء هو الاغتسال والحد الأدنى هو التيمم.

الفرع الثاني: الفرقان أو الوصايا العشر (الأخلاق)

الفرقان هوا لتقوى الاجتماعية، وهو الأخلاق المشتركة في الأديان السماوية الثلاثة لذا فرقها الله لوحدها وسماها "الفرقان". وعلى المسلم أن يتعامل مع المسلم وغير المسلم على هذا الأساس لا على أسا التقوى الفردية والتي تعتبر العبادات من ضمنها، وهو الصراط المستقيم بالنسبة لموسى، والحكمة بالنسبة لعيسى، وهو مع الحدود يشكل الصراط المستقيم بالنسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم.

"التعاليم اليهودية + التعاليم المسيحية + التعاليم الإسلامية" القاسم المشترك فيها = الفرقان.

و يجب أن نميز بين نوعين من الفرقان: الأول: الفرقان العام، والثاني الفرقان الخاص. حيث أن الفرقان العام هو الحد الأدين من التعاليم الأخلاقية الملزمة لكل الناس، وهو القاسم المشترك بين الأديان، وفيها تتحقق التقوى الاجتماعية. كما أن هناك فرقانا خاصا جاء لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو فقط للذين حققوا التقوى الاجتماعية بحدها الأدين "أي الفرقان العام" ويريدون زيادة في ذلك، أي يريدون أن يكونوا أئمة للمتقين . و قد ذكر الفرقان الخاص في قوله تعالى) :يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) .(الأنفال 29 .(هنا نلاحظ أن الفرقان الخاص جاء منكرا في هذه الآية حيث تم تحديد بنود هذا الفرقان الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم في سورة الفرقان من الآية 63 .

أولاً: الفرقان العام

لقد جاء الفرقان العام مختصرا في سورة الأنعام في الآيات التالية:

-) -قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) .(الأنعام 151.(
 -) -ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) .(الأنعام .152)
-) وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون . () الأنعام 153. (

وقد جاء الفرقان مشروحا في سورة الإسراء "سورة مكية.''

هذه الوصايا العشر هي الأخلاق وهي رأس التقوى الاجتماعية، لنشرحها الآن بالتفصيل، كل وصية على حدة:

-الوصية الأولى:

)ألا تشركوا به شيئا : (هنا قال لا تشركوا به شيئا ولم يقل لا تكفروا به شيئا فما الفرق بين الشرك والكفر؟ -الشرك والكفر:

الشرك جاءت من "شرك" ولها في اللسان العربي أصل واحد وهو جعل شيء ندا لشيء ومكافئا له، ومنه جاءت الشركة والشراكة كقوله تعالى) :وأشركه في أمري) .(طه 32 .(وقوله تعالى) :فهم شركاء في الثلث) .(النساء 12 .(فالله سبحانه وتعالى له أسماء حسنى. فمن أسمائه الحسنى "الباقي" أما غير الله فهو دائم.

وقد شرحت معنى الديمومة في وحدة التقطع والاستمرار .فالدائم هو دائم التغير في حركة تقطع واستمرار على على محور هو الزمن. فالعرب قبل الإسلام كانوا مشركين ولم يكونوا كافرين، والكون متغير متحرك دائما ولا يوجد أي ثبات في هذا الكون .

أما الله سبحانه وتعالى فهو ثابت لذا فعندما عبد العرب الأصنام ثبتوا صفة الهية للحجارة وهي الثبات. طبعا هذا التثبيت كان تصورا باطلا في أذهائهم، ومن هذا المنطلق كان للشرك مظاهر كثيرة جدا في تثبيت الظواهر الطبيعية والاجتماعية ووضع صفة الأبدية لظاهرة ما وخاصة لهذا الكون الحالي، وعدم الأخذ بعين الاعتبار ظاهرة التطور، وأن التسبيح "الجدل الداخلي" هو شكل الوجود المادي الحالي حيث أن الشرك له مظهر خاص به يتجلى في الطاعة والالتزام كقوله تعالى) :وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) .(الأنعام 121 .(فللشرك نوعان:

- 1 الشرك الظاهر "شرك الألوهية": كعبادة الأصنام ومظاهر الطبيعة وعبادة الفرد "التأليه" وعبادة الهوى وتثبيت التشريع وشكل الدولة حيث أن التشريع متطور دائما "حنيف" ضمن حدود الله)أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) . (الجاثية 23(، والاعتقاد أن الأموات لهم صفة المساعدة والعطاء كزيارة قبور ما يسمى بالأولياء وتقديم النذور لهم . ففي هذا قال تعالى) :إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) (النساء 48.
 - 2الشرك الخفي "شرك الربوبية": وهو تثبيت مظاهر الطبيعة وحركة التاريخ عند مرحلة معينة والاعتقاد بثبات الأشياء والظواهر الاجتماعية أي جعل الطبيعة والظواهر الاجتماعية متكافئة مع الله في البقاء، وهذا النوع يقع به كثير من الناس وفي هذا بين الله تعالى هذا النوع من الشرك بقوله) :وما يؤمن أكثرهم بالله غلا وهم مشركون) .(يوسف 106 .(وقول النبي صلى الله عليه وسلم إن صح "اتقوا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل."

فالعرب قبل الإسلام كانوا واقعين في نوعين من الشرك الظاهر والخفي. أما الظاهر فقد تجلى بالوثنية. وأما الخفي فقد تجلى بالثبات على الوضع القبلي العشائري وعدما لتطور والتقدم. كل هذا حصل وهم لا يقولون بألهم مشركون حيث أن الشرك لا يحتاج من صاحبه أن يعلن عنه لأنه لسان حال، لا لسان مقال. لنبين الآن كيف ربط الله سبحانه وتعالى الشرك بالثبات والتوحيد بالتطور .لقد أعلمنا الله سبحانه وتعالى أن الأمثال في الكتاب كلها قرآن، وفي كل مثل من أمثال القرآن يعطينا الله قانونا موضوعيا بقوله) :ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) .(الزمر 27، الروم 58 .(وقد بين لنا أن أمثال القرآن لا يعقلها إلا العلماء وذلك بقوله) :وتلك الأمثال نضركها للناس وما يعقلها إلا العالمون) .(العنكبوت 43 .(فقد ضرب لنا مثلا على الشرك في سورة الكهف بقوله) :واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا) .(الكهف 32) .(كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منهشيئا

وفجرنا خلالهما نهرا) .(الكهف 33) .(وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا .()الكهف34) .(ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) .(الكهف 35) .(وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها مقلبا) .(الكهف 36) .(قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) .(الكهف 37) .(لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا) .(الكهف 38.(

هنا نلاحظ في هذا المثل ومن هذه المحاورة الرمزية بين رجلين أحدهما كان له وضع نموذجي من شجر وزراعة ومياه وغلة، والآخر لم يكن له ذلك فكان موقف الأول هو أنه ظن أن هذا الوضع يحمل صفة البقاء والأبدية لذا قال) :ما أظن أن تبيد هذه أبدا) (الكهف 35 .(ولكن هذا الموقف يؤدي مباشرة إلى نكران الساعة واليوم الآخر حيث أن الساعة والصور هما تغير كامل في صيرورة الكون ينشأ على أنقاضه خلق "تصميم" جديد للكون لذا أتبعها بقوله) :وما أظن الساعة قائمة) .(الكهف 36 .(

أي أصبحت الساعة ليس لها معنى، أو ألها أصبحت أمرا احتماليا مشكوكا فيه بقوله) :ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) .(الكهف 36 .(هذه الأطروحة باحتمالية الساعة موجودة الآن عند كثير من الناس بقولهم، إننا نؤمن بالساعة واليوم الآخر فإذ كان هناك ساعة ويوم آخر فنحن الرابحون، وإذا لم يكن هناك ساعة ويوم آخر فلا نخسر شيئا.

زعم المنجم والطبيب كلاهما أن لا معاد فقلت ذاك إليكما إن صح زعمكما فلست بنادم أو صح زعمى فالوبال عليكما

إن هذا مما لا يصح لمسلم ن يقع فيه لأن الساعة والصور واليوم الآخر هي كلمات الله، والمسلم على ثقة ويقين بحدوثها كثقته ويقينه بوجوده هو في هذه الحياة الدنيا وثقته بوجود هذا العالم المحيط به من شمس وقمر ونجوم ومجرات.

فعندما رد عليه صاحبه رد عليه بموقفين: الأول الهمه بالكفر بقوله) :قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) .(الكهف 37 .(فكان هذا الموقف هو موقف كفر حيث أنه غطى وتجاهل قانون التطور وتغير الصيرورة مع علمه بأن هذا القانون موجود موضوعيا) :خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا .(أما الاتمام الثاني فهو الشرك بقوله) :لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا) .(الكهف 42 .(فكان هذا الموقف هو موقف شرك بالربوبية بقوله) :ولا أشرك بربي أحدا .(لأن من يؤمن بثبات الأشياء والمجتمعات وعدم التغير الدائم في صيرورتما فموقفه موقف مشرك بربوبية الله وناكر لقانون تسبيح الأشياء الله أما من يؤمن بثبات الوثنية وعبادة الفرد من ولي أو زعيم فهو شرك بالألوهية لأن الشرك بالألوهية يتولد عنه طاعة والشرك بالربوبية يتولد عنه قناعة ونظرة إلى الكون ومن باب توحيد الربوبية قال) :قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء) .(الأنعام 164 .(وقوله) :وقل الحمد الله الذي لم

يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك). (الإسراء 111.(

هذا ما يجب أن ينتبه إليه الإنسان المسلم بأنه لا يوجد أي ثبات في الأشياء والمجتمعات والصناعات والاختراعات والأفكار إلا ما جاء من عند الله في الحدود وكل شيء متحرك متغير الصيرورة يسبح الله، وأن الثوابت لا تأتي إلا من الله. فكل الطاعات لغير الله نسبية مرحلية ولكي يخلصنا الله من هذه الأزمة وهي طاعة المطلق وضع لنا العبادات التي هي صلة العبد مع المطلق وهي ثابتة لذا نوقل لا يعبد الله إلا بما شرعه هو لنا لأننا نحن نسبيون، هذا الثبات المستقيم في العبادة والأخلاق والحدود لكي يمارس الإنسان فطرته الحنيفية من خلالها، فالشرك بتعريفه العام "هو الثبات في هذا الكون المتحرك" إنكار لقانون التسبيح ووقوف ضد التطور، وهذا شرك الربوبية، وتثبيت لتشريع غير الله وهذا شرك الألوهية كتثبيت مذهب أو مذاهب فقهية معينة وعدم تطوير التشريع بشكل عام لكي يتناسب مع الشروط الموضوعية المتطورة دائما.

فشرك الربوبية هو من الشرك الخفي وشرك الألوهية هو من اشرك الظاهر وهذا ما لا يسامحنا الله عليه. من هذا المنطلق ربط لنا الشرك الظاهر والخفي بالظلم بقوله) :ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) .(الكهف 35 .(وقوله) :يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) .(لقمان 13 .(وربط الشرك الظاهر لاتباع الذين يدعون الطاعة المطلقة بقوله) :أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات) (الأحقاف 4 .(فكيف ربط الشرك بالظلم، والظلم في اللسان العربي يعني "وضع الشيء في غير محله عن غير قصد أو عنوة" فسكونية الفكر والفقه والتفسير هي من أول مظاهر الشرك الخفي عند العرب حيث ألهم أعطوا الموروث صفة المطلق وأكبر مظاهر الشرك قاطبة هو سكونية الفكر (static state of mind)فالتخلف شرك والتقدم توحيد .

أي أن الإنسان المسلم حتى يبتعد عن الشرك فعليه أن ينكر ظاهرة الثبات في الأشياء وفي المجتمعات وفي القوانين التشريعية ويجب أن يؤمن أن كل شيء متحرك ما عدا العبادات والحدود في شكلها ومحتواها والأخلاق في محتواها التي تشكل الصراط المستقيم "الثابت". وأن أي ظاهرة أو قانون يعيق التطور والتقدم فعلى المسلم أن يكافحهما بشدة ويحنف عنهما، فلا ثوابت في المجتمعات وفي الدول وفي القانون وفي السياسة لأنه حين نثبت فإننا نقع في الشرك ولاظلم. فمثلا إذا كان هناك قانون صدر منذ مئة سنة ومازال ساري المفعول إلى اليوم، واختلفت الشروط الموضوعية لتطبيقه وهو ساري المفعول فهذا شرك وفيه منتهى الظلم...

لهذه فإنه لا ثوابت في شعاراتنا الإسلامية إلا "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" حيث لا يوجد شعار مختصر مفيد جامع مانع كهذا الشعار الذي يدمج كل قوانين التطور والتقدم والعدالة في جملة واحدة فلا قوالب جاهزة إلا هذا الشعار وهذا ما يجب أن تسعى إليه أي دولة عربية إسلامية في دستورها حيث يجب أن تنص أول مادة في الدستور على ما يلى:

كل القوانين التي تصدر في الدولة يعاد النظر فيها كل سبع سنوات "مثلا "بحيث إذا لم تصدر مرة أخرى معدلة أو بدون تعديل ولم يعد النظر فيها تصبح غير نافذة المفعول على شرط أن تكون هذه التشريعات ضمن حدود الله.

إن نصا من هذا النوع في دستور الدولة العربية الإسلامية يدل على مصداقية عقيدة التوحيد عندها ويجعل المشرعين والقانونيين في حالة عمل دائم دون كسل وخيبة، وفي الوقت نفسه تصبح الأحزاب والمنظمات الشعبية والنقابية والصحافة ذات فعالية كبيرة، فمن خلال مؤتمراتها وصحفها تدعو إلى تعديل القوانين لأنها قانعة ومتأكدة بأن دستور دولتها ينص على إعادة النظر بالقوانين وإلا فإنها ستفقد مفعولها. هذه المادة هي لتفادي الشرك الخفي.

أما المادة المخصصة لتفادي الشرك الظاهر "شرك الألوهية" فهي:

أ - لا يوجد في الدولة العربية الإسلامية طاعة مطلقة ولا حكم مطلق ولا بقاء أو استمرارية، وكل واحد يسمع منه ويرد عليه، وإن الطاعة المطلقة هي لحدود الله، والطاعة النسبية هي للقوانين المتحركة المتبدلة دائما ضمن الحدود، وإن حرية الفكر هي من أقدس المقدسات في هذه الدولة.

ب - إن الدولة العربية الإسلامية مبنية على البينات المادية الموضوعية، لذا فإن منهج التفكير الموضوعي والبحث العلمي والتطور والتصور المبني على التصديق، لا التصديق المبني على التصور هو الذي يحدد خط سير الدولة، والالتزام بهذا المنهج هو الذي يحدد مصداقية الناس في هذه الدولة بغض النظر عن الحسب والنسب وموقع المسؤولية الذي يشغله أي شخص.

هاتان السمتان هما اللتان تحددان بنية الدولة العربية الإسلامية بغض النظر عن البنية الاقتصادية التاريخية لألهما صالحتان لكل البني الاقتصادية.

لقد عرفنا الشرك بكل جوانبه الظاهرة والخفية .فما هو الكفر؟ هل يمكن أن يكون كل مشرك كافر؟ أو كل كافر مشرك؟

جاء لفظ الكفر من "كفر" وهذا الفعل يعني في اللسان العربي "التغطية والستر ونكران الموجود "الحقيقة" عن سابق معرفة أو جهل" ومنه جاء اسم "الكفر" وهي القرى المغطاة بثنايا الجبال، وجاء اسم الكفر للمناطق الزراعية النائية.

فجاء فعل "كفر" في المعنى اللغوي المادي المباشر في قوله تعالى) :كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا) .(الحديد 20 .(هنا جاءت "الكفار" بمعنى الناس الذين يعملون في الزراعة حيث ألهم يحفرون الأرض ويضعون البذار ثم يغطونه ويسترونه.

وجاء أيضا من كفر معنى التكفير والكفارة والكفران وهو التغطية عن سابق معرفة لقوله تعالى) : لأكفرن عنهم سيئاهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) . (آل عمران 195 .(وقوله تعالى) : والذين آمنوا

وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاهم) . (العنكبوت 7 (هنا نكفر أي نغطي ونستر عن سابق معرفة وهو ما نسميه اليوم التغاضي عن سابق معرفة .أما الكفارة فهي عمل لستر الذنب كقوله تعالى) :أو كفارة طعام مساكين) . (المائدة 95 . (وعندما أخبر بأن الله لا يغطي ولا يستر للناس أعمالهم الصالحة قال) : فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) . (الأنبياء 94.

إن الكفر بمعناه العقائدي هو تغطية وستر للحقيقة عن جهل وتجاهل ويعبر عن هذا الموقف بلسان مقال لا بلسان حال. فالعرب قبل الإسلام كانوا مشركين شرك ربوبية فكان الشرك لسان حال حياتهم وسلوكهم دون أن يقولوا ويعلنوا ألهم مشركون بل على العكس كانوا يعلنون بقولهم) :ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) .(العنكبوت 61 .(وكان محمد صلى الله عليه وسلم منهم ولكنه رفض الواقع الذي كانوا يعيشون فيه ولكنه لم يعلم ما هو البديل، أي أنه رفض الواقع المشرك دون معرفة البديل، هذا قبل الإسلام .

وعندما جاءه الوحي أعطاه البديل لذا قال تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم ووضعه قبل الإسلام) نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) . (يوسف 3 . (وقوله تعالى) : وكذلك أوحينا إليك روحا ن أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ... الآية) . (الشورى 52 . (لذا فإن ظاهرة الرفض في أي مجتمع هي ظاهرة تسبق تقديم البديل وهذه الظاهرة هي من الإرهاصات الصحية لأي ثورة أو حركة إصلاحية.

وعندما بعث محمد صلى الله عليه وسلم انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

- 1قسم آمن به "المؤمنون."
- 2قسم لم يؤمن به ولم يقف ضده فبقوا مشركين.
- 3قسم لم يؤمن ووقف ضده في مواقف علنية عدائية فهؤلاء بالإضافة إلى شركهم أصبحوا كافرين. هنا يجب أن نفهم تماما معنى الكفر الذي هو لسان مقال وموقف أما الشرك فلسان حال قناعة وطاعة. وهكذا نلاحظ كيف وصف القرآن الناس الذين وقفوا ضد دعوة الأنبياء بقوله:
 -) -والذين كفروا عما أنذروا معرضون) .(الأحقاف 3 .(لاحظ قوله)معرضون.(
-) -وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا) .(العنكبوت 12 .(لاحظ قوله) :قال الذين كفروا.(
 -) -ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون) .(الروم 58 .(لاحظ قوله) :ليقولن.(
-) وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد) . (سبأ 7 . (لاحظ "قال.''
 -) وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن) . (سبأ 31. (
 -) -قال الذين كفروا للذين آمنوا) . (يس 47. (

).170 فكفروا به فسوف يعلمون). (الصافات 170

بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين). (غافر 84.

-) فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا) . (هود 27)
 -) إلا إن عاداً كفروا ربمم ألا بعدا لعاد قوم هود) . (هود 60.(

لذا قال الله للنبي صلى الله عليه وسلم)يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) .(التوبة 73، التحريم 9.(

) -ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) .(النساء 136.(وعلى هذا فإن منكري الله ورسله واليوم الآخر لا نقول عنهم ملحدين بل هم كفار. ثم لاحظ موقف الكفر كيف جاء بصراحة كبيرة على أنه لسان مقال وموقف بقوله) :لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) .(المائدة 73-72) .(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثلاث ثلاثة) .(المائدة 73.(

ولاحظ موقف الذي آتاه الله الملك مع إبراهيم بقوله)أنا أحي وأميت (فقال له إبراهيم) :فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب .(فكان الجواب)فبهت الذي كفر) .(البقرة 258.(وليبين أن الشرك لسان حال وهو غير الكفر بينه بقوله) :ولا تكونن من المشركين) .(يونس 105) .(ووما أنا من المشركين) .(يوسف 108) .(ولم يك من المشركين) .(النحل 120) .(وما كان من المشركين .()النحل 123 .(وقد أورد الشرك والكفر في آية واحدة ولكل لفظ منهما معناه الخاص بقوله) :قالوا آمنا

هنا "كفرنا" أي اتخذنا موقفا علنيا "قالوا" واضحا ضد كل مظاهر الشرك، وقوله) :سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله) .(آل عمران 151.(

وأما من حيث القتال فقد أمر الله بقتال المشركين عندما يقاتلون المؤمنين بقوله) :وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلو تنكم كافة) .(التوبة 36 .(أما الكفار فقد نصح بأشد من ذلك بقوله) :جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) .(التوبة 73، التحريم 9.(

وهكذا فإننا لا نرى في الكتاب كله إلا آية واحدة تقول) :وقال الذين أشركوا) .(النحل 35 .(لأنه دائما يعطي الشرك كلسان حال وقناعة. وآية واحدة تتحدث عن المستقبل وهي) :سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون) .(الأنعام 148 .(إن هذه الآية في معناها المعاصر وتطبيقها الحالي هي:

- 1 تعيش أمة من الأمم في وضع سكوني متخلف "شرك خفي" قانوني ومعرفي.
- 2هذه الأمة لا يوجد عندها قوانين متطورة أي ألها تطيع قوانينها البالية القديمة أي قوانين مطلقة "شرك ظاهر."

- 3وحرم مشرعو هذه الأمة كثيرا مما أحل الله تحريما دائما غير ظرفي.

هذه الحال تنطبق على المسلمين تماما فالفقهاء المسلمون السابقون حرموا كثيرا مما أحل الله "انظر مبحث المرأة في الإسلام" لذا قال) :ولا حرمنا من شيء) .(الأنعام 148 .(فإذا قلنا للفقهاء الحاليين غيروا هذا الفقه فسير فضون ذلك لذا قال) :هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) .(الأنعام 148 .(فإذا قلنا لهم ذلك فسخرجون لنا بالآراء التي كتبت في القرنين الثاني والثالث الهجري وسيبتعدون عن آيات الكتاب لذا أجابهم :)إن تتبعون إلا الظن .(فالكتاب لا ريب فيه والباقي فيه ريب فيصبح ظنا هذا من ناحية .ومن ناحية أخرى عندما قال) :سيقول الذين أشركوا) .(الأنعام 148 .(

هذا يعني ألهم لم يقولوا بعد من ناحية، ومن ناحية أخرى سؤال استفهامي وليس موقف إنكار بعد. فعندما أتاهم الجواب واتخذوا بعد ذلك موقفا مضادا أصبحوا كافرين.

أما قوله تعالى) :وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا مندون من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) .(النحل 35 .(نرى أن هذه الآية هي جواب للآية 148 من سورة الأنعام حيث بدأت بقوله) :سيقول الذين أشركوا .(فجاءت هذه الآية جوابا لها. وقد أكد فيها أنه لا محرمات من عند الله غلا ما جاء في الرسالة "الحدود" فقط. فعلينا أن لا نعبث بكلمة حرام فهي كلمة كبيرة جداً.

-الوصية الثانية "وبالوالدين إحسانا:"

لقد وضع الله بعد الشرك بالله هذه الوصية، وذلك لسببين:

- 1إن أساس الحياة هو التكاثر والتباعد والانفصال والانتشار، فإذا نظرنا إلى الحياة النباتية نرى أن الشجرة ترعى بذورها حتى تنضج ثم تنفصل البذرة من الثمرة الأم لتكون شجرة بنفسها وقد تشارك هذه البذرة بعد الانفصال الشجرة الأم في غذائها. وغذا نظرا إلى الحياة الحيوانية رأينا أن الوالدين يرعيان أطفالهما بتقديم الطعام لهم والدفاع عنهم حتى سن معينة ثم ينفصل الأولاد عن الأبوين انفصالا كاملا، وقد يتناحر الأبناء مع الآباء على الفريسة والطعام، وهذه هي سنة الله في خلقه حتى في الإنسان.

فالإنسان وهو طفل كائن بشري يسلك سلوكا حيوانيا وأبواه ومجتمعه يعلمانه، والأم والأب يرعيان الأولاد ثم يكبر الأولاد وينفصلون عنهما وقد يهاجرون إلى مكان آخر بعيد ابتغاء العلم والعمل والرزق. فقد أمرنا الله من الناحية الإنسانية لا من الناحية البشرية أن نحسن لآبائنا وألا ننساهم كما تنسى البهائم والديها ونرعاهم ولا نقول لهم إلا قولا حسنا) :فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) .(الإسراء 23.(لم يوص الله الآباء بأولادهم لأن حرص الأبوين على الأبناء ليس من الوصايا الإنسانية وإنما هو من الغرائز البشرية حيث قال تعالى) :ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناعلى وهن وفاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير) .(لقمان 14) .(ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله

وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي ...الآية) .(الأحقاف 15 .(

أي أن عيد الميلاد الثاني للطفل عند المسلمين هو عيد هام جدا، إذ أنه مرحلة بداية الاعتماد على النفس "الفصال". هنا ذكر الفصال في عامين وذكر الحمل والفصال في ثلاثين شهرا، فأورد الحد الأدنى للحمل وهو إتمام ستة اشهر والدخول في الشهر السابع.

-2إن أساس الحياة الإنسانية هو التقدم والتطور وزيادة المعارف، فالأبوان يعطيان الأولاد معارفهم وخبراتهم المتراكمة، فيأخذا لأولاد هذه الخبرة والمعارف ليزيدوا عليها ويطوروها وهنا تحصل المأساة والمصادمة بين الآباء والأبناء بصراع متصالح هو صراع الأجيال. فالأب ولاأم ينتميان إلى جيل، والأولاد ينتمون إلى جيل آخر، والأب والأم يحاولان جاهدين أن يلزما الأولاد بطريقة المعاش والأعراف والتفكير التي كانت سائدة عندما كانوا شبابا، والأولاد يرفضون هذه الطريقة، ولو أطاع الأولاد الوالدين في هذه المشكلة لوقف تطور الإنسانية عند حد معين ورجعناإلى المملكة الحيوانية حيث أن الأبناء في المملكة الحيوانية يقلدون الآباء تقليدا طبق الأصل تماما .

وقد حسم الله سبحانه وتعالى هذا الموقف لصالح التطور والتقدم ولم يعتبره عقوقا للوالدين بقوله) :ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبكم بما كنتم تعملون.(

)العنكبوت8) .(وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) .(لقمان 15 .(لقد جاء هذا الحسم في الآيتين العنكبوت) ولقمان 15 .(وفي كلتا الآيتين جاء فعل "جاهداك". فهنا الجهاد لا يعني الأمر أو الطلب وإنما هو أكثر من ذلك فالجهاد عملية مستمرة يومية يبذل فيها جهد. ولكنه مرة قال) :لتشرك بي ما ليس لك به علم (والمرة الثانية) :على أن تشرك بي ما ليس لك به علم .(

ففي الحالة الأولى جاء خبر صراع الأجيال كأن يقول الوالدان كنا نلبس هكذا وكنا نفعل هكذا وكانت معلوماتنا عن الطبيعة هكذا ي المستوى المعرفي القديم ويطلبان من الأبناء التقيد بذلك "شرك ربوبية" لذا قال "فلا تطعهما" وحسمت لصالح الأبناء. وفي الحال الثانية يجاهد الوالدان الأولاد على ثبات الطاعة المطلقة لهما أي إشراك أوامرهم بحدود الله بدون أي مجال للاختيار والتصرف "شرك ظاهر" ويضعالها شرطا للغضب والرضا فهنا أيضا حسمت لصالح الأبناء بقوله) :فلا تطعهما (ثم أضاف على ذلك) :وصاحبهما في الدنيا معروفا) .(لقمان 15 .(

أي على الأولاد أن يتبعوا الأعراف السائدة في محاولة الطاعة الوالدين وأن يحسنوا إليهما وأن لا يقولوا لهما أف ولا أن يطردوهما "ولا تنهرهما" ولكن على الأبناء أن يكونوا أذكياء، عندهم حلم وكياسة في معالجة

القضية لذا فقد حسم سبحانه وتعالى قضية صراع الأجيال لصلاح الأبناء من ناحية التطور والتقدم في الأعراف وطرق المعاش واللم وحسمها لصالح الآباء من الناحية الأخلاقية، وفي هاتين الناحيتين يوجد تمييز عن الحيوان، أي أن الإنسان يجب عليه أن يتطور ويتقدم ولا يكون صورة طبق الأصل لوالديه وعليه أيضا أن يحمل قيما أخلاقية تجاه والديه. وهاتان الناحيتان مفقودتان في المملكة الحيوانية.

-الوصية الثالثة والخامسة:

-) -3ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم. (
 -) -5ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق.(

لا تفهم الوصية الثالثة إلا إذا ربطت وقورنت مع الوصية الخامسة حيث أن كلتيهما تبدأ بأمره تعالى) :ولا تقتلوا.(

ففي الوصية الثالثة جاءت)ولا تقتلوا أولادكم (والولد هو الذكر والأنثى، فالسؤال الأول الذي يطرح نفسه الآن: أليس الولد نفسا؟ لماذا لم يدمج الوصية الثالثة مع الوصية الخامسة؟

والسؤال الثاني هو أنه في الوصية الثالثة حدد الشروط التي حرم فيها قتل الولد وهي من إملاق أي إذا كانت الحالة ليست إملاق فيجوز قتل الولد. أما في الوصية لاخامسة فجاءت النفس التي حرم الله، فهذا يعني بالضرورة يجوز قتل النفس التي لم يحرمها الله، ثم وضع شرطا آخر لقتل النفس التي حرمها الله وهو)إلا بالحق . (فهذا يعني أن هناك فرقا كبيرا جوهريا بين الوصية الثالثة والوصية الخامسة . فنشرح الوصية الخامسة وفي ضوء شرحها سنشرح الوصية الثالثة.

فالنفس جاءت من "نفس" ومنها جاءت النفوس والأنفس والنفس والتنفس. فكل كائن حي يتنفس ويأخذ الأوكسجين بطريقة ما حسب درجة تطوره إما بشكل مباشر بعد الولادة أو بشكل غير مباشر عن طريق دم الأم قبل الولادة بالنسبة للحيوانات العليا ومن ضمنها البشر. فالحيوانات كلها أنفس كائنات حية وكذلك الإنسان بوجوده الفيزيولوجي البشري فهو نفس، فنقول النفس البشرية حيث أن فيها جهاز تنفس. فقد أحل الله لنا قتل الأنفس غير البشرية بقوله) :قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح) (المائدة 4 .(وقوله :)أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة) (المائدة 96 .(وقوله) :أحلت لكم بهيمة الأنعام .() المائدة 1) .(وأحلت لكم الأنعام غلا ما يتلي عليكم) .(الحج 30 .(

وقد أحل لنا الله سبحانه وتعالى هذه الأنفس بالقتل وحرم علينا أن نأكلها ميتة بقوله) :قل لا أجد في ما أوحي إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خترير) .(الأنعام 145 (هذه الأنفس التي أحل الله لنا قتلها ولم يحلل لنا أكل لحومها إلا بعد قتلها لذا قال) :ولا تقتلوا النفس التي حرم الله .() الأنعام 151 .(

فالنفس التي حرم الله قتلها هي النفس البشرية والنفس الإنسانية.

فالنفس البشرية هي الوجود الحي الفيزيولوجي أو هي الوجود الإنساني ككائن حي فقط والذي يفهم من قتلها هو انتقالها من الحياة إلى الموت عن طريق الشنق أو الذبح أو الجروح أو السم أو إطلاق النار عليها و الحرق.

أما النفس الثانية التي حرم الله قتلها وهي النفس الإنسانية

''بشر + روح = إنسان ''

وهي أن يبقى الإنسان كائنا حيا كبشر ويموت كإنسان أي قتل كل الأحاسيس والمشاعر الخيرة والشريرة معا وتحويله إلى بميمة أو آلة تماما. هذه النفس التي قال عنها الله) : ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها . () الشمس 7-8 (فقتل النفس الإنسانية هو قتل هذه النفس المليئة بمشاعر الفجور والتقوى معا .

وتحويل الإنسان إلى بميمة. هذه النفس التي تقل بالإرهاب والتعذيب والقمع والكذب والغش، لها حقوق أيضا. وقد انتبهت الإنسانية إلى هذه النفس بعد الحرب العالمية الثانية تحديدا حين صدرت عن الأمم المتحدة وثيق حقوق الإنسان "لا حقوق البشر" حث أن حق البشر هو الحياة والعناية بالصحة الجسدية وحق الإنسان هو الحرية والكرامة والعناية بالصحة النفسية، وإن الفجور والتقوى في علاقة جدلية هي النفس الإنسانية والترجيح بينهما لا يأتي إلا عن طريق التربية لذا قال) :قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها. (

)الشمس 9-10 (لذا فإن عناية أي مجتمع بأفراده تتضمن العناية بالصحة الجسدية "البشر "والصحة النفسية "الإنسان". هذه النفس البشرية والإنسانية لا يجوز قتلها إلا بالحق. أي يجب أن يقوم الإنسان بعمل يستحق عليه هذه العقوبة، وقد حدد الله هذا الحق قوله "النفس بالنفس" وقوله أيضا)إلا بالحق . (يعني أن الذي تريد قتله يجب أن يكون قاتلا تصديقا لا تصورا أي لا يمكن قتل النفس إلا بعد البينات المادية الموضوعية. أما قتل النفس الإنسانية فقد حرمه الله في كل الأحوال حتى مع المجرمين.

ويجب علينا نحن العرب المسلمين أن نكون واعين لهذه الناحية، لذا علينا أن نعلم ن المشافي والخبز والطعام والسكن ليست بديلا لحرية الإنسان وليست ثمنا لهذه الحرية حيث أن كل أمر منها يتمم الآخر ولا يعتبر بديلا لها .والحرية أيضا ليست بديلة للمشافي والطعام والخبز والسكن.

قد يقول قائل إن الإنسان يمكن أن يتنازل عن حريته مقابل الطعام والشراب والسكن، هذه الأطروحةهي أطروحة القمع والإرهاب. فإذا أخذت حرية الإنسان ولم تعطه الطعام والشراب والسكن، فكيف يمكن أن يطالب بها؟ إذا أخذت منه حريته وسلبتهكل الأقنية التي مكن أن يطالب بها فيفقد بذلك طعامه وشرابه وحريته معا. ولكن العكس هو الأصح، فإذا أخذ الإنسان حريته من خلال الصحافة والمؤسسات الحرة والأحزاب دون أن يأخذ الخبز والسكن فتبقى عنده إمكانية المطالبة والحصول عليها حيث أن الحياة والحرية الإنسانية هي أغلى ما يملكه الإنسان ولا يمكن مقايضتها بأي شيء آخر.

وهنا يجب أن ننبه إلى ناحية في غاية الأهمية وهي تجاوز حدود الله في قتل النفس. ذلك أن الحد الأعلى لعقوبة

قتلا لنفس هو الإعدام "النفس بالنفس الوقد شرحتها في محبث الحدود. أي أن الذي يستحق الإعدام هو القاتل عن عمد وقصد ويجب أن تقام البينات المادية عليه لقوله)إلا بالحق . (فأي تجاوز منا لدولة في غير حالة الحرب لحدود الله في هذه الناحية يؤدي بالضرورة إلى شناعات تقشعر لها الأبدان وهي حملات القتل الجماعية، كأن تكال التهم غير المدعمة بأدلة مادية تحت شعار أعداء الشعب أو أعداء الثورة، وتحت هذه التهم يفتح باب الإعدام لملايين من الناس. وقد حصل هذا في ألمانيا النازية وروسيا الستالينية، حيث قتل الملايين دون إدانات مادية. بل لمجرد مواقف فكرية.

ولننتقل بعد هذا إلى الوصية الثالثة: لقد حرم الله قتل الولد في حالة واحدة وهي الإملاق فقال تعالى) :ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) .(الأنعام 151 .(وقال) :ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا) .(الإسراء 31.(

ويبقى سؤال: هل هناك من الوالدين من يقتل ولده حيث أن هذه الوصي موجهة للوالدين؟ وهل إذا قتل الإنسان ولده فهو حر ولا يعاقب؟ أو ليس الولد نفسا وتنطبق عليه الوصية الخامسة؟ هنا لا يمكن تفريق هذه الوصية عن الوصية الخامسة إلا إذا كان الخطاب موجها لمشكلة تخص الوالدين فقط وحصرا .

وهذه المشكلة هي مشكلة الإجهاض، لأن الولد يصبح نفسا بعد الولادة فتنطبق عليه الوصية الخامسة ويحتاج إلى وصية خاصة وهي تحريم قتل الولد ذكرا كان أم أنثى وهو في رحم الأم وهو ما نسميه اليوم "بالإجهاض" لأن هذه المشكلة تخص الوالدين بشكل أساسي ثم المجتمع، فهنا لم يقل ولا تقتلوا أولادكم إلا بالحق بل قال:)ولا تقتلوا أولادكم من إملاق . (أي هذه هي الحالة التي حرم الله فيه الإجهاض. فالإملاق غير الفقر حيث جاءت من "ملق" وهو أصل في اللسان العربي يعني تنظيف النوب ومسحه ومنها جاءت الممالقة وهي ما نسميه اليوم "تمسيح الجوخ" تعبيرا عن النفاق. فالإملاق هو نظافة الإنسان من المال وهو سبب اقتصادي بحت. فإذا أراد أحدهم أن يقتل ولده عن طريق الإجهاض بسبب عدم وجود قدرة مالي ليرعى الولد)من إملاق . (أو يخاف أن لا يوجد عنده مال ليرعى الولد)خشية إملاق . (إذا كان الإجهاض لهذا السبب فهو

وهناك كثير من الحالات الأخرى التي لا ينطبق عليها "من إملاق أو خشية إملاق" وعلى علماء الطب أن يحددوها متعاونين ويشرحوها للمسلمين على ألها حالات يعتبر الإجهاض فيها حلالا، أما بعد ولادة الطفل فمهما كانت الحال فعلى الإنسان المسلم أن يقبل ذلك ولا يقتل الولد لأنه أصبح نفسا، في هذه الحالة تنطبق عليه الوصية الخامس. وهذه مشكلة أخلاقية يعاني منها كل أطباء العالم في حالتين: حالة ولادة طفل مشوه والعناية به ومحاولة الإبقاء على حياته. وحالة المريض الذي يتعذب ولا أمل في شفائه.

هذه الوصية جاءت عن قتل الولد أي الإجهاض بعد الحمل. أما حالات منع الحمل أصلا فلا يسأل عنها أهي حلال أم حرام، أو هي عمل أخلاقي أم غير أخلاقي؟ لأنها حلال فهي عبارة عن إجراء فني بحت ولا يوجد فيه

أية مخالفة للمنظومة الأخلاقية والتشريعية في الإسلام.

قد يقول البعض إن هذه الوصية جاءت لتحريم وأد البنات. أقول هذا غير صحيح لأن العرب كانت تئد البنات بعد الولادة. ووأد البنات يدخل تحت بند الوصية الخامسة هذا من ناحية. وأما الأولاد فهم الذكور والإناث معا. ثم إن هذه الوصايا جاءت لأهل الأرض قاطبة ولكل زمان ومكان. فهي ليست للعرب فقط وليست للقرن السابع الميلادي. فإذا أصر الفقهاء على هذا الرأي نقول: عليكم في هذه الحالة أن تعترفوا أولا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان رسولا للعرب فقط وليس للناس وعليكم أن تنسخوا آية) :قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) . (الأعراف 158 (لكي يكون رأيكم صحيحاً.!

-الوصية الرابعة:

) - 4ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) .(الأنعام 151.(

)إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن...الآية) .(الأعراف 33.(

هنا جاءت الفواحش بصيغة الجمع فهذا يعني أنه يوجد على الأقل ثلاثة أعمال مختلفة تعتبر كل منها فاحشة. لقد جاءت في الكتاب بكل الأمور التي حرمها الله وتتعلق بالعلاقات الجنسية حصرا والفاحشة اسم جنس للعلاقات الجنسية غير المشروعة. فمثلا السرقة وشرب الخمر والميسر ليست من الفواحش وإنما هي من الآثام جمع "إثم."!

فالعلاقات الجنسية المحرمة التي جاءت في الكتاب صراحة والتي سميت فواحش هي التالية:

) - 1ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) .(النساء 2.(

وهذا ما نسميه اليوم نكاح المحارم حتى ولو بعقد نكاح والتي وردت في الآية 22)، (23في سورة النساء وهي حالة الحد الأدبى في تحريم النكاح.

) - 2ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين). (الأعراف 80.(

)إنكم لتأتون الرجال شهوة من ون النساء بل أنتم قوم مسرفون).(الأعراف 81.(

)-3ولا تقربوا الزبي إنه كان فاحشة وساء سبيلا). (الإسراء 32.(

وعندما صرف الله سوء امرأة العزيز عن يوسف)كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين). (يوسف 24.(

هنا نرى لماذاذكر الفواحش بصيغة الجمع، ونرى أن للفاحشة نوعين: النوع الأول ذو منشا غريزي بحت وهو نكاح الذكر للأنشى، هذه الناحيةموجودة عند كل مخلوقات رب العالمين الحية بما فيها الإنسان وهي عملية الجماع الغريزية وهي صفة بشرية بحتة لا مجال لنفيها والاستغناء عنها) : وأنه خلق الزوجين الذكر والأنشى . () النجم 45 . (

وقد أضاف الله سبحانه وتعالى للجماع الغريزي البشري صفة تعاقدية إنسانية بحتة لذا سمى العقد الذي يجامع بموجبه الذكر الأنثى "عقد نكاح" لا "عقد زواج" وهذا العقد ذو صيغة اجتماعية. فهذا العقد يقوم على أساسين أولهما تحريم نكاح المحارم الوارد في سورة النساء حتى ولو بعقد. ثانيهما تحريم الجماع الجنسي بين ذكر وأنثى من غير المحارم إلا بعقد. وهذا تمييز إنساني بحت عن المملكة الحيوانية فلا يوجد عند الحيوانات محارم ولا يوجد عقود نكاح. وقد وضع الله سبحانه وتعالى الجماع كحد أعلى للعلاقة بين الذكر والأنثى. أما أي علاقة بين ذكر وأنثى لا تنتهي بالجمع الجنسي فهي ليست من الفواحش وإنما ينظر إليها من باب الأعراف "الآداب العامة". فالفرج هو الذي يصدق الفاحشة أو يكذبها.

أما الناحية الثانية فهي ليست غريزية وإنما جاءت من شهوة إنسانية واعية ومدركة ويمارسها الإنسان عن طريق التعليم الخاطئ أو عن طريق شروط موضوعية غير صحية وهو نكاح الذكر اللواط" وهذا أحد أنواع الشذوذ الجنسي "النشوز" لذا قال لوط لقومه عن اللواط) أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) . (الأعراف 80 (وسميت هذه العلاقة فاحشة.

أما قوله تعالى) :ما ظهر منها وما بطن (فلنأخذ ولا ما ظهر منها. الفاحشة الظاهرة هي المذكورة بشكل صريح وظاهر في الكتاب وهي الزنى واللواط ونكاح المحارم. يبقى الآن استفسار مهم وهو: ما هي الفواحش الباطنة؟ لقد أورد الله سبحانه وتعالى مثالا على الفاحشة الباطنة وهو عندما يمارس الرجل اللواط مع زوجه فهي أمام الناس زوجه وتزوجها حسب شريعة الله ورسوله فهي حل له وهو حل لها .

فإذا أراد الرجل أن يأتي زوجته لواطا لا من حيث أمره الله أن يأتيها من فرجها)فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله) . (البقرة 222(، هذا النوع من اللواط يسمى فاحشة باطنة وهذا ما أسماه الله في سورة النساء النشوز الجنسي من الرجل بقوله) : وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) . (النساء 128 (هذه الآية خاطبت المرأة التي تخاف من زوجها الفاحشة الباطنة. ففي هذه الحالة قد يطلب الزوج ممارسة اللواط مع زوجه فإذا امتنعت فيعرض عنها ولا يمارس الجنس معها من حيث أمره الله. وهنا تخاف الزوجة من هذه الفاحشة ويمكن أن تطلب الطلاق وتلجأ إلى الفضيحة، فهنا نصحها الله سبحانه وتعالى هي زوجها بقوله) : فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير) (...النساء 128 . (

هذا القول هو الدليل القوي أن هذه الآية جاءت للشذوذ الجنسي لأنه قال) : فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا . (لأنه متى يسمي الله الصلح بين الناس على أنهجنحة حيث قال عن الصلح في هذه الحالة بأنه ليس بجنحة. أي على المرأة أولاً لأنها هي المخاطب، والرجل ثانيا لأنه هو الناشز أن يصلحا بينهما بأن تعرضه على طبيب وتحاول إصلاح زوجها ما أمكن، على أن يكون الزوج إيجابيا معها لذا قال سبحانه) : وأحضرت الأنفس الشح) . (النساء 128 (والشح جاء من "شح" وتعني في اللسان العربي أن يحتفظ الإنسان بالمال

والمغانم والإيجابيات كلها لنفسه دون الآخرين.

أي على المرأة أن لا تجعل من زوجها مهزأة وتحاول أن تحتفظ بكل شيء غيجابي لنفسها دون أن تذكر إيجابيات زوجها وكذلك الرجل لا يلقي بكل التبعة على زوجه بل عليهما التعاون وإصلاح ما بينهما وعدم اللجوء مباشرة إلى الطلاق وإلى الفضيحة. وإذا حصل الطلاق فيكون طلاقا صلحيا لا طلاقا عدائيا. وهناك نوع آخر من الفاحشة الباطنة وهو لواط الرجل مع أية امرأة غير زوجه من غير المحرمات بموافقتها.

هذه الوصايا الخمس التي جاءت في سورة الأنعام في آية واحدة هي الآية رقم (151) جاءت بصيغة أخرى أكثر تفصيلا في سورة الإسراء وبأكثر من آية وسماها الحكمة وهذه الآيات هي:

) -وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) .(الإسراء 23.(

هنا نلاحظ كيف ربط التوحيد وعدم الشرك ببر الوالدين في آية واحدة، وقد شحرت هذا الربط في مبحث حول "وبالوالدين إحسانا" في هذه الآية جاءت الوصية الأولى والثانية.

) -ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا) .(الإسراء 31. (في هذه الآية جاءت الحالة الثانية من الوصية الثالثة وهي)خشية إملاق .(أي الحوف افتراضا من عدم إمكانية صرف المال لذا أضاف) :نحن نرزقهم وإباكم) .(الإسراء 31 .(هنا وضع الأولاد قبل الوالدين .أما الحالة الأولى) :ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) .(الأنعام 151 .(هنا وضع الواليدن قبل الأولاد، لأن الإملاق هنا موجود فعلا لا افتراضا .

وهنا نلاحظ التعليق المهم جدا في آخر الآية في قوله) :إن قتلهم كان خطئا كبيرا) .(الإسراء 31 . (حيث وضع الإجهاض لسبب اقتصادي "من إملاق" على أساس أنه خطء كبير ولم يقل جريمة أو مجرمين ولم يضعه بمترلة القتل المتعمد مع سابق الإصرار بقوله) :ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) . (النساء 93 . (ونلاحظ دقة الصيغة الإلهية في الوصايا.

) - ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا) . (الإسراء 32.

هنا وضع إحدى حالات الوصية الرابعة.

) -ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا) .(الإسراء 33.(

هنا وضع الوصية الخامسة وشرح معنى)إلا بالحق (وهو أنه عقوبة من يقتل إنسانا ظلما أي بدون ذنب اقترفه ويستحق عليه القتل ''النفس بالنفس". وكما شرحت أن الظلم هو وضع الشيء في غير محله عنوة أو عن غير قصد أي ظلم مقصود "القتل المتعمد" وظلم عن غير قصد "القتل الخطأ" وهنا نلاحظ أيضا كيف وضع القتل كحد أعلى للعقوبة لذا قال)فلا يسرف في القتل) .(الإسراء 33.(

هنا وضع الوصية الخامسة وشرح معنى)إلا بالحق (وهو أنه عقوبة من يقتل إنسانا ظلما أي بدون ذنب اقترفه ويستحق عليه القتل ''النفس بالنفس". وكما شرحت أن الظلم هو وضع لاشيء في غير محله عنوة أو عن غير قصد أي ظلم مقصود "القتل المتعمد" وظلم عن غير قصد "القتل الخطأ" وهنا نلاحظ أيضا كيف وضع القتل كحد أعلى للعقوبة لذا قال)فلا يسرف في القتل). (الإسراء 33. (وهذه الآية هي من آيات الحدود.

-الوصية السادسة:

) - 6ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده). (الأنعام 152. (

اليتيم في اللسان العربي تطلق على فاقد الأب والقاصر بنفس الوقت. أما إذا كان فاقد الأم والأب فيصبح يتيم الأبوين. وإذا كان فاقد الأم فقط فهو يتيم الأم.

وفي حالة فقدان الأب والقصور، فإن اليتيم بحاجة إلى وصي من الناحية المالية والتربوية لذا جاءت الآيات التالية:

-) -و آتوا اليتامي أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا .()النساء 2.(
 -) -وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسبيا) .(النساء 6.(

لذا فإن الوصية السادسة موجهة إلى غير الآباء لأنه في حالة فقدان الأم فالأب هو الوصي حكما ولا تنطبق عليه هذه الوصية.

أما من ناحية المسؤولية المالية والمسؤولية التربوية معا فقد جاءت الآية:

) -وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) .(النساء 3.(انظر شرح هذه الآية وهي من حدود الله في مبحث المرأة في الإسلام.

-الوصية السابعة:

)-15 وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها) (الأنعام 152)

هذه الوصية تتعلق بالعلاقات الإنتاجية والعلاقات التعاقدية. فإذا نظرنا الآن إلى أية سلعة من البضائع المنتجة "سيارات، أدوية مأكولات، مشروبات، مواد بناء، أقمشة وملبوسات". وأردنا أن نضع لها مواصفات، رأينا أن المواصفات لا تخرج عن بندين اثنين:

أ - مواصفات وزنية: وهي الكيلوغرام وأضعافه وأجزاؤه، أو الباوند وأصعافه وأجزاؤه.

ب - مواصفات بعدية: طول، مساحة، حجم.

لقد جعل الله التقيد بالمواصفات بالبيع والشراء والإنتاج من أركان التقوى في الإسلام حيث دخلت في الوصايا. فلا يمكن أن تستقيم وضعية إنتاجية ومن ثم تعاقدية إلا من خلال المواصفات. فعلى المسلم عندما ينتج ويبيع ويشتري أن يضع مواصفات لإنتاجه ولبيعه وشرائه، وبدون هذه المواصفات لا يمكن ضبط أية سلعة إنتاجية أو تسعيرها بيعا وشراء.

مع العم بأن رقي أي دولة في الإنتاج يقاس بمقدار رقي مواصفاها وتقيدها بها. فإذا أراد مسلم مثلا أن يشتري بيتا فهذا الشراء به نوعان:

أ - شراء حاضر كأن يكون البيت جاهزا للتسليم.

ب - شراء غير حاضر، وهذا الشراء لا يصح إلا بمواصفات،

أي عقد البيع يجب أن يكون له ملحق المواصفات التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من العقد وكلما كانت المواصفات دقيقة كان البيع أكثر حلالا.

وبما أن هناك درجات في الدقة مختلفة في المواصفات جعل جزءا من هذه الوصية بقوله) : لا نكلف نفسا إلا وسعها . (فالإنسان يتقيد في المواصفات حسب الدقة الوزنية والحجمية الموجودة عنده وحسب المواصفات القياسية الشائعة في الدولة التي يعيش فيها.

وإن من أولويات الأمور التي يجب أن تمارسها الدولة العربية الإسلامية هي وضع مواصفات لكل شيء ضمن هذه الدولة، وأن تتقدم هذه المواصفات مع تقدم المعرفة أي أن الانعكاس المباشر للتقدم والبحث العلمي في الدولة هو تطوير المواصفات الدارجة في الدولة والمجتمع. أما من الناحية الفردية فعلى المسلم التقي أن يتقيد بالمواصفات الوزنية والحجمية في كل شيء حسب الدقة المتوفرة لديه.

وإذا نظرنا إلى القضايا في المحاكم رأينا أن معظمها ظهر لعدم وجود المواصفات أصلا في العقد أو وجود مواصفات بدائية جدا. وعلينا أن نعلم أيضا أن آية المداينة وهي الآية رقم 282 في سورة البقرة هي من آيات الحدود وهي آية الحد الأدبى لصلاحية العقد فيجب ن لا ينقص من بنودها شيء في أي عقد بل يمكن إضافة بنود جديدة إليها حسب الحاجة.

ولكي نعلم أن الله أمرنا بالتقيد بالمواصفات في رسالة شعيب حيث وصلت الإنسانية إلى مرحلة التبادل التجاري وظهور الوحدات القياسية لذا جاء التشريع قائلاً:

)ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين) . (هود 85 . (فجاء التقيد بالمواصفات من أجل غاية هي قوله) : ولا تبخسوا الناس أشياءهم . (أي حين يدفع الإنسان مالا يجب أن يعلم مقابل ماذا يدفع هذا المال، وما هي مواصفات السلعة المشتراة لأن كل عمل منتج يمكن تحويله إلى مواصفات وجيب علينا أن لا نبخس الناس أشياءهم إن كانت عملا أو سلعة أو نتاجا علميا أو

أدبيا أو فنيا أو ابتكارا.

وهنا نلاحظ قوله) :ولا تبخسوا الناس .(ولم يقل ولا تبخسوا الذين آمنوا حيث تكون نظرة الإنسان العربي المسلم إلى قيمة الأشياء وإلى العدالة نظرة عالمية بحتة. وقوله أيضاً) :وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل). (النساء 58 . (ولم يقل بين الذين آمنوا.

-الوصية الثامنة:

).152 وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربي). (الأنعام 152.

إن هذه الوصية هي حالة عامة، تعتبر شهادة الزور حالة خاصة لها فالإنسان يجب أن لا يتكلم إلا كلاما صادقا.

وعندما يكون الإنسان موضوعيا في أحكامه لا تتحكم يه الأهواء والعواطف .والموضوعية المادية بحد ذاهما صادقة وعادلة، وهذا واضح في قوله تعالى) :وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) . (الأنعام 115 . (فكلام الله الذي هو عين الوجود ونوميسه يحمل صفتين أساسيتين هما: الصدق و العدل.

وهكذا فإن الصفة الأساسية للإنسان هي الصدق والعدل. لأن قوله مبنى على البينات، لا على الأهواء. وهذه صفة أساسية للتقوى عند الإنسان المسلم وهذا ما شرحته في مبحث عن الشرك بأن الدولة الإسلامية لها بنية في مؤسساهًا وأفرادها وهي التصور المبني على التصديق، لا التصديق المبنى على التصور.ففي هذه الحالة تحمل الدولة في بنيتها الصدق والعدل. أما شهادة الزور فهي حالة خاصة من هذه الوصية. فعلى الدولة العربية الإسلامية أن تضع في دستورها عقوبة شهادة الزور على ألها عقوبة جزائية لا إدارية أو مالية . ويجب أن تغير يمين الشهادة في القضاء بأن يقسم الشاهد على قول الصدق لا الحق. لأن الإنسان قد يقول

الصدق حسب ما شاهده وقد تكون المشاهدة خادعة أو ظنية فتصبح غير حقيقية. لأن الوحيد الذي أقواله حقيقية وصادقة وعادلة تماما بدون استثناء هو الله فقط لأنا لحق الصادق والعادل هو عين كلماته وهو عين

الوجود) :قوله الحق) . (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا. (

-الوصية التاسعة:

) -9وبعهد الله أوفوا) .(الأنعام 152.(

تعد هذه الوصية اختصارا قانونيا للآلاف المؤلفة من البنود فيما لو فصلت كلا على حدة. فكل مهنة لها مواصفاها ولكل علاقة اجتماعية شروطها.

فمثلا في مهنة الطب هناك أمور يجب على الطبيب أن لا يمارسهاوهناك أمور يجب عليه القيام بها من الناحية المهنية وهذا ما نسميه بالدستورالأخلاقي المهني. فكل مهنة لها مواصفاتها الأخلاقية "دستورها": المالي، والمشرع، والمهندس، والوزير، والضابط، والشرطي، والموظف، والمنتج في كل دائرة حسب درجة المسؤولية ونوع العمل، وهناك البناء ومواصفاته وأصول البيع والشراء ونسبة الأرباحن في هذه الحالة توضح المواصفات الأخلاقية لكل مهنة على حدة، ولا يسمح لأحد أن يمارس المهنة إلا إذا كان مؤهلا أولاً، ثم عليه أن يقسم اليمين على الدستور الأخلاقي لمهنته. فإذا لم يقسم اليمين فإنه يمنع أصلا من ممارسة المهنة حيث لا يوجد في الدولة العربية الإسلامية مهنة مهما كان نوعها بدون قسم لهذه المهنة.

وتضع الدولة لهذا القسم عقوبة واحدة علما بأنه يدخل تحت هذا القسم الآلاف المؤلفة من البنود. هذه العقوبة هي عقوبة حنث اليمين ويجب أن تكون جزائية لا إدارية أو مالية.

وإني أرى أن ينظر إلى اليمين المهني في البلاد العربية الإسلامية بجدية كبيرة. وعدم التقيد باليمين يدل على شدة التدهور الأخلاقي. فاليمين عهد بين الذي اقسمه وبين الله لا بين إنسان وإنسان آخر. وكذلك البيعة في الانتخاب عهد فعندما ينتخب إنسان إنسانا فهذا يعني أن المنتخب أعطى عهدا على أن يمثل مصالح المنتخبين، والمنتخب أعطى عهدا على أن يعدى حدود الله. والمنتخب أعطى عهدا على أن يطيع المنتخب طاعة نسبية ضمن التشاريع الصادرة بدون أن تتعدى حدود الله. إن وصية)وبعهد الله أوفوا (تختلف تماما عن أداء الأمانة المادية للآخرين والواردة بأمره تعالى) :إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) .(النساء 58.(

وقد يقول قائل إذا كان إنسان ما لا يؤمن بالله يؤدي القسم ولا يلتزم به فيقول إنه غير مؤمن بالله لذا فهو غير ملتزم بالقسم. فنقول: نحن لنا الظاهر فقط والقلوب لله تعالى. فعندما يقسم الإنسان اليمين فعلا فقد أصبح في نظر الآخرين ملتزما لا مناص له من ذلك. وإن كان صادقا في عدم إيمانه فعليه أن يرفض أداء القسم منذ البداية. في هذه الحالة لا أحد يجبره على ذلك ولكنه يعفى من المهام التي ستوكل إليه أو يمنع من ممارسة المهنة التي سيقسم من أجلها.

ثم إن عقوبة حنث اليمين تريحنا من متاهات كبيرة، فمثلا عندما يؤدي الشرطي اليمين المهني على ألا يستلم مالا من أحد ثم يأخذ جنيها واحدا، فإننا نعاقبه ليس من أجل الجنيه الواحد بل لأنه حنث اليمين.

ولقد جاءت الوصايا الأربع "من الوصية السادسة حتى التاسعة" في سورة الإسراء في الآيات التالية:

-) -ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا .'')الإسراء 34. .(هذه الآية فيها الوصية السادسة والوصية التاسعة.
-) -وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) .(الإسراء 35" .(الوصية السابعة.''
-) ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) . (الإسراء 36 . (هذه الآية هي شرح الوصية الثامنة)وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربي (ز) الأنعام 152. (أي أن القول يجب أن يكون مبنيا على البينات المادية الموضوعية دون أهواء والعواطف. والشهادة يجب أن

تكون شهادة فؤادية محددة بالحواس وعلى رأسها السمع والبصر. أما إذا كانت استنتاجا عقليا فتسمى خبرة وليست شهادة.

-الوصية العاشرة:

) -10وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) .(الأنعام 153.(

قد يقول البعض: ما هو الشيء الجديد في هذه الوصية؟ أقول: الشيء الجديد فيها هو أنه اشترط التقوى فيها على ألها اتباع الوصايا التسع الواردة قبلها معا غير مجزأة، وقد سماها مجتمعة صراطا مستقيما وهي منا لدين القيم ''الأخلاق) ''قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) .(الأنعام 161 .(وهي الصراط المستقيم عند موسى وعيسى وهي مع الحدود تشكل الصراط المستقيم عند المسلمين.

وقد أمرنا باتباع هذه الوصايا جملة حيث أن التقوى فيها.

وقد يسأل البعض: وما هيا لصلاة والصوم والحج والزكاة؟ أليست تقوى؟ أقول نعم هي تقوى ولكن التقوى لها ثلاثة أنواع:

التقوى الفردية والتقوى الاجتماعية "الأخلاق" والتقوى التشريعية "الالتزام بالقانون ضمن حدود الله". فالوصايا مجتمعة هي التقوى الاجتماعية، والعبادات هي من التقوى الفردية، والالتزام بالقانون ضمن حدود الله هو التقوى النشريعية. فعلى العرب المسلمين أن يعلموا هذا جيدا وأن لا يقيموا حكما على أي إنسان – مسلما أو غير مسلم- إلا من خلال التزامن بالتقوى الاجتماعية "الوصايا" والتقوى التشريعية.

إن عدم تمييز التقوى الفردية من الاجتماعية والتشريعية مطب يقع فيه كثير من العرب المسلمين اليوم، فهم ينخدعون بسهولة من إنسان يصلي ويصوم وقد أدى فريضة الحج، وعندما يعاملونه أو يبرمون عقودا معه يرون منه العجب. فيقول قائل: أليس هذا الإنسان متدينا؟ نقول: نعم هو متدين لنفسه. فكل شيء رأيتموه منه هو من التقوى الفردية التي لا علاقة لنا بها، ولكن قيموا الآخرين على أساس الوصايا "التقوى الاجتماعية" وعلى أساس التقوى التشريعية في التزامه ضمن حدود الله .

ولن تروا منه في هذه الحالة أي عجب ولن تصدموا بأية مفاجأة. فلندع جانبا هذه العبارات المعسولة "كأن نقول فلان إنسان آدمي، متدين، و صاحب دين، ولا يقطع وقت صلاة" وعوضا عن ذلك لنقل إن فلانا ملتزم بالوصايا والحدود فهو جدير بالثقة والمعاملة.

الآن يمكن أن نحدد من هم المغضوب عليهم ومن هم الضالون في قوله تعالى في فاتحة الكتاب)اهدنا الصراط المستقيم (وقد هدانا إلى الصراط المستقيم في الحدود والوصايا. هذا الصراط الذي يعتبر الفرقان عموده الفقري والذي هو التقوى الاجتماعية والذي هو من الثواب "مستقيم". ومن يتبعه فقد أنعم الله عليه ومن

يتبع غيره)ولا تتبعوا السبل (يصبح من الضالين)فتفرق بكم عن سبيله) (الأنعام 153 (أو من يضع وصايا غير هذه الوصايا أو يحرفها على ألها الوصايا العشر فيصبح مغضوبا عليه)غير المغضوب عليهم .(نلاحظ أنه لا يوجد في الوصايا شيء حول الطعام كلحم الخترير لأنه من الحدود. ولأن هناك أناسا ملتزمين بالوصايا ويشربون الخمر ويأكلون لحم الخترير فهم أيضا جديرون بالثقة والمعاملة.

هنا جاءت الوصايا بصيغة أمر مباشر وعطفت بعضها على بعض لأنه أحيانا عندما يأتي حرف العطف يعني التغاير والتمايز فهنا جاءت واو العطف للتغاير والتمايز في الوصايا لا في الالتزام، أي لم تأت بصيغة شخص يلتزم بالوصية الأولى وآخر بالسابعة وآخر بالثانية لذا جاء الدمج في الوصية العاشرة وهو أن التقوى الاجتماعية هو التزام كل شخص على حدة بالوصايا التسع مجتمعة.

لقد جاء في الكتاب في مكان آخر أنواع من الالتزام الفردي "التقوى الفردية ''معطوفا وهذا الالتزام جاء منفردا لا مجتمعا وذلك في قوله تعالى:

)إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) .(الأحزاب 35.(إذا أخذنا هذه الآية وأردنا أن نطبق المواصفات الواردة فيها بحيث تنطبقعلى شخص واحد فإننا لا نكاد نجد عددا قليلا جدا بين سكان أهل الأرض تنطبق عليهم هذه المواصفات جميعها فيصبح قوله تعالى) :أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما .(

)الأحزاب 35 . (نوعا من أنواع التعجيز ولو أنه عنى أن هذه المواصفات تنطبق على شخص واحد ذكرا كان أم أنثى لقال "إن المسلمين والمسلمات المؤمنين والمؤمنات..." أي لحذف حرف العطف بين صفة وأخرى كما حذفها عندما عنى نفس المواصفات في امرأة واحدة في قوله تعالى) :عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) . (التحريم 5 . (هنا وضع واو العطف بين ثيبات وأبكارا لأن المرأة لا تكون في وقت واحد ثيبا وبكرا، لذا فإن الصفات الواردة قبلها موجودة في امرأة واحدة ثيب أو بكر . لذا جاءت الآية 35 في سورة الأحزاب لكي تتناسب مع إمكانيات الناس ومزاجهم، فهناك من الناس من يحب تلاوة الذكر ولا يحب دفع المال فقال)الذاكرين الله كثيرا والذاكرات (و آخر يحب دفع المال ولا يحب أن يصوم يوما واحدا إضافة لشهر رمضان فقال :)والمتصدقين والمتصدقات . (وهكذا دواليك. فهذه الآية هي آية المساعدة من رب العالمين لا آية التعجيز.)والمتصدقين والمتحدقات . (وهكذا دواليك. فهذه الآية هي آية المساعدة من رب العالمين لا آية التعجيز.)ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ولاملائكة والكتاب)ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ولاملائكة والكتاب والنبين و آتي المال على حبه ذوي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة والنبين و آتي المال على حبه ذوي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة

و آتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون).(البقرة 177.(

هنا وضع التقوى الفردية في الإيمان والعبادات والإنفاق والوفاء بالعهد والصبر حين الضر والصبر في الجهاد "حين البأس". لقد وضع الوصية التاسعة في التقوى الاجتماعية مشتركة مع التقوى الفردية بقوله) :والموفون بعهدهم إذا عاهدوا (وقوله) :وبعهد الله أوفوا.(

لقد قرر بعضهم أن الصلاة -وهي بلا شك رأس العبادات. والعبادات كلها من التقوى الفردية -هي أهم من أي شيء آخر في الإسلام. وأقول هذا غير صحيح لقوله تعالى:

)وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .(العنكبوت 45 .(وقد يقول قائل إن قوله) :إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .(هو بصيغة خبر، لذا فإن الصلاة تنهى بشكل آلي عن الفحشاء والمنكر.

وهذا غير صحيح، فمثلا نقول إن اللوائح الجامعية تنهى عنا لغش في الامتحان فهذا لا يعني نفي الغش في الامتحانات وكذلك الصلاة وفي هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه إن صح "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا" "الجامع الصغير للسيوطي ج2 ص 180" ثم وضع ما هو أكبر من الصلاة وهو ذكر الله حيث قال) :ولذكر الله أكبر .(فلماذا ذكر الله أكبر من الصلاة؟

قلنا إنا لذكر في اللسان العربي أتت من "ذكر" وهذا الأصل معناه في اللسان العربي الترديد اللغوي وفي هذا جاء معنى قوله تعالى) :إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .(الحجر 9 .(وكما قلنا إن الذكر هنا هو الصيغة اللغوية الصوتية للكتاب بغض النظر عن فهم المحتوى، وفي هذا المعنى جاء)ص والقرآن ذي الذكر .(وقوله تعالى) :ولقد يسرنا القرآن للذكر) .(القمر 17 .(وقد جاء هذا الذكر بالصيغة اللسانية العربية لقوله مخاطبا العرب) :أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين) .(الزخرف 5 .(وقوله تعالى) :لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) .(الأنبياء 10.(

والذكر جاء فيمعنى التذكير الذي هو عكس النسيان كقوله): فأنساه الشيطان ذكر ربه). (يوسف 42. (وقوله): واذكر ربك إذا نسيت). (الكهف 24 (وقوله تعالى): فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون. (الأعراف 165). (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) (البقرة 242. (وقوله): أفلا تتذكرون. (الأنعام 80. (وقوله): وما أنسانيهإلا الشيطان أن أذكره). (الكهف 63. (وقوله): فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء). (الأنعام 44. (وقوله تعالى): والذين إذا ذكروا بآيات رجم لم يخروا عليها صما وعميانا). (الفرقان 73. (

وفي هذا المعنى جاءت الآية) :ولذكر الله أكبر) .(العنكبوت 45 .(لقد شرحت هذه الآية في سورة آل عمران بقوله تعالى) :الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض

ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار) . (آل عمران 191 . (هنا جاء شرح الذكر، فالإنسان لا ينسى الله في حالة العمل فإذا اشترى تذكر الله بقوله) : ولا تبخسوا الناس أشياءهم) . (الأعراف 85 . (وغذا باع تذكر قوله الله) : ولا تنقصوا المكيال والميزان) . (هود 84 . (وإذا تحدث لا يكذب وكذلك في حالة الراحة والمرض أي أنه إنسان لا ينسى الله في عمله وراحته ومرضه ولا ينسى الوصايا "التقوى الاجتماعية" ولا ينسى 'التقوى الفردية.''

هذا هو الإنسان المسلم الذي نقول عنه في المصطلح الحديث "الإنسان ذو الضمير الحي" وفي هذا المعنى وردت "ذكر" في باب الخمر والميسر قوله) :إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) .(المائدة 91 .(هنا وضع ذكر الله قبل الصلاة، في باب الخمر والميسر وهما ليسا من العبادات وليسا من الحدود، ثم فصل طاعة الله عن طاعة الرسول في الآية التي بعدها)وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) .(المائدة 92 .(وهكذا نستنتج بأن "ذكر الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم" لا يعني أن يغمض الإنسان عينيه ويقول "الله، الله مرة أو أكثر أو أقل.

وعندما أتم الآية بقوله) :ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا) .(آل عمران 191 .(نفهم أن المسلم إضافة إلى أنه إنسان ذو ضمير حي يحمل صفة الموضوعية في التفكير، لذا ذكر العالم المادي بأنه عالم حقيقي غير وهمي وأنه عالم البينات فقال) :ربنا ما خلقت هذا باطلا.(

وعندما ألهى آية العنكبوت بعد قوله)ولذكر الله أكبر .(قال) :والله يعلم ما تصنعون) .(العنكبوت 45 .(نفهم أن هذا الإنسان الملتزم بالوصايا والعبادات والتفكير الموضوعي هو إنسان التربية الإسلامية الجادة. إن مبحث الفرقان "الوصايا العشر" يبين لنا الفرق الجوهري الأساسي بين مفهومين مختلفين هما الأخلاق والأعراف حيث يمكن أن يحصل بينهما خلط كبير، فلنعرف كلا منهما على حدة:

- 1 الأعراف: هي مجموعة العادات والتقاليد الاجتماعية الناشئة عن بنية ما اقتصادية وبيئية "المناخ والتضاريس."

هذه العادات تتغير حسب الزمان وتطور وسائل الإنتاج وتبادل السلع وظهور سلع جديدة، وحسب المكان هل هو صحراوي أو سهلي أو جبلي أو ساحلي أو غابات أو حار أو بارد؟ ويمكن أن نقول إن هناك عادات قومية حيث أن العادات تتغير حسب المكان، فنقول العادات العربية والتركية...الخ. والأعراف تتبلور نتيجة لتفاعل عدة مؤثرات خارجية موضوعية.

- 2 الأخلاق: هي قانون روحي اجتماعي يربط أفراد بني الإنسان بعضهم إلى بعض لكونهم مجموعة إنسانية لا حيوانية، بغض النظر عن البنية الاقتصادية للمجتمع الإنساني. لذا تحمل الأخلاق الصفة العالمية الشمولية. وبما أن الأخلاق تأخذ الطابع الشمولي الكوبي "كونية الأخلاق"، فقد جاءت وحيا من الله تعالى. أما الأعراف

فقد ذكرها الله في الكتاب دون أن يفصلها لأنها متغيرة. وقد جاءت الأخلاق الاجتماعية في الوصايا "الفرقان" من زمن موسى وإلى عيسى وإلى محمد صلى الله عليه وسلم وهي ما زالت سارية المفعول إلى يومنا هذا عند شعوب الأرض بغض النظر عن بنيتها الاقتصادية وبيئتها وأعرافها. لذا فإن الأخلاق هي القاسم المشترك في العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان ولها صفة التأثير في السلوك الإنساني حيث ألها تؤثر في شكل الأعراف. هذا ما يجب أن يعرفه الإنسان العربي المسلم عن البنية الأخلاقية للمجتمع الذي يعيش فيه حيث أن التزامه الاجتماعي تجاه مجتمعه خاصة وتجاه الإنسانية عامة هو التزام أخلاقي قبل أن يكون التزاما قانونياً.

هناك من يخلط عن عمد أو غير عمد بين الأخلاق وبين الأعراف، حيث يقول إن الأخلاق هي بنية فوقية لبنية تحتية هي العلاقات الاقتصادية. فالأخلاق ''الوصايا" التي جاءت بما الأديان الثلاثة هي بنية لعلاقات اقتصادية خاصة، وعندما تتغير هذه البنية تتغير الأخلاق. هذا الكلام لم نجن منه إلا خيبة الأمل لأن هذا الطرح ينتج عنه أن يتحلل الإنسان من الوصايا.

فالسؤال الذي يطرح نفسه: اين البديل؟ البديل هو نبذ الأخلاق والوصايا فينتج عن ذلك إباحة قتل النفس وعقوق الوالدين والإخلال بالمواصفات وشهادة الزور وانتشار الفاحشة، حيث أن هذه الأحداث والوقائع بينت أن هذا هو البديل الذي يؤدي إلى أن يقع المجتمع في أزمة أخلاقية تعصف به وتحطمه .وعليه يتوجب على العربي المسلم أن يعلم أن الالتزام بالوصايا هو التزام أخلاقي إنساني العلاقة له البتة بالنظام الاقتصادي والبيئة لأنه لا بديل لهذه الوصايا. لذا أعطاها الله سبحانه وتعالى هذه الأهمية ووضعها تحت عنوان خاص هو "الفرقان" وجاءت في سورتين من السور المكية سورة الأنعام وسورة الإسراء، علما بأن الوصايا العشر في سورة الأنعام نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر.

ثم علينا أن نعلم أن الله أمرنا أن نكيف أعرافنا مع الوصايا حيث أمرنا أن لا تخالف أعرافنا الوصايا، وهي من حدود الله، لذا قال) :الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) .(التوبة 112 .(فلا يمكن لنا أن نقول عن شيء ما إنه عرف إذا كان يخالف الوصايا.

ثانياً: الفرقان الخاص

لقد لاحظنا في الفرقان العام كيف أكد عليه لكل الناس في ثلاث مستويات وهي: مستوى التحريم بقوله:)قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) . (الأنعام 151 . (ومستوى النهي والتأكيد بقوله) : ألا تشركوا به شيئا) . (الأنعام 151 . (وقوله) : وبالوالدين إحسانا) . (الأنعام 151 . (ومستوى الوصية بقوله) : ذلكم وصاكم به) . (الأنعام 151 . (ثم ختمه بالوصية العاشرة) : وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) . (الأنعام 153 . (وأكد أنا لتقوى في اتباعه بقوله) : ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) . (الأنعام 153 . (فعندما يلتزم الإنسان بالفرقان العام فإنه يصبح من المتقين، ولكن إذا أراد زيادة على ذلك، فهل يمكن أن يكون هناك وصايا إضافية فتبعها فعند ذلك يصبح من أئمة المتقين؟ في هذا قال) : يا أيها الذين آمنوا إن تتقو يكون هنا لكم في قانا الذين آمنوا إن تتقو

يكون هناك وصايا إضافية فتبعها فعند ذلك يصبح من أئمة المتقين؟ في هذا قال) :يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا... الآية) .(الأنفال 29 .(نلاحظ في هذه الآية كيف وضع القوى شرطا لهذا الفرقان، وكيف جعله فرقانا خاصا بالمتقين، أي أنه غير ملزم لكل الناس كالفرقان العام، ولكن من أراد أن يزيد فعليه اتباع هذا الفرقان، ومن يتبع هذا الفرقان فهو من أئمة المتقين. هذا الفرقان ورد في سورة الفرقان في الآيات التالية:

-).63 (الفرقان على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما). (الفرقان 63.(
 -).64 (الفرقان لربهم سجدا وقياما). (الفرقان 64)
 -)والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما). (الفرقان 65. (
 -)إلها ساءت مستقرا ومقاما). (الفرقان 66.(
 -). 67 (الفرقان من الفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما). (الفرقان 67).
-) :7-6-5والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما). (الفرقان 68.(
 -)يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا). (الفرقان 69.(
-) إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما). (الفرقان .70. (
 -)ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا) .(الفرقان 71.(
 - 9: (الفرقان 27. (الفرقان 17. وإذا مروا باللغو مروا كراما). (الفرقان 72. (
 -).73والذين إذا ذكروا بآيات ربمم لم يخروا عليها صما وعميانا). (الفرقان 73. (
-)والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) . (الفرقان 74. (نلاحظ في الآيات السابقة أن الفرقان الخاص عبارة عن عشر وصايا ولكنها جاءت بصيغة إخبارية ولم تأت بصيغة أمر صريحة كما جاءت الوصايا في الفرقان العام حيث ختمها بقوله) : واجعلنا للمتقين إماما . (في الآية التي تلى الوصية العاشرة، أي أن من يحقق هذه الشروط بالإضافة إلى الفرقان العام فهو من أئمة المتقين. ومن

يحقق شروط الفرقان العام فهو من المتقين. ونلاحظ أن هناك أربعة بنود مشتركة بين الفرقان العام والفرقان الخاص وهي:

كما أن الله سبحانه وتعالى خصص ثوابا خاصا في الآخرة لهؤلاء الناس بقوله) :أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما) .(الفرقان 75.(

نلاحظ هنا أمرين في غاية لأهمية في أئمة المتقين وهما التأكيد على الجانب المادي في نظرهم إلى الحياة، وقد جاء هذا التأكيد بقوله) :وعباد الرحمن .(وكما قلنا إن الرحمن هو اسم الربوبية لهذا الكون المادي الثنائي وذلك لكى يؤكد أن زيادة التقوى ليس لها علاقة بالشطحات الصوفية وكرامات الأولياء.

وقد جاء الأمر الثاني في بند خاص في قوله) :والذين إذا ذكروا بآيات ربحم لم يخروا عليها صما وعميانا .(
)الفرقان 73 .(وقد حدد لنا القرآن أن آيات الربوبية هي ظواهر الطبيعة، لذا فإن صفة أئمة المتقين هي الإيمان بالمادية وبالعلم والعقل وأن فهم آيات الله "ظواهر الطبيعة" هي من أساسيات منهجهم في الحياة وهي لا تقل أبدا عن قوله تعالى) :والذين يبيتون لربحم سجدا وقياما) .(الفرقان 64.(

لذا فإن أئمة المتقين في فرقان محمد صلى الله عليه وسلم هم من أئمة العلم المادي وأئمة الناس الذين يؤمنون بالبينات المادية وذوي التفكير العلمي البعيد عن الخرافة. علما بأن الفرق، الخاص يحتاج إلى شرح مفصل أكثر من ذلك، وبما أنه خاص بأئمة المتقين وليس كل الناس فإننا نكتفي بهذا القدر من الشرح في هذا الكتاب والله الموفق.

الفرع الثالث: المعروف والمنكر والتعليمات التي جاءت بقوله "يا أيها النبي"

قلنا إن الرسالة تتألف من الحدود "حدود الله" والعبادات التي تعتبر من الحدود والوصاياز أما في الأمور الأخرى فقد أورد الكتاب مصطلح المعروف والمنكر أي ما تعارف عليه الناس وما أنكره الناس طبقا للزمان والمكان حيث أن الأعراف هي أساس القوانين الوضعية الإنسانية، وقد اعتبرها الكتاب أيضا أساس التشريع ضمن حدود الله .

وهناك أيضا تعليمات جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمقام النبوة وليس بمقام الرسالة بقوله) :يا أيها النبي (وذلك لتبيان أنها تعليمات خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، أو تعليمات مرحلية جاءت لحقبة معينة مثل توزيع الغنائم، أو تعليمات عامة للمسلمين ولكنها ليست تشريعات.

أولاً: المعروف والمنكر:

)الآمرون بالمعروف والناهون عن المتنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) .(التوبة 112.("-المعروف" لغويا جاء من "عرف" ومنه جاء المعرف والتعريف فنقول لغويا إن هناك "ال" التعريف ونقول إن

الإضافة في اللغة للتعريف.

-والمنكر جاء من "نكر" وهو يشمل غير المعرف .فعندما جاءت الملائكة إلى إبراهيم قال) :إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) .(الذاريات 25 .(وعندما جاءت الملائكة إلى لوط قال) :فلما جاء آل لوط المرسلون * قال إنكم قوم منكرون) .(الحجر 61، 62 .(

وعندما قدم إبراهيم الطعام إلى الملائكة قال) : فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا ارسلنا إلى قوم لوط(ز)هود 70. (وقول موسى للعبد الصالح عندما قتل الغلام) :لقد جئت شيئا نكرا) . (الكهف 74. (وقول سليمان) :قال نكروا لها عرشها) . (النمل 41. (وعدم معرفة أخوة يوسف في قوله) :وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) (يوسف 58. (وقوله تعالى) :وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) . (الأنبياء 50. (وقوله) :أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) . (المؤمنون 69. (

هنا نلاحظ كيف استعمل فعل نكرهم، ومنكرون للدلالة على عدم معرفتهم، وللدلالة على أنه رآهم للمرة الأولى ولم يعرفهم من قبل. فالنكرة تدل على حالتين: إما الجهل وعدم المعرفة والمفاجأة كحالة إبراهيم أو لوط أو موسى أو سليمان ومنه يتولد مفهوم الاستنكار. لأن الإنسان عندما يرى شيئا لم يألفه فقد يستنكره وهذا هو المعنى الإيجابي للمنكر، كأن يشاهد الإنسان أمورا غير مألوفة فتدخل في مفهوم المنكر فيستنكرها. أو

يشاهد أو يسمع أمورا لا تدخل في الذوق العام للمجتمع كقوله تعالى) :واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) .(لقمان 19 .(

أما المعنى السلبي للمنكر فهو إنكار الشيء وتجاهله عن سابق معرفة به كقوله تعالى) :يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) .(النحل 83 .(وقوله) :ومن الأحزاب من ينكر بعضه) .(الرعد 36.(أما قوله عن العذاب بأنه نكر ونكير فهو عذاب لم يسبق أن عرفه الإنسان وألفه كقوله) :قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا) .(الكهف 87 .(وقوله) :فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا) .(الطلاق 8 .(وقوله) :يوم يدع الداع إلى شيء نكر) .(القمر 6 .(

وعندما أخذ الله قوم نوح بالطوفان وقوم هود بالريح وقوم صالح بالصيحة والرجفة وقوم لوط بحجارة من سجيل وفرعون بالغرق فقد أخذهم الله بعذاب لم يستعدوا له ولم يعرفوه مسبقا لكي يستعدوا له لذا قال:)فأمليت للكافرين ثم أخذهم فكيف كان نكير) .(الحج 44 .(وقوله) :ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) .(الملك 18 .(وقوله) :وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) .(سبأ 45 .(أما قوم شعيب فقد حذرهم بأن العذاب سيأتيم على غرار العذاب الذي جاء قبلهم لذا قالك)ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد .()هو د 89.(

فعندما عذب الله قوم شعيب كان عذا بهم على غرار قوم صالح حيث قال) : وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين) . (هود 95 . (وأتبعها بقوله) : ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) . (هود 95 . (هنا كان عذاب قوم شعيب معروفا لهم من قبل. أما القول بأن هناك ملكين الأول منكر والآخر نكير يأتيان إلى الميت في القبر فلم نجد له أي أساس في العقيدة الإسلامية.

ومن هنا جاء مفهوم المعروف والمنكر. فالمعروف هو ما عرفه الناس ثم تعارفوا عليه فأصبح مألوفا للذوق والقبول الاجتماعي وهو بهذا له معنى إيجابي ولامنكر هو ما نكره الناس ثم استنكروه اجتماعيا أي أصبح مستهجنا غير مألوف للذوق الاجتماعي. لذا فإن مبدأ)المعروف والمنكر (هو من أهم أس السلوك الإسلامي العام. وهو مفهوم متطور حسب الزمان متغير خسب المكان ويغطي كل سلوكيات المسلم بالأمور التي لا تتعلق بالحدود .فعندما نصح الله سبحانه وتعالى المرأة المؤمنة باللباس الخارجي طلب منها أن يكون حسب الأعراف السائدة في البلد الذي تعيش فيه بقوله) :ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) .(الأحزاب 59 .(فهنا ربط المعرفة بالأذى بشكل مباشر تماما .وعندما أمر الله سبحانه وتعالى النبي بسلوكية لا تتعلق بالنصوص قال) :خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين(ز)الأعراف 199 .(فهنا تبين لنا أن كل الأحاديث النبوية التي ليس لها علاقة بالعبادات والحدود والغيبيات إن صحت فهي أحاديث تتعلق بالأعراف وخاضعة للتبديل ولا يوجد فيها حرام وحلال، أي ان توافق السلوك الإنساني الاجتماعي ضمن الأعراف السائدة في للتبديل ولا يوجد فيها حرام وحلال، أي ان توافق السلوك الإنساني الاجتماعي ضمن الأعراف السائدة في

زمان ومكان محددين حصرا، لذا فلا يقاس عليها. فلباس المرأة المسلمة والرجل المسلم في المدينة المنورة في زمن الخلفاء الراشدين هو ليس لباسا يقاس عليه لباس المسلمين في كل زمان ومكان.

وهكذا يجب أن نفهم مصطلح المعروف في الكتاب. فقد جاء المعروف كمصطلح مطلق استعمل في مجالات عديدة بحيث يفهم ويطبق بشكل نسبي من المسلمين.

لنورد الآيات التالية حول المعروف:

) - 1وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا .(...) لقمان 15. (

لقد أمر الله بطاعة الوالدين وعدم عقوقهما، أما عندما يصل الأمر إلى الشرك ''انظر مبحث الفرقان" فعليه أن لا يطيعهما ولكن يجب أن تكون علاقته معهما حسب ما تقتضيه الأعراف السائدة في بر الوالدين. فالمسلم الإنكليزي يبر والديه حسب أعراف اليمن ...وهكذا.

) - 2فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف) .(البقرة 178.(

)ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (البقرة 228.

)فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف). (البقرة 231.

)فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بنيهم بالمعروف) (البقرة 232.(

)وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) .(البقرة 233.(

)ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف) (البقرة 236.(

)فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف) (البقرة 240.(

)وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) (البقرة 241.

)ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) (النساء 6.(

)وعاشروهن بالمعروف) .(النساء 19(ز

)فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) .(الطلاق2.(

)وقلن قولا معروفا) .(الأحزاب 32.(

)فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف). (الطلاق 6.(

لقد وضحت الآيات السابقة مفهوم المعروف بشكل صريح، والأعراف بين الناس هي التي تحدد العلاقات العملية، فعلاقة ولي أمر اليتامى اليتامى من حيث النفقة، وعلاقة الرجل بزوجه معاشا أو طلاقا، والأخذ والعطاء بين الناس ينبع من الأعراف، وعلاقة المسلم بزوجته في لندن من حيث المعاش والطعام والكساء حسب أعراف لندن التي تحدد العلاقة العرفية بين الرجل وزوجه .وعلاقة المسلم بزوجه في اليمن تتحدد بأعراف اليمن التي تحدد العلاقة المعروفة المقبولة بينا لرجل وزوجه ... وهكذا دواليك .

حيث أن الحرام عند المسلم لا يدخل تحت الأعراف أي إذا كانت الأعراف في بلد ما تبيح لحم الخترير، فعلى المسلم أن لا يدخل أكل لحم الخترير ضمن أعراف الطعام عنده لأن تحريم لحم الخترير من الحدود لا من الأعراف. وإذا وجد مسلم في بلد ما تبيح أكل لحم الخترير في أعراف الطعام، فعليه أن يرفض ذلك بكل لباقة وكياسة وبدون تشنج. لذا فقد غطى الإسلام تحت مصطلح المعروف والمنكر كل الأمور التي لم يرد فيها نص صريح واضح أو الحركة بين الحدود، وجعل مفهوم المعروف والمنكر جزءا لا يتجزأ من الدين الإسلامي ومن سلوكية المسلم.

وبما أن الأعراف وليدة العلاقات الاقتصادية وشروط البيئة، لذا فهي متغيرة حسب المكان والزمان. فأعراف أهل البادية والصحراء تختلف عن أعراف أهل الغابات والجبال العالية فيا لطعام والشراب والملبس وأسلوب الضيافة واأفراح والمآتم. وكذلك الوضع الاقتصادي والعلاقات الإنتاجية تؤثر على الأعراف. فأعراف الأغنياء في نفس البلد تختلف عن أعراف الفقراء. وكذلك ظهور سلعة جديدة في الإنتاج تؤثر على الأعراف لألها ستدخل ضمن دائرة التبادل التجاري والاستعمال وهكذا يجب علينا أن نعرف أن مفهوم "المعروف والمنكر" هو مفهوم حنيفي متطور غير ثابت.

هنا يجب على القارئ أن لا يخلط بين مفهومي الأعراف والأخلاق لأن بعض الناس ما يزالون يخلطون بين هذين المفهومين. فالأخلاق جاءت في الكتاب صراحة وأضيف إليها مفهوم الأعراف إضافة "انظر مبحث الفرقان."

فمفهوم اللحية ولباس الرجل والمرأة وعلاقة الزوج بزوجه والعلاقات الأسرية المعاشية تدخل تحت بند الأعراف لا تحت بند الحلال والحرام أي لا تدخل تحت بند حدود الله. وهذا ما علينا أن نفعله نحن المسلمين حيث أمرنا الله بذلك) :ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر) . (آل عمران 104) . (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عنا لمنكر وتؤمنون بالله) . (آل عمران 110) . (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) . (التوبة 112 . (لحظ في الآية 112 سورة التوبة كيف فصل المعروف والمنكر عنا لحدود. هذا ما يجب أن نفهمه تماما نحن المسلمين بأن هناك كثيرا من الأحاديث النبوية إن صحت فهي أحاديث أعراف، لا أحاديث حدود. أي أن هذه الأحاديث غير قابلة أن يقاس عليها حتى ولو صحت لأنما وليدة بيئة لها معطياتما وقد تغيرت هذه البيئة وتغيرت معطياتما "انظر فصل السنة النبوية."

ثانياً: التعليمات للنبي:

-الآيات التي جاءت في أما لكتاب والتي خاطب بها الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "يا أيها النبي" أي من مقام النبوة وليس من مقام الرسالة والتي تشكل التعليمات الخاصة أو العامة. إن الآيات التي جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا إياه في مقام النبوة هي آيات تعليمات وليست حدودا

أو تشريعات عينية، أي ليس لها علاقة بالحلال والحرام. لنورد الآن مثالا ليتبين الفرق بين التشريع والتعليم: المثال هو: إذا قتل إنسان إنسانا، فإن الدولة والسلة ستقبض عليه وتحاسبه، وقد تحكم عليه بالإعدام حتى لو ادعى أنه لا يعلم أن القتل ممنوع، وأن حادثة القتل هي حرام عند الله سبحانه وتعالى، فقتل النفس يدخل تحت بند الحرام والحلال. لذا فإن حادثة قتل النفس بالنسبة لله تعالى إذا لم يعاقب فاعلها فلها ما بعدها أي سوف لن تمر عند الله بدون أي شيء) :من قتل نفسا) .(...المائدة 32.(

ولكن إذا شرب إنسان ما الحليب دون غلي، وهذا الحليب يمكن أن يسبب التسمم، وهناك من نبهه بأن شرب الحليب بدون غلي يسبب التسمم وأن الشارب سمع ذلك من التلفاز والصحف والإذاعة وكل وسائل الإعلام، ومع ذلك شرب الحليب بدون غلي وتسمم، فما هو رد فعل السلطة والله عليه؟ الجواب: لا شيء. لأنه هو تسمم وتحمل نتيجة شرب الحليب بنفسه أي أن هذه الحادثة بالنسبة للسلطة ولله سوف تمر بدون أن يكون لها ما بعدها. أما إذا وضعت السلطة تشريعا بالنسبة لشرب الحليب، فإن السلطة تتدخل وتعاقبه. لنأخذ الآن آية حلال وحرام "حدود" وآية أخرى فيها تعليمات:

الحلال والحرام "الحدود:"

-) -والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبنا نكالا من الله والله عزيز حكيم) .(المائدة 38 .(عقوبة وتحريم.
 -) -ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) .(الأنعام 151 .(تحريم .
 -) -من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) .(المائدة 32 .(تحريم.
 -) -وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) . (المائدة 45 . (عقوبة.

إن كل الوصايا والحدود التي جاءت في الكتاب والفرقان "الوصايا العشر "تعبير عن الحلال والحرام، أي أن التقيد بها يستدعي غضب الله سبحانه وتعالى. مثل الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل الولد من إملاق والفواحش "الزنا واللواط زواج المحارم" وقتل النفس وأكل مال اليتيم وعدم الوفاء بالكيل والميزان "الإخلال بالمواصفات" وشهادة الزور وحنث اليمين. والوصية العاشرة هي الخاصة بالتقيد بالوصايا التسع السابقة وفيها التقوى الاجتماعية. وكذلك الحدود أي التقيد بها يستدعي رضى الله وبالتالي ثوابه. ومعصيتها يستدعي غضب الله وبالتالي عقابه .

وعلينا أن نعلم أن الفرقان "الوصايا العشر" هو من أهم تشريعات أم الكتاب التي على المسلمين التقيد بها إلى أبعد حد من أجل استقامة حياهم الاجتماعية. لذا جاء في الوصية العاشرة) :وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .(الأنعام 153. (أما التعليمات التي جاءت من الله سبحانه وتعالى والتقيد بها فيه مصلحة للناس دون أن يستدعي ذلك غضبا أو رضى من الله، أي دون أن يكون هناك ثواب وعقاب، أو ألها جاءت خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم

- لمرحلة تاريخية معينة .هذه الآيات بدأت بقوله تعالى)يا أيها النبي . (لنورد الآن هذه الآيات:
-) -يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) .(التوبة 73) .(التحريم .9.(
 -) -يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك يبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم). (التحريم1.(
 -) يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين). (الأنفال 64. (
-) -يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) .(الأنفال 65.(
 -) -ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) .(الأنفال 67.(
 -) لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) . (الأنفال 68. (
-) -يا أيها النبي قل لمن في أيدكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) .(الأنفال 70.(
-) -ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم ألهم أصحاب الجحيم). (التوبة 113.(
-) -ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين) .(التوبة 120.(
-) -يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا .()الأحزاب 28.(
-) -يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) .(الأحزاب 59.(
 -) -يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كهجر بعضكم لبعض أن تجبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) .(الحجرات 2.(
-) -إن الذين يغضون أصواهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم .()الحجرات 3.(
-) -يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذاطعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن

تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما) .(الأحزاب 53.(
) -يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) .(الطلاق 1.(

لنأخذ الآن الآيات المذكورة:

- الناخذ قوله تعالى) : ياايه النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم . (
) التحريم 1 . (هنا خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بمقام النبوة بقوله "يا أيها النبي" فهذا يعني أن هناك تصرفا شخصيا من النبي صلى الله عليه وسلم حرم فيه أشياء على نفسه فقط من أجل إرضاء زوجاته، وهنا نريد أن نضرب مثالا على ذلك: فإذا امتنع إنسان عن لبس لون من اللباس أو أكل نوع معين من الطعام المحلل إكراما لزوجته فهذا تصرف شخصي بحت ومسموح ولكنه غير إجباري. وهذا ما فعل النبي، إذ أنه امتنع هو بنفسه عن أشياء معينة ولم يأمر الناس أن يقلدوه بهذا الامتناع ومع ذلك فقد عاتبه الله سبحانه وتعالى على ذلك دون أن يكون هناك أية تبعة من ثواب أو عقاب بقوله) : والله غفور رحيم) . (التحريم 1. (
الآن لو بدأ الآية بقوله طيا أيها الرسول لم تحرم ماأحل الله. . .) فهذا يعني أن أمر الرسالة يصبح مشكوكا فيه، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم يحرم الحلال من الناحية التشريعية، لا من جهة الامتناع الشخصي عن شيء علل .وهذا ثما يدل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان معصوما في تبليغ التشريعات عن ربه "الرسالة" ومعصوما في أداء الأمانة عن ربه " القرآن "وهوا لنبوة وهنا تكمن عصمته حصرا.

ثم إن الله تعالى لو قال يا أيها الرسول لحذف الضمير المنفصل "لك" أي لقال "يا أيها الرسول لم تحرم ما أحل الله تبتغي مرضاة أزواجك..." ولحذف تعبير "والله غفور رحيم". وهذا جاء في مقال آخر بقوله) :ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين) .(الحاقة 44، 45، 46، (أما المنهج النسبي لتطبيق هذه الرسالة عمليا فكان في اسنة لذا قال) :لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) .(التوبة 117 .(ولو قال "لقد تاب الله على الرسول" فهذا يعني أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم عصى أوامر الله في أمور تتعلق بالرسالة وهذا ما هو معصوم عنه.

هنا يجب أن نفهم القاعدة التالية مرة أخرى وهي أنا لحدود والوصايا من الناحية التشريعية فيها حلال وحرام وعليها تبعة. والأوامر من الناحية التعليمية ليس فيها حلال وحرام وليس عليها أية تبعة من ثواب وعقاب. - 2لنأخذ الآن قوله تعالى) :يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير . (التوبة 73، التحريم 9). هنا خاطب اله محمد صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين والغلظ عليهم ولم يعط الآية مقام الحكم التشريعي لبين التبعية من ثواب وعقاب وعوضا عن أن يعطي التبعية للمأمور وهو النبي وضع التبعية على الكفار والمنافقين أنفسهم بقوله) : ومأويهم جهنم

وبئس المصير) . (التوبة 73، التحريم 9 . (

فهذه الآية تعليمية وليست تشريعية أي أنك إذا لم تجاهد الكفار والمنافقين وتغلظ عليهم يمكن أن ينتصروا عليك وعقوبتك هي انتصارهم عليك. ونضرب مثالا آخر: إذا لم يحافظ الإنسان على نفسه من المرض ولم يأخذ لقاحات ضد الأمراض السارية يمكن لهذه الأمراض أن تنتصر عليه، فهذا أمر تعليمي لا تشريعي.)-3يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألف من الذين كفروا بألهم قوم لا يفقهون). (الأنفال 65. (هنا جاءت الآية بشكل واضح إخباري تعليمي أي الآية: تحريض المؤمنين على القتال وهو أمر تعليمي لا تشيعي، لذا فإن التحريض يمكن أن يكون بالترغيب والترهيب أي يمكن أن يكون بالمال والغنائم وبالموسيقى والشعر أو بالوطنية، ثم أتبع التحريض بأمر إخباري هو المعادلة بينهم وبين الكافرين.

)-4يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) .(الأنفال 64 .(نرى أن هذه الآية خبرية بحتة "تعليمية.''

)-5ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) .(الأنفال 67. (

)لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم). (الأنفال 68.(

هذه الآية جاءت تعليمية بحتة وليست تشريعية حيث أن الله تعالى يعلم النبي صلى الله عليه وسلم أنه يجب قتل الأسرى في بداي القتال إلى أن تميل الكفة، فعند ذلك يمكن أن يأخذ أسرى. وهنا وضع في الآي التي بعدها وهي الآي 68 قوله) :لولا كتاب (وكما قلت فالكتاب هو مجموعة الشروط الموضوعية الموجودة في الطبيعة بالقوة أو مجموعة التشريعات لاتي فرضت على الإنسان بالفعل، وهذا الكتاب الذي سبق هو كتاب الحرية أي أن الإنسان خلق حرا ويمارس أفعاله بنفسه، وقد مارس النبي هذه الحرية في الخيارات واختار عدم قتل الأسرى وكان خاطئا، ففهمه الله أن هذا خطأ وليس حراما.

ولو قال "ما كان لرسول أن يكون له أسرى..." لأصبح هذا القول حكما شرعيا له ما بعده من ثواب وعقاب. ولأصبحنا نحن المسلمين مطالبين بأن نقتل الأسرى، وإذالم نقتلهم نكون قد عصينا الله تعالى وعلينا تبعة عند الله.

)-6يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) .(الأنفال 70 .(أيضا هنا الآية إخبارية بحتة ولا يوجد فيها ثواب وعقاب ولا حدود.)-7ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربي من بعد ما تين لهم ألهم أصحاب الجحيم) (التوبة 113 .(هنا يخبر الله النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يجب أن لا يستغفر للمشركين أي أنه لو استغفر لهم فإن الله لن يتسجيب لدعائه لا أكثر من ذلك ولا أقل منه، أي أنه إذا استغفر مؤمن لمشرك حتى

ولو كان النبي هو المستغفر فإن الله لن يستجيب لهذا الاستغفار ولكن لا يوجد هناك أي عقاب لهذا قال) :إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)(التوبة 80.(

)-8يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا) (الأحزاب 28. (لاحظ هنا أن الأمر تعليمي إخباري بحت، أي أنه إذا أراد أزواج النبي الحياة الدنيا فإنه سوف يعطيهن إياها أي أنه لا يوجد أي تشريع في ذلك. وعندما حرم الله نكاح أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ووضعه تحت بند الحرام قال) :وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) .(الأحزاب 53. (وأتبعها بقوله) :إن ذلكم كان عند الله عظيما) .(الأحزاب 53. (علما بأنه في بداية الآية ذكر من باب التعليم لا من باب التشريع الدخول إلى بيت النبي)لا تدخلوا بيوت النبي) .(الأحزاب 53. (علما كراب) . (الأحزاب) . (الأدراب) . (الأدر

وعندما ذكر الثواب والعقاب في أوامر القتال ذكرها في مقام الرسالة وهو)ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) .(التوبة 120 (فأتبع ذلك بذكر الثواب والعقاب بقوله) :ذلك بألهم لا يصبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر الحسنين) .(التوبة 120. (وعندما أمر أهل الكتاب باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قال) :الذين يتبعون الرسول النبي الأمي .() الأعراف 157 . (هنا لاحظ ذكر الرسالة بعد فعل يتبعون. وذكر في مقام الرسالة) :يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) .(الأعراف 157 .(هنا لاحظ كيف ذكر الأمور التشريعية التي هي من مقام الرسالة ثم ذكر التبعية فأتم الآية بقوله) :فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعواا لنور الذي أنزل معه أولنك هم المفلحون .() الأعراف 157 (لاحظ كيف ذكر التبعية من اتباع الرسالة .

وبما أن القرآن ليس من الرسالة وإنما معها قال) :واتبعوا النور الذي أنزل معه .(هنا قال "معه" ولم يقل "عليه" أو "إليه" ثم ذكر في الآية التي بعدها خطابا إلى الناس بشأن الرسالة بقوله تعالى) :قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تمتدون) .(الأعراف 158 .(

هنا لاحظ كيف ذكر أولا الرسالة، وبما أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي ذكر النبوة، وأن النبوة علم وليست تشريعا لذا قال) :ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته (هنا قال الإيمان بالله وكلماته، وكما قلنا إن كلام الله هو كل الموجودات لذا فهي تشمل جميع أنواع الإيمان باليوم الآخر وكتبه ورسله والملائكة والبعث والساعة والجنة والنار لأنما كلها كلمات الله وهي كلها مخلوقة لذا قال) :يؤمن بالله وكلماته .(ثم ذكر التبعية بقوله) :واتبعوه لعلكم تحتدون. (

وعندما أعطى تعليمات لا تشريعات بأن لا نرفع أصواتنا فوق صوت النبي قال) :يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا

أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كهجر بعضكم لبعض .(ثم أتبعها إخبارا)أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) .(الحجرات 2.(

ثم عندما أراد أن يحول هذه التعليمات إلى تشريعات أتبعها بالآية التي بعدها بقوله تعالى) :إن الذين يغضون أصواهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) .(الحجرات 3 (لاحظ كيف ذكر التقوى مع الرسالة ثم ذكر التبعية وهي) لهم مغفرة وأجر عظيم. (

وعندما ذكر المثل الحسن والأسوة ذكرها في مقام الرسالة) :لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .()الأحزاب 21. (

-9لناخذ الآن الآية الأولى من سورة الطلاق والتي يبدأ الخطاب فيها بقوله تعالى) :يا أيها النبي: (
)يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتمن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوقمن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) . (الطلاق 1 . (هنا جاء الخطاب بصيغة "يا أيها النبي" ونلاحظ هنا أيضا أن التعدي فيه ظلم للنفس لقوله) : فقد ظلم نفسه . (كما قلنا سابقا إن من قتل نفسا بغير حق فعليه تبعة من الله "عقاب" وأما من يشرب الحليب بدون غلي فإنه أضر نفسه ولكن بدون تبعة لذا قال) : فقد ظلم نفسه . (
أما في حدود أخرى كالإرث فتعديها فيه نار جهنم. وعندما ذكر التقوى ذكرها في الآي التي تليها "انتبه لمواقع النجوم" وذلك عند بلوغ الأجل وذلك بإحسان بمعروف أو فراق بمعروف لذا وضعها على شكل موعظة، وتنفيذ هذه الآية فيه تقوى لذا قال) : ومن يتق الله يجعل له مخرجا) . (الطلاق 2 . (هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى لماذا قال) : تلك حدود الله . (أي أكد ألها من الحدود وبدأها بقوله) : يا أيها النبي (؟ ومن ناحية أخرى لماذا قال) : وأحصوا العدة (وكما قلت في مبحث نظرية المعرفة إن الإحصاء يختلف عن العد، فالإحصاء هو تعقل الأشياء وربط أجزاء الأشياء بعضها ببعض للحصول على تصور كامل وهذا ما العد، فالإحصاء هو تعقل الأشياء وربط أجزاء الأشياء بعضها ببعض للحصول على تصور كامل وهذا ما سميته بالكم المتصل فهنا أعطانا حدودا مرتبطة بالمعلومات المتوفرة لدينا.

فالسبب الأساسي للعدة هو أن تكون المرأة غير حامل لذا قال) :وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن . (الطلاق 4 . (فالمرأة الحامل أجلها وضع الحمل. هنا نلاحظ الدقة الكبيرة في التعبير قال وضع الحمل ولم يقل الولادة. لأن وضع الحمل يمكن أن يكون بالولادة أو بالإجهاض، فإن حصلت الولادة، فالعدة منتهية. وإن حصل الإجهاض فالعدة منتهية.

قد يقول قائل إذا كان هناك ريبة أو شك في الطريقة العلمية لكشف الحمل ففي هذه الحالة أعطى البديل على الأشكال الثلاثة التالية:

أ - اللاتي يئسن من الحيض فعدهن ثلاثة أشهر.

ب - اللاتي لم يحضن بعد فعدهن ثلاثة أشهر.

ت - المرأة ذات الحيض ولم تبلغ سن اليأس، أي في سن بين بداية الحيض وسن اليأس، فعدها ثلاثة قروء والقرء الواحد هو مجموع فترة الطهر وفترة الحيض.

هنا نلاحظ أن عدة المطلقة هي من الحدود وقد ذكرها صراحة. فالحد الأعلى هو ثلاثة أشهر أو ثلاثة قروء و الحد الأدنى يتبع المستوى المعرفي في الطب وهو التأكد بأنها غير حامل. ونلاحظ أن زمن الثلاثة قروء هو زمن أقل أو أكثر أو يساوي الثلاثة أشهر) :والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) . (البقرة 228 . (ولكن يضع الأمر الأول والثاني مع إضافة أولات الأحمال قال) :ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) . (الطلاق 4 . (ثم أتبعها)ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) . (الطلاق 5 . (

لناخذ الآن الآية رقم 50 من سورة الأحزاب.

)يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماك وبنات عمائك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملك أيماهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما) .(الأحزاب 50.(

هنا نلاحظ في هذه الآية أنها بدأت بقوله "يا أيها النبي" ولم تبدأ بقوله ''يا أيها الرسول" ففي هذه الآية يوجد تعليمات ليس لها علاقة بالحلال والحرام جاءت حصرا للنبي صلى الله عليه وسلم حسب الشروط الموضوعية التاريخية. ولو كان هناك حرام وحلال لذكرها صراحة بقوله: "يا أيها الرسول.''

والمهم في هذه الآية أمران: الأول: لماذا قال) :أحللنا لك .(وذكر بنات العم والعمات والخال والخالات وأتبعها ب)اللاتي هاجرن معك(؟ هنا جاءت في هذه الصيغة لأن الأساس في الزواج وفي الحياة الاجتماعية أن لا يتزوج الإنسان من أقاربه المذكورين في هذه الآية، وأن الزواج من الأقارب حالة خاصة وليست عامة، علما بأن التحريم القطعيللأقارب "المحارم" جاء بقوله) :حرمت عليكم أمهاتكم) .(النساء 23 .(هنا لاحظ قوله) :حرمت عليكم .(في مقام الرسالة وبالنسبة للأقارب)إنا أحللنا لك .(والخطاب في مقام البوة. إن على العرب والمسلمين أن ينتبهوا إلى هذه الحالة ويضعوا حدا لزواج الأقارب لأنه إذا فهمنا أن الأساس في زواج الأقارب هو المنع، هذا الأساس ينسجم مع نصيحة النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين بأن يتباعدوا بالزواج .أي إذا سمح بزواج الأقارب أو منع فالأمر من الناحية الشرعية سيان لأن الحدود الدنيا لتحريم نكاح الحارم جاءت في سورة النساء. فأي منع للنساء المذكورات في هذه الآي هو زيادة لا يوجد فيه تجاوز للحد الأدي لذا قال) :يا أيها النبي .(

لذا فعلى المشرعين في الدول العربية والإسلامية وخاصة الدول العربية بأن يصدروا تشريعا يمنع زواج الأقارب وعليهم أن يعلموا تماما بأن تشريعا من هذا النوع ليس له تبعة عند الله من ثواب أو عقاب. أي ألهم

لا يحرمون ما أحل الله ولكن تبعيته على أنفسهم، فإذا سن مثل هذا التشريع فله التبعات التالية على المجتمع:

- 1تحسين النسل حيث ثبت علميا أن التباعد في الزواج يحسن النسل والتقارب يضعفه.
- 2توسيع دائرة الأسرة، ففي حالة منع زواج الأقارب ينظر الرجل إلى ابنة عمه وبقية الأقارب وبالعكس نظرته إلى أخته وتنظر المرأة إليهم نظرتها إلى أخيها وبذلك تقوى الروابط الأسرية وتتوسع.
- 3حسم كثير من المشاكل التي تنشأ من جراء زواج الأقارب، فإذا أرادت فتاة أن تتزوج فابن عمها أحق بما. هذه العادات المنتشرة في الأرياف والتي تتسبب بكثير من المآسى.
- 4 تركز الثروات ضمن الأسرة، ففي حالة وجود أسرة غنية فإن الزواج يتم ضمن الأسرة الواحدة لعدم خروج الثروة إلى خارجها. وفي تحريم زواج الأقارب فإن هذا المحذور سيزول.

وإذا لم يسن مثل هذا التشريع فإن تبعته على أنفسهم .

وأما عند الله فالأمر سيان فلا ثواب ولا عقاب. أما التبعات من عدم سن مثل هذا التشريع فهي على المجتمع فقط وهي:

- 1ضعف النسل.
- 2تضييق الدائرة الاجتماعية للأسرة والترابط الأسري.
- 3المشاكل والمآسى الناجمة بين الأقارب بزواج بعضهم من بعض.
 - 4تركز الثروة في يد مجموعة من الأسر.

أما الآية 59 من سورة الأحزاب حول لباس المرأة فانظر شرحها في مبحث المرأة في الإسلام.

الفصل الثاني السنة

)لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .(الأحزاب 21.(
"تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله" حديث شريف "أخرجه الموطأ."
"ألا أني أوتيت هذا الكتاب ومثله معه" الكتاب والسنة "الرسالة". "جامع الأصول في أحاديث الرسول ج
"281/1."

''أوتيت القرآن ومثله معه" القرآن والسبع المثاني "النبوة.''

إن أي بحث جاد في السنة يجب أن ينطلق من سؤال أساسي يكون الجواب عليه بوضوح تام. هذا السؤال يمكن صياغته كما يلي:

هل كلام النبي صلى الله عليه وسلم ةندابيره وتصرفاته في تلك الأمور التي لا تتعلق بالأصول "الحدود والعبادات والغيبيات إن صحت" وحي أم اجتهاد؟

قال بعضهم إن ما كان يقوم به النبي صلى الله عليه وسلم هو وحي كله، لقوله تعالى) :وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) .(النجم 3، 4 (والاستناد إلى هذه الآية الكريمة لا مسوغ له البتة هنا، فالضمير "هو" لا يعود إلى لانبي صلى الله عليه وسلم وإنما يعود بوضوح وحصرا إلى الكتاب المتزل ولا علاقة للضمير هنا بالضمير قبله المستتر في الفعل "ينطق" العائد إلى النبي صلى الله عليه وسلم والذي كان من صفاته عليه السلام أنه لم يكن ليتحكم فيه وفي أقواله وفي أفعاله الهوى وتقلبات النفس. الأمر الذي يجعله في مرتبة رفيعة حقا هي مرتبة النبوة، لكن دون أن يجعل أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم كلها من صنف الوحي على كل حال .

ثم إن هذه الآية) :وما ينطق عن الهوى .(جاءت في مكة في مرحلة كان العرب يشككون في الوحي نفسه. و لم تكن المشكلة هي مشكلة أقوال النبي وأفعاله ولكنها كانت مشكلة القرآن نفسه والمشكك فيه من قبل معظم العرب. أي أن الوحي كان موضوع التساؤل والشك، وليس سلوك النبي الشخصي. علما بأننا إذا أردنا أن نصنف الحديث النبوي إلى مكى ومدني لوجدنا أن معظم الحديث إن لم يكن كله مدني وليس مكيا.

وإننا لنضرب مثلا من الكتاب نفسه فقد حاطب الله عز وجل نبيه الكريم منبها بشكل صريح ولا يحتمل الاجتهاد في عدة مناسبات فعندما أعرض عن ابن مكتوم، الأعمى الفقير وأقبل على صناديد قريش يحدثهم آملا في هدايتهم وإسلامهم خاطبه قائلا) :عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى) . (عبس 1-3 (علما بأن هذه الآيات ليست من القرآن وليس لها علاقة باللوح المحفوظ ولا إمام مبين.

وفي مرة أخرى قال الله عز وجل) :يا أيها النبي لم تحرم /ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم) .(التحريم 1. (

وفي مرة ثالثة قال) :ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) .(الأنفال 67.(

وهكذا فإنه يمكننا القول إن ما اصطلح على تسميته بالسنة النبوية إنما هو حياة النبي صلى الله عليه وسلم كنبي وكائن إنساني عاش حياته في الواقع، بل في الصميم منه وليس في عالم الوهم. فهو عليه الصلاة والسلام إلى جانب عنصر الوحي الذي كرمه الله به، عاش حياته في القرن السابع الميلادي في شبه جزيرة العرب بكل ما كان يحيط بها من ظروف جغرافية وتاريخية وثقافية وسياسية.

لنلاحظ أن الني صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم لم يعتبروا في وقت من الأوقات أن الأحاديث النبوية هي وحي. فهو عليه السلام من جهته لم يأمر بجمعها كما فعل مع الوحي "الكتاب" وكذلك الأمر مع الخلفاء الراشدين فقد فهموا ألها كانت نتيجة تعامل مع واقع معين في ظروف معينة عاشها النبي صلى الله عليه وسلم وجابه فيها عالم الحقيقة المكاني والزماني فهي بهذا تشكل منبعا ثريا يستفيد منه المؤمنون عامة، والعلماء المشرعون خاصة.

ويبرز من هذا الأمر سؤالان:

- 1 لماذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بجمع كلامه، مع أنه أرهم بتدوين الوحي بكل دقة وقال لهم في الوقت نفسه "لقد تركت فيكم ما إن ابتعتموه فلن تضلوا أبداك تاب الله وسنتى"؟.

تذهب فئة من العلماء إلى أن النبي لم يأمر بجمع كلامه وتدوينه لتجنب الاختلاط بين الوحي والحديث، وهذه حجة واهية. فالنبي أول من يعلم بقوله تعالى) :إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .(الحجر 9 .(ثم إن ذلك كان سيستبعد بخطوة إحرائية بسيطة وهي تخصيص بعض الكتبة للوحي وبعض آخر للحديث.

- 2 بعد أن فرغ الصحابة من جمع الوحي "الكتاب" وقد بدأ الجمع في أيام أبي بكر الصديق وانتهى تماما في زمن عثمان بن عفان. وتم نسخ المصحف الموجود بين أيدينا اليوم. وتم إتلاف كل الصحف التي نسخ عليها الوحي. وقد كان معظم الصحابة أيام عثمان بن عفان على قيد الحياة. فلماذا لم يجمع الصحابة الحديث كما جمعوا الكتاب بعد أن فرغوا متن جمع الكتاب وتدوينه؟ علما بأن الأحاديث النبوية حول الحدود والعبادات والأخلاق "الصراط المستقيم" قد انتقلت إلينا بالتواتر.

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك بنفسه و لم يفعله الصحابة من بعده لسبب واحد وذلك لعلمهم بأن جمعه ليس ضروريا. وأن الحديث هو مرحلة تاريخية وأن السنة ليست عين كلام النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا لم يكن الأمر كذلك فهناك نتيجة واحدة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده كانوا يريدون إرباك المسلمين بعدم تدوين الحديث، وهذا يعني أن آية)اليوم أكملت لكم دينكم (لا معنى لها إذ كيف أكمل الدين والحديث لم يدون؟ وكيف دون الصحابة الكتاب و لم يدونوا الحديث؟ هذه التهمة هم براء منها للسبب التالى:

إن عدم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بجمع كلامه وتدوينه. وأمره بكتابة الوحي وحرصه المطلق على ذلك هو والصحابة يقود إلى فهم عميق لفرق أساسي بين النبوة والعبقرية: فالعبقري هو إنسان أنتجه عصره في ظروف معينة مادية ومعنوية يسجل الناس عنه كلامه أو هو يسجله بنفسه أثناء حياته، ولكن سيكون كلامه وتصرفاته نتاجا تاريخيا يحمل طابع المرحلية وبالتالي فإن الواقع سيتجاوزه مع تطور الحياة في سياق الزمن.

وبما أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو نبي ولي عبقريا وحسب، فإنه قد علم أن حانب الوحي فيه النبوة والرسالة - يتصل بعالم المطلق هو الله سبحانه وتعالى، وقد عبر عن هذا الجانب بالكتاب الموحي بصياغة الله سبحانه وتعالى المتشابه في النبوة والحدود في الرسالة. أما الجانب النسبي في الإسلام فهو النبي صلى الله عليه وسلم

في سنته، حيث أخذ المطلق " الحدود في الرسالة "وحوله إلى عالم الحقيقة النسبي الذي واجهه هو نفسه ولو لم يكن كذلك فلا يوجد حاجة إلى تعدد النبوات والرسالات على مر التاريخ. بل كان يكفي نبي ورسول واحد لكل الناس من نوح إلى أن تقوم الساعة.

ولكن الحقيقة هي عكس ذلك تماما. فقد سبق محمدا صلى الله عليه وسلم كثير من النبوات والرسالات التي تشكل كلها حلقات في الإسلام والتي كان محمد صلى الله عليه وسلم آخرها)اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) .(المائدة: 3 .(وقد قلنا في مبحث الحدود إن هذه الآية هي جزء من آية حدودية.

وبهذا كان الإسلام صالحا لكل زمان ومكان من حيث ذلك الاتصال بالمطلق "الكتاب" ليتفاعل مع الظروف والمراحل التاريخية المتعاقبة فينتج مجتمعا معينا وحضارة معينة في كل مرحلة .

فهو والحالة هذه يمكن أن يأخذ صيغا حضارية تاريخية حسب العالم الموضوعي الذي يتفاعل معه. هذا هو السبب المحوري للنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في حرصهم على الوحي الذي هو المبدأ أو المطلق. وأما الباقي فمتروك للإنسان في سياق الزمن. فلا قوالب جاهزة مسبقا، ولا توقيف لحركة التاريخ في الإسلام. هذا الشيء الذي تفاداه النبي والصحابة ووقعنا فيه نحن، فجمدنا التاريخ وحنطناه بأنفسنا والهمنا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ونزعنا عن الإسلام أهم صفة من صفاته وهي الحنيفية، حيث أن الإسلام يشترط الحنيفية في إخلاصا لناس للدين في قوله:)وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) .(البينة 5.(

ثم إن الأحكام "أم الكتاب" جاءت من الله مباشرة وليست من اللوح المحفوظ أو أمام مبين، وهي التي تمثل الرسالة وتحتوي على الحدود والعبادات والأخلاق والذي قال عنها) يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .() الرعد 39 .(فهي ليست قديمة لأنما ليست كلام الله وإنما هي كتاب الله.

من هنا يأتي التعريف الخاطئ برأينا للسنة النبوية بأنها كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول ومن فعل أو أمر أو نهى أو إقرار .

علما بأن هذا التعريف للسنة ليس تعريف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وبالتالي فهو قابل للنقاش والأخذ والرد. هذا التعريف كان سببا في تحنيط الإسلام، علما بأن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته لم يعرفوا السنة بهذا الشكل وتصرفات عمر بن الخطاب تؤكد ذلك. مع العلم بأن أسس التشريع الإسلامي هي الكتاب والسنة وهذا صحيح ولكن ليس الكتاب والحديث. وإذا كان الأمر كذلك فما هو تعريف السنة؟ لنضح الآن تعريفا معاصرا للسنة وهو:

-السنة:

هي منهج في تطبيق أحكام أم الكتاب بسهولة ويسر دون الخروج عن حدود الله في أمور الحدود أو وضع حدود عرفية مرحلية في بقية الأمور، مع الأحذ بعين الاعتبار عالم الحقيقة "الزمان والمكان والشروط الموضوعية التي تطبق

فيها هذه الأحكام" معتمدين على قوله تعالى) :يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .(البقرة 185 .(وقوله :)وما جعل عليكم في الدين من حرج) .(الحج 78 (فالسنة جاءت من "سن" وتعني في اللسان العربي اليسر والجريان بسهولة كقولنا ماء مسنون أي يجري بسهولة. وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم تمام إذ أنه مارس تطبيق أحكام أم الكتاب متحركا ضمن حدود الله وواقفا عليها أحيانا من خلال عالم الحقيقة النسبي الذي عاشه هو —لا نحن ولم يكن في يوم من الأيام أو في موقف من المواقف حالما ولا متوهما ولا مطلقا. لذا فإن الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم في القرن السابع في شبه جزيرة العرب هو الاحتمال الأول لتفاعل الإسلام مع مرحلة تاريخية معينة وليس الوحيد وليس الأحير حيث أنه كان خاتم الأنبياء والمرسلين ولا يمكنه أن يفعل إلا هذا للحفاظ على حيوية الرسالة والنبوة إلى أن تقوم الساعة. وبما أن رسالته تقوم على الحدود فهو الرسول الوحيد الذي سمح له بالاحتهاد لأنه الخاتم ولكي يعلم الناس أن يجتهدوا لوحدهم من بعده حيث أن

الفرع الأول: سنة الرسالة وسنة النبوة

الإسلام هو تشريع إنساني ضمن حدود الله.

الآن بعد أن عرفنا السنة علينا تقسيمها إلى فرعين رئيسين وهما سنة الرسالة، وسنة النبوة. وكما قلت فالنبوة علوم والرسالة أحكام وتعليمات حيث أن الطاعة جاءت للرسالة ولم تأت للنبوة. وليس في الكتاب أي آية تقول وأطيعوا النبي بل هناك آيات تقول): وأطيعوا الرسول .(علما بأن المدح العظيم جاء لمقام النبوة في قوله): إن الله وملائكته يصلون على النبي) .(الأحزاب 56.(

سنة الرسالة:

يجب علينا أن نميز في سنة الرسالة بين الحدود والعبادات والأخلاق والتعليمات. فهناك بعض الأوامر والتنبيهات حاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تخاطبه بعبارة) :يا أيها النبي .(فهذه الآيات تحتوي على تعليمات وإرشادات أو حالات خاصة بالنبي حصرا وليس لها علاقة بالحلال والحرام إطلاقا. حيث أن الطاعة جاءت في مقام الرسالة بقوله) :وأطيعوا الله والرسول .(وقوله) :لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) .(الأحزاب 21 .(إذ قال "رسول الله" و لم يقل "نبي الله". وهنا في سنة الرسالة يجب علينا أن نميز بين نوعين من الطاعة:

- 1 الطاعة المتصلة:

وهي الطاعة التي جاءت فيها طاعة الرسول مند مع طاعة الله بقوله) : وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون . () آل عمران 132 . (وقوله) : ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيق) . (النساء 69 . (وبما أن الله حي باق وقد دمج طاعة الرسول مع طاعة الله في طاعة واحدة، ففي هذه الحالات تصبح طاعة الرسول مع طاعة الله في حياته وبعد مماته. هذه الطاعة جاءت حصرا في الحدود والعبادات والأحلاق "الصراط المستقيم". ولنورد الأمثلة التالية :

في الحدود:

-لقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم حدا أعلى لحالات ورد في أم الكتاب كحد أدبى فقط. مثلا على ذلك: لباس المرأة الوارد في الآية رقم 31 في سورة النور في هذه الآية ورد الحد الأدبى للباس المرأة وهو ما يقال عنه اليوم اللباس الداخلي. ففي هذه الحالة وضع الرسول صلى الله عليه وسلم الحد الأعلى للباس المرأة بقوله "كل المرأة عورة ما عدا وجهها وكفيها" فطاعة هذا الحديث هو كطاعة الآية وليس أقل. أي إذا خرجت المرأة عارية في الطريق كما خلقها الله فقد تعدت حدود الله في اللباس. وإذا خرجت مغطاة تماما يدخل في غطائها الوجه والكفان فقد خرجت عن حدود رسوله. ولباس المرأة المسلمة هو لباس حسب الأعراف ويتراوح بين اللباس الداخلي وبين تغطية الجسم ما عدا الوجه والكفين. وهكذا نرى أن لباس معظم نساء أهل الأرض هو ضمن حدود الله ورسوله "انظر مبحث المرأة في الإسلام". وكذلك قول الرسول حول الإرث الا وصية لوارث" "انظر الجامع الصغير ج2 ص 203" وقوله "لا تعضية في ميراث إلا فيما محل القسمة" "انظر النهاية في غريب الحديث الحامع الصغير ج2 ص 203" وقوله "لا تعضية في ميراث إلا فيما محل القسمة" "انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج3 ص ."106 حيث أن هذه الأحاديث تتعلق بالحدود.

-لقد وردت الزكاة في الكتاب كحد حيث أن العبادات تنطبق عليها نظرية الحدود وهي حالة خاصة من الحدود حيث تكمن فيها التقوى الفردية. فقد وضع الرسول صلى لاله عليه وسلم الحد الأدن للزكاة وهو 2.5% وطاعة الرسول في ذلك كطاعة الله. وكذلك الصلاة فطاعة الرسول فيها كطاعة الله بقوله "صلوا كما رأيتموني أصلي" أخرجه البخاري انظر جامع الأصول ج5 ص 576" فإذا أراد الإنسان المسلم أن يصلي لله بغير الطريقة التي علمنا إياها الرسول صلى الله عليه وسلم فإن صلاته مرفوضة. وإذا صلى كما صلى الرسول، ولكن لغير الله، فصلاته مرفوضة أيضا. وكذلك الحج لقوله صلى الله عليه وسلم "خذوا عني مناسككم" "انظر حصيح مسلم ج2 صلاته مرفوضة أيضا. وكذلك الحج لقوله صلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن ليس من الضروري أن نفطر كما أفطر الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن ليس من الضروري أن نفطر كما أفطر الرسول صلى الله عليه وسلم.

-في الأخلاق: كل أحاديث الرسول التي جاءت حول الوصايا العشر من أكل مال اليتيم إلى العهد إلى بر الوالدين وشهادة الزور ما هي إلا أحاديث شارحة للوصايا. فالطاعة فيها طاعة متصلة.

-حدود الله في العقوبات يجب أن نفهم أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم حول تطبيق حدود كتاب الله في العقوبات هو تمديد بتطبيق الحد الأعلى من العقوبة أي الوقوف على الحد. وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نتجنب تطبيق الحد الأعلى من العقوبة "حدود كتاب الله" بقوله "ادرؤوا الحدود بالشبهات وأقيلوا الكرام عثراتهم إلا في حد من حدود الله تعالى" وقوله "ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله، فإن الإمام لأن يخطئ في العقوبة" "انظر الجامع الصغير ج1 ص 13". و لم يقل ادرؤوا العقوبات بالشبهات. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كارها لتطبيق حدود الله في العقوبات وخاصة في الزنا .وكان يلتمس الشبهات بنفسه لتفادي تطبيق الحد "مثال على ذلك قصة ماعز حيث قال له النبي: لعلك قبلت، أو غمزت أو نظرت؟" "انظر جامع الأصول لابن الأثير ج3 ص 526-527."

-لقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم تعريفا وتوصيفا للجرائم ذات الحدود العليا من العقوبات. فهو بهذا علمنا أن نضع نحن تعريفا وتوصيفا لجرائم الحد الأعلى قبل أن نطبق هذه الحدود. وهذا التعريف يخضع للظروف الموضوعية لكل بلد حسب الزمان والتطور.

- 2 الطاعة المنفصلة:

وهي الطاعة التي وردت في الكتاب في قوله) :يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا .() النساء 59 .(وقوله) :وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فالعموا أنما على رسولنا البلاغ المبين .() المائدة 92 .(هذه الطاعة للرسول جاءت منفصلة عن طاعة الله، هذه الطاعة جاءت طاعة للرسول في حياته لا بعد مماته أي في الأمور اليومية والأحكام المرحلية. وفي الأ/ور والقرارات التي مارسها كرئيس دولة وكقاض وكقائد عسكري، وفي أمور الأحكام المعاشية والطعام والشراب واللباس حيث اتبع الأعراف العربية وكان يتحرك ضمن حدود الله دون أن يخرج عنها وفي الحالات القصوى للعقوبات يقف عليها .

هذه الأمور تفهم فهما معاصرا فيا لمضمون لا في الشكل، وإذا كانت هناك أشياء مفيدة لنا في الوقت الحاضر أخذناها وإذا كانت هناك أشياء غير مفيدة لنا تركناها، ولو كانت هنا طاعة الرسول مندمجة مع طاعة الله وأتبعها)وأولي الأمر منكم .(حيث أن أولي الأمر منكم تعني الأحياء من أولي الأمر لا الأموات. في هذه الحالة تصبح طاعة أولي الأمر كطاعة الله في الصلاة والصوم وأن معصية أولي الأمر تعني معصية الله ولأصبح أولو الأمر هم ممثلي الله في الأرض وخلفاءه فعلا، علما بأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض وليس الحكام .

فكل شيء قاله النبي صلى الله عليه وسلم في أمور لم يرد ذكرها في الكتاب بتاتا وقال فيها هذا ممنوع وهذا مسموح فمعناها ألها أحكام مرحلية وحدود مرحلية لا علاقة لها بحدود الله. أي أن النبي وضع حدودا لأمور ما وكان من الضروري أن يضع هذه الحدود وذلك وفقا للشروط الموضوعية التي عاشها وطبقا للمشاكل التي كان بصدد حلها، ولا تحمل صفة الأبدية كحدود الله، مثل منع التصوير والنحت والرسم والموسيقي والغناء ولبس الذهب واستلام المرأة لمناصب في الدولة.

فإن منع النبي صلى الله عليه وسلم للرسم والنحت والتصوير إن صح كان مفهوما في حينه، حيث أن العرب كانوا حديثي عهد بالوثنية، فمنع ذلك كخطوة وقائية مؤقتة. حيث أن وهذا المنع لم يرد في الكتاب نهائيا. حيث ورد في الكتاب "اجتناب الرحس من الأوثان" لا اجتناب الأوثان. حيث أن كل هذه الأحاديث ليس لها علاقة بحدود الله، وقد علمنا بهذا أن كل التشريعات غير الإلهية تحمل طابع الضرورة المرحلي، وعلمنا أن نشرع بأنفسنا. من هذا المنطلق يجب علينا فصل الأحاديث التي تتعلق بالحدود والعبادات والأخلاق على حدة أي أحاديث الصراط المستقيم.

وعلينا هنا أن ننبه بأن الله سبحانه وتعالى لم يعط لأحد الحق في وضع حدود تشريعية ثابتة إلى أن تقوم الساعة،

حيث سميت الحدود بحدود الله في قوله) :ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده) .(النساء 14 .(هنا الهاء تعود على الله فقط ولو سمح الله بوضع حدود للنبي صلى الله عليه وسلم كحدوده تماما لقال "ويتعد حدودهما" ولو كان الأمر كذلك لوجدنا نسخة واحدة من كتب الحديث مضبوطة تماما كآيات الحدود في الكتاب، أي لاهتم النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بجمعها وضبطها كاهتمامهم بالكتاب.

أما بقية الأحاديث التي تتعلق بالسلوكيات العامة والاجتماعية فلها أهمية تاريخية فقط وهي غير ملزمة لأحد وتندرج تحت أحاديث التشريع الخاص والقرارات والأجوبة على أسئلة طرحت عليه خلال الحياة اليومية التي عاشها صلى الله عليه وسلم.

وهكذا نفهم أن السنة النبوية هي احتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في تطبيق أحكام الكتاب من حدود وعبادات وأخلاق آخذا بعين الاعتبار العالم الموضوعي الذي يعيش فيه متحركا بين الحدود، وواقفا عليها أحيانا، ووضع حدود مرحلية للأمور التي لم ترد في الكتاب. وفي هذا كانا لرسول الأسوة الحسنة لنا إلى يوم الدين بالحنف ضمن حدود الله وفي وضع حدود حنيفية لبقية الأمور، وفي هذا قال "ألا أني أوتيت هذا الكتاب ومثله معه ." وهكذا أيضا نفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم إن صح "اختلاف أميّ رحمة" "الجامع الصغير ج12/1" أي أن المسلمين يختلفون في الحركة ضمن حدود الله من مكان لآخر. ومن زمان لآخر ويختلفون في وضع حدود إنسانية أيضا حسب الزمان والمكان وهذه هي عين الرحمة وعين السنة. لذا وجب علينا أن نعيد فهم الأحاديث في ضوء فهم الكتاب لا العكس، حيث أن الأسلوب المتبع التقليدي هو فهم الكتاب في ضوء الحديث. ويبقى أن أتمنى على القارئ أن يفهمني بدقة ولا يظن أننا نرد الحديث النبوي معاذ الله وكيف نفعل وقد سمعنا قوله وليقى أن أتمنى على القارئ أن يفهمني بدقة ولا يظن أننا نرد الحديث النبوي معاذ الله وكيف نفعل وقد سمعنا قوله صلى الله عيسى رجل يبلغه الحديث عنى فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله... الخ .(ولكننا

أحاديث النبوة:

وتقسم إلى نوعين:

أ - أحاديث تتعلق بالغيبيات أي بشرح القرآن وتتعلق بالفهم العام للقرآن وليس التأويل إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ممتنعا عن التأويل. هذه الأحاديث يجب أن تتطابق مع المفهوم العام للقرآن حيث أن المفهوم العام يتطابق مع الحقيقة والعقل. وإذا لم تتطابق فتهمل.

ب - أحاديث تتعلق بشرح تفصيل الكتاب كقوله "أوتيت القرآن ومثله معه" هنا يشرح أن السبع المثاني هي كالقرآن وقوله "في ليلة القدر أنزل القرآن إلى السماء الدنيا" هذه الأحاديث يجب أن تتطابق مع آيات تفصيل الكتاب "لا محكمة ولا متشابحة."

الفرع الثانى: السنة النبوية في العمل الثوري وبناء الدولة

ندعو إلى إعادة فهم الحديث وتصنيفه ونقده وقدره حق قدره.

إن المرحلة المكية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لم تدرس و لم تلق الاهتمام من قبل الفقهاء وإنما غطى أحداثها التاريخية كتاب السيرة وإن الذي تلقى الاهتمام من قبل الفقهاء النواحي التشريعية والتي كانت معظمها في المدينة حتى النواحي التشريعية تم فهمها من خلال منهج غير حنيف لتشريع حنيف مما أدى إلى تحنيط الأحكام وتحميد حركة التاريخ وإخماد الروح الثورية والوطنية لدى العرب والمسلمين. هنا يجب أن يفهم الإسلام فعلى أنه ثورة عامة شاملة شملت كل نواحي الحياة الشخصية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية .

قامت هذه الثورة بإمكانات إنسانية وسلوك إنساني وبمنهاج إلهي واحتهاد إنساني. إذانظرنا الآن إلى التاريخ القديم في منطقة الشرق الأوسط الذي هو مهد الحضارات الإنسانية القديمة نرى أن الدول في تلك الحضارات والبلاد كان يقضي عليها أعداء حارجيون. فعندما حارب الإسكندر الأكبر الفرس استقبله أهل فارس بالترحاب لألهم كانوا يعيشون تحت الظلم والكنهم أنفسهم كانوا عاجزين عن القضاء على حكامهم حيث أن القهر والعبودية أوقعا الشعوب القديمة في حالة عجز. هذه الظاهرة تفرض علينا دراسة التاريخ القديم بإمعان، أي لماذا لم تقم ثورات من قبل الشعوب القديمة لتقضي على حكامها وكان القضاء على هذه الدول في معظمها نتيجة حروب خارجية؟

إذا نظرنا بإمعان نجد أن سبب غياب الثورات لدى الشعوب القديمة هو أن الشروط الثورية الثلاثة التي لا بد لأي ثورة أن تستكملها لكي تنجح لم تكن متوفرة، وهذه الشروط هي:

- 1 الظروف الموضوعية التي تسمح بتغيير ثوري "القدر."
 - 2وعي هذه الظروف "وعي القدر، المعرفة."
 - 3تشكيل الأداة الثورية "القضاء الواعي."

لقد كانت الظروف الموضوعية متوفرة ولكن وعي هذه الظروف كان ضعيفا أو وحد عند قلة قليلة من الناس بحيث عجزوا عن تشكيل الأداة الثورية.

لقد حصلت ثورات غير واعية في التاريخ القديم ولكن لا يمكن أن نسميها ثورة بالمفهوم الحديث بل هي انتفاضات أوردة فعل عفوية مثل انتفاضة عبيد روما بقيادة سبارتاكوس.

وكما نرى في قصص القرآن أن الله كان يتدخل مباشرة لنصرة رسله وأنبيائه حيث أن الذين اتبعوهم كانوا قلة "نوح، هود، صالح، شعيب، لوط، موسى، وهارون."

لقد كان الإسلام أول ثورة كبرى شمولية في التاريخ الإنساني تحققت فيها الشروط الثورية الثلاثة حيث كان للعرب هذا الدور المميز في التاريخ، إذ وقعت على عاتقهم قيادة أول ثورة كبرى شمولية ضمن أطر ثورية ناضجة أسسوا بعدها دولة ذات علاقات حضارية وحرروا شعوب المنطقة من نير الاستعباد الرازحين تحته. حتى المسيحية لم تستطع أن تقضي على الدولة الرومانية، وإنما تبنتها الدولة الرومانية وأعادت صياغتها ضمن أطرها الوثنية الإمبراطورية. وكانت السنة النبوية هي قاموس هذه الثورة.

قبل أن نبدأ بشرح مفردات ذا القاموس سنشرح لماذا العرب وليس غيرهم وقع على عاتقهم ذلك العبء المشرف

لهم. لقد شرحت في الباب الرابع في مبحث فن العمارة عن فن العمارة عند العرب أنه كان فنا غير متطور وأن النظام العربي قبل الإسلام كان نظاما قبليا بحتا. ولم يكن هناك أي نظام سياسي يوحد شبه جزيرة العرب. هذه القبائل كانت تعيش بشكل أساسي على الرعي "حياة البداوة "وكان طعامها الأساسي من نتاج المواشي "الإبل والغنم" من لحم ولبن وكانت تأمكل التمر حيث النخل من الأشجار الصحراوية التي لا تحتاج إلى رعاية وحدمة كبيرة من قبل الإنسان. وكانت الأماكن الرئيسية في الحجاز مكة ويثرب مقرا لعمل آخر هو التجارة.

أما مفهوم الصناعة عند العرب -حيث أن الصناعة تحتاج إلى عمل يدوي- فقد كان شبه معدوم عندهم، لأن العمل اليدوي يربط الإنسان بمكان واحد، وقد كان العرب يحتقرون العمل اليدوي للسبب الموضوعي التالي الذي كان سائدا في ذلك الوقت: لقد كان العرب في شبه جزير هم في القرن السابع على علم تام بأحوال الدول المجاورة لهم وكانوا يعرفون أن هناك قصورا ومعابد وحلبات سباق ومدر جات رياضية هائلة وعربات، وكانوا يعلمون أن الذي صنع ونفذ كل هذه المنشآت الضخمة كانوا عبيدا يعملون بالسخرة، فارتبطت في ذهن العربي هذه المنشآت والعمل اليدوي بشكل حاص بالعبودية. لذا فقد أنف العربي من العمل اليدوي لارتباطه بالعبودية في ذلك الوقت، حتى أن الصناع المهرة في مكة كانوا من غير العرب.

وإن أهم منشأة عندهم كانت الكعبة المشرفة، وإذا تنظرنا إليها اليوم نراها عبارة عن منشأة بسيطة لا يوحد فيها أي تعقيدات ولا تتطلب مهارات خاصة في إشادتها. لقد ظهرت إيجابية هذا الموقف في أن العرب في معظمهم كانوا أحرارا لا يخضعون إلى أي نظام عبودي منظم له مؤسساته ومنشآته الخاصة وجيشه الخاص في حين أن هذا الوضع كان سائدا في الدول المحيطة بهم وكانوا يعلمون تماما أن هذه الدول كانت متقدمة عليهم من الناحية المدنية، وأقوى منهم من الناحية العسكرية ولكن كانوا يعلمون أن سكانها عبيد، والإنسان عندما يولد عبدا ويعيش عبدا ويموت عبدا وكذلك أبناؤه وأحفاده فإنه يصل إلى نوع من العجز الكامل الذي يعجز فيه عن تحرير نفسه ويستسلم لقدره ويعتاد على لاطاعة المطلقة دون تفكير "تنفيذ الأوامر فقط" ويصل إلى وضع غير قادر فيه على إمساك زمام المبادرة والتفكير حتى بالأوامر الصادرة له بحيث يصبح هذا النمط من العيش هو من سنن الحياة الأساسية عنده. هذا النوع من الناس غير قادر على قيادة أي ثورة لأنه فقد ملكة التفكير الحر والمناقشة "وهذه كانت سنة الأولين وليس الآخرين، والآخرون هنا هم الإنسان العصري بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم." هذا المثال واضح في علاقة بني إسرائيل بموسى. إذ وقع على عاتق موسى فقط تخليص بني إسرائيل من الفراعنة و لم يقدم بنو إسرائيل أية مساعدة وسند لموسى لتخليصهم من فرعون)قالوا أُوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا). (الأعراف 129). (وذلك لأنهم ظلوا مستعبدين عدة قرون من بعد يوسف حتى موسى. وعندما خرج بمم موسى من مصر إلى سيناء رفضوا أن يقاتلوا معه وقالوا له) :فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) .(المائدة 24. (هذا هو السبب الأول في أن الرسالة والنبوة حاءت إلى العرب ووقع عليهم هذا العبء المشرف وقد تجلت هذه الحرية في كثرة الشعراء في العصر الجاهلي والتي كانت تلعب دور الصحافة الحرة.

أما السبب الثاني فهو أصالة اللسان العربي: لقد شرحنا في مبحث نشأة الإنسان واللغة أصالة اللسان العربي. إذ أنه

حين نزل القرآن كان اللسان العربي قد وصل إلى طور الإبانة "لسان عربي مبين" وقد كان اللسان العربي هو ذلك الوعاء الإنساني الذي حوى مطلق الحقيقة ونسبية الفهم.

أما السبب الثالث: فهو أن حاتم الأنبياء والمرسلين يجب أن يكون في أم القرى "مكة) :"وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا) .(القصص 59 .(

ولهذا السبب وضع إبراهيم ابنه إسماعيل في أم القرى لأن حاتم الأنبياء والمرسلين يجب أن يكون من سلالة إبراهيم أيضا) :ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) (العنكبوت 27.

-مفردات قاموس الثورة النبوية "الأصالة الثورية:''

- 1 الطرح الأيديولوجي والفلسفي الشمولي للكون والحياة والإنسان. وهذا الطرح جاء في مكة في القرآن حيث أن معظم الآيات التي تبدأ بـ)يا أيها الناس .(هي مكية وهي من هذا الطرح الشمولي، لذا قال عن القرآن أنه)هدى للناس (وعن الكتاب بأنه)هدى للمتقين .(حيث غطى هذا الطرح الوجود كله: الله، الكون، الإنسان، ونظرية المعرفة الإنسانية، أصل الإنسان، الحياة، الموت، الساعة، البعث، اليوم الآخر والحساب والثواب والعقاب، قوانين حدل الطبيعة وجدل الإنسان، قوانين التاريخ، حرية الإنسان "القضاء والقدر"، ونظرية الدولة والشعب والأمة والقومية والأخلاق. لأن أي طرح أيديولوجي وفلسفي لا يمكن أن يكون إلا إنسانيا)يا أيها الناس. (2هذا الطرح الذي جاء في مكة والذي جاء بلسان عربي مبين، والذي فهموه فهما نسبيا حسب أرضيتهم المعرفية واللسانية، وذلك من خلال خاصية التشابه، كان طرحا متقدما على كل ما هو موجود عند العرب وعند غيرهم وذلك في إطار فهمهم النسبي للقرآن ومقارنته مع ما هو موجود فعلا في ذلك العصر. وعلينا نحن الآن أن نفهم القرآن ضمن الأرضية المعرفية السائدة في القرن العشرين ومقارنته مع ما هو موجود وسائد عندنا، فنراه طرحا متقدما على كل ما هو سائد عندنا، فنراه طرحا متقدما على كل ما هو سائد عندنا، فنراه طرحا متقدما على كل ما هو سائد عندنا، فنراه ولم
- 3لقد كان هذا الطرح قويا في مضمونه حسب ما فهموه في ذلك الوقت، لكنه كان ضعيفا في مواجهته المادية مع الخصم إذ كان دون أنصار لأنه كان جديدا كل الجدة على المجتمع السائد.
 - 4انطلاقا من هذا الطرح تشكل تنظيم قريب الشبه بما يسمى اليوم بالحزب الطليعي.
 - 5كانت بدايات التنظيم الطليعي سرية "مرحلة دار الأرقم بن أبي الأرقم."
- 6بعد المرحلة السرية انطلق هذا التنظيم إلى العلنية ملتزما التزاما كليا بالنضال السلبي "السلمي"، أي أنه كان يطرح الأفكار ويتلقى الصدمات دون أن يرد على العنف بالعنف المضاد. لذا ففي المواجهات الفكرية العقائيدة كان المشركون يهربون من المسلمين ولا يحبون موجهتهم حتى ألهم سموا محمدا صلى الله عليه وسلم ساحرا سحر شباهم. أما في المواجهات القتالية فقد كان المسلمون يهربون من المشركين لعجزهم عن المواجهة حتى ألهم كانوا يضطرون للهرب في بعض المواقف "الهجرة إلى الحبشة" علما بنه كان هناك بعض المسلمين الذين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم الرد على العنف بعنف مضاد ولكنهم منعوا من ذلك)أ لم تر إلى الذين قيل لهم كفوا

- أيديكم) .(...النساء 77 (وذلك لأن الشروط الموضوعية لتلك الفترة لم تكن تسمح بذلك.
- 7لقد استعمل أعداء الطرح الجديد)الملأ (كل أساليب القمع والتعذيب الجسدي والنفسي وكانت قمة المواجهة السلبية هي الحصار الاقتصادي حيث تم هذا الحصار في شعب أبي طالب لمدة ثلاث سنوات و لم يستطع المسلمون مواجهته إلا بالصبر والإيمان بقضيتهم حيث لم يستطيعوا الحصول على الطعام إلا بالمساعدة السرية من بعض أصداقتهم من مكة. وهذا السلاح مازال موجودا حتى يومنا هذا وفعالا ولا يمكن مواجهته إلا بالصبر والإيمان بالقضية التي حوصر الناس من أجلها.
- القد استعمل التنظيم الجديد في دعوته كل الوسائل المتوفرة في عالم الحقيقة آنذاك فكان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون يذهبون لدعوة الناس ومجابحتهم ومناقشتهم ضمن كل الأطر المتوفرة آنذاك مثل "دار الندوة" وأسواق العرب مثل "سوق عكاظ" ومواسم الحج. كل هذا مع تفادي الصدام العنيف مع أعدائهم. علما بأنه بعد انتصارهم ألغيت دار الندوة وسوق عكاظ وبقى موسم الحج بعد تعميمه فريضة تعبدية.
 - 9اللجوء إلى كل "وسائل الإعلام" المكنة آنذاك مثل الشعر للرد على وسائل الإعلام المعادية.
 - 10 اللجوء إلى كل أساليب الخدعة والهرب والتمويه كي يخففوا عنهم ضربات الأعداء مع كل الحفاظ على القيم الأخلاقية فلم يمارسوا السبي وقتل النساء والأطفال والسرقة.
- 11 المرونة في المناقشة والطرح "التكتيك" "المواقف السياسية" "صلح الحديبية" مع الصلابة في المواقف العقائدية المبدئية)قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون) .(الكافرون 1، 2.(
- 12 البحث عن أرض ضمن شبه جزيرة العرب يمكن إقامة مجتمع صغير عليها مسيس طبقا للطروحات الجدية، وكانت هذه هي الغاية الأساسية من الهجرة إلى يثرب إذ كان الحصول على الأرض الآمنة وإقامة المجتمع المسيس هو نقطة انعطاف كبرى في مسيرة الثورة. حيث أنه لا ثورة دون أرض ومجتمع مسيس على هذه الأرض. وفي هذا تكمن نقطة الضعف الكبرى في الثورة الفلسطينية، إذ هي ثورة وطنية بلا أرض، ونرى دائما أنه عندما تحصل هذه الثورة على قطعة أرض ولو كيلومتر مربع واحد تقيم عليها قانونها الخاص نرى أن القوى تتداعى عليها لسلبها هذه القطعة وتقضى على هذا المجتمع المسيس طبقا لقانون الثورة الفلسيطنية.
- 13 بعد الحصول على الأرض وإقامة المجتمع المسيس انتقلت الثورة من مرحلة النضال السلبي إلى مرحلة النضال الإيجابي وبدأت الحرب الأ÷لية فعلا وانتشرت حتى سيطرت على شبه جزيرة العرب كلها لإقامة الدولة الواحدة)إذن للذين يقاتلون بألهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) .(الحج: 39. (
- 14 كذلك في مرحلة النضال الإيجابي استعملت كل أنواع الخدعة والتمويه مع الحفاظ الكامل على القيم الثورية الإسلامية فلم يقتلوا امرأة أو طفلا أو أعزل من السلاح وحافظوا على عهودهم ووعودهم وأحسنوا معاملة الأسرى. و... و...
- 15عدم إغفال العلاقات الدولية بعد إقامة المجتمع المسيس"رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وهرقل والمقوقس."

- 16 الحفاظ على وحدة أرض شبه جزيرة العرب من الأعداء الخارجيين "غزوة مؤتة، غزوة تبوك" أي بعد الهزام العرب في معركة مؤتة حشي النبي صلى الله عليه وسلم من هجوم الروم على شبه جزيرة العرب، فذهب على رأس جيش بنفسه إلى تبوك.
- 17بداية التشريع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والأحوال الشخصية في المدينة حيث أن الآيات المدنية في معظمها تشريع وتبدأ بقوله تعالى)يا أيها الذين آمنوا (في حين أن الآيات المكية إنسانية تبدأ في معظمها بقوله تعالى) :يا أيها الناس.(
 - 18 استثمار كل المزايا العربية الإيجابية مثل الكرم والشجاعة وإغاثة الملهوف والعفو عند المقدرة والترعة إلى الحرية حيث استثمرت إلى أبعد الحدود كل المزايا الإيجابية للقومية العربية "تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" "صحيح مسلم ج4، 1958."
- 19 الاعتماد على أكثر الناس تحضرا بالنسبة لمجتمع شبه جزيرة العرب "قريش والأنصار" في قيادة العمل الثوري حيث كان المهاجرون "من قريش" والأنصار من "يثرب" هم النواة الأساسية للتنظيم الثوري، ولا عجب بألهم كانوا القادة السياسيين والعسكريين للدولة وتحت قيادتهم حرت حروب التحرير الكبرى لألهم كانوا أكفاء عن غيرم فيا لمناورة والتكتيك واتخاذ القرار ضمن الالتزام العقائدي الكامل، إذ ألهم عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم من أو الأيام دعوته حتى وفاته وكانوا هم ذراعه الأيمن ومستشاريه في جميع الأمور التي لا تتعلق بالوحي. ح التفريق في القيمة بين القيادات وعامة الناس والتسوية في العاملة)قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) .(الحجرات 14 .(هذه النقطة الخطيرة التي يمكن أن تقع فيها أكبر الثورات وتعتبر من نقاط المقتل في العمل لثوري. أي أنا لسابقين في الإسلام والذين تحملوا أقسى أنواع المشاق والموثوقين في التزامهم العقائدي والذين يقال عنهم الآن القيادة السياسية هم أعلى في القيمة من الناس العاديين الذين دخلوا الإسلام بعد فتح مكة)إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) .(النصر 1، 2 (ولكنهم متساوون مع الناس العاديين في الحقوق وأحكام القانون.
- 21 السلطة السياسية هي على سلطة في الدولة. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في الأمور التي لا تتعلق بالوحي هو القائد السياسي وهو رأس القضاء، ولكنه لم يتول القيادة العسكرية إلا في الأمور الكبيرة "كقائد أعلى للجيش". هذه السنة التي سنها النبي صلى الله عليه وسلم والتي تشربها الصحابة والعرب معهم وهي أن القيادة السياية هي أعلى سلطة في الدولة وإليها ترجع القرارات الاستراتيجية "العسكرية والمدنية وتقدير المواقف "كانت هذه السنة واضحة أشد الوضوح بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهذه السنة تتمثل في الأمور التالية:
 - أ إن السلطة السياسية يجب أن تكون من أناس لهم ماض معروف وملتزمين وليسوا نكرات أي ألهم مارسوا النضال والقيادة قبل الوصول إلى هرم السلطة وهذا واضح في الخلفاء الراشدين والقواد العسكريين والمستشارين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إذ كانوا من المهاجرين والأنصار.
 - ب إن القيادات العسكرية كانت خاضعة خضوعا كاملا ومطلقا للقيادة السياسية حتى أن هذا الأمر كان

طبيعيا حدا عند العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. مثال على ذلك عزل عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد عن قيادة الجيش وتولية أبي عبيدة بن الجراح. وأمر الخليفة أبي بكر لخالد بن الوليد بترك العراق والذهاب إلى الشام. ومحاكمة خالد بن الوليد من أجل صرف المال دون أن تشفع له كل أمجاده العسكرية .

وقد استمرت هذه الظاهرة حتى أوائل العهد العباسي حيث كان الخليفة الأموي هو رأس السلطة السياسية الفعلي وكان القواد العسكريون ملتزمين بكل قراراته دون أي مخالفة "قتيبة بن مسلم الباهلي" "موسى بن نصير" ولم تضعف الدولة العربية الإسلامية إلا حين انعكس الأمر أي حين أصبح الخليفة الذي هو رأس السلطة السياسية يعين من قبلا لقادة العسكريين الذين سيتحكمون بالتالي بجميع القرارات والاتجاهات الكبرى للدولة.

ج - إن القرارات التكتيكية متروكة للقادة العسكريين أنفسهم دون تدخل السلطة السياسية بأحداث المعارك أو توزيع الفرق والألوية ومواضع مبيتها وأوقات تنقلاتها.

- 22بعد وفاة الرسول مباشرة فصل القضاء عن السلطة السياسية فحتى حين تولى أبو بكر الخلافة كان القضاء من مهام عمر بن الخطاب. ونلاحظ هنا أن أهمية القضاء تأتي بالمرتبة الثانية بعد رئاسة الدولة بالنسبة للسلطة السياسية وقد تطور هذا المفهوم بعد ذلك بظهورا لفقه حيث كان الفقهاء يمثلون السلطة التشريعية "اللوائح القانونية" ومن هنا نرى أن الأوائل من الفقهاء كان لهم دور رئيسي في قيادة الدولة من الناحية التشريعية وقد كان الفقهاء الخمسة منارات هدى مضيئة ناصعة عظيمة في الحضارة العربية الإسلامية ولكنهم احتهدوا لمجتمعهم و لم يجتهدوا لنا وإنما تكمن مشكلتنا الآن في استمرارية الاعتماد عليهم.

إلا أنه بعد عصر الفقهاء الخمسة أدى الفقهاء اللاحقون وخاصة مع بداية عصور الانحطاط دور تحنيط التشريع ودور تجميد الفكر والحؤول دون تحركه ونشاطه.

- 23وجود المرجع المعرفي والأخلاقي والجمالي الواحد لكل من السلطة والناس وهذا مما أتاح الجو لبداية بذور الديموقراطية السياسية حيث كان أي إنسان من الناس ذكرا كان أم أنثى له الجرأة في سؤال الخليفة عن سلوك ما، ولولا وجود المرجع لما حصل هذا لأن الديموقراطية لا تقوم دون هذا المرجع.
- 24 القضاء قضاء كاملا على نظرية الحق الإلهي للحاكم في الحكم لأن الحاكم ليس خليفة الله المطلق في الأرض وإنما) وأمرهم شورى بينهم) (الشورى 38 . (لقد وليت عليكم ولست بخيركم" وإنما الإنسان كإنسان هو خليفة الله في الأرض وليس الحاكم. وهكذا نرى أنه لا يوجد في الإسلام رحال دين لتنصيب الملوك والخلفاء لإعطائهم الصفة الشرعية.
- 25مع وجود المرجع المعرفي والأخلاقي والجمالي كانت الخلافات في الرأي بين القيادات لا تصل إلى حد الهام بعضهم لبعض بالخيانة حتى خلاف على ومعاوية كان دلا بين إسلام وإسلام وليس بين إسلام وحاهلية حيث كانت تجمعهم القضية العربية الإسلامية.

ولا يهولنك ما كانوا يتنابذون به من ألفاظ تحس فيها جفاء وغلظة فنحن نسمع اليوم في أبماء المحالس النيابية في أرقى دول العالم بل في أبماء الأمم المتحدة منابذات ومهاترات أشد وألذع كثيرا.

- 26 إعطاء المرأة حقوقها طبقا للظروف الموضوعية السائدة وسبة إلى العالم المحيط بها وذلك يعتبر بداية تحرير المرأة حيث ما حصل للمرأة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم هو بداية التحرير وليس التحرير بكامله.
- 27بداية التغير في العلاقات الإنتاجية. هذه النقطة من أهم نقاط بحثنا، وتعتبر نقطة حاسمة في السلوك الاقتصادي الثوري وهو أنه لا يجوز إحداث تغيير مفاجئ في العلاقات الإنتاجية وفي وسائل الإنتاج. هذه النقطة التي اسغلها اليسار الطفولي وهي: لماذا لم يأت التشريع الإسلامي في القرن السابع على تحرير كامل ولهائي للرق وإلهاء هذه المشكلة وإنما بدأ بحلها؟ حواب هذا السؤال تم اكتشافه في القرن العشرين فقط وهو أن غحداث تغييرات مفاجئة في وسائل الإنتاج والعلاقات الإنتاجية يؤدي إلى ك وارث قد تقصم ظهر الدولة. وكان الرق هو العمود الفقري للإنتاج.

ثم تأتي العمالة بعد ذلك لتحل محل الرق. فالحل الأحلاقي فيا لرق كان ضروريا، والاقتصادي كان متدرجا. وقد حدث الحل الجذري للرق في عام 1860 في أمريكا فنتج عن ذلك حرب أهلية كادت أن تفتت الدولة علما بأن هذا الحدث حصل بعد ما يزيد على 12 قرنا من ظهور الإسلام "القرن الثالث عشر الهجري ." أما الحلول الجذرية فيمكن اتخاذها فيما يتعلق بينية الدولة وفي إدارتها وفي سياستها بشكل خاص لأن من مهمات

أما الحلول الجذرية فيمكن اتخاذها فيما يتعلق بينية الدولة وفي إدار ها وفي سياستها بشكل خاص لأن من مهمات الثورة بعد مرحلة نجاحها وتسييس المجتمع، التنظير لتطوير مفاهيم المجتمع وفق الظروف الموضوعية المستجدة والتناقضات الجديدة وعلاقات التأثير والتاثر المتبادل الجديدة وذلك لخلق حركة دفع دائمة التطور حفاظا على عجلة التقدم في المجتمع، ولتحاشي النكسات والتجمد والتحجر، مما يبرر الضرورة الدائمة للتغيير فيا لبنية والإدارة والتشريع وحل التناقضات الجديدة التي لا تنتهي أبدا والشورى "الديموقراطية" وحرية التعبير عن الرأي هي أساس في هذا التطور.

- 28الالتزام الكامل بالوعود التي تقطعها الثورة للناس وعدم النكال بما "أي تطابق الأقوال والأفعال."
- 29 إبرام معاهدات مرحلية من أجل الوصول إلى الهدف الأساسي وخفض عدد الأعداء إلى الحد الأدبى "معاهدة النبي مع يهود يثرب لأن المعركة الأساسية كانت مع مشركي العرب" "صلح الحديبية."
- 30اعتبار القتال آخر حل يمكن اللجوء إليه، وفي حال وجود حلول أخرى لكسب المعركة فإنها هي التي تتبنى "المؤلفة قلو بهم."
- 31 ممارسة الديموقراطية "الشورى" في كل أبعادها الممكنة في ذاك الوقت في الأمور التي لا تتعلق بالوحي وأمرهم شورى بينهم). (الشورى 38). (وشاورهم في الأمر). (آل عمران 159. (حيث أن عقيدة التسبيح "التطور" في الوجود والحركة بين الحدود في التشريع هي أساس الوحدة الوطنية التي تحتمل الديموقراطية في المعرفة وفي التشريع.
- 32عدم اللجوء إلى الإجراءات الانتقامية عند النصر والتمكن من العدو، لأن الدول لا تبنى على الحقد والانتقام)وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) .(النحل 126.(ونرى هذا في أن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عمن آذاه في حال الإمكانية.

- 33صياغة مفاهيم وطنية تأخذ كل إيجابيات القومية العربية في الجاهلية مضافا إليها مفاهيم الإسلام في العقيدة والمعاملة والأخلاق.
 - 34 إعطاء كل الشخصيات القيادية أبعادها الكاملة في القيادة والقرار حيث أنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كانت القيادات كلها مهيأة للقيادة السياسية والعسكرية.

وهكذا نفهم قوله تعالى) :لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) .(الأحزاب 21 .(فالأسوة الحسنة هي اتباع مهج النبي صلى الله عليه وسلم في تطبيق أحكام الكتاب حسب الزمان والمكان حيث كان هو الأسوة في هذا المنهج الذي حول التعليمات الإلهية المطلقة إلى واقع موضوعي في عالم النسبية.

الفرع الثالث: جمع الحديث وتدوينه وفهمه

لنناقش الآن لماذا تم التأكيد الكبير على حرفية الحديث حيث أن الفقهاء الأربعة ظهروا في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة)الشافعي ولد عام 150هـ. (والفقهاء الأربعة ظهروا في أوائل العصر العباسي، وكذلك المحدثون)البخاري ولد عام 196هـ. (

إن السبب الأساسي لجمع الحديث أو لا وللتأكيد عليه ثانيا هو سبب سياسي بحت . تولد عنه منطلق فكري عقائدي بعد سقوط دولة الخلفاء الراشدين وظهور الدولة الأموية، ظهرت فرق في الإسلام كلها ذات منشأ سياسي، وكان هذا المنشأ بحاجة إلى أرضية أيديولوجية "الشيعة، الخوارج" وظهرت بداية تيارات فكرية فلسفية مثل الجهمية والقدرية والمرجئة. هذه التيارات حاولت تبني الفهم الفلسفي للقرآن وللرسالة .

هذا الفهم الذي كان بعيدا عن العرب في حياقم البدوية ضمن ظروفهم في شبه جزيرة العرب حيث كانوا أبعد الناس عن الفلسفة والفهم الفلسفي. وكان الصحابة جزءا من هؤلاء العرب. إن المشكلة الكبرى التي مازلنا نعيشها إلى اليوم بسبب تكريس مفهوم الحديث –أي حديث- والتأكيد عليه، تكمن فيما يلى:

هل نحن أفهم من الصحابة في فهم الكتاب؟؟ فيا لجواب على هذا السؤال يجب أن نكون حريئين في الحق بدون حوف. الجواب هو نعم ولا في آن واحد.

فالجواب نعم: نحن على يقين بأننا في أواخر القرن العشرين في مشاكلنا المعاصرة والتي لا يعرف الصحابة عنها شيئا. وبوجود الكتاب الذي لا ريب فيه بين أيدينا، قادرون على نقله من عالم المطلق إلى عالم النسبية الذي نعيشه نحن وقادرون أن نتحرك ضمن الحدود بشكل يتناسب مع عصرنا، وفي هذا نحن أقدر منهم وليس منا لضروري أبدا الاعتماد على أقوالهم وتحريها فوضعنا منهم هو إن كانت أقوالهم تناسبنا أحذناها، وإن كانت لا تناسبنا تركناها.

والجواب لا: لأنهم فهموا الإسلام حسب شروطهم وروفهم أفضل من فهمنا التاريخي للإسلام وهو متفاعل مع ظروف القرن السابع في شبه جزيرة العرب.

إن المغالطة الكبرى هي أننا نريد أن نفهم الإسلام فنرجع من القرن العشرين إلى القرن السابع في طريقة تفكيرنا. أي أننا نريد أن نفكر كما فكروا هم وهذا مستحيل. ثم بعد ذلك ننتقل من القرن السابع إلى القرن العشرين لنقدم إسلام القرن السابع في القرن العشرين. في هذه العملية يتم تشويه التاريخ والتطور والزمان والمكان. وينتج لدينا إسلام خيالي يعيش في فراغ خارج التاريخ ودين لا علاقة له بالحياة بل خارج الحياة. هذه العملية إن لم ننتبه إليها ونصححها فلا أمل في تقدم المسلمين والخروج من مأزقهم .

والخروج من المأزق هو استيعاب السنة بمفهومها الحقيقي "الأسوة الحسنة للرسول": "بعثت بالحنيفية السمحة ومن خالف سني فليس مني" وهو أننا يجب أن نكون واثقين من أنفسنا ونقول إننا في القرن العشرين قادرون على تحويل القرآن من مطلق إلى نسبي كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم "وليس عين ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم" وكما فعل أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وليس عين ما فعلاه لأنهما فهما هذه الحقيقة. وإذا كان هناك أمور في صدر الإسلام نعتبرها مفيدة اليوم أخذناها، وإذا كانت لا تفيدنا تركناها دون حرج. ونحن قادرون أيضا على أن نتحرك ونجتهد ضمن حدود الله ورسوله في الأمور التي وردت في الكتاب، وقادرون على أن نضع حدوداً في الأمور الأخرى كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا الكلام يجب أن لا يفهم على أننا نكيل الاتحامات لهم أو نقلل من قدرهم وعظمتهم "لا سمح الله." ولكن يجب علينا أن نعطيهم قيمتهم التاريخية النسبية دون أن نضعهم في المطلق.

فإذا سألين سائل الآن "ألا يسعك ما وسع الصحابة في فهم الكتاب والقرآن"؟ فجوابي بكل جرأة ويقين هو: كلا لا يسعيني ما وسعهم لأن أرضيتي العلمية تختلف عن أرضيتهم. ومناهج البحث العلمي عندي تختلف عنهم. وأعيش في عصر مختلف تماما عن عصرهم. والتحديات التي أواجهها تختلف عن تحدياتهم.

إني أواجه فلسفات قوية ومنيعة دخلت عقر داري، وأواجه تقدما علميا يؤثر على كل حركة وكل قرار أتخذه في حياتي، وأكون متوهما إذا قلت أو قبلت أنه يسعني ما وسعهم.

لقد ظهرت أوائل الحركات الفكرية في العصر الأموي بعد الفتوحات العربية الهائلة حيث تتوجت هذه الحركات في العصر العباسي بظهور المعتزلة أصحاب الفكر الحرحيث طرحوا مسائل لم يطرحها الصحابة بشكل مؤكد ففهمها الفقهاء على أنها حروج عن الإسلام. فظهر هناك تياران أساسيان: التيار الأول ظن أن الإسلام له شكل واحد في فهمه وتطبيقه هو شكله في شبه جزيرة العرب في صدره فقط وأن الصحابة هم خير من فهموا القرآن

والكتاب بشكل مطلق، لذا كان هذا التيار بحاجة ماسة وملحة لكل كلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، لا المنهج أي كانوا بحاجة إلى عين كلامه. وتبنى عين الكلام لا يعتبر أسوة وذلك لكي يؤكد ويدعم اتجاه هذا التيار الذي نسميه تيار النقل وقد اعتمد هذا التيار على ناحيتين مهمتين ومازال يستعملها حتى الآن وهما:

أ - العواطف الجياشة النبيلة للمسلمين في حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وقد استغلت هذه العواطف ومازالت تستغل إلى اليوم على صورة لا ترضي النبي صلى الله عليه وسلم.

ب - انعدام البحث العلمي لدى هذا الاتجاه حيث كان البحث العلمي عندهم يعتمد على "هكذا قال عمر" والمشكلة الأساسية عندهم هي قال أم لم يقل أي صدق الرواية. وهكذا ظهر مفهوم علم الحديث وطبقات المحدثين، علما بأنه علينا أن نعي المقولة الأساسية التالية وهي "صدق الخبر لا يعني إطلاقه" أي إذا كان الخبر صادقا فلا يعني أنه مطلق.

هذا التيار نتج عنه أمران في منتهى الخطورة:

- 1وضع حياة النبي صلى الله عليه وسلم في عالم المطلق بينما كانت حياته منسوبة إلى شبه جزيرة العرب في القرن السابع بكل ما أحاطها من معطيات اقتصادية واجتماعية وسياسية.

- 2الإصرار على أن أوامر النبي ونواهيه هي وحي، وأن السنة هي وحي، والوحي دائما من الله، والله مطلق. علما بأن طاعة النبي متصلة بطاعة الله في الحدود "حدود الله" والعبادات والأخلاق "الصراط المستقيم" فقط. هذان السببان نتج عنهما أننا وقعنا في عمق المزلق المسيحي دون أن ندري حيث أن الديانة المسيحية مرتبطة بشخصية المسيح حصرا. وقد كان كلام المسيح عندهم هو كلام الله، لذا فإننا نرى أن كل الأناجيل على احتلاف أنواعها عبارة عن السيرة الذاتية للسيد المسيح.

والأحاديث هي السيرة الذاتية للنبي صلى الله عليه وسلم، فكما أن هناك عدة أناجيل فهناك عدة كتب للحديث. فلماذا نعيب على المسيحيين أن لديهم عدة نسخ للأناجيل ولا نعيب هذا على أنفسنا في الحديث. تقوم المسيحية على تأييد المسيح، فشعائرهم الدينية مرتبطة بشخصية المسيح: عيد الميلاد، عيد الفصح، حتى القداس هو الحضور الحي للمسيح. فالمسيح بذاته عند النصارى هو الشهادة الإلهية لا الإنجيل.

أما عندنا نحن المسلمين فالشهادة الإلهية هي "الكتاب المترل" وليس شخصية النبي. ولكن بمفهوم السنة التقليدي الموروث أصبح محمد صلى الله عليه وسلم هو الشهادة الإلهية إلى جانب الكتاب بل أصبح فعليا الحديث النبوي هو المعتمد عليه أكثر من الكتاب في بعض الأحيان.

ولو كان الأمر كذلك لنتج عنه أننا نتهم محمدا صلى الله عليه وسلم دون أن ندري بالتقصير في إبلاغ رسالة ربه، إذ لو كان حديثه وحيا لوجب عليه أن يأمرهم بكتابته كما أمرهم بكتابة الوحي. أما وقد نهاهم فلم يبق إلا احتمال واحد وهو ألا يكون كلامه وحيا فلا حرج عليه في نهيه عن كتابته.

وأما التيار الأساسي الثابي فهو:

تيار العقل:

وقد تمثل في المعتزلة حيث أن الإسلام عندهم تفاعل مع معطيات العصر وتحدياته وأنتج فكرا نيرا حرا نقديا. وقد انتهت المعركة مع الأسف بانتصار التيار الأول ومازلنا نعيش مآسيها وخيبتها حتى يومنا هذا، حيث أصبح التيار الأول يسمى نفسه أهل السنة والجماعة. وانتصار التيار الأول قتل الفكر الحر النقدي عند الناس مما أدى إلى استسلامهم حيث استلم الفقهاء قيادة الناس تحت عنوان أهل السنة والجماعة، ومات الفكر النقدي. ومنذ ذلك الحين أصبح الفقه والسلطة توأمان بغض النظر عن ماهية هذه السلطة، وطنية أم غير وطنية، عربية أم غير عربية. هكذا يظهر لماذا كانت الحاجة الملحة إلى علم الحديث حيث تم ظهور علم الحديث في حضم هذه المعركة حتى أصبحت السنة بمفهومها وتعريفها التقليدي الفقهي هي السيف المسلط على رأس كل فكر حر نير ونقدي وأصبح الظن عند المسلمين أن محمد صلى الله عليه وسلم حل كل مشاكل الناس من وفاته إلى أن تقوم الساعة.

أما السبب السياسي البحت وهو أن كل حركة سياسية، الشيعة، السنة، الخوارج...الخ كانت بحاجة إلى أرضية فكرية عقائدية لكي تكسب المؤيدين وتحافظ على استمراريتها مع الزمن، فكان الاعتماد على الحديث هو المرجع الفكري لهذه الفرق السياسية.

ثم هناك نقطة منهجية حول سند الحديث يجب أن لا نغفلها وهو أنه من الناحية التاريخية كان أبو بكر الصديق "رض" أكثر الناس ملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم منذ أول يوم للدعوة وحتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولا نجد له في كتب الحديث إلا أحاديث قليلة جدا منسوبة إليه .

في حين نجد العشرات من الأحاديث منسوبة إلى أبي هريرة، وهذا أمر يدعو إلى التساؤل، علما بأن أبا هريرة قدم إلى المدينة في السنة السابعة للهجرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر ولبث في المدينة إلى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مدة ثلاث سنوات فقط، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي عاشوا مع النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك بكثير، هذا من ناحية، ومن ناحية أحرى كان أبو هريرة يقول "ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض عمر "وكان عمر " وض " يقول "أقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فيما يعمل به "ثم يقول أبو هريرة "أفكنت

محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي؟ أما والله لأيقنت أن المخفقة ستباشر ظهري" فإن عمر كان يقول "اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله" ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له: "إنك تأتي قوما لهم في مساجدهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فدعهم على ما هم عليه ولا تشغلهم بالأحاديث وأنا شريكك في ذلك" وهذا معروف عن عمر رضى الله عنه "انظر كتاب البداية والنهاية ص 107 لابن كثير."

الآن لنورد بعض الأمثلة على السنن النبوية التي يمكن أن تفهم في المضمون لا في حرفية النص ونفهمها فهما معاصرا:

- 1 السواك: لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل السواك وسيلة لنظافة الفم والأسنان حيث أن السواك مأخوذ من شجر الآراك وهو شجر موجود في شبه جزيرة العرب. فإذا أردنا أن نفهم سنة السواك فهما معاصرا نقول إن السنة النبوية تحض المسلمين على العناية بنظافة الأسنان والفم ضمن الوسائل المتاحة وكان السواك هو الوسيلة المتاحة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فاستعمله. هذه السنة هي درس كبير لنا للعناية بصحتنا.
- 2 سنة اللحية واللباس: لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس من لباس العرب حتى إن الذي كان يدخل عليه من العرب وهو حالس مع الناس لأول مرة كان يسأل من منكم محمد. فهذا يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتميز بأي شيء في لباسه و لا ليحته وكان لباسه لباس العرب في حينه، وإطلاق اللحية هو من عادات العرب في حينه. وهكذا نفهم السنة النبوية في اللحية واللباس هي أن على المسلم أن يلبس لباسه القومي وأن يكون هندامه قوميا بدون حرج. لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لباسه وهندامه قوميا وهذه السنة أكبر درس في اشعور القومي.
- 3 سنة أكل التمر وشرب الحليب: لقد كان طعام النبي صلى الله عليه وسلم معظمه من التمر والحليب. فإذا نظرنا إلى شبه جزيرة العرب رأينا أن الإنتاج الزراعي الأساسي لها هو التمر وكان العرب يربون الإبل والضأن فكان الحليب هو نتاجها. لذا فإننا نقول ن السنة النبوية من حيث المأكل هي: أنه على المسلم أن يأكل من الطعام الذي تنتجه بلده. هذه السنة إذا فمناها هكذا فهي درس في السلوك الوطني. إما إذا فهمنا السنة على أنها عين التمر والحليب فإنها تصبح شكلا دون مضمون.
-) 4صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته (إن الأهلة مواقيت للناس، وهي التي تحدد دخول الشهر وانتهاءه ومع تطور علوم الفلك أصبح تحديد دخول الشهر وانتهائه غاية في السهولة وفقا لمعطيات العلم الحديث، ولكن النبي عليه السلام لم يكن لديه خيار آخر، إذ لم يكن بالإمكان معرفة دخول الشهر وانتهائه إلا برؤية العين والخيار الواحد لا يفلسف، ومن هنا فإنا لا نرى بأسا في أن تصوم لرؤيته بأية وسيلة أخرى مع العين أو دولها.

إنني أرى أنه يجب إعادة دراسة سلوك النبي وأقواله في غير الحدود والعبادات على هذا النحو وإعطاؤها المضامين المعاصرة الصحيحة والوطنية والقومية والاجتماعية.

إن النتائج التي يمكن أن نستنتجها في فصل السنة هي التالية:

- 1 إن السنة هي منهج في تطبيق الكتاب في الحركة بين الحدود أو الوقوف عليها أو وضع الحدود المقابلة لحدود الله أو وضع حدود مرحلية. حيث أن الكتاب يمثل الجانب المطلق الإلهي من الإسلام والسنة تمثل الجانب الإنساني من الإسلام "الاجتهاد."
 - 2علينا إعادة النظر في كتب الحديث ضمن النهج التالي:
 - أ تقسم الأحاديث الشريفة إلى أحاديث النبوة وأحاديث الرسالة.
- ب تقسيم أحاديث الرسالة إلى أحاديث ملزمة بالنص والمضمون معا والمتعلق بالعبادات والحدود والأحلاق "الصراط المستقيم" وأحاديث ملزمة بالمنهج فقط مثل أحاديث التعاريف أي علينا أن نعرف السارق قبل قطع اليد لأن النبي عرفه، والإلزام علينا هو التعريف لا عين التعريف .
 - ت علينا تبيان أن أحاديث النبوة ليس لها علاقة بالحلال والحرام.
 - ث علينا إعادة النظر في تنقيح الأحاديث المتعلقة بالغيبيات على ضوء الفهم الحديث للقرآن.
- ج علينا اعتبار كل الأحاديث المتعلقة بالحلال والحرام والحدود، التي لم يرد نص فيها في الكتاب على أنها أحاديث مرحلية مثل الغناء والموسيقى والتصوير واعتبارها أحاديث قيلت في حينها حسبا لظروف السائدة، وعلينا أيضا اعتبار كل أحاديث الغيبيات التي لا تنطبق مع القرآن مثل عذاب القبر والروح على أنها سر الحياة على أنها أحاديث ضعيفة أو موضوعة وعدم الأحذ بها.
- 3 علينا أن نعيد النظر في كيفية حبنا للنبي صلى الله عليه وسلم. إن أكبر حب يمكن أن نحبه للنبي صلى الله عليه وسلم هو إرجاعه إلى أرض الواقع على أنه إنسان يوحى إليه ولد من امرأة قرشية كانت تأكل القديد، وأنه عاش حياته في شبه جزيرة العرب بكل أبعادها بعيدا عن الأوهام والفرضيات.

وعلينا أن نبتعد عن إدخاله في عالم المطلق كقولنا "أول خلق الله" و"نور عرش الله" "قبض الله قبضة من نوره وقال لها كوني محمدا" إن كل هذه الأوهام التي نضع من خلالها النبي في عالم المطلق لا تفيدنا بشيء إلا بالخيبة والتخدير. لقد وضع المتصوفة النبي صلى الله عليه وسلم في عالم المطلق من حيث الوجود ووضعه الفقهاء في عالم المطلق من حيث الوجود وإلى تحجر وتزمت من المطلق من حيث الوجود وإلى تحجر وتزمت من حيث التشريع، فحولوا بذلك الإسلام ورسول الله إلى خرافة من حيث الوجود وإلى تحجر وتزمت من حيث التشريع.

الفصل الثالث

الفقه الإسلامي

الفرع الأول: أزمة الفقه الإسلامي

-) -فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .(الروم 30.(
 -) فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون). (الروم 43. (
 -) -ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) . (آل عمران 67. (
 -) -إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوهوهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين). (آل عمران 86.(
 -)-إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين). (النحل 120.(
 -) ثم أوحينا إليك أن اتّبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين). (النحل 123.
 -) -قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) .(الأنعام .161

إن الإسلام دينا لفطرة وهو دين الحنيفية المتغيرة حسب الزمان والمكان وحسب الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وهو متطابق تماما مع فطرة الناس التي تحمل تشابها كبيرا مع قوانين الطبيعة. لذا ربط قوله: فطرت الله التي فطر الناس عليها) . (الروم 30 . (أي طبائع الناس بقانون الطبيعة بقوله) : لا تبديل لخلق الله . (ثم علق في لهاية الآية بأن هذا الدين هو)الدين القيم . (أي صاحب السيطرة والقوة وبالتالي فله القيومية. وقد أكد بأن معظم الناس لا تعرف هذه الحقيقة عن الإسلام بأنه دين منسجم مع طبائعها ومع قوانين الطبيعة معا وهنا تكمن أزمة الفقه الإسلامي.

لنضرب الآن أمثلة من الطبيعة وكيف ربط طبائع الناس بها:

- 1إن أعلى نقطة على سطح الأرض هي قمة إيفرست في جبال هيمالايا، وأخفض نقطة على سطح الأرض هي ساحل البحر الميت في وادي الأردن. فإذا نظرنا إلى المكان الذي يعيش فيه الناس رأينا أنه محصور بين هاتين النقطتين. وبين هاتين النقطتين يقع سطح الكرة الأرضية ببرها وبحرها. ونرى عددا قليلا من الناس يعيش على ساحل البحر الميت، ونرى بعض المغامرين من الناس يصلون إلى قمة إيفرست.
 - 2إن أطول نهار في السنة في مدينة دمشق هو 14 ساعة و26 دقيقة، وأقصر نهار في السنة هو 9 ساعات و50 دقيقة. فإذا سأل سائل: ما هو طول النهار في بقية أيام السنة؟ فالجواب هو: بينهما.

- 3إن العين لا تبصر إلا الألوان المحصورة بين الطيف الضوئي مع مركباته فهي لا تبصر تحت الحمراء ولا فوق البنفسجية.
 - 4إن الأذن لا تسمع إلا الذبذبات الصوتية المحصورة بين 20000-2000 هرتز .وكذلك حركة اليدين والأرجل ونبضات القلب والشهيق والزفير ودرجات الحرارة لجسم الإنسان.
- 5إن النسبة الطبيعية للسكر في الدم تتراوح بين 70ملغ/ل حداً أدين و120ملغ/ل حدا أعلى. فإذا وصل السكر السكر في الدم إلى نسبة 70 فهو طبيعي. ولكن على الحد الأدبى تماما. ويحتاجإلى مراقبة. وإذا وصل السكر في الدم إلى نسبة 120 فهو طبيعي ولكن على الحد الأعلى تماما ويحتاج إلى مراقبة. أما النسبة الطبيعية للسكر في الدم عند ملايين الناس فهي بين الحدين. وكذلك نسبة الكولسترول والشحوم وبقية العناصر المكونة للدم. و أن درجات لحرارة في مدينة ما تنحصر دائما بين حدين أدين وأعلى. فمثلا نقول إن أدبى حرارة في مدينة ما استمرت لساعة واحدة هي الصفر وأعلى درجة حرارة استمرت لساعة واحدة هي 40 أو نقول إن أدبى درجة حرارة في مدينة ما استمرت لمدة 24 ساعة هي 5 درجات مئوية فوق الصفر، وأعلى درجة استمرت لمدة 24ساعة هي 38 درجة. أما بقية درجات الحرارة على مدار السنة فهي بينهما .وقد تتغير "تحنف" في اليوم الواحد أربع أو خس مرات ولكنها تبقى بين الحدين. وكذلك نسبة هطول الأمطار وسرعة الرياح ودرجات الرطوبة وارتفاع الأمواج في البحر.
 - 7إن الحد الأدنى للسوائل التي يجب أن يتناولها الإنسان يجب أن لا يقل عن كمية معينة في النهار الواحد. أما الحد الأعلى فهو مفتوح حسب درجات الحرارة وحسب حالة الإنسان في حالة عمل أو راحة.
- 8إن الحد الأدنى لسرعة جسم منطلق من الأرض هو حوالي 7كم/ثا وذلك لكي ينفذ من الجاذبية الأرضية. أما الحد الأعلى فهو مفتوح. ومن الناحية النظرية مفتوح حتى سرعة الضوء وفي هذه الحالة يتحول الجسم إلى ضوء.
- 9إن الحد الأعلى للسرعة في الوجود المعروف حتى الآن هو سرعة الضوء فلا يوجد سرعة أعلى منها، ولكن يوجد سرعة أخفض منها. فإذا سأل سائل إذا كان الجسم ساكنا فسرعة الصفر هي الحد الأدنى. أقول: إن السرعة لا تطلق على جسم ساكن فمتى نطلق على جسم ما مصطلح السرعة فيجب أن يكون متحركا.
 - 10إن الحد الأدبى اللازم لوجود حياة في مكان ما هو وجود الماء "الرطوبة" ووجود الأوكسجين.
 - 11إن الحد الأدبى لعدد المدارات حول النواة في كل العناصر هو مدار واحد، والحد الأعلى هو سبع مدارات. فكل العناصر في لطبيعة مداراتها بين الواحد والسبعة حيث أن بعض العناصر لها مدار واحد كالهيدروجين، وأخرى لها سبعة مدارات.
 - 12إن الحد الأدبى لعدد الحواس التي يجب أن يمتلكها الإنسان لكي يستوعب العالم الخارجي هو السمع والبصر.

- 13إن الحد الأعلى للعلاقة العضوية بين الذكر والأنشى هو الجماع الجنسى.

هذه الحقيقة أول من اكتشفها وسلم بها في التاريخ الإنساني هو إبراهيم عليه السلام. وبهذا كانت ميزته على الأنبياء والمرسلين. أي أنه اكتشف الطبيعة الحنيفية "المتغيرة" وسلم بها وبذلك اكتشف أن كل شيء ما عدا الله فهو حنيف. وأن تثبيت أية ظاهرة في الوجود هو شرك بالله، أي أشرك هذه الظاهرة مع الله في بقائها وثباتما. لذا فقد تم ربط الحنيفية بالتوحيد حيث أتبع مصطلح)حنيفا .(بقوله) : وما كان من المشركين .(

هذا فيما يتعلق بظواهر الطبيعة الحنيفية حيث أن الإيمان بحنيفية الطبيعة وبالحدود الموجودة فيها والحركة في هذه الحدود فيه توحيد الربوبية ومن هنا كان إبراهيم)أمة قانتا لله حنيفا) .(النحل 120 .(وهو الذي سمانا المسلمين والحنفاء. فإذا أخذنا ظواهر الطبيعة الحنيفية وأسقطناها على سلوك الناس، رأينا أن سلوك الناس يكون ضمن حدود دنيا أو عليا أو الاثنين معا. فإذا جاء للناس دين يتطابق مع هذه الفطرة فهو يتناسب معهم ويعيش معهم، وهذا الدين هو الدين المبني على الحدود في التشريع لا على تشريعات عينية. وهذا هو الدين الإسلامي الذي له المنعة والقوة والقيومية ويتطابق مع طبائع أهل الأرض، وأكثريتهم لا تعلم ذلك. ولكي يبين أن إبراهيم كان أول الحنفاء حيث اكتشف الحنيفية في الوجود قبل أن يأتيه الوحي قال)ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) .(الأنبياء 51 .(ولكي يبين أن الديانتين اليهودية والنصرانية لا تحمل الطابع الحنيف، وأن الحنيفية انتقلت من إبراهيم كنظرة إلى الكون إلى محمد صلى الله عليه وسلم كدين عالمي شمولي بقوله تعالى) :ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) .(آل

وقد أوضح الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة أن الديانة اليهودية كانت ديانة عينية، حيث أن الناس كانوا لا يستوعبون المفهوم الشمولي الحدودي في الآيات "67-71" من سورة البقرة حيث أمر الله بني إسرائيل بذبح بقرة، أية بقرة، فأرادوها هم بقرة عينية، أي أرادوا أن يدلهم الله على بقرة معينة من بين كل جنس البقر الموجود، وكذلك آية العقوبات)النفس بالنفس والعين بالعين...الآية) .(المائدة 45.(انظلاقا من هذا المفهوم للدين الإسلامي الحنيف نفهم تماما الأمور التالية:

- 1إن رسالة الإسلام رسالة عالمية وليست للعرب فقط أو للقرن السابع الميلادي)قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو) .(الأعراف 158 .(فهو دين واحد من إله واحد مالك للسموات والأرض لكل من في السموات والأرض.
- 2 نفهم لماذا كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي رحمة للعالمين)وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .()الأنبياء 107.(
- 3نفهم لماذا كانت راسلة محمد صلى الله عليه وسلم هي خاتم الرسالات بالإضشافة إلى أن القرآن كان

خاتم النبوات، حيث أن رسالته تعني أن الإنسان ابتعد عن المملكة الحيوانية وهو مدين لله في هذا البعد وقد وجهه الله في المعرفة بالنبوات والتشريع بارسلاات حتى وصل عند محمد صلى الله عليه وسلم إلى درجة النضوج في المعرفة والتشريع بحيث أصبح قادرا أن يعتمد على نفسه في معرفة الوجود وفي التشريع "الإنسان المعاصر."

انطلاقا من هذا نتوجه بالسؤال التالي: هل الإسلام جاء ليحيا الناس به أم ليحيوا من أجله؟ فإذا جاء الإسلام ليحيا الناس من أجله فهذا يعني أنه لا يتناسب مع فطرقم وفرض عليهم فرضا وسيأتي يوم يعافونه ويهربون منه. وإذا جاء ليحيوا به فهو متناسب معهم فيكل زمان ومكان.

من هنا يجب أن ننطلق في فهم أزمة الفقه الإسلامي الموروث والتفسير، والذي أصبح يشكل عبئا علينا حيث أصبح غير متناسب مع معلوماتنا وظروفنا في القرن العشرين حيث أن الأزمة تنطلق من خطأ في المنهج، لا من ضعف في اللغة العربية أو قلة في التقوى:

- 1 أما بالنسبة للتفسير فقد ظن المفسرون أن القرآن على غرار التوراة فكلاهما فيه كونيات وقصص. ففسروا القرآن بالتوراة غير آخذين بعين الاعتبار خاصية التشابه. وقد ثبت هذا التفسير إلى يومنا هذا.

- 2وأما بالنسبة لأم الكتاب "الرسالة" فقد ظن الفقهاء أن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم هي شريعة عينية على غرار شريعة موسى، لا شريعة حدودية. وقد وقعوا في خطأ أن آيات أم الكتاب هي نص، ولا اجتهاد في النص. فوقفوا على الآية أي على الحد، لا عند الحد. علما بأنه إذا أراد فريقا كرة قدم أن يلعبا مباراة بكرة القدم فعليهما أن يلعبا ضمن حدود الملعب لا عند حدوده .مثال على ذلك آية الإرث، حيث وقفوا على الآية تماما أي على الحدود ولم يتحركوا ضمن الحدود أبدا. وأننا لا نلومهم على ذلك لأن مفهوم الحدود "الرياضيات" والتحليل الرياضي وضعه إسحاق نيوتن في القرن السابع عشر .

وهكذا نفهم لماذا سميت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بأم الكتاب بينما سميت رسالة موسى وعيسى بالكتاب لأنه يمكن استنباط ملايين الكتب في التشريع من أم التشريع، ومعظم التشريعات المعاصرة لأهل الأرض تدخل ضمن أم الكتاب.

- 3 الفهم الخاطئ للسنة النبوية على أنها عين الحديث، وإنما السنة النبوية هي منهج في التعامل مع الكتاب طبقا للظروف الموضوعية التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم وهو بهذا كان الأسوة الحسنة لنا وكذلك سنة الحدود والأخلاق والتي تشكل الطاعة المتصلة "وأطيعوا الله والرسول."

إن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته هما الخاتم، ولكل الناس ولكل زمان ومكان. فكونهما الخاتم فهذا يعني بالضرورة أن الإنسانية ببعثته صلى الله عليه وسلم نضجت لكي تفهم وتتعامل مع قوانين الوجود واستنباط هذه القوانين من القرآن أو من خارجه لوحدها، ونضجت أيضا لكي تشرع لوحدها ضمن حدود الله. وفي هذا اكتملت خلافة الإنسان لله في الأرض في ربوبيته في السيطرة على الطبيعة. وفي ألوهيته في قدرته

الذاتية على التشريع. وبهذا قال للنبي صلى الله عليه وسلم فقط)اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) .(المائدة 3 .(والإنسان كلما تقدم في سلم الحضارة زاد فهمه للحدود. وكلما بعد عن الحضارة زاد جهله بالحدود لذا قال تعالى) :الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) .(التوبة 97 .(

وكل الثورات التي ظهرت في العالم وتخلصت من شريعة موسى وعيسى وقعت في أحضان الإسلام بدرجات متفاوتة دون أن تدري. لذا فإننا نضع تعريفا معاصرا وأصيلا للتشريع الإسلامي كالتالي:

التشريع الإسلامي: هو تشريع مدني إنساني ضمن حدود الله. حيث أنه في بعض الحالات يمكن أن يقف هذا التشريع على الحدود. وفي معظم الحالات ضمن الحدود، لذا فهو تشريع حنيفي "متطور" يتناسب مع رغبات الناس ودرجات تطورهم التاريخي "الاجتماعي والاقتصادي والسياسي" ويقر بأعراف الناس. وإن تجاوز حدود الله لا يجوز أن يخضع للتجربة من قبل الناس ليتأكدوا من صلاحيته، حيث أن نتيجة هذه التجربة ستكون الخيبة والفشل، لأن الله من على الناس وأعطاهم الحدود التي يجب أن يعملوا ضمنها لمصلحتهم الخاصة وذكر أن تجاوز حدود الله فيه ظلم كبير)ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) .(الطلاق 1 .(وفيما يتعلق بالعقوبات فيجب على الإنسان أن يسعى جاهدا أن لا يقف على الحد إلا في الحالات البينة تماما "ادرؤوا الحدود بالشبهات" وفي الحالات البينة تماما "ادرؤوا الحدود بالشبهات" وفي الحالات الاستثنائية.

وقد أدرج الله سبحانه وتعالى القتل والفواحش ضمن الحدود وضمن الوصايا لأن الإنسان يجب أن يمتنع عن القتل وعن الفواحش من وازع أخلاقي ذاتي أولاً، ومن وازع قانويي سلطوي ثانياً.

وعلى هذا المبدأ فلنناقش مبادئ التشريع الإسلامي المدونة وهي الكتاب والسنة والقياس والإجماع. ولنحدد مفهو منا لها:

- 1 الكتاب:

في آيات أم الكتاب توجد الحدود، والعبادات جزء منها وكذلك الوصايا والتعليمات والآيات المرحلية، فعلينا أن نفرق بينها ونفرز آيات الحدود على حدة لأنها أساس التشريع، والعبادات أساس التقوى الفردية، والوصايا أساس الأخلاق "التقوى الاجتماعية"، والتعليمات "يا أيها النبي" والآيات المرحلية لأن هذه الأقسام تعلمنا التشريع. وآيات الحدود هي آيات أساس التشريع وليست عين التشريع، حيث يجب الوقوف عندها لا عليها ويمكن الوقوف عليها في بعض الحالات. لذا فالقول بأن لا مجال للاجتهاد فيما ورد فيه نص بالنسبة للحدود قول لا يصح. وبالنسبة للأشياء التي لم ترد في حدود الله علينا وضع حدود بأنفسنا وهذه الحدود بحد ذا ها متغيرة مثل ضرائب الدخل.

- 2السنة:

لها نوعان: سنة الحدود والوصايا وهي طاعة متصلة. أما الباقي فهو ضمن الطاعة المنفصلة أي طاعة الرسول في حياته. وسنة الني صلى الله عليه وسلم هي منهج في الحركة بين الحدود أو الوقوف عليها أو وضع حدود مرحلية في أمور لم ترد في الكتاب وهو بهذا كان الأسوة السحنة ويجب علينا أن نقلده في الاجتهاد لأنه فتح لنا الباب بنفسه.

- 3القياس:

إن قياس الشاهد على الغائب هو قياس باطل ومجحف. فلا يصح أن نقيس أي مجتمع معاصر على المجتمع الذي عاش فيه النبي صلى الله عليه وسلم وإلا فإننا نقع في الوهم. أما القياس الحقيقي فهو قياس الشاهد على الشاهد ضمن الحدود. أما الشاهد الأول فهو البينات المادية الموضعية، والشاهد الثاني هو الناس الأحياء الذين سيقاس من أجلهم. مثال: منع التدخين، فالشاهد الأول هو المعلومات الطبية والإحصائية حول التدخين والشاهد الثاني هو الناس الذين سيطبق عليهم قانون منع التدخين. وعلينا أن نعلم أن الأحداث الإنسانية ولكنها لا تتطابق أبداً.

- 4 الإجماع:

إن الإجماع في المفهوم المطروح للكتاب والسنة والقياس يعطينا مفهوم الإجماع الحقيقي. وهو إجماع أكثرية الناس على قبول التشريع المقترح بشألهم، وهم سيلتزمون بهذا الإجماع بتطبيق هذا التشريع، لذا فإن المجالس التشريعية المنتخبة والمنابر التشريعية الحرة وحرية التعبير عن الرأي هي جزء لا يتجزأ من النظام السياسي في الإسلام وذلك حتى يتحقق مفهوم الإجماع وهذا هو المفهوم الحقيقي للديموقراطية التشريعية وحرية التعبير عن الرأي ضمن الحدود.

إن المفهوم الموروث بأن الإجماع هو ما أجمع عليه السلف أو جمهور الفقهاء هو مفهوم وهمي. فقد أجمع هؤلاء العلماء على أمور تخص الناس في حياهم وضمن مشاكلهم الخاصة بها وليس لنا علاقة بهم. ونرى أن المذاهب الفقهية الموروثة إذا كان فيها أمور تناسبنا حالياً أخذناها بغض النظر عن مؤلفها، وإذا وجدناها لا تتناسب مع ظروفنا تركناها دون حرج ويمكن الاعتماد على الفقهاء في الأمور المتعلقة في فقه العبادات مع ترك العنت والتزمت.

- 5التعريف بالجريمة حسب الزمان والمكان:

يجب على المشرع الإسلامي تعريف الجرائم التي تتطلب تطبيق حدود الله "الحد الأعلى" ووضع توصيف واضح لها. وهذا التعريف والتوصيف يتغير من مكان لآخر ومن زمان لآخر. ويمكن في بعض الحالات إلغاؤه والاكتفاء لعقوبات الأدبى ويمكن في بعض الحالات الاستثنائية التأكيد عليه وتوسيع مجاله. وبهذا نكون قد

اتبعنا سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الحدود. ويجب أخذ إجماع الأكثرية على هذا التعريف. وفي هذه الحالة يمكن أن تقع ألف حادثة سرقة وتقطع يد واحدة، والبقية يأخذون عقوبات أخف من ذلك قد تصل حتى الإعفاء .وكذلك القتل فيمكن أن تقع مائة حادثة قتل ويعدم شخص واحد والباقي يسجن أو يعاقب بعقوبة أخف من القتل.

- ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في التشريع الإسلامي المعاصر؟
- 1 فهم اللسان العربي على أنه خال من المترادفات، وأن ي نص لغوي من الكتاب أو من خارج الكتاب لا يفهم إلا على نحو يقتضيه العقل.
 - 2استيعاب الأرضية العلمية للعصر الذي يعيش فيه المشرعون.
 - 3استيعاب القوانين الاقتصادية والاجتماعية للعصر الذي يعيش فيه.
 - 4اعتبار علماء الطبيعة بكل فروعها "هندسة-طب-فلك-فيزياء-كيمياء...الخ" هم الساعد الأيمن للمشرع.
 - 5الاعتماد كليا قبل إصدار أي حكم بقياس شاهد على شاهد على توفر البينات المادية. لذا فإن علماء الإحصاء بالذات هم شركاء المشرعين الذين لا غنى للمشرع عنهم.
 - 6إذا تغير أحد الشواهد -وهنا هي الظروف الموضوعية- فيعاد النظر بالأحكام.
 - 7اعتبار أن قاعدة "إن صح الحديث فهو مذهبي" ليست صحيحة دائما لأن صحة الحديث لا تعني أنه مطلق.
 - 8عدم التقيد بأي مذهب فقهي تاريخي مهما كان نوعه.
 - 9اعتبار الأعراف التي هي بنية فوقية لبنية تحتية هي العلاقات الاقتصادية والإنتاجية والبيئة هي موجه التشويع.
 - 10عدم النسيان مطلقا أن أساس التشريع الإسلامي والحياة الإنسانية هو الحرية والإباحة.
- 11 يجب عدم نسيان أن الإسلام دين حنيف، فأي تشريع يعرقل مسيرة التقدم في المجتمع والعدالة النسبية، فعلينا أن نحنف عنه "نميل عنه" دون الخروج عن الحدود.
 - 12 يجب على المشرعين المعاصرين تدقيق مبدأين فقهيين شائعين وهما:
 - أ- باب سد الذرائع:

لقد جرى تحت هذا الباب تحريم كثير من الحلال فنحن إذا أخذنا الإسقاطات السياسية لهذا الباب فينتج عنها إعلان حالة الطوارئ والأحكام العرفية.

فحالة الطوارئ والأحكام العرفية تطبق عندما تخاف الدولة من أمور قد تحدث، لا حدثت فعلا وتحتاط لهذه الأمور سلفا. هذا الباب يعتبر من أهم أبواب الفقه الإسلامي التي يجب تدقيقها وإعادة النظر فيها.

وقد يقول البعض إن هناك طبا وقائيا، أفلا يمكن أن يكون هناك تشريع وقائي؟ الجواب: إن هذا القياس هو قياس خاطئ للأسباب التالية:

أ - لم يظهر الطب الوقائي إلا بعد بحث علمي وتدقيق بأن عدم تعقيم الأدوات الجراحية يسبب تلوث الجرح، وأن لقاح الأطفال ضد الجدري والسعال الديكي والدفتريا هو مانع فعلا لا فرضا. وذلك بعد آلاف التجارب. أي أن الطب الوقائي مبني على بينات مادية موضوعية وصل إليها المشرع عن طريق الدليل العملي لا النظرى.

ب - ومع ذلك فإن المشرع لم يضع ثوابا وعقابا لمن لا يلقح أولاده أي أن الطب الوقائي لم يساهم بحجز الحريات الشخصية إلا من باب معرفي فقط لا من باب أخلاقي ولا من باب جمالي ولا من باب الحلال والحرام.

أما باب سد الذرائع من الناحية الفقهية فلا يمكن أن يستعمل إلا بعد تقديم الدلائل المادية البرهانية. فلا يحق للمشرع أبدا أن يقول "إذا خشي كذا وكذا فعليكم بكذا وكذا" هذا ليس تشريعا. فالمشرع يقول لقد حصل فعلا كذا وكذا ويقدم الإحصائيات والنتائج المادية التي حصلت فعلا، ويقدم الحل التشريعي .

لذا فعلم الإحصاء هو الشريك المباشر للقانون حيث لا يمكن للتشريع بدونه أن يكون فعالا لأن أي فتوى فقهية أو قانونية فيها حجز لحرية الناس. والحرية هي أقدس مقدسات الإنسان، فلا يجوز العبث بها بسهولة وبدون الشعور بالمسؤولية. وعلينا أن نعلم أن التشدد يحسنه كل إنسان: الجاهل والعالم والفقيه وغير الفقيه. وهو لا يحتاج إلى فقه ولا إلى بينات.

فلا يستعمل باب سد الذرائع إلا بعد تقديم البينات المادية المقنعة.

ب- باب درء المفاسد أهم من جلب المنافع:

هذا الباب أيضا من عيوب الفقه الإسلامي يجب تدقيقه لأن هذا الباب إذا طبق وقد طبق فعلا مئات السنين - كان من نتائجه فقدان روح المغامرة عند الإنسان المسلم. وهنا يجب أن نفهم أن المفاسد والمنافع نسبية تماما. فمثلا عندما يذهب الشاب العربي المسلم إلى أوروبا لطلب العلم، فإنه قد يقع في الزين و شرب الخمر. فإذا طبقنا هذا الباب خوفا من لوقوع في الزين أو من شرب كأس خمرة فلا نسافر ولا نتعلم. إن على الفقهاء والقانونيين أن يتخلوا عن هذا الباب كليا ولو مؤقتا، ثم إذا أرادوا استعماله فيجب أن يستعمل أيضا بعد تقديم البينات المادية الإحصائية لحدث ما، ثم الإفتاء.

وهكذا نرى أن الفقهاء والقانونيين هم أكثر الناس احتياجا للمعلومات المختلفة في الطب وبقية العلوم والمعلومات الإحصائية في كل مجالات الحياة أي ألهم سيكونون أكثر الناس استعمالا واستفادة من الحاسوب الإلكترويي مثلاً.

نتائج الفقه الإسلامي في يومنا هذا:

إن المذاهب الفقهية الخمسة الرئيسية "الحنفي، الشافعي، الحنبلي، المالكي، الجعفري" هي من أطر تفاعل الإسلام مع مرحلة تاريخية معينة عاشهاهؤلاء الفقهاء بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد كان عملهم تقويما للسنة النبوية والخلفاء الراشدين حيث بدأ النبي صلى الله عليه وسلم هذا التفاعل، ومن بعده الخلفاء الراشدون.

وجاء الفقهاء وأطروه ونهجوه ووضعوا له أسسا تنسجم مع الشروط الموضوعية التاريخية التي عاشوها هم لا نحن. وقد كان فقههم قويا في حينه وتكم قوته في أنه أجاب على كل المسائل المطروحة عليه في مجتمعهم في سياقه التاريخي، وقد كان تفاعلهم مع مجتمعهم تفاعلا إيجابيا ووطنيا في نفس الوقت، حتى إن الشافعي له مذهبان: القديم والجديد. فعندما سافر إلى مصر واستقر فيها كتب مذهبه الجديد لأنه غير المكان ضمن نفس المرحلة التاريخية. وبعد هذا التفاعل ضعفت الدولة الإسلامية ووهنت ولم يستمر هذا التفاعل الإيجابي والوطني .

فبعد استيلاء العناصر غير العربية والشعوبية على السلطة في بغداد، بدأ هذا الاستيلاء في عصر المعتصم واكتمل في عصر الواثق، ومن جراء هذا الاستيلاء ضعفت السلطة، ومنع الاجتهاد وقمع الفكر، وأصبح الفكر الإسلامي فقه السلطة أيا كانت، ومن عهد الواثق أصبحت من المهمات الأساسية للفقيه قمع الفكر الحر النقدي وترضية عامة الناس بأوضاعهم المتردية وجعلهم يقبلون بالسلطة أيا كانت، حتى إنه جاء في "العقد الفريد" لابن عبد ربه ما يلي "إذا كان الحاكم عادلا فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان ظالما فعليه الوزر وعليك الصبر."

لقد استمر هذا الفقه منذ ذلك الحين مرورا بالمماليك الذين لا يعرفون حتى اللغة العربية والدولة العثمانية حتى يومنا هذا. فما هو دور الفقهاء في هذه الحقبة التاريخية عندما كان يحكما لمسلمين "قطز، وبيبرس، وأقطاي، وقلاوون" وسلاطين بني عثمان؟ لقد كان لهم دور هو ترضية عامة الناس وإبعادهم عن مشاكلهم الحقيقية وحصر الإسلام في نواقض الوضوء ومفسدات الصلاة والطهارة والنجاسة ولباس المرأة والرجل ومناسك الحج، وقد انعكس الوضع السياسي والاقتصادي المشرذم في الأمراء والمماليك المختلفين في تشرذم الفقهاء أنفسهم، فأصبح لكل أمير رعيته وفقهاؤه حتى أصبح في الجامع الأموي أربع محاريب للصلاة من أجل أتباع الفقهاء الأربعة، وأصبح الالتزام الفقهي موازيا للالتزام والولاء السياسي .

فكما أن الأمير كان لا يسامح الناس بالولاء لغيره، أصبح الفقيه أيضا لا يقبل من أتباعه بسماع غيره، حتى أصبحت المقولة "المريد بين شيخين كالمرأة بين رجلين" هي السائدة. وقد استمر هذا الأمر مئات السنين، وما نحن المسلمين في عصرنا الحاضر وما نحمله من فقه نظن أنه فقه إسلامي إلا نتاج لهذه العملية التاريخية الطويلة. وقد أخذ المعتزلة بادئ ذي بدء على عاتقهم مهمة تقديم طرح فلسفي معرفي للكون والحياة والإنسان، وقاموا بدور إيجابي جدا فقد استطاعوا من الناحية الفلسفية المعرفية سحق كل العقائد القديمة للشعوب التي دخلت

الإسلام وكانوا هم درع الإسلام الحصين من الناحية العقائدية، حيث أن الفقهاء بأجمعهم لم يستطيعوا مواجهتهم، حتى جاء أبو الحسن الأشعري وجابه المعتزلة بنفس سلاحهم، لا بسلاح الفقه، ثم أكمل هذه المهمة الفلاسفة المسلمون حتى جاء الغزالي واقم الفلاسفة بالزندقة ومنع الفكر الحر النقدي. فكان الغزالي من أهم أركان تجميد الفكر الإسلامي وتشويه نظرية المعرفة حيث وقع في خرافات وأوهام التصوف. وبعد ضرب المعتزلة الضربة الساحقة كانت الساحة خالية من الناحية الفلسفية المعرفية فجاءت الصوفية لتملأ هذا الفراغ بمادة هيولية غثة حولت الإسلام إلى دين خرافة وتمائم وتعاويذ وأوراد وأذكار فأصبح المسلم بين نارين النار الأولى: تكبيل الفقهاء وتشرذمهم وتحويل الإسلام إلى دين كنسي بحت والنار الثانية: خرافية المعرفة .

فعندما كانت دائما مشاكل الإنسان المسلم عبارة عن مشاكل يومية يعيشها ويلمسها، فعوضا أن تعرفه بأسبابها الحقيقية "منهج البحث العلمي الموضوعي "حولتها إلى قوى غير مرئية فقدمت الصوفية إلى لاسلطة إنسانا مقهورا ذليلا إمعة جاهلا قانعا بكل شيء وهذه الأطروحة مازالت حتى يومنا هذا، حتى أصبح الدعاء المشهور القديم الجديد هو "اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا" هذا الدعاء هو دعاء إنسان مفلس مستسلم قانع بأن أمور قيادته خرجت من بين يديه إلى الأبد .

وهذه الأطروحة شيطانية خادعة، فكلما حلت مصيبة بالمسلمين يقول لنا مشايخنا هذه ذنوبكم لأنكم ابتعدتم عن الله، كما لو كان المسلمو هم المذنبون الوحيدون في الأرض وأصبح الدعاء السائد هو "اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه" هذا الدعاء لإنسان مستسلم غير صحيح، علما بأن الدعاء الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم إن صح هو "لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر" "الجامع الصغير ج2 ص 203."

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى عندما يتحدثون مع المسلمين بأحاديثهم الخرافية، ويسأل سائل ما، عنده بقية من عقل، كيف حصل هذا فيكون الجواب "إن الله على كل شيء قدير" ولقد أعطينا جوابا لهذه المعضلة في فصل جدل الإنسان.

لقد استبدلت الصوفية والفقه المتشرذم المتخلف، بالجامعات ومعاهد البحث العلمي الزوايا والتكايا المليئة بمضيعة الوقت والخزعبلات وحلقات الدرس المقتصرة على قراءة حاشية ابن عابدين والطهارة والنجاسة ومفسدات الوضوء .وعندما خرج العثمانيون من سوريا كان هناك مدرسة واحدة ومئات حقات الذكر والنوبات والزوايا والتكايا. وليتني أرى من يذكر لي عالما واحدا في الرياضيات أو في الفلك أو الفيزياء أو في بقية العلوم ظهر خلال أربعة قرون من حكم الدولة العثمانية .

وبالمقابل كان في كل بلد عشرات المشايخ من فقهاء ومتصوفة دورهم الأساسي تخدير الناس وإبعادهم عن مشاكلهم المباشرة وأعدائهم الحقيقيين. فقد كانوا أعمدة السلطة ودعائمها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية

الفاسدة، سواء عرفوا ذلك أم لم يعرفوا. ومازال ورثة هؤلاء الناس يعيشون بيننا حتى يومنا هذا تحت أسماء شتى يعيشون ويفقهون على المسلمين ما يسمى بالإسلام حسب زعمهم، ولم يعلموا أن وجودهم هو أحد المشاكل التي يعاني منها الإسلام. وأن وجودهم يحجب الفكر النقدي عن الناس.

وما نحن في عصرنا الحاضر إلا أمة مهزومة ورثنا فكرا نظن أنه فكر إسلامي أصيل وما هو إلا تفاعل تاريخي بحت، ونعيش حياة مادية معاصرة ونعرف ماذا يوجد في العالم فأصبحنا نعيش في شخصية مزدوجة مهزوزة نبحث عن ذاتنا في الفكر الفلسفي الموروث وفيما يسمى بالحجاب الشرعي، ونعيش حياتنا في الوقت الحاضر وهذه المشكلة غير قابلة للحل إلا إذا أعدنا النظر في الفكر الفلسفي السلفي الموروث كاملا، وأجرينا تفاعلا جديدا للكتاب والقرآن مع معطياتنا الحالية، وهذه هي السنة في تفاعل الكتاب من جديد وإعادة تأويل القرآن .وعلينا أن نكون على ثقة بأننا قادرون على أن نفقه لأنفسنا.

لذا فإن الطرح الذي ينادي بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على أساس أن الإسلام هو الموروث من كتب الفقه وعلى أساس أن حدود الله هي تشريع عيني هو طرح في فراغ ووهم لا يمكن أن يكتب له النجاح وهو من باب مضيعة الوقت والمال والأنفس. علما بأن الدولة بدأت تنفصل عن الدين بمفهومه الموروث، إن لم تنفصل كليا، حيث أن الحياة ومشاكلها لا ترحم أبدا ولا تساير أحدا .وأعطتنا الحياة المعاصرة انطباعا بأن الإسلام لا يصلح لكل زمان ومكان، وهذا غير صحيح. فالإسلام يصلح لكل زمان ومكان بمفهومه الحقيقي الذي نقدمه.

الفرع الثاني: فلسفة القضاء الإسلامي والعقوبات

أ - القضاء الإسلامي:

بعد أن شرحنا نظرية الحدود والجدل المستمر بين النقيضين الاستقامة والحنفية والذي يتولد منه ملايين الحالات من التشريع، نقول إن فلسفة التشريع الإلسامي تقوم على العلاقة الجدلية بين الثبات والتغير وبالتالي تقوم على نفس علاقة الثبات والتغير في إصدار الحكم من قبل القاضي. وهكذا فإن القضاء الإسلامي يسمح بإصدار حكمين متغايرين لقضيتين متشابهتين. كما أن التشريع يسمح بتنفيذ النسب الإرثية حسب تغير الأحوال وذلك انطلاقا من المبدأ الطبيعي التالي:

لا يمكن لحدثين إنسانيين أن يتطابقا تماما، ولكن يمكن أن يتشابها وهناك حدود للتشابه بينهما، وكذلك في الطبيعة لا يمكن لحدثين أن يتماثلا تماما .فهناك الجدل بين التماثل والاختلاف، هذا الجدل إذا أخذ بعين الاعتبار في حالة إصدار حكم قضائي، فيكون هذا الحكم أقرب إلى العدل، ولكن لا يمكن تحقيق هذا عمليا في القضاء إلا إذا كانت النصوص القانونية تحمل الطابع المستقيم والحنيف معا، أي أن النص القانوني هو نص حدودي يجب

الوقوف عنده لا عليه.

في هذه الحالة لدينا حالتان:

- 1 الحالة الأولى: النص القانوني هو نص عيني، أي لا يحق للقاضي أن يحيد عنه قيد شعرة واحدة والوقوف عليه تماما. في هذه الحالة لا يوجد عند القاضي أي مجال للحركة وأخذ القرار طبقا لكل حالة تخاصمية على حدة وعند ذلك يفقد القضاء هيبته ويصبح القاضي مجرد موظف عادي يمكن لأي إنسان مهما بلغ من قلة الذكاء أ البلاهة أن يصبح قاضيا بمجرد أنه قدم امتحانا وحفظ النصوص عن ظهر قلب، وإذا كانت هذه الحالة عند العرب موجودة الآن فقد ورثناها منا لفقه الخاطئ الذي يقول لا اجتهاد في مورد النص والذي استمر أكثر من ألف عام .وهذه الحالة يرفضها القضاء الإسلامي رفضا باتا.

- 2الحالة الثانية: أن يكون النص القانوني إسلاميا، أي حدوديا بمعنى أن النص القانوني يعطي للقاضي فقط الحدود العليا التي لا يمكن بجاوزها، أو الحدود الدنيا التي لا يمكن الترول عنها أو الحديث الأدبى والأعلى والمسموح له أن يتحرك بينهما. في هذه الحالة يمكن للقاضي أن يصدر مئات الأحكام المتغايرة لقضايا متشابهة. مثال: إذا وضع القانون غرامة القتل الخطأ "الدية" مبلغ مئة ألف ليرة سورية وسجن سنة واحدة. فيجب أن ينص القانون على حدوديته، أي هل هذا حد أعلى أم حد أدن؟ فإذا كان حدا أدبى فيحق للقاضي أن يفرض غرامات ابتداء من مئة ألف ليرة فما فوق، ولكن لا يجوز له أبدا أن يصدر حكما بأقل من ذلك. هذا النوع من القانون يعطى للقاضي حرية الحركة لتحقيق العدالة منسوبة إلى كل قضية على حدة.

ولكن هذا النوع من القانون، وبالتالي القضاء، يتطلب من القاضي أن يكون شخصا مميزا، أي شخصا معروفا بتراهته وميله إلى العدل، وبخبرته الواسعة في الحياة، ومشهود له بالفطنة والذكاء بحيث لا يمكن لأي إنسان حفظ القانون أن يصبح قاضيا، بل يتطلب الأمر أكثر من ذلك بكثير. مثال على ذلك: هيئة محلفين لكل قضية على حدة. وفي هذه الحالة أيضا يظهر الجدل بين المدعي العام والمحامي، فالمدعي العام يبرز أوجه القضية التي تتطلب العقوبة القصوى، والمحامي يبرز أوجه القضية التي تقتضي تتريل العقوبة .

هذا النوع من الجدل بين التشديد والتخفيف يساعد القاضي على الوصول إلى حكم أقرب إلى العدالة "العدالة النسبية" في القضية المعروضة عليه. لذا فإن وجود المدعي العام والمحامي هو من أسس بنية القضاء الإسلامي. إن أساس القانون في الدولة العربية الإسلامية هو أنه قانون حدودي لا عيني وبالتالي فإن القضاء فيها مرن ومميز، إلا في بعض الحالات الاستثنائية التي يمكن أن يكون القانون عينيا كحالة حد الزنا "الفاحشة العلنية"، ولكن في هذه الحالة يجب على القانون شرح ظروف إقامة العقوبة، علما بأن هذه الحالات الشاذة يجب أن تكون مهمة حدا

كحد الزنا والخيانة الزوجية أو حالة الخيانة الوطنية بحيث يجب أن تعرف تعريفا واضحاً.

وعلى القضاء الإسلامي أن يأخذ بعين الاعتبار الحديث النبوي "ادرؤوا الحدود بالشبهات" والحدود في العقوبات تعني العقوبة القصوى. هنا لاحظ قول النبي صلى الله عليه وسلم "ادرؤوا الحدود" ولم يقل "ادرؤوا العقوبات بالشبهات." فإذا كان هنا سارق وثبتت عليه السرقة ولكن هناك شبهة "شك" بأن هذه السرقة قد لا تنطبق عليها عقوبة قطع اليد، في هذه الحالة يمتنع القضاء عن إصدار حكم قطع اليد ويترل إلى الحكم الأدنى من ذلك.

ب - العقوبات:

نوع العقوبات:

لقد وردت عقوبات قطع اليد والإعدام والجلد على أنها عقوبات حدية في الجلد وحدودية في قطع اليد والإعدام، ونلاحظ أنه لم ترد عقوبة السجن في سورة يوسف كعقوبة من الله، ولكن وردت عقوبة السجن في سورة يوسف كعقوبة من الناس "عقوبة عزيز مصر ليوسف."

لم يضع الله سبحانه وتعالى عقوبة السجن في مجال العقوبات لأنه تركها للناس لتحددها. هذا من ناحية، ومن ناحية أنحرى فإن السجن إهانة لكرامة الإنسان حيث أن الحرية هي أقدس ما يملكه. أما قطع اليد والإعدام فهما الحد الأعلى للعقوبات على السرقة والقتل لذا فهي استثنائية أي خاصة جداً.

والآن إذا أجرينا مقارنة بين عقوبة الجلد وعقوبة السجن، فنعتقد أن الجلد أرحم بكثير من السجن للأسباب التالية على أساس أن الجلد هو عقوبة نتيجة حكم وليس وسيلة للتحقيق والاستنطاق:

- 1 لا يعطل الإنسان عن عمله.
- 2لا يؤثر على أهل المعاقب إذا كان عنده مسؤولية إعالة زوجة وأطفال.
- 3لا يتطلب أية نفقة من الدولة مثل بناء السجون ووضع الحراسة...الخ.
 - 4لا يفسد الإنسان من الناحية الأخلاقية كما يفسده السجن.
- 5إن طبيعة الإنسان تفضل الجلد على السجن، فإذا أجرينا استفتاء بين كل المساحين في العالم بأن كل مائة جلدة تعادل سجن سنة فإن أعتقد أن أكثرية المسجونين تفضل الجلد على السجن.

لقد أصر الإسلام على علنية العقوبة، وقد يظن البعض أن هذا الإصرار هدفه تربوي بحت وذلك لكي يردع بقية الناس عن ارتكاب الجريمة. هذا صحيح ولكنه يأتي في المرتبة الثانية في أ÷مية العلنية في العقوبة. أما المرتبة الأولى لعلنية العقوبة فهي ما يلي:

إن علنية العقوبة في الإسلام هي أكبر وأهم ضمان للناس ضد تعسف الحاكم والأحكام.

فإذا كانت السلطة التنفيذية والسلطة القضائية في أي بلد تعلم أن أية عقوبة يجب أن يصدر بها حكم ويجب أن تنفذ علنا. فهذا يعني أنا لناس ستسأل عن البينات التي قامت على المعاقب حتى نفذ فيه الحكم وعلى السلطة أن تقدم هذه البينات. ولا تتجرأ أية سلطة مهما كانت ظالمة أن تنفذ العقوبات بشكل علني إلا إذا كانت البينات متوفرة.

وهذا ما نطلق عليه ديموقراطية العقوبات في الإسلام حيث يكمن فيها أكبر صمام أمان ضد التعسف في الأحكام وفي العقوبات.

الفرع الثالث: نموذج للفقه الجديد في دراسة موضوع المرأة في الإسلام

يعتبر بحث المرأة في الإسلام من أهم المواضيع حساسية، وهو من المواضيع التي بحثها عديد من مؤيدي الإسلام، ومن أعدائه ابتداء من عصر النهضة وحتى يومنا هذا. ولا أعتقد أنه تم إلى اليوم تقديم بحث أصيل حول المرأة في الإسلام انطلاقا من الجدل بين الاستقامة والحنيفية والفطرة الإنسانية التي تعتبر حدود الله هيا لعمود الفقري لهذا المنطلق.

لقد انطلق مؤديو الإسلام في بحثهم موضوع المرأة من منطلق فقهي بحت وهو أن أحكام المذاهب الفقهية الخمسة هي أحكام صحيحة ومنصفة للمرأة. بينما انطلق أعداء الإسلام من حلول لمشكلة المرأة من خارج الإسلام ويمكن أن تكون هذه الحلول إسلامية دون أن يعلموا ذلك، فوقعوا في الاغتراب حيث لا يمكن حل مشاكل المرأة العربية المعاصرة إلا من خلال فهم إسلامي أصيل للمرأة والذي ورد في الكتاب في الحدود وضمن مفهوم السنة المعاصر الذي تم شرحه في فصل سابق.

إن الأخطاء الأساسية التي ارتكبت في الحقبة التاريخية السابقة عند تقييم وضع المرأة، والتي تعتبر أخطاء فيصلب المنهج، هي التالية:

- 1عدم التفريق بين الآيات التي وردت بحق المرأة في أم الكتاب والت يعتبر جزء منها حدودا والجزء الآخر تعليمات مثل آية تعدد الزوجات، فهي من الحدود، وآية لباس المرأة أيضا في الآية 31 من سورة النور هي من الحدود أيضا. أما الآية رقم 59 من سورة الأحزاب فهي م التعليمات. وكذلك لم يتم التفريق في الأحاديث النبوية بين أحاديث الحدود وأحاديث التعليمات. إننا لا نستطيع أن نلوم السلف على عدم فهمهم للحدود هذا الفهم المعاصر إذ أن المفهوم الرياضي للحدود ظهر منذ إسحاق نيوتن وبعد ذلك قفزت كل العلوم هذه القفزات الهائلة إذ أعطاها التحليل الرياضي والحدود "النهايات" الليلة التي تم بموجبها تحليل ظواهر الطبيعة حيث أنه تبين أن ظواهر الطبيعة تخضع لحدود "هايات."

وقد أكد الكتاب ذلك بأن فهم الحدود يحتاج إلى إنسان متحضر بعيد عن البداوة بقوله) :الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم) (التوبة 97 .(لذا بعد فهم نظرية الحدود ومطابقتها على ألها في المستقيم والحنيف معا ومطابقة لظواهر الطبيعة ولفطرة الإنسان فإننا نستطيع أن نقيم وضع المرأة تقييما معاصرا متحضرا انطلاقا من الكتاب والسنة.

- 2الظن بأن ما حصل أثناء حياة النبي في حق المرأة هو كامل تحريرها أي أن تحرير المرأة بدأ منذ بعثة محمد

صلى الله عليه وسلم وانتهى بوفاته، فإذا لم تعمل المرأة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قاضية أو لم تستلم منصبا سياسيا فهذا يعني أنه ممنوع عليها ذلك، علما بأن وضع تحرير المرأة في الإسلام كوضع الرق تماما فالإسلام في أمور كهذه لا يسمح بقفزات فجائية "احرق مراحل" لألها تؤدي إلى تدمير المجتمع، ولكنه وضع لها أسسا في الكتاب لكي تحل هذه الأمور مع سياق الزم التاريخي. وقد كان الرق أوضح مثال على ذلك. فالعلاقات الإنتاجية كانت تقوم على الرق حيث كانت اليد المنتجة هي الرقيق وهي وسيلة الإنتاج. وقد وضع الإسلام أسس التحرير وبدأ بداية موضوعية حسب ما تسمح به الظروف دون أن يدمر العلاقات الإنتاجية، وقد برهن القرن التاسع عشر على صدق هذه الأطروحة. فقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم عام 1228م، وأصدر الرئيس الأمريكي لنكولن قرارا بإلغاء الرق في أمريكا عام 1860 أي بعد 1228 سنة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك فقد أدى هذا القرار إلى حرب أهلية دمرت أمريكا وكادت أن تقسمها إلى عدة دول. وقد أظهر القرن العشوين بينات أقوى من ذلك وهي أنه إذا أرادت سوريا الآن أن تحول جذريا وفورا قوى الإنتاج إلى الإنسان الآلي "الروبوت" وإلى الحاسوب الإلكتروي "كمبيوتر" وأني الخاسوب الإلكتروي "كمبيوتر" وأنان

من هذا المنطلق يجب أن ننظر إلى وضع المرأة في الإسلام، فقد أخذت المرأة كل الحقوق التي يمكن أن تأخذها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مثل الإرث على أساس نصف الرجل لأنها غير منتجة، ولكن أعطاها الإسلام الحق السياسي من أول يوم للدعوة، فأول إنسان قتل في سبيل الإسلام هو امرأة) سمية (وقد حضرت النساء بيعتي العقبة الأولى والثانية حيث أن هاتين البيعتين تعتبران بمثابة المؤتمر التأسيسي لقيام الدولة الإسلامية في يشرب .

نتيجة هذا القرار هو التدمير الكامل للإنتاج والاقتصاد السوري وبالتالي تدمير المجتمع.

فكيف يمكن أن نقول إن الإسلام سمح للمرأة بأن تناضل وتقتل وتهاجر ولم يقل لها التزمي بيتك فوظيفتك هي إنجاب وتربية الأولاد والعناية بالبيت -وبنفس الوقت في الأمور الأقل صعوبة عند قيام الدولة والمناصب المسؤولة ومجالس التشريع تذكر واجباتها أما ومربية أطفال -قد يقول قائل: إن هذا لم يحصل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. الجواب: إن المجتمع الذي أقامه النبي صلى الله عليه وسلم هو المجتمع الأول للإسلام)الثمرة الأولى (وليس الوحيد وليس الأخير حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم تصرف ضمن حدود الله ووضع تعاريفا في بعض الأمور التي جاءت فيها حدود من الله ووضع تعريفا في أمور خرى تتناسب مع مجتمعه

الذي عاش فيه وتصرف من خلاله، لأن ظروف التطور التاريخي لعرب آنذاك لم تكن تسمح أصلا بقيام مجالس تشريعية ولا تسمح بأن تتقلد المرأة منصب إمام أو قائد .

وفي الأمور التي تجرأت فيها المرأة وخاضت معارك بنفسها كحالة خولة بنت الأزور وعائشة أم المؤمنين، لم يمنعها الإسلام ولم يلمها أحد على ذلك.

في هذه الحالة يجب علينا أن نصحح الخطأ المنهجي ونقول إنه بدأ تحرير المرأة في الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لم ينته وهو كالرق تماما، ويخضع تحريرها للتطور التاريخي للإنسانية كلا وللعرب كجزء. وبما أن الله سبحانه وتعالى وضع في أم الكتاب آيات حدودية للمرأة فقد وجب أن تغطي هذه الآيات كل مراحل التطور التاريخي حيث أنها آيات ثابتة "حدود "وتسمح بالحنيفية ضمن الحدود.

- 3 الخطأ المنهجي في فهم بعض الآيات التي وردت فيها لفظة النساء وهي الآية رقم 14 من سورة آل عمران)زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب .(والآية رقم 223 من سورة البقرة)نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين .(في هاتين اليتين وردت لفظة النساء، فإذا كانت النساء هنا هي جمع امرأة وقعنا في طريق مسدود لا مخرج منه وهو في آية آل عمران ورد اسم إشارة بقوله)ذلك متاع الحياة الدنيا) (آل عمران 14 .(ففي هذه الآية أصبحت المرأة متاعا "ما ينتفع به من الأشياء" وقد عوملت فعلا هكذا على مدى قرون على ففي هذه الآية أصبحت المرأة متاعا "ما ينتفع به من الأشياء" وقد عوملت فعلا هكذا على مدى قرون على والتي جاء فيها)ويسئلونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.(

هذا الفهم الخاطئ للآيتين أدى لاعتبار المرأة شيئا من الأشياء ومع شديد الأسف فإن الفقه الإسلامي الموروث يعتبرها كذلك وينسب ذلك إلى الله ورسوله. ولكن يمكن أن نبرر لهم ذلك بعدم فهمهم لنظرية الحدود أولا، ولأنه في سياق التطور التاريخي كان الرجل هو المسيطر في المجتمع، فتم تفصيل الإسلام متناسبا مع الرجال عاما .

فالمرأة فتنة الرجل وعليها أن تتحجب، ولم يقولوا إن الرجل فتنة المرأة فعليه أن يتحجب، علما بأن الكتاب لم يورد أبدا أن المرأة فتنة الرجل، ولكن وردت علاقة متكافئة بين الرجل والمرأة بتعبير راق جدا وهو)هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) (البقرة 187 (وأكثر من ذلك بما أن الرجل بحاجة إلى المرأة في الحياة الدنيا من أجل الحدمة البيتية والجماع فعليها طاعته تماما واعتمدوا على الحديث "لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" "كشف الخفاء ج2 ص (228 ولكن في الحياة الآخرة يوجد في الجنة "حور عين" للجماع والرجل ليس بحاجة لأن يخدمه أحد في الجنة)قطوفها دانية) (الحاقة 23 (ففي هذه الحالة الرجل ليس

بحاجة إلى المرأة فأرسلها إلى النار معتمدا على الحديث "أريت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع وأريت أكثر أهلها من النساء" "البخاري ج2 ص 93) هذان الحديثان ينقضان كل ما أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب شكلا ومضمونا .

وقد شوحت في مفهوم الأزواج في الجنة مفهوم الحور العين. وقد قلنا إن آيات الجنة والنار هي من الآيات المتشابحات.

ثم هناك حديث منسوب بهتانا للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله "يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب ويقي ذلك مؤخرة الرجل" "مسلم ج1 ص365" هذا الحديث يناقض أيضا كل ما أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم من الله حيث فيه إهانة المرأة وتخريجها من المجتمع الإنساني الذي كرمه الله وجعله خليفة له في الأرض. نبدأ بحثنا في الإسلام والمرأة بالتعريف. فما هو تعريف المرأة؟ لقد عرف الله المرأة والرجل أيضا ضمن مستويين مختلفين: المستوى الأول بشري فيزيولوجي، والمستوى الثاني إنساني عاقل واع.

-المستوى الأول: قال) : وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) (النجم 45 (وقال) ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) (الذاريات 49 . (في هذا المستوى دمج الرجل ولامرأة مع كل المخلوقات العاقلة وغير العاقلة والأشياء أيضا. فالأنثى من البشر، والبهائم لها تركيب فيزيولوجي خاص بها قابلة للقاح والإخصاب والحمل والولادة والإرضاع وتربية النسل، ففي هذا لا تتميز الأنثى عند الناس عن أي أنثى عند البهائم. والذكر هو زوج الأنثى، الطرف المقابل، يكون معها علاقة تقابلية متكيفة وهو قابل لأن يلقح، ففي هذه الحالة لا يوجد أي تمييز للذكر عن أي ذكر عند البهائم.

-المستوى الثاني: وهو المستوى الإنساني العاقل الواعي المتميز عن بقية المخلوقات بنفخة الروح، وفي هذا قال تعالى)يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ()الحجرات 13 (وقوله تعالى): ولقد كرمنا بني آدم) (الإسراء 70.(

فالله سبحانه وتعالى عندما يخاطب الناس أي يخاطب العاقل وكل خطابات القرآن تبدأ بقوله) إيا أيها الناس (أي الرجال والنساء معا. فالله سبحانه وتعالى كرم الناس جميعا وسواهم بالإنسانية ولم يفضل أحدا على الآخر إلا بالعمل الصالح، وكرامة أية أنثى من الناس لا تقل عن كرامة أي ذكر. ورغبة المرأة بأمر من الأمور ورأيها لا يقل عن رأي أي رجل عندما تتيح الظروف لها ذلك. والأطروحة التي تقول عن النساء "ناقصات عقل وناقصات دين" يجب إعادة النظر فيها.

لنبدأ الآني بآيات الحدود التي جاءت في أم الكتاب ولها علاقة بالمرأة:

- 1 تعدد الزوجات:

إن تعدد الزوجات تعتبر من أهم المشاكل التي تواجه المرأة العربية الإسلامية بشكل خاص وتواجه الإسلام أمام العالم بشكل عام. فإذا فهمنا أن آية تعدد الزوجات الواردة في أم الكتاب هي من آيات الحدود فينقلب

فهمنا للآية تماما وتصبح الآية شاملة للنواحي التاريخية "التطور التاريخي السابق والمعاصر" وشاملة لأنبل النواحي الإنسانية.

وردت آية الحدود في تعدد الزوجات كالتالى:

) -وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) (النساء3.(

لنشرح أولا الأصلين)قسط وعدل . (فالأصل "قسط" في اللسان العربي أصل صحيح يدل عل معنيين متضادين تماما والبناء واحد. ففي المعنى الأول هو العدل مع المساعدة كقوله تعالى) :إن الله يحب المقسطين () المائدة 42، الحجرات9، الممتحنة 8 . (

والمعنى الثاني الظلم والجور كقوله تعالى) :وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) (الجن 14 .(وكذلك الأصل "عدل" له معنيان متضادان الأول استواء والآخر اعوجاج، ويقال للشيء يساوي الشيء هو عدله "ابن فارس" وهناك فرق بين القسط والعدل، فالقسط يكون من طرف واحد، والعدل بين طرفين، لذا نقول معادلة، أي أن المعادلة هي مساواة بين طرفين مختلفين كقولنا) : m = 3.

لقد جاءت هذا الآية معطوفة على التي قبلها في قوله)وإن (والتي قبلها وردت بحق اليتامى في قوله تعالى:)وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الحبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا () النساء 2 .(وقد عرفنا اليتيم في مبحث الوصايا بأنه فاقد الأب فقط وقاصر أيضا أي دون سن الرشد، فهذا يعني أن أمه على قيد الحياة وليست طاعنة في السن، فجاءت آية تعدد الزوجات وهي آية حدودية لتغطي الحد الأعلى والحد الأدنى في الكم، والحدين الأعلى والأدنى في الكيف.

أ - حدود الكم: بما أن هذه الآية تتكلم عن النكاح في قوله)فانكحوا (وبدأ بالمثنى من النساء من حيث الكم، وبما أن الرجل لا يمكن أن ينكح نفسه أو ينكح نصف امرأة، فالحد الأدبى هنا هو الواحدة، والحد الأعلى هو الأربعة، والخطوة هي مثنى، ثلاث، رباع، حيث في عدد النساء أوا لرجال لا يمكن أن يكون هناك عدد كسري أي أن حدود اله في تعدد الزوجات هي الواحدة حدا أدبى والأربعة حدا أعلى، وهنا عطف مثنى وثلاث ورباع ليبين أن الحالة عدد صحيح كأن نقول: جاء الناس مثنى وثلاث ورباع فهذا لا يعني ألهم جاؤوا تسعة تسعة .

فإذا تم منع تعدد الزوجات فنكون قد وقفنا على حدود الله "الحد الأدنى" في الكم دون أن نتعداها. فمن ناحية المبدأ لا يوجد أية حرمة في ذلك. وإذا سمحنا بالتعددية حتى الأربع فنكون قد تحركنا ضمن حدود الله من حيث الكم، ووقفنا في بعض الحالات على الحد الأعلى وهذا ما حصل فعلا خلال أربعة عشر قرنا مضت وهو إطلاق الكم من الواحدة إلى الأربعة دون النظر إلى الكيف إطلاقا، لذا فقد فسروا قوله) : فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة (هنا فهموا قوله) تعدلوا (بين الزوجات لذا فقد رجحوا بأن أساس العدد في الزواج هو

الواحدة وقالوا إن تعدد الزوجات هو ظروف اضطرارية.

ب - حدود الكيف: نقصد بالكيف هنا هو: هل الزوجة بكر أم ثيب؟ وإذا كانت ثيبا فما وضعها أأرملة أم مطلقة؟ إذا أخذنا الكم فقط دون النظر إلى الكيف فلا يمكن إطلاقا ربط جواب الشرط)فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع. الآية (بالشرط وهو)وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى . (فإذا أردنا أن نربط جواب الشرط بالشرط فيظهر لنا الكيف التالي:

بما أنه لم يذكر الأولى من ناحية الكيف فهذا يعني أنه أطلق الكيف في الزوجة الأولى حيث يمكن أن تكون بكرا أو أرملة أو مطلقة، ولكي نربط جواب الشرط)فانكحوا ما طاب لكم من النساء(، بالشرط وهو الإقساط إلى اليتامى فينتج لدينا بالضرورة أنه يتكلم عن أمهات اليتامى "الأرامل"، هنا نرى أنه أطلق الكم حتى الأربعة وقيد الكيف بأن تكون الزوجة الثانية حتى الرابعة منا لأرامل ذوات الأيتام وأن يتزوجهن الرجل ويأخذهن كزوجات مع أولادهن.

في هذه الحالة ضم أولاد الأرامل في اإعالة والتربية إلى أولاد الزوج، وفي هذه الحالة ينطبق على الزوج قوله تعالى) :وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادعفوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسبيا) (النساء 6.(

فإذا أخذ الرجل ثلاث أرامل زوجات وضم أولادهن إلى أولاده فهذا يعني أنه أصبح كثير العيال وأصبح عليه عبء مالي كبير جدا، في هذه الحالة نفهم قوله) :فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة (أي تعدلوا بين الأولاد "أولاده وأولاد زوجاته، أما فعل "قسط" فقد جاء لليتامى وأولاد زوجاته، أما فعل "قسط" فقد جاء لليتامى فقط أي طرف واحد لأنه بدأ الآية) :وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى (فإذا خاف ألا يعدل بين الأولاد فواحدة، وبما أن الكلام عن التعددية فالخطاب للمتزوج لذا بدأ بالمثنى، فالواحدة هنا تعني الثانية وليست الأولى، أي إذا كان الرجل قادرا على التعددية من الناحية المالية فقد شجعه الله سبحانه وتعالى أن يتزوج على الأقل أرملة واحدة زوجة ثانية ويأخذها مع أولادها وقد أكد على هذا المعنى في نهاية الآية بقوله)ذلك أدني ألا تعولوا .(و"تعولوا" جاءت من الأصل "عول" ومعناها كثرة العيال والجور، فعندما يصبح الرجل كثير العيال وتكبر عليه المسؤوليات المالية والتربوية فيمكن أن يقع في عجز وبالتالي يقع في الجور.

وهكذا نفهم الحديث النبوي إن صح "أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة" وأشار إلى أصبعيه. فهذا الحديث يمكن أن يكون تعليقا على هذه الآية وتجيعا للرجال بالزواج من أرامل وكفالة أولادهن.

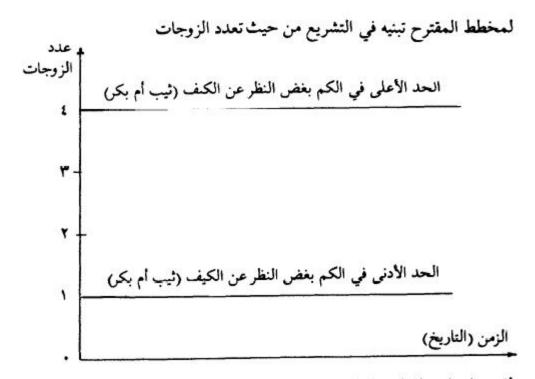
هنا نرى الناحية الإنسانية في تعدد الزوجات وأن الله سبحانه وتعالى أجاز تعدد الزوجات ضمن آية حدودية حيث يتبين لنا حرص الله سبحانه وتعالى على الأرامل والأيتام. "انظر الشكل رقم 1." وبما أن هذه الآية حدودية فيمكن للمشرع أن يبنى عدة احتمالات في التشريع حول التعددية وبما تمليه

الظروف الموضوعية. ففي حالة الحروب مثلاً ونقص عدد الرجال يمكن للمشرع أن يجيز الزوجة الثانية وما فوق بأن تكون أرملة دون أولاد ويأخذها دون أولادها فهذا خروج عن حدود الله ويجب أن لا يسمح التشريع الإسلامي بذلك أبداً.

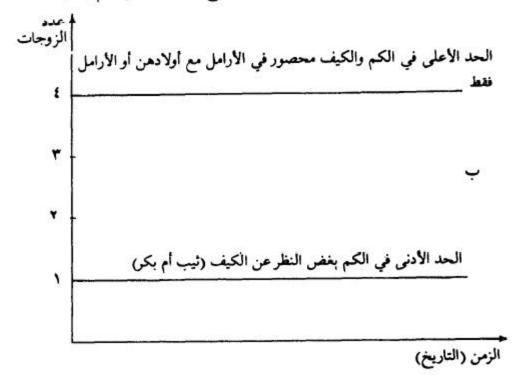
وقد أعطى الله سبحانه وتعالى تسهيلات بالنسبة للراغبين بالزواج من أرامل مع أولادهن وذلك بأن أعفاهم من الصداق في قوله) :ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في التاب في يامى النساء اللاتي لا تؤتوهن ما كتب لهن ورغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما) (النساء 127 .(هنا نلاحظ كيف أعفى الرجل من صداق الأرامل بشرط رعاية أولادهن الأيتام .

وفي حالة الزواج من أرملة لم يطلب الله سبحانه وتعالى العدالة بين النساء حيث أن الزواج هو في الأصل من أجل الأيتام لذا قال) :ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما) (النساء 129) (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما) (النساء 130.

فالمطلوب هنا أن لا يترك الرجل إحدى زوجاته كزوجة أمام الناس فقط لذا قال)فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة (بل يجب أن يمارس الحياة الزوجية معها. وفي حال طلبت إحدى الزوجات الطلاق فيحق لها ذلك تماما دون غمط حقوقها لذا قال) :وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته.(



لقد سار على هذا المخطط الفقه الإسلامي منذ عهد النبي حتى الآن حيث ان الظروف التاريخية كانت تسمح بذلك أما الآن فالظروف تسمح بغير ذلك وهو الكم والكيف معاً.



هنا لابد أن ننبه إلى زيجات النبي صلى الله عليه وسلم حيث تذكر هذه الحالة من بعض المغرضين ضد الإسلام وهذا التنبيه هو التالي:

لقد كانت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم هي الحد الفاصل بين الأولين "الإنسان الحديث" والآخرين

"الإنسان الحديث والمعاصر" حيث كان محمد صلى الله عليه وسلم النبي والرسول الخاتم، فالأولون قبله والآخرون مع بعده إلى أن تقوم الساعة والآخرون هم المجتمعات العصرية المتحضرة وقد كانت بعثته هي المرحلة الانتقالية بين الأولين والآخرين، ولقد كانت زيجاته من سنن الأولين وليس من سنننا نحن وقد أكد هذا في قوله تعالى)ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا) (الأحزاب 38.(

هنا نلاحظ قوله)سنة الله في الذين خلوا من قبل (ونلاحظ أيضا كيف ذكره في مقام النبوة في قوله)ما كان على النبي (وليس "ما كان على الرسول."

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن هذا يسبب حرجا على النبي وعلينا لذا فقد نبهنا بأن هذا ليس من منهجنا نحن لذا فإننا نستنتج ما يلى:

أ - إن البحث في زيجات النبي صلى الله عليه وسلم هو ضرب من ضروب العبث لأننا نناقش هذه الزيجات
 بمقاييسنا المعاصرة، لا بالمقاييس القديمة وهنا يكمن سوء الفهم والالتباس.

ب - إن النبي صلى الله عليه وسلم في زيجاته لا يعتبر أسوة لنا أبدا وكذلك زوجاته لا يعتبرن أسوة لنساء المسلمين)يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) (الأحزاب 32 (قال "نساء النبي" ليبين لنا أن هذا تعليم وليس تشريعا.

ملاحظة هامة جدا:

نود الإشارة إلى مسألة هامة جدا قبل التطرق إلى موضوع الإرث كما هو مشروح هنا في كتاب (الكتاب و القرآن), و هو أن الدكتور محمد شحرور قد أعاد النظر بقراءته الأولى لهذا الموضوع (المعروض أدناه) و التي تتعلق بآيات الميراث و الوصية على نحو يختلف عما هو مشروح هنا و قد قام في كتابه الأخير (نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي - فقه المرأة) بتخصيص فصل كامل لهذا الموضوع، نوصي بمراجعته للمهتمين.

- 2الإرث:

لقد بحثنا في فصل الحدود موضوع الإرث وبينا أن آيات الإرث عبارة عن آيات حدودية لا حدية ولعدم الالتباس قال الله بعدها (تلك حدود الله) حيث أعطى الله للأنثى نصف حصة الذكر حدا أدنى، وهذا الحد الأدنى في حالة عدم مشاركة المرأة المسؤولية المالية للأسرة، أما في حالة المشاركة فتنخفض الهوة بين الذكر والأنثى حسب نسبة المشاركة وما تفرضه الظروف التاريخية .

علما بأن هذا البحث يحتاج إلى دراسة رياضية خاصة يمكن أن تصدر بشكل مقال منفصل عن هذا الكتاب.

- 3الصداق "المهر:"

لقد ورد الصداق "المهر" للمرأة في قوله تعالى) :وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) (النساء 4.(

لقد فرض الله تعالى صداق المرأة وهوا لمهر ولكن أعطاه صفة أساسية وهي إتيان الصداق نحلة، ونحلة تعني في اللسان العربي الهدية دون مقابل ودون أي التزام من المرأة تجاه الرجل وهذا ما يسمى بالهدية الرمزية قلت أو كثرت .وما تقسيم مهر المرأة إلى متقدم ومتأخر إلا إجراء فقهي بحت. وإذا كان يفهم من مهر المرأة أنه عملية بيع وشراء فهذا ليس من الإسلام في شيء وإنما هو من الأعراف المتخلفة في المجتمع.

وهكذا نرى أن حدود الله في الزواج متوفرة عند معظم سكان أهل الأرض وهذه الحدود الدنيا هي:

- 1 الإيجاب والقبول.
- 2الإشهار)شاهدين.(
- 3الصداق "الهدية بدون مقابل."

لذا عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل "التمس ولو خاتما من حديد ''يعني أن الصداق هو من حدود الله في الزواج وقيمته حسب أعراف الناس وإمكانياهم في عصر من العصور. فالذي يستطيع أن يقدم خاتما من الماس والذهب فعليه أن يفعل ذلك ولا مانع أبدا، ولكن يجب أن يقدم شيئا ولو كان خاتما من حديد إذا كانت الإمكانيات غير متوفرة.

أما الإشهار فحدوده الدنيا شاهدان فقط، أما ما زاد عن ذلك فيدخل ضمن الأعراف الخاصة لكل مجتمع ولا يوجد أي تجاوز لحدود الله في ذلك.

- 4لباس المرأة والرجل وسلوكهما الاجتماعي:

جاء لباس المرأة والرجل في آيتين حدوديتين في سورة النور والتي تبدأ بقوله تعالى) :سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون) (النور 1.(

-بالنسبة للرجل:

-قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون) .(النور 30.() -وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناء بعولتهن أو إخوالهن أو بني إخوالهن أو بني أخوالهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمالهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) (النور 31.()

لنشرح هذه الآيات فقرة فقرة:

لقد جاء أمر مشترك للمؤمن والامؤمنة على حد سواء بشيئين أولهما الغض من البصر . هنا نلاحظ قوله تعالى:

) يغضوا من أبصارهم (فجاء هنا حرف الحر "من" للتبعيض أي جزء من كل، فأمرنا الله الغض من البصر لا غض البصر، ثم إنه لم يضع المفعول به بالنسبة للرجل والمرأة على حد سواء، أي لم يقل لنا أن نغض من أبصارنا عن ماذا؟ فتركت مفتوحة حسب الأعراف "حسب الزمان والمكان" ومفتوحة للمؤمن والمؤمنة على حد سواء. ثم إنه استعمل فعل "غض" في اللسان العربي للدلالة على لطف الفعل، لا على فظاظة الفعل . فالغضاضة فيها لطف وطراوة فنقول: غصن غض أي لين غير يابس، وهنا نضرب المثال التالي:

إذا كان رجل يغير ملابسه وهو في وضع لا يحب أن يراه فيه أحد حتى ولو كان رجلا، ووقف حوله مجموعة من الرجال تنظر إليه فإلها ستسبب له الحرج، وكذلك المرأة إذا كانت في وضع لا تحب أن يراها فيه أحد حتى من النسوة فإلها ستشعر بالحرج إذا نظر إليها أحد، وهذا هو ما أراده الله منا رجالا ونساء، أن لا ينظر بعضنا إلى بعض في مواقف لا نحب أن ينظر إلينا فيها، وهذا ما نسميه اليوم بالسلوك الاجتماعي المهذب، أي أننا يجب أن نأخذ موقف التجاهل في مثل هذه المواضع وهذا هو فعل "غض."

ولكن إذا كان الرجل يتكلم إلى المرأة أو العكس وهم في موقف غير محرج فعليه أن ينظر إليها وتنظر إليه ولا يوجد حرج ومنع في ذلك.

وثاني هذين الأمرين هو حفظ الفرج منا لزنى، والحد الأدبى من اللباس للرجل هو تغطية الفرج فقط "حدود الله" وجاءت في قوله تعالى) :ويحفظوا فروجهم) (ويحفظن فروجهن (هنا نلاحظ كيف يكون السلوك المهذب بحيث لا يحرج الناس بعضهم بعضا، وغض البصر عن الأمور التي يعتبرها الناس من خصائصهم الشخصية، والامتناع عن الفواحش جاء على حد سواء للرجل والمرأة وهما من الفرائض على المؤمنة والمؤمن. هنا في نهاية الآية 05 قال تعالى)إن الله خبير بما يصنعون) (النور 30 .(

وكما جاء في مبحث الفعل والعمل والصنع أن الصنع هو نتاج العمل)ويصنع الفلك) (هود 38. (أو نتاج تربية)ولتصنع على عيني) (طه 39 (فهنا وضع الأسلوب التربوي الذي هو الأسلوب الأساسي في صناعة المؤمن والمؤمنة القائم على السلوك المهذب وحفظ الفرج، وليس الأسلوب القمعي أي أن المؤمن والمؤمنة المهذبين واللذين يغضان من أبصارهم ويحفظان فروجهم هما نتاج تربية وليسا نتاج خوف وقمع.

الآن: ما هي الإضافات التي أضافها الكتاب بالنسبة للمرأة؟ هذه الإضافات تتعلق بالزينة والعورة حيث أن الآية رقم (31)من سورة النور هي آية الحد الأدبي للباس المرأة وهي من الفرائض.

لنضع الآن تعريفا للزينة: فزينة المرأة في الآية رقم 31 تقسم إلى قسمين :القسم الأول: الزينة الظاهرة، والقسم الثاني: الزينة المخفية. ولكن ما هي زينة المرأة المقصودة هنا بحيث تنسجم مع الآية نفسها وتنسجم مع بقية الآيات الواردة في الكتاب وخاصة آيات المحارم الواردة في سورة النساء رقم 22ورقم 23؟ فالزينة لها ثلاثة أنواع:

أ - زينة الأشياء: إن زينة الأشياء هي إضافة أشياء لشيء أو لمكان ما لتزيينه، مثال على ذلك الديكورات في

الغرف والنجف والدهان والملابس وتسريحة الشعر للرجل والمرأة والحلي والمكياج للنساء. كل هذه الأشياء تضاف للتزيين، وقد جاءت الزينة الشيئية في قوله تعالى) :والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) (النحل 8 (وقوله تعالى) :يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) (الأعراف 31.

ب - زينة المواقع أو الزينة المكانية: وهذا واضح في المدن، فالبلديات في المدن تبقي على ساحات خضراء تسمى حدائق. هذه الأماكن للزينة يقصدها الناس وهي تنتسب إلى الزينة المكانية، أي أن تبقى أماكن على طبيعتها أو نضيف عليها أشياء طبيعية كالشجر والورد وهذا ما جاء في الآية رقم 31 في سورة النور أي حتى تنسجم هذه الآية مع آيات المحارم في سورة النساء يجب أن تكون الزينة مكانية لا شيئية.

ت - الزينة المكانية والشيئية معا جاءت في قوله تعالى) :قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) (الأعراف 32 (وقوله) :حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها ألهم قادرون عليها () يونس 24 (أي أن التطور والتقدم العلمي سيملآن الأرض بالزينة المكانية والشيئية فإذا كانت الزينة مكانية فجسد المرأة كله زينة والزينة هنا حتما ليست المكياج والحلي وما شابه ذلك، وإنما هي جسد المرأة كله، هذا الجسد يقسم إلى قسمين:

-قسم ظاهر بالخلق: لذا قال) :ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها (فهذا يعني أن هناك بالضرورة زينة مخفية في جسد المرأة. فالزينة الظاهرة هي ما ظهر من جسد المرأة بالخلق أي ما أظهره الله سبحانه وتعالى في خلقها كالرأس والبطن والظهر والرجلين واليدين، ونحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الرجل والمرأة عراة دون ملابس.

-قسم غير ظاهر بالخلق: أي أخفاه الله في بنية المرأة وتصميمها. هذا القسم المخفي هو الجيوب، والجيب جاء من "جيب" كقولنا جبت القميص أي قورت جيبه وجيبته أي جعلت له جيبا، والجيب كما نعلم هو فتحة لها طبقتان لا طبقة واحدة، لأن الأسسا في "جيب" هو فعل "جوب" في اللسان العربي له أصل واحد وهو الخرق في الشيء ومراجعة الكلام "السؤال والجواب" فالجيوب في المرأة لها طبقتان أو طبقتان مع خرق وهي ما بين النديين وتحت الثديين وتحت الإبطين والفرج والآليتين هذه كلها جيوب، فهذه الجيوب يجب على المرأة المؤمنة أن تغطيها لذا قال) :وليضربن بخمرهن على جيوبهن (والخمار جاءت من "خر"، وهو الغطاء، والخمر سميت خرا لأنها تغطي العقل وليس الخمار هو خمار الرأس فقط، وإنما هو أي غطاء للرأس وغير الرأس، لذا أمر الله صبحانه وتعالى المؤمنات بتغطية الجيوب التي هي الزينة المخفية خلقا وسمح لهن بإبداء هذه الجيوب بقوله) :ولا يبدين زينتهن) (النور 31 .(هذا الإبداء لا يكون إلا لشيء مخفي أصلا كقوله تعالى) :وإن تبدوا ما في يبدين زينتهن) (البقرة 284 (

والإبداء لا يكون إلا لعاقل كقوله) :فبدت لهما سوآتهما) (طه 121 .(قد يقول البعض: أليس الفم والأنف والعينان والأذنان من الجيوب؟ نقول: نعم ولكنها جيوب ظاهرة لأنها في الوجه، ورأس المرأة أو الرجل هو

أظهر جزء منه وهو هوية الإنسان.

-هذا الإبداء للجيوب بالنسبة للمرأة يجوز للذكور التالية مواقعهم منها:

- 1الزوج)بعولتهن.(
 - 2الأب)آبائهن. (
- 3والد الزوج)آباء بعولتهن.(
 - 4الابن)أبنائهن.(
- 5ابن الزوج)أبناء بعولتهن.(
 - 6الأخ)إخوانهن.(
 - 7ابن الأخ)بني إخوانهن.(
- 8ابن الأخت)بني أخواتهن.(

قد يقول البعض: هذا يعني أن المرأة المؤمنة يحق لها أن تظهر عارية تماما أمام هؤلاء المذكورين أعلاه والمذكورين في نص الآية. أقول: نعم يجوز إن حصل ذلك عرضا، فإذا تحرجوا من ذلك فهو من باب العيب والحياء "العرف" وليس من باب الحرام والحلال لأنه شملهم مع الزوج. أي إذا شاهد والد ابنته وهي عارية فلا يقول لها: هذا حرام ولكنه يقول لها هذا عيب. ووضع هؤلاء المحارم مع الزوج لأنها غالبا تعيش معهم، فعلى المرأة المؤمنة أن لا تحرج من هؤلاء.

الآن إذا طرحنا الزوج جانبا لأنه ليس من المحارم، نجد أن المذكورين في باب الزينة من المحارم هم سبعة "الأب، والد الزوج، الابن، ابن الزوج، الأخ، ابن الأخ، ابن الأخت". فإذا قارنا هؤلاء مع المحارم وجدنا ألهم نصف المحارم المواردين في سورة النساء تماما. أما المحارم على المرأة التي حرم عليها أن تتزوجهم ولكن يجوز لها أن تختلي معهم ولا يجوز لها إبداء زينتها المخفية "الجيوب" أمامهم فهم: العم، الحال، الابن من الرضاعة، الأخ من الرضاعة، زوج الأم، زوج البنت، زوج الأخت، فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن والذي يجبرنا أن نعيد النظر بمفهوم الزينة. هل هي المكياج أو الحلي التي يجب أن لا تظهرها المرأة ويجب أن تضرب عليها الخمار ومنها شعر الرأس؟

فإذا كان الأمر كذلك، فعلى المرأة المؤمنة أن تظهر أمام صهرها "زوج ابنتها" كما تظهر أمام الغريب تماما لأنه محرم عليها حرمة أبدية، وغير مذكور في آية الزينة، أي لا يجوز له الاطلاع على زينتها المخفية وكذلك العم والخال. فهل يمكن هنا أن تكون الزينة أمرا غير الجيوب التي شرحتها؟ وهكذا أخطأ الفقهاء حين اعتبروا أن الزينة المذكورة في الآية هي زينة الأشياء، وإنما هي زينة المواقع. وسبب هذا الخطأ هو قياس الشاهد على الغائب الذي سأشرحه فيما بعد، والخطأ في فهم نظرية الحدود.

إننا نقول هذا لأنه آن الأوان لكي نتسلح بالفكر النقدي ونعيد النظر بأقوال الفقهاء كلهم حول المرأة.

ثم أضاف إلى هؤلاء ليكون حكمهم كحكم الأب والزوج من ناحية إظهار الزينة عبارة:

أو نسائهن : (ماذا تعني هنا كلمة "نسائهن"؟ لقد قال بعضهم إلها تعني النساء المؤمنات أي أن المرأة لا يحق لها أن تبدي زينتها المخفية إلا أمام النساء المؤمنات. وهذا غير صحيح لأنه لو عنى ذلك لقال "أو المؤمنات من النساء" ولكنه قال "أو نسائهن" ونون النسوة هنا للتابعية لا للجنس، فإذا كانت للجنس فهذا يعني أن هناك نساء النساء "وهذا غير معقول إذا كانت نسائهن تعنى الإناث."

ولكن إذا قصد "بنسائهن" زوجات الرجال المذكورين قبلها وهم أخوها وابن أخيها... الخ، فلزم أن يضع ميم الجماعة عوضا عن نون النسوة فيقول "أو نسائهم "ولكن هنا نون النسوة وليست ميم الجماعة. ولا يصح ن نقول إنه وضع نون النسوة عوضا عن ميم الجماعة للتغليب فيصبح وضع نون النسوة لضرورة صوتية، ولا يوجد في الكتاب كله شيء اسمه ضرورة اللحن أو النغم، وهناك شيء واحد فقط هو ضرورة المعنى. فنسائهن هنا يجب أن تكون من الذكور وليس من الإناث ونون النسوة للتابعية فقط كأن نقول "كتبهن، بيوقمن" وهذا لا يمكن إلا إذا فهمنا النساء على ألها جمع نسيء لا جمع امرأة أي المستجد "المتأخر "فالمستجد هنا وغير المذكور في الآية هو ما يلي:

لم يذكر في ىية الزينة ابن الابن والأحفاد ولم يذكر ابن ابن الأخ وابن ابن الأخت وابن ابن الزوج.. وهكذا دواليك، فابن الابن يأتي متأخرا عن الابن "أو نسائهن" أي ما تأخر عن هؤلاء المذكورين من الذكور وهم أبناؤهم وأبناء أبنائهم، وبنفس الوقت هؤلاء المتأخرين لهم علاقة القرابة مع المرأة، لذا وضع نون النسوة للتابعية قال) "أو نسائهن (وقد ذكر نفس الحالة مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في سورة الأحزاب عندما سمح لهن بالظهور ليس أمام كل المحارم بل أمام هؤلاء واستثنى منهم الزوج، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو زوجهن واستثنى ابن الزوج لأن النبي ليس له أبناء، واستثنى والد الزوج لأن النبي صلى الله عليه وسلم ولد يتيما فقال) "لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبناء والإخوالهن ولا أبناء إخوالهن ولا أبناء أخواقمن ولا وضع "ولا مملكت أيمالهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا) (الأحزاب 55 (هنا لاحظ كيف وضع "ولا نسائهن" لكي يبين الأبناء وأبناء الأبناء "الأحفاد".. وهكذا دواليك .

قال هذا لنساء النبي صلى الله عليه وسلم مع أن كل المؤمنين هم من المحارم بالنسبة لنساء النبي صلى الله عليه وسلم)وأزواجه أمهاهم) (الأحزاب 6) (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده) (الأحزاب 53 . (إن الوضع الخاص بالنسبة لنساء النبي صلى الله عليه وسلم هو مخاطبتهن المؤمنين من وراء حجاب، مع أنا لمؤمنين كلهم من المحارم بالنسبة إليهن وهذا غير مطلوب من النساء المؤمنات لقوله تعالى) :يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) (الأحزاب 32 . (فغير مطلوب من المرأة المؤمنة تقليد نساء النبي في علاقتها الاجتماعية مع الغير، وإذا أرادت أن تقلد نساء النبي فعليها أن تخاطب كل الناس بما فيهم المحارم من وراء حجاب عدا السبعة محارم ونسائهن المذكورين في آية الزينة.

وفي هذه الحالة تحمل المرأة المؤمنة نفسها لزوم ما لا يلزم لأن الوضع الخاص بالنسبة لهن هو مخاطبة الناس من وراء حجاب ولا علاقة للزينة المخفية أو الظاهرة بنساء النبي. أما بالنسبة للمؤمنات فالوضع المشترك مع نساء النبي هو الزينة المخفية واللباس حسب الأعراف وليس المخاطبة من وراء حجاب. لنورد الآن جدول المحارم وجدول من يحق للمرأة أن تبدي لهم زينتها المخفية من المحارم. من يحق للمرأة أن تبدي لهم زينتها المخفية عن قصد أو غير قصد

	المحارم
- 1الابن	- 1الابن
- 2الأب	- 2الأب
- 3الأخ	- 3الأخ
	- 4العم
	- 5الخال
- 4ابن الأخ	- 6ابن الأخ
- 5ابن الأخت	- 7ابن الأخت
	- 8الابن من
	الرضاعة
	- 9الأخ من
	الرضاعة
- 6أبو الزوج	- 10أبو الزوج
	- 11زوج الأم
	- 12زوج البنت
	- 13زوج
	الأخت
- 7ابن الزوج	- 14ابن الزوج
Q - الأيار المراكب الأيمر الأيمر المراكب المراكب المراكب المراكب المراكب المراكب المراكب المراكب المراكب المرا	هنا لا يوجد أو
- 8يضاف إلى هؤلاء الزوج الذي لا يعتبر من المحارم	نسائهن

- 9يضاف إلى هؤلاء السبعة أولادهم وأحفادهم والذين دبحوا جميعا بكلمة "أو نسائهن"

يجب أن يفهم من كلامي أنني لا أدعو المرأة أن تجلس عارية أمام الثمانية المذكورين أعلاه ولكن إذا حصل ذلك عرضا فلا يوجد حرام، ولكن تلبس أمامهم من باب العيب والحرج، لا من باب الحرام. ثم يتابع ذكر المسموح للمرأة بإبداء زينتها لهم وهم:

) -أو ما ملكت أيمانهن) (النور 31:(إن هذه الفقرة جاءت لتغطي مرحلة تاريخية وهي مرحلة "العبيد" سابقا، وأمرها لا يعنينا في هذه الحقبة.

) -أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال (النور 31): هؤلاء الرجال يتبعون المذكورين أعلاه في الحكم وهم الرجال غير ذوي المأرب، وليس المعتوهين أوا لجانين، فالشهوة الجنسية لا تخبو عند الجانين. فمثلا الطبيب عندما يريد أن يولد المرأة فإنه يرى فرجها، ولكن ليس له أي مأرب فيها، فعليها والحالة هذه أن تعتبره كوالدها أو كولدها وإذا أراد الطبيب أن يكشف على المرأة في منطقة الجيوب "تحت الإبطين أو بقية الجيوب" فيعتبر في حكم أبيها. على النساء المؤمنات أن يفهمن ذلك، ويعلمن أن المرأة يحق لها الذهاب إلى الطبيب الذي تراه مناسبا، والذي ترتاح إليه ذكرا كان أم أنثى دون حرام أو حرج لأنه يدخل في بند)غير أولي الإربة من الرجال .(

وهناك أيضا مهن أخرى وحالات تنطبق عليها)غير أولي الإربة من الرجال .(فعلى المجتهدين البحث عنهم وتبيالهم للمرأة "مثلا الطبيب وكل من يعمل في اختصاص الطب من مصوري الأشعة والمخدرين والممرضين ونحوهم الخ."

) -أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) (النور 31 (هنا لابد من تعريف العورة، فالعورة بالمعنى العربي هي "ما يستحي المرء من إظهاره" هذا ما أجمع عليه أئمة اللسان العربي في معنى العورة "انظر كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي"، وفي هذا يستعملها النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث إن صحت، فالعورة ليس لها علاقة بالحلال والحرام لا من قريب ولا من بعيد أي أنه إذا كان هناك رجل أصلع دون شعر ولم يرغب بأن يرى الناس رأسه وهو أصلع فيضع الشعر المستعار على رأسه لأنه اعتبر الصلع في رأسه عورة. وفي هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه إن صح "من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته" "جامع الأصول ج6 ص 653-654" هنا يبين إذا كان هناك شيء في المرء لا يريد من الآخرين أن يعرفوه وعرفه أحدكم فلا يفضحه وستر عورة المؤمن هنا لا تعني أن يضع عليه ملابس ليستره .

وفي هذا المعنى جاءت في قوله تعالى) :وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا) (الأحزاب 13 (هنا المعنى واضح في العورة أن بيوتهم أصبحت مكشوفة بالنسبة للمهاجمين وهم لا يريدونها أن تكون كذلك، والواقع نها ليست

كذلك.

وقوله تعالى) :يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ()النور 58 .(هنا يبين أن هناك ثلاثة أوقات يجب أن يستأذن من المرء حين الدخول عليه وقت النوم وهي وقت القيلولة عند الظهر ومن بعد العشاء وقبل الفجر، وهي الحد الأدبى للأوقات التي لا يرغب المرء أن يدخل عليه أحد لذا سماها ثلاث عورات، والحد الأعلى هو الاستئذان عند دخول الغرف دائماً.

فالعورة جاءت من الحياء وهو عدم رغبة الإنسان في إظهار شيء ما في جسده أو سلوكه، وهذا الحياء نسبي وغير مطلق ويتبع الأعراف. فالعورة متغيرة حسب الزمان والمكان فيصبح معنى الفقرة)أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء (هم الأطفال الذين لا يعرفون لماذا استحت المرأة من وضعية معينة في الجلوس أو في اللباس وهذا معروف عند الأطفال بأن الطفل حتى سن معينة لا يفهم معنى الحياء والعيب، فالأطفال حتى السن الذي يعرفون فيه مصطلح الحياء والعيب في مجتمعهم تنطبق عليهم الفقرة)أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء (لذا فإن تحديد عورة الرجل من السرة إلى الركبة، هو تحديد نسبي وغير مطلق يتبع على عورات النساء (لذا فإن تحديد لأنه ينبع من مفهوم الحياء والعيب، لا من مفهوم الحلال والحرام، أعراف المجتمع الذي تم فيه هذا التحديد لأنه ينبع من مفهوم الحياء والعيب، لا من مفهوم الحلال والحرام، وإذا قال أحدهم هذا المفهوم الشرعي للعورة فهذا كلام مردود لأن الشرع هو حدود الله فقط وما عدا ذلك فهو حدود الناس.

) -ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) (النور 31: (إن الذي يفسر هذه الفقرة على أساس الخلخال في القدم، أي على المرأة أن لا تضع خلخالا في القدم وتضرب على الأرض لكي لا يسمع صوت الخلخال أو أن تلبس حذاء ليس له صوت أثناء السير فهو غير مصيب في تفسيره.

لنفهم أولا معنى فعل "ضرب" في اللسان العربي: فضرب في اللسان العربي لها أصل واحد ثم يستعار ويحمل عليه. وأول معنى محمول عليه هو الضرب في الأرض بغرض العمل والتجارة والسفر كقوله تعالى) :يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا...الآية) (النساء 94 (هنا إذا خرجتم في سبيل الله وكقوله) :وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) (النساء 101 (هنا جاءت بمعنى السفر وقوله :) إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت) (المائدة 106.

والمعنى الثاني المحمول للضرب هو الصيغة والصياغة كقوله تعالى)ضربنا لكم الأمثال) (إبراهيم 45 (وقوله:)وكلا ضربنا له الأمثال) (الفرقان 39 (وقوله): ولقد ضربنا للنسا في هذا القرآن من كل مثل) (الروم 58 (ويقال للطبيعة والسجية الضريبة كأن الإنسان قد ضرب عليها ضربا، ويقال للصنف من الشيء الضرب كنه ضرب على مثال ما سواه ومن هنا جاء ضرب المثل والضريبة هي ما يضرب على الإنسان من

مال مقابل الربح والكسب أو خدمة تؤديها له الدولة، وضرب فلان على يد فلان إذا حجر عليه ومنها جاء الإضراب عنا لعمل وهو حجر النفس وكفها عن العمل والإضراب عن الطعام وهو حجر النفس عن الأكل. ومن هنا نفهم)ولا يضربن بأرجلهن (والسبب في ذلك النهي هو لكي لا يعلم ما يخفين من زينتهن وهنا الكلام عن الزينة المخفية وهي الجيوب لأنها لا يمكن أن تعلم إلا إذا أرادت المرأة ذلك، فهذا يعني أن الله منع المرأة المؤمنة من العمل والسعي "الضرب" بشكل يظهر جيوبها أو بعضها بشكل إرادي وهذا لا يحصل إلا من أجل كسب المال أو على شواطئ البحر، من هنا نرى أن الله سبحانه وتعالى حرم في حدوده مهنتين فقط على المرأة وهما: أ- التعرية "ستربتيز" ب- البغاء. أما بقية المهن فيمكن للمرأة أن تمارسها دون حرج أو خوف وذلك حسب المظروف الاجتماعية التاريخية والجغرافية.

وفي نهاية الآية قال) :وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) (النور 31 (هنا طلب من المؤمنين والمؤمنات التوبة لأنه في سياق الحياة يمكن للمؤمن والمؤمنة أن يشذا عن ذلك فوضع لذلك التوبة فقط دون ترتيب عقوبات.

ويبقى لقائل أن يقول: إن ما تقوله عن لباس المرأة الذي جاء في سورة النور "الفرائض" هو تغطية الجيوب المخفية فقط. أقول: نعم وهو الحد الأدنى من اللباس لذا سماه فريضة وهو فرق بين الحلال والحرام دون عقوبات ومع التوبة فقط. ولكن هل للمؤمنة أن تخرج بهذا اللباس الذي هو الحد الأدنى؟ أقول: لقد جاء اللباس المتمم لهذا اللباس في سورة الأحزاب، وجاء الخطاب في مقام النبوة الذي هو ليس حراما وحلالا وإنما تعليمات لدفع الأذى وذلك في قوله) إيا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) (الأحزاب 59.(

هنا بدأت الآية بقوله) إيا أيها النبي (فهي آية تعليم وليست تشريع وهذه الآية تعلم المؤمنات اللباس الخارجي وهو ما سماه بالجلباب، فالجلبات جاءت من الأصل "جلب" وهذا الفعل في اللسانا لعربي له أصلان أحدهما الاتيان بالشيء من موضع إلى موضع، والآخر الشيء يغشي ويغطي شيئا آخر، فالجلبة هي القشرة التي تغطي الجرح عندما يبرأ ويندمل وقبل أن يبدأ الجرح بالاندمال نضع له رباطا من القماش المعقم لنحميه من الأذى الخارجي.

ومن هنا جاء الجلباب للحماية وهو اللباس الخارجي. فاللباس الخارجي يمكن أن يكون بنطالا وقميصا أوتايورا أوروبا أو مانطو، كل هذه الملابس تدخل تحت بند الجلابيب لذا قال) : يدنين عليهن من جلابيبهن () الأحزاب 59 (للتبعيض باستعمال حرف الجر "من" وللتقريب باستعمال "يُدنين" من فعل "دنو، يدنو" وبما أن هذه الآية للتعليم لا للتشريع وضع السبب وهو المعرفة التي تسبب الأذى، فعلى المرأة المؤمنة تعليما لا تشريعا أن تغطي من جسدها الأجزاء التي إذا ظهرت تسبب لها الأذى. والأذى نوعان: طبيعي واجتماعي . والأذى الطبيعي مربوط بالبيئة الطبيعية من درجات الحرارة والرطوبة فالمؤمنة تلبس حسب الشروط الجوية

الخارجية بحيث لا تعرض نفسها للأذى الطبيعي .

قد يقول البعض ولكن هذا أمر مفروغ منه لذا لم يذكره في هذه الآية وإنما ربط الأذى بالمعرفة)أن يعرفن فلا يؤذين (لاحظ "فاء السببية" والتعقيب بين المعرفة والأذى، وهو ما نسميه بالأذى الاجتماعي، أي على المؤمنة أن تلبس لباسا خارجيا وتخرج إلى المجتمع حسب الأعراف السائدة في مجتمعها بحيث لا تكون عرضة لسخرية وأذى الناس، وإذا لم تفعل ذلك ستعرض نفسها للأذى، وهذا الأذى الذي ستتعرض له هو عين عقوبتها لا أكثر من ذلك أي دون أن يكون هناك أية تبعة عند الله من ثواب أو عقاب.

ولكي لا يزاود الناس في اللباس وضع النبي صلى الله عليه وسلم الحد الأعلى للباس المرأة بقوله "كل المرأة عورة ما عدا وجهها وكفيها" أي بهذا الحديث سمح النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة أن تغطي جسدها كله كحد أعلى ولكنه لم يسمح لها بأي حال من الأحوال بأن تغطي وجهها وكفيها، حيث أن وجه الإنسان هو هويته. فإذا خرجت المرأة عارية فقد خرجت عن حدود الله وإذا خرجت دون أن يظهر منها شيء حتى وجهها وكفيها فقد خرجت عن حدود الله وإذا خرجت دون أن يظهر منها شيء حتى وجهها وكفيها فقد خرجت عن حدود الله وإذا خرجت دون أن يظهر منها شيء حتى وجهها وكفيها فقد خرجت عن حدود رسول الله وطاعة الله ورسوله في الحدود واجبة.

وهكذا نرى أن لباس معظم نساء أهل الأرض يقع بين حدود الله ورسوله وهذه هي فطرة الناس في اللباس، وفي بعض الحالات القليلة يقف اللباس عند الحدود، وفي حالات أقل يتجاوز اللباس الحدود.

حكم لباس النساء اللواتي لا يرجون نكاحاً:

لقد وضع الله حكما خاصا وحرية كبيرة في اللباس للنساء اللواتي لا يرجون نكاحا منا لمعقدات بغض النظر عن السن حيث قال:

)والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم) (النور 60.(

فالقواعد جاءت من "قعد" وهو أصل واحد يقاس عليه ويدل على ثبات في شيء وهي لا تعني الجلوس، والقعود ضده القيام. والقعود جاءت من قوله تعالى) :فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون) (المائدة 24 (والقعود جاءت بمعنى الثبات وعدما لحركة والامتناع عن الذهاب إلى القتال .والقيام جاءت بمعنى الاستمرار كأن تقول "وجدت فلانا قائما على رأس عمله ''أي أنه يمارس عمله.

فهنا جاءت القواعد من النساء وهن النساء اللواتي أقعدن بسبب مرض ما كالشلل مثلا بغض النظر عن السن بحيث جعلهن لا يرجون النكاح لذا قال) :اللاتي لا يرجون نكاحا (ولا تعني أبدا اللواتي لا يرغبن بالزواج وهنا القواعد ليس كما قال الفقهاء قعدن عن الحيض وهذه الحالة جاءت في قوله تعالى)يئن من المحيض وليس قعدن عن المحيض وهو ما نسميه بسن اليأس للمرأة وليس بسن القعود.

)ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) (النور 60 .(فالجناح جاءت من "جنح" وتعني الانحراف كأن نقول

جنحت السفينة أو الطائرة عن مسارها. ومن هنا جاء مفهوم الجنحة وهي مفهوم أقل من الجريمة بكثير حيث جاءت الجريمة بقوله تعالى) :ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح...الآية) (هود 89.(

أما فعل "وضع" في اللسان العربي فله أصل واحد يدل على الخروج للشيء وحطه وإخراجه كقوله) :وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) (الطلاق 4 (وقوله) :فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى) (آل عمران 36 (فعندما تضع المرأة حملها تخرجه منها كلية وتحطه عنها. فهنا قال)يضعن ثيابهن (فالثياب هنا اسم جنس وهي كل ما يرده الإنسان على جسمه من لباس داخلي وخارجي وجاءت من الأصل "ثوب" ومنها جاءت الثياب، والمثابة، والثواب هو كل ما يرد للإنسان من عمل صالح إيجابي .

فيصبح)يضعن ثيابهن (هو خلع جميع الملابس، وقد اشترط بذلك عدم القصد بإظهار الزينة المخفية للآخرين "أي الجيوب فقط" بقوله) :غير متبرجات بزينة (و"برج" تعني في اللسان العربي البروز والظهور والملجأ والبرج هو بارز ظاهر وبنفس الوقت هو ملجأ للحماية. لذا قال) :غير متبرجات بزينة (فوضع هذا الشرط أن لا يكون القصد من وضع الثياب هو اللجوء إلى إبراز زينتها المخفية "فرجها وباقي الجيوب" وهذا واضح في الحياة، فكثير منا لنساء المقعدات بسبب المرض أو الشيخوخة يحتجن إلى حمام شمسي وإلى تغسيل ومساجات بحيث يحتجن إلى خلع كل ملابسهن أمام الآخرين الذين يعتنون بهن لأنهن يحتجن إلى مساعدهم ولكنه من باب الترجيح فقط وليس من باب الحلال والحرام قال) : وأن يستعففن خير لهن (أي أنها إذا استطاعت أن لا تظهر زينتها المخفية "عارية تماما" فهو خير لها.

لنشرح الآن أين يكمن خطأ التفسير الموروث حول لباس المرأة:

إذا أخذنا المرأة العربية في شبه جزيرة العرب قبل نزول الآية 31 في سورة النور الآية 59 في سورة الأحزاب فنرى ما يلي:

- 1لم تكن المرأة العربية حين نزول هاتين الآيتين عارية بدون ملابس.
- 2الرجال والنساء العرب كانوا يلبسون الزي القومي حسب الأعراف السائدة في مجتمعهم وحسب المستوى الإنتاجي للألبسة. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس من لباس قومه حتى إن كثيرا من العرب كانوا لا يستطيعون تمييزه من غيره في اللباس. فكان كثير منهم يأتون إلى المدينة ويدخلون المسجد ويسألون الجالسين فيه: أيكم محمد؟ وكذلك كان لباس المرأة العربية هو لباس حسب أعراف العرب ومناخ شبه جزيرة العرب فكانت تلبس ثوبا طويلا وتضع خارا على رأسها ليقيها الحر. كلباس نساء البادية الآن . فعندما نزلت الآية 31 من سورة النور نظرت المرأة العربية المسلمة إلى لباسها الذي ترتديه فعلا ولم تغير منه شيئا وإنما وجدت إمكانية إظهار جيوب الثديين من فتحة الصدر في ثوبما الخارجي فضربت على صدرها بخمار رأسها، لأن بقية الجيوب أصلا كانت مغطاة في زيها القومي. لذا فهم خطأ بأن الجيوب هي الصدر فقط لذا فإن ما نسميه اليوم باللباس الشرعي هو لباس المرأة العربية المسلمة في القرن السابع الميلادي. إن لباس المرأة

المسلمة فقط الذي جاء في سورة النور وجاء لكل مؤمنات أهل الأرض ولكل زمان.

فعلى المرأة العربية المؤمنة أن تصحح هذا المفهوم الخاطئ والذي نتج عن قياس الشاهد لباس مسلمات أهل الأرض جميعا في كل زمان ومكان على الغائب وهو اللباس القومي للمرأة العربية في القرن السابع. ولا يصح هذا القياس إلا إذا افترضنا أن المرأة العربية قبل نزول آيتي النور والأحزاب كانت عارية تماما بدون أي لباس ثم لبست ما لبست من جراء هاتين الآيتين وهذا موضوعيا غير صحيح. أي علينا أن لا نخلط بين فرائض اللباس في الإسلام وبين الزي القومي، لن هذا الخلط حصل فعلا فيما يسمى "اللباس الشرعي" وقد جاء هذا الخلط من قياس الشاهد على الغائب.

- 3حتى نفهم آيتي النور والأحزاب فهما صحيحا علينا أن نفترض وجود امرأة عارية تماما تريد أن تدخل الإسلام. فماذا عليها أن تلبس؟
- 4علينا أن نفهم أن امرأة مؤمنة في أي بلد في العالم عليها أن تلبس حسب أعراف بلدها متقيدة بالآيتين 31 من سورة النور كفرض والآية 59 من سورة الأحزاب كتعليم لا تشريع.
- 5أما فيما يتعلق ببعض الآراء الفقهية التي ترى أن صوت المرأة عورة فهذا محض وهم لأن المرأة كانت تحضر صلاة الجمعة في المدينة وكانت تقف مع النبي صلى الله عليه وسلم في طرقات المدينة وتسأله ويجيب على أسئلتها. ثم إن العورة هي من الحياء لا من الحرام. أي أنه إذا كان مجتمع من المجتمعات يحبذ صوت المرأة ولا يعتبره عيباً حتى في الغناء فلا يوجد أي إثم في ذلك.

قد يقول البعض: وهل الفقهاء كانوا لا يعرفون اللغة العربية ونحن نعرفها الآن؟ إن الحطأ ليس خطأ لغوياً، وإنما في المنهج، فعندما يقرأ علماء العربية كلهم الآية 31 من سورة النور والآية 59 من سورة الأحزاب ويقرؤون الحديث النوبي "كل المرأة عورة ما عدا وجهها وكفيها" ظانين بأن هذا الحديث هو شارح للآية وليس الحد الأعلى للباس المرأة، أي أعطى الطرف المقابل. ففي هذه الحالة لا تفيدهم كل معرفتهم للغة العربية وفقهها ونحوها وصرفها بشيء وسيضطرون إلى قبول المغالطات والدوران "انظر الشكل رقم 2." فإذا أردنا أن نرسم مخططاً للباس المرأة والمهن التي يمنع ممارستها وما هو المسموح والممنوع حسب حدود الله ورسوله فينتج لدينا المخطط التالي:

أ- العلاقة العاطفية: علاقة الود والحب والوفاء بين الرجل والمرأة فالرجل لباس المرأة، والمرأة لباس الرجل.

^{- 5}لننتقل الآن إلى الموضوع التالي بالنسبة للمرأة وهو العلاقة العائلية بين الرجل والمرأة: إن العلاقة العائلية بين الرجل والمرأة تقسم إلى بابين رئيسيين هما:

واللباس جاءت من "لبس" وتعني في اللسان العربي الاختلاط والتداخل. وهذا في قوله تعالى) :أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) (البقرة 187 (فعلاقة الحب والود والرحمة علاقة متكافئة بين الرجل والمرأة، كلاهما مليء بالأحاسيس والمشاعر لا تمييز لأحدهما على الآخر. ويجب أن نفهم أن المرأة ليست متاعاً للرجل والرجل ليس متاعاً للمرأة.

ب- العلاقة الاقتصادية الموضوعية والعلاقة الاجتماعية الناتجة عنها والمرتبطة بها:

جاءت هذه العلاقة في الآية)الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا) .(النساء 34. (المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن النساء (هنا وضع علاقة موضوعية بأن الرجال لهم بدأت الآية 34 بصيغة الخبر) :الرجال قوامون على النساء ولم يذكر القوامية بي المؤمنين والمؤمنات أي لم يقل القوامة على المرأة، وذكر القوامية بين الرجال والنساء ولم يذكر القوامية بي المؤمنين والمؤمنات أي لم يقل المؤمنون قوامون على المؤمنات لذا فإن هذا الخبر يجب أن يكون صادقا في كل أنحاء الأرض ولذلك ذكر علم القوامية ، وبما أنه ذكر علم القوامية فبذهاب العلم يذهب المعلول وبتبديل العلم يبدل المعلول والعناصر التي تشكل علم القوامية هي:

- -القوة الفيزيائية)بما فضل الله بعضهم على بعض. (
- -القوة المالية الاقتصادية)وبما أنفقوا من أموالهم.

وبما أنه قال)بعضهم على بعض (فهي تعني ألها قابلة لتكون عكسية بانعكاس العلة أي قابلة للعمل موضوعيا باتجاهين:

فلنر كيف تعمل في الاتجاه المعاكس: إذا كان الرجل مريضا كأن يكون أعمى أو مشلولا وزوجه تخدمه، في هذه الحالة موضوعيا لها القوامية "الأمر والنهي .''وإذا كان الرجل فقيرا وزوجه تنفق عليه فتصبح لها القوامية موضوعيا، وهذه العلاقة هي اللعاقة الموضوعية حتى بين الدول. فالقوي من الدول له الأفضلية على الضعيف.

والقوي والغني من الدول له الأفضلية على لاضعيف والفقير. وأعلى أنواع القوامية هي بين القوي الغني والضعيف الفقير ويمكن إسقاط هذا المفهوم على أعلى العلاقات الإنسانية وهو العلاقات الدولية وهذا واضح جدا في مفهوم حق الفيتو للدول الكبرى في مجلس الأمن الذي هو أعلى مؤسسة دولية. إذ أن أية دولة من هذه الدول لها حق إيقاف أي قرار يصدره مجلس الأمن "القوامية."!

وعندما تصبح المرأة عاملة أو لها دخل ما وتنفق على العائلة كالرجل تصبح متكافئة معه في القوامية من الناحية المالية وفي الأمور التي تحتاج إلى قوة فيزيائية "قوة في الخلق" فتبقى القوامية للرجل في هذه الأمور دون الأمور المالية. هذا إذا كان أقوى منها فيزيائيا فعلاً.

هنا وضع العلاقة الموضوعية المادية الاجتماعية باتجاهين متعاكسين وذلك لتبيان التكافؤ والعلاقة المتبادلة

بينهما.

فوضع القوامية للرجل على المرأة مع ذكر العلل ووضع كيف يجب أن تكون العلاقة لاجتماعية والأ×لاقية ببيان بين الرجل والمرأة إذا كان الوضع معاكسا، أي كانت المرأة في وضع أقوى منا لرجل، حيث بدأ الآية ببيان مطلق وذكر الرجال والنساء بغض النظر مؤمنين أو كافرين، ولكن عندما عكس الوضع، وضع قوامية المرأة ذكر المرأة الصالحة فقط ولم يقل النساء فالمرأة الصالحة عندما تكون لها القوامية لها الصفات الأخلاقية التالية: -قانتات: والقنوت هو الهدوء والاستقامة مع الاستمرار على ذلك لذا قال) :وقوموا لله قانتين) (البقرة 238 (وقوله عن مريم) :وكانت من القانتين) (التحريم 12.(

-حافظات اللغيب بما حفظ الله: أي أن المرأة الصالحة تحفظ خصوصيات زوجها وعائلتها التي أمر الله بحفظها. ولا تجعل هذه الخصوصيات عرضة للثرثرة، وكذلك الرجل المؤمن يحفظ خصوصيات زوجه وعائلته. فإذا لم تتحقق هذه العلاقة بين الرجل والمرأة على حد سواء يمكن أن يحصل وضع هو النشوز من المرأة أو الرجل على حد سواء.

فالنشوز جاء من "نشز" والذي يعني في اللسان العربي البروز والاستعلاء والتكبر من الناحية الاجتماعية أو الشذوذ من الناحية الجنسية. فعندما ينشز أحد الزوجين اجتماعيا على الآخر، تكون البداية بالموعظة ثم بالهجر في المضاجع فقط من الزوج الآخر، وهذان الإجراءان خاصان جدا أي دون العلن ثم يأتي الحل الثالث وهو "واضربوهن". هنا نرجو ألا يفهم "الضرب" بمعناه المباشر كما فهموه معنى مباشرا في قوله تعالى) :ولا يضربن بأرجلهن) (النور 31 (ففعل "ضرب" معناه الضرب ويحمل عليه كقوله تعالى) :وضرب الله مثلا) (النحل بارجلهن) (التحريم 11 (وقد شرحت هذا الفعل في شرح) ولا يضربن بأرجلهن.

فعندما نقول "ضرب" نحمل عليه مباشرة فنقول الضرب على الوجه هو من فعل "صك" كقوله تعالى:)فأقبلت امرأته في صرة فصحت وجهها وقالت عجوز عقيم) (الذاريات 29 (وعندما يكون الضرب على الخد فنستعمل فعل "لطم" وعندما يكون الضرب على القفا فنقول "صفع" وعندما يكون الضرب بالرجل نقول "ركل" "رفس" وعندما قتل موسى الرجل قال) فوكزه موسى فقضى عليه) (القصص 15 (ولم يقل "فضربه" وعندما سأل الله موسى عن العصا قال) وما تلك بيمينك يا موسى * قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي) (طه 17-18 (ونستعمله من الناحية الاقتصادية، فنقول ضرب الأسعار ومنه جاءت المضاربة ونقول ضربت الدولة المتلاعبين بالأسعار، أي اتخذت منهم موقفا حازما وحجرقهم عن المضاربة. وهنا نفهم معنى "واضربوهن" أي عندما لا تفيد الموعظة والهجر في المضاجع فيأتي الحل العلني وهو اتخاذ موقف حازم علني من الرجل تجاه المرأة أو من المرأة تجاه الرجل بحي يمنع أحدهما الآخر منا لنشوز الاجتماعي، لأن النشوز من أحد الزوجين يتسبب بإهانة كبيرة للآخر ومع ذكل لم يقترح الطلاق، علما بأنه عندما يتخذ أحد النووجين موقفا علنيا حازما تجاه الآخر فإن هذا قد يتسبب في الطلاق. ولتبيان هذه الحالة جاءت الآية الني الذي التي الآخر منا المؤلة أو من المرأة قد يتسبب في الطلاق. ولتبيان هذه الحالة جاءت الآية الذي الذي جاءت الآية الذي النشوذ من أحد الزوجين وقفا علنيا حازما تجاه الآخر فإن هذا قد يتسبب في الطلاق. ولتبيان هذه الحالة جاءت الآية الذي الذي جاءت الآية الذي المؤلف علنيا حازما تجاه الآخر فإن هذا قد يتسبب في الطلاق. ولتبيان هذه الحالة جاءت الآية الذي المؤلفة المؤلفة المؤلفة علنيا حازما تجاه الآخر فإن هذا قد يتسبب في الطلاق. ولتبيان هذه الحالة جاءت الآية الذي المؤلفة ا

بعدها تقول) :وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا) (النساء 35.(

هذه الآية تبين تماما أن النشوز قد يحصل من أحد الطرفين وهو اجتماعي بحت لا جنسي. والضرب هو موقف علني حازم، لا الضرب باليد أو العصا كما فهمه البعض. هذا الموقف قد يتسبب في لطلاق، في هذه الحالة أمر الله تعالى بالإصلاح بينهما قبل الطلاق وهذا الإصلاح يتم عن طريق حكم من طرفه وحكم من طرفها وهذا ما نسميه اليوم بالمصطلح الحديث "لجنة التحكيم" وهذه الممارسة شائعة جدا اليوم في العلاقات الاقتصادية والتعاقدية بين الأفراد والمؤسسات والدول.

أما النشوز بمعنى الشذوذ الجنسي من الرجل فقد جاء في قوله تعالى) :وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) (النساء 128" (حول شرح هذه الآية انظر مبحث الفرقان بند الفواحش ."

قد يقول البعض: لِمَ لَم يقل الفقهاء هذا من قبل؟ قلنا مرة ونكررها بأن ما ندرسه من فقه هو تفعل الإسلام مع مرحلة تاريخية معينة وليس الإسلام بعينة لذا فإن قول الفقهاء كان منسجما مع مرحلة التطور التاريخي الاقتصادي والسياسي التي عاشوها، حيث أن فقههم كان منسجما مع مجتمعهم الذي عاشوا فيه واجتهدوا من أجله، لذا فعلينا أن لا نبخسهم قيمتهم التاريخية من هذه الناحية وقد بينا في الفرع الأول)أزمة الفقه الإسلامي (الخطيئة المنهجية التي وقع فيها الفقهاء بشأن المرأة وهي خطيئة قياس الشاهد على الغائب وخطيئة الحدود.

- 6حق العمل:

لم يمنع الإسلام المرأة من العمل من الناحية الشرعية في كل مجالات الحياة والإنتاج، وإنما الظروف الموضوعية التاريخية هي التي تحدد عمل المرأة، وهذا ما حصل فعلا في التاريخ العربي الإسلامي، إذ مارست المرأة مهنة التمريض في الجهاد وكانت تمارس بعض الأعمال الإنتاجية مثل حلب النوق والشياه وصناعة الزبدة واللبن وكانت تمارس مهنة الرضاعة حيث كانت ترضع أولاد غيرها مقابل أجر.

وعلى هذا فعلينا نحن المسلمين أن ننظر إلى عمل المرأة من خلال السياق التاريخي لا من قياس الشاهد على الغائب، لأن التشريع الإسلامي لا يوجد فيه ما يمنع ذلك ولكن كانت هناك ظروف تاريخية حجرت المرأة عن العمل، والمهنتان الوحيدتان اللتان منع الله المرأة من ممارستهما هما البغاء والتعرية.

قد يقول البعض إن هناك محذورين من هذا:

-المحذور الأول: أن عمل المرأة يوجب الاختلاط مع الرجل: أقول إن الإسلام لم يمنع المرأة من أن تختلط مع الرجل ولكن حذر من الخلوة بين الرجل والمرأة من غير المحارم في مكان مغلق، وكذلك سفر المرأة مع غير

محرم لوحدهما، واعتقد أن منعا من هذا النوع هو منع إيجابي جداً.

وهنا نريد أن ننبه إلى آية صلاة الجمعة حيث لم يرد أمر صريح في الكتاب حول الصلاة والذهاب إليها إلا صلاة الجمعة وذلك بأمره تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع..الآية) (الجمعة 9) هنا الخطاب موجه للذكور والإناث على حد سواء .فعلى المرأة المسلمة كالرجل تماما أن تكون حريصة على حضور صلاة الجمعة سافرة أم متحجبة حسب أعراف بلدها وأن تضرب عرض الحائط احتكار الرجال لصلاة الجمعة...

ولنلاحظ قوله تعالى: (وذروا البيع) هنا الخطاب موجه للذكور والإناث على حد سواء أيضا، فعلينا أن نفهم ذلك ونقبله من غير حرج.

-المحذور الثاني: هو أن هناك بعض المهن الصعبة الشاقة لا تستطيع أن تقوم بما المرأة من الناحية العملية، وهناك بعض المهن لا تليق بأنوثة المرأة، هذا صحيح ولكن في هذه الحالة على المرأة من خلال مؤسساتها أن تحدد بنفسها ما هي المهن الموجودة فعلا والتي لا تستطيع أن تمارسها وما هي المهن التي لا تليق بأنوثتها، لا أن تدع الرجال عامة (وخاصة السادة العلماء) أن يحددوا لها المهن التي تليق أولا تليق بأنوثتها.

- 7حق العمل السياسي والتمثيل التشريعي:

إن حق العمل السياسي هو أول حق أعطاه الإسلام للمرأة بشكل مباشر. وقد بدا الإسلام تحرير المرأة بإعطائها هذا الحق. وقد كافحت المرأة المسلمة مع الرجل على حد سواء وكان كفاحها عقائديا "أخت عمر بن الخطاب" ونضاليا مباشرا "سمية" واشتركت في الهجرة إلى الحبشة وإلى يثرب وحضرت بيعة العقبة الأولى والثانية.

وهناك من يقول "بقوا الإسلام ثم اسألوا المرأة هل تريد دخول البرلمان ''أقول إن هذا الكلام هو عين الوهم لأن الطلب الذي يبدأ بالفعل "طبقوا الإسلام" موجه لمن؟ هل للرجال أي يا أيها الرجا طبقوا الإسلام ثم اسألوا المرأة؟ فإذا كان للرجال فقط فيصبح الإسلام دينا للرجال فقط. وإن كان الطلب للرجل والمرأة بتطبيق الإسلام فنريد أن نسأل السؤال التالي: أي إسلام تريد منا أن نطبق؟ وهل قدمتموه لنا بلغة القرن العشرين ورفضناه؟ أم قدمتموه لنا بأطر قديمة تاريخيا فيها إسلام السنة وإسلام الشيعة والمعتزلة والخوارج والإباضية والزيدية وكل ما هنالك من فرق ومذاهب؟!

أما إذا أردنا أن نطبق الإسلام بمفهومه الأصيل الصالح لكل زمان ومكان فعلينا أن نقدمه لزماننا ومكاننا "ظروفنا" ثم نقول للرجل والمرأة: هذا هو الإسلام الأصيل في الكتاب والسنة وهذا هو فهمه الحديث في القرن العشرين . في هذه الحالة تدخل المرأة والرجل معترك السياسة منذ أول لحظة، فكيف في هذه الحالة نريد من المرأة أن تناضل مع الرجل وتموت معه، ثم بعد ذلك نقول لها: اذهبي إلى بيتك. وقد يقول البعض إن المرأة المسلمة دخلت ميدان النضال السياسي الثوري مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم تحكم .

أقول إلها لم تحكم ضمن سياق تاريخي لا ضمن تشريع إسلامي، وعلى هذا لا يحق لنا قياس الشاهد الذي هو نحن على الغائب الذي هو وضع المرأة الاجتماعي والسياسي في زمن النبي لأن الزمن اختلف.

ثم هناك من ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم إن صح قوله "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" هذا الحديث إذا صح فلا يقاس عليه لأنه جاء من النبي صلى الله عليه وسلم تعليقا على حدث معين وهو إخبار أحدهم للرسول أن الروم مات ملكهم فخلفته على عرشه ابنته، فعلق الرسول بقوله "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" وهذا الحديث إن صح لا يعتبر تشريعا ولا تعليما وإنما هو تعليق ظرفي على حادثة بعينها ولا يدخل تحت بند الحدود والأخلاق والعبادات. لذا لا تنطبق عليه قاعدة، إن صح الحديث فهو مذهبي، علما بأنه من الأحاديث المنفردة .

ثم إن الله سبحانه وتعالى ذكر في القرآن حالة امرأة حاكمة وهي ملكة سبأ، فعندما نقرأ قصة هذه الملكة لا نوى أي استنكار لكونها حاكمة لقومها، ولكن الاستنكار جاء لها ولقومها لأنهم يعبدون الشمس من دون الله، وقد عاملها سليمان عليه السلام معاملة الند للند.

ونرى هذا واضحا في قوله تعالى) :إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) (النمل 23) (وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) (النمل 24 (وقد كان سلوكها مع قومها هو سلوك الاستشارة والرأي بقوله) :قالت يا أيها لملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) (النمل 32) (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) .(النمل 32) (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) .(النمل 33) (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) (النمل 34)

لقد أفردت إحدى الباحثات المغربيات كتابا خاصا حول موقع المرأة السياسي والتشريعي في الإسلام تحت عنوان "الحريم السياسي" كتب باللغة الفرنسية وقد أجرت الباحثة استقصاء مطولا حول هذا الحديث فتبين أنه من الأحاديث المنفردة وتبين أن أحد رواته هو "أبا بكرة" الذي أقيم عليه حد الشهادة الكاذبة بأمر من عمر بن الخطاب أمام جمع من المسلمين في قضية الزنا التي نسبت إلى المغيرة بن شعبة .

هذه الناحية تبين كذب الرواية أصلا. ولكن أقول ولو صح هذا القول عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو ليس تشريعا لكل زمان ومكان وإنما هو تعليق. فعلى المرأة المسلمة أن تعلم أن لها الحق بأن تنتخب وأن تنتخب وأن تمارس أعلى مراكز المسؤولية في الدولة الإسلامية حتى رئاسة الدولة ويحق لها أن تصلي الجمعة مع الرجال وتشارك في ممارس مهمات السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية على أن تكون مؤهلة لذلك.

- 8عقدة النكاح:

إن عقدة النكاح مفتوحة للرجل والمرأة على حد سواء، فيمكن أن تكون العصمة بيد الرجل وبيد المرأة. لذا

فإن عقد النكاح يجب أن ينص صراحة على العصمة، فإذا لم ينص فتصبح العصمة بشكل متساو للرجل والمرأة ولا يصح عقد النكاح إلا بالإيجاب والقبول والشهود "الإشهار" والصداق لذا قال) :ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) (البقرة 235 (وهنا)تعزموا عقدة النكاح (جاءت من مباشرة عقد النكاح، أي جاءت من "عزم" لقوله تعالى) :فإذا عزمت فتوكل على الله) (آل عمران 159 (فالعزم فيه مباشرة بالعمل. ويحق للمرأة أن تضع ما تريد في عقد النكاح، فالعقد شريعة المتعاقدين.

وهنا يجب علينا أن نفهم مشكلة ولي الأمر. فالمرأة المسلمة إذا كانت تحت السن القانونية فلا تتزوج بنفسها بدون ولي أمر لأن أجل الكتاب في النكاح الإسلامي هو الإيجاب والقبول والشهود والصداق، وهذه هي نفس الشروط التي يضعها أي قانون زواج مدني في كل أنحاء العالم لأنه لا يوجد في الإسلام زواج شرعي وزواج مدني فكلاهما واحد. حيث أن شروط عقد النكاح في الإسلام هي من حدود الله.

- 9الطلاق:

يحق للرجل والمرأة المسلمة على حد سواء طلب الطلاق. لذا فإن الطلاق الشفهي يعتبر من اللغو. فإذا قال الرجل لزوجه أنت طالق فهذا من باب اللغو ولا ينظر إليه بأي جدية. الطلاق بين الرجل والمرأة لا يكون إلا عن طريق القضاء حصرا. فإذا حصل الطلاق من قبل الرجل فيمكن أن يكون طلاقا رديا أو نهائيا .أما إذا حصل عن طريق المرأة فهو طلاق يمكن أن يرفضه الرجل فقط إذا كانت حاملا .

حيث أن للرجل أفضلية على المرأة في هذه الحالة فقط، أي أنه إذا حصل الطلاق من قبل الرجل أو المرأة وتبين أن المرأة حامل، في هذه الحالة للرجل درجة على المرأة في قوله) : والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم) (البقرة كلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم) (البقرة فقط يؤخذ برأيه دون رأيها أي له درجة عليها وذلك من أجل لم شمل العائلة فإن وجود طفل في رحم المرأة يمكن أن يغير الوضع كلية.

أما في حال الطلاق الكامل من الرجل للمرأة فلا يحق له ردها إلا بعد أن تنكح زوجا آخر، وقد أسيء استعمال هذه القاعدة من قبل بعض الفقهاء المتخلفين علما بأنما قاعدة عظيمة جدا وذلك لتبيان أن الطلاق عملية جدية جدا وليست مجرد انفصالات مؤقتة.

أما العدة فالهدف منها استبراء ارحم لقوله تعالى) :وأحصوا العدة) (الطلاق 1 (وقد شرحت مفهوم العدة في مبحث سابق، أما عدة الأرملة فهي أربعة أشهر وعشرة أيام، وعدتها أن لا تتزوج ولا تتحدث بزواج، أما جلوسها في بيتها وعدم كلامها مع الرجال فهذا من باب الأعراف المتخلفة. أما تعويض المطلقة فجعله الله مفتوحا تماما فلا حدود ولا قيود. إلا إذا أتت بفاحشة مبينة ولا يحق للرجل أن يعضل المرأة ويكارهها حتى

تسامحه في تعويضاهًا.

ويجب على المشرع أن يأخذ هذا في عين الاعتبار، فلا طلاق غيابيا دون دراية الزوجة، ولا يحق للقضاء أن يرفض طلاق المرأة إلا إذا كانت حاملا ولا يرغب زوجها في طلاقها. وما عدا ذلك فحق المرأة كحق الرجل تماما، أما مفهوم بيت الطاعة ومفهوم النفقة الهزيلة ومفهوم التعددية والطلاق التعسفي وتعنت الرجل في طلاق المرأة حتى تسامحه في حقوقها فهذا كله يجب إعادة النظر فيه كليا ويجب أن يكون دليلنا قوله تعالى) :يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) (النساء.19

- 10العلاقة بين الرجل والمرأة:

إن العلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام ينظر إليها من خلال مستويين مختلفين تماماً.

المستوى الأول: مستوى حدود الله "الحلال والحرام" المحدد من قبل الله سبحانه وتعالى، وهذا الحد هو الزنا والزنا هو علاقة الجماع الجنسي المباشر بين الرجل والمرأة بدون عقد نكاح والذي أطلق عليه مصطلح الفاحشة، فموضوع بحثنا هنا هو الزنا. وقد وضعه الله مع قتل النفس في مستويين: الأول مستوى تشريعي "عقوبات" حيث ورد القتل والزنا في الحدود. والثاني أخلاقي بحت حيث ورد القتل والزنا في الوصايا. فالإنسان المتحضر لا يقتل ولا يزني، ليس خوفا من العقوبة فقط ولكن من وازع ذاتي أخلاقي بحت أيضا. وبما أن الجماع الجنسي بدون عقد "الزنا" هو الحد الأعلى للعلاقة بين الرجل والمرأة فقد نظر إليه الكتاب من زاويتين مختلفتين تماما وهما حقوق الله وحقوق المجتمع:

-الزاوية الأولى: علاقة جماع بين رجل وامرأة دون شهود في الحفاء، في هذه الحالة المجتمع لا دخل له في ذلك ولا يحق له أن يطبق أية عقوبات بناء على الشبهات وعلى التخمين. وتبقى العلاقة بين الزاني وربه وباب التوبة مفتوح دائما عند الله، فعلاقة الناس بالله سبحانه وتعالى علاقة معصية وتوبة وعلاقة الله بالناس علاقة رحمة ومغفرة.

-الزاوية الثانية: علاقة جماع بين رجل وامرأة علنية، والعلن حدده الله سبحانه وتعالى في أربعة شهود عدول شاهدوا العملية تماما، وبالنسبة للخيانة الزوجية شهادة أحدهما بأربع شهادات. في هذه الحالة هناك علاقة التوبة والمغفرة بين العبد وربه، وعلاقة الزاني بالمجتمع، وقد وضع الله هذه العلاقة بعقوبة حدية قدرها 100 جلدة بدون زيادة أو نقصان. وفي حالة الاعتراف بدون شهود حاول النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يطبق الحد بالتماس الشبهات. أما بالنسبة للخيانة الزوجية فتكفي شهادة أحد الزوجين لأن الشهادة تعتبر بأربع شهادات ولكن يمكن لأحدهما أن يدرأ عن نفسه العذاب "الحد" بالشهادة الخامسة وتبقى العلاقة بين العبد وربه.

من هنا نفهم حرص الإسلام الشديد على عدم علنية الفاحشة وإشاعتها وبالتالي حرصه الشديد على منع

الناس من قذف أعراض الآخرين وتوجيه الاتمامات لهم بدون بينات.

-المستوى الثاني: علاقة الرجل بالمرأة بالمستويات دون العلاقة الجنسية .هذه الناحية تركها الله لحدود الناس، فهم يضعون حدودا لعلاقة الرجل والمرأة وهذه الحدود تتبع أعراف البلد أو ما يسمى بالآداب العامة في كل بلد، وهي تختلف من بلد لآخر ومن زمان لآخر، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم أن كل علاقة بين الرجل والمرأة لا تصل إلى الجماع الجنسي "فهي ليست زنا" وأن كل علاقة تنتهي بالجماع الجنسي فهي زنا من أولها إلى آخرها ''والفرج يصدق ذلك أو يكذبه.''

قد يسأل سائل: إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يصافح النبي صلى الله عليه وسلم النساء، وبنفس الوقت قال "والفرج يصدق ذلك أو يكذبه"؟ أقول إن النبي صلى الله عليه وسلم خاطب الناس بأن الفرج هو الذي يصدق أو يكذب الزنا، وبنفس الوقت وضع حدا لنفسه كنبي ورسول ورئيس دولة، ونضرب مثالا على ذلك : في منصب رئيس الدولة في الولايات المتحدة أو فرنسا أو روسيا، في هذه الدول الأعراف تسمح بعلاقة بين الرجل والمرأة قد تصل إلى حد الزنا المخفي لا العلني ولا يوجد ما يمنع هذه العلاقة عرفا ولا تشريعا، ولكن عندما يرشح إنسان ما نفسه لمنصب الرئاسة، ويتبين أنه كان عنده علاقات غرامية وهو متزوج أو أنه ينتقل من امرأة إلى أخرى، فإن هذا الوضع يقضي عليه حكما ولا يمكن أن يقبل ترشيحه لهذا المنصب الرفيع .

فالنبي صلى الله عليه وسلم في سلوكه الشخصي كان حريصا جدا على أمور كهذه وقد أعطى نموذجا يحتذى به للناس أصحاب المناصب العليا على وجوب حرصهم على سمعتهم في علاقاهم مع الآخرين، لأن الإنسان صاحب المنصب الرفيع عرضة لأنظار الناس وأفواههم أكثر بكثير من الإنسان العادي. وكذلك أيضا زوجات هؤلاء الناس، يجب أن يعتبرن أنفسهن ليس كبقية النساء، ومن هذا المنطلق أكد الله سبحانه وتعالى على زوجات النبي بقوله) :يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) (الأحزاب 32. (وقد وضع الإسلام بهذا أسسا هامة جدا أخذت الصيغة العالمية المتحضرة وهي الحرص الشديد في السلوك الشخصي بالنسبة للناس ذوي المناصب الرفيعة هم وأزواجهم.

الباب الرابع: في القرآن الفصل الأول الشهوات الإنسانية

تهيد:

يقوم النظام الاقتصادي في الإسلام على مبدأ "متاع الحياة الدنيا" أي ما ينتفع به من الأشياء في الحياة الدنيا طال هذا الانتفاع أو قصر، ويقوم على المتطلبات الإنسانية، الجانب البشري الغريزي والجانب الإنساني الشهواني، حيث أن هذين الجانبين تداخلا بعضهما ببعض بحيث صار من الصعب فرز كل واحد على حدة، فالإنسان لا يأكل فقط من أجل إملاء المعدة "الجانب الغريزي" ولكن يأكل من خلال الشهوات أيضا، فهناك صنوف الأطعمة وطريقة تحضيرها والأصناف المركبة لكل طعام وكذلك استعمال النار، وحتى الجماع الجنسي فهو غريزة بشرية ولكنها ترافقت مع شهوات إنسانية من لباس وزينة وحفلات الزفاف . فالغرائز عبارة عن رغبات غير واعية وهي تتبع الجانب البشري الحيوي من الإنسان وفي هذا الجانب يكون الانسان كالحيوان تماها.

أما الشهوات فهي رغبات واعية وهي تخص الإنسان فقط. وبما أن الغرائز توجد لدى الحيوان أيضا، والحيوانات لا تشكل مجتمعات وإنما تشكل قطعانا، فنقول قطيع من الغنم وقطيع من البقر، وسرب منا لطيور، ولا نقول مجتمع من الغنم .والمجتمع له علاقات واعية بين أفراده وهو يخص الإنسان فقط .

لذا فإن أساس الحياة الاجتماعية والاقتصادية يقوم على الشهوات الإنسانية فلا نقول إن هناك علاقات اقتصادية، ودورة اقتصادية في البهائم حيث أن الغرائز فيها تمارس دون علاقات واعية، والغرائز وحدها لا تكفي لصنع نظام اقتصادي، لذا فإنه ضمن ظروف اقتصادية واجتماعية سيئة نقول إن الإنسان يفقد إنسانيته ولكن لا نقول إنه يفقد بشريته.

فما هي مقومات الحياة الاقتصادية عند الإنسان؟!

لقد حدد القرآن مقومات قوانين الاقتصاد الإنساني بالبندين التاليين:

- 1إن مادة الاقتصاد الإنساني هي "متاع الحياة الدنيا"، وهذا المتاع غير ناضج وخاضع للتبدل والتحول ولا يخضع للثبات. وقد حدد القرآن الحياة الاقتصادية على أنها متاع في الآيات التالية:

) -وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) (القصص 60.(

-) -يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع) (غافر 39.(
-) فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا) (الشورى 36.(
 -) -المال والبنون زينة الحياة الدنيا) (الكهف 46.(

وقد بين أن متاع الحياة الدنيا غير ناضج ولا يحوي صفة الكمال وإنما يخضع للتطور وتنطبق عليه قوانين الجدل الداخلي في قوله تعالى)وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) (آل عمران 185.(والغرور جاءت من الأصل "غر" وهو قلة الخبرة وعدم النضوج.

- 2إن "متاع الحياة الدنيا" بالنسبة للإنسان له مصدران أساسيان لا ثلاث لهما وهما:
- أ خيرات الطبيعة "الأرض" بما تحويه من غابات ونباتات ومصادر معدنية ومياه وأنعام.
 - ب عمل الإنسان الواعي.

وقد ورد هذان المصدران في سورة يس في قوله) : وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) (يس 33-35 (وقوله) : أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوهم ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) (يس 71-73. (نلاحظ في هذه الآيات كيف حدد أساس الحياة في موارد الطبيعة من نبات وحيوان ومياه في قوله) : ليأكلوا من ثمره (وقوله) : ومنها يأكلون (وعمل الإنسان في قوله) : وما عملته أيديهم (، هنا "ما" اسم موصول بمعنى الذي، أي والذي عملته أيديهم.

وبما أن عمل الإنسان الواعي والذي يقوم على علاقات واعية يخص الإنسان فقط، فيجب علينا تحديد الشهوات الإنسانية الرئيسية التي تلعب دورا أساسيا في سلوكه الشخصي والاجتماعي والتي تلعب دورا كدور الغرائز.

الفرع الأول: الشهوات الإنسانية المذكورة في القرآن

لنضع تعريفا لكل من الغرائز والشهوات:

-الغرائز: هي رغبات غير واعية وهي ذات منشأ فيزيولوجي بحت، أي أنها مغروزة فيا لطبيعة البشرية للإنسان مثل غريزة الطعام وغريزة الجنس وغريزة البقاء، وهذه تعتبر أهما لغرائز الموجودة في الكائنات الحية ومن جملتها البشر.

-الشهوات: هي رغبات واعية وهي ذات منشأ معرفي واجتماعي وموجودة فقط في الإنسان، أي بعد الأنسنة لا قبلها، لذا فلها بداية تاريخية "معرفية واجتماعية."

لقد عرف القرآن الشهوات عل هذا الأساس أي أها ذات منشأ معرفي واجتماعي ولها بداية تاريخية.

لنأخذ قوله تعالى) :ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) (الأعراف 80 (اإنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون) (الأعراف 81 . (هنا نلاحظ أنه قال عن ظاهرة اللواط بأنها شهوة وعلق عليها بقوله) :ما سبقكم بها من أحد من العالمين . (ولم يقل عن ظاهرة الجماع الطبيعي شهوة لأن هذه الظاهرة ليس لها أية بداية تاريخية واعية، بل هي وجود فيزيولوجي بحت، ثم قال) :بل أنتم قوم مسرفون . (

السؤال الآن: أسرفوا في ماذا؟ فالإسراف هو الزيادة في استعمال شيء ما كقوله تعالى) :وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) (الأعراف 31 (أي لا تسرفوا في الطعام والشراب. فهنا قال لهم "مسرون" هل أسرفوا في اللواط؟ فاللواط فاحشة وهو حرام قل أو كثر ولكن جاء الإسراف هنا في الشهوات عندما قال)شهوة من دون النساء (أي أنا لشهوات الإنسانية مقبولة وهي فطرة الناس ولكن الإسراف فيها مرفوض ووضع القرآن اللواط أحد أنواع الإسراف في الشهوات، كما وصف القرآن نعيم الجنة بأنه من الشهوات "أي رغبات اللواط أحد أنواع الإسراف في الشهوات، كما وصف القرآن نعيم الجنة بأنه من الشهوات "أي رغبات يريدها الإنسان عن وعي" وذلك بقوله)وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون) (الأنبياء 192 (وقوله) :ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيه ما تدعون) (فصلت 31 (وقوله) :وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين () الزخرف 71 (وقوله) :وبجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) (النحل 57 .(وقوله) :وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل) (سبأ 54) (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) (الطور 22 (وقوله) :وفاكهة ثما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون) (الواقعة 20-21).

هنا نلاحظ كيف وضع الشهوات الإنسانية حيث يريدها ويرغبها عن معرفة لا عن سلوك لا إرادي. فإذا سأل سائل كيف قال) :ولحم طير مما يشتهون (أليس الطعام غريزة؟ أقول: نعم الطعام غريزة ولكن اللحم المشوي والحساء والسلطة والأطعمة المصنعة كلها شهوات لأن اللحم المشوي مارسه الإنسان بعد أن عرف النار واستفاد منها، فالحيوان يأكل اللحم طبيعيا تماما والإنسان الآن يأكله بعد معالجة. فعملية إملاء المعدة غريزة، ما نوع الأكل وطريقة معالجته ووضع المعرفة الإنسانية فيه فيدخل في الشهوات، وكذلك الجنس فهو غريزة ولكن الزينة والحلاقة والعطور شهوات لألها كلها تولدت عن معرفة وتمارس من قبل الإنسان فقط. وشرب الماء غريزة، ولكن شرب المياه الغازية وشراب البرتقال والعنب يعتبر شهوة، والشرب من خلال أوعية للشرب من أقداح وكؤوس يدخل في الشهوات.

وبما أن الشهوات إنسانية بحتة تولدت عن معرفة وبالتالي تدخل فيها وسائل الإنتاج مثل النار مصدر الشواء وعملية الصيد الواعية للحيوان ومن ثم مع تقدم المعرفة تقدمت وسائل الإنتاج وتقدم تنوع الإنتاج كيفا وكما، وتشعبت الشهوات الإنسانية كما وكيفاوهي في حالة تطور دائم، لذا نظر الإسلام إليها نظرة حنيفية "متطورة" أي لا ثوابت فيها وصنف حب التطور والتجدد في الأشياء أول الشهوات وأعرقها في الإنسان. لقد حدد القرآن الشهوات الإنسانية الرئيسية والتي منها تتشعب كل الشهوات بالآية التالية)زين للناس حب

الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) (آل عمران 14" (نوع الآية: قرآن، متشابه" وهي بحاجة إلى تأويل، والتأويل هو مطابقة الآية مع العقل والحقيقة أي صدق الخبر موضوعيا وعقلانيته.

- -التأويل:
- 1هنا قال "الناس" والناس هم الذكور والإناث من العاقل وهي جمع إنسان لقوله تعالى) :يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات 13. () 2حب الشهوات (والشهوات هي رغبات واعية إنسانية، ووضع)زين (للمجهول لأن المهم هنا هو الفعل نفسه "الخبر" وليس الفاعل، والزينة هنا لأمور يرغبها الناس ولا يعافولها كقوله تعالى) :حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت) (يونس 24. (وقوله) :ولا يبدين زينتهن) (النور 31 (وقوله) :والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) (النحل 8. (
 - 3لقد عدد في هذه الآية ست شهوات وهي حسب الترتيب في الآية كالتالى:
 - -1 النساء، 2- البنين، 3- القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، 4- الخيل المسومة، 5- الأنعام، 6- الحرث.
- 4 بعد أن عدد هذه الشهوات قال عنها) :ذلك متاع الحياة الدنيا) (آل عمران 14 (هنا "ذلك" اسم إشارة للدلالة على الشهوات الست السابق ذكرها وقال عنها إلها متاع الحياة الدنيا. أما كلمة "متاع" فقد جاءت في الكتاب كلمة للدلالة على أشياء ينتفع بها الإنسان ضمن فترة من الزمن ويرغب في اقتنائها، ومنها جاءت المتعة وهي اقتناء شيء أو القيام بعمل ينتفع منه الإنسان فيسبب له السرور ويرغب في حيازته أو القيام به عن وعي. فالحيوانات لا يوجد عندها متاع ومتعة إلا طعامها الذي تتغذى به دون وعي لذا قال) :أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم) (النازعات 31-33 (فالكلاً يعتبر متاعا للأنعام ولكن لا يعتبر متاعا للحيوانات اللاحمة .

أما الأمتعة فهي حالة خاصة من المتاع وهي متاع المسافر والمقاتل لذا قال) :ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم) (النساء 102.(

لنأخذ الآن الآيات التالية:

) - 1 قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) (يوسف 17) (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم) (يوسف 65) (قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) (يوسف 79. (هنا جاء المتاع في معنى الحاجات التي أخذوها معهم والتي يحتاجون إليها في مرتعهم وملعبهم وتمارينهم ومأكلهم، وعندما يكون المتاع معدا للبيع والمقايضة يصبح بضاعة.

-) 2ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) (النور 29 (هنا جاءت أيضا الحاجات التي ينتفع بها ويرغب الإنسان بامتلاكها.
-) 3يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا () الأحزاب 28) (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من رواء حجاب) (الأحزاب 28.(
 -) 4وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) (البقرة 241.(
-) 5لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين) (البقرة 236.(

هنا في الآيات الثلاث المتعلقة بالمطلقات ذكر أن على الرجال ن يمتعوهن، والمتاع هنا أن يعطيها أشياء تنتفع بما وترغب المرأة في اقتنائها كالمال والحلي والملابس وما شابه ذلك وقد ربط ذلك بالمعروف أي حسب الأعراف المتبعة في كل بلد وفي كل زمن لذا قال)متاعا بالمعروف (وهنا أخذا لمعروف شكله النسبي البحت أي لا يوجد معروف مطلق.

-) 6وفاكهة وأبا * متاعا لكم ولأنعامكم) (عبس 31-32.
-) 7والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم (النازعات 31-32-33 (فالكلأ يعتبر متاعات للأنعام والمتاع من الأشياء التي ينتفع بها واللازمة لحياة الإنسان ومعاشه. لذا ذكر الغطاء النباتي الطبيعي للأرض على أنه متاع للإنسان وللأنعام بقوله) :متاعا لكم ولأنعامكم .(وقد حدد كلمة المتاع بشكل قطعي بقوله:
 -) 8فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون () الشورى 36 (هنا نلاحظ كيف ربط الأشياء بالمتاع.
-) 9وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا) (البقرة 126 (هنا لاحظ قوله): فأمتعه قليلا (أي أن أشياء الحياة الدنيا من لباس وبيوت وسيارات وأنعام وأرض وزراعة وحلي هي للمؤمن والكافر على حد سواء، ومن الخطأ أن نقول إن المتاع هذا وقف للكفار في الحياة الدنيا وإنما هو للمؤمن والكافر على حد سواء أي للناس كلهم. وقولك "تمتع بعضنا ببعض" أي انتفع بعضنا ببعض لوجود المنافع المتبادلة.
 - 10ما قوله تعالى)وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) (الحديد 20، آل عمران 185 (فقد قلنا إن المتاع شيء ينتفع به ويولد السرور ضمن فترة زمنية، هذه الأشياء في الحياة الدنيا والتي نتمتع بها مثل الفواكه والأطعمة والسيارات والبيوت، والتي هي متاع الحياة الدنيا والتي وصفها بالغرور وهو النقصان وعدم النضوج، إن كل ما نصنعه نحن الناس يمكن تجاوزه إلى أحسن منه، هذا من باب صنع الإنسان، ومن باب خيرات الطبيعة فالتفاح بحاجة إلى رش وسماد ورعاية وأدوية حتى عطي الإنتاج مرة واحدة في السنة، أي في

الموسم الواحد، أما متاع الآخرة فهو متاع غير ناقص "ناضج" وذلك بعد تغير في صيرورة قوانين المادة فالزراعة لا تحتاج إلى عمل وإلى أدوية، بل كل ما سيوجد هناك لا عيب فيه ولا يمكن تجاوزه إلى أحسن منه. لنعود الآن إلى آية الشهوات الرئيسية الست للناس والتي وصفها بألها)متاع الحياة الدنيا) (آل عمران 14 (والتي أتبعها بقوله) :والله عنده حسن المآب (للدلالة على ألها)متاع الغرور (متاع غير ناضج غير مكتمل. لقد ذكر أن الشهوة الأولى من هذه الشهوات "النساء". فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل النساء المقصودات في هذه الآية هن أزواج الرجال؟ فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا قال) :زين للناس) (آل عمران 14 (والناس هم الذكور والإناث معا ولم يقل زين للرجال؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قال في لهاية الآية) :ذلك متاع الحياة الدنيا (فإذا كان المقصود بالنساء أزواج الرجال فهل هذا يعني أن المرأة حاجة كالطعام والشراب والبيت والسيارة والحذاء؟ ومن ناحية أخرى أيضا إذا كان المقصود بالنساء أزواج الرجال فقد وردت في الشهوات مع الخيل المسومة ومع الأنعام التي هي الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والماعز والإبل.

هذا الفهم الخاطئ الشنيع هو الذي سمح للفقهاء المسلمين، والمسلمين بشكل عام، بأن يعاملوا المرأة كالغنم والبقر وعلى ألها شيء من الأشياء.

السؤال الثاني هل البنون المذكورون في هذه الآية هم الذكور من الأولاد؟

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن مرة أخرى: هل الذكور من الأولاد هم أشياء "متاع"؟ وكيف عطفهم على الخيل والبقر والغنم؟

السؤال الثالث: إن النساء هن من الناس والذكور من الناس أيضا فكيف تشتهي النساء النساء والذكور؟ علما بأن الغريزة الجنسية لا تدخل في الشهوات، وإنما هي من الغرائز المغروزة في بنية الإنسان الفيزيولوجية والتي يتشارك بها مع بقية البهائم.

السؤال الرابع: إن هذه الىية هي من القرآن فهي من الآيات المتشابحات وتحوي على خبر موضوعي وتأويلها هو مطابقتها مع الحقيقة الموضوعية بحيث يكون الخبر صادقا موضوعيا. فإذا كانت النساء هن الإناث والبنين الذكور من الأولاد فيصبح الخبر كاذباً، علما بأن الناس هم الذكور والإناث مؤمنين وكافرين ومتقين وفاجرين وهم كل الأمم والقوميات العربي والتركي والياباني والروسي والأمريكي والأفريقي...الخ. فعندما نأتي على لفظة النساء والبنين في آية من آيات الكتاب وخاصة "القرآن" يجب أن ننظر إلى سياق الآية ونفهم المعنى فهما يقتضيه العقل والموضوع والمطابقة مع الحقيقة "صدق الخبر" فعندما تأتي النساء أزواجا للرجال تأتي واضحة في سياق الآية كقوله تعالى) :الرجال قوامون على النساء) (النساء 34 (أو قوله:)للرجال نصيب ثما اكتسبوا وللنساء نصيب ثما اكتسبن) (النساء 32 (وقوله) :يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين) (النساء 11 (وقوله) :وبث منهما رجالا كثيرا ونساء (

)النساء 1 (وقوله) :يا نساء النبي) (الأحزاب 32 (وقوله) :إذا طلقتم النساء) (الطلاق 1. (أما البنين بمعنى الذكور من الأولاد فتفهم من سياق الآية كقوله) :فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون (ألصافات 149 (وقوله) :اصطفى البنات على البنين) (الصافات 153 (هنا جاءت النساء والبنون بالمعنى المجازي للكلمة، أما المعنى الحقيقي للنساء والبنين فهو ما يلي:

-النساء: جاءت في اللسان العربي من "نسأ" والنسيء هو التأخير كقوله تعالى) :إنما النسيء زيادة في الكفر () التوبة 37 (ونسيء ونسوء جمعها نسوة ونساء "معجم متن اللغة-أحمد رضا"، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم إن صح "من أحب أن يسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه" "صحيح مسلم ج3 ص وسلم إن وجاءت النساء أزواج الرجال في المعنى المجازي لأنها اشتقت من هذا الأصل. فالنساء جمع امرأة وجمع نسىء.

لقد فهم المفسرون الأوانل هذا بشكل بدائي جدا حيث قالوا إن الله خلق آدم ثم خلقت منه حواء أي أن الأنثى ظهرت في الوجود متأخرة عن الذكر ولهذا سميت الإناث نساء "أي تأخرن في الخلق" وهذا واضح في قوله تعالى) :يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) (النساء 1.(أما الفهم الموضوعي فهو بداية الوجود الحياتي للكائنات الحية كانت الذكورة الأنوثة مختلطة أي لم تكن أزواجا، فنر أن كائنا وحيد الخلية لا يتكاثر بالتزاوج وإنما يتكاثر بالانقسام، ومع تطور الكائنات الحية ظهرت الذكورة والأ،وثة وهذا ما نلاحظه تماما في الإنسان فالحيوان المنوي في الذكر يحتوي على الذكورة والأنوثة معا، أما البويضة في المرأة فلا تحوي إلا على الأنوثة فقط، وهذا واضح في قوله تعالى) :ألم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) (القيامة 37-39 (فالنطفة هنا هي الخلية ثم عرفها بالخلية المنوية فقال) :من مني يمنى (أي الخلية المنوية بعد اللقاح تتحول إلى علقة وهي التي تحدد الذكورة والأنوثة بقوله تعالى) :فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (هنا يحدد القرآن أن الأصل هو تحدد الذكورة والأنوثة معا، ثم تم انفصال الأنوثة على حدة ومن هنا جاءت كلمة النساء على ألها المتأخرات ويمكن الذكورة والأنوثة معلى كل شيء جاء متأخرا .

وهنا يظهر معنى النساء في آية الشهوات والتي تعتبر الشهوة رقم واحد والتي يشتهيها كل الناس وهي المتأخرات منا لمتاع "الأشياء" أي ما نسئ منها أو نقول عنه في المصطلح الحديث "الموضة" فالإنسان يشتهي آخر موضة في اللباس وفي السيارات وفي الأثاث والستائر وفي البيوت، فنرى أن هذه الشهوة الموجودة عند الإنسان في الأرض قاطبة والإنسان يشتهي المتأخر "الجديد" من الأشياء كلها فالأشياء المنتجة عام 1986 جاءت متأخرة عن ما قبلها" نسئت جاءت متأخرة عن ما قبلها" نسئت عما قبلها القرآن بمصطلح واحد هو النساء .

والنبي صلى الله عليه وسلم كإنسان تنطبق عليه هذه الآية فكان يحب هذه الشهوة من بين كل الشهوات وهي

التجديد وذلك بقوله إن صح "حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة" "الجامع الصغير ج1 ص "'145هنا فهم الكثيرون أن النساء هن أزواج الرجال، ولكن النساء هنا هي شهوة التجديد في الأشياء وقد جاءت بمعنى التأخير في سورة النور في قوله)أو نسائهن (أي ما تأخر عن المذكورين في الآية من أحفاد وفروع مهما نزلوا.

الآن إذا نظرنا إلى هذه الشهوة لوجدناها كامنة وراء التقدم الصناعي في إنتاج الأشياء "المتاع" فلولا هذه الشهوة لانخفض إنتاج معامل الألبسة مثلاوكل شيء يخضع للتجديد. هنا أريد أن أوضح أن المرأة ليست متاع الرجل والرجل ليس متاع المرأة وإنما علاقة الرجل بالمرأة هي علاقة حب ومودة ورحمة)وجعل بينكم مودة ورحمة) (الروم 21) (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) (البقرة 187.

-البنون: جاءت من الأصل "بنن" وتعني اللزوم والإقامة، وعندما يتزوج الذكر فإنه يبني على الأنثى وكان يبنى له خيمة منفصلة عند العرب، أما لفظة الابن فقد جاءت من "بنو" وهو نا لتوليد وجمعها أبناء فنقول ابن فلان وابن المدينة وابن القرية. فالمعنى الحقيقي للبنين هو من اللزوم والإقامة وهذه هي صفة الأبنية والبنيان، وقد جاءت في المعنى الحقيقي في قوله تعالى)أمدكم بأنعام وبنين) (الشعراء 133 (هنا ربط البناء بتذليل الأنعام فلولا تذليل الأنعام لما استقر الإنسان وبنى له مسكنا. وقوله) :المال والبنون زينة الحياة الدنيا ()الكهف 46 (فالبنون هنا هي الأبنية منا للزوم والإقامة وليس الذكور منا لأولاد والمال كل ما يمول به الإنسان من نقد ومواد تحويلية فقوله)والبنون (يعني الأبنية التي هي المواد غير المنقولة .

هنا لاحظ كيف تطابقت هذه الآية مع آية الشهوات حيث شهوات الإنسان أشياء منقولة وغير منقولة وهذه الأشياء متاع الحياة الدنيا وزينة الحياة الدنيا ''هنا لاحظ كيف تمت وحدة الموضوع في الآيات وكيف أصبح الخبر موضوعا صادقا .''فإذا سأل سائل: لماذا هذا التعقيد؟ أقول هذه الآيات من القرآن والقرآن كله متشابه "انظر فصل إعجاز القرآن.''

-القناطير المقنطرة منا لذهب والفضة: فاقناطير جمع قنطار، والقنطار جاء من المجموعة التي لها انحناء، فإذا جمعنا كميات من القمح أو التمر أو الشعير فإن تجمعها يأخذ شكل منحن ومن هنا جاءت المقنطرة أي ذات الانحناء كما نقول أيضا القناطر الخيرية أو الجسور التي لها أقواس "قناطر."

فيصبح معنى القناطير المقنطرة من الذهب والفضة هي العدد الكبير منا لحلي المصنعة منا لذهب والفضة والمصنعة بأشكال هندسية فيها منحنيات. فإذا نظرنا إلى أنواع الحلي المصنعة في العالم وجدنا أنه لا يوجد قطعة من الحلي ليس فيها شكل منحن "قنطرة" كالخواتم وعقود الرقبة وأقراط الأذنين والأساور في اليدين. هنا نستنتج نتيجة هامة بأن الإنسان يشتهي الذهب والفضة بعد تصنيعهما أي بعد وضع جهد وفن الإنسان فيهما لا في حالتهما الطبيعية وهما في باطن الأرض.

-الخيل المسومة: الخيل المدربة والمعلمة المرباة كقوله تعالى) :مسومة عند ربك) (هود 83 (نرى إلى يومنا هذا

أن الخيل المسومة هي منا لشهوات التي لا يستطيع إشباعها أي إنسان.

وبشر المؤمنين 0 (البقرة 223) هذه الآية تحتاج إلى تأويل.

-الأنعام: وتشمل مواشي الركوب ومواشي إنتاج اللحم واللبن اللذين يعتبران الغذاءين الرئيسين للإنسان. الحرث: من "حرث" ولها في اللسان العربي أصلان: الأصل الاول الجمع والكسب ومن هذا المعنى سمى الرجل "حارث" لأنه يجمع المال ويكسبه. من هذا المعنى للجمع والكسب جاء مفهوما لمنافع والحوافز المادية للإنسان في الدنيا والآخرة لقوله تعالى) :من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) (الشورى 20 . (هنا جاءت الحرث في الجمع والكسب على معنى العموم في الحوافز المادية بكل أنواعها بما فيها حوافز الثواب المادي في الآخرة وقد جاء الحرث بمعنى الجمع والكسب على معنى الخصوص بمفهوم المحصول الزراعي الذي يدخل عمل الإنسن فيه لا الغطاء النباتي للأرض ولا الأرض الزراعية لذا قال) :أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) (الواقعة 63 - للأرض ولا الأرض ما يجنيه الإنسان من محصول من العمل في الزراعة .

ولكي يبين أن الأرض غير الحرث قال) :إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث) (البقرة 71 (هنا لاحظ كيف فرق بين الأرض والحرث وربط فعل السقاية مع الحرث أي أن الحرث هو نتاج زراعي يحتاج إلى سقاية. وجاءت في هذا المعنى بقوله تعالى) :وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) (الأنعام 136 (وقوله تعالى) :وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم) (الأنبياء 78. أما قوله تعالى) :نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه

لناخذ الآية التي قبلها وهي) :ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) (البقرة 222 (في هذه الآية بين الله سبحانه وتعالى لنا اعتزال العلاقة الجنسية زمانا وهو زمن الحيض بقوله) :فاعتزلوا النساء في المحيض (وشرح لنا العلاقة الجنسية مكانا بقوله) :فأتوهن من حيث أمركم الله (أما الآية)نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أبي شئتم) (البقرة 223 (هذه الآية ليس لها علاقة بالعلاقة الجنسية بقوله تعالى "أبي شئتم" لأن الآية التي قبلها حددت المكان والزمان في العلاقات الجنسية بشكل لهائي وكامل.

ولنلاحظ كيف أتمها بقوله)وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين) (البقرة 223 (فهنا النساء تأتي بمعنى الأشياء المحدثة المستجدة فقال عنها إلها "حرث لكم" وهنا استعمل صيغة الجماعة للدلالة على الذكور والإناث معا لأنه في اللسان العربي يمكن أن يوجه الخطاب إلى الذكور والإناث معا بصيغة الذكورة كقوله) :قد أفلح المؤمنون) (المؤمنون 1 (فهنا المؤمنون هم الذكور والإناث وقوله) :وكنت من القانتين) (التحريم 12 (أي مريم كانت من القانتين من الذكور والإناث.

هذه الأشياء المستجدة قال عنها إنها حرث للناس أي هي من الأشياء المادية التي يحب الناس أن يجمعوها

ويكسبوها، وقد أباح الله سبحانه وتعالى لنا استعمالها متى نشاء وكيف نشاء أي "أنى" زمانية مكانية. وبما أن هذا الحرث هو من متاع الدنيا قال) :وقدموا لأنفسكم واتقوا الله) (البقرة 223 (أي علينا أن نتقي الله في استعمال هذه الأشياء وألا ننسى حقوق الله فيها وألا ننسى الآخرة وهذا واضحة في سورة المزمل بقوله)وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) (المزمل 20.

أما الأصل الآخر للحرث فهو إهزال الشيء أي جعله هزيلا.

وهكذا نرى أن لفظة النساء في الكتاب جاءت بمعنى جمع نسيء لا جمع امرأة في الآيات التالية:

- 1الآية 223 من سورة البقرة.
- 2 الآية 14 من سورة آل عمران.
- 3الآية 31 من سورة النور "بمعنى الأحفاد أي ما تلى المذكورين أعلاه من الذكور."
- 4الآية 55 من سورة الأحزاب "بمعنى الأحفاد" أي ما تلى المذكورين أعلاه من الذكور.

الفرع الثانى: أسس النظام الاقتصادي في الإسلام

إن الشهوات الإنسانية المذكورة هي من الأشياء المتمكنة في سلوك الإنسان وهي من العناصر الرئيسية الموجهة له في سلوكه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. فعلى أي نظام سياسي اقتصادي مبني على أسس إسلامية أن يأخذ بعين الاعتبار ما يلى:

- 1إن الإنسان يشتهي التجديد وكل جديد في الأشياء، فعلى أي تخطيط اقتصادي أن يأخذ هذا بعين الاعتبار بالنسبة لإنتاج السلع كما وكيفا وبالنسبة للعملية الإنتاجية نفسها وإلا فإنه سيفقد أهم حافظ من حوافز رغبة الناس في شراء السلع، وهكذا تعمل عملية الإنتاج وتبادل السلع بكل جد ونشاط وإذا لم يحصل ذلك فإن عملية البيع والإنتاج ستتم بالإكراه بغض النظر عن الطروحات وشعارات الدولة إسلامية أم غير السلامية. علما بأن الشهوات مرتبطة بشكل مباشر بالمستوى المعرفي للإنسان، فكلما زادت معرفته تشعبت شهواته.
 - 2إن مبدأ الحوافز المادية في الجمع والكسب "الحرث" هو أساس كل نظام اقتصادي مبني على النهج الإسلامي، فبدون هذا المبدأ يفقد الإنسان اهتمامه بالعمل والإنتاج.
- 3إن ملكية الأبنية السكنية والأشياء ومستجداها من أثاث ولباس ووسائل رفاهية ووسائل الاتصال الشخصية "السيارات مثلا" والحلي تدخل تحت بند الملكية الشخصية للإنسان ولا يحق لأحد أن يتدخل فيها.
- 4إن ملكية المواشي "وسائل إنتاج اللحم واللبن" تدخل تحت بند الملكية الخاصة لأنها كائنات حية تحتاج إلى حب ورعاية وعناية والشروط التاريخية الموضوعية تنظم شكل هذه الملكي وضوابطها.
 - 5لقد فصل الإسلام بين الأرض كملكية وبين المحصول الزراعي كنتاج عمل وجهد وتنظيم وإدارة،

والشروط الموضوعية التاريخية هي التي تحدد شكل الربط بين المحصول الزراعي والأرض. أي أن المصحول الزراعي يجب أن يكون ضمن الملكية الخاصة لأنه نتاج عمل وجهد والمزروعات كائنات حية تحتاج إلى رعاية خاصة. أما شكل الربط التاريخي فحسب الشروط الموضوعية حيث يكون بالشكل الذي يساعد على تطور الإنتاج وزيادته وفعالية استثمار الأرض.

وإذا كان هذا الشكل الذي نحتاره لا يحقق التطور والزيادة والفعالية فعلينا كمسلمين أن نحنف عنه "نميل عنه" بدون أي حرج لأنه يجب علينا أن لا ننسى أثناء تخطيطنا الاقتصادي أننا أمة ذات ملة حنيفية. أما بالنسبة للأرض بعد إشادة المباني السكنية عليها فإن بيوت السكن تدخل تحت بند الشهوات المشروعة لا الأرض التي تبنى عليها المساكن.

- 6إن المواد الخام الطبيعية منغابات ونفط وخامات معدنية ومراع لا تدخل تحت بند الشهوات وإنما تدخل تحت هذا البند بعد تصنيعها وقلبها لى سلع ''متاع" والظروف الموضوعية التاريخية تحدد شكل ملكيتها.
- 7إن النظام الإسلامي يقوم على أساس عدم الإفراط والتفريط في البنود أعلاه، أي عدم السرف والترف، والسرف هو الاختصاص بالنعم على ناس دون غيرهم "طبقة المترفين" أي عدم تكافؤ الفرص.
- 8إن بند الشهوات هو أحد البنود الحنيفية من الإسلام، لذا يجب أن تكون نظرتنا إلى هذه الأمور وتشريعاتنا الناظمة لها حنيفية أيضا أي عندما نرى أن أي تشريع من التشاريع المتعلقة بهذه البنود لا يتناسب مع الواقع أو يعرقل مسيرة النمو والتقدم والرفاهية، فما علينا إلا أن نحنف عنه "نميل عنه" وإلا ستنطبق علينا الآية)ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) (البقرة 130 (فنصبح من السفهاء أي "المجانين المتخلفين عقليا" لأن الحنيفية هي أساس النهج التقدمي في العالم كله.
- 9 فيما يتعلق بالنظام المصرفي والفوائد حيث يعتبر من أساسيات النظام الاقتصادي في أية دولة فقد شرحته في فصل الحدود.
- 10إن علاقة النشاط الواعي للإنسان مع الأرض يجب أن تكون علاقة مسؤولة، فلا يحق للإنسان أن يفسد الدورات الطبيعية للأرض من مناخ ورطوبة ومياه من جراء إقامته فيها لقوله)ولا تعثوا في الأرض مفسدين ()هود 85-الأعراف 74 (والأرض بما فيها من أنظمة حياتية معقدة هي مكان إقامة النسان ونشاطه الواعي ومصدر حياته، وقد أعطانا الله هذه الأرض أمانة بأيدينا لكي نعمرها ونستفيد منها)هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب) (هود 61 (وقد خلق الله الأرض وأنظمتها بشكل ألها قادرة على أن ترمم نفسها وتحافظ على صحتها، والمشكلة هي الإنسان ذو النشاط الواعي غير المسؤول والذي من جراء نشاطه هذا قد يؤدي إلى إفساد الأرض "مرضها" فعلى كل البرامج الاقتصادية في المسؤول والذي من جراء نشاطه هذا قد يؤدي إلى إفساد الأرض "مرضها" فعلى كل البرامج الاقتصادية في التنمية والاستثمار أن تأخذ هذه الناحية بعين الاعتبار لأن مرض الأرض من جراء عبث الإنسان فيها سيؤدي

إلى دمار الإنسان نفسه وتعتبر هذه الظاهرة اليوم هي من التناقضات الرئيسية في العالم كله من مشاكل تلوث بيئة وتصحر.

- 11إن أي طرح للعدالة النسبية لا يأخذ بعين الاعتبار البنود الواردة أعلاه فهو طرح طوباوي لا معنى له ومآله إلى الفشل لا محالة حيث أن قوانين الوجود وفطرة الإنسان المنسجمة معها لا تكذب على أحد ولا تغش أحدا وبنفس الوقت لا تساير أحدا. لذا وجب علينا معرفتها وطرح شعارات العدالة النسبية من خلالها لا من خراجها. وإذا تم الطرح من خارجها فنكون قد وضعنا القانون الأخلاقي بشكل متصادم ومعاكس للقانون الموضوعي، فنقع في الوهم ومضيعة الوقت والمال والأنفس.

الفرع الثالث: أسس المفاهيم الجمالية في الشهوات الإنسانية

بما أن الشهوات الإنسانية نتجت عن معرفة الإنسان بالموجودات المحيطة به وهي من نتاج نفخة الروح، حيث أن هذه النفخة نتج عنها الفكر وارتباطه باللغة وقدرة الإنسان على التجريد بالمعرفة والتشريع، فقد تطور مفهوم الجمال مع المعرفة وظهرت المفاهيم الجمالية المعرفية خلال السياق التاريخي للتطور الإنساني، ورافق هذا التطور المعرفي تطور المعايير الجمالية والأخلاقية، فجاءت المعايير الأخلاقية في الوصايا.

وبحثنا الآن هو نشأة المعايير الجمالية وتطورها وترافقها مع المعرفة الإنسانية. وبما أن المعرفة الإنسانية هي خاصية تتبع جدل الإنسان، فما هو تعريف الجمال؟ خاصية تتبع جدل الإنسان، فما هو تعريف الجمال؟ من الناحية الجدلية الجمال والقبح هما نقيضان يوجدان في النفس الإنسانية المدركة ويظهر التعبير عنهما والجدل بينهما حسب درجة وعي الإنسان للعالم الموضوعي الذي يعيش فيه ويمارس نشاطه ضمنه كظواهر متصلة بعضها ببعض "الجزئي" ضمن وحدة جدلية الانفصال والاتصال للموضوع التي ينتج عن وعي الإنسان لها الحركة المستمرة للجمال والقبح "الحنيفية" فكلما زاد وعي الإنسان لهذه الظواهر الموضوعية منفصلة ومتصلة تتغير مفاهيم الجمال والقبح عنده.

أما الأخلاق فهي مفاهيم ذاتية تنتمي إلى جدل الإنسان ولكنها منفصلة عن مفاهيم الجمال والقبح حيث ألها تحمل الطابع الكوني الشمولي وهي قيم ذاتية تؤثر في طريقة التعبير عن مفاهيم الجمال عند الناس، أي أن الأخلاق مرتبطة مع الجمال بعلاقة عضوية مؤثرة غير تناقضية. إن جميع الفنون الإنسانية قاطبة ظهرت من خلال المنفصل والمتصل والكلى والجزئي.

قبل أن نبدأ ببحث الجمال ومركباته بعد أن عرفناه علينا الإجابة على السؤال التالي:

هل خلق الله الكون والإنسان من أجل الجمال؟ أي هل هناك غاية جمالية في الطبيعة؟ فإذا كان كذلك فهذا يعني أن للجمال وجودا مطلقا ويفقد الجمال مفهوما لنسبية والتطور وتصبح غاية المعرفة الإنسانية هي التعرف على جمال الطبيعة المطلق الموجود خارج الوعي، فبذلك تدخل علوم الفلك والفيزياء والكيمياء والطب تحت

علم الجمال.

لقد أدرك الإنسان مفهوم الجمال المتطور دائما. من خلال إدراكه لقوانين الجدل المادي في الوجود)الثنائية التناقضية والزوجية والضدية (التي تحكم الأشياء وظواهرها. فعندما ينظر الإنسان إلى ظواهر الطبيعة ومركباتها ويرى أن كل عنصر يقوم بوظيفته ضمن قوانين ناظمة له فإن هذا الإدراك يولد الشعور بالجمال في جدل الإنسان. فعندما ننظر لى العيون ذات الألوان والأبعاد الطبيعية ثم ندرك أن هذه العيون فاقدة البصر فإنما تفقد جمالها في نظرنا، لأن العين في وعينا وجدت لتقوم بوظيفة الإبصار.

فالوظيفة هي أساس الجمال وبعد ذلك يأتي البعد والموقع ونوع المادة واللون التي هي مركبات الجمال، فالجمال شعور يتولد لدى الإنسان الواعي لذا فهو خاص ذاتية (Subjective)تتولد في الشعور الإنساني من جراء إدراك العالم الموضوعي والاجتماعي عندما يقوم بوظيفته التي نعيها طبقا لدائرة معارفنا، والقبح نقيض ذلك لذا فن مفهومي الجمال والقبح غير مستقرين بل متطوران مع تطور العلوم الطبيعية والاجتماعية "وهذه هي الحنيفية في الجمال.(

لنر الآن ما هي المكونات الموضوعية للجمال عند الإنسان والتي من خلال وعيها والحاجة إليها نمت مفاهيم الجمال عنده وتقلمت "تميز بعضها عن بعض .''إن مادة الجمال والقبح أي الجانب الموضوعي هي: الأصوات، الحركة، الألوان، الخطوط، النص اللغوي "الكلمة، الشعر، النثر، الصياغة اللغوية". والتي يظهر فيها كلها جدل الانفصال والاتصال الكلي والجزئي الموجودين في آن واحد في الموضوع المراد التعبير عنه فأول مادة من مواد الجمال والقبح هي الأصوات والحركات.

إن السبب في دمج الأصوات والحركات معا هو ألهما قديمين قدم الإنسان على الأرض، وهما موضوعان مارس فيهما الإنسان مفاهيم الجمال لألهما يدخلان في تركيب جسم الإنسان ذاته أي هما أول ما عرف الإنسان، لأن له جهازا صوتيا، وأول ما ميز العالم الخارجي الأصوات، فهي وسيلة التمييز حيث كان تقليد أصوات الطبيعة والحيوان عند الإنسان لا يحتاج إلى وسيلة خارجية بل احتاج إلى جهاز صوتي موجود عنده، وكذلك أيضا الحركات فجسم الإنسان متحرك جيئة وذهابا يحرك يديه ورأسه ورجليه بمرونة كبيرة، لذا كانت ولا زالت الأصوات والحركات هي أكثر التعبيرات أصالة عن مفاهيم الجمال لقدمها، وكل الفنون التي تتعلق بالأصوات والحركات "الغناء والرقص والرياضة" هي من أكثر الفنون أصالة في تاريخ الإنسان. لذا لا يوجد شعب من شعوب الأرض من أكثرها بدائية إلى أرقاها تحضرا إلا عنده الغناء والرقص "الصوت والحركة." هذه الأصوات وعاها الإنسان منفصلة ومتصلة، فوعيه المنفصل لها جاء بتقليد الأصوات الطبيعية كل على حدة وهذا ما جاء التعبير عنه في الغناء المنفرد ووعاها بشكل متصل كمجموعة من الأصوات الطبيعية كل على بعضها مع بعض في إيقاع أو بلا إيقاع، وهو ما جاء التعبير عنه أيضا في الغناء الجماعي والذي كان يمثل التعبير عن موقف اجتماعي أو بلا إيقاع، وهو ما جاء التعبير عنه أيضا في الغناء الجماعي والذي كان يمثل التعبير عن موقف اجتماعي أو بلا إيقاع، وهو ما جاء التعبير عنه أيضا في الغناء الجماعي والذي كان يمثل التعبير عن موقف اجتماعي أو سياسي أو أخلاقي. "ظهر هذا الموقف عند العرب في الهجرة النبوية عند

استقبال النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة بغناء جماعي معبرا عن موقف فكري وسياسي." أي أن الجمال الجزئي في الصوت والحركة "الغناء الفردي والرقص الفردي" جاء سابقا للغناء الجماعي والرقص الجماعي حيث أن الجماعية تحتاج إلى وعي متقدم على افردية وتحتاج إلى مفهوم وموقف مشترك بين الجماعة التي تؤدي الدور الغنائي والرقصي وبين الجماعة التي تشاهده ومع زيادة الوعي والحاجة إلى مواقف مشتركة ومفاهيم مشتركة أي زيادة درجة التقدم الاجتماعي عند الإنسان وزيادة التقدم العلمي بالموجودات "الأصوات، والحركات" نما وتشعب هذان الشكلان من الفنون، ففي جمال الأصوات حصل ما يلي: ظهور الآلة الموسيقية التي بدأت بأشكال بدائية جدا كضرب العصا على الأرض وضرب العصا على عصا، أو ضرب كف على كف "التصفيق وهو أقدم تعبير موسيقي مازال موجودا عند الإنسان"، ضرب الرجل على الأرض ظهرت هذه الآلات مع نمو المعرفة الإنسانية بالإضافة إلى البذور الفطرية الجمالية في الإنسان، فظهر جمال الصوت في الآلات بأن أصبح هناك آلات ذات أصوات مختلفة، فهناك الآلات الوترية والنافخة والإيقاعية "الطبل وما شابه" بحيث أصبح لكل آلة صوت جمالي خاص بما وظهر مع ظهور هذه الآلات مفاهيم النوتة الموسيقية للتعبير عن وحدة الموضوع بين الجزئي والكلي، كل آلة على حدة، والكلي في الآلات المختلفة وهي تعمل بعضهامع بعضها الآخر للتعبير عن موضوع معقد، ولم تظهر النواحي الجمالية في الموضوع المعبر عنه إلا من خلال عمل الآلات ككل متصل، علما بأنه خلال العزف المتصل يظهر جمال المنفصل كل على حدة ضمن مقاطع منفصلة لكل آلة "البيانو الكمان، العود" من هنا كانت الموسيقي والغناء من أكثر الفنون أصالة عند الإنسان لأنها أقدمها ظهورا.

أما الحركات فقد مارسها الإنسان البدائي بشكل حركات طبيعية تشبه الحركات التي كان يمارسها في العمل والصيد والجماع الجنسي لذا كانت حركات فردية بالأساس ثم معنمو وعي العالم الموضوعي تطورت هذه الحركات وظهر منها نوعان من الفنون: النوع الأول الرقص، والنوع الثاني الرياضة، ففي البداية لم يجد الإنسان تمييزات واضحة بين الرقص كقيمة جمالية وبين الرياضة حيث ألهما كانا مندمجين بعضهما ببعض، ثم ظهر الانفصال بينهما "التقليم" من جراء تقدم المعرفة الإنسانية وبالتالي تقدم التقليم بين الأشياء ومن ضمنها الحركات.

فبتقدم الحركات إلى الرقص نتج نوعان من الرقص: الرقص الفردي والرقص الجماعي وهذا واضح في الرقص العربي وفي رقص الباليه وفي دور الراقصة الرئيسية في الرقص الجماعي وهذا واضح في تناسق الحركات بين الفردي والجماعي أي بين الواحد والمجموعة.

أما في الرياضة فقد ظهر بشكل واضح أكثر بين الرياضة الفردية والجماعية، فقد ظهرت الرياضة الفردية عند الشعوب قبل الرياضة الجماعية تحتاج إلى وعي لتتقدم على الرياضة الفردية، فالرياضة الفردية ظهرت في ألعاب القوة والقوى والسباحة والسباق، والرياضة الجماعية ظهرت في ألعاب الكرات

المختلفة. وفي الرياضة الفردية يظهر جمال الجزئي في الأداء، وفي الرياضة الجماعية يظهر جمال الكلي في التناسق والإيقاع في إخراج الموضوع "كرة القدم يظهر الموضوع في تسجيل الهدف" والجزئي في اللاعبين ذوي الأداء المتميز "المهارات الفردية."

أما عندما ندمج الصوت والحركة معا فيظهر تعقيد إخراج الموضوع في الصوت والحركة وهذا واضح في فن الباليه. وبما أن الرياضة تعتمد فقط على جمال الحركة وبلوغ الهدف فيمكن أداؤها دون أصوات موسيقية حتى يومنا هذا، علما بأنه يمكن مواكبة صوت البيانو مع بعض الحركات الرياضية المحدودة.

لناخذ الآن موضوع الألوان والخطوط حيث تعتبر من المواضيع التي اهتم بما الفن التشكيلي)الرسم والنحت وفن العمارة .(

لقد تم دمجها بعضها ببعض لأن لها بداية تاريخية واحدة وهي كما ورد في قوله تعالى) :والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) (النحل 81.(

)والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها واوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين) (النحل 80.(

لقد عاش الإنسان قبل أنسنته عندما كان بشرا في الغابت وعندما بدأ ظهرو الوعي وبدأ عملية الأنسنة كان يعيش في الغابات "جنة آدم" لقوله) :إن لك ألا تجوع فيها ولاتعرى)(طه 118) .(وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) (طه 119 (ففي هذه المرحلة كانت الغابات تؤمن له المأوى)والله جعل لكم مما خلق ظلالا) (النحل 81 (وكانت تؤمن مرحلة حياتية متصلة مع المرحلة البهيمية، ثم انتقل بعد ذلك إلى العراء وكانت المرحلة الثانية مرحلة العراء والسعي وراء الطعام وهي مرحلة الصيد وكان سكن الإنسان في هذها لمرحلة هو الكهوف)وجعل لكم منا لجبال أكنانا) (النحل 81.

فعندما سكن الإنسان الكهوف منتقلا من مرحلة الغابات عاش في جماعاتمتفرقة وكان عارياً لذا ذكر بعدها وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) (النحل 81 (لأن الإنسان في بداية حياته في الغابات والكهوف كان يعيش في مناطق حارة ولم يصل بعد إلى المناطق الباردة. ففي البداية كانت للكهوف وظيفة عضوية فقط ضمن الحاجة الملحة آنذاك وهي الوقاية والاختبء من الأعداء ومن ظواهر الطبيعة والحيوانات المفترسة، وهكذا كان وعي الوظيفة العضوية للعمارة "وعي الجزء" سابقا عن وعي الكل وهو انسجام الجزء مع المحيط الخارجي، أي انسجام الكهف مع المحيط الخارجي له علما بأن هذا الانسجام كان موجودا، ولكن لم يلحظه الإنسان لأنه لم يكن بحاجة إليه ولأنه لم يصل بعد مرحلة التجريد الجمالي حيث كان في مرحلة المجسم الوظيفي .

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ظهر الفن التشكيلي في مرحلة سكن الإنسان في الكهوف لسبب اساسي جدا وهو التعبير حيث كان الإنسان يتكلم وعنده جعبة معينة نا لكلمات للتعبير، والمعروف أن أساس الكلام

إلى يومنا هذا هو الصوت فكان الإنسان يصدر تعابير صوتية "كلاما" ولكنه لا يعرف الأبجدية وهنا يكمن بيت القصيد، إذ أن الإنسان تكلم ووعى بعض الأجزاء المجسمة للعالم الخارجي "أشجار، حيوانات... الخ" وأصدر لها تعابير صوتية تدل عليها ولكنه كان عاجزا عن التسجيل إذ لا يوجد عنده أبجدية، فرسم ما اراد أن يعبر عنه من مجسمات بخطوط بدائية بسيطة تنسجم مع وعيه ومع آلة الإنتاج لديه "أداة الحفر أحجار منحوتة" فكانت بداية الفن التشكيلي عند الإنسان هي بديل الأبجدية، لذا فإن الفن التشكيلي "رسم ونحت" يعتبر من أقدم الفنون أصالة عند الإنسان بعد الحركة والصوت ولكنه قبل فن الكلمة "الشعر والأدب ." ونلاحظ هذا حتى يومنا هذا، إذ أن الطفل يرسم قطة أو كلبا بخطوط قبل أن يستطيع أن يكتب كلمة قطة أو كلب بحروف أبجدية. والأبجدية القديمة هي أقرب إلى لامجسم "الأبجدية الفؤادية" منها إلى المجرد. مثال ذلك كلب بحروف أبجدية. والأبجدية المصرية القديمة "الهروغلوفية" واللغات التي ليس لها أبجدية مثل الصينية .وأثناء سكن الإنسان في الكهوف بدأ باستعمال السرابيل للوقاية من الحر وهي عبارة عن جلود الحيوانات التي وضعها الإنسان على الكهوف بدأ باستعمال السرابيل للوقاية من الحر وهي عبارة عن جلود الحيوانات التي وضعها الإنسان في هده بدون مخيط. لذا قال "سرابيل" وذلك واضح في قوله تعالى) :سرابيلهم من قطران) (إبراهيم 50 (المولة لم يعرف المخيط بعد، ففي الآية رقم 81من سورة النحل تظهر وحدة الموضوع وهو مرحلة الإنسان القديم في الغابات والكهوف.

ثم انتقل الإنسان بعد ذلك إلى مرحلة السكن في البيوت، والسكن من "سكن" وهو الهدوء والراحة، والسكن هو الوظيفة الأساسية للبيت. هذه البيوت كانت متنقلة أو ثابتة ولكن لها نفس الوظيفة "السكن" كانت من جلود الأنعام ولا وانتقل اللباس من السرابيل إلى أصواف وأوبار وأشعار الأنعام ولكن هذا الاستعمال هو مرحلة من حياة الناس وليس إلى أن تقوم الساعة لذا قال) :أثاثا ومتاعا إلى حين) (النحل 80 (وهنا نرى كيف لعبت الأنعام "تذليل الأنعام" دورا أساسيا في حياة الإنسان، إذ ألها كانت طعاما له واتخذ من جلودها لباسا وسكنا ومن وبرها لباسا، وقد لعبت الدور الحاسم في الانتشار الواعي للإنسان عبر الأرض)وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم) (النحل 7 (حيث كان لها الدور الحاسم في استقرار الإنسان وفي تنقله، واستمرار هذه الوظيفة حتى لهاية القرن الثامن عشر، ولازالت الأنعام تلعب اليوم الدور الحاسم في طعام الإنسان)والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) (النحل

من هذا العرض التاريخي نرى أن لخطوط والألوان أخذت تتطور باتجاهين:

-الخطوط: 1- الكتابة 2- الفن التشكيلي 3- الفن المعماري.

-الألوان: 1- الفن التشكيلي، 2- الفن المعماري.

والذي يجمع بين الخطوط والألوان معا فقط هو الفن التشكيلي، إذ أنه يتشكل من خطوط وألوان فقط ليعبر عن موضوع معين فهو فن تعبيري كالكتابة تماما.

أما الخطوط والألوان مضافا إليها المادة فأخذ التعبير عنها في فن النحت .وأما الخطوط والألوان والمادة مضافا إليها الحركة فتم التعبير عنها في فن العمارة.

فيمكن أن نجري التصنيف التالي:

- 1 خط فقط = أبجدية + فن تشكيلي بدائي.
 - 2خط + لون = فن تشكيلي.
- 3خط + لون + مادة "رخام، حدید، برونز" = نحت.
 - 4 لون + ماد + حركة = فن عمارة.

أما مراحل السكن فقد مرت بالمراحل التالية. هنا يجب أن نميز بين البيت والسكن، فالبيت هو مكان السكن، والسكن هو وظيفة هذا المكان. فهذه المرحلة هي:

- 1 مرحلة سكن الغابات وهي المرحلة التي بدأ بها الانتقال من الحالة البهيمية "البشر" إلى الأنسنة وكان فيها العمل يدويا بحتا يعتمد على ما تلتقطه يداه من الغابات وما تفترسه يداه من الحيوانات وكان لاحما نباتيا عرايا "أي كان نشاطه مقتصرا على الصوت والحركة الجسدية."
 - 2مرحلة سكن لكهوف وفيها بدأ باستعمال وسائل الإنتاج البدائية "الأحجار "أي كان نشاطه فقط مقتصرا على الحركة والأصوات والخطوط البدائية بداية الفن التشكيلي وفيها بدأ باستعمال اللباس بدون مخيط وكانت مرحلة صيد الأنعام وغيرها حيث كانت برية غير مذللة. ونعتقد أن الإنسان اكتشف استعمال النار في هذه المرحلة.
- 3مرحلة سكن البيوت الثابتة أو المتنقلة، في هذه المرحلة كان قد ذلل الأنعام واستخدما للباس المخيط، وفي هذه المرحلة ظهرت الزراعة في بعض المناطق كنتيجة ضرورية لتذليل الأنعام كما في قوله تعالى) :والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) (الزخرف 12.(

)لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) (الزخرف 13.(هنا لاحظ وظيفة الأنعام: 1- الطعام، 2- المواصلات، 3- اللباس.

ولكن قوله تعالى)إذا استويتم (هنا استعمل "إذا" أي أن الإنسان عرف الأنعام ولكن بين معرفته للأنعام وبين تذليله لها مضى وقت طويل لذا قال)إذا استويتم (ولو أن الإنسان استوى على الأنعام مباشرة حين معرفته لها لقال "إذ استويتم" عوضا عن "إذا استويتم" هنا حسب ترتيب الآية وضع الفلك قبل الأنعام، فإذا أخذنا هذا الترتيب من الناحية الزمنية فهذا يعني أن الإنسان ركب الماء قبل أن يذلل الأنعام "فبركوب الماء وتذليل الأنعام انتشر الإنسان في الأرض" وهذا الترتيب منطقي من الناحية الموضوعية، فربط قطعتين من الخشب بعضهما ببعض بوسائل بدائية أسهل على الإنسان من تذليل حصان وحشى لأنه حتى يومنا هذا تستطيع أية

مجموعة من الناس لا على التعيين وبدون خبرات مسبقة أن تربط قطع خشب ببعضها بوسائل بدائية "أدوات حجرية وألياف طبيعية" ولكن لا تستطيع أية مجموعة من الناس تذليل حصان وحشي ودون خبرة مسبقة وإني أرى هذا الترتيب منطقيا من الناحية العلمية، لذا نرى أن أول سفينة صنعها الإنسان هي فر قوم نوح)ويصنع الفلك) (هو د 38.(

بوسائل إنتاج بدائية "أحجار" وألياف طبيعية لقوله تعالى) :و هملناه على ذات ألواح ودسر) (القمر 13 (والدسر هي الألياف الطبيعية الطرية .هذا في قوم نوح، أما قوم عاد الذين جاؤوا بعد قوم نوح من الناحية الزمنية قال) :واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين) (الشعراء 132-133 (الأنعام والأبنية، لاحظ الربط بين الأنعام والأبنية حيث كانت معلومة لديهم من هود لأنه قال)مدكم بما تعلمون) .(الشعراء 132.(

علما بأنه لم يذكر الأنعام مطلقا مع قوم نوح، حيث قال عند نوح) :ويمددكم بأموال وبنين) (نوح 12 (وهنا قال)أمدكم (حيث لم يكن في زمن نوح أموال وبنون ولكن هذه كانت من نبوة نوح. أي ن بداية الاستقرار وتذليل الأنعام والبناء كانت من عاد الأولى أي عاد قوم هود.

أما الآن فلنأخذ العلاقة الجدلية في الجزء والكل "المنفصل والمتصل" في العناصر المذكورة أعلاه أي الخطوط والألوان والمادة والحركة.

-الخطوط: قلنا إن الخطوط هي بدايات الفنون التشكيلية، فبدأت الخطوط بداية وظيفية تعبيرا عن شيء مادي مجسم بطريقة بدائية، في هذه المرحلة لم يكن للمفاهيم الجمالية أي وجود منفصل في الفكر الإنساني وإنما كانت الحاجة هي الدافع لذلك ففي هذه المرحلة كانت الوظيفة والجمال في حالة دمج كامل دون وجود أي تمييز بينهما وذلك لسببين هامين:

- 1 قصور المعرفة الإنسانية حيث كانت مقتصرة على الإدراك الفؤادي أي معرفة المجسمات من ظواهر الطبيعة والحيوانات والأشجار والتي كان يحتاجها الإنسان ويخافها أحيانا علما بأنه في هذه المرحلة كانت الأصوات المتميزة موجودة لدى الإنسان أي أنه قادر على إصدار أصوات متمايزة وعنده جعبة معينة من الكلمات وكان التجريد في بدايته "أي وجود مفهوم الذنب والتوبة" وهو من أقدم المفاهيم المجردة عند الإنسان وسبق مفهوم القبح والجمال وهذا المفهوم المجرد للذنب والتوبة مرتبط مع الخوف من الطبيعة والحاجة إيها وهنا حصل هذا التشويش في الفكر الإنساني في الخلط بين الله سبحانه وتعالى وبين ظواهر الطبيعة فظهرت الوثنية الطبيعية التي تعتبر أقدم مرحلة من مراحل الوثنية وهي وثنية قوم نوح.

- 2قصور وسائل الإنتاج والمواد المتوفرة فالمفاهيم الجمالية بالإضافة إلى المعرفة تحتاج إلى وسيلة إنتاج مثل الإزميل والفرشاة وتحتاج إلى مواد مثل الطين والأصبغة.

لقد بدأ التمايز في الخطوط بين الوظيفة والجمال في مرحلة لاحقة وذلك عندما بدأ الإنسان باستعمال الخطوط من الناحية الله الناحية الجماية في الرسم علما بأن هناك مرحلة انتقالية

خلط فيها بين الكتابة والرسوم مثل الأبجدية الهيروغلوفية، وهذا ما تؤكده الحضارات القديمة في مصر والصين والهند وما بين النهرين.

إن الإنسان بدأ بالتمييز بين الكتابة والرسم في مرحلة متأخرة وليس ما قبل التاريخ، أي فيمرحلة كان فيها مستقرا يعرف الزراعة والبناء "الأنعام والبنين". في هذه المرحلة الحضارية بدأ التمييز بين الكتابة والفن التشكيلي والنحت والعمارة .

ففي الخطوط فقط "الأبجدية" ظهر الجمال منفصلا في الحرف وهذا ما نراه حتى يومنا هذا إذ أن معظم أبجديات أهل الأرض مقطعة كل حرف على حدة وكانت الغاية الجمالية بكل حرف على حدة ولم يظهر الكلي والجزئي إلا في أبجديات مثل الأبجدية العربية حيث يكون الحرف وحده وحدة جمالية وفيها الحرف المتصل مع الحرف في الكلمة والجملة، وهذه الخاصية أتاحت للخط العربي أن يكون فنا قائما في ذاته أي لو كان الخط العربي منفصلا فقط لما ظهر الفن المتقدم في هذا الخط.

حيث نرى في الآثار العربية إلى يومنا هذا لوحات الخط كظاهرة فنية قائمة في ذاتها وبارزة كثر بكثير من مثيلاتها في الحضارات الأخرى لأنها حوت جمال المنفصل والمتصل حيث أنهما موجودان في بنية الخط العربي، وهذا أيضا انعكس على الرسوم الهندسية في حفر الخشب والأحجار حيث نرى أنها عبارة عن تداخل الخطوط بعضها ببعض لتعطي جمالا في الشكل الهندسي المنفرد "مربع، دائرة، معين.." وفي النسب بين أبعاد الشكل وجمال المتصل في ربط الأشكال الهندسية بعضها ببعض وما هي إلا تطوير لجمال الخطوط الأبجدية على الأشكال الهندسية المعروفة حيث أننا نرى إبداع الفن العربي في الخط والأشكال الهندسية ونسبها وبروزه في الحضارة العربية عنه في بقية الحضارات. وهكذا نرى أن بداية الخطوط كانت وظيفية بحتة ثم أضيفت إليها النواحي الجمالية، فالوظيفة هي الأساس والجمال هو العرض الطارئ على الوظيفة والمتطور طبقا للحاجة والوعى الوظيفي.

-الفن الثاني من الخطوط هو الفن التشكيلي "الوسم: "

قلنا إن بداية الرسم كانت وظيفية بحتة وهي كظاهرة بديلة عن الكتابة وسابقة لها. ولكن بعد ظهور الكتابة انحسر دور الرسم كوظيفة وبقي كتعبير رمزي في البداية ثم كتعبير رمزي وجمالي فيما بعد . فالتعبير الرمزي للرسم كان يتمثل في العقائد الوثنية حيث صار الإنسان يرسم تصورات عن الآلهة وعن الحياة وعن الموت وعن الموت وعن القحط والإخصاب وهذا نراه واضحا في الحضارة المصرية التي ملأت الرسوم مدافنها ومعابدها ثم استعملت أيضا الرسوم للتعبير عن الشجاعة والانتصارات العسكرةي في المعارك وهذا واضح في حضارات ما بين النهرين حيث كانت الرسوم تعبيرا عن موضوع معين وكانت تعبيرا عن وظيفة معينة ترمز لعقيدة أو سلوك والمفهوم الجمالي كان ثانويا في هذه المرحلة، فالجزئي في هذه الرسوم كانت عناصر الموضوع نفسه كالجندي والسيف والقائد والسهم، والكلى كان الموضوع نفسه المعركة والنصر، والجزئي كان أيضا

عناصر الحياة بعد الموت، والكلى هو موضوع الحياة بعد الموت.

أي أن الرسم تطور مع تطور العقائد الدينية والوثنية حتى بلغ قمته في العالم القديم في الحضارة الرومانية والحضارة الإغريقية وهذا ما أثر تأثيرا بالغا على الفن الكنسي عندما تبنت الدولة الروماني الديانة المسيحية حيث نرى أروع اللوحات الفنية هي لوحات متعلقة بالعقيدة الدينية المسيحية وتعبر عنها إلى أن جاء عهد النهضة واتجه الفن اتجاها جماليا في الفنون التشكيلية التي تعبر عن الجمال في الطبيعة والإنسان والمواقف الانسانية.

أما الخطوط والألوان معا، فقد استعملت الألوان حين توفرها لأنها بحاجة إلى معرفة وإنتاج وكان استعمالها متوقفا على توفرها ولكنها أعطت تميزا واضحا للأشكال المرسومة.

-الخطوط والمادة "النحت:"

استعمل فن النحت انطلاقا من وعي الإنسان للنسب البعدية وتقدم آلة الإنتاج الإزميل والمطرقة. وقد وعي الإنسان النسب البعدية قبل تقدم وسائل الإنتاج وذلك بأنه باشر باستعمال النحت من الطين، إذ بدأ بفن المجسم من مواد أولية متوفرة في الطبيعة بكثرة وقابلة للطواعية باليد أو بأبسط أدوات الإنتاج وهذا واضح في أن عصر النحت الطيني الفخاري سبق عصر النحت الحجري ولا عجب أن أول الكتابات نقشت على الطين وهكذا يعتبر الطين أول ما استعمل من الأدوات القرطاسية، فالقرطاس بدأ بالطين ووصل إلى شريط الفيديو ولوحة الكومبيوتر في يومنا هذا، فالطين قراس وشريط الفيديو قرطاس أيضا من حيث الوظيفة "القرطاس هو ما يسجل عليه" هنا نرى أن بداية فين النحت كانت وظيفية بحتة لأن الضرورة الأولية لها هي حاجة الإنسان الى القرطاس ليسجل عليه.

من هذه النقطة بدأ النحت يتطور مع تطور وعي الإنسان للنسب البعدية وتطور أداة الإنتاج بحيث بدأ الإنسان يتعامل مع مواد غير الطين مثل الحجر والرخام علما بأن العرب في شبه جزيرة العرب كانوا بدائيين جدا في فن النحت والخط والرسم حتى ظهور الإسلام.

وقد وجه الإسلام الطاقات الفنية الهادفة طبقا لمستوى التطور التاريخي الذي كان يعيشه العرب. ومع تطور النسب البعدية وأدوات الإنتاج تطور النحت وابتعد عن مفهوم القرطاس ليعبر عن مفاهيم جديدة دينية واجتماعية وذلك في العقائد الوثنية القائمة على تعدد الآلهة، فأصبح لكل إلاه نحت خاص به، وفكرة النحت للآلهة إلاه المطر والحب وإلاه الجمال...الخ هذه التعددية التي قال عنها القرآن)أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) (الأعراف 71 (حيث نرى أن مفهوم التعدد في الآلهة والنحت لكل إله كان موجودا تاريخيا في قوم عاد إذا كانت وسيلة الإنتاج متوفرة بقوله) :أتبنون بكل ربع آية تعبثون) (الشعراء 128. بينما كان قوم نوح يعبدون مظاهر الطبيعة "لأن الاسم جاء من فعل وسم ليس من فعل سمو". وقد نحت هذه الظاهرة في الحضارات المصرية وما بين النهرين والهند والصين ثم في الحضارة الإغريقية والرومانية لأن الجذور

التاريخية لظهور النحت كانت عند الإنسان هي وظيفية أولا، ولم تظهر النواحي الجمالية في النحت ثانيا إلا بعد أن استوعب الإنسان النسب البعدية وتقدمت وسائل الإنتاج. فالجزئي في النحت يظهر في دقة نحت أجزاء الجسم مثل اليد والعين والفم وجمال الكلي في تكامل الأجزاء ضمن نسب مطابقة للنسب الطبيعية. -فن العمارة:

ظهر فن العمارة انطلاقا من أشد الغرائز قوة في الإنسان وهي مغريزة البقاء وسعي الإنسان غير الواعي للحفاظ على حياته، ثم انتقل هذا السعي إلى رغبة واعية، فسكن الإنسان أولا الغابات في المناطق الحارة ثم انتقل إلى الكهوف ونشأت في وعيه وظيفة أساسية للكهوف هي وظيفة السكن "والسكن من فعل سكن "وهو الهدوء والراحة والنوم بشكل مطمئن فيه على أغلى ما عنده وهو الحياة .لذا تدرج السكن في القرآن في الغابات ثم في الكهوف، فكانت الكهوف أول سكن له جدران طبيعية وسقف ومدخل وهذا ما نراه في الحياة الحيوانية إلى يومنا هذا، إذ أن كثيرا من الحيوانات تأوي إلى قمم الأشجار كالطيور والقرود ومنها ما يأوي إلى الكهوف ومنها ما يخفر أنفاقا في الأرض. لذا فبداية السكن عند الإنسان كانت وظيفية لى آخر الحدود ولم يكن للجمال أي دور فيها .

وهذه هي الوظيفة الأولى للسكن إلى يومنا هذا فنرى الإنسان الواعي قد قلد الحيوانات في الحفر في الأرض، فبنى الأنفاق للمرور والملاجئ ضد غارات الأعداء. والله سبحانه وتعالى غرز حب البقاء في الإنسان وجعل الطبيعة مطواعة له للحفاظ على هذه الغريزة)وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا) (الجاثية 13.

إن غريزة حب البقاء التي أخرجت آدم من الغابة "الجنة" حين وسوس إليه الشيطان وأغراه بغريزة البقاء بقوله تعالى) :هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) (طه 120 (فأغراه بصفتين مضادتين للموت وهما الخلود وعدم الفناء بقوله "لا يبلى" فلو كان آدم لا يعرف الموت والبلى لما استجاب إلى وسوسة الشيطان، أي أنه كان موجودا في وسط فيه موت يرى الأشجار والحيوانات تموت والأشياء تبلى. وهل يمكن إغراء أحد بشيء لا يعرفه؟!

لقد كان انتقال الإنسان من السكن في الكهوف ومن مرحلة الصيد مربوطا بتذليل الأنعام حيث أن تذليلها يمثل أكبر نقلة نوعية في تاريخ سكن الإنسان ونمط حياته حيث انتقل إلى مرحلة الزراعة واستعمال الأنعام في العمل وفي الطعام، لذا فإنه لا يمكن من الناحية التاريخية فصل الأنعام عن فن العمارة وهذا واضح في قوله تعالى) :أمدكم بأنعام وبنين) (الشعراء 133 . (هنا نلاحظ كيف ربط الأنعام بالأبنية حيث أن "البنين" جاءت من "بنن" في اللسان العربي.

-ملاحظة: هذه الآية فيها وحدة الموضوع، فأي موضوع يوحد بين الأنعام والبنين إذا فهمنا أن البنين هم الذكور من الأولاد. والموضوع الذي يوحد بينهما هو أن البناء واستقرار الإنسان ارتبط بالأنعام. ثم لاحظ وحدة لموضوع في قوله تعالى) :المال والبنون زينة الحياة الدنيا) (الكهف 46 (هنا الأ/وال المتداولة والثابتة

"الأبنية" هي زينة الحياة الدنيا وليس الأموال والذكور من الأولاد لأن التأويل لا يحوي وحدة الموضوع ولا يطابق الحقيقة الموضوعية فيصبح الخبر كاذبا .

بعد تذليل الأنعام وظهور الزراعة وبالتالي ظهر مفهوم التمويل عند الإنسان ومن هنا جاءت كلمة الأموال من المتحد التمويل حين وعدهم نوح في نبوته)ويمددكم بأموال وبنين) (نوح 12 (حيث ربط التمويل من المواد الغذائية بالأبنية وبدأ البناء يأخذ ملامحه كعمارة وفن معماري بالإضافة إلى الوظيفة. فباستقرار الإنسان بدأت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية تتطور من أسرة إلى مجموعة من الأسر "العشيرة" ثم القبيلة ثم ظهور مفهوم السلطة والدولة وهذه الظواهر الاجتماعية تتطلب نوعا من الأبنية له وظائف تستجيب للمتطلبات الجديدة ويمكن تنفيذها بأدوات الإنتاج المتوفرة.

فأول أداة إنتاج متوفرة لدى الإنسان كانت العمل اليدوي للإنسان نفسه ولم يستغل العمل اليدوي للإنسان نفسه على مر التاريخ كما استغل في فن العمارة "لاحظ حجم العمل اليدوي المصروف ي الأهرمات ومعبد الكرنك ولم تظهر عبودية الإنسان في أشنع أشكالها كما ظهرت في العمارة والسكن والحماية من الأعداء بالنسبة للملوك والفراعنة. الخ" هنا يجب أن نفهم ظاهرة في غاية الأجمية وهي أن عرب قلب شبه جزيرة العرب كانوا بدوا رحلا وكان مكان إقامتهم هو الصحراء وبيوقم جلود الأنعام وأوبارها وليس الحجر المنحوت إلا بعض بيوت الطين في مكة ويثرب ولا يوجد عندهم قصور للملوك أو رؤساء القبائل ولم يكن عندهم ملوك أصلاحتي الكعبة كانت عبارة عن مكان صغير من الأحجار المرصوفة بعضها فوق بعض. وكان العرب وخاصة في الحجاز ونجد وعسير والإحساء "قلب شبه جزيرة العرب "على علم بالحضارات التي تحيط بهم وما فيها من أبنية ضخمة وكانوا يعلمون تمام العلم أن هذه الأبنية شيدها أناس مستعبدون الأسيادهم وملوكهم. ونحن نعتقد ن هذا هو السبب الجوهري الكامن وراء احتقار العرب في شبه الجزيرة العربية للعمل اليدوي، إذ أنه مرتبط في أذهالهم بالعبودية دون توهم أو مبالغة، وكان هذا فعلا من الناحية التربية وهو مبرر في ذاك الوقت. أما الآن فلا يوجد أي مبرر لاحتقار العمل اليدوي.

هذه الظاهرة نشأت ليس بسبب عدم حب العرب للعمل أو الأنفة كما يرى البعض، ولكن بسبب أعمق من ذلك وهو ارتباط العمل اليدوي بفقدان الحرية في ذاك الوقت وليس بالأمر العجيب أبدا أن تأتي الرسالة السماوية إلى هؤلاء الناس الذين لم يكبلوا بالعبودية ولم يعتادوا عليها حيث كانت الحرية تعني الكثير بالنسبة إليهم، وكذلك نفهم قوله تعالى) :الله أعلم حيث يجعل رسالته) (الأنعام 124 (هذا بالإضافة إلى أصالة اللسان العربي الذي كانوا يتكلمونه والذي هو لسان الرسالة والنبوة. واعلم أن كل الثورات في العالم لا يقودها إلا الأحرار.

الآن يمكن أن نقول إن العمارة وظيفة أولاً، وتتألف من دمج العناصر التالية لإخراج الوظيفة، ثم جاء المفهوم الجمالي ثانيا.

الخط + اللون + المادة + الحركة = الوظيفة المعمارية والجمال المعماري .

فالخط ظهر بوعي الأشكال الهندسية "خط مستقيم، منحن" والتناسب بين الخطوط المستقيمة بعضها مع بعض والمنحنية بعضها مع بعض.

-اللون: ظهر بتقدم المعرفة الإنسانية بالألوان وصناعتها، لذا كانت العمارة القديمة ذات ألوان طبيعية بحتة ثم ظهرت الألوان الصناعية.

-المادة: بدأت بالطين وتطورت استعمالاتها من حجر وغرانيت ورخام ومعادن مختلفة ثم مواد مصنعة كالبيتون والمواد البلاستيكية.

-الحركة: ظهر تشعب الوظائف من الكهوف الذي هدفه المبيت فقط واللجوء إليه عند الخطر فقط، وقد رافق هذا التشعب التقدم المعرفي للطبيعة وقوانينها والتقدم في وسائل الإنتاج والذي نتج عنه تشعب الحياة الاجتماعية والاقتصادية وظهور التشريع والدولة فكان هناك المعبد وساحة السباق والقتال وقصر الملك والمقابر "علما بن أول ظاهرة اجتماعية تعامل فيها الإنسان مع الأرض بوظيفة محددة هي ظاهرة دفن الموتى لذا فإن أقدم الآثار للإنسان توجد في المقابل."

لقد كان وعي الجزء الوظيفي في العمارة سابقا وبالتالي كان الجمال مقتصرا على الوحدة المعمارية حيث وعى الإنسان جمال الجزء الوظيفي، فنرى المعبد والقصر وبيوت الناس والمقابر مبعثرة هنا وهناك دون وجود أي نسق بينها حيث كل واحدة منها تقوم بوظيفتها على حدة ولم يأت ربط الوظائف المختلفة بعضها ببعض إلا في مرحلة متأخرة بعد نشوء الدولة وتقدمها.

فأول ماظهر الربط عند الإنسان ظهر بشكل موضوعي عملي وهو الربط بين أماكن السكن حيث ظهر مفهوم الطريق، هذا المفهوم تطور حتى أصبح أحد العوامل المسيطرة على تنظيم المدن، فأول ما نبدأ بتنظيم أي مدينة نبدأ بشبكة الطرق وبمداخلها أي بربطها مع بقية المدن والمراكز الصناعية والزراعية. في هذه المرحلة ظهر فن العمارة الكلي المتناسق والذي يربط الوظائف المختلفة بعضها ببعض، وما كان لهذه المرحلة أن تظهر دون ظهور الطرق ووسائل الاتصال كعناصر أساسية في حياة الإنسان.

فبالبداية كان الجمال في الوظيفة "الجزء" "الوحدة المعمارية" ثم أضيف إليه الكل. وفن العمارة الآن ما هو إلا علاقة جدلية بين الوظيفة في "الجزء "والتناسق مع المحيط الخارجي "الكل". وكما قلنا إن العقائد والأخلاق والعادات تؤثر على الفن المعماري، أي أن هناك علاقة جدلية خارجية "تأثيرا متبادلا" بين العقائد والأ×لاق والعادات وبين مفاهيم الجمال كلها من رقص وموسيقى ورسم ونحت وفن عمارة وكل الفنون. هذه العلاقة كان لها التأثير الكبير على كل الفنون بما فيها فن العمارة ومنها فن العمارة العربي الإسلامي الذي تأثر بالعقيدة الإسلامية تأثرا بالغا.

-جمال الكلمة: إن جمال الكلمة "التعبير عن الموضوع بشكل لغوي" يعتبر أرقى أنواع الفنون الإنسانية قاطبة

والذي لا يرقى إليه أي فن آخر فهو ملكة الفنون كلها. قد يسل سائل: لماذا؟ فأقول ما يلى:

- 1إن اللغة هي أداة الفكر والاتصال ولا يمكن لأي إنسان أن يفكر لوحده أو يعبر عن نفسه إلا ضمن إطار لغوي، ونشوء اللغات وتطورها مرتبط مباشرة بنشوء الفكر وتطوره "أقصد هنا اللغة المنطوقة لا المخطوطة" لأن التعبير المادي عن اللغة هو الأصوات لا الخطوط وما الخطوط إلا اصطلاحات لتسجيل الأصوات وهي اختراع إنساني، أما اللغة فهي ليست اختراعا وليست إلهاما، وإنما خضعت في نشأتها لقوانين صارمة وهي كونها أداة التفكير والتعبير.

- 2بما أن اللغة أداة التفكير والاتصال لذ فهي أوسع وأسهل أداة يمكن أن يتصل فيها متكلم مع سامع، فالبث الإذاعي والتلفزيوني ومحاضرات الجامعات والمدارس والبيع والشراء لا تتم إلا عن طريق الكلام الإنساني ولا تتم عن طريق الصور واللوحات والحركات، حتى إن الإنسان يفضل سماع برنامج دون صور عن مشاهدة برنامج فيه صور دون صوت. أي أن اللغة هي الوسيلة التي يتم بما أوسع أنواع الاتصال مع الناس. - 3هذه اللغة التي بدأت من تقليد صوت الطبيعة والحيوانات ثم قفزت إلى التجريد في التعبير عنا لمعاني المادية والمجردة ووصلت إلى مرحلة الإبانة "السان عربي مبين" أي قدرة التعبير واستيعاب أدق خصائص الأشياء المادية والمشخصة في العالم الموضوعي "اللغة العلمية" والوصول إلى أدق المعاني في التعبير عن الأحاسيس والشعور والعلاقات الإنسانية المجردة مثل الشجاعة والمجبن ومثل الحب والكراهية والجمال والقبح والكرم والمنعول والظلم والبر والإحسان والأنانية والاعتزاز والعبادة والأمر والنهي والتي استطاعت أن تستعمل في تعبيرها وأدواتما كل أنواع البيان من كناية واستعارة وتشبيه وسجع وإيقاع مسويقي .

هذه اللغة المنطوقة لا يمكن أن يجاربيها أو ينافسها ريشة فنان أو يد نحات أو نوتة موسيقية و رقصة باليه، حتى الفنان التشكيلي أو النحات والموسيقية وحركاتهم الموسيقية وحركاتهم الراقصة ضمن إطار لغوي أولاً.

لننظر إلى جمال اللغة، فكما قلنا إن اللغة أداة التفكير والاتصال لذا فهي تعبر عن المعلومات والشعور والأمر والنهي في بنية لغوية صوتية لإيصالها إلى الآخرين. فإذا فقد الكلام هذه الوظيفة يصبح مجرد أصوات لا معنى لها أي أصوات لها وجود تحسه الآذان دون أن يكون لها أي مدلول في الفكر لذا قلنا سابقا إن البلاغة في القول والفصاحة في الكلام.

فالجمال في بداية نشأة الكلام الإنساني كان مندمجا مع الوظيفة دون تفريق بينهما ومازالت الوظيفة موجودة حتى يومنا هذا، ولكن تقدم الفكر الإنساني ليميز بين وظيفة اللغة وجمالها. فالإنسان القديم لم يميز في اللغة بين جمالها ووظيفتها، أي لم يستعمل الأوجه البيانية في وصف الجمال والحب...الخ إذ أن هذه المفاهيم تحتاج إلى لغة متطورة، وقد توفر هذا في اللسان العربي عند نزول القرآن، إذ كان قد وصل في مراحل تطوره إلى مرحلة الإبانة "لسان عربي مبين" حيث كان قادرا على التعبير عن أدق المعاني بغنى المفردات وكمال البنية الوظيفية

والبنية الجمالية في الاستعارات والتشبيه والكنايات. فعندما ننظر إلى جمال الكلمة يجب أن ننطلق إلى ما يلى:

-إلى الألفاظ والبنية النحوية وذلك في ربط الألفاظ بعضها ببعض وهدفها خدمة المعاني، وأن المعاني هي المالكة سياستها وعندما ينسى القائل أنه يقول ليبين فهذه ليست لغة وإنما هراء. فهنا يظهر جمال الجزء في اللغة وهو انتقاء اللفظة المناسبة بحيث لا توجد لفظة أخرى تحل محلها لتؤدي المعنى المطلوب بدقة، ومن ثم انتقاء الجملة أي ربط الألفاظ بعضها ببعض "مسند ومسند إليه" بصيغة مبني للمعلوم أو مبني للمجهول أو بجملة اسمية أو جملة خبرية ابتدائية أو غير ابتدائية .

كل هذه الانتقاءات هي انتقاءات وظيفية لأنها تؤدي المعنى المطلوب بالدقة التي يريد المتكلم أن ينقلها للسامع وهذه هي عين البلاغة ويست البالغة أكثر من ذلك ولا أقل، أما جمال الكل فيظهر في اللغة في استعمال الأدوات البيانية "الاستعارة والتشبيه والكناية والسجع..الخ."

هذه الأدوات تظهر جمال الكل ولكن ليس على حساب المعنى "البلاغة" وإنما بالعكس لخدمة المعنى حيث أنه عند استعمال هذه الأدوات فإن المعنى يصل إلى المستمع بشكل أسرع وأدق لأن الأدوات البيانية هي من خيال المتكلم وهذا واضح في الشعر لخدمة المقصود من القصيدة من معنى مراد نقله من خلال صور تساعد المستمع على الفم وتحريك مشاعره انطلاقا من صدق الخبر وجمال التعبير عنه.

- 4 لذا فإن الشعر والأدب عموما هما أعلى أنواع الفنون الإنسانية قاطبة لأهما قادران على الوصول إلى أكبر عدد من النسا وبأسهم الطرق عن طريق التعبير بواسطة آلية الفكر الإنساني "اللغة" وما رافق هذا التعبير من خيال وصور مسكوبة بقالب لغوي متماسك، كما أهما قادران على اختراق كل العوائق المادية "لألها لغة منطوقة وليس لوحة أو تمثالا" للوصول إلى أحاسيس الناس وآلامهم الاجتماعية والاقتصادية. ومن هنا نرى أن الكلمة هي أخطر أعداء الحكومات الدكتاتورية، فهي تلاحق من قبلها مع المسرح أكثر من فنون الرسم والنحت والتصوير والرقص والموسيقي.

ومن ناحية ثانية يرقى الشعر والأدب عن الرسم والنحت والرقص فضلا عن كونه مرنا مرونة الكلمات والجمل بأنه فن متحرك وليس ساكنا حيث مادته الكلمات والبنية اللغوية أما مادة الرسم فهي الألوان وتناسق الخطوط ومادة النحت المعادن والحجارة ومادة الرقص الحركات الجسمية ومادة الموسيقى الأصوات غير اللغوية وكل هذه الفنون لا تحوي مرونة وحركية اللغة، أي أن لها عطالة أكبر من عطالة الكلمات في الوصول إلى الموضوع المعبر عنه وفي الوصول إلى عقل وأحاسيس المستمع.

وبما أن الموسيقى هي مجموعة النغمات الصوتية المختلفة المنسجمة بعضها مع بعض لإخراج موضوع متكامل "كتاب" فهي أقرب الفنون رقيا إلى الشعر والأدب أي تلي الشعر مباشرة في الرقي. والله سبحانه وتعالى ترك مجالا للموسيقى في المشاعر الإنسانية حين تعجز اللغة أن تعبر عنها.

فعمالقة الشعر مل شكسبير وبوشكين وأبو الطيب المتنبي يليهم عمالقة الموسيقى دخلوا إلى حياة شعوبهم وشعوب العالم أكثر من النحاتين والرسامين والراقصين.

من هذا المنطلق نرى أن اجتماع ملكة الفنون وهو الأدب من نثر وشعر يليه الموسيقى ثما لحركة ثم اللون، هذه الفنون مجتمعة توجد في المسرح، ففي المسرح يوجد النص اللغوي والحركة "حركة المثلين" والألوان "الديكور ''واللوحات ولكن أضعف نقطة فيه هي اموسيقى لأنما تلي الكلمة في رقيها، وبما أن المسرح يقوم على قوة الكلمة "النص" فلذلك لا داعي لقوة الموسيقى أو لوجود الموسيقى أصلا في المسرح. فالمسرح هو ملكة الفنون قاطبة لأن الجزء الرئيسي منه هو قوة الكلمة مضافا إليها الفنون الأخرى، فعندما يكون النص المسرحي قويا في وظيفته "يعبر عن موضوع يهم الناس" وقويا في بنيته أي ي بنية النص "بنية الجمل والحوار" قويا في ألفاظه قويا في أدائه "قوة وبراعة الممثلين" في هذه الحالة يمكن تقديم مسرحية في حديقة عامة لا على خشبة المسرح وستلاقي القبول الهائل ففي المسرح يظهر بشكل رائع جمال الكل والجزء في وحدة جدلية وهي قوة الموضوع في النص أو القصيدة وجمال الجزء في الجمل المنفصلة وفي أداء الممثلين .

فعلى كل شعب متحضر أن يفخر بشعرائه وأدبائه وفنانيه فخرا لا يقل أبدا عن فخره بعلمائه "علماء الهندسة والطبيعة والفلك...الخ" لأن الفنانين وعلى رأسهم الشعراء والأدباء والموسيقيين هم صانعوا الحضارة بمفهومها الروحي، أما العمال والمهندسون والفلاحون فهم صانعوا الحضارة بمفهومها المادي، وما الزعماء السياسيون إلا منفذين ومعبرين عن رغبات هؤلاء الصانعين العمالقة.

الفصل الثاني القصص في القرآن

تمهيد

إن قصص الأنبياء والرسل الواردة في الكتاب هي من القرآن وهي من الجزء المتغير، أي تراكم الأحداث الإنسانية بعد وقوعها، وقد أوحي من إمام مبين وليس من لوح محفوظ، وقد قلنا إن القرآن كله حق. فأحداث التاريخ التي حصلت فعلا أصبحت حقيقة ولا مناص لتغييرها لذا اعتبرت من القرآن "حق" لذا قال عن القصص) :نحن نقص عليك نبأهم بالحق) (الكهف 13 (وقال) :إنا لحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) (الأنعام 57.(

فقصص القرآن والذي سماه الكتاب المبين وأحسن القصص يعطينا خط تطور التاريخ الإنساني بالمعرفة والتشريع أي التفاعل الإنساني مع الوجود الإلهي والكوني بالعقيدة والتفاعل الإنساني مع التشريع بالسلوك . وعلى هذا الأساس سنتناول قصة نوح وهود معتمدين على الترتيل والمعلومات التاريخية المتوفرة حيث أن التشابه في القصص منسوب إلى المعرفة الإنسانية بخط تطور التاريخ.

لقد استنتجنا في فصل جدل الإنسان أن القرآن قسم التاريخ إلى قسمين :التاريخ القديم والتاريخ الحديث. وقد بحثنا في مقولة آدم وقلنا إن التاريخ القديم هو الفترة الزمنية بين بداية الأنسنة وبين تشكل لغة مجردة في أبسط صورها وبالتالي تشكل مجتمع إنساني بحيث أصبح الإنسان قادرا على استقبال الوحي. والإنسان الحديث بدأ من تشكل اللغة المجردة في أبسط صورها ووجود مجتمع إنساني يتكلم هذه اللغة وامتد تطور الإنسان الحديث حتى يومنا هذا.

وابتدأ الإنسان الحديث والمعاصر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد غطى القرآن المراحل المهمة في فترة الإنسان القديم فقط مثل إيقاد النار وسكن الكهوف ودفن الموتى. أما فترة تطور الإنسان الحديث فقد غطاها القرآن بجزء هام منه وهو القصص الذي بدأ بقصة نوح تليها زمنيا قصة هود. علما بأن القصص القرآني لم يعط التفاصيل الجزئية بكل دقائقها وإنما أعطى مؤشرات مهمة لاستنباط خط تطور التاريخ لذا قال) :تلك القرى نقص عليك من أنبائها...الآية) (الأعراف 101. (وقال) وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك...الآية) (هود 120. (وقال) :تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك...الآية) (هود 49. (

لاحظ في الآيات الثلاث كيف ذكر المعلومات لواردة في القصص للتبعيض في قوله): من أنباء. (

الفرع الأول: نوح

لقد جاء ذكر نوح بشكل مباشر أو غير مباشر في الآيات التالية:

- 1 آل عمران 33.
 - 2النساء 163.
 - 3 الأنعام 84.
- 4الأعراف من (59 إلى 64)، 69.
 - 5يونس 71.
 - 6هو د من (25 إلى 48)، 89.
 - 7إبراهيم 9.
 - 8الإسراء 3، 17.

- 9مريم 58.
- 10 الأنبياء 76 77.
 - 11 الحج 42.
 - 12المؤمنون 23.
 - 13الفرقان 37.
- 14الشعراء (من 105إلى 121.
 - 15العنكبوت 14.
 - 16الأحزاب 7.
 - 17الصافات (من 75 إلى 83.(
 - 18ص 12.
 - 19غافر 5، 31.
 - 20الشورى 13.
 - 21ق 12.
 - 22النجم 52.
 - 23القمر 9.
 - 24 لحديد 26.
 - 25التحريم 10.
 - 26 الحاقة 11-12.
 - 27سورة نوح.
 - 28التوبة 70.
 - 29الذاريات 46.

الاستنتاجات المستقاة من قصة نوح عليه السلام

-1نوح أول بشر يوحى إليه:

لقد شرحت في فصل جدل الإنسان أن بداية اتصال السماء بالأرض كانت عن طريق المشخص فقط وذلك بإرسال "نذر" ملائكة قبل نوح وكان أول اتصال للسماء عن طريق الوحي المباشر لجنس البشر هو نوح عليه السلام وربه بدأ الإنسان الحديث كما يعتقد في منطقة الشرق الأوسط حيث كان يمتلك لغة مجردة بأبسط صورها وقد وضح هذا بالآيات التالية:

) -إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده... الآية) (النساء 163.

-) -أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم...الآية) (الأعراف 63.(
 -) -إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله. الآية) (يونس 71.(
 -) -قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا...الآية) (إبراهيم 10.(
 - ا إن نحن إلا بشر مثلكم.. الآية) (إبراهيم 11.
-) -ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ()المؤ منو ن 24.(
 -) -ولا أقول إني ملك ... الآية)(هود 31.(

هنا نلاحظ كيف ذكر مصطلح البشر ليقصد به الجنس البيولوجي العضوي أي ليس ملكا وليس من الجن. كما نلاحظ أنه جاء لنوح أول صيغة لغوية تعبدية من الله للناس وذلك في قوله) :أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم...الآية) (الأعراف 63.(

-2إرسال ملائكة رسلا مع نوح:

لما كان نوح أول بشر يوحى ليه فقد أرسل الله معه رسلا من الملائكة فجمع بين الأسلوبين: أسلوب النذر، وأسلوب الوحى للبشر وذلك في قوله تعالى:

-) -وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم) (الفرقان 37.(
 -) كذبت قوم نوح المرسلين) (الشعراء 105.(
 - -3مجمل الوحي إلى نوح:

كان مجمل الوحى إلى نوح يتضمن ما يلي:

- أ الإنذار.
- ب التقوى وهي الرسالة.
- ت الرحمة وهي النبوة والدعوة النبوية والعلم.

وقد جاء هذا الإجمال في قوله تعالى) :أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون) (الأعراف 63.(

-الإنذار:

لقد اشترك نوح مع الملائكة بأنه كان نذيرا إلى قومه والإنذار كلمة تدل على تخويف ووعيد حيث توعدهم بالعذاب الأليم لقوله:

أ) - إن أنا إلا نذير مبين) (الشعراء 115.(

- ب) فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) (يونس 73.(
 - ت) إن أرسلنا نوحا إلى قومه ن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) (نوح 1.(
 - ث قال يا قوم إني لكم نذير مبين) (نوح 2.(

موقف قومه من إنذاره:

كان التكذيب هو الجزاء الذي تلقاه من قومه نتيجة إنذاره لهم:

-) 1قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) (الشعراء 116). (قال رب إن قومي كذبون) (الشعراء 116). (116
 -) 2ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إلهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) (الأنبياء 77.
 -) 3قال رب انصر بي بما كذبون) (المؤمنون 26.(
 -) 4كذبت قبلهم قوم نوح) (غافر 5، ق 12، القمر 9.(

-الرسالة:

لقد كان نوح أول رسول ونبي من البشر في منطقة الشرق الأوسط كما يعتقد "العالم القديم"، وقومه هم بداية الإنسان الحديث في هذه المنطقة حيث كان هناك مجموعة من الناس لها علاقات اجتماعية بدائية ولها لغة مجردة بحيث تسمح لنوع من الوحي المجرد. وكان الوضع الإنتاجي في هذه الحقبة التاريخية بدائيا جدا لذا فقد كان الشرك الأساسي الذي وقع فيه الإنسان آنذاك هو عبادة مظاهر الطبيعة وخاصة الشمس والقمر وقد ذكر هذا في قوله تعالى) :ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) (نوح 15) (وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) (نوح 16 (وبالتالي فقد اقتصرت رسالة نوح على التوحيد والاستغفار فقط دون أن يكون هناك أي وصايا أخلاقية أو شعائر تعبدية، فعند نوح لا صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا ي شكل من أشكال العبادات التي نعرفها و ذلك في الآيات التالية:

-) 1لقد أرسلنا ونوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) (الأعراف 59.(
 -) 2قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين) (الأعراف 61.(
 -) 3أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) (الأعراف 62.(
 -) 4ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين) (هود 25.(
 -) 5أن لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذب يوم أليم) (هود 26.(
 -) 6ابني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون) (الشعراء 107-108.(

-) 7ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون) (المؤمنون 23.(
 -) 8أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) (نوح 3.(
 -) 9إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) (نوح 1.(

وتجدر الإشارة إلى أن نوحا توعد قومه بالعذاب الأليم وهو عذاب في الدنيا وليس في الآخرة وقد بين هذا في قوله:

-) 1فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عيه عذاب مقيم) (هود 39.(
-) 2قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) (هود 32.

موقف قوم نوح من الرسالة:

كان موقف قوم نوح من الرسالة هو الكفر.

) -ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب () إبراهيم 9.(

-النبوة:

هي دعوة نوح، أي الدعوة عند نوح هي النبوة لذا كان موقف أقوام الرسل والأنبياء كفرا بالرسالة) وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به) (إبراهيم 9 (وموقف شك وريبة في النبوة) وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب () إبراهيم 9 (فقد كانت نبوة نوح قفزة نوعية على سلم التطور من الناحية العلمية للإنسان في ذلك الوقت وقد بين هذا في قوله) وأعلم منا لله مالا تعلمون) (الأعراف 62 (فكانت نبوته تشمل:

- 1التوحيد:

وهو أن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل. حيث أن التوحيد هو نبوة كعقيدة وهو رسالة من حيث عبادة الله وحده كسلوك.

- 2 تعليم البشرية ركوب الماء أو اجتياز العوائق المائية:

كانت صناعة الفلك وحيا من الله:

-) -واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) (هود 37.(
 - -فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا...الآية) (المؤمنون 27.(

هنا سيظهر سؤال في غاية الأهمية وهو: ما هو المستوى الإنتاجي في الأدوات المستخدمة لصنع الفلك؟ ومن ركب في الفلك؟ لقد أجاب القرآن على هذه الأسئلة كالتالي:

- 1لم يكن في زمن نوح حبال ولا مسامير لربط الخشب بعضه إلى بعض، وإنما تم ربط الخشب على مبدأ

الدسر وهي الألياف الطبيعية "أغصان طرية فيها ألياف طبيعية" وذلك ي قوله) :و هملناه على ذات ألواح ودسر) (القمر 13.(

- 2أما الفلك نفسه فقد جاء من فعل "فلك" وهو الاستدارة كقولنا: فلك ثدي الفتاة إذا استدار، وهو بمثابة المعدية المائية، وقد أكد القرآن أنه لم يكن في ذلك الوقت مجاذيف للتجذيف ولا دفة للتوجيه ولا أشرعة أي أن الفلك مجرد جسم خشبي له استدارة يعوم على الماء فقط وذلك في قوله) : فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) (الشعراء 119 (فقد أعطى هنا صفة للفلك بأنه "مشحون" وهو من فعل "شحن" أي أنه محمل الناس وغيرهم، وبنفس الوقت مشحون كأن نقول عن السيارة قاطرة ومقطورة أو شاحنة ومشحونة، فالشاحنة فيها دفة توجيه ومحرك للشد وقابلة للتوجيه، أما المشحونة فهي قابلة للتحميل ولكن لا يوجد فيها أداة توجيه ومحرك للشد.

فإذا سأل سائل: كيف تم التوجيه والجر في فلك نوح؟ أقول: لقد تم الجر بواسطة التيار المائي حسب اتجاهه الطبيعي لقوله تعالى) :إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية) (الحاقة 11 (وقوله) :وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه) (هود 42 (أما التوجيه بحيث لا ترتطم السفينة بالصخور أو بأي عائق فقد تم من قبل الله تعالى بقوله) :تجري بأعيننا) (القمر 14 (وقوله) :وقال اركبوا فيها بسم الله مجيها ومرساها إن ربي لعفور رحيم) (هود 41 (أما الآن فإن توجيه السفن يجري بواسطة الرادار والبوصلة، والشد يجري بواسطة المحرك والأشرعة.

- 3 يجب أن نفهم أن طوفان نوح كان محليا أي عبارة عن عاصفة مطرية كبيرة جدا جرت بشكل محلي حيث كان قوم نوح يسكنون في مناطق منخفضة قريبة من الأنهار تحيطها الجبال حيث قال) : ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) (القمر 11) (وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر) (القمر 12 (ونحن نعلم الآن أنه خلال ساعات من العاصفة المطرية الشديدة يمكن إغراق مدينة بأكملها وبنفس الوقت نعلم إذا كانت هناك عاصفة مطرية تبعها طوفان في منطقة ما في أسترايا فهذا لا يعني أن الطوفان قد وصل إلى مصر أو الهند وأن من يفسر بأن الطوفان عم كل الأرض فهذا غير صحيح ولكنه عم لك الأرض التي سكنها قوم نوح وبنفس الوقت لم يغط الجبال حيث قال ابن نوح)سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم) (هود 43 (وعندما انتهت العاصفة المطرية قال) : وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) (هود 44.

وبما أن المنطقة التي سكن فيها قوم نوح عبارة عن منطقة محاطة بالجبال فقد حصل تيار مائي قوي وكان الموج كسلاسل الجبال من حيث الشكل لا من حيث البعد كما نراه الآن في طوفان الأنهار الجبلية ذات الميول الكبيرة بقوله تعالى) :وهي تجري بهم في موج كالجبال) (هود 42 (ي أنه في قوله "كالجبال" الكاف هي كاف التشبيه للشكل وإذا كانت أبعاد الموج هي كالجبال فهناك استحالة في أن ينادي نوح ابنه حيث أتم الآية

- بقوله) :ونادى نوح ابنه) (هود 42.(
- 4 بما أن كل الذين لم يركبوا في الفلك هلكوا بقوله)ثم أغرقنا بعد الباقين) (الشعراء 120 (فمن الجائز أن الإنسان في زمن نوح كان لم يتعلم السباحة بعد.
- 5لقد صنع نوح الفلك على اليابسة وليس في الماء حيث أن هذا الفلك جرى وطاف بعد أ، طغى الماء على اليابسة التي صنع عليها الفلك)إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية) (الحاقة 11.
- 6 لقد كانت إشارة الطوفان بالنسبة لنوح ليعلم أن وعد الله قد آن حيث أخبره الله سلفا بأن قومه مغرقون في قوله)ولا تخاطبين في الذين ظلموا إلهم مغرقون) (هود 37 (هذه الإشارة هي "فوران التنور" حيث يتوقع أنه في منطقة نوح وفي الجبال التي تحيط بهذه المنطقة كان يوجد بركان خامد وكانت إشارة الطوفان هي نشاط هذا البركان وقد عبر عنه)حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور...الآية) (هود 40 (ونحن نعلم الآن أن الحمم البركانية المصهورة تفور في فوهة البركان وأن النشاط البركاني يمكن أن يرى من مسافات بعيدة وكانت هذه الإشارة لكي يركب نوح ومن معه على الفلك.
- 7لقد ركب مع نوح الناس الذين وعده الله بنجاهم وهم أهل نوح، وبما أن وعد الله حق وأن الله لا يخلف الميعاد فقد استغرب نوح غرق ابنه لذا قال) : ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) (هود 45 (فكان الإجابة أنه ليس ابنه ونوح يجهل ذلك بقوله)قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين) (هود 46 (هذه الناحية شرحتها في مبحث العقل الشيطاني، حيث شرحت أن ابن نوح هو في ظن نوح، ولكن نوحا كان لا يعلم أنه ليس ابنه حيث قال له) :إنه ليس من أهلك (وقد وعده الله بنجاة أهله الكافر منهم والمؤمن حيث قال له) قال له) قال له) قال له) (هود 40.

وقد قال البعض إن ابن نوح كان كافرا لذا غرق وهذا غير صحيح لسبب جهل نوح بذلك، فهل كان نوح يجهل أن ابنهكافر؟؟ أم كان يجهل أن هذا ليسابنه؟ علما بأن الذين ركبوا معه في الفلك كان فيهم كافرون ومؤمنون ومنهم امرأته لأنها من أهله لقوله) :ونجني ومن معي من المؤمنين) (الشعراء 118 (حيث طلب نوح نجاته ومن معه من المؤمنين في قوله) :فأنجيناه نجاته ومن معه فقط دون ذكر من المؤمنين في قوله) :فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) (الشعراء 119 (وقد أعطاه الله إشارة في الآية 40 في سورة هود بأن هناك أناسا يريد نوح أن يركبوا معه ولكنهم سيغرقون وذلك في قوله) :قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن...الآية) (هود 40.(

هنا أعطى التنويه عن فقدان بعض من يظن نوح ألهم من أهله بقوله: إلا من سبق عليه القول) هذه الإشارة مهمة جدا حيث نرى ان السلوك الطبيعي لأي إنسان عندما تحصل كارثة طبيعية أو انفجار كبير يؤدي إلى دمار البيوت هو البحث عن أهله فقد يجد بعضا منهم ويفقد آخرين، وفي هذه الحالة يبقى الإنسان يبحث

وينقب ولا يغادر المكان حتى يطمئن على الذين لم يعثر عليهم فقد تلحقه بذلك الكارثة أيضا، وها نبه الله نوحا بأنه وقت الكارثة سيركب في الفلك من ركب دون البحث عن الذين لم يعثر عليهم لذا نبهه بقوله) :إلا من سبق عليه القول) (هود 40 (وهذا ما فعله نوح تماما إذ لم ير ابنه فلم ينتظره أو يبحث عنه فركب هو ومن معه.

وترينا الآية 42 في سورة هود أن نوحا وجد ابنه وهو في الفلك يجري بهم في موج كالجبال وليس من مكان الركوب. وكان استغراب لأن "وعد الله حق."
حق."

- 8قد يقول البعض إن نوحا دعا على قومه بالغرق وهذا غير صحيح فلا يوجد نبي أو رسول دعا على قومه بالهلاك ولكن نوحا بعد أن يئس من قومه دعا الله أن يحل المشكلة بينه وبين قومه فقط وذلك في قوله)قال رب إن قومي كذبون * فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين) (اشعراء 117-118 (فكان الجواب من رب العالمين)وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون *واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إلهم مغرقون) (هود 36-37.
- 9لقد جرف السيل جثث قوم نوح ورماها في فوهة البركان حيث يتبين من الآية أن فوهة البركان كانت منخفضة وعلاها الماء ودخلت الجثث في البركان وقد بين هذا في قوله) : مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) (نوح 25 (هنا استعمل فاء السببية والتعقيب بين الغرق وإدخال النار واستعمل النار نكرة وهنا لا يقصد فيها نار جهنم "أي نار الآخرة.''
- 10 لقد كانت دعوة نوح التي وردت في الآيتين) وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) (نوح 26-27 (هذه الدعوة دعاها نوح بعد الطوفان لا قبله، أي دعاها بعد أن غرق قومه وذلك بعد أن رأى الأهوال والدمار الذي لحق بالمنطقة فخاف على نفسه وعلى من معه من انتقام من بقي حيا في هذه الحالة سينقمون منه وممن معه وسيربون ولادهم على الكفر وكراهية الإيمان منذ صغرهم ويكرهوا الناس على الكفر لذا قال) إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) (نوح 27 (حيث هنا "يلدوا" جاءت من التوليد من التربية وليست الولادة الفيزيولوجية حيث نعلم الآن أن الإنسان يولد من بطن أمه دون معلومات ودون مواقف مسبقة والإنسان يولد على الفطرة مسلما فالبيئة تجعله كافرا أو على أي دين آخر.
- 11 لقد قلنا إن حجم السفينة لا يتجاوز معدية خشبية صنعت على مبدأ "الدسر" لذا فقد ركب فيها عدد قليل من الناس وبعض الحيوانات الأليفة المتواجدة عندهم في منطقتهم مثل الدجاج وغيره وكان لا يوجد أنعام في السفينة "خيل، وبغال، وبقر، وغنم... الح" حيث أن الأنعام في عهد نوح كانت برية ولم تذلل بعد، فلم يأت ذكر الأنعام إلا في قصة هود. وقد بين ذلك في قوله)ا حمل فيها من كل زوجين اثنين) (هود 40 (هنا

لابد من الإشارة إلى أن قراءة حفص وحده)من كل (بتنوين كل. وقرأ الباقون)من كل زوجين (بترك التنوين، وعلى قراءة الأكثرين يكون المعنى من الموجود عندكم منا لبهائم الحية التي تأكلون لحمها فقط . أما فهمها على أنه حمل فيها من كل الحيوانات التي على الأرض بما فيها الدب القطبي والنمور والغوريلا والزرافة... الخ فهذا خطأ يدل على قصور في فهم السياق التاريخي لخط تطور الإنسان. ثم إننا نستنتج استنتاجا هاما من قصة نوح وهو أن البشرية تعلمتاجتياز العوائق المائية قبل أن تذلل الأنعام فكان اجتياز العوائق المائية وتذليل الأنعام لوسائل الوحيدة لانتشار الإنسان في الأرض، وقد بقيت الفلك والأنعام الوسائل الوحيدة لتنقل الإنسان حتى القرن الثامن عشر والتاسععشر أي حتى اختراع الآلة البخارية. وقد ورد هذا الترتيب في الآية)والذي خلق الأزواج كلهاوجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) (الزخرف 12.(

- 1 التبشير بالبنيان والاستقرار: لقد عاش الإنسان في عهد نوح في الكهوف حيث كانت المنطقة تحيط بها الجبال وفيها ألهار فيعتقد ألهم كانوا يعيشون في الكهوف وفي الغابات المحيطة بالألهار لذا فقد كانوا يعبدون مظاهر الطبيعة حيث أن تمييز الآلهة لم يوجد عندهم بعد فكانت من نبوة نوح التبشير بالبنيان والاستقرار وهذا التبشير في نبوته ورد في قوله تعالى) :ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم ألهارا) (نوح 12 (وقد ذكر إهلاك القرى المستقرة بعد نوح في قوله) :وإذا أردنا أن لهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا * وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا (

من هنا نلاحظ كيف بشر نوح الناس بالاستقرار من البناء وهذا الاستقرار فعلا كان حاصلا حتى زمن هود وذلك في قوله)ويمددكم بأموال وبنين (فهنا البنين لا تفهم على ألها الذكور من الأولاد ولكن تفهم من فع "بنن "وتعني الثبات واللزوم والإقامة وهذه هي طبيعة الأبنية والبنيان. أما قوله)رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا...الآية) (نوح 28 (فهنا البيت في اللسان العربي اسم جنس ولها أصل واحد وتعني المأوى والمآب وجمع الشمل. فليس من الضروري أن يكون البيت بنيانا إذ يمكن أن يكون كهفا.

أما قوله)ويمددكم بأموال (فهنا المال لا يعني النقد، بل جاء من فعل "مول" وتعني هنا أدوات الإنتاج البدائية وما يمكن أن يصطاده الإنسان ويجنيه من الطبيعة وفي القاموس خرج إلى ماله: أي خرج إلى ضياعه و إبله.

- 2بداية توجيه العقل الإنساني للتفكير بنفسه وبالوجود من حوله وتنمية المدارك العقلية للإنسان والتوجيه إلى البحث في الوجود الإلهي والكوني والإنساني وذلك بالنسبة لنوح ولمن بعده وذلك في قوله:
 -) -قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض...الآية) (إبراهيم 10.(
 -) -مالكم لا ترجون لله وقارا * وقد خلقكم أطوارا * ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) (*نوح 12-14-13. (

- 3بداية ترسيخ العبادة الترجيدية عند الإنسان وذلك بالاستغفار حيث أن الساتغفار مفهوم مجرد غير مشخص وقد بدأ التجريد عند الإنسان به)فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) (البقرة 37. أما عند نوح فقد ورد:
 -) -وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم) (نوح 7.(
 -) يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) (إبراهيم 10.(
 -) -فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا) (نوح 10.(
 -) -رب اغفر لي ولوالدي) (نوح 28.(
 -) -إن ربي لغفور رحيم) (هود 41.(
 -) -يغفر لكم من ذنوبكم) (نوح 4.(
 - -4بداية مفاهيم البعث والجزاء والتلميح إليها دون ذكرها صراحة:

لقد وردت في نبوة نوح تلميحات بسيطة غير مباشرة إلى وجود بعث ورجعة بعد الموت، هذه التلميحات وردت في الآيات التالية:

-) -إلهم ملاقوا ربمم) (هود 29.(
-) -والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا) (نوح 17-18.(
 -) -هو ربكم وإليه ترجعون) (هود 34.(

هنا يجب أن لاحظ نقطة في غاية الأهمية وهي أن البشرية في عهد نوح كانت غير قادرة على استيعاب الانفجار الكوني وتشكل الكون وقوانين الجدل والتطور والساعة ونفخة الصور والبعث واليوم الآخر والجنة والنار لذا لم تذكر هذه الأشياء لهائيا في نبوة نوح وإنما ذكرت بالتفصيل في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث أن العقل الإنساني قد نضج لتقبل هذه المفاهيم وفهم قوانين الطبيعة والجدل والتطور، وعنده الإمكانية لأن يعقلها.

-5وجود مبدأ الأجر والاستخدام وبداية ظهور الملكية والطبقات وبالتالي وجود التمايز الاقتصادي والاجتماعي:

لقد بينت الآيات المتعلقة بنوح وجود مبدأ الاستخدام من ناس إلى ناس آخرين ووجود ناس متميزين عن ناس آخرين من الناحية الاقتصادية والاجتماعية وقد بين هذا في قوله:

-) -فإن تويتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله) (يونس 72.(
 -) -إن أجري إلا على رب العالمين) (الشعراء 109.(
 -) لا أسلكم عليه مالا إن أجري إلا على الله) (هود 29.(

والأجر في اللسان العربي تعني الكراء على العمل أي إعطاء شيء مقابل العمل .أما وجود التمايز الاقتصادي

والاجتماعي فقد عبر عنه بكل صراحة في مصطلح الملأ والأراذل. فالملأ تمثل الطبقة العليا، والأراذل تمثل الطبقة الدنيا، وقد علمتنا قصة نوح أن اعتماده الرئيسي في دعوته كان على الطبقة الدنيا "الأراذل" وقد تكون هذه الطبقة هي العبيد. والملأ هم السادة وذلك في الآيات:

-) -فقال الملأ الذين كفروا من قومه...الآية) (المؤمنون 24.(
-) فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) (هود 27.(
- -قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) (الشعراء 111 .(وهنا "قالوا تعود على الملأ وهذا واضح من الآية 27 في سورة هود.

فهنا يبرز سؤال: من هم الأراذل الذين اعتمد عليهم نوح واتبعوه؟

لقد عرف القرآن الأراذل بتعليقه)بادي الرأي (وهم الناس بدائيي الرأي في نظر الملأ وهم من نقول عنهم العامة أو الطبقة غير المتعلمة بالنسبة لعلوم زمانها "الطبقة الجاهلية"، وقد جاءت الأراذل في هذا المعنى في مقامين آخرين وهما:

-) -ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا... الآية) (النحل 70.(
 -) -ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا) (الحج 5.(

هنا استعمل مصطلح "أرذل العمر" وهو لا يعني الشيخوخة إطلاقا ولكنه يعني التوقف عن اكتساب المعرفة، فإذا تخرج إنسان من الجامعة في سن الـ 25 سنة وتوقف عن اكتساب العلم ورفع الكفاءة العلمية وبقي على معلوماته في الجامعة فيبدأ أرذل العمر عنده من سن الـ 25 وهذا ما عبر عنه بـ)لكي لا يعلم بعد علم شيئا (وهناك أناس يتابعون تحصيل العلم حتى سن متأخرة ثم يقفو عن المتابعة لأسباب متعددة منها المرض وهذا ما عبر عنه بـ) ÷لكي لا يعلم من بعد علم شيئا (أي أنه يمكن أن يأتي يوم في حياة الناس يقفون فيه عن متابعة العلم واكتساب المعلومات ليتركوه لغيرهم أي للأجيال الجديدة الناشئة وهذه هي سنة الحياة في اكتساب العلم.

هنا يعلمنا القرآن نقطة في غاية الأهمية: لقد كان خطاب نوح إلى الملأ ''الخاصة" ولكن كان اعتماده على الأراذل "العامة" ثما أثار سخط الخاصة وأعتقد أن العامة هم الذين صنعوا الفلك، وهذه النقطة تعطينا قاعدة هامة وهو أن الخطاب الفكري العقائدي يجب أن يكون دائما على مستوى رفيع بالنسبة لعصره، ولكن الممارسة يجب أن تكون مفهومة وواضحة بالنسبة للعامة ذوي المستوى الأدنى. ونستنتج أيضا من قصة نوح أنه في العصور القديمة كان التمايز العلمي والثقافي حكرا على الملأ لأهم كانوا لاي عملون بل متفرغين وهناك الغوغاء "بادي الرأي" الذين يعملون، فهذا الوضع أدى بشكل طبيعي إلى تقدم المعارف العلمية والأدبية عند الملأ.

وهذه الناحية نراها سارية المفعول حتى يومنا هذا إذ أن اكتساب المعارف ورفع الدرجة الثقافية بشكل عام والعلمية بشكل خاص يحتاج إلى تفرغ، والمتفرغ يحتاج إلى من يعيله وهذه الإعالة الآن تقوم بها الدول من ميزانياتها، فكلما صرفت الدولة من ميزانيتها على البحث العلمي وعلى التفرغ للبحث العلمي ارتفع أبناؤها في درجات الرقى والتقدم.

لاحظ أن الصراع الاجتماعي قد بدأ في عهد نوح، وقد أشار إلى ذلك في وقله تعالى) :وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عيها القول فدمرناها تدميرا) (الإسراء 16 (وقوله تعالى) :وكم أهلكنا ن القرون من بعد نوح...الآية) (الإسراء 17.(

لقد أوردنا في الباب الأول مثالا واضحا على الفرق بين آيات أم الكتاب وآيات القرآن وذلك في الآيتين:) -إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) (النحل 90.(

) -وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (الإسراء 16. فالآية الأولى تتحد عن أمر من أوامر الله يعظنا به لذا قال في نهاية الآية) يعظكم لعلكم تذكرون) (نهي من أم الكتاب " الرسالة. ("

أما الآية الثانية فانتهت بقوله)فحق عليها القول (لذا فهي عبارة عن قانون موضوعي من قوانين العلاقات الاجتماعية يعمل خارج الوعي الإنساني، فهذه الآية من القرآن "النبوة."

لنورد الآن تأويل هذه الآية مع استعمال قواعد التأويل المذكورة سابقا وخاصة المطابقة مع الحقيقة أي صدق الخبر طبقا لمستوى معارفنا.

لنبدأ بشرح معنى فعل "أمر": فعل "أمر" في اللسان العربي له خمسة أصول صحيحة "ابن فارس." الأول: الأمر ضد النهي، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى) :إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي... الآية) (النحل 90 .(فحتى يفهم فعل أمر على أنه أمر ضد النهي فيجب أن يورد بعده المأمور به كقوله) :إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) (البقرة 67 .(وقوله) :إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها () النساء 58 .(وقوله) :الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) (التوبة 112 .(وقوله) :ولا أعصى لك أمرا) (الكهف 69.(

الثاني: الأمر بمعنى الشأن كقوله) :واتبع هواه وكان أمره فرطا) (الكهف 28 .(وقوله) :ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) (الطلاق 4 .(وقوله) :إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) (الأنعام 159 (وقوله :)وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) (يوسف 102 .(وقوله) :إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) (آل عمران 47.(

الثالث: العلامة كقولنا جئت لعندك بأمارة كذا وكذا.

الرابع: الدهشة والتعجب كقوله تعالى)قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا) (الكهف: 71. (الحامس: النمو والزيادة. وفي هذا المعنى جاءت في قوله تعالى)وإذا أردنا أن نملك قري أمرنا مترفيها (الإسراء 16. (أي نموا وزادوا، فمترف واحد لا يدمر مجتمعا بل يجب أن يكون عدد كاف من المترفين هذا ما نسميه بالمصطلح الحديث "طبقة اجتماعية."

لنورد الآن معنى المترفين: فقد أورد القرآن مصطلح المترفين وهو أدق مصطلح يمكن أن ينطبق على أي مجتمع بغض النظر عن عنوان البنية الاجتماعية والاقتصادية. فالقرآن لاي هتم بالشعارات بقدر ما يهتم بالحقائق الموضوعية الفعلية التي تجري تحتها. فالترف له شرطان: الشرط الأول الكثرة والزيادة في النعم. هذا الشرط يطمح إليه كل أهل الأرض وهو طموح مشروع بأن يطمح الناس إلى الكثرة والزيادة في النعم. والشرط الثاني التخصص بها، وهو ما نسميه اليوم بالامتيازات. أي أن المترف هو صاحب الكثرة والزيادة في النعم والمتخصص بها دون غيره وقد سماها بعضهم الامتيازات الطبقية وهذا صحيح في الشكل خطأ في المضمون، فهناك مجتمعات تقوم على حكم الطبقة الواحدة التي عبرت عن نفسها بمفهوم الحزب الواحد أو القائد ولكن يوجد فيها مترفون وقد أثبتت الأحداث العالمية في الثمانينات صدق هذه لمقولة والذي حصل هو استبدال المترفين القدامي بمترفين جدد. لذا فإن مصطلح المترفين هو أدق مصطلح ينطبق على أية بنية اجتماعية بغض النظر عن عنوان هذه البنية .

وقد أورد ابن فارس هذا المعنى للترف في قوله)وترفه أهله إذا نعموه بالطعام الطيب والشيء يخص به) (ابن فارس م1 ص 345.

ففي أي مجتمع يمكن أن يوجد طبقة اسمها طبقة المترفين. وهذا المصطلح أكده القرآن)أمرنا مترفيها (أي زاد عددهم ونما فمترف واحد أو اثنان أو عشرة لا يمكن أن يؤدوا إلى هلاك مجتمع حتى تكون طبقة كاملة بيدها مقاليد الأمور، من خواصها أن لها امتيازات لا توجد لدى بقية الناس وخاصة في النعم والرفاهية والإسراف. لقد أورد القرآن أنه بوجود هذه الطبقة في أي مجتمع والمهم هو وجودها موضوعيا بغض النظر عن اسم المجتمع إسلامي أم غير إسلامي. هذا الوجود يؤدي إلى الفسوق لذا قال)ففسقوا فيها (والفسوق هو الخروج عن أوامر رب العالمين وعصيالها كقوله تعالى عن إبليس)ففسق عن أمر ربه) (الكهف 50 .(فأوامر رب العالمين المترفين.

هذا الوضع يؤدي موضوعيا إلى دمار هذا المجتمع لذا قال)فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (الإسراء 16 (وأعداء التغير والتطور هم المترفون وهم الملأحيث أعطى مواصفت الملأعلى فهم المترفون في سورة المؤمنون في قوله تعالى)وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) (المؤمنون 33 . (وقد أكد أن هذا القانون هو قانونعام ينطبق على كل المجتمعات في قوله)وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) (سبأ

34 (وقوله) :وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على أمة وإنا على أثارهم مقتدون) (الزخرف 23 .(

وقد أكد القرآن أن إحدى حجج المترفين المعلنة هي الحفاظ على تراث الآباء والأجداد أو الحفاظ على شعار وهمي وخادع للعدالة لذا أتبعها بقوله)قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) (الزخرف 24. (فكانت النتيجة)فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) (الزخرف 25. (نوى هنا الربط المنطقي والموضوعي بين الآية 25 من سورة الزخرف وقوله)فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (الإسراء 16. (وقد ذكر المترفين على ألهم أصحاب الشمال في سورة الواقعة في قوله)وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم * إلهم كانوا قبل ذلك مترفين * وكانوا يصرون على الحنث العظيم) (الواقعة 41-46 (والشمال جاءت في اللسان العربي من "شمل" وتعني الشمول وأمر شامل "والمعني الحقيقي هو دوران الشيء بالشيء وأخذه إياه من جوانبه" فأصحاب الشمال هم المترفون وهم الذين جمعوا "شملوا" في أيديهم كل مقاليد الأمور والنعم واختصوا بما دون غيرهم "امتيازاتهم الخاصة" وكانوا أعداء لكل تغيير إيجابي. ومن خواص هؤلاء أن اليوم الآخر بالنسبة لهم ليس أكثر من مجرد أسطورة ومهزأة وذلك في قوله)وكانوا يقولون أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون * أو آباؤنا من جمرد أسطورة ومهزأة وذلك في قوله)وكانوا يقولون أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون) (الواقعة 47-48.

لد ذكر القرآن الكريم أن هذا القانون بدأ بالعمل ببداية الإنسان الحديث ذ العلاقات الاجتماعية والاقتصادية واللغة المجردة وقد بدأ الإنسان الحديث بنوح، لذا أتبع الآية بقوله)وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) (الإسراء 17.(

وأخيرا يجب أن نميز أنواع الهلاك: فهناك هلا القرى والحضارات "هلاك الأشياء المادية" وقد عبر عنه بالدمار. أما فشل الأعمال وخيبتها وبطلانها فقد عبر عنه بالتباب كقوله)تبت يدا أبي لهب وتب) (المسد1 .(وقوله)وما زادوهم غير تتبيب) (هود 101 .(أما فشل الأفكار وخيبتها وبطلانها فقد عبر عنه بمصطلح "التبار" كقوله)وليتبرواما علوا تتبيرا) (الإسراء 7 .(وقوله)إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون () الأعراف 139.(

د- من وقف في وجه دعوة نوح:

في ضوء الترتيل نرى أن أعداء دعوته عليه السلام هم الناس المستفيدون من الوضع القائم وهم "الملاً" أصحاب الامتيازات ورجال الدين "الكهنة" فالتغيير فيه إنقاص للملاً الذين ملؤوا مالا وجاها "نفوذا" وفيه فقدان لسيطرة رجال الدين على الناس. وقد قلنا إن عبادة مظاهر الطبيعة كانت العبادة السائدة عند قوم نوح "الشمس، القمر، النجوم، الرعد، البرق، الأنهار" وكل عبادة وثنية لها كهنتها، فمظاهر الطبيعة هي الآلهة، والكهنة هم مندوبو الآلهة لدى الناس لذا فالآلهة والكهنة مرتبطان بعضهما ببعض ارتباطا وثيقا وهذا ما

عبر عنه القرآن بكل دقة بقوله)وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا * وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) (نوح 23-24. (

هنا نلاحظ كيف استعمل)تذرن آلهتكم (ثم أعاد الفعل مرة ثانية)تذرن ودا (...فمظاهر الطبيعة هي الآلهة. أما "ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر" فهم الكهنة مندوبو الآلهة للناس، واعتقد أن القول الذي يقول بأن ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا عبارة عن أصنام غير صحيح للأسباب التالية:

- 1 لو كانت أصناما لقال عنها آلهة ولدمجها مع الآلهة.
- 2ن الوضع الإنتاجي "وسائل الإنتاج" في عهد نوح لا يسمح بنحت الأصنام إذ أن نحت الأصنام يحتاج إلى وسائل للنحت وإلى مفاهيم هندسية بعدية وهذه المفاهيم الهندسية لم تظهر عند الإنسان إلا بظهور الأبنية "الاستقرار" حيث أن البناء يحمل مفاهيم هندسية بعدية.
- 3 مظاهر الطبيعة أو الأصنام ليست من العاقل فإذا كان الإنسان يعبد الشمس فلا نقول أن الشمس أضلته ففي هذه الحالة سيكون العقاب للشمس لأنها هي التي أضلته، بينما كان تعليقه على ود وسواع...الخ هو)وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) (نوح 24.

فهل مظاهر الطبيعة أو الأصنام تضل الناس عن عبادة الله الواحد وقد وصفهم بالظلم وهل مظاهر الطبيعة والأصنام تظلم وهذه كلها صفات للعاقل أم أن الناس الذين يدعون إليها هم الذين يضلون الآخرين ويظلمو فهم؟

وأعتقد أن هذه الظاهرة مازالت إلى يومنا هذا حيث أن المترفين ورجال الدين يضلون الناس ويوقعونهم في الوهم "الباطل". لذا فإن الإسلام دين مدنى ولا يوجد فيه رجال دين.

أما موقف الملأ فقد عبر عنه كما يلى:

-) -قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين) (الأعراف 60 (هنا نلاحظ كل الملأ بدون استثناء.
-) -فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشر مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم عينا من فضل بل نظنكم كاذبين) (هود 27.(
- في الآية 60 من سورة الأعراف نلاحظ كيف ذكر الملأ كله كطبقة وكان موقف الملأ ككل هو تخطئة نوح بقولهم)إنا لنراك في ضلال مبين) (الأعراف 60 .(ولكن بعد فترة هناك جزء من الملأ اقتنع مع نوح وبقي الجزء الآخر ضد نوح وضد من معه من الملأ لذا جاءت الآية)فقال الملأ الذين كفروا من قومه) (هود 27 .(فكان الاتمام ليس بالضلال والخطأ كقولنا "أضل الطريق" ولكن الاتمام كان بالتكذيب بقولهم)بل نظنكم كاذبين (وهنا فعل ظن يعني اليقين لا الشك.

أما التهم التي وجهت إلى نوح ومن معه فهي كالتالي:

إن البطش بأية دعوة إنسانية تدعو إلى التوحيد والتطور من قبل أعداء التطور وعهم المستفيدون من ثبات

الأوضاع والكهنة، هذا البطش يحتاج إلى مبررات، فما هي هذه المبررات؟

الضلال والتكذيب)إنا لنراك في ضلال مبين (أي أن هذه الدعوة جاءت لتضلل الناس وتخدعهم وتحيدهم عما وجدوا آباءهم عليه وهذا المبرر بقي إلى حين دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا بأشكال متعددة حسب الظروف الموضوعية وسلم التطور وذلك في قوله تعالى:

-) -بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) (الزخرف22.
- -وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير غلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) (الزخرف 23.(
 -) -قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم بمكافرون) (الزخرف 24.(
 -) تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) (إبراهيم 10.(

هنا نلاحظ أن هذه السنة وهي الاستمرارية على ما ورثوه عن الىباء هي الحجة الكبرى لأعداء التطور وهنا أيضا أعطى تعريفا دقيقا لأعداء التغيير والتطور وهم المترفون من الملأ أصحاب الامتيازات وهذا الخوف على الامتيازات وضح في قوله)وما نرى لكم علينا من فضل) (هود 27.(

وهكذا نفهم التهمة الاولى وهي الضلال المبين. فإذا اكتسبت الدعوة الأنصار يتطور الاتمام إلى التكذيب)بل نظنكم كاذبين) (إن قومي كذبون) (الشعراء 117 (ثم يتطور إلى الحجة أن الدعوة الجديدة تريد استلام السلطة)يريد أن يتفضل عليكم) (المؤمنون 24 .(

وهذا التكذيب يرافقه ظاهرة السخرية)وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) (هود 38 .(والازدراء)ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا) (هود 31.(

أما الإجراءات التي يتخذها أعداء التجديد والتطور فهي:

- -النفى)لنخرجكم من أرضنا) (إبراهيم 13.(
- -الأذى "التعذيب) الولنصبرن على ما آذيتمونا) (إبراهيم 12.
 - -الرجم)تلكونن من المرجومين) (الشعراء 116.
 - -الزجر)وقالوا مجنون وازدجر) (القمر 9.(
- -المرك "التآمر) "ومكروا مكرا كبارا) (نوح 22 (والمكر هو التآمر، فأعطاء التقدم والتطور يتآمرون لمنع تقدم عملية التطور إلى الأمام ويتهمون عاة التطور والتقدم بالتآمر وقد حصل هذا فعلا عندما الهم فرعون موسى والسحرة بالتآمر في قوله)قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) (الأعراف 123.(
 - وقوله) :قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون () الأعراف 109-110. (

- -الفرار)فلم يزدهم دعائي إلا فرارا) (نوح 6 .(وأحد معاني الفر في اللسان العربي هو النيل منه وخرق عرضه فنقول فلان يفر من فلان إذا نال منه وخرق عرضه.
- -عدم الإصغاء لقيام الحجة: حيث أن حجة التحجر والتزمت ضعيفة جدا ودعاة التوحيد "التطور" ذوو حجة قوية جدا، فأحد ردود الفعل ضدهم هي عدم الإصغاء إليهم ومنع الآخرين من الإصغاء إليهم)وإني كلما دعوهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذائهم واستغشوا ثياهم واصروا واستكبروا استكبارا) (نوح 7. (وفي هذا المجال نرى أن ننوه إلى المعاني التالية:
- 1 التمييز بين الفلك والسفينة. فالفلك جاءت من "فلك" وهو الاستدارة وهي عبارة عن الشكل الهندسي للسفينة قبل نزولها في الماء، فالفلك عبارة عن قطع خشبية مربوط بعضها ببعض بألياف طبيعية لها شكل قريب منا لدائري أو البيضوي من أحد أطرافها على الأقل. أما السفينة فهو الفلك عندما يجري في الماء فترتطم به الأمواج. ومن هنا جاءت السفينة من فعل "سفن" وله أصل واحد وهو تنحية الشيء عن وجه الشيء الآخر أي أن السفينة تسفن الماء كألها تقشره.
 - 2 لقد سمى كل أعداء نوح بالظالمين، وقد شرحت في مبحث الفرقان معنى الظلم وأن الشرك عبارة عن ظلم، والمظهر الرئيسي للشرك هو وقف عملية التطور من حيث المعرفة ومن حيث التشريع:
 -) فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) (المؤمنون 28.(
 -) -ولا تخاطبني في الذين ظلموا إلهم مغرقون) (هود 37.(
 -) -وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) (نوح 24.(
 - -3التمييز بين الجهر والعلن في قوله:
 -) ثم إني دعوتكم جهارا) (نوح 8.(
 -) -ثم إين أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) (نوح 9.(
- في الآيتين 8-9 من سورة نوح تبين لنا أن هناك فرقا بين الجهر والعلن، فالجهر جاءت من الجمال فنقول فلان استجهرته أي راعني جماله وكثر في عيني، وفلان ذا جهرة أي منظره تجتهره الأعين. فعندما قال)إيي دعوتهم جهارا) (نوح 8 .(أي أنه كان في دعوته لهم لطيفا جدا وبدون أية فظاظة وهذا أيضا ما أمر الله به موسى عندما أرسله إلى فرعو)اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) (طه 43-44 (أما قوله) إين أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) (نوح 9 (فهذا يعني أن الدعوة أخذت الوجه العلني والوجه السري.
- -4إن مسار القصص القرآني يبين أن دعاة التطور والتقدم وهم الأنبياء ودعاة التشريع وهم الرسل كانوا ذوي أتباع قلائل وكانوا مغلوبين على أمرهم فكان الله يتدخل لنصرتهم وتدخل الله هو من خلال ظواهر الطبيعة وقوانينها لذا سمى هذه الظواهر آيات الله في سورة الجاثية الآية 6. فقال عن الظالمين)وكذبوا بآياتنا (

)البقرة 39/المائدة 10-86 (وقول نوح)رب انصريني بما كذبون) (المؤمنون 26 (فقد كذب الظالمون بالفلك وبالطوفان وهما من آيات الله فنصره الله بهما.

- 5لقد بدأ الإسلام بنوح وانتهى بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث ذكر منذ نوح في قوله)فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) (يونس 72 (وبالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم)اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) (المائدة 3 (وهذه الآية كما شرحت سابقا هي آخر آية من آيات الحدود أو من آيات أم الكتاب أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم وبما ختم التشريع الإفهي للإنسان وبدأ التشريع الإنساني ضمن حدود الله،)شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ...الآية) (الشورى 13.

الدين الإسلامي هو سلم التطور في الرسالات والنبوات حيث ختمه محمد صلى الله عليه وسلم وبعد النبي صلى الله عليه وسلم أصبح الإنسان قادرا بنفسه على تطوير معارفه وتطوير تشريعاته ضمن حدود الله التي أعطيت لحمد صلى الله عليه وسلم هو الخاتم وبه بدأ الإنسان الحديث والمعاصر.

والآن يمكن أن نطرح السؤال التالي: هل القصص القرآني هو من أساطير الأولين كما يقول البعض؟ أترك استنتاج جواب هذا السؤال للقارئ نفسه في ضوء ما سردناه في هذا المبحث حول نوح.

الفرع الثاني: هود

لقد جاء ذكر هود أو الإشارة إلى ذكره في الآيات التالية:

-الأعراف 72-65.

-هود)من 50 إلى 60(، .89

-الشعراء 124، 139.

-الأحقاف 21-26.

-القمر 18-21.

-الحاقة 4-6-8.

-ق 12.

-فصلت 13-16.

-إبراهيم 9.

بعد هلاك قوم نوح ونجاته في السفينة هو ومن معه، حققت الإنسانية بنبوته قفزة نوعية بركوب الماء واجتياز العوائق المائية. وبعد هذه القفزة حصلت قفزة نوعية كبرى وهي تذليل الأنعام وهذه القفزة حصلت في الفترة

الواقعة بين نوح وهود ومن جراء هاتين القفزتين حصل ما يلى:

- تحقق نبوة نوح بالاستقرار والبناء)ويمددكم بأموال وبنين) (نوح 12 (فنتج عن تذليل الأنعام أمران هامان:

أ - الاستقرار إذا بدأ الإنسان باستغلال الأنعام واستعمالها للزراعة وللطعام وللركوب مما هيأ له الاستقرار وبالتالي البناء بأبسط صورة ووفرت له من جلودها وأوبارها مادة أولية للباس.

ب - الانتشار الواعي في الأرض "الهجرة" حيث أن الأنعام كانت وسيلة النقل البرية بالإضافة إلى الفلك "وسيلة النقل المائية" وذلك في قوله)وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم) (النحل 7.(

لذا ففي الفترة الواقعة بين نوح وهود حصلت هاتان الظاهرتان معا ظاهرة الاستقرار وظاهرة تذليل الأنعام وجاء قوله تعالى): أتبنون بكل ربع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) (الشعراء 128-129. (فالربع هو المكان المرتفع، حيث كان في معلومات قوم هود طوفان نوح فاتخذوا الاحتياطات ضد الطوفان وبنوا في الأماكن المرتفعة وهنا ذكر البناء صراحة بقوله)أتبنون (وبما أن الأمكنة المرتفعة تحتاتج لمصادر المياه فقد حفروا حفرا لتجميع المياه في هذه الأماكن وقد أطلق على هذه الحفر مصطلح "مصنع" فقال)وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (و)ولعلكم تخلدون (هنا جاءت للراحة من نقل المياه إلى هذه الأماكن.

ولتبيان أن الأنعام والأبنية حصلت مخعا وفي الفترة الواقعة بين نوح وهود قال)واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين) (الشعراء 132-133 (ولكي يبين أن هذا الاستقرار ووجود نوع من البناء والأنعام المذللة أدت إلى ظهور الزراعة بأبسط أنواعها أتبعها بقوله) :وجنات وعيون) (الشعراء 134. أما ظاهرة الانتشار فقد وردت في قوله تعالى :

-) -وأنه أهلك عادا الأولى) (النجم 50 (بما أنه قال)عادا الأولى (فهذا يعني أن هناك عادا الثانية على الأقل، ولم يذكر لفظة الأولى بالنسبة لثمود أو مدين لأنه لا يوجد إلا ثمود واحدة ومدين واحدة.
 -) -ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد) (الفجر 6-7.(

فهنا أعطى وصفا لعاد هو إرم، وقد جاءت من "أرم" وتعني الأصل ومنها جاء مصطلح "الأرومة" أي هنا يتكلم عن عاد الأصل وليس الناس الذين تفرعوا عنها.

-) -ألا بعدا لعاد قوم هود) (هود 60 (هنا بين أن عادا الأولى هي عاد الأصل وإليها أرسل هود لذا قال "عاد قوم هود" أي هناك عاد ليسوا بقوم هود.
-) -واذكر أخاد عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه..الآية) (الأحقاف 21 (هنا ذكر المكان وهو الأحقاف للدلالة على أن هناك أمكنة أخرى غير الأحقاف كانت مسكونة. وهذه المنطقة عبارة عن منطقة غزيرة الأمطار لقوله)ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا

ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) (هود 52 .(هنا لاحظ قوله)يرسل السماء عليكم مدرارا (وقوله) :وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) (الشعراء 129 .(حيث لا يمكن للحفر في الأماكن المرتفعة أن تملتئ بالمياه إلا إذا كانت الأمطار غزيرة.

طريقة الوحي إلى هود:

لقد قلنا إن الله كان قبل نوح يرسل الرسل من الملائكة باسم النذر، وكان نوح أول رسول ونبي من جنس البشر لذا قال له قومه)ولو شاء الله لأنزل ملائكة) (المؤمنون 24 (هذها لناحية بقيت أيضا بالنسبة لهود، ولكن بالنسبة لهود جاءت النذر قبله وعاصرته وذلك في قوله تعالى) :واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه..الآية) (الأحقاف 21 .(وقوله) :كذبت عاد المرسلين) (الشعراء 123.(

المرسلون هنا هم هود والنذر. وقوله)فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود * إذ جاءهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تبعدوا إلا الله ...الآية) (فصلت 13-14 (وقد أنكر قومه هذا أشد الإنكار على أن يوحي الله إلى بشر مثلهم ومنهم، وقد جاء هذا في قوله)أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح...الآية) (الأعراف 69. (ولقد أورد قومه نفس حجة قوم نوح بقولهم)قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون (ولقد أورد قومه نفس حجة قوم نوح بقولهم)قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون (ولقد أورد قومه نفس حجة قوم نوح بقولهم)قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون (

لنبحث الآن ما هي رسالة هود:

لقد أرسل هود إلى قومه برسالة التوحيد مع حصول تطور بمظاهر الشرك عند قوم هود تختلف عما كانت عليه عند قوم نوح وهذا الاختلاف هو تعدد الآلهة مع الاختصاصات بينها وقد جاءت دعوة التوحيد في قوله: عليه عند أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون) (هود 50. (هنا ذكر مع دعوة التوحيد الافتراء. فماذا افترى قوم هود؟ الافتراء هو توزيع الاختصاص على الآلهة كأن نقول إلاه المطر، إلاه الحب، إلاه الحرب، وهكذا دواليك وقد جاء هذا التخصص في قوله تعالى:

-) -قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين) (الأعراف 71.(
 - هنا قال الأسماء هو للتمييز بين الآلهة، وهذه الأسماء افتريت من قبلهم وقبل آبائهم.
 -) -إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال غني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون) (هود 54. (هنا بين أيضا أن هناك آلهة السوء وبالضرورة يوجد آلهة النفع والخير لذا قال)بعض آلهتنا (*وقد كانت رسالة هود هي التوحيد لذا أتبع قوله)بعض آلهتنا بسوء (بقوله) :قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما

تشركون) (هود 54. (

بالإضافة إلى التوحيد كانت رسالته تحتوي على الاستغفار والتوبة لقوله) :ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا الله ... الآية) (هود 52 .(هنا في رسالة هود حص

ل تطور هام عن رسالة نوح وهو أن الأضداد لها إله واحد حيث لم يستوعب الناس في ذلك الوقت وحدة الأضداد وظهر هذا الجهل بتعدد الآلهة والاختصاصات بينهاز لذا كانت رسالة هود هي التوحيد والتوبة والاستغفار ولا أكثر من ذلك فقال)قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) (الأعراف 67-68 (هنا لا حظ كيف قال)رسالات ربي.(

موقف قومه من رسالته:

- 1 الكفر والإنكار والإصرار على اتباع نهج الآباء)قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) (الأعراف 70) (فإنا بما أرسلتم به كافرون) (فصلت 14.(
- 2 الاتمام بالجنون "السفاهة" والتكذيب من قبل الملأ أصحاب السلطة والمال؛)قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنواك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين) (الأعراف 66.

نبوة هود:

- 1لقد كانت نبوة هود هي التأكيد على نبوة نوح والتي بشر كها قومه فتحققت على سلم التطور في الفترة الواقعة بين نوح وهود وهي الاستقرار والبناء وتذليل الأنعام والتي أصبحت حقيقة معروفة)واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون) (الشعراء 132-133-134 (وقوله:)فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) (الأحقاف 25 .(

وبما أن هذه النبوة أصبحت حقيقة ملموسة لذا طلب قومه منه البينات غير التي ذكرت بقوله) :قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) (هود 53. (وقوله) :قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) (الأحقاف 22 (فكانت بينة هود هي الوعيد بقوله) :قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكن أراكم قوما تجهلون) (الأحقاف 23) (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) (الأحقاف 24.

- 2لم يذكر اليوم الآخر بتاتا في نبوة هود ولا الساعة ولا البعث ولا الصور والجنة والنار، كل هذه المعلومات كانت غير واردة في نبوته، وإنما لمح لليوم الآخر بشكل غير مباشر بقوله)إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) (الأعراف 59- (هذا إن كان "عذاب يوم عظيم" يعني عذاب اليوم الآخر - علما بأن هناك آيات ذكر فيها العذاب العظيم وتعني عذابا في الدنيا لا في الآخرة وذلك في قوله)فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) (الأنبياء 76 (وقوله) :ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) (الشعراء 156 (

وقوله) :فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) (الشعراء189 (حيث ذكر اليوم الآخر صراحة لأول مرة ولمرة واحدة في نبوة شعيب في قوله) :وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين) (العنكبوت 36.

الفرع الثالث: الأنبياء والرسل

لا بد لنا عند بحث موضوع الأنبياء والرسل وكيف صنفهم القرآن أن ننوه إلى النقاط التالية :

- 1إن آدم المصطفى الذي هوأبو الإنسانية لم يكن وحده بل كان معه بشر آخرون اصطفاه الله منهم وبدأ بتعليمه التجريد وهو بدوره علم الآخرين، فالناس هم أبناء آدم ليس بالضرورة من صلبه وإنما أبناءه بالأنسنة كقولنا ابن جامعة دمشق. ابن مدينة دمشق. . وهكذا. لذا فعندما يقول تعالى "يا بني آدم" فهذا يعني أنه يخاطب أبناء آدم الذين هم من صلبه والذين هم أبناؤه بالأنسنة .

فهنا يظهر تماما الاصطفاء لآدم في قوله تعالى) :إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران) (على العالمين) (آل عمران 34 (فحصل الاصطفاء من العالمين) (آل عمران وأما قوله) : ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) (آل عمران وأما قوله) : ذرية بعضها من بعض (الله لآدم من بين من هم معه من البشر ولنوح ولآل إبراهيم وآل عمران وأما قوله) : ذرية بعضها من نسله فهذا يعني أن نوحا وآل إبراهيم وآل عمران هم من أبناء آدم ليس بالأنسنة فقط وإنما من ذريته أي من نسله المباشرين. وان آدم المصطفى ليس نبيا ولا رسولا حيث أن النبوة والرسالة بدأت إلى بني البشر بنوح لقوله تعالى)إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحي والنبيين من بعده . . . الآية) (النساء 163 (ومن هنا نجد أن عدد الأنبياء الذين ذكروا في الرآ، هو 24 نبيا منهم من هو نبي ومنهم من هو نبي ورسول.

- 2عندما ذكر في سورة مريم "زكريا، يحيى، عيسى، إبراهيم، إسحاق، يعقوب، موسى، هارون، إسماعيل، إدريس" قال عنهم)أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن هلنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) (مريم 58. (نرى في سورة مريم أن زكريا ويحيى ومريم "عيسى" من آل عمران والبقية ما عدا إدريس هم من ذرية إبراهيم كلهم من ذرية آدم ولكنهم ليسوا من ذرية نوح لقوله)وممن هلنا مع نوح) (مريم 58 . (ومنه نستنتج أن آل إبراهيم وآل عمران هم من ذرية آدم وليسوا من ذرية نوح بل من ذرية "من هلنا مع نوح". وبما أن يعوقب منهم وهو الملقب إسرائيل فإن بني إسرائيل ليسوا من ذرية نوح ولا سام ابن نوح، وعليه فإن النظرية السامية ليست أكثر من وهم .

وقد أكد القرآن هذه الفكرة حول بني إسرائيل في قوله) :وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دويني وكيلا * ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبد شكورا) (الإسراء 2-3.(وبما أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو من ذرية إسماعيل لذا فهو من ذرية آدم من نسله أي من حيث الدم

وليس من الضروري أبدا أن يكون كل العرب من ذرية إسماعيل أو ذرية آدم، فالنبي صلى الله عليه وسلم ينتسب دما إلى إسماعيل، وقومية إلى العرب.

- 3لقد وردت أسماء الأنبياء بشكل رئيسي في السور التالية:

أ- سورة الأنعام: ورد فيها:

) -وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليهم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي الحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخواتهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم (*)الأنعام 83-87.(

نلاحظ في سورة الأنعام في الآيات 83-87 ما يلي:

-أنه ورد فيها 18 نبيا بشكل مباشر وورد فيها محمد صلى الله عليه وسلم بشكل غير مباشر في قوله)أولئك الله الذين هدى الله فبهداهم اقتده...الآية) (الأنعام 90 (حيث في هذه الآية الخطاب موجه إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

- نلاحظ أيضا بشكل صريح أن آدم ليس بنبي إذا أجرينا تقاطعا بين الآيتين)قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (البقرة 38 (ففي هذه الآية الخطاب موجه إلى آدم المصطفى ومن معه وقال لهم بصيغة المستقبل)فإما يأتينكم مني هدى...الآية) (البقرة 38 . (وقوله وإذا أخذنا قوله) : ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل... الآية) (الأنعام 84 (وقوله)أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (الأنعام 90 (من هذا التقاطع نستنتج أن آدم المصطفى ليس له علاقة بنبوة و لا رسالة.

ب- سورة الأنبياء وقد ورد فيها الأسماء التالية: موسى، هارون، إبراهيم، لوط، إسحاق، يعقوب، نوح، داوود، سليمان، أيوب، إسماعيل، إدريس، ذو الكفل، يونس "ذو النون"، زكريا، يحيى، مريم "عيسى"، وعددهم سبعة عشر "17" وقد ورد فيها بشكل غير مباشر محمد صلى الله عليه وسلم في قوله)وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (الأنبياء 107.

ج- في سورة الشعراء: وقد ورد فيها الأنبياء: موسى، هارون، إبراهيم، نوح، هود، صالح، لوط، شعيب، وقد ورد فيها بشكل غير مباشر محمد صلى الله عليه وسلم في قوله) :نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) (الشعراء 193-195.(

د- في سورة مريم وقد ورد فيها: زكريا، يحيى، عيسى، إبراهيم، إسحاق، يعقوب، موسى، هارون، إسماعيل، إدريس، وقد جاء ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بشكل غير مباشر في قوله)فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به

المتقين وتنذر به قوما لدا) (مريم 97.

هـ- في سورة الصافات: نوح، إبراهيم، إسحاق، موسى، هارون، إلياس، لوط، يونس، وقد ورد فيها بشكل غير مباشر خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله)فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) (الصافات 149.(

من هذه السور الخمس نستنتج ما يلي:

أن عدد الأنبياء الذين ورد ذكرهم في الكتاب هو 24 نبيا هم:

-1نوح، 2-هود، 3-صالح، 4-شعيب، 5-لوط، 6-إبراهيم، 7-إسماعيل، 8-إسحاق، -9يعقوب، 10-يوسف، 11-يونس، 12- أيوب، 13-موسى، 14-هارون، 15- داوود، -16سليمان، 17-زكريا، يوسف، 11-يونس، 12- أيوب، 13-إلياس، -22اليسع، 23-عيسى، 24-محمد صلى الله عليه وسلم.

وإذا تصفحنا الآيات الواردة في هذه السور الخمس مع آيات أخرى رأينا أن عدد الرسل من هؤلاء هو 13 ثلاثة عشر رسولا والباقي أنبياء. والرسل هم:

- 1نوح) :إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) (نوح1.()إذا قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون * إني لكم رسول أمين) (الشعراء 124-125.(
- 2هود) :إذ قال لهم أخوهم هود الا تتقون * إني لكم رسول أمين) (الشعراء 124-125.(
- 3صالح) :إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون * إني لكم رسول أمين) (الشعراء 142-143.(
 - 4 لوط) :إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون * إني لكم رسول أمين) (الشعراء 161-162.) وإن لوطا لمن المرسلين) (الصافات 133. (
 - 5شعيب) :إذ قال لهم شعيب ألا تتقون * إني لكم رسول أمين) (الشعراء 177-178.
 - 6يونس) : وإن يونس لمن المرسلين) (الصافات 139.(
- 7 إبراهيم) :ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) (الحديد 26.(
 - 8إسماعيل) :واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) (مريم 54.(
 - 9إلياس) : وإن إلياس لمن المرسلين) (الصافات 123. (
- 10يوسف) :ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) (غافر 34.
 - 11موسى) :واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا) (مريم 51.(
 - 12عيسى): ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد يجئتكم بآية من ربكم. الآية) (آل عمران 49.(
- 13محمد صلى الله عليه وسلم) :ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان

الله بكل شيء عليما) (الأحزاب 40.(

أما الباقي فهم أنبياء وليسوا رسلا، وبدأ الكتاب بموسى وهو الرسالة أي مجموعة كاملة من التشريعات وبعد موسى جاء الكتاب إلى عيسى وهو شريعة موسى "كتاب موسى" مع بعض التعديلات لذا قال) :ورسولا إلى بني إسرائيل) (آل عمران 49 .(وبعد ذلك جاء الكتاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو الخاتم وأم الكتاب هي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

فكل من جاء بعد موسى حكم بشريعة موسى حتى عيسى، ثم جاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهي الرسالة الخاتم وتختلف عن كل الكتب التي قبلها بأنها حدودية وسميت عوضا عن الكتاب بأم الكتاب. أما الأنبياء فهم:

- 1 إسحاق) : فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق. (...
 - 2يعقوب) :ويعقوب وكلا جعلنا نبيا) (مريم 49.(
 - 3هارون) :ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) (مريم 53.(
- 4إدريس) :واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا) (مريم 56.(
 - 5زكريا، 6 يحيى، 7 داوود، 8 سليمان:

وقد جاؤوا في الفترة الواقعة بين موسى وعيسى فهم أنبياء فقط أما قوله)يا يجيى خذ الكتاب بقوة) (مريم 12 . (فالكتاب هنا هو كتاب موسى لأن يجيى وزكريا كانا على شريعة موسى. أما قول زكريا الوارد في الآية)يرثني ويرث من آل يعقوب) (مريم 6 . (فهذا يعني أن هناك صلة رحم بين آل يعقوب وآل عمران حيث أن آل يعقوب هم من آل إبراهيم وزكريا من آل عمران لذا قال عن آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران)ذرية بعضها من بعض) (آل عمران 54.

- **-9**ذو الكفل:
- -10اليسع :جاء ذكرهم في سورتي الأنبياء والأنعام ولم يذكر لهم أية رسالة.
 - -11أيوب:

ما هي الاستنتاجات التي يمكن أن نستنتجها من هذه السور آخذين بعين الاعتبار منهجنا المتبع في هذا الكتاب:

- 1ما هو الزبور؟ ألم يؤت داوود زبورا. فالزبور هو نبوة داوود فقط وهو كتاب نبوة فقط "معرفة" أي متجانس مع التوراة والإنجيل والقرآن. فالزبور هو نبوة داوود أما شريعته فقد كانت شريعة موسى حيث ذكر الزبور في مقام النبوات في قوله) :إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده (حتى أنهى الآية بقوله)وآتينا داوود زبورا) (النساء 163.(

ولكي يبين أن أفضل الأنبياء بعد موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قال): وربك أعلم بمن في

السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داوود زبورا) (الإسراء 55 .(لقد بين في هذه الآية بشكل قاطع أن الزبور أعطى أفضلية لداوود على كثير من الأنبياء.

ولكي يبين أن الكتاب والحكمة هي من الرسالة، والرسالة لا تأتي إلا لنبي أي تضاف إلى النبوة إضافة قال)وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (آل عمران 81). هنا نلاحظ كيف ذكر بعد النبيين الإضافة وهي كتاب وحكمة حيث جاءت منكرة لأن الكتاب والحكمة كمجموعة كالمة "كود كامل" لم يأت إلا إلى موسى وعيسى ومحمد عيهم السلام .

أما بقية الأنبياء فقد جاء جزء منه حسب التطور التاريخي. ولكي يفصل الكتاب "التشريع والأخلاق" عن النبوة بالنسبة للأنبياء قال)ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين...الآية) (البقرة 177 (هنا نلاحظ كيف وضع الكتاب والنبوة. لذا فإن الكتاب الوحيد الذي يشكل نبوة فقط ولا يوجد فيه أية رسالة "أي كتاب وحكمة" هو الزبور، فالزبور كله معلومات لذا قال عن القرآن)وإنه لفي زبر الأولين * أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني

فالزبور كله معلومات لذا قال عن القرآن)وإنه لفي زبر الأولين * أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) (الشعراء 196-197. (هنا أؤكد أن علماء بني إسرائيل ليسوا الأحبار وإنما بقية العلماء. وقوله تعالى)كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه. الآية) (البقرة 213 (لذا فإن داوود هو من اليهود ونبي فقط، وليس من بني إسرائيل ولكنه من ذرية نوح وكذلك سليمان وأيوب. ونرى أيضا كيف نوه بأنه يوجد في الزبور علوم قرآنية.

- 2 لقد ورد ذكر يوسف وموسى وهارون في سورة مريم على ألهم من ذرية آدم ومن ذرية من هملنا مع نوح وليس من ذرية نوح وجاء ذكرهم في سورة الأنعام على ألهم من ذرية نوح في قوله)ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى الخسنين) (الأنعام 84.

ونحن نعلم أن يوسف هو ابن يعقوب وبالتالي هو من آل إبراهيم. وكذلك موسى وهارون وبالتالي نستنتج أن يوسف وموسى وهارون هم من ذرية نوح من طرف الأم وهم من ذرية غبراهيم من طرف الأب. أما أيوب وداوود وسليمان فهم من ذرية نوح وليس لهم علاقة بآل يعقوب حيث أن آل يعقوب كانوا معروفين بعد موسى .أما القرآن فيذكر أن داوود كان نكرة في بني إسرائيل وصار ملكا بشجاعته حيث كان جنديا عند طالوت وذلك في سورة البقرة من الآيات 246 حتى الآية)فهزموهم بإذن الله وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) (البقرة 251)

هنا نلاحظ كيف لم يذكر الكتاب مع داوود، وذكر فقط الحكمة، والحكمة وحدها لا تكفى للرسالة حيث أن

- الله أعطى الحكمة للقمان وهو ليس بنبي. ولا رسول.
- 3 يجب أن نميز بين بني إسرائيل واليهود، فبنو إسرائيل هم من اليهود ابتداء من زمن موسى وليس كل يهودي هو من بني إسرائيل.
- 4هناك عائلات محددة من بني إسرائيل هم من ذرية نوح وليس اليهود أو بنو إسرائيل هم من ذرية نوح كأن نقول أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو من ذرية إبراهيم ولكن ليس كل العرب من ذرية إبراهيم أو إسماعيل والكتلة الأساسية من بني إسرائيل ليست من ذرية نوح لقوله عن بني إسرائيل) : ذرية من حملنا مع نوح) (الإسراء 3 . (أي أن النظرية السامية ما هي إلا وهم، فلا اليهود ساميون، ولا العرب ساميون.
- 5لقد أكد الله سبحانه وتعالى في القرآن أن ذرية نوح لا تفنى ولا تنقطع إلى يوم القيامة، وأن ذريته منتشرة في كل أنحاء الأرض وليست مقتصرة على دين واحد أو قومية واحدة وذلك في قوله)ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون * ونجيناه وأهله من الكرب العظيم * وجعلنا ذريته هم الباقين * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على نوح في العالمين) (الصافات 75-79. (بينما قال عن إبراهيم) وتركنا عليه في الآخرين) (الصافات 108. وقال) سلام على إبراهيم) (الصافات 109. وقال) سلام على إبراهيم)
- 6إن هودا وصالحا وشعيبا هم ليسوا م ذرية نوح وليسوا من ذرية آدم حيث لم يأت ذكرهم نمائيا من ذرية نوح ولا من ذرية آدم)إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) (آل عمران 33 (لذا فإنهم من ذرية البشر الذين تأنسنوا مع آدم المصطفى وأعتقد أن ذا الكفل منهم أيضا.
 - 7لقد تم ذكر إدريس في سورة مريم على أنه نبي فقط ليس له أية رسالة وبما أن نوحا هو أول نبي ورسول من البشر فإن إدريس بعد نوح لا قبله حيث ورد اسمه تحت الأنبياء الذين قال عنهم)وممن حملنا مع نوح ()مريم 58.(

الخاتمة

بعد هذا العرض للقراءة المعاصرة للإسلام والذي اصطبر القارئ عليه مشكورا ظهر لنا جليا الأمور التالية:

- 1دقة المصطلح في الكتاب وأنا لمصطلحات الواردة في الكتاب ترقى إلى أدق المستويات العلمية سابقا وحاليا، واعتقد في المستقبل أيضاً.
- 2 البرهان على أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم صالحة لكل زمان ومكان بالتشابه، وأن رسالته صالحة لكل زمان ومكان بالحدود، وبالتالي فإن محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والرسل، وأن الإسلام هو دين الفطرة ''الطبيعة" ومنسجم مع قوانين الوجود حيث أن الإله الذي أوحى الإسلام هو نفسا لإله الذي خلق الطبيعة، فكان هذا الانسجام الكبير بين الإسلام والطبيعة نظرا لوحدة الناموس بينهما.

وبالتالي ظهر لنا جليا الأمور التالية:

أ - إن رسالته رحمة للعالمين وهذه الرحمة نلمسها الآن ي كل أنحاء العالم، وليس في شبه جزيرة العرب وفي القرن السابع الميلادي فقط أي ظهر لنا جليا مصداقية قوله تعالى) :وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (الأنبياء 107.

ب - عالمية الرسالة، أي أن رسالته صالحة لكل أهل الأرض وتنسجم معهم ومع فطرقم، أي ظهر لنا جليا الآن وفي القرن العشرين، مصداقية قوله تعالى) :قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) (الأعراف 158.

ت - ظهر لنا جليا مصداقية قوله تعالى)ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) (الأحزاب 40 . (وأن أي إنسان بعد محمد صلى الله عليه وسلم يدعي النبوة فقط أو النبوة والرسالة معا ما هو إلا مشعوذ.

من خلال رحلة هذا الكتاب ظهر للقارئ جليا أن أساسيات النظرة الشمولية إلى الوجود بأنواعه "الله، الكون، الإنسان" محتواة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته، وأن العقيدة الإسلامية يجب أن تطرح وتفهم فهما فلسفيا ضمن منطوق القرن العشرين. من هذا الفهم الفلسفي، حوى هذا الكتاب على المواضيع التالية:

المنهج المقترح في معالجة الكتاب والقرآن معالجة علمية، والذي جاء في الباب الأول من هذا الكتاب، والذي بين بشكل جلي الفرق الأساسي بينا لكتاب والقرآن والذكر والفرقان والسبع المثاني وأم الكتاب وتفصيل الكتاب واللوح المحفوظ والإمام المبين. وأن ما طرح على أنه من المترادفات خلال قرون عديدة ظهر أنه من المتغايرات. كما ظهر الفرق الجلي بين النبوة والرسالة وبين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ونبوات ورسالات الرسل قبله .كما ظهر إعجاز القرآن وأنواع التحدي، وفي ضوء هذه المفاهيم تم تحديد قواعد التأويل.

- 3إن أي طرح فلسفي "الله، الكون، الإنسان" يجب أن يستنتج منه الفروع التالية:

أ - نظرية الوجود الإلهي والكوني وهذا ما جاء في الفصل الأول في الباب الثاني، حيث تم تحديد الوجود الإلهي "الحق، والوجود الكوني الحق أيضا" وتم تبيان أن الله أحادي، والكون ثنائي، وتم تحديد قوانين الجدل في الكون، وهي الثنائية التناقضية، والثنائية الزوجية، والثنائية الضدية. وعلى ضوء الثنائية التناقضية تم تعريف قانون تسبيح الأشياء لله. ومن هذه الثنائية واتي يعتبر قانون تغير الصيرورة "التطور، هو العمود الفقري لها، تم استنتاج الصور "الساعة"، البعث، اليوم الآخر، الجنة، النار، وتم استنتاج أن الصور والساعة والبعث لم يحصلوا بعد، وبالتالي فإن الجنة والنار لم توجدا حتى الآن، وإنما ستقومان على أنقاض هذا الكون بعد التسارع في تغير صيرورته "الانفجار الثاني."

ب - نظرية المعرفة الإنسانية: وقد تم شرح هذه النظرية في الفصل الثاني من الباب الثاني، وتم تحديد مصطلح:

الرحمن، الشيطان، إبليس، نشأة اللغة وارتباطها بالفكر. وتم تحديد مستويات الوعي الإنساني بالإدراك الفؤادي المشخص، والفكر والعقل، وتم تحديد النقيضين اللذين يعملان في الفكر الإنساني .

وفي ضوء هذه النظرية تم تحديد قانون الكم والكيف، والقدر والمقدار، والدائم والباقي، والقلم، والعلق، وتم تأويل ىيات آدم، أي ما يسمى بالحلقة المفقودة، التي انتقل بها البش إلى إنسان. وفي هذا الفصل تم تعريف القضاء والقدر، والحرية، وعلم الله، وأسس العقل الرحماني، والعقل الشيطاني. كما تم البرهان على أن الأعمار والأرزاق والأعمال غير مكتوبة سلفا على أحد، وأن مفهوم الجبرية هو مفهوم دخيل على العقيدة الإسلامية الأصلة.

ت - نظرية التشريع "أم الكتاب" والتي تم تحديدها بحدود الله، والتي جاءت في الفصل الأول من الباب الثالث، حيث بينا أن الشرع الإسلامي هو شرع حدودي لا حدي، وأن الله أعطى للناس في أم الكتاب حدود التشريع، لا عين التشريع، ومن هنا كانت الرسالة عالمية، وصالحة لكل زمان ومكان، وهي الرسالة الخاتم، علما بأن التشريع الحدودي لم يعط إلى أحد قبل محمد صلى الله عليه وسلم، وبهذا تميزت رسالته عن الرسالات التي قبله، لذا فهو الرسول الخاتم.

ث - نظرية الأخلاق: وقد جاءت في الفصل الثاني من الباب الثلاث، تحت مصطلح الفرقان العام "الوصايا العشر" وهو الأخلاق المشتركة لكل أهل الأرض، وقد جاء لكل من موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، مع وجود فرقان خاص جاء لمحمد صلى الله عليه وسلم.

كما تم بحث المفاهيما لتالية في هذا الباب، وهي العبادات والمعروف والمنكر والتعليمات التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي ليست تشريعات. كما تم إفراد بحث خاص للسنة النبوية، حيث خلصنا إلى مفهوم معاصر للسنة النبوية، ولقوله تعالى) : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .(

وفي نماية هذا الباب تم اقتراح منهج جديد للتشريع الإسلامي يقوم على الحدود، والترعيف المعاصر للسنة، وإلى مفاهيم معاصرة للقياس والإجماع، وتم تطبيق هذا المنهج في التشريع على بحث الإسلام والمرأة. حيث تم بحث وضع المرأة في الكتاب على ضوء الحدود. وتم بحث موضوع التعددية الزوجية، ولباس المرأة، وممارسة المرأة للعمل والحياة العامة، وبحث الأحوال الشخصية وذلك في الفصول 5-5، كما تم بحث فلسفة القضاء الإسلامي والعقوبات.

ج - نظرية الاقتصاد: تم استنتاج الأسس العامة للنشاط الاقتصادي المطروح في القرآن، والذي يقوم على أساس الشهوات. وتبين أن أساس الاقتصاد هو التجديد في السلع، ووسائل الإنتاج والمردود المادي وذلك في الفصل الأول من الباب الرابع.

ح - نظرية الجمال: تم تحديد مفاهيما لجمال، وتطور مواضيع الجمال خلال التاريخ. وتم بحث عناصر الجمال "الغناء، الرقص، الموسيقي، الأدب، الشعر، المسرح". وتم تحديد موقف الإسلام من الجمال وذلك في الفصل

الأول من الباب الرابع.

خ - التطور التاريخي أو خط سير التاريخ: والذي جاء في القصص القرآني، حيث بينا أن القصص القرآني يعطي خط تطور التاريخ الإنساني من حيث المعارف والتشريع. وقد أعطينا نموذجا عن هذا الخط في ترتيل قصة نوح وقصة هود وذلك في الفصل الثاني من الباب الرابع.

وننتقل الآن إلى ذكر بعض النتائج التي يمكن استخلاصها مما تم عرضه في أبواب الكتاب وفصوله.

أولاً: تعريف الإسلام

تم في الأبواب السابقة شرح مركبات الكتاب من النبوة والرسالة، وتم شرح قوانين الجدل المادي وجدل الإنسان في النبوة ووضع أسس التشريع والأخلاق في الرسالة "أم الكتاب."

فما علينا الآن إلا أن نعرف الدين الإسلامي ضمن المنظور المطروح في الأبواب السابقة، وبالتالي نشرح قوله تعالى)إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب) (آل عمران 19.(

)ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (آل عمران 85.(

أولا لنشرح كلمة "الدين"، فالدين جاءت من الأصل "دين" وهو جنس من الانقياد والذل، فالدين الطاعة ومنها جاءت المدينة والمدنية، وسميت المدينة لأنها تقام فيها طاعة ذوي الأمر ومن هذا الباب جاء الدين لأن فيه طاعة المدين للدائن مقابل أخذ وعطاء.

فمن باب الحكم جاء قوله تعالى)مالك يوم الدين (أي يوم الحكم، وقوله تعالى) :ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) (يوسف 76 (أي في طاعته وحكمه.

فكلمة الدين في المعنى الإسلامي هو مادان به الإنسان لله في خروجه من المملكة الحيوانية وما لزم به طاعته. وهنا جاءت بمعنى "الدين" وهو نفخة الروح، ومن جراء هذا العطاء من الله للإنسان تطور الإنسان وأصبح متحضرا له مدنية، وهذه المدنية نشأت عن معرفة الإنسان التدريجية بقوانين الوجود، وبنفس الوقت تحتاج إلى تشريع وطاعة هذا التشريع وذلك لوجود علاقات اجتماعية اقتصادية واعية، لذا سمى الوحي "الروح" لأن الوحي يحتوي على قوانين الوجود بالنبوة والتشريع بالرسالة. وسمى الكتاب "روح) "وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) (الشورى 52 (أما مفهوم الدين وهو كلمة (Religion)على أنه العبادات فقط بالمعنى الأوروبي، فهذا فهم مرفوض عند المسلمين .

أما كلمة الإسلام فجاءت من الأصل "سلم" وهو أصل صحيح معظم بابه من الصحة والعافية. فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى والله هو السلام لسلامته من العيب والنقائص "تغير الصيرورة" ومن هذا الباب جاء الإسلام وهو الانقياد لأنه يسلم من الإباء والامتناع من هذا المعنى جاء مصطلح الإسلام والدين

الإسلامي وهو الدين الخالص من النقائص والعيوب وهو دين سهل الانقياد ولا يوجد فيه عنت ولا تحجر ولا تزمت بحيث يصبح ممتنعا على الناس، ولكن الإسلام لا يعني الاستسلام أبدا لأن الله طلب منا أن نسلم له لا أن نستسلم بدون قيد أو شرط وفي هذا قال)ربنا واجعلنا مسلمين لك) (البقرة 128 (ولم يقل مسمسلمين لك وقوله)وأمرت أن أسلم لرب العالمين) (غافر 66 (وقوله) :إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) (البقرة 131.

فكيف نفهم الآن قوله تعالى) :إن الدين عند الله الإسلام) (آل عمران 19 (وقوله) :ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) (آل عمران 85.(

الآن إذا نظرنا إلى مركبات الدين الإسلامي رأيناه يحوي صفتين أساسيتين وهما من المتناقضات وهما الاستقامة والحنيفية، وعلى ثلاث مركبات هي الحق، والأخلاق، والتشريع والعبادات والأعراف، فلنو الآن أين الاستقامة والحنيفية في هذه المركبات الثلاث:

- 1الحق) :هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (التوبة .33.

)هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) (الفتح 28. (لقد فهم المفسرون أن الدين كله هو اليهودية والنصرانية "الأديان السابقة الولكن الدين كله هو اسم جنس، واعتقد أن الدين كله بالإضافة إلى كل الديانات السابقة يعني الدين الإسلامي بمركباته الثلاث ودين الحق هو أحد مركباته وهو أقواها جميعا "أظهرها" وهذا يعني أن دين الحق هو دين الوجود الموضوعي خارج الذات الإنسانية)الكون(، وهذا الدين يحتوي على القوانين العامة الناظمة للوجود الموضوعي ولحركة تطور التاريخ، وهذا ما جاء في القرآن "النبوة" لأن من يفهم قوانين الوجود يستطيع أن يتحكم بها ويجعلها تعمل لمصلحته. أما الجانب المستقيم من النبوة فهو النص الثابت، وأما الجانب الحنيف فهو الفهم الإنساني النسبي المتغير.

- 2دين الأخلاق "القيم الإنسانية": وهو دين السلوك الإنساني الأخلاقي والذي جاء عموده الفقري في الوصايا العشر "الفرقان" وهو مستقيم في محتواه ومتغير في طرق التعبير عنه، وبما أن الأخلاق عبارة عن قيم إنسانية ذاتية فهي ضعيفة في ذاتما بحاجة إلى قوة تؤديها وتدعمها.
- 3 التشريع: جاء في حدود الله حيث أعطى الله سبحانه وتعالى في الإسلام حدود التشريع وليس عين التشريع، والاستقامة هي في الحدود، والحنيفية هي الحركة ضمن الحدود وحسب التطور التاريخي للمجتمع. 4 العبادات: هي من الحدود.
- 5 الأعراف: هي حدود الناس وهي الجانب المتغير، وكلها حنيفية حيث أن الفرق بين حدود الله وحدود الناس "الأعراف" أن الأولى ثابتة والثانية متغيرة. لذا فإن حنيفية التشريع مرتبطة بالأعراف. والإسلام يقر كل الأعراف الإنسانية "حدود الإنسان" إذا كان لا يوجد فيها تجاوزات لحدود الله، في هذه الحالة الالتزام بحدود الله أهم من الالتزام بالأعراف.

التقوى:

التقوى: جاءت من الأصل "وقى" وتدل في اللسان العربي على دفع شيء عن شيء بغيره، والوقاية ما يقي الشيء، واتق الله توقه أي اجعل بينك وبينه كالوقاية.

الآن كيف نجعل وقاية بيننا وبين الله، أي نتقي سخطه وغضبه، فالتقوى في الإسلام لها أنواع منها التقوى الفردية والتقوى الاجتماعية والتقوى التشريعية حيث أن كل ما يتعلق بالتقوى جاء في أم الكتاب "الرسالة" إذ لا يوجد في النبوة أي تقوى، فالتقوى هي في السلوك الإنساني لا في الوجود الموضوعي.

أ - التقوى الفردية: هي الالتزام بالعبادات ما عدا الزكاة والصدقات حيث أنما عبادة وعلاقة اجتماعية ابتداء من الحد الأدنى فما فوق، وهذه التقوى لها علاقة بكل شخص على حدة، فصلاة الإنسان وصومه وحجه لنفسه، فإذ صلى الإنسان فصلاته له ولا يؤثر في صلاته أو عدم صلاته على أحد وكذلك الصوم والحج. ب - التقوى الاجتماعية "الأخلاقية": وهي الالتزام بالوصايا "الأخلاق" في علاقة المسلم مع غيره من الناس قاطبة بالإضافة إلى الزكاة والصدقات في علاقته مع مجتمعه.

ت - التقوى التشريعية: وهي التزام المسلم بالتشريع ضمن حدود الله والتزامه بالأعراف السائدة ضمن حدود التشريع، وحقه في المطالبة بتغيير التشريعات والأعراف وتغييرها فعلا إذا طال عليها الزمن وأصبحت معيقة للتطور الذي هو العمود الفقري للتوحيد، ولا يصدر أي تشريع إلا من خلال موافقة أكثرية الناس عليه "الإجماع."

هذه الأمور كلها تنسجم مع الفطرة الإنسانية ومع قوانين الطبيعة.

ثانياً: فصل الدين عن الدولة

لنناقش الآن أطروحة فصل الدين عن الدولة، و أطروحة الدولة العلمانية.

لقد ظهرت هذه الأطروحة ابتداء من عصر النهضة في أوروبا نظرا لتناقض مكتشفات العلم مع التفسير التوراقي للكون، ونظرا لجمود شريعة موسى حيث أن طرح التوراة والإنجيل كان مرحليا، وشريعة موسى وعيسى كانت زمانية مكانية حدية، فكانت هذه المطالبة مبررة وتنسجم مع فطرة الإنسان، لذا تم في نهاية الأمر فصل الدين عن الدولة حيث أن الديانتين المسيحية واليهودية أصبحتا في المعابد فقط وكان الابتعاد عنهما ينسجم مع فطرة الإنسان الحنيفية. هذا هو السبب الأساسى في فصل الدين عن الدولة.

أما بالنسبة للدين الإسلامي فهو دين حنيفي منسجم مع الفطرة الإنسانية ويعتمد على التشريع الإنساني ضمن حدود الله وعلى البينات المادية وإجماع أكثرية الناس على التشريع.

لنناقش الآن فصل الدين عنا لدولة من وجهة نظر إسلامية:

- 1إذا أردنا فصل دين الحق عن الدولة، فهذا يعني أن الدولة غير معنية بالبحث العلمي وتطوير مناهج

التعليم والجامعات وغير معنية بربط منجزات العلم مع الحياة. والدولة لا تعنيها البينات المادية والإحصائية في رسم سياساتها المختلفة، وبالتالي فإن الدولة تقوم على المنجمين والمشعوذين والدجالين.

- 2إذا أردنا فصل منهج التشريع الإسلامي "حدود الله" عن الدولة فهذا يعني أن الدولة غير حنيفية في التشريع، والتشريع فيها حدي غير متطور، والدولة لا يهمها إجماع أكثرية الناس على التشريع المطروح ولا تأخذ بعين الاعتبار تأثير تطور المعارف على التشريع، ففي هذا يقع ظلم كبير على الناس من جراء عدم تطوير التشريع زمانا ومكانا.
 - 3إذا أردنا فصل الوصايا "الفرقان" عن الدولة فهذا يعني أن الدولة غير معنية بشهادة الزور وقتل النفس وإشاعة الفاحشة ورعاية الأيتام وحنث اليمين والوفاء بالمواصفات في البيع والشراء والإنتاج.
- 4إذا أردنا فصل مفاهيم الجمال عن الدولة والتي تعتبر من الفطرة الإنسانية فهذا يعني أن الدولة غير معنية بالآداب من شعر ونثر ورسم ونحت وتصوير وغير معنية بالرياضة والنشاطات الرياضية.

الآن إذا تم فصل هذه البنود الأربعة عن الدولة ينتج لدينا سؤال هام وهو :ما هي الدولة؟ الجواب هو في هذه الحالة: الدولة هي لا شيء. قد يقول البعض إن ما نعنيه بفصل الدين عن الدولة هو العبادات فقط. أقول: لقد كفاكم النبي صلى الله عليه وسلم مؤونة هذا الفصل حيث فصلها بنفسه. فهل مارس النبي الإكراه في العبادات الصلاة والصوم والحج؟ وهل كلف أحدا بمراقبة من يصلي ومن لا يصلي، أو من يصوم أو لا يصوم، أو منأدى فريضة الحج؟ لقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العبادات أسلوب الترغيب والترهيب، أي الأسلوب التربوي البحت، لا الأسلوب السلطوي حيث نفهم أن الدولة تعني السلطة، والسلطة فيها إكراه، أي لو كانت الصلاة والصوم هي من مهام الدولة لوضعت الدولة عقوبة على تارك الصلاة والصوم، ولأكرهت الناس على أدائها.

وهذا لا يوجد في الإسلام بتاتا، حيث أن العبادات هي صلة بين العبد وربه، وكل مهمة الدولة ف العبادات تتحصر في التسهيل على الناس أداء الحد الأدنى من العبادات واحترام هذه العبادات وعدم تشجيع الناس على تركها.

وهكذا نفهم قوله تعالى)إن الدين عند الله الإسلام) (آل عمران 19) (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (آل عمران 85.(

وهكذا نجد أيضا أنه لا يوجد إنسان في الأرض إلا وله في الإسلام نصيب علم ذلك أم لم يعلم، لأن الإسلام ينسجم مع الفطرة الإنسانية "طبيعة الناس". قد يقول قائل إن معظم أهل الأرض في هذا المنظور ملتزمون بحدود الله ويعيشون حسب أعرافهم المتطورة، فهل يعني هذا أن معظم أهل الأرض سيدخلون الجنة؟ جاء الجواب في الكتاب أن المؤمنين منهم فقط سيدخلون الجنة، لذا أتبع قوله)الآمرون بالمعروف والناهون عنا لمنكر والحافظون لحدود الله) (التوبة 112.(

بقوله)وبشر المؤمنين) (التوبة 112 . (أي أن البشرى للمؤمنين من هؤلاء . لذا فقد ورد الموقف الإلهي من الناس كافة في قوله تعالى) :إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربم ولا خوف عليهم ولا هم يجزنون) (البقرة 62. (المحادث عند رام عند رام الكربة عليهم ولا هم الكربة منها من حدال عليهم الكربة عندا الكربة عندا

نلاحظ هنا أن هذه الآية تنطبق على كل أديان أهل الأرض السماوية منها وغيرها، والشرط الأساسي هنا الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح .هنا نريد أن نصحح الخطأ الشائع وهو أن الصابئين هم أهل حران شمال شرق سوريا الذين أطلق عيهم الصابئة، والصح هو أن الصابئين من صبأ عن الأديان السماوية الثلاثة ولكنه يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا ما نعرفه عن قول العرب في مكة عندما كان يدخل أحد منهم في دين محمد صلى الله عليه وسلم)صبأ فلان (أي خرج عن دين الآباء ودخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم. وهنا الصابئون من صبأ عن ديانة موسى وعيسى ومحمد ولكنه مؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحا.

من هنا نرى لماذا وضع صيغة المبني للمجهول في قوله) :فلن يقبل منه) (آل عمران 85 (حيث أنه مفروغ منه أنه لن يقبل من قبل الله لقوله) :إن الدين عند الله الإسلام (ولكن هناك وجه آخر أنه) لن يقبل منه (من قبل الناس أيضا، فأي خروج من الفطرة الإنسانية في النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والتشريعي فيه خروج عن الإسلام فسيؤدي ذلك بالضرورة إلى استنكار الناس له لذا فإن ميزاننا نحن المسلمين بأن أي موقف لا يوجد فيه خروج عن حدود الله وفيه العدالة النسبية "أي معتمد على البينات المادية" سيؤدي إلى غرضاء الناس ومواقة أكثرية الناس عليه .

وأي موقف يؤدي إلى احتجاج أكثرية الناس عليه فهو موقف غير إسلامي .هذا هو ميزننا الدقيق في)فطرة الله التي فطر الناس عليها) (الروم 30.(

من هذا المنظور نرى أن الأحاديث الثلاثة للنبي صلى الله عليه وسلم إن صحت منسجمة تماما بعضها مع بعض:

- '' 1بعثت بالحنيفية السمحة ومن خالف سنتي فليس مني" "الجامع الصغير.''
 - " 2اختلاف أمتى رحمة" "الجامع الصغير ج12/1."
- " 3كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" "ذكره الجامع الصغير."

هنا نلاحظ كيف أكد النبي صلى الله عليه وسلم على الحنيفية وأنها هي العمود الفقري لرسالته وهي سنته. وهي بالمفهوم الذي طرحناه تحمل مفهوم السماحة وعدم العنت والتحجر، وهي ملة إبراهيم وليست ملة موسى وعيسى لذا قال "كل مولود يولد على الفطرة" حيث أن الحنيفية هي فطرة الإنسان وهي أساس الإسلام وعلق بقوله "فأبواه" وهما أكثر الناس تأثيرا عليه، ثم المجتمع يحولانه من فطرة إسلامية حنيفية إلى عقيدة متزمتة متحجرة حدية عينية لذا قال "يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" ولم يقل أو يجعلانه على ملة

إبراهيم علما بأن إبراهيم جاء قبل موسى وعيسى.

أما قول النبي صلى الله عليه وسلم "اختلاف أمني رحمة" فقد علق عليه البعض بأنه إذا كان الاختلاف رحمة فهذا يعني أن الإجماع نقمة. أقول إن الإجماع نقمة فعلاً. فهل يمكن أن تطبق عقوبة الإخلال بالآداب العامة في باريس مثل عقوبة الإخلال بالآداب العامة في اليمن؟ إن أم الكتاب أعطتنا المجال بأن نطبق تشريعات مختلفة على حالة معينة باختلاف الزمان والمكان، وكل هذه التشريعات إسلامية بحتة.

إن الإجماع بمفهومه الإسلامي الصحيح هو إجماع أكثرية الناس على التشريع المقترح لحالة معينة في زمان ومكان معين، لا الإجماع المطلق الذي لا يحوي بعد الزمان والمكان وهذا ما يسمى بالإجماع الوهمي وهو الذي يطرحه الآن علماء الدين الإسلامي بقولهم "أجمع جمهور العلماء" حيث أن هذا الإجماع ليس أكثر من وهم يطرح على الناس. لألهم أخذوا آراء الفقهاء في أماكن مختلفا وأزمنة مختلفة وجمعوها وقالوا هذا هو الإجماع الذي يجب أن يتبعه المسلمون في كل زمان ومكان، إلى أن تقوم الساعة، فقتل الإسلام في مهده وتم طرحه في فراغ وفصل عن الحياة بأيديهم ولا يزالون يقاتلون من أجل فصله ويحسبون ألهم يحسنون صنعا، ويظنون أن أعداء الإسلام هم الذين يريدون فصله عنا لدولة، علما بأن فصل الإسلام الحقيقي عن الدولة وبالمنظور المطروح في هذا الكتاب فيه استحالة.

هنا أريد أن أنبه إلى ناحية في غاية الأهمية وهي مبدأ الدفاع عن الحدود .

فإذا تجاوز أحد من الناس حدود الله، فإن الله سبحانه وتعالى يدافع عن حدوده لأنه هو الذي وضعها، فإذا تم تجاوز حدود الله من قبل أحد فسيقع ظلم كبير على الناس، في هذه الحالة يجب أن يتأكد الناس بأن الله سبحانه وتعالى لن يترك حدوده مستباحة، وأنه سيتدخل ويكيد لمن يخترق حدوده. أما إذا استبيحت حدود الناس كأن يصدر تشريع إنساني يضع حدودا لضرائب الدخل وفيه ظلم للناس وهو ليس من حدود الله، فعلى الناس أن تعلم أن من مهامها هي حصرا إزالة هذا الظلم والاحتجاج عليه، لا أن تضعه على عاتق الله وتنتظر تدخل الله.

إن الإنسان الذي ينتظر تدخل الله في كل شاردة وواردة في الحدود التي لا تتعلق بحدود الله هو الإنسان المستكين الذي يخضع ويتلاءم مع الأنظمة الديكتاتورية في العالم. فالله يحرس حدوده، والناس تحرس حدودها والله الموفق.

ثالثاً: إسلامية الدولة العربية بالمنظور المعاصر

إذا سألني سائل: ما هي المواد التي يجب ان يحتويها دستور أية دولة لكي تصبح إسلامية؟ إنني أنوه هنا بالخطأين الشائعين جدا من قبل المسلمين وهما:

أ - المناداة بأن دستور الدولة القرآن، وهذا خطأ لأن القرآن لا يحتوي على أي تشريع.

ب - خطأ المناداة بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، لأن الشريعة الإسلامية لا تحتوي على أحكام، بل على حدود، ولا يوجد حكم حدي في الإسلام إلا في حالة الفاحشة العلنية.

فحتى تصبح الدولة العربية المنشودة أو أي دولة إسلامية يجب أن يحتوي دستورها على عقيدة التوحيد، وهذه العقيدة يعبر عنها بما يلى:

- 1إن عقيدة الدولة العربية الإسلامية فيما يتعلق بالوجود هي أن هذا الكون الذي نعيش فيه هو وجود مادي حقيقي مبني على الثنائية بالتناقضات والأزواج والأضداد وعلى تغير الصيرورة "التطور" في الأشياء وفي المجتمعات، والتناقضات الداخلية في المجتمعات تؤدي بالضرورة إلى تغير الشكل وظهور شكل جديد في المجتمع والعلاقات الاجتماعية وفي بنية الدولة. لذا فإن هذه الدولة هي دولة متطورة مبنية على البينات المادية التي يقدمها العلم الموضوعي وعلى العقل، وهذه الدولة لا يمكن أن تزول ولكن تتطور من شكل إلى آخر مادام هذا الكون قائما حتى قيام الساعة) لهاية التاريخ (وهلاك هذا الكون ليقوم على أنقاضه كون جديد خال من المتناقضات، والإنسان يتدخل في تغير الصيرورة إسراعا أو إبطاءا ولكن لا يستطيع أن يلغيها . لذا فإن البحث العلمي وربط العلم بالحياة ودفع عجلة التطور إلى الأمام هو أحد المبررات الرئيسية لوجود هذه الدولة، في هذه المادة تكمن عقيدة توحيد الربوبية)كل شيء هالك إلا وجهه) (القصص 88 .(أو ما

- 2إن التشريع في الدولة العربية الإسلامية ميتي على أنه لا يوجد شيء اسمه الشريعة الإسلامية ولكن يوجد شيء اسمه حدود الله التي وردت في أم الكتاب، والتشريع الإسلامي هو تشريع إنساني ضمن حدود الله، لذا فلا يجوز أن يصدر أي تشريع في هذه الدولة فيه تجاوز لحدود الله وإلا فهو باطل وصاحب الحق الوحيد في وضع حدود تشريعية دائمة "ثابتة" أ تشريع حدي لا يتغير هو الله وحده. ما كل نص تشريعي حدودي أو حدي يضعه الإنسان فهو بحد ذاته متغير وقابل للإلغاء والحنف عنه ويخضع للعراف ودرجة التطور العلمي والتاريخي للمجتمع، أي للحالات التي تفرزها التناقضات الداخلية للمجتمع وحالات علاقة المجتمع مع غيره من المجتمع، أن يضم أي تشريع يصدر في هذه الدولة بندا يحدد مدة صلاحيته ووجوب إعادة

أطلقنا عليه قانون التسبيح. وأي طرح للعدالة خارج عن هذا القانون هو طرح طوباوي وهمي وإن العدالة لا

- 3إن العلاقات الأخلاقية في المجتع العربي الإسلامي مبنية على الفرقان العام "الوصايا"، والدولة ملتزمة بوضع منهاج تربوي للأجيال مبني على الفرقان.
 - في هذين البندين تكمن عقدية توحيد الألوهية.

عكن أن تكون إلا نسبية مرحلية.

النظر فيه.

- 4إن الدولة العربية الإسلامية تحترم الجد والعمل والكسب والتوفير وطموحات الأفراد والجماعات في كل مجالات الحياة لذا فعلاقتها مع المواطنين لا تقوم على الحقد والحسد، وكذلك علاقة المواطنين بعضهم ببعض.

- 5في الدولة العربية الإسلامية تكفل الدولة للناس ممارسة الحد الأدنى من العبادات بالنسبة للمسلمين وغيرهم، ولا يمكن أن يصدر أي تشريع يمنع الناس من هذه الممارسة، وكذلك لا يمكن أن يصدر أي تشريع يجبر الناس على ممارسة العبادات. وكذلك لا تشجع الدولة أية جهة تحض الناس على ترك العبادات، لأن العبادات ليست موقفا سياسيا أو تشريعيا وبالتالي فإن هذه الدولة تنظر إلى مصطلح الخليفة ورجال الدين والفقهاء والمفتي والإمام على ألها ألقاب تاريخية أفرزها تفاعل الإسلام مع مراحل تاريخية مختلفة للمجتمعات العربية الإسلامية.
- 6بما أن التشريع الإسلامي تشريع حنيف ويحتاج إلى بينات مادية وإجماع أكثرية الناس على التشريع المقترح، لذا فإن الدولة العربية الإسلامية دولة ديموقراطية تقوم بنيتها الأساسية على التعددية الحزبية وحرية التعبير عن الرأي حيث يمكن أن يطرح في هذه الدولة عدة اجتهادات لمشكلة معينة وكلها إسلامية ضمن حدود الله، والمواد المطروحة أعلاه هي ضمان الديموقراطية، وفيها تكمن الأسس المتينة للوحدة الوطنية بحيث ألها تنسجم مع قوانين الطبيعة وفطرة الناس.

رابعاً: في أزمة العقل عند العرب

في ضوء شرحنا للعقل لعلمي الذي جاء في النبوة والعقل الاتصالي الأخلاقي والتشريعي الذي جاء في الرسالة يتبين لنا بشكل جلي أزمة العقل عند العرب، هذه الأزمة التي هي قديمة حديثة والتي بدأت بشكل جلي بعد حسم المعركة بين المعتزلة والفقهاء لصلاح الفقهاء، وضاع بعد هذه الهزيمة ضياعات كاملا الفرق بين النبوة والرسالة، وبين الكتاب والقرآن، أي تم الدمج بين العقل العلمي والعقل الاتصالي والذي تجلي فيما يلي:

- 1 لقد تم دمج القرآن والكتاب والذكر والفرقان معا، وتم تحويل الدين الإسلامي إلى دين اتصالي فقط أي أن لاتتريل كله جاء من أجل تنظيم العلاقة الاتصالية بين العبد وربه، وبين الإنسان والإنسان، وأن الإسلام دين العبادات والمعاملات فقط. أما الآيات الكونية والقصص التي هي القرآن جاءت ليتفكر المسلم بآلاء الله ونعمه وقدرته، ليس إلا. وأصبح الإسلام ليس له علاقة بالفلسفة وبالعلوم العملية التي أسموها فيما بعد بالعلوم الدنيوية ''مثل أصل الإنسان، التطور، النشوء، الارتقاء، خلق الكون، نظرية الطفرة ''وقد تم الاعتماد على النقل اعتمادا كاملا بدون نظرة نقدية.

- 2 بما أن سنة الحياة هي العقل العلمي الذي يحاول الإنسان من خلاله فهم الوجود "الله، الكون، الإنسان" وبما أن تخلف هذا العقل يؤدي إلى تدهور مستوى التقدم، وقد حصل هذا في عصور الانحطاط حيث لم يتقدم العرب والمسلمون قيد أنملة إلى الأمام، علما بأن الفقه والعبادات والمواعظ لم تتوقف، والمساجد والزوايا وحلقات الذكر ومجالس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لم تتوقف بل زادت ونمت، ومع ذلك وصل العرب والمسلمون إلى غاية التدهور في التخلف والسذاجة في التفكير وفي تفسير أحداث الكون والتاريخ

الإنساني حتى وصلنا إلى العقدة الكبرى وهي أن كل فشل أساسه العقل العلمي، يعزى إلى فشل العقل الاتصالي، وقد تجلت هذه العقدة في تفسير أحداث التاريخ. فمثلا كل هزيمة مني بها العرب والمسلمون سببها بعدهم عن ربم وقلة التقوى علما بأن هزيمتهم تمت على أيدي كفرة غير مسلمين. ومازال العقل الاتصالي حتى يومنا هذا هو العقل المسيطر عند العرب في مجالات الأفراد والمجتمعات والدول.

ففي مجالات الأفراد، نرى حتى يومنا هذا المئات من الأغنياء العرب يتبرعون لبناء المساجد والمدارس الدينية، ولا يخطر على بال الكثير منهم التبرع لجامعة أو لمعهد بحث علمي مثل معهد أبحاث السرطان وأمراض القلب، حيث أن تبرعا من هذا النوع لا يقل أهمية عند الله سبحانه وتعالى عن المال المدفوع لمسجد.

أما في مجالات الجماعات فما زالت حتى يومنا هذا المجتمعات العربية والإسلامية تنظر إلى العقل الاتصالي على أنه العقل الديني. وأن الإسلام جاء من أجل التقوى والموعظة والمودة والحب، ويغفلون جانب الحق والباطل في الدين الإسلامي والذي هو أهم جانب فيه وأقواه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاد معركة بدر وأحد والأحزاب من أجل الحق والباطل، لا من أجل الحلال والحرام، أي أن هذه المعارك تم خوضها ليس من أجل ترك الخمر والميسر، بل من أجل سحق وهام الجاهلية "الباطل في عقول العرب" علما بأنه من الناحية الاتصالية كان يوجد عند العرب مكارم أخلاق في الجاهلية وقد ثبتها الإسلام .ولكن العقل الجاهلي العلمي هو الذي نسفه الإسلام نسفا دون رحمة ولا هوادة.

وأما في مجال الدول فترى الأموال التي تنفق على صياغة العقل الاتصالي ''المسموح والممنوع" عند المواطن أضعاف ما ينفق على صياغة العقل العلمي ''الحقيقي والوهمي.''

هنا أيضا يجب أن ننتبه إلى ناحية في غاية الخطورة وهي أن العقل الاتصالي حتى ولو كانت طروحاته جذابة وجميلة ومحببة إلى النفس مثل مفهوم تحقيق العدل وإلغاء الظلم. حيث أن هذا الطرح يبقى شعارا جميلا محببا ووهميا إذا لم يقترن بالعقل العلمي. أي علينا أن نتعلم باستمرار القوانين الموضوعية للوجود وللعلاقات الاجتماعية والاقتصادية بحيث لا نقع في طرح للعدالة بشكل طوباوي يتعارض مع القوانين الموضوعية. هذا الطرح لا نجنى منه إلا الفشل والخيبة .

وإذا أردنا أن نصوغ هذه الأطروحة بشكل آخر فهو أن العقل الاتصالي يجب ألا يوضع بشكل معاكس للعقل العلمي. فقوانين الوجود لا تتغير من أجل قوانين الأخلاق والعدالة ولا يمكن تطبيق أم الكتاب بشكل معاكس ومتعارض مع القرآن، لأن كل واحد منهما يتماشى مع الآخر ولا يتعارض معه.

- 3إن عدم فهم نظرية الحدود في أم الكتاب لمئات من السنين، أي فهم حدود الله على أساس حدي لا حدودي أوقع العقل العربي في مواقف حدية دائما، فأصبح هذا العقل لا يرى إلا الأبيض والأسود دون النظر إلى آلاف الاحتمالات من الألوان بين اللونين. فهذا العقل يعادي بشكل حدي ويصادق بشكل حدي وابتعد جدا عن مفهوم الحل الوسط في كل الأمور. وعن مفهوم الديموقراطية وإجماع أكثرية الناس على التشريع

المقترح والمدعم ببينات مادية إحصائية.

- 4 لقد أثر هذا المفهوم في الوقوف على الحدود على ألها التشريع على منهج التعليم، فأصبح التعليم عبارة عن تلقين من المعلم وحفظ من الطالب أي امتحان المذاكرة فقط، وغاب الفكر النقدي غيابا شبه كامل لمئات من السنين .وفي هذا المجال أورد بيتين من الشعر لابن فارس ينتقد فيه ثقة الناس بما يدعو فهم الأعلام الثقاة ويدعو فيه إلى الفكر النقدي ويحذر من التقليد:

اسمع مقالة ناصــح جمع النصيحة والمقه

إياك واحذر أن تكو ن من الثقات على ثقه

علما بأن الفكر النقدي لا يمكن أن يؤتي ثماره إلا من خلال نظام ديموقراطي يقوم على حرية التعبير عن الرأي. وهكذا نرى أن أزمة الديموقراطية هي أزمة مستعصى في العقل العربي قبل أن تكون في الأنظمة.

هنا يجب علينا وضع مفهوم للتخلف، حيث كثر الحديث حول هذا المصطلح .فبراينا للتخلف نوعان:

- 1 تخلف نسبي عام للإنسانية جمعاء وهو تخلف المعقولات عن المحسوسات وهو ما يسمى بالغيب الكلي، أي أن هناك كثير من قوانين الوجود وظواهره ما زالت مجهولة بالنسبة للجنس الإنساني بشكل عام وهذا التخلف لا يمكن إلغاؤه كليا .حيث أن إلغاءه يعني أن الإنسان أصبح كامل المعرفة، ولكن الإنسانية تسير حتما باتجاه مقارب لهذا الإلغاء دون لوصول إليه.

- 2 تخلف نسبي خاص وهو تخلف مجموعة من الناس عن مجموعة أخرى، وهذا التخلف عبارة عن تخلف المعقولات عن المحسوسات بالنسبة لجموعة من الناس بحيث أن هذه المحسوسات نفسها هي معقولات بالنسبة لمجموعة أخرى من الناس. وقد يظن البعض أن فتح معاهد البحث العلمي والجامعات في الدول المختلفة هو الحل فقط. أقول هو جزء أساسي من الحل وليس الحل كله، حيث أن منهج التفكير العلمي المادي القائل إن التصديق سابق التصور بالنسبة للمعرفة الإنسانية، والذي يجب أن يكون من مسلمات كل فرد في المجتمع متعلم أم غير متعلم هو جزء أساسي مع الجامعات ومعاهد البحث العلمي.

فالوطن العربي عبارة عن شعوب ما زالت متخلفة مع كثرة الخريجين من الجامعات، والسبب أن الإنسان العربي المتعلم يعيش عقدة الانفصام بين ما تعلمه في الكتب والجامعات من علوم مختلفة وبين سلوكه اليومي في الحياة حيث أن طرائق التفكير العلمي .وهذه المشكلة أيضا موجودة عند الخريجين العرب من جامعات غير عربية.

خامسا: العروبة والإسلام

ومن خلال سياق هذا الكتاب تبين لي زيف الانفصام المصطنع بين العروبة والإسلام بالنسبة للعرب بالذات، حيث أنني كعربي ومسلم، لم أشعر لحظة واحدة خلال حوالي ربع قرن بأن ما أكتبه يشكل انفصاما بين العروبة

والإسلام، بل العكس هو الصحيح، تبين لي هذا التلاحم الطبيعي بينهما، وقد بينت الأيام والأحداث زيف الانفصام المصطنع بينهما. كما أن عالمية الإسلام بينت أنه لا يوجد انفصام بين الإسلام وبين أي قومية أخرى غير العربية. فالمسلم السويدي عليه أن يبقى سويديا بكل أعراف وطبائع أهل السويد، وعليه أن يتقيد فقط بحدود الله والوصايا. واعتقد أن القارئ استنتج لوحده من خلال قراءة هذا الكتاب بأن التطور والتقدم هما أساس العقيدة الإسلامية، وأن اليسر وراحة الناس، وتقديم الأدلة المادية، وإجماع الناس على التشريع، هما أساس السلوك والتشريع الإسلامي، ومن هنا سمى الإسلام "بالدين الحنيف" وأن أحب الأديان إلى الله هو "الحنيفية السمحة" وأن الله رحم عباده ويسر عليهم أكثر من رحمة الوالدين لأولادهما وتيسيرهما عليهم. من هذا الطرح قد يسأل سائل: إن الإسلام في شكله المعاصر المطروح في هذا الكتاب يختلف تماما عن إسلام القرن السابع الميلادي. أقول: نعم في المظهر، ولا في المحتوى، وأضرب المثال التالي: إذا كتب عالم في نشأة الكون ''الكوسمو لو جيا" مقالة عن الانفجار الكوبي وتطور المادة حتى أصبحت شفافة للضوء، أي حتى ظهر عنصر الهيدروجين، وهذه المقالة هي تأويل قوله تعالى):والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر (، وقرأ هذه المقالة أبو بكر الصديق، ففي هذه الحالة فإنه لا يفقه شيئا مما قرأ، ولا يعلم أن هذه المقالة هي تأويل قوله تعالى)والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر(، وقرأ هذه المقالة أبو بكر الصديق، ففي هذه الحالة فإنه لا يفقه شيئا مما قرأ، ولا يعلم أن هذه المقالة هي تأويل قوله تعالى) :والفجر * وليال عشر (ولكن إذا كتب صاحب المقالة جملة "بسم الله الرحمن الرحيم" في أول المقالة،فإن أبا بكر سيعلم أن كاتب هذه المقالة هو مسلم وينتمى إلى نفس الدين الذي ينتمي إليه أبو بكر. لذا فإن الخيط الرئيسي الواصل بيننا وبين السلف وبين الخلف، هو التوحيد في أبسط صوره وتعابيره وهو "لا إله إلا الله. محمد رسول الله" والعبادات. فالمسلم من قبل، والن، ومن بعد، يصلى كما صلى النبي والسلف، ويصوم كما صام النبي صلى الله عليه وسلم، ويحج كما حجا لنبي صلى الله عليه وسلم. وهنا تظهر أهمية التوحيد في أبسط صوره، والعبادات في حياة الأمة، والتي تعتبر خط التواصل في مختلف مراحل التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. لذا فقد كان من الطبيعي أن تفصل العبادات عن الدولة وعن أي عمل سياسي أو اقتصادي.

ومرة أخرى أتوقع أن يصدم القارئ بمحتويات هذا الكتاب، وما حواه من أفكار، لذا فإني أرجو من القارئ ألا يتسرع في الحكم علي، وعلى لاكتابوأطلب منه راجيا إعادة قراءة هذا الكتاب. كما أرجو من القارئ أن يعلم ن الدافع وراء هذا الكتاب الذي أعطيته زهرة شبابي، كان الألم مما وصل إليه العرب والمسلمون من مهانة وذل وتخلف، حتى كادت تصبح كلمات "العرب والمسلمين والتخلف" من المترادفات. وكذلك الألم وخيبة الأمل من سذاجة الطروحات والسلوكيات الإسلامية المعاصرة، وبشكل عام من سطحية الفكر العربي المعاصر الذي وصل إلى درجة العقم والجفاف. وعلى القارئ أن يضع نصب عينيه أنني بشر، ولا أدعي الكمال أبدا، ولكنني وضعت منهجا علميا في فهم الكتاب، وأتمنى من القارئ أن يستوعبه ويطوره.

إن العالم الآن على أبواب استقبال القرن الحادي والعشرين الميلادي، ولا أعتقد أنه يوجد شيء عند العرب والمسلمين ليدخلوا به هذا القرن، فكأنه كتب علينا "حاشا الله" أن نعيش عالة على العالم في السلع والأفكار. إن ما نعيشه الآن ليس قدرنا الإلهي ولكنه قضاؤنا الذي اخترناه بأنفسنا نتيجة جهلنا، وعدم وجود نظرية مع فية إنسانية لدينا.

إنني أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم. وأن أكون من الناس الذين استطاعوا أن يقدموا شيئا إيجابيا لأمتهم وشعبهم. ولا أدعي الكما في حياتي الشخصية، ولا أعيش حياة الناسكين. وأرجو أن أكون عند الله من الذين قال عنهم) : ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) (الزمر 35.(

)ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) (آل عمران 8.()قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) (هود 88.(

تم الكتاب والله الموفق دمشق في 1989/12/23 يوم السبت الساعة الواحدة والربع ظهرا